

تأليف

محماس بن عبدالله بن محمد الجلعود

الجزء الأول

الرياض - ص ب : ١٠٦٣٢

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م


الموالاة والمعاداة
في
الشريعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الذي أنزلَ على عبده الكتابَ وجعله هاديا ونذيرا ، ومرشدا لمن تمسك به واعتمد عليه في موالاتِه ومعاداتِه ، فهو له سراجا منيرا ، وأوجب فيه مقاطعةَ أهلِ الشرك ومن كان لهم مؤيدا ونصيرا .

والصلاةُ والسلام على أشرف خلقه ، وخيرة رسله محمدٍ (ﷺ) الذي مزقَ الله بمبعثه ظلامَ الكفرِ ، وجعلَ من هديه مباينةَ الشركِ والمشركين جملة وتفصيلا .

وعلى آله وأصحابه الذين تحابوا في الله حباً أرغموا به أنوفَ الأعداءِ ، وجاهدوا به الكفارَ والمنافقين جهادا كبيرا وتميزوا به عن أهل الضلالِ ، فلم يرضوا منهم بأنصافِ الحلولِ سبيلا .

وبعد :

فإن قضيةَ الموالاةِ والمعاداةِ في الشريعةِ الاسلاميةِ ، قد أصبحتْ من القضايا المهملةِ في حسابِ كثيرٍ ممن ينتمونَ الى الاسلامِ في العصرِ

الحاضرِ ، ظناً منهم أن تلك القضية ليستْ من قضايا العقيدةِ والعبادة ، لـذلك وضعـوا أيديهَم بـأيدِي الكفـار ، ومنحوهم غـايَـةَ الحبِّ والمـودةِ والمناصرةِ ، ودافعوا عنهم باللسانِ والسِّنَان ، في الوقت الذي خذلوا فيه أهلَ الإيمانِ ، وأذاقوهم ألواناً من العذاب .

وهنـاك دعوة يـروجُ لها أعـداءُ الاسلامِ ، ويهـذِي بها المنـافقـونَ والمرتدونَ والساذجون من مدعي الاسلام ، وتلك هي دعوةُ التقريبِ بين الأديانِ ، أي بين الرسالات الثلاث : الاسلامُ ، والنصرانيةُ ، واليهوديةُ ، تحت شعارِ « الدينُ لله ، والوطنُ للجميع » .

فقد أصدر مركزُ الدراساتِ والأبحاثِ الاقتصاديةِ والاجتماعيةِ التابعُ للجامعةِ التونسية كتابَ « الملتقى الاسلامِي المسيحيِ » وجاء في مقدمةِ هذا الكتابِ الذي كتبه عبدُ الوهابِ بوحدبيةَ ما نصهُ « لقد عُقِدَ هذا الملتقى الاسلامِي المسيحِي الذي دعونا اليه بقرطاجَ والحماماتِ والقيروان في الفترةِ من ١١ الى ١٧ نوفمبر سنة (١٩٧٤ م) وقد ساهم هذا اللقاءُ في بناءِ صرحِ التفاهمِ والاخاءِ بين الأديان[١] .

ونحنُ نريد أن نذكرَ هؤلاء وأمثالَهم بما قرره الله عز وجل في كتابِه الكريمِ من أنه لا لقاء بين الحقِ والباطلِ أبداً ، وأن اعداءَ التوحيدِ في كل زمانٍ ومكانٍ لا يتغيرون ، ولا يلتقون مع الحقِ الا عندما يذعنـون له ، ويتخلصون من الباطلِ قال تعالى ﴿ **ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النصارى حتى تتبعَ ملتَهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعتَ أهواءَهم بعد الذي جاءك من العلمِ ما لك من الله من ولي ولا نصير**﴾[٢] .

---

(١) مجلة الدعوة السعودية عدد ٨١٢ في ٩ ذو القعدة سنة ١٤٠١ هـ. ص ١٥ .
(٢) سورة البقرة آية ١٢٠ .

فقد اقتضت حكمةُ اللهِ سبحانَه وتعالى ، أن يبتلي خيارَ هذه الأمةِ بشرارِها ، ومؤمنيهَا بفجارِها ، وعلماءَها بجهالِها ، وهذه سنةُ الله التي قد خلتْ من قبلُ ولن تجدَ لسنةِ الله تبديلا .

ولذلك فإن حاجةَ المسلمينَ ماسةٌ في هذا العصرِ ، الى أن يعودُوا الى تحقيقِ الموالاةِ فيما بينهم ، والمعاداةِ مع اعدائهم ، حيث قد تداعتْ عليهم قوى الكفرِ والظلمِ والطغيانِ من كل حدبٍ وصوب ، وتنادى الجميعُ للقضاء على هذا الدينِ بوسائلهم المختلفةِ ، ولن يقفَ في وجه هذه الحربِ الصليبيةِ اليهوديةِ الوثنيةِ ، المتواطئةِ مع المرتدينَ والمنافقينَ وسفهاءِ المسلمين ، سوى اتحاد المسلمينَ وتلاحُمهم صفا واحدا ، كما قال تعالى ﴿ ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيلِه صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾[1] .

وكما قال رسول الله (ﷺ) « مثلُ المؤمنين في توادهِم وتلاحُمهم، وتعاطُفِهم ، مثلُ الجسدِ ، اذا اشتكى منه عضوٌ ، تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمى »[2] .

ولا شك لدي في أن القيامَ بمهمةِ البحثِ في هذا الموضوعِ على وجه الدقةِ والكمالِ ، أمر يحتاجُ الى قدرةٍ لا أدعيها لنفسي ومرانٌ أفتقدهُ ، ولكنها المحاولةُ ، وحسبي منها أن أبذلَ ما في وسعي وطاقتي من جَهْدٍ ، من أجلِ إبرازِ الصورةِ المثلى التي رسمها القرآنُ الكريمُ ، والهديُ النبويُ ، وتناولَها علماءُ الاسلامِ الأعلامِ بالتوضيحِ والبيانِ فيما تفرقَ من مباحِثِهم ، ودراساتِهم في هذا الموضوع .

فإن أحسنتُ فما توفيقي الا بالله ، وأشكرُهُ سبحانَهُ وتعالى على ذلك ،

---

(١) سورة الصف آية ٤ .

(٢) متفق عليه ، انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٤٦ رقم الحديث ٢٢٦ .

وإن أخطأتُ، أو قصرتُ، فما تجاوزتُ قدري «كلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»(١).

فأستغفرُ الله ، وأتوبُ اليه ، وحسبي أني كنتُ حريصاً أن لا يقع ذلك مني وأتوسلُ اليه في طلبِ عفوه وغفرانه ، بحسنِ النيةِ وقصدِ الثوابِ انه هو الغفورُ الرحيم .

المؤلـف

محماس بن عبدالله بن محمد الجلعود

(١) رواه الترمذي في سننه جـ ٤ ص ٧٠ (باب القيامة) . وأحمد بن حنبل في مسنده جـ ٣ ص ١٩٨ .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التمهيد

ويتكون من أربعة مباحث :

- المبحث الأول : المفهوم اللغوي للموالاة والتولي .
- المبحث الثاني : المفهوم اللغوي للمعاداة .
- المبحث الثالث : المفهوم الشرعي للموالاة والتولي والمعاداة .
- المبحث الرابع : ارتباط عنوان الرسالة بالمعنى الاصطلاحي للشريعة الاسلامية .

المبحث الأول
المفهوم اللغوي للموالاة والتولي

لم يرد في القرآن الكريم ، ولا في كتب الصحاح لفظ « موالاة » وانما روى الطبراني في الكبير ، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) « أوثق عرى الايمان ، الموالاة في الله والمعاداة في الله ، والحب في الله ، والبغض في الله »[1] . اهـ.

والموالاة : مصدر (وَالَى) يوالي موالاة[2] .

ولفظ الموالاة ، أعم من التولي ، حيث أن الموالاة هي المحبة[3] .

بغض النظر عن درجة هذا الحب ومرتبته ، فكل من أحببته وأعطيته

---

(١) يقول : محمد ناصر الدين الألباني في كتابه سلسلة الاحاديث الصحيحة المجلد الثاني ص ٧٣٤ رقم الحديث ٩٩٨ إن هذا الحديث اسناده حسن وله شواهد يتقوى بها ورجاله ثقات ، وفي بعضهم كلام لا يضر في ذلك .

(٢) انظر محيط المحيط تأليفِ بطرس البستاني م ٢ ص ٢٢٨٧ ـ ٢٢٨٩ .

(٣) القاموس المحيط للفيروز آبادي جـ ٤ ص ٤٠١ ـ ٤٠٢ .

ابتـداء من غير مكـافأة فقـد اوليته ، وواليتـه ، والمعنى أي أدنيتـه الى نفسك[1] .

والموالاة ، ضد المعاداة يُقال . (والى بينهما ، ولاءً) أي تابع بينهما متابعة ، وافعل هذه الأشياء على (الولَاءِ) أي المتابعة[2] .

أما التولي : فهو تقديم كامل المحبة والنصرة للمتولَّى بحيث يكون المتولِّي مع المتولَّى كالظل مع الجسم[3] .

قال ابن الاعرابي[4] : الموالاة ان يتشاجر اثنان فيدخل بينهما ثالث للصلح ويكون له في أحدهما هَوىً ، فيواليه أو يحابيه على الآخر[5] .اهـ.

ووالى فلانٌ فلانا ، اذا أحبه وقربه وأدناه اليه[6] .

ويقول الدكتور / محمد نعيم ياسين : الموالاة ، مشتقة من الوَلاء وهو الدنو والقرب ، والوِلاية ، ضد العداوة ، والوَلي عكس العدو[7] . ا . هـ . فالمؤمنون أولياء الرحمن ، والكافرون أولياء الشيطان ، لقرب الفريق الأول من الله بطاعته وعبادته ، وقرب الفريق الثاني من الشيطان بطاعته واتباعه ، وبعدهم عن الله بعصيانه ومخالفته[8] .

---

(١) تاج العروس / للزبيدي جـ ١٠ ص ٤٠١ .
(٢) الصحاح ـ تأليف اسماعيل بن حماد الجوهري جـ ٦ ص ٢٥٣٠ ـ ٢٥٣١ وانظر مختار الصحاح / محمد بن ابي بكر الرازي ص ٧٣٦ .
(٣) المعجم الوسيط جـ ٢ ص ١٠٧٠ .
(٤) هو محمد بن زياد المعروف بابن الاعرابي الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ١٥٠ هـ وأخذ عن الكسائي وابن السكيت وغيرهم ، وأخذ عنه الأصمعي ، فهو لغوي ، نحوي ، راوية لاشعار العرب. توفي ، بسر من رأى ، من آثاره : النوادر ، تاريخ القبائل ، معاني الشعر ، تفسير الأمثال . انظر ترجمته في معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ١٠ ص ١١ .
(٥) لسان العرب / محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٦ .
(٦) لسان العرب / محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٦ .
(٧) انظر : الايمان ، اركانه ، حقيقته ، نواقضه ـ د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .
(٨) المصدر السابق المكان نفسه .

يقـول الأزهري[1] : للمـوالاة معنى آخر ، سمعت العـرب تقول : (والوا حواشي نعمكم عن جلتها) أي اعزلوا صغارها عن كبارها[2]ا. هـ. والتولي ، مصدر (تَوَلَّى) أي اتخذه وليا[3].

فالتولي اذاً بمعنى الاتخاذ والاتباع المـطلق ، وهو يعني الانقـطاع الكامل في نصرة المتبع وتقريبه وتأييده ، و(التَّوْلِيَة) مصدر (وَلَّى) أي انصرف ذاهبا[4] .

فالتولي أخص من الموالاة ، فكل (تَوَلٍّي) داخل في مفهوم الموالاة وليس كل موالاة داخلة في مفهوم التولي كما أسلفنا .

والتولي يرد بِعِدَّة معانٍ :

منها النصرة ،كما في قوله تعالى﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون**﴾[5]. أي تنصروهم، يعني أهل مكة، قال ذلك الفراء[6]

(1) هو محمد بن احمد بن الازهر بن طلحة الأزهري الشافعي ، أديب ، لغوي ، ولد سنة ٢٨٢ هـ في هراة بخراسان ، وعني بالفقه اول الأمر ، ثم غلب عليه علم العربية ، فرحل في طلبه وقصد القبائل وتوسع في اخبارهم ، توفي بهراة في ربيع الأول سنة (٣٧٠ هـ) من تصانيفه الكثيرة : تهذيب اللغة في اكثر من عشرة مجلدات ، والتقريب في التفسير ، والزهراوي في غرائب الألفاظ ، وعلل القراءات ، وكتاب في اخبار يزيد بن معاوية .
انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٨ ص ٢٣٠ .

(2) لسان العرب / محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٦ .

(3) المعجم الوسيط / لمجموعة اساتذة جـ ٢ ص ١٠٧٠ .

(4) محيط المحيط / بطرس البستاني م ٢ ص ٢٢٨٧ وما بعدها .

(5) سورة الممتحنة آية ٩ .

(6) هو يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الأسلمي ، المعروف بالفراء الديلمي (أبو زكريا) أديب ، نحوي ، لغوي مشارك في الفقه والطب وأيام العرب وأشعارها ، ولد بالكوفة سنة (١٤٤ هـ) وانتقل الى بغداد وصحب الكسائي ، وأدب ابن المأمون العباسي ، وصنف للمأمون كتاب الحدود في النحو ، واجتمع لاملائه خلق كثير منهم ثمانون قاضيا توفي في =

تفسيرا لمعنى قوله تعالى ﴿ أن تولوهم ﴾ وقال أبو منصور : جعل التولي ها هنا بمعنى النصرة ، من الوَلي والمَوْلَى وهو الناصر والمعين[1] . ا. هـ .

وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوما غضب الله عليهم ﴾[2].

قال ابن عباس : أي لا توالوهم ، ولا تَنَاصَحُوهم[3] .

ويأتي التولي بمعنى الإدبار والاعراض ، قال تعالى ﴿ ولا تتولوا مجرمين ﴾[4] أي تدبروا عما أدعوكم اليه[5] . ويأتي بمعنى قام وبدأ ، قال تعالى : ﴿ والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ﴾[6] أي قام بمعظم ذلك القول وبدأ فيه[7] .

ومن استعمالات كلمة (تولى) بمعنى ذهب وانصرف ، قول الله تعالى ﴿ فسقى لهما ثم تولى الى الظل ﴾[8] أي انصرف وذهب اليه[9] .

وتأتي بمعنى اتبع ، قال الله تعالى ﴿ كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله ﴾[10] وتأتي بمعنى استأْخِر وكن قريبا منهم ، قال تعالى ﴿ اذهب

= طريق مكة سنة (٢٠٧ هـ) ومن آثاره : المصادر في القرآن ، آلة الكتاب ، الوقف والابتداء ، المقصور والممدود ، واختلاف أهل الكوفة والبصرة والشام في المصاحف .
انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة جـ ١٣ ص ١٩٨ .

(١) لسان العرب / محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٦ .
(٢) سورة الممتحنة آية (١٣) .
(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٧٦ .
(٤) سورة هود آية (٥٢) .
(٥) مختصر تفسير الطبري ص ٢٥٠ على هامش المصحف الشريف .
(٦) سورة النور آية (١١) .
(٧) مختصر تفسير الطبري ص ٣٩٢ على هامش المصحف الشريف .
(٨) سورة القصص آية ٢٤ .
(٩) انظر: مختصر تفسير الطبري حاشية مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٤٣٧ .
(١٠) سورة الحج آية (٤) وانظر المصدر السابق ص ٣٧١ .

بكتابي هذا فألقه اليهم ثم تَوَلَّ عنهم﴾[1] . أي استأخِر غير بعيد[2] . أو كن قريبا منهم[3] .

وتأتي كلمة (تَوَلَّى) بمعنى فَوَّضَ واتخذ ، قال تعالى **﴿ ومن يَتَولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾**[4] . أي من فوض أمره الى الله وامتثل أمر رسوله (ﷺ) ووالى المسلمين على ذلك ، فهو من حزب الله ، وقيل : أي من يتخذ القيام بطاعة الله ونصرة رسوله والمؤمنين فهو من حزب الله[5] ، وان حزب الله لهم الْغالبون .

وتأتي ، بمعنى عصى ويعصي ، قال تعالى **﴿ ومن يتولَّ يعذبه عذابا أليما ﴾**[6] . أي يعصي الله ورسوله ، فيتخلف عن قتال المشركين[7] ، وتأتي كلمة (تَوَلَّى) بمعنى يطيع ، قال تعالى **﴿ انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون ﴾**[8] .

أي يطيعونه ويشركونه بالله[9] .

ولفظ (وَلي) يأتي موافقا لمعنى الموالاة التي هي المحبة والنصرة ، في بعض استعمالاته ، وان كان يستعمل في معانٍ عديدة .

(الوَلِي) اسم من اسماء الله تعالى : والوَليُّ هو الناصر ، وقيل : المُتَوَلي لأمور العالم والخلائق القائم بها[10].

(١) سورة النمل آية (٢٨) .
(٢) تفسير ابن سعدى جـ ٥ ص ٥٧٥ .
(٣) مختصر تفسير الطبري على مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٤٢٦ .
(٤) المائدة آية (٥٦) .
(٥) تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٢٢٢ .
(٦) سورة الفتح آية (١٧) .
(٧) مختصر تفسير الطبري على المصحف المفسر الميسر ص ٥٨٣ .
(٨) سورة النحل آية (١٠٠) .
(٩) مختصر تفسير الطبري على المصحف المفسر الميسر ص ٣١٠ .
(١٠) لسان العرب : محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٤ .

ومن اسمائه عز وجل : الوالي ، وهو المالك للأشياء جميعها المتصرف فيها[1] .

قال ابن الأثير[2] : وكأن الوِلاَية تشعر بالتدبير والقدرة والفعل ، وما لم يجتمع ذلك فيها لم ينطلق عليه اسم الوالي[3] . ا. هـ .

ومن استعمالات (الوَلِيُّ) بمعنى الناصر[4] ، قول الله تعالى ﴿ **الله وَلِيُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور** ﴾[5] . فالولي فعيل بمعنى فاعل ، قال الخطابي[6] : الوليُّ الناصر ينصر عباده المؤمنين[7] . ا. هـ .

وَيُقَالُ : تَوَلاكَ الله ، أي وليك الله ، ويكون بمعنى نَصَرك الله[8] .

---

(١) المصدر السابق المكان نفسه .

(٢) هو المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الشافعي المعروف (بابن الأثير ، الجزري) (مجدد الدين ، ابو السعادات ، عالم ، أديب ، ناثر شارك في تفسير القرآن والنحو واللغة والحديث والفقه وغير ذلك . ولد بجزيرة ابن عمر في احد الربيعين ، ونشأ بها ، ثم انتقل الى الموصل ، وكتب لامرائها وكانوا يحترمونه ، وسمع ببغداد ، وتوفي بالموصل سلخ ذي الحجة (٦٠٦هـ) . وقد كان مولده في سنة (٥٤٤ هـ) من تصانيفه النهاية في غريب الحديث وجامع الأصول في احاديث الرسول ، والإنصاف بين الكشف والكشاف تفسير الثعلبي والزمخشري ، ديوان رسائل ، والبديع في شرح الفصول لابن الدهان في النحو .

انظر : معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٨ ص ١٧٤ .

(٣) لسان العرب محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٤ .

(٤) المصدر السابق المكان نفسه .

(٥) سورة البقرة آية (٢٥٧) .

(٦) هو احمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب الخطابي البستي ولد سنة (٣١٩ هـ) وت (٣٨٨ هـ) من ولد زيد بن الخطاب أخي عمر بن الخطاب (أبو سليمان) محدث ، لغوي ، فقيه ، أديب . من تصانيفه : معالم السنن في شرح كتاب السنن لأبي داود ، غريب الحديث ، شرح البخاري ، أعلام الحديث ، اصلاح الغلط ، وله شعر .

انظر : معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٢ ص ٦١ .

(٧) لسان العرب / محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٥ .

(٨) المصدر السابق المكان نفسه .

ومنه قوله تعالى ﴿ فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين ﴾[1] . أي وليه وناصره عليهم[2] .

وقال تعالى ﴿ قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾[3] . فمعنى ﴿ مولانا ﴾ أي ناصرنا[4] . وقال تعالى ﴿ أنت وليِّ في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصـالحين ﴾[5] . فقوله ﴿ أنت وليّ ﴾ أي ناصري[6] . وقال تعالى ﴿ ان وليّ الله الذي نَزَّلَ الكتاب وهو يتولى الصالحين ﴾[7] أي نصيري وظهيري[8] .

وفي الحديث « اللهم آت نفسي تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها أنت وليّها ومولاها »[9] .

والوَلِيُّ : الله عز وجل : أي الناصر والكافي ، والوَلاءة ، والوَلِيّ كلها مصادر (وَلِيَ)[10].

و(الوَلِيُّ) يطلق ويراد به القريب في النسب ، قال تعالى ﴿ فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليّ حميم ﴾[11]. أي كأنه قريب شفيق[12] .

و(المَوْلَى) يطلق ويراد به الناصر والمؤيد ، قال تعالى ﴿ ذلك بأن

---

(١) سورة التحريم آية (٤) .
(٢) مختصر تفسير الطبري على هامش المصحف المفسر الميسر ص ٦٤٤ .
(٣) سورة التوبة آية (٥١) .
(٤) تفسير القرطبي جـ ٨ ص ١٦١ .
(٥) سورة يوسف آية (١٠١) .
(٦) مختصر تفسير الطبري على هامش مصحف الشروق المفسر الميسر ص ٢٧٣ .
(٧) سورة الاعراف آية (١٩٦) .
(٨) مختصر تفسير الطبري على مصحف الشروق ص ١٩٣ .
(٩) رواه الامام احمد - مسند احمد جـ ٤ ص ٣٧١ .
(١٠) معجم متن اللغة ، تأليف / احمد رضا م ٥ ص ٨١٧ .
(١١) سورة فصلت آية (٣٤) .
(١٢) انظر تفسير ابن سعد جـ ٦ ص ٥٧٧ .

الله هو مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم ﴾[1] ، أي ان الله ناصر وولي من آمن به ، وأما الكافرون لا ناصر ولا ولي لهم[2] .

وقال تعالى **﴿ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾**[3] . أي وليكم وناصركم[4] . ويطلق لفظ (المَوْلَى) ويراد به القريب قال تعالى **﴿ يوم لا يغني مولى عن مولى شيئا ولا هم ينصرون ﴾**[5] . أي لا يدافع ابن عم عن ابن عم ، ولا صاحب عن صاحبه[6] .

ويطلق (المَوْلَى) ويراد به الحليف والمعين والنصير ، وهو من انضم اليك فعزّ بعزك وامتنع بمنعتك . قال عامر الخصفي من بني خصفة :

هم المولى وان جنفوا علينا وانـا من لقائهم لـزور[7]

وكلّمة (أولياء) جمع وَلِي ، وتأتي بعدة معانٍ هي :

معنى النصرة أو الانصار ، قال تعالى **﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء ﴾**[8] ، أي أنصارا[9] . قال تعالى **﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾**[10]. أي يتناصرون بدينهم ويتعاملون باعتقادهم[11].

---

(١) سورة محمد آية (١١) .
(٢) مختصر تفسير الطبري على مصحف الشروق ص ٥٥٧ وتفسير القرطبي جـ ١٦ ص ٢٣٤ .
(٣) سورة آل عمران آية (١٥٠) .
(٤) مختصر تفسير الطبري على مصحف الشروق ص ٧٥ .
(٥) سورة الدخان آية (٤١) .
(٦) مختصر تفسير الطبري ص ٥٦٤ .
(٧) لسان العرب / محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٦ .
(٨) سورة الممتحنة آية (١) .
(٩) مختصر تفسير الطبري على هامش مصحف الشروق ص ٦٢٩ .
(١٠) سورة الانفال آية (٧٣) .
(١١) تفسير الطبري جـ ٨ ص ٥٧ .

وقال تعالى ﴿ **وما كان لهم من دون الله من اولياء** ﴾[1]، أي انصارا ينصرونهم، ويحولون بينهم وبين الله عز وجل[2]، وتأتي كلمة (أولياء) بمعنى أنصار، قال تعالى ﴿ **ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم أولياء** ﴾[3] . أي يؤاخونهم بالمودة ويستنصرونهم[4] .

وترد كلمة (أولياء) بمعنى الخاصة والبطانة، قال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين** ﴾[5]، أي لا تجعلوا خاصتكم وبطانتكم منهم[6] . وقال تعالى ﴿ **الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزّة فإن العزة لله جميعا** ﴾[7] . أي يتخذون الكافرين أعوانا وأنصارا[8] . يتعززون بهم، ويستنصرون[9] .

وتأتي كلمة (أولياء) بمعنى الاتحاد والتجانس، قال تعالى ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾[10]. أي قلوبهم متحدة، في التواد والتحاب والتعاطف، غير ذلك من الأمور[11].

وتطلق كلمة (أولياء) ويراد بها الأصنام، قال تعالى ﴿ **أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الولي وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء قدير** ﴾[12].

---

(١) سورة هود آية (٢٠) .

(٢) مختصر تفسير الطبري على هامش مصحف الشروق ص ٢٤٦ .

(٣) سورة المائدة آية (٨١) .

(٤) كلمات القرآن / حسنين مخلوف ص ٨٠ .

(٥) سورة النساء آية (١٤٤) .

(٦) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٤٢٤ .

(٧) سورة النساء آية (١٣٩) .

(٨) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٤١٦ .

(٩) تفسير ابن سعد جـ ٢ ص ١٩٧ .

(١٠) سورة التوبة آية (٧١) .

(١١) تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٢٠٢ .

(١٢) سورة الشورى آية (٩) .

يعني أصناما[١] . وقال تعالى ﴿ **ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى** ﴾[٢] . فمعنى (أولياء) أي اصناما[٣] . و(الوِلاَية) تقرأ بالفتح والكسر ، قال تعالى ﴿ **هنالك الوَلاَية لله الحق** ﴾[٤] .

قال ابن السكيت[٥] : الوِلاية بالكسر السلطان والامارة والملك ، والوَلاية بالفتح النصرة ، يُقال هم عليٍّ وَلاية ، أي مجتمعون في النصرة[٦] . ا. هـ .

وقال سيبويه[٧] : الوَلاية بالفتح المصدر ، والوِلاية بالكسر الاسم ،

---

(١) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٤٢٤ وفتح القدير / للشوكاني جـ ٤ ص ٥٢٧ .
(٢) سورة الزمر آية (٣) .
(٣) تفسير القرطبي جـ ١٥ ص ٢٣٢ وفتح القدير للشوكاني جـ ٤ ص ٤٤٩ .
(٤) سورة الكهف آية (٤٤) .
(٥) هو يعقوب بن اسحاق بن السكيت المكنى (بابي يوسف) ولد سنة (١٨٦ هـ) وتوفي (٢٤٤ هـ) أديب ، نحوي ، لغوي ، عالم بالقرآن والشعر ، تعلم ببغداد وصحب الكسائي ، واتصل بالمتوكل العباسي فعهد اليه بتأديب أولاده ، وجعله في عداد ندمائه ثم انقلب عليه فقتله لخمس خلت من رجب سنة (٢٤٤ هـ) ودفن ببغداد . من تصانيفه الكثيرة : اصلاح المنطق ، القلب والإبدال، معاني الشعر، المقصور والممدود ، والمذكر والمؤنث .
انظر معجم المؤلفين جـ ١٣ ص ٩٨٥ .
(٦) لسان العرب / محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٥ .
(٧) هو عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ـ ١٨٠ هـ ـ ٧٩٦ م) يدعى (أبو بشر) أديب ، نحوي ، أخذ النحو والأدب عن الخليل بن احمد ويونس بن حبيب وأبي الخطاب ، والأخفش وعيسى بن عمر ، وورد بغداد ، وناظر الكسائي ، وتعصبوا عليه ، ومن آثاره . كتاب سيبويه في النحو .
انظر معجم المؤلفين جـ ٨ ص ١٠ .
وانظر الموسوعة العربية الميسرة م ٢ ص ١٠٤٥ تأليف محمد شفيق غربال .

مثل الامارة والنقابة ، لأنه اسم لما توليته وقمت به ، فاذا ارادوا المصدر فتحوا واذا أرادوا الاسم كسروا[1] . ا. هـ .

وكان الكسائي[2] يفتحها ويذهب بها الى النصرة[3] . وقال الفراء[4] سمعناها بالفتح وبالكسر في الولاية[5]وفي معنييهما جميعاً، وأنشد هذا البيت:

دَعِيْهم فَهُمْ إِلْبٌ عليَّ وِلَايَةٌ وَحَفْر هُمُوا ان يعلموا ذاك دائبُ[6]

و(الولاية) القرابة والتصرف ، الحاصلة بـالسبب أو النسب ، و(الوِلاء) بالكسر لغة : المتابعة ، والموالاة عند الفقهاء ، متابعة غسل الأعضاء على سبيل التعاقب ، بحيث لا يجف العضو الأول قبل غسل الذي بعده[7] .

وقيل (الوَلاءُ) بالفتح النصرة والمحبة والتنـاصر ، سـواء كان وَلاء عتاقة ، أو وَلاء موالاة[8] .

---

(١) لسان العرب / محمد بن منظور م ٣ ص ٩٨٥ .

(٢) هو علي بن حمزة بن عبدالله الأسدي الكوفي المعروف (بـالكسائي) (أبـو الحسن) مقرىء ، مجود ، لغوي ، نحوي ، شاعر ، نشأ بالكوفة وتنقل في البلدان واستوطن بغداد ، وتعلم على كبر ، وأخذ اللغة من اعراب الحطيمة ، الذين كانوا ينزلون بقطر ، بل وغيرها من قرى بغداد ، وروى الحديث ، وأخذ عن الرؤاسي ، وحمزة الزيات وسمع من خلق كثير ، وقرأ عليه خلق ببغداد وبالرقة وغيرهما من البلدان ، وتوفي برينويه ، احدى قرى السرى ، من تصانيفه : المختصر في النحو ، كتاب القراءات ، معاني القرآن ، مقطوع القرآن وموصوله ، أشعار المعاياة وطرائقها . انظر معجم المؤلفين / جـ ٧ ص ٨٤ .

(٣) لسان العرب / ابن منظور م ٣ ص ٩٨٥ .

(٤) انظر ترجمته ص(١٦) من هذه الرسالة .

(٥) لسان العرب / ابن منظور م ٣ ص ١٩٨٥ .

(٦) لسان العرب / ابن منظور م ٣ ص ٩٨٥ .

(٧) المصدر السابق المكان نفسه .

وانظر جامع العلوم الملقب (بدستور العلماء) . تأليف القاضي عبد رب النبي عبد رب الرسول الأحمد نكري م ٣ ص ٤٦٥ .

(٨) جامع العلوم الملقب (بدستور العلماء) المكان نفسه المتقدم .

ومما تقدم نستنتج أن معنى الموالاة والتولي في أغلب الأحايين هو المحبة ، والمودة ، والمتابعة ، والقرابة ، والنصرة .

وكل هذه المعاني القيمة ، أراد الاسلام تحقيقها في واقع المسلمين وفي حياتهم العملية ، وقد جَسَّد[1] هذا المعنى حديث رسول الله (ﷺ) في أوضح صورة ، وأسمى عبارة ، فقال فيما روي عنه : « ترى المؤمنين في تراحمهم ، وتوادهم ، وتعاطفهم ، كمثل الجسد ، اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى »[2] .

---

(١) جسّد : بمعنى عظم ، انظر القاموس المحيط للفيروز آبادي م ١ ص ٢٨٣ .
(٢) رواه البخاري ، انظر صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٢ (باب كتاب الأدب) .

المبحث الثاني

المفهوم اللغوي للمعاداة

المعاداة : مصدر عادى يعادى معاداةً وعِدَاءً ، والعِدَاءُ مصدر عادَى ، أي خاصمه ، وصار له عَدُوّاً ، والعداوة : اسم بمعنى الخصومة ، والمباعدة . والعَدُو ، والعَدَاوَة ، أخصّ من البغضاء ، لأن كلَّ عَدُوٍّ مبْغَض ، وقد يُبْغَضُ من ليس بعدو[1] .

والعَدَاوةُ : هي الشعور المتمكن في القلب في قصد الاضرار ، وحب الانتقام[2] .

والعِدَى : الأعداءُ الذين نقاتلهم ، والعُدَى ، الأعداء الذين لا نقاتلهم[3] .

---

(١) محيط المحيط : بطرس البستاني م ٢ ص ١٣٥٣ وما يليها .

(٢) جامع العلوم الملقب (بدستور العلماء) عبد رب النبي عبد رب الرسول الأحمد نكري جـ ٢ ص ٣٠٨ (طـ ١) .

(٣) محيط المحيط ـ بطرس البستاني م ٢ ص ١٣٥٣ .

والعدو : ضدُّ الوَلِيِّ ، والجمع ، اعداء ، وجمع الجمع آعادي ، قال سيبويه :[1] عَدُوٌّ ، وصف ، ولكنه ضارع الاسم[2] . ا . هـ .

ويقال : عَدُوٌّ بين العَدَاوَةِ والمعاداة ، وعادى بين الصيد معَادَاة وعِدَاءً ، أي والى وتابع بينهما في طلق واحد[3] .

والعدو : ضد الصديق ، يطلق على الواحد والجمع والذكر والأنثى ، وقد يثنى ويجمع ويؤنث[4] .

و(العِدَى) ـ المتباعدون ، وأيضا الغرباء ، والاجانب ، ومنه قول حبيب[5] بن مسلمة لما عزله عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن حمص قال : (رحم الله عمر ينزع قومه ، ويبعث القوم العِدَى)[6] . ا . هـ.

و(العُدْوَة) بالضم المكان المتباعد ، وقيل حافة الوادي[7] .

قال تعالى ﴿إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى﴾[8] .

---

(١) انظر ترجمته ص ٢٠ من هذه الرسالة .

(٢) الصحاح / اسماعيل بن حماد الجوهري ـ جـ ٦ ص ٢٤١٩ وكذلك المحكم والمحيط الأعظم / ابن سيده جـ ٢ ص ٢٢٦ .

(٣) المدددرين السابقين المكان نفسه .

(٤) القاموس المحيط / للفيروز آبادي جـ ٤ ص ٣٦٠ وكذلك المحكم والمحيط الأعظم. ابن سيده جـ ٢ ص ٢٢٦ .

(٥) هو حبيب بن مسلمة بن مالك بن النضر القرشي يكنى (أبا عبد الرحمن) ولاه عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) اعمال الجزيرة حين عزل عنها عياض بن غنم ثم ضم اليه أرمينية واذربيجان، ثم عزله بعد ذلك ، قيل ان عمره حين وفاة النبي ﷺ اثنتا عشرة سنة وفي عهد معاوية بن ابي سفيان تولى على ارمينية ، فمات بها سنة اثنتين واربعين من الهجرة ، انظرة اسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ١ ص ٣٧٤ .

(٦) المحكم والمحيط الأعظم / ابن سيده جـ ٢ ص ٢٢٦ وتاج العروس للزبيدي جـ ١٠ ص ٢٣٦ ، ص ٢٣٧ .

(٧) المحكم والمحيط الأعظم / ابن سيده جـ ٢ ص ٢٢٦ وتاج العروس للزبيدي جـ ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٨) سورة الأنفال آية ٤٢ .

والعدوان ، الظلم الصراح[1] . وقال الأصمعي[2] : (العدواء) المكان الذي لا يطمئن من قعد عليه[3] . ا . هـ .

والمعاداة بين رجلين ، اذا طعنهما طعنتين متواليتين بسهم واحد ، وأنشد الجوهري[4] لامرىء القيس :

فعادى عِدَاءً بين ثور ونعجةٍ   دراكاً ولم ينضح بماء فيغسل[5]

و(العَادِي ، العدو) قالت امرأة من العرب : أشمت رب العالمين عَادِيك ، أي عدوك[6] .

والعدو ، والعداوة ، والأعداء ، والعدوان ، كلها ورد استعمالها في القرآن الكريم قال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾[7] . وقال تعالى ﴿ **والقينا بينهم العداوة والبغضاء** ﴾[8] ، وقال

---

(١) تاج اللغة / ابو نصر الجوهري جـ ٢ ص ٥١٤ .

(٢) هو عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي بن اصمع الباهلي ، المعروف بالأصمعي (أبو سعيد) . اديب ، لغوي ، نحوي ، اخباري ، محدث ، فقيه ، اصولي ، من اهل البصرة ، ولد سنة (١٢٣ هـ) (ت - ٢١٦ هـ) قدم بغداد ايام هارون الرشيد ، وتوفي بالبصرة . من تصانيفه الكثيرة ، نوادر الأعراب ، الاجناس في اصول الفقه ، المذكر والمؤنث ، كتاب اللغات وكتاب الخراج . انظر معجم المؤلفين جـ ٦ ص ١٨٧ .

(٣) تاج العروس / للزبيدي جـ ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٤) هو اسماعيل بن حماد الجوهري (ت - ٣٩٨ هـ - ١٠٠٨ م) ولد بفاراب بالتركستان ومات بنيسابور ، رحل الى بغداد وعاشر بدو العراق والشام والحجاز ، وأخذ عن خاله الفارابي ، والفارسي ، والسيرافي ، وأجهد نفسه في طلب العلم ، ثم عاد الى خراسان ، وأقام بدامغان فنيسابور ، ولم يزل مقيما بها على التدريس والتأليف حتى توفي بها هو لغوي ، أديب ، ذو خط جيد . من تصانيفه : تاج اللغة وصحاح العربية ، كتاب المقدمة في النحو ، كتاب العروض في الشعر ، وله شعر . انظر معجم المؤلفين / جـ ٢ ص ٢٦٧ وانظر الموسوعة العربية / محمد شفيق غربال م ١ ص ٦٧٣ .

(٥) تاج العروس / للزبيدي جـ ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٦) تاج العروس / للزبيدي جـ ١٠ ص ٢٣٦ - ٢٣٧ .

(٧) سورة الممتحنة آية (١) .

(٨) سورة المائدة آية (٦٤) .

تعالى ﴿ والله أعلم بأعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا من المجرمين ﴾[2] . وقال تعالى ﴿ فإن انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين ﴾[3] ، أي فلا قتال الا على الذين لم ينتهوا من الظلم والشرك ، وليس قتال المشركين ظلم ، وانما بقاؤهم على الشرك هو الظلم ، قال تعالى ﴿ ان الشرك لظلم عظيم ﴾[4] .

والعَدَاوة : اسم عام من العدو ، وتعادى القوم ، أي تباعدوا وعادى بعضهم بعضا من العداوة .

والعادي : المعتدي والمتجاوز حده ، كقوله تعالى ﴿ غير باغ ولا عاد ﴾[5]. أي غير متجاوز سدا لجوعة ، أو غير عاد في المعصية طريق المحسنين ، والمعاداة تأتي بمعنى الموالاة والمتابعة بين الأشياء ، مثل تعادى القوم ، مات بعضهم إثر بعض ، في شهر واحد ، أو في عام واحد . وتعادى القوم عليّ بنصرهم ، أي تتابعوا وتوالوا[6].

فالمعاداة إذاً تأتي في أغلب استعمالاتها ، ويراد بها البغض والكراهية وحب الانتقام ، عكس الموالاة تماما ، التي هي تدل في أغلب استعمالاتها على المحبة والمودة والمتابعة والنصرة والقرابة .

ولذلك فالموالاة والمعاداة بهذا المعنى المتقدم ، ضدان لا يجتمعان ، فوجود أحدهما ينفي الآخر لزوما في حق ذات معينة ، قال الشاعر :

تحب عدوي ، ثم تزعم أنَّني   صديقك ، ان الودَّ عنك لعازب[1] .

---

(١) سورة الفرقان آية (٣١) .
(٢) سورة البقرة آية (١٩٣) .
(٣) سورة لقمان آية (١٣) .
(٤) سورة النحل آية (١١٥) .
(٥) انظر تاج العروس للزبيدي جـ ١٠ ص ٢٣٨ .
(٦) مجموعة التوحيد ص ١١٤ .

المبحث الثالث

المفهوم الشرعي للموالاة والتولي والمعاداة

لقد تحدث جمع من أفاضل العلماء عن المفهوم الشرعي للموالاة والتولي والمعاداة ، بصيغ متعددة تختلف ألفاظها ، وان كان هناك توافق وتطابق في المعاني المقصودة بهذه الصيغ ، وهذه التعاريف فهي كما يلي :

أولا : يعرف الشيخ عبد اللطيف[1] بن عبد الرحمن ، الموالاة والمعاداة فيقول : أصل الموالاة : الحب ، وأصل المعاداة : البغض ، وينشأ عنهما من أعمال القلب والجوارح ما يدخل في حقيقة الموالاة

(١) هو عبداللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ولد سنة (١٢٢٥) هـ في بلدة الدرعية موطن دعوة التوحيد ومهد علمائها . فحفظ القرآن في صغره ثم انتقل الى مصر وبقي فيها مدة (٣١) سنة يتلقى العلم على أفاضل علمائها وفي سنة (١٢٦٤ هـ) رجع الى نجد واستقر في الاحساء لمدة سنتين ينشر دعوة التوحيد فيها ، وبعد ذلك انتقل الى الرياض ، وكان في معية الإمام فيصل بن تركي بن سعود في بعض غزواته . وله جمع من طلاب العلم ، وله ستة مصنفات في التوحيد ومختلف العلوم توفي في الرابع عشر من شهر ذي القعدة سنة (١٢٩٣ هـ). انظر مشاهير علماء نجد / تأليف عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ٧٠ ـ ٩٤ .

والمعاداة ، كالنصرة والأنس ، والمعاونة والجهاد ، والهجرة ونحو ذلك من الأعمال[1] . ا. هـ .

ثانيا : يقول الشيخ عبدالله[2] بن عبد العزيز العنقري ، أن الموالاة هي : الموافقة والمناصرة والمعاونة ، والرضا بأفعال من يواليهم ، وهذه هي الموالاة العامة ، التي اذا صدرت من مسلم لكافر اعتبر صاحبها كافراً، أما مجرد الاجتماع مع الكفار ، بدون اظهار تام للدين ، مع كراهية كفرهم ، فمعصية لا توجب الكفر[3] . ا. هـ .

ثالثا : يقول الدكتور محمد نعيم ياسين : ان الموالاة ، تعني ، التقرب واظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا ، لمن يتخذه الانسان وليا ، فإن كان هذا التقرب واظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا ، مقصودا به الله ورسوله والمؤمنين ، فهي الموالاة الشرعية الواجبة على كل مسلم . وان كان المقصود بالتقرب واظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا ، هم الكفار ، على اختلاف اجناسهم ، فهي موالاة كفر وردة عن الاسلام ، اذا صدرت ممن يدعي الاسلام ، أما الكفار ومن في حكمهم من المرتدين والمنافقين ، فبعضهم أولياء بعض ، فلا يستغرب منهم ذلك[4] . ا. هـ .

---

(١) انظر الدرر السنية م ٢ جـ ٢ ص ١٥٧ .

(٢) هو عبدالله بن عبد العزيز العنقري التميمي النجدي ولد (رحمه الله) في بلدة ثرمداء من قرى اقليم الوشم بنجد سنة (١٢٩٠ هـ) وتوفي والده وهو في الثالثة من عمره ، وفي السابعة من عمره كف بصره ، فقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب ثم تلقى مبادىء العلوم الدينية والعربية في بلدته ، ثم انتقل الى الرياض وتتلمذ على أيد كثير من علمائها ، وفي سنة (١٣٣٦ هـ) عينه الملك عبد العزيز قاضيا لاقليم سدير ، وقد شغل هذا المنصب ستة وثلاثين عاما حتى استقال من منصبه لكبر سنه وله مؤلفات وحواش على بعض الكتب منها حاشية على الروض المربع ،ونونية ابن القيم .توفي في شهر صفر سنة(١٣٧٣ هـ) . انظر مشاهير علماء نجد / عبد الرحمن بن عبداللطيف ص ٢٤٦ ـ ٢٤٧ .

(٣) انظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٣٠٩ .

(٤) انظغ كتاب الايمان ـ اركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ، د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٨ .

رابعا : يعرف مؤلفو المعجم الوسيط ، الموالاة الشرعية بأنها هي : أن يعاهد شخص شخصا آخر على الالتزام نحوه بأمر من الأمور[1] .

ا . هـ .

خامسا : ويعرف صاحب الموسوعة العربية (الولاَية) التي بمعنى الموالاة بأنها سلطة مقررة لشخص تجعله قادرا على القيام بأعمال قانونية تنفذ في حق الغير[2] . ١ - هـ .

سادسا : يقول سيد قطب[3] (رحمه الله) : ان معنى (الولاية) التي ينهى الله الذين آمنوا أن تكون بينهم وبين اليهود والنصارى ، هي ولاية التناصر والتحالف ولا تتعلق بمعنى اتباعههم في دينهم ، فبعيد جدا ان يكون بين المسلمين من يميل الى اتباع اليهود أو النصارى في الدين ، وانما الذي يخشى منه هو ولاء التحالف والتناصر ، الذي كان يلتبس على المسلمين أمره في أول الدعوة الاسلامية ، حتى

(١) المعجم الوسيط جـ ٢ ص ١٠٧٠ .

(٢) انظر الموسوعة العربية الميسرة / محمد شفيق غربال م ٢ ص ١٩٦٢ .

(٣) هو سيد بن الحاج قطب بن ابراهيم ولد (رحمه الله) سنة (١٩٠٦ م) في قرية من قرى محافظة أسيوط ، لأب ميسور الحال ، وكان والده واعيا بمجريات الأمور في بلده ، فبعث به والده الى المدرسة وهو في السادسة من عمره ، فأتم حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة من العمر ، ثم سافر بعد ثلاث سنوات الى القاهرة ليتم تعليمه الثانوي في رعاية خاله ، ثم دخل دار العلوم وتخرج منها وكان محبا للمطالعة منذ صغره ، يقرأ كل ما تصل اليه يده ، والف أول كتاب وهو في الخامسة والعشرين سماه (مهمة الشاعر في الحياة) ثم اتصل بعباس محمود العقاد وبقي متتلمذا على العقاد زمنا طويلا الا أنه كان له نوع من الاستقلال ، وبعد ذلك سافر الى امريكا للدراسات العليا سنة (١٩٤٩ م) ولكنه قطع الدراسة وعاد الى مصر ، عندما رأى بأم عينه مكر الأعداء بالمسلمين وأدخل السجن عام (١٩٥٤ م) وأقام فيه عشر سنوات ثم أفرج عنه مدة أربعة اشهر ، ثم أعيد اليه بعد نشر كتاب (معالم في الطريق) وقد استشهد (رحمه الله) في يوم ٩ / ٨ / ١٩٦٦ م. وله تسعة عشر مؤلفا منها في ظلال القرآن الذي يقع في ثلاثين جزءا .

انظر كتاب ، سيد قطب / محمد توفيق بركات ، وكتاب / سيد قطب تأليف د / مهدي فضل الله .

نهاهم الله عنه ، وأمر بابطاله ، بعدما تبين عدم امكان قيام الولاء والتحالف والتناصر بين المسلمين واليهود في المدينة المنورة .

ان المسلم ليس له ولاء ولا حلف الا مع أخيه المسلم ، ان الاسلام يوجب على المسلم أن يقيم علاقاته بالناس جميعا على أساس الاسلام ، فالولاء والعداء ، لا يكونان في تصور المسلم وفي حركته على السواء الا من خلال ما تقتضيه الشريعة الاسلامية[1] . ا. هـ .

وبناء على ذلك فقد قسم الشيخ حسن البنا[2] (رحمه الله) الناس الى ستة أصناف هم كما يلي :

١ ـ مسلم مجاهد
٢ ـ مسلم قاعد
٣ ـ مسلم آثم
٤ ـ كافر معاهد
٥ ـ كافر محايد
٦ ـ كافر محارب[3] .

(١) في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٦ ص ٧٥٨ ـ ٧٥٩ .

(٢) هو حسن بن احمد بن عبد الرحمن البنا ولد بمدينة المحمودية بمحافظة البحيرة في مصر سنة (١٩٠٦ م) في العام الذي ولد فيه سيد قطب وكان والده من العلماء العاملين فقد اشتغل بالعلوم وله عدة مصنفات في الحديث الشريف أهمها « الفتح الرباني لترتيب مسند الامام احمد بن حنبل » وكان الى جانب ذلك يشتغل بتجليد الكتب وتصليح الساعات لذا لقب بالساعاتي .
دخل حسن مدرسة الرشاد الدينية ، ثم انتقل الى المحمودية ودرس فيها الاعدادية ، وبعدها انتقل الى دار المعلمين بدمنهور سنة (١٩٢٠ م) حيث أتم دراسته فيها وحفظ القرآن الكريم قبل اتمام الرابعة عشر من عمره ، وفي عام (١٩٢٣ م) انتقل الى القاهرة حيث انتسب الى دار العلوم وتخرج منها سنة (١٩٢٧ م) وكان ترتيبه الأول وعين مدرسا بمدينة الاسماعيلية على قناة السويس ، ومنها بدأ طريقه للدعوة الاسلامية وشكل اول نواة لدعوة الاخوان المسلمين ضمت ستة نفر من اخوانه في الله وكان ذلك عام (١٣٤٧ هـ ـ ١٩٢٧ م) وفي عام (١٩٣٢ م) انتقل الى القاهرة وانتقل مركز الدعوة اليها واستمرت الدعوة في مصر وانتقلت الى خارج مصر ، ولكن أعداء الاسلام في مصر وخارج مصر ارادوا القضاء عليها فاغتالوا زعيمها في ليلة ١٤ / ٤ / ١٣٦٨ هـ .
انظر : كتاب حسن البنا ـ انور الجندي وانظر مجموعة رسائل الامام حسن البنا ص ٥ ـ ٧ .

(٣) انظر مجموعة رسائل حسن البنا ص ٢٧٥ .

ومن ثم لا يمكن ان يقوم التناصر بين المسلم والكافر ، اذ أنهما لا يمكن ان يتناصرا في مجال العقيدة ، حيث ليس بينهما أساس مشترك يتناصران عليه[1] .

وعلى ضوء هذه الأقسام ، يتم وزن الاشخاص والهيئات ، ويكون الولاء والعداء ، حسبما حدده الشرع لكل نوع من هؤلاء .

ومما سبق بيانه يتضح لي ، أن الاختلاف في تعريف الموالاة ، هو اختلاف لفظي ، مع تطابق المعاني المقصودة لكل منهم .

والحب والبغض ، أو الولاء والعداء ، صفات فطرية في النفس البشرية ، ولكن يؤاخذ الانسان على متعلقاتهما ، فإن وافق الحب والبغض أمر الله في ذلك اثيب الانسان عليهما ، وان خالف الانسان امر الله في صفة الحب والبغض استحق العقاب على ذلك ، وعلى هذا فإن الحب والبغض تابعان للتكليف الشرعي وداخلان تحت مفهوم الثواب والعقاب[2] . لأن الحب والبغض يتبعهما ذوق وارادة وعمل عند وجود المحبوب أو المبغض، فمن اتبع ذلك بغير ما انزل الله ، فهو ممن اتبع هواه بغير هدى من الله ، بل يقصد به الأمر الى الشرك فيكون ممن اتخذ إلهه هواه[3] .

الفرق بين الموالاة والتولي في المفهوم الشرعي

التولي : هو الدفاع عن الكفار ، واعانتهم بالمال والبدن والرأي . وهذا كفر صريح يخرج من الملة الاسلامية[4] .

أما الموالاة الخاصة ، فهي كبيرة من كبائر الذنوب ، وهي المصانعة

---

(١) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٦ ص ٧٦٧ .
(٢) انظر الموافقات في اصول الشريعة / لأبي اسحاق الشاطبي جـ ٢ ص ١٠٧ ـ ١١٩ .
(٣) انظر الحسبة في الاسلام او وظيفة الحكومة الاسلامية / ابن تيمية ص ٦٧ ـ ٦٨ .
(٤) الدرر السنية م ٥ جـ ٧ ص ٢٠١ .

والمداهنة للكفار ، لغرض دنيوي ، مع عدم إضمار نية الكفر والردة عن الاسلام[1] ، كما حصل من حاطب بن ابي بلتعة (رضي الله عنه) عندما كتب الى قريش يخبرهم بمسير رسول الله (ﷺ) فمثل هذا الفعل يعتبر كبيرة من كبائر الذنوب ، بعد نزول الآيات بذلك قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء** ﴾ . . . الى قوله ﴿ **ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل** ﴾[2] أما حاطب فقد استثني من ذلك لاعتبارات خاصة ، مثل كونه من أهل بدر ، وسبقه الى الاسلام ، وسلامة قصده ، ولذلك فقد عفى الله عنه[3] .

هذا رأي الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف[4] في الفرق بين الموالاة والتولي ويوافقه على ذلك الشيخ سليمان[5] بن سحمان حيث يقول نظما :

---

(١) المصدر السابق المكان نفسه .

(٢) سورة الممتحنة آية (١) .

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٥٢ .

(٤) هو الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب . ولد في مدينة الهفوف بالاحساء سنة (١٢٦٥ هـ) ونشأ بها عند جده لأمه عبدالله بن احمد الوهيبي ، وقرأ القرآن وحفظه عن ظهر قلب ثم استقدمه والده الى الرياض وهو في الرابعة عشرة من عمره ومكث معه يدرس التوحيد والفقه والحديث والتفسير ، ثم توفي والده سنة (١٢٩٣ هـ) فسافر الى الافلاج وأقام بها ثلاث سنين ، درس خلالها على الشيخ حمد بن عتيق ، ثم رجع الى الرياض ، وبعد تغلب محمد بن عبدالله بن رشيد عليها طلب من الشيخ ان يصحبه الى حائل وذلك سنة (١٣٠٨ هـ) وأقام فيها سنة كاملة ، ثم عاد الى الرياض وبقي فيها حتى فتحها الملك عبد العزيز سنة (١٣١٩ هـ) وعمل عشرين عاما مع الملك عبد العزيز في نشر العلم وتعليمه ، وله مجموعة من الرسائل والكتب ، وقد توفي في يوم الجمعة ٢٠ / ٣ / ١٣٣٩ هـ . انظر مشاهير علماء نجد / عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص ١٠١ ـ ١١٢ .

(٥) هو سليمان بن سحمان النجدي الدوسري . عالم ، اديب ، شاعر ، ولد في قرية السقا من اعمال أبها في عسير سنة (١٢٦٦ هـ) وانتقل مع أبيه الى الرياض ، فتلقى العلم على علمائها . وكان والده سحمان من العلماء العاملين فقد اقرأ ابنه القرآن الكريم حتى حفظه وأجاده ، وفي سنة (١٢٨٤ هـ) انتقل من الرياض الى الافلاج ، وقد لازم سليمان الشيخ =

وأصل بلاء القوم حيث تورطوا   هو الجهل في حكم الموالاة عن زلل
فما فرقوا بين التولي وحكمه   وبين الموالاة التي هي في العمل
أخف ومنهـا ما يكفـر فعله   ومنها يكون دون ذلك في الخلل[1]

ويقول الشيخ عبد اللطيف[2] بن عبد الرحمن بن حسن ، إن الموالاة تنقسم الى قسمين :

أولا : موالاة مطلقة عامة ، وهذه كفر صريح ، وهي بهذه الصفة مرادفة لمعنى التولي ، وعلى ذلك تحمل الأدلة الواردة في النهي الشديد عن موالاة الكفار ، وأن من والاهم فقد كفر .

ثانيا : موالاة خاصة : وهي موالاة الكفار لغرض دنيوي مع سلامة الاعتقاد ، وعدم اضمار نية الكفر والردة كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة في إفشاء سر رسول الله (ﷺ) في غزو مكة كما هو مذكور في سبب نزول سورة الممتحنة[3] . ا . هـ .

ومثل كلام الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن في تقسيم الموالاة الى

= حمد بن عتيق سبعة عشر عاما أي حتى توفي حمد سنة (١٣٠١ هـ) ثم انتقل الى الرياض ولازم الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف ، وكان بالاضافة الى طلب العلم يعمل كاتبا للامام عبدالله بن فيصل بن تركي وفي سنة (١٣٠٥ هـ) انتقل مع الامام عبدالله الى حائل وبقي فيها اربع سنوات ينشر العلم ويدعو اليه بالعمل حتى نقم منه عبد العزيز بن متعب بن رشيد ، فانتقل الى الرياض للمرة الثالثة (١٣٠٩ هـ) وبقي فيها حتى فتحها الملك عبد العزيز سنة (١٣١٩ هـ) وقد أصيب بالعمى سنة (١٣٣١) وتوفي بالرياض سنة (١٣٤٩ هـ) وله من المصنفات ستة وعشرون مؤلفا ، وديوان شعر يحتوي على (٨٨٩٠) بيتا من الشعر .

انظر : مشاهير علماء نجد / عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص ٢٠٠ ـ ٢١٢ .

وانظر : معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٤ ص ٢٦٤٢ .

(١) ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان / تأليف سليمان بن سحمان ص ١٤٦ .

(٢) انظر : ترجمته في ص٢٧ من هذه الرسالة .

(٣) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

مطلقة وخاصة . كلام القرطبي[1] ، وابن العربي[2] ، وسليمان بن عبدالله[3] ابن عبد الوهاب والشيخ حمد بن علي بن عتيق[4] .

---

(١) انظر كلامه في تفسيره جـ ١٨ ص ٥٢ ، اما ترجمته ، فهو محمد بن أحمد بن أبي بكر الانصاري الخزرجي الأندلسي ، القرطبي المالكي (أبو عبدالله) مفسر توفي بمنية بني خصيب بمصر في ليلة الاثنين التاسع من شوال سنة (٦٧١ هـ) . من تصانيفه : الجامع لاحكام القرآن في عشرة مجلدات ، والأسنى في شرح اسماء الله الحسنى في مجلدين بالاضافة الى مؤلفات اخرى . انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٨ ص ٢٣٩ ـ ٢٤٠ .

(٢) انظر كلامه في تفسيره احكام القرآن جـ ٤ ص ١٧٧٠ ـ ١٧٧٣ ، أما ترجمته ، فهو محمد ابن عبدالله بن احمد المعروف بابن العربي ، الاشبيلي المالكي . ولد في ليلة الخميس لثمان بقين من شعبان سنة (٤٦٨ هـ) وكان أبوه من فقهاء بلدة أشبيليه ، تلقى العلم على شيوخ بلده ، ثم خرج للحج وعمره سبعة عشر عاما ثم عرج على مصر والشام والتقى بعلمائها ، وواصل في رحلته الى بغداد ، وبعد اربع سنوات في طلب العلم في الشام والعراق ومصر رجع الى الأندلس سنة (٤٩٥ هـ) وقدم الى بلده اشبيلية بعلم كثير ، فعلَّم الطلاب ، وصنف خمسة عشر مؤلفا ، وتولى القضاء ثم تركه وتوفي رحمه الله سنة (٥٤٣ هـ) وهو في الطريق من مراكش الى فاس وحمل الى فاس ودفن بها . انظر مقدمة كتاب أحكام القرآن لابن العربي . جـ ١ ص ٤ ـ ٧ . وانظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ١٠ ص ٢٤٢ ـ ٢٤٣ .

(٣) انظر كلامه في مجموعة التوحيد ص ١٢٦ . اما ترجمته ، فهو سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ولد سنة (١٢٠٠ هـ) في بلدة الدرعية وكانت في اوج قوتها تعج بكثير من العلماء الاعلام ، فنشأ بها وقرأ القرآن حتى حفظه ، وقرأ على عدد من علمائها ، وكان نادرة في العلم والحفظ ، فكان فقيها ومتكلما ، ومفسرا ومحدثا ، من تصانيفه اوثق عرى الايمان ، والتوضيح عن توحيد الخلاق في جواب أهل العراق في مجلد واحد ، وله تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، وله تذكرة اولى الألباب في طريقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وتوفي مجاهدا حيث استولى ابراهيم باشا على بلدة الدرعية سنة (١٢٣٣ هـ) فغدر بالشيخ رغم العهود المبرمة بينه وبين الشيخ وأهل الدرعية ، فأخرج الشيخ الى المقبرة ثم امر جنده ان يطلقوا عليه النار ، وفاضت روحه الى بارئها وليس له عقب . انظر مشاهير علماء نجد / عبد الرحمن بن عبداللطيف ص ٢٩ ـ ٣١ وانظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٤ ص ٢٦٨ .

(٤) انظ كلامه في مجموعة التوحيد ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠ . أما ترجمته فهو الشيخ حمد بن علي ابن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة ، ولد في بلدة الزلفي من بلدان نجد سنة (١٢٢٧ =

وعلى قول هؤلاء جميعا: ان الموالاة المطلقة العامة، مرادفة لمعنى التولي، وهي بهذا الوصف كفر وردة، ومنها ما هو دون ذلك، بمراتب، ولكل ذنب حظه وقسطه من الوعيد والذم، بحسب نية الفاعل وقصده[1].

والموالاة التي تصل بفاعلها الى درجة الكفر، والردة عن الاسلام هي ما يلي:

أولا: ان يوالى المسلم الكفار، وتكون موالاته لهم مع مساكنتهم في ديارهم والخروج معهم في قتالهم ونحو ذلك، فإنه يحكم على صاحب هذه الموالاة بالكفر كما في ظاهر قوله تعالى ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾[2].

ثانيا: اذا كانت موالاة المسلم لهم باتباع نظمهم، وتطبيق قوانينهم الجاهلية التي تبيح ما حرم الله، من ربا وزنا وخمر، ونحو ذلك، تحرم ما أحل الله من نسل او تزاوج أو ارث أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر، فهذه الموالاة للكفار، موجهة للكفر قال تعالى ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[3] وللحديث الصحيح (المرء مع من أحب)[4].

= هـ) وقرأ القرآن ثم حفظه، وبعد ذلك انتقل الى الرياض سنة (١٢٥٣ هـ) في زمن الامام فيصل بن تركي فمكث بها تسع سنوات يقرأ على علمائها مختلف العلوم والمعارف ولاه الامام فيصل قضاء الخرج، ثم الحلوة، ثم قضاء الافلاج، وقصده طلاب العلم من مختلف البلاد، وتخرج على يديه جمع مّن العلماء، وله مؤلفات ورسائل تزيد على سبع مجلدات توفي (رحمه الله) في سنة (١٣٠١ هـ) في بلدة الافلاج. انظر مشاهير علماء نجد / عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص ١٧٩ - ١٨٠.

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٣٦.

(٢) سورة المائدة آية (٥١).

(٣) سورة المائدة آية (٤٤).

(٤) رواه البخاري. انظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٥٥٧.

أما الموالاة التي لا تصل الى درجة الكفر على هذا القول فهي ما يلي :

أولاً : اذا كانت الموالاة لهم في ديار المسلمين ، اذا قدموا اليها ، وذلك مثل الاكرام العام لهم ، بغير نية دعوة الى الاسلام ، ومن غير مودة قلبية لهم ، فمثل هذه الموالاة ، صاحبها عاص لله آثم على مخالفته متعرض للوعيد على هذا العمل الذي لا يقصد به وجه الله(١) عز وجل .

ثانياً : اذا كان الاكرام للكفار والموالاة لهم من اجل دنياهم ، مع اعتقاد القلب ببطلان ما هم فيه من كفر ، وكراهية ذلك منهم ، فهذا آثم عاص يجب عليه من التعزير ، ما يزجره ويزجر أمثاله عن ذلك(٢) .

ويرى الشيخ حمد بن عتيق ، أن كل أنواع الموافقة للكفار موجبة للردة عن الاسلام ما عدا حالة واحدة وهي الاكراه فيقول :

ان موافقة المشركين تنقسم الى ثلاث حالات :

الحالة الأولى : أن يوافقهم في الظاهر والباطن ، فينقاد لهم بظاهره ، ويميل اليهم ويوادهم بباطنه ، فهذا النوع كفر يخرج من الاسلام(٣) .

الحالة الثانية : أن يوافقهم ويميل اليهم بباطنه مع مخالفته لهم في الظاهر ، فهذا أيضا كفر ، ولكن اذا عمل بالاسلام ظاهرا ، عصم ماله ودمه وعومل بحسب ظاهره ، وهذا هو المنافق ، الذي يظهر الاسلام ويبطن مودة الكفار ومناصرتهم(٤) .

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ١٢٦ .

(٢) المصدر السابق المكان نفسه .

(٣) المصدر السابق ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .

(٤) المصدر السابق المكان نفسه .

الحالة الثالثة : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن وهو على وجهين :

١ ـ أن يفعل ذلك وهو في سلطانهم ، وتحت ولايتهم ، مع ضربهم له وحبسه ، وتهديده بالقتل والتعذيب ، مع مباشرة التعذيب فعلا ، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئنا بالايمان ، كما جرى لعمار بن ياسر (رضي الله عنه) حيث أنزل الله تعالى :

﴿ من كفر بالله من بعد ايمانه الا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ﴾[١] .

٢ ـ ان يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن ، وهو ليس في سلطانهم وانما حمله على ذلك ، اما طمع في رياسة ، أو مال أو مشحة بوطن أو عيال ، أو خوف مما يحدث في المال فإنه في هذه الحال يكون مرتدا ، ولا تنفعه كراهيته لهم في الباطن ، وهو ممن قال الله فيهم : **﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾**[٢] . فأخبر سبحانه وتعالى أنه لم يحملهم على الكفر الجهل بالدين أو بغضه ، ولا محبة الباطل وأهله ، وانما هو أن لهم حظا من حظوظ الدنيا ،فآثروه على الدين المنزل من عند الله[٣] .ا.هـ .

وهذا القول موافق لمعنى كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)[٤] . ويرى الشيخ عبد الرحمن بن سعدى[٥] أن التولي مرادف لمعنى

(١) سورة النحل آية (١٠٦) .
(٢) سورة النحل آية (١٠٧) .
(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٩٦ .
(٤) المصدر السابق المكان نفسه .
(٥) هو الشيخ عبد الرحمن بن ناصر آل سعدى ، ولد بمدينة عنيزة بالقصيم سنة (١٣٠٧ هـ)=

الموالاة سواء بسواء ، ولذلك فهو يستعملهما على أنهما لفظان مترادفان فيقول عن التولي عند تفسيره لقول الله تعالى ﴿ **ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾[1] أن الظلم يكون بحسب التولي ، فإن كان توليا تاما ، كان ذلك كفرا مخرجا عن الاسلام ، وتحت ذلك من المراتب ما هو غليظ وما هو دونه[2] . آ . هـ .

وخلاصة الآراء المتقدمة ، حول الموالاة والتولي هي أن هناك قولين في هذا الموضوع :

القول الأول : قول ابن سعدى حيث يجعل الموالاة والتولي بمعنى واحد ، كما سبق ان اشرنا الى ذلك[3] .

القول الثاني : قول من يجعل التولي أخص من الموالاة ، فكل من تولى الكفار عند أصحاب هذا القول فهو كافر مرتد خارج عن الاسلام[4] ، وليس كل موالاة للكفار يكفر صاحبها ، وقد أشرنا فيما سبق الى أنواع الموالاة التي يكفر صاحبها ، وأنواع الموالاة التي لا يكفر فاعلها[5] .

= وتوفيت أمه وله أربع سنين ثم توفي والده وهو في الثانية عشر من عمره ، فاحتضنته زوجة والده وبدأت تشفق عليه اكثر من اولادها فبدأ بدراسة القرآن الكريم وهو في الحادية عشرة من عمره وطلب العلم بعد ذلك على عدد من علماء زمانه ومشايخ بلده، وعندما بلغ من العمر ثلاثاً وعشرين سنة جلس للتدريس فكان يتعلم ويعلم وفي عام (١٣٥٠ هـ) انتهت إليه رئاسة العلم في القصيم يتخرج عن يديه خلق كثير ، وله مؤلفات عديدة تربو على ثلاثين مصنفاً في مختلف جوانب المعرفة ، وقد توفي قبل فجر يوم الخميس ١٣٧٦/٦/٢٢ هـ (رحمه الله) .

انظر مشاهير علماء نجد / عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص ٢٥٦ - ٢٦١ .

(١) سورة الممتحنة آية (٩) .
(٢) انظر تفسير ابن سعدى جـ ٧ ص ٣٥٧ وانظر جـ ٢ ص ٣٠٤ .
(٣) انظر ص٣٧ من هذه الرسالة .
(٤) انظرص٣٣ من هذه الرسالة .
(٥) انظرص٣٦ من هذه الرسالة .

وقلنا إن الموالاة للكفار في ديار الاسلام لأجل دنياهم ، معصية لا توجب الكفر كما هو رأي أكثر العلماء[1] .

وخالف في ذلك الشيخ حمد بن علي بن عتيق ، حيث يرى أن موالاة الكفار لأجل دنياهم ، موجبة للكفر والردة عن الاسلام[2] ، ويُنسب هذا القول أيضا الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله)[3] ، ويوافقهما في ذلك الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب[4] ، والذي أميل اليه أن التولي ، أخص من الموالاة ، حيث أن التولي يفيد معنى الاتخاذ والالتزام الكامل بمن يتولاه ، بخلاف الموالاة التي تدل على المحبة والمتابعة بدرجات متفاوتة ، ولذلك جاء تعبير القرآن الكريم بالنهي عن تولي الكفار قال تعالى : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾[5] وأمر بتولي المؤمنين ، فإن توليهم ، أقوى من مجرد الموالاة الجزئية لهم ، وان كانت الموالاة العامة للمؤمنين او الكفار تلتقي مع التولي على درجة المساواة ، قال تعالى : ﴿ **ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾[6] . وهذا ما قال به جمهور العلماء[7] . ما عدا ابن سعدى ، الذي يرى أن التولي درجات متفاوتة ، منه ما هو كفر ، ومنه ما هو دون ذلك ، دون أن يذكر مستندا لغويا او شرعيا لما ذهب اليه . مما يجعل القول ، بأن التولي والموالاة بينهما عموم وخصوص ، هو القول الراجح كما اوضحنا سلفا[8] .

---

(١) انظر ص ٣٣ من هذه الرسالة .
(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٩٥ - ٢٩٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٩٦ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٤٢ .
(٥) سورة المائدة آية (٥١) .
(٦) سورة المائدة آية (٥٦) .
(٧) انظر ص ٣٣ من هذه الرسالة .
(٨) انظر ص ٣٤ من هذه الرسالة .

وأما الخلاف حول حكم موالاة الكفار لمصلحة دنيوية ، هل يكون ذلك موجبا للكفر والردة ، أم هو كبيرة من كبائر الذنوب .

فأقول : الذي يظهر لي ، أن من حكم بردة وكفر من والى الكفار لمصلحة دنيوية ، انما قصد بذلك الذين يستبيحون لأنفسهم موالاة الكفار المحرمة ، من أجل حظوظهم الدنيوية ، فينكرون خطأهم ويدافعون عن باطلهم ، فهؤلاء حكمهم الردة والكفر ، كما هو الشأن في حال كل من استحل ما حرم الله .

اما الذين يرون أن موالاة الكفار لمصلحة دنيوية كبيرة من كبائر الذنوب ، فهؤلاء اعتبروا أن الموالي للكفار عالم بمعصيته خائف من ذنبه ، شأنه في ذلك شأن كثير من العصاة الذين يقترفون بعض الذنوب دون استحلال لها .

ومما تقدم نجد أن الذين تكلموا في الموالاة من العلماء الذين سبقت الاشارة اليهم ، قد عدوا أعلى درجات الموالاة للكفار ردة وكفرا ، وأقلها يكون ذنبا ومعصية واثما ، ولم يذكروا أن هناك أي نوع من أنواع الموالاة تصح مع الكفار .

الا أن بعض العلماء المعاصرين[1] ، قسموا الموالاة للكفار الى قسمين :

القسم الأول : أن تكون الموالاة بمعنى المسامحة والمسالمة والمعاشرة الجميلة في الدنيا ، والمعاملة بالحسنى وتبادل المصالح بحسب الظاهر ، مع عدم الرضا عن حالهم وكفرهم فهذا أمر غير منهي عنه ، وقد

(١) انظر تفسير آيات الاحكام / تأليف محمد علي السايس جـ ٢ ص ٦ . وانظر مقرر الفقه للصف الثاني ثانوي بالمملكة العربية السعودية تأليف الشيخ خليل مناع القطان ص ٨٤ (طـ ٢) عام (١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م) .

استدلوا على ذلك بقوله تعالى ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم ان تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين** ﴾[1] .

القسم الثاني : أن تكون الموالاة بمعنى المحالفة والمناصرة ضد المسلمين ، والرضا عن الكفار ، وبما هم فيه من كفر ، فإن الرضا بالكفر كفر ، فلا يبقى مؤمنا مع كونه بهذه الصفة ، لأن في مناصرة الكافرين على المسلمين ، ضررا بالغا بالكيان الاسلامي ، وإضعافا لقوة الجماعة المؤمنة ، وهذا النوع من الموالاة قد نهى الله عنه بقوله تعالى ﴿ **لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء** ﴾[2] .

فحذر الله المؤمنين من الموالاة والمناصرة للأعداء ، وأن التعاون مع أعداء الاسلام ، بما فيه ضرر على الاسلام والمسلمين خيانة لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم[3] . آ. هـ.

والذي أفهمه من كلام الشيخين ، مناع خليل القطان ، ومحمد علي السايس أن هناك نوعاً من أنواع الموالاة يجوز فعلها مع الكفار .

والصواب أن الموالاة للكفار في الظاهر والباطن لا تجوز بأي حال من الأحوال ، ولكن الذي قصده الشيخان ، هو البر والصلة فعبرا بالموالاة عن البر والصلة التي أباحها الله مع المسالمين من الكفار في قوله تعالى ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم إن الله يحب المقسطين**)[4] .

---

(١) سورة الممتحنة آية (٨) .

(٢) سورة آل عمران آية (٢٨) .

(٣) انظر تفسير آيات الأحكام / محمد علي السايس جـ ٢ ص ٦ وانظر مقرر الفقه للصف الثاني الثانوي بالمملكة العربية السعودية /تأليف مناع خليل القطان(ط-٢) (١٣٩٧هـ) .

(٤) سورة الممتحنة آية (٨) .

وإلا فإن نصوص الكتاب والسنة ، لم تذكر إباحة تولي الكفار او موالاتهم على أي وجه من الوجوه سوى حالة واحدة وهي حالة الإكراه الملجىء قال تعالى : **﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير ﴾**[1] . فيجوز في حالة الضعف والخوف من أذاهم الموالاة لهم ظاهراً ، ريثما يعد المسلمون العدة لمواجهة الكفار والتحرر من سيطرتهم ، وقد عدَّ العلماء ، أقل نوع من أنواع الموالاة ـ بدون اكراه ـ اثماً ومعصية .

يقول سفيان الثوري[2] (رحمه الله) : (من لات للكفار دواة أو برا لهم قلما أو ناولهم قرطاسا فقد دخل في الموالاة المنهي عنها ما لم يكن ذلك لغرض دعوة الى الله)[3] . آ. هـ.

فالموالاة عند علماء الاصطلاح شيء ، والبر شيء آخر ، فالبر يعني الصلة في الخير والاتساع في الاحسان ، وقد أباح الله ذلك لطائفة من الكفار ضمن شروط معينة سنذكرها فيما بعد بإذن الله تعالى ، فلفظ الموالاة ليس مرادفا للبر في الآية المتقدمة[4] ، ولا في مدلول اللغة[5] .

فدعوة الاسلام الى السماحة في معاملة بعض الكفار والبر بهم لا يعني الموالاة لهم ، فبسماحة الإسلام يتعامل المسلم مع الناس جميعاً ،

---

(١) سورة آل عمران، آية (٢٨).

(٢) هو سفيان بن مسروق الثوري الكوفي (ابو عبدالله) ولد سنة (٩٧ هـ) وأصبح محدثاً وفقيهاً ، توفي بالبصرة سنة (١٦١ هـ) له من الكتب : الجامع الكبير ، الجامع الصغير ، الفرائض ، ورسالة الى عباد بن عباد الأرسوفي .

انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٤ ص ٢٣٤ .

(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ١١٦ .

(٤) انظر ص ٤١ من هذه الرسالة .

(٥) انظر القاموس المحيط جـ ١ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

على أساس العدل والاحترام المتبادل ، بدون محبة القلب للكفار ، أو مودة ما هم فيه من كفر ، وانما التعامل بالمثل فيما ليس له مساس في جانب العقيدة ، كالبيع والشراء ، وتبادل المنافع التي لا تستلزم حباً او بغضاً في بعض الأحوال ، فها هم قد سلبوا ثروات البلاد الإسلامية واستعبدوا شعوبها ومع ذلك لا زالوا يضمرون الحقد والكراهية للمسلمين فواجب المسلمين أن يتعاملوا مع الكفار بإنصاف وعدل ، فلا يوالوهم على حساب الإسلام ، ولا يتعاملوا معهم بحقد وضغينة كما يتعامل معنا اولئك الكفرة الانذال .

فبسماحة الإسلام ، يتعامل المسلم مع الناس جميعاً وبمحبة الخير الشامل يلقى الناس على ذلك .

فعدم موالاة الكفار ، لا تمنع من مصاحبتهم بالمعروف ، فقد قال تعالى **﴿ وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً ﴾**(١) . فهذه الآية دليل على ان الاسلام لا يمنع من مصاحبة الوالدين بالمعروف ، مع اختلاف العقيدة ، وهذه المصاحبة ليست هي الموالاة المنهي عنها ، لأن الموالاة هي محبة القلب ، وارادة النصرة والمساعدة للمحبوب ، اذا كان محتاجا الى ذلك ، وهي غير حاصلة في المصاحبة بالمعروف ، لأن المصاحبة بالمعروف لا ترقى إلى درجة الموالاة ، فلو وقف القريب الكافر في الصف المعادي للجماعة المسلمة ، وأعلن الحرب عليها فعندئذ لا صلة ولا مصاحبة ، ويتضح ذلك من قصة عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول .

فقد روى ابن جرير الطبري بسنده ، عن ابن زياد قال : «دعا رسول الله (ﷺ) عبدالله بن عبدالله بن أبي ، فقال : ألا ترى ما يقول أبوك ؟ قال ما يقول أبي ؟ ـ بأبي أنت وأمي يا رسول الله ـ قال : يقول : (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل) . فقال : فقد صدق والله يا رسول

---

(١) سورة لقمان آية (١٥) .

الله ، أنت الأعز وهو الأذل . أما والله لقد قدمت المدينة يا رسول الله ، وإن أهل يثرب ليعلمون ما بها أحد أبر بوالده مني . ولئن كان يرضي الله ورسوله ، أن آتيهما برأسه لأتينهما به . فقال رسول الله (ﷺ) : (لا) . . . فلما قدموا المدينة قام عبدالله بن عبدالله بن أبي ، على بابها بالسيف لأبيه ، وقال : أنت القائل : (لئن رجعنا الى المدينة ليخرجنّ الأعز منها الأذل) ؟ أما والله لتعرفنّ العزة لك او لرسول الله (ﷺ) ؟ الله لا يأويك ظلها ولا تأويه أبدا الا بإذن من الله ورسوله (ﷺ) فقال : يا للخزرج ! ابني يمنعني بيتي ! يا للخزرج ! ابني يمنعني بيتي ! فقال والله لا يأويه أبداً إلا بإذن منه . فاجتمع اليه رجال فكلموه فقال : والله لا يدخلن إلا بإذن من الله ورسوله (ﷺ) فأتوا النبي (ﷺ) فأخبروه فقال : (اذهبوا اليه فقولوا له : خله ومسكنه) فأتوه فقال : أما اذا جاء أمر النبي (ﷺ) فنعم»[1] . آ . هـ .

فإذا انعقدت آصرة العقيدة فالمؤمنون كلهم اخوة ، ولو لم يجمعهم نسب ولا صهر ، قال تعالى ﴿ إنما المؤمنون اخوة ﴾[2] . وإذا اختلفت العقيدة ووقف المختلفان موقف المتحاربين فلا صلة ولا ارتباط ، ولو كانوا أبا وإبنا ، فالذين لم يقاتلوا المسلمين في دينهم ، ولم يخرجوهم من ديارهم ، ولم يسعوا في إفساد عقيدتهم ، ولم يظاهروا عليهم عدوهم ، فإن صلتهم والحالة هذه ، لا محذور فيها ولا تبعة[3] .

أما اذا وصل الأمر ، إلى درجة المحبة القلبية لهم ، ولما هو من خصائص كفرهم ، فهذا هو التولي ، والموالاة المحرمة . وليس لقائل أن يقول بعد هذا كله ، إن معنى الموالاة غير محدود ، اذ يدخل فيه أمور

(١) انظر هذه القصة مع اختلاف في بعض الروايات في تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٦٣ ـ ٦٦ . وانظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ١٥٦ ـ ١٥٩ وانظر تهذيب سيرة ابن هشام / عبد السلام هارون ص ٢٣٨ ـ ٢٤ .

(٢) سورة الحجرات آية (١٠) .

(٣) انظر تفسير ابن سعدى جـ ٧ ص ٣٥٦ ـ ٣٥٧ .

كثيرة ، قاصداً بذلك أننا لا نستطيع أن نتخذه معياراً ، في معرفة من يكفر ومن لا يكفر ، ومن هو دون الكفر بمراتب متعددة ، فهذا الزعم لا يصح . لأن الله سبحانه وتعالى ، لا ينهي عن شيء غير محدد ، وغير معروف ولا يحكم بردة من دخل في أمر غير واضح وغير متميز ، وإلا لكان أمره ونهيه في هذا الموضوع عبثاً لا يمكن تطبيقه ! ومثل هذا القول ، لا يقوله مؤمن بالله وصفاته ، ومصدق برسالته لرسوله (ﷺ) ففي كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) تبيانا واضحا ونبراسا مضيئا لمن قصد الحق وحرص على تطبيقه قال تعالى ﴿ **ما فرطنا في الكتاب من شيء** ﴾[1] .

أما من عمي أو تعامى عن نور الإسلام ، وتميع في صلاته مع الكفار فما علينا من تخرصاته وأوهامه ، اذا قامت عليه حجة البلاغ فإن تبلغ الحجة شيء ، وفهمها شيء آخر[2] .

ان المسلم الحقيقي هو الذي يتحلى بالمفاصلة الكاملة ، بينه وبين من ينهج غير منهج الاسلام ، ان المفاصلة واجبة بين كل مسلم وبين كل من يرفع راية غير راية الإسلام ، إن المسلم مأمور بأن لا يخلط بين منهج الله وبين أي منهج آخر وضعي لا في تصوره الاعتقادي ، ولا في نظامه الاجتماعي ، ولا في كل شأن من شؤون حياته .

ان الفوارق بين الاسلام والكفر ، لا يمكن الالتقاء عليها بالمصالحة أو المصانعة ، أو المداهنة .

ان الذين يحاولون تمييع هذه المفاصلة الحاسمة ، باسم التسامح أو التقريب بين الأديان ، أو التعايش السلمي ، يخطئون في فهمهم للدين

---

(١) سورة الانعام آية (٣٨) .

(٢) انظر كتاب الايمان / أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ، د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٧ وانظر الدرر السنية جـ ٨ ص ٢١٣ وانظر التشريع الجنائي الاسلامي / عبد القادر عودة جـ ١ ص ٤٣٠ ـ ٤٣١ .

الاسلامي ، وفهمهم لمعنى التسامح الذي يقره الاسلام ، وفهمهم للتعايش السلمي الذي يتفق مع منهج القرآن الكريم .

إن التسامح الذي اقره الاسلام ضمن حدود معينة مع غير المسلمين ينبغي ان لا يكون على حساب إضعاف تميز المسلم في تصوره الاعتقادي ، ونظامه الاجتماعي[1] .

إن هناك قسماً من المنحرفين عن الإسلام ، يظنون أن مرونة الإسلام في معاملة المخالفين له ، تعني احترام أباطيلهم ومشاركة الكفار في كفرهم ، والرضا بما هو من خصائص كفرهم وما علموا او تجاهلوا أن مرونة الاسلام مع مخالفيه ، انما كان يقصد بها عدم جرح مشاعر الكفار فيما يعتقدونه من باطل لغرض تأليفهم إلى الإسلام او رعاية لحق العهد علينا نحوهم . والفرق واضح بين المشاركة في الباطل والرضا به ، وبين ترك الباطل وأهله[2] .

✓ ان الغرض من معاداة الكفار من قبل المسلم هو أن تبقى شخصية المسلم واضحة قوية متميزة بارزة المعالم ، ترى دلائل الإسلام ظاهرة فيها وفي كل حركة من حركاتها[3] .

ولكن بعض الخارجين على الاسلام ، يحاولون عن جهل ، أو سوء نية تمييع اليقين الجازم في نفس كل مسلم ، بأن الإسلام والكفر ضدان لا يلتقيان[4] .

وأفعال الإنسان في هذه الحياة ، لا بد أن تكون مسبوقة بعاطفة الحب أو البغض ، وتلك هي حقيقة الموالاة والمعاداة .

---

(١) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب م ٢ جـ ٦ ص ٧٥٨ ـ ٧٦٧ .
(٢) انظر كتاب ليس من الإسلام / محمد الغزالي ص ٣٠١ .
(٣) انظر المصدر السابق المكان نفسه .
(٤) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٦ ص ٧٥٨ ـ ٧٦٧ .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية[1] (رحمه الله) : إن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن رغبة ومحبة ، ولكنها قد تكون محبة محمودة أو محبة مذمومة ، والمرجع في ذلك كله الى عرف الشرع)[2] . وقد جمع الله بين نوعي المحبتين في قوله تعالى ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب أن القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب** ﴾[3] . آ. هـ.

ومما تقدم يتقرر لديَّ أن الموالاة هي المحبة ، قولاً وفعلاً واعتقاداً وأن محبة الله واجبة ، وهي لا تتحقق إلا بحب ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال والاشخاص ، حيث إن من الأمور البديهية أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ، كما هو مقرر عند علماء الأصول ، ومحبة غير الله تنقسم الى قسمين :

أولاً : محبة في الله : وهي أن يحب المسلم كل ما يحبه الله ويرضاه من

---

(١) هو شيخ الاسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي (تقي الدين ، أبو العباس) محدث ، حافظ ، مفسر ، فقيه ، مجتهد ، مشارك في جميع أنواع العلوم . ولد في (١٠) ربيع الأول سنة (٦٦١ هـ) بحران وقدم مع والده وأهله الى دمشق وهو صغير، حدث بدمشق ومصر، وحبس بقلعة القاهرة ، والاسكندرية ، وبقلعة دمشق مرتين ، وتوفي بها في ٧٢٨/١١/٢٠ هـ وله مصنفات كثيرة : منها : مجموعة الفتاوى في خمسة وثلاثين جزءا، ومنهاج السنة النبوية في أربعة أجزاء ، وبيان الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح في أربعة اجزاء ، والسياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ، وقد ذكر له ابن قيم الجوزية أكثر من مئتي مؤلف في رسالة سماها (أسماء مؤلفات ابن تيمية) تحقيق صلاح الدين المنجد دمشق (١٩٥٣ م) .

انظر ـ الاعلام العلية في مناقب شيخ الاسلام ابن تيمية / تأليف عمر بن علي البزاز المتوفى سنة ٧٤٩ هـ) تحقيق /د/ صلاح الدين المنجد . وانظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة جـ ١ ص ٢٦١ .

(٢) انظر التحفة العراقية للأعمال القلبية / ابن تيمية ص ٣٥ .

(٣) سورة البقرة آية (٧٦٥) .

الأقوال والأفعال والأشخاص ، وهذه المحبة من الموالاة المأمور بها شرعاً ، وهي منبعثة من محبة الله ، متممة لها غير متنافية معها .

ثانياً : المحبة مع الله : وهي أن يتعلق قلب الإنسان بمحبوب يحبه مع الله ، أو من دون الله فيغفل عن محبة الله أو يتوجه إلى غير الله بالرغبة والرهبة، فتكون هذه المحبة مغنية وصارفة له عن محبة الله ومحبة ما يحبه الله، فتكون منافية لمحبة الله، متعارضة معها، وتلك حقيقة موالاة أعداء الله.

واذا ! فالمحبة في الله محمودة ، متعدية الى كل داع الى الله ومهتد بهداه .

أما المحبة مع الله ، فهي محبة مذمومة ، حاملة لصاحبها على محبة الشرك وما فيه من مساوىء وأضرار[1] .

والمحبة الضارة ثلاثة أنواع :

النوع الأول : المحبة مع الله ، وهي أصل الشرك ، وأصل المحاب المذمومة ، ومثالها مثل محبة كفار قريش لأصنامهم فيما سلف ، ومحبة بعض المنتسبين الى الاسلام للأحزاب الكافرة والقيادات المنحرفة في العصر الحاضر كالحزب الشيوعي أو الاشتراكي أو البعثي أو نحو ذلك .

النوع الثاني : محبة ما يبغضه الله من كفر وفسوق وعصيان .

النوع الثالث : محبة ما تقطع محبته عن محبة الله ، أو تنقص ذلك ، مثل محبة الأهل والمال والولد ، اذا كانت على حساب محبة الله ، أو صارفة للمسلم عن محبة الله[2] .

---

(١) انظر رسالة الشرك ومظاهره ـ تأليف مبارك بن محمد الميلي ص ١٧٩ .

(٢) انظر الجواب الفائض في الرد على الرائض ـ تأليف سليمان بن سحمان مخطوطة ـ في قسم المخطوطات بجامعة الرياض الورقة (٣٨) الرقم (٣٤١٣) .

والتعريف الذي أرجحه في تحديد مفهوم التولي والموالاة والمعاداة ما يلي :

- **التولي** : هو بذل المُحِب لما يُرْضِي المَحْبُوبَ بذلاً تاماً .

- **الموالاة** : هي إظهار الود بالأقوال والأفعال والنوايا ، إظهاراً ناقصاً وهذا هو تعريف الدكتور / محمد نعيم ياسين ، إلا أني رأيت تذييل التعريف بكلمة (إظهاراً ناقصاً) حتى نخرج التولي عن مفهوم الموالاة .

- **أما المعاداة** : فهي شعور ينبعث من داخل النفس ، لقصد الإضرار وحب الانتقام بالقول والفعل والاعتقاد ، لمن يعتقده الانسان عدواً له .

وبين الموالاة والمعاداة دلالة في مفهوم المخالفة ، وهو أن يدل اللفظ على مخالفة حكم المسكوت عنه للمنطوق به ، ويسمى دليل الخطاب[١] .

ومعنى ذلك أن الدليل اذا دل بظاهره على وجوب الموالاة ، دل بمفهوم المخالفة على النهي عن المعاداة ، واذا دل الدليل بظاهره على وجوب المعاداة ، دل بمفهوم المخالفة على النهي عن الموالاة ، وكذلك العكس ، فإذا نهى الله عن المعاداة بالنص الظاهر دل المفهوم على وجوب الموالاة واذا نهى الله تعالى بالنص الظاهر عن الموالاة دل المفهوم على وجوب المعاداة .

أي بمعنى أن الأمر بالشيء نهي عن ضده من طريق اللزوم العقلي فإن الآمر إنما قصد بالأمر فعل المأمور به ، فإذا كان من لوازمه ترك الضد صار تركه مقصوداً لغيره ، من جهة اللزوم لا من جهة القصد والطلب[٢] .

وحول هذا المعنى يقول شيخ الإسلام إبن تيمية (رحمه الله) « إن كمال الإخلاص ويقينه ، موجب أن يكون الله أحبَّ الى المرء من كل شيء

---

(١) انظر أصول الفقه / تأليف / محمد الخضري بك ص ١٢٢ .
(٢) الفوائد / لابن القيم ص ١٢٤ .

سواه ، وأخوف عنده من كل شيء عداه ، فلا يبقى يومئذ ارادة لما حرم الله ، ولا كراهة لما أمر الله».

إن أصل الدين وكماله ، أن يكون الحب في الله ، والبغض في الله ، والموالاة في الله ، والمعاداة في الله ، والعبادة لله ، والاستعانة بالله ، والخوف من الله ، والرجاء لله ، والإعطاء لله ، والمنع لله ، وهذا إنما يكون بمتابعة رسول الله (ﷺ) الذي أمره لله ، ونهيه لله ، وصاحب الهوى يعميه الهوى ويضله عن سبيل الله ، فلا يستحضر ما لله ، وما لرسوله (ﷺ) في ذلك ولا يطلبه[1] . آ . هـ.

فالذي لا يرضى لرضا الله ورسوله ، ولا يغضب لغضبهما ، وإنما يرضي لشهواته وهواه ، ويغضب لذلك ، فهو ممن قال الله فيهم ﴿ ان **يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدي** ﴾[2] .

فالمسلم المؤمن المخلص في عقيدته هو من أخلص توحيده لله ، وعادى المشركين في الله ، وتقرب بمقتهم وبغضهم ، إلى الله ، وكيف لا يكون ذلك وهم أعداء الله ، قال تعالى ﴿ **من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فإن الله عدو للكافرين** ﴾[3] . وعدو الله عدو للمؤمنين بطبيعة الحال . قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق** ﴾ . . . الى قوله تعالى ﴿ **ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل** ﴾[4] .

---

(١) انظر : الدرر السنية جـ ٧ ص ١٠٩ .
(٢) سورة النجم آية (٢٣) .
(٣) سورة البقرة آية (٩٨) .
(٤) سورة الممتحنة آية (١) .

المبحث الرابع

بيان ارتباط عنوان الرسالة بالمعنى الاصطلاحي للشريعة الإسلامية

قد يعترض البعض على عنوان الرسالة بأن الشريعة موضوع فقهي ، والموالاة والمعاداة في الله من موضوعات العقيدة ! فلماذا لم يجعل عنوان الرسالة بهذه الصفة ؟ « الموالاة والمعاداة في العقيدة الإسلامية » .

وللإجابة عن ذلك نقول بأن العقيدة جزء من الشريعة . فالشريعة الاسلامية متناولة للأمور الاعتقادية ، وأمور العبادة ، وأمور المعاملة[1] .

وليست الشريعة الإسلامية ، مرادفة لمعنى القانون الوضعي العام ، الذي يراد به عند إطلاقة ، أمر معاملة الأفراد بعضهم لبعض[2] .

فقد عرف الطبري الشريعة بأنها هي « الفرائض والحدود والأمر والنهي »[3] ا. هـ .

(١) انظر المشروعية الإسلامية العليا د / علي محمد جريشة ص ١٩ .

(٢) المصدر السابق المكان نفسه .

(٣) نفير الطبري جـ ٥ ص ٨٨ (جـ ١ م ١١ دار المعرفة بيروت)

وعرفها بعض المتأخرين بأنها « أحكام الله المتعلقة بأفعال الإنسان »[1] وهذا التعريف فيه قصور حيث خرج منه أمور الاعتقاد التي هي مرتكز الشريعة الإسلامية .

ولذلك لا تعد الشريعة (قانوناً) بالمعنى الحديث لهذه الكلمة ولا هي كذلك من حيث مادتها ، ذلك أنها - وهي الرسالة التي لا يتطرق إليها الباطل - تشمل جملة حياة الإنسان ، من عقيدة وعبادة وسياسة ، واجتماع ، وأخلاق ، على أوسع نطاق وبدون تقييد ، كما تشمل حياة أهل الأديان الأخرى ، الذين يسمح لهم بالحياة بين المسلمين ما دام نشاطهم بريئاً من العداوة للإسلام والمسلمين[2] .

ولذلك فالمعنى الاصطلاحي للشريعة الإسلامية . أنها شاملة لجميع ما شرعه الله لعباده من العقائد ، وأحكام العبادات والمعاملات[3] .

قال تعالى : **﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾**[4] .

وقال تعالى : **﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك . . . . الآية ﴾**[5] .

وقال تعالى : **﴿ أم لهم شُرَكَـٰؤا شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ﴾**[6] . وقال تعالى **﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ﴾**[6] .

---

(١) انظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ١٣ ص ٢٤٢ - ٢٤٣ .
(٢) المصدر السابق جـ ١٣ ص ٢٤٥ .
(٣) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٨٢ .
(٤) سورة الجاثية آية (١٨) .
(٥) سورة الشورى آية (١٣) .
(٦) سورة الشورى آية (٢١) .
(٧) سورة المائدة آية (٤٨) .

وبناء على ذلك فإن موضوع الرسالة مرتبط مع الشريعة الإسلامية ارتباطاً كاملاً ، حيث إن (الموالاة والمعاداة) هما إظهار الحب والبغض بالأقوال والأفعال والنوايا [1] . ولهذا رأينا أن هذا العنوان جامع لموضوعنا هذا ، وأنه يحقق الغرض - للوهلة الأولى - في موضوع الرسالة لخالي الذهن عن محتواها ، وأنه أشمل وأكمل من غيره ، والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق .

---

(١) انظر الإيمان / أركانه - حقيقته - نواقضه . د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٨ .

الباب الأول

مشروعية الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية

وفي هذا الباب تمهيد وفصلان:

١ـ التمهيد: لمحة تاريخية عن الموالاة والمعاداة.

٢ـ الفصل الأول: منزلة الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية.

٣ـ الفصل الثاني: التطبيق العملي للموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية.

التمهيد

لمحة تاريخية عن الموالاة والمعادة

إن مما فطرت عليه النفس البشرية ، منذ أن خلقها الله عز وجل صفة الحب والبغض - أي الموالاة والمعاداة - قال تعالى : ﴿ **فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق ذلك الدين القيم** ﴾[1] ، فإن استقامت النفس البشرية على منهج الله ، أعطت ولاءها لله ورسوله ثم للمؤمنين بهذا الدين ، وإن انحرفت عن منهج الفطرة ، وانتكست في مفاهيمها وتصوراتها ، وران عليها ما اكتسبت من سيئات وذنوب ، وتبلد إحساسها ، أعطت ولاءها لمخلوقات هزيلة ، ومفاهيم عفنة ، وأعراف ظالمة ، فلو نظرنا الى تاريخ الأمم مع الرسل والأنبياء والصالحين ، قبل الرسالة المحمدية ، لتبدت لنا تلك الحقيقة ناصعة ظاهرة لا لبس فيها ولا غموض .

فهذا ابراهيم عليه السلام ، يعلن بكل قوة وصراحة وحزم ، عداوته للكفر وأهله ، واعتزالهم وما يعبدون ، وانحيازه إلى الله عز وجل وموالاته

---

(١) الروم آية (٣٠) .

له ، وذلك فيما حكاه عنه القرآن الكريم في قول الله تعالى : ﴿ **يأبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا ، يأبت إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا ، قال أراغب أنت عن آلهتي يا ابراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليا ، قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيا، وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا، فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا** ﴾[1] . وفيما ذكر الله عنه أيضا في قوله تعالى : ﴿ **قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم إنا بُرَءٰؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾[2] وفي قصة أصحاب الكهف موقف يماثل موقف ابراهيم عليه السلام في عداوة الكفر وأهله ومفاصلة الكفار مفاصلة تامة ، فقد ذكر الله تعالى حكاية بعضهم لبعض قال تعالى : ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا الى الكهف يَنْشُرُ لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا** ﴾[3] . إن في تلك الآيات تنويهاً ، بأثر الايمان بالله في النفوس مما جعلها تعادي اعداءه ، وتمنحه ودها وولائها ، فتختار الهجرة فراراً بدينها ، من بطش الحكام الظالمين ، وتجعل العداوة لهم في الله سبباً في عدم الرضوخ لمشيئتهم ، وجبروتهم .

وفي قصة مؤمن آل فرعون ، الذي كتم ايمانه بالحق في قلبه ، لفترة من الزمن ، نجده عند ساعة الخطر والشدة ، يبوح بمكنون سره ، ويندفع يدافع عن موسى (عليه السلام) بمنطق الفطرة المؤمنة ، في حذر ومهارة ، وقوة وذكاء ، قال تعالى : ﴿ **وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه** ،

(١) سورة مريم آية (٤٤ - ٤٩) .

(٢) سورة الممتحنة آية (٤).

(٣) سورة الكهف آية (١٦) .

أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ، وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ، إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾[1] وهكذا استمر الصراع بين الحق والباطل واستمر الولاء والعداء ، تتقاذفه الأعراف ، وتكيفه المفاهيم ، حتى نصل الى العرب قبل الإسلام ، فنجد أنهم لا يختلفون عن أي.مجتمع جاهلي ، سبقهم أو لحقهم ، في سوء التصور ، وفساد الاعتقاد بالموالاة والمعاداة حتى وصل بهم الأمر الى أن يعادي الإنسان منهم ابنته ، فلذة كبده ، فيقتلها موالاة للعرف الجاهلي ، ولكسب رضا العشيرة والقبيلة ، وخوفاً من شماتتها وعدائها ، فقد روي أن رجلاً من أصحاب النبي (ﷺ) كان لا يزال مغتماً بين يدي رسول الله (ﷺ) فقال له رسول الله (ﷺ) : (مالك تكون محزوناً) فقال : يا رسول الله ، إني أذنبت ذنباً في الجاهلية فأخاف ألا يغفره الله (لي) وإن أسلمت ، فقال له رسول الله (ﷺ) : (اخبرني عن ذنبك) فقال : يا رسول الله إني كنت من الذين يقتلون بناتهم ، فولدت لي بنتاً فتشفعت اليّ أمها أن أتركها حتى كبرت وأدركت ، وصارت من أجمل النساء ، فخطبها الناس ، فدخلتني الغيرة والحمية ولم يحتمل قلبي أن أزوجها ، أو أتركها في البيت بغير زوج فقلت لامرأتي أني أريد أن أذهب الى قبيلة كذا وكذا في زيارة أقربائي فابعثيها معي ، فسرت بذلك وزينتها بأجمل الثياب والحلى ، وأخذت عليَّ المواثيق بألا أخونها ، فذهبت بها الى رأس بئر بحجة أن نرتوي منه فلما وصلنا نظرت الى البئر ففطنت البنت أني أريد أن ألقيها في البئر ، فالتزمتني وجعلت تبكي وتقول : يا أبت أي شيء تريد أن تفعل بي ! فرحمتها ، ثم نظرت في البئر فدخلت علي الحمية ، ثم التزمتني وجعلت تقول : يا أبت لا تضيع أمانة أمي ! فجعلت مرة انظر في البئر فأهم بإلقائها ومرة انظر إليها فأرحمها ، حتى غلبني الشيطان فأخذتها وألقيتها في البئر ، وهي تنادي قتلتني يا أبي ! فمكثت غير

---

(١) سورة غافر آية (٢٨) .

بعيد عنها حتى انقطع صوتها فرجعت. فبكى رسول الله (ﷺ) وأصحابه وقال : (لو كنت أمرت أن أعاقب احدا بما فعل في الجاهلية لعاقبتك)[1] ا . هـ . فهذه القصة وأمثالها تمثل مدى الولاء للعرف الجاهلي في ظلمه وقسوته ووحشيته وهي واحدة من عشرات بل مئات المهازل والسخافات التي كانت تزخر بها حياة أهل الجاهلية الأولى وقد قال ابن عباس (رضي الله عنهما) اذا سرك أن تعلم جهل العرب فاقرأ ما فوق الثلاثين والمائة من سورة الأنعام[2] ، وانحرافهم في ولاء العبادة ، لا يقل عن انحرافهم في ولائهم الاجتماعي ، ففي مجال العبادة يوالون ويعادون من أجل مخلوقات جامدة صماء لا تنفع ولا تضر . قال تعالى : ﴿ **إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب** ﴾[3] وقوله تعالى : ﴿ **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً** ﴾[4] .

وفي مجال التعاون والمحبة ، نجد الموالاة العمياء للعشيرة والقرابة ، سواء كانت على حق أم على باطل ، ظالمة أم مظلومة ، وهذا ما عبر عنه شاعرهم بقوله :

وهل أنا إلا من غزية ، ان غَوَتْ غَـوَيْتُ وان تَـرْشُـدْ غـزيـةُ أرشـد

وقال الشاعر الجاهلي أيضا :

لا يسألون أخاهم حين يندبَهم في النائبات على ما قال برهانا

فما معنى قولهم ذلك ؟ أليس هو الولاء الأعمى لمن يستحق ومن لا

---

(١) انظر تفسير القرطبي م ٤ جـ ٧ ص ٩٧ .
(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير للصابوني م ١ ص ٦٢٤ .
(٣) سورة الحج آية (٧٣) .
(٤) الفرقان آية (٣) .

يستحق ؟ للظالم أو المظلوم على حد سواء ، لقد بقيت تلك المقاييس العوجاء في الموالاة والمعاداة ، أحقابا من الزمن ، حتى اشرقت عليهم شمس الاسلام بعدالة الملك العلام ، فسما الوحي الإلهي بنزعة الولاء والعداء من أفقها الضيق الظالم المحدود الى أن ترتبط بخالق هذا الكون العظيم وبالناس جميعا ، في هذه الأرض ، وهذا ما عبر عنه ربعي بن عامر (رضي الله عنه) في ايوان كسرى ، حيث قال (الله ابتعثنا لنخرج من شائن من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها ، ومن جور الأديان الى عدل الإسلام)[1] . .

فوجد الذين وفقهم الله إلى هذا الدين ، بغيتهم وضالتهم المنشودة ، حتى أحبوهم أكثر من أنفسهم وأموالهم وأولادهم ووالديهم .

ورحب الناس بالاسلام حين رأوا   أن الأخاء وأن العدل مغزاه
أرواحنا تتلاقى فيه خافقةً   كالنحل إذ يتلاقى في خلاياه
دستوره الوحي والمختار عاهله   والمسلمون وان شتوا رعاياه[2]

وتحقق في عهد الرسول (ﷺ) وعهد الصحابة (رضي الله عنهم) حديث رسول الله (ﷺ) (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)[3] . أيُّ مضاهاة بين المجتمع الاسلامي السليم التكوين ، وبين الجسد البشري الواحد يمكن أن تكون أكثر احكاماً ودقة رؤية ، من هذه المضاهاة والمماثلة التي دل عليها الحديث .

إن ردود الفعل لعوادي الألم وسهام الأذى في الجسم الواحد ، تكون

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٧ ص ٣٩ .
(٢) شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث / أحمد الجدوع وحسني جرار جـ ٢ ص ٦٥ - ٦٧ .
(٣) صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٢ (طـ - دار التراث العربي بيروت) .

عفويةً فوريةً ، وتظل دائمةً ماثلة ، ما دام العضو المتألم يقاسي لألم ويشعر بالأذى .

ذلك هو المجتمع المؤمن المسلم ، الذي من دلائل ايمانه وصحة اسلامه ، تواده وتعاطفه وتراحمه ، ذلك هو (الالتحام) الحقيقي بين أفراد الأمة المسلمة ، الأمة التي أنشأها الرسول (ﷺ) وتبعه في السهر عليها خلفاؤه الراشدون من بعده فهذا التلاحم قد اورث ـ المسلمين وضعا فذا فريدا ، دام مئات السنين ، فلا تحل نكبة بطرف من أطراف المسلمين ، إلا ويفزع المجتمع المسلم لذلك الحدث ويتألم ويسهر لذلك ويقدم من نفسه وماله ووقته الشيء الكثير ، ولم يعرف للراحة طعما ، الا بزوال النكبة الحاصلة على جزء منه ، وبراءة ذلك العضو المصاب كما هو شأن الجسد البشري ، وهذا التصرف والموقف ، من أشد ما كان يغيظ أعداء الإسلام ويرهبهم جميعاً ، ذلك أنهم يجدون أنفسهم في مواجهة أمة قوية متماسكة متناصرة تدافع عن الجزء منها كما تدافع عن الكل ، وتعتبر ما يصيب الجزء واقعاً على الكل ولكن هذه الصفة وتلك السمة الفريدة التي تميزت بها هذه الأمة ، أصابها الضعف والوهن عند قلة قليلة من المسلمين ، وماتت موتا تاما عند معظمهم ، وذلك حين أصيبت هذه الأمة بالشلل المزمن ، نتيجة جرعات من وسائل التخدير حقنهـا الأعداء في جسمهـا أدى الى فقدان الإحساس لديها ، بما يعانيه أفرادها من ويلات ونكبات ، لقد تم ذلك بمكر خبيث وخطة مرسومة من اعداء الإسلام ، اتفق في تنفيذها علينا كل من الشرق والغرب ، وذلك لما تتمتع به بلاد المسلمين من كونها منبع الرسالة الخالدة ، وتحتوي على أهم مصادر الثروة في العالم ، ولا يتسنى لهم الحصول على ذلك الا بزرع أسباب الفرقة بين المسلمين وإضعاف روح الموالاة بينهم .

فخرج علينا الغرب بنظرية عبادة المادة والشهوة والشهرة فمن أجلها يوالى وعليها يعادي ، فالمال هو الذي يحرك حب الإنسـان وبغضه في

المجتمع الرأسمالي ، وقد سرت الينا عدوى هذه الأفكار الأثيمة نتيجة الاختلاط مع الكفار على أسس وتصورات غير إسلامية ، كما تسربت الينا أيضا عدوى الأفكار الشيوعية وحيث يعطي الفرد في المجتمعات الشيوعية ولاءه للنظام الحاكم ، فهو عبد مملوك للدولة ، وآلة صماء في يدها يواليها قهراً ، ويعادي من عاداها جبراً ، فتأثرت بلاد المسلمين بتلك النزعة ، فصار معظم المسلمين يوالون الدولة أو الحزب الحاكم أو الشخص الحاكم موالاة عمياء ، إما بدافع المصلحة الشخصية ، أو خوفا من سلطة المتسلطين وطغيان الطغاة الظالمين . ان معظم المسلمين اليوم ، لا يتحملون من واجب الموالاة والمعاداة في الله شيئا ، نظرا لأنهم يعيشون في عزلة تامة عن دينهم وما يوجب عليهم من حب وبغض ، وموالاة ومعاداة .

فمن المسلمين من شغله ماله ومنصبه وجاهه عن الموالاة في الله والمعاداة فيه ، فصار من أجل هذه الأشياء يوالي وعليها يعادي ، وكم رأينا من الإحن والخصومات والعداوات بين ذوي القربى من أجل حطام الدنيا ومتاعها الفاني .

وهناك فئة ثانية توالي أهل الرذائل وتعادي أهل الفضائل ، وهي فئة تعبد الأهواء والشهوات ، فهي توالي كل من يوصلها إلى المرأة المبتذلة ، والكأس المترعة ، والأصوات الماجنة ، والفئة الثالثة وهي الأكثر خطورة من هذه وتلك ، أولئك الذين اتخذوا الرياضة إلهاً لهم من دون الله ، فعليها يوالون ومن أجلها يعادون ، فقد أحبها البعض أكثر من حبه لله ورسوله والمؤمنين وهذا شرك أكبر قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله** ﴾[1] . وقد يظن البعض أن هذا الكلام تهجم على الرياضة واستخفاف بها ، والحقيقة أنني لست ضد الرياضة كوسيلة تقوية، وتهذيب ، وترويح ، ولكنني ضدها كوسيلة

---

(١) سورة البقرة آية (١٦٥) .

لإلهاء الشعوب واستعباد العقول ، وتبديد الثروات ، واهدار الطاقات ، فيما لا طائل تحته .

وقد شغلت هذه اللعبة اليهودية[1] أبناء المسلمين عن دراسة القرآن الكريم ، وعن آحاديث الرسول المصطفى العظيم ، وعن التحصيل العلمي في مختلف جوانب المعرفة كما شغلت الناس عن متاجرهم ومصانعهم ومزارعهم ، وعن مهن أخرى لا تعد ولا تحصى ، كان من الممكن أن يستثمر هذا الوقت الطويل فيها ، فالأمة بحاجة الى كل شاب في المجتمع ، كي يكون عضواً فعالاً لا يهدر دقيقة ، فضلاً عن ساعات طوال في سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ، لقد وصل الهوس والغلو والتنطع عند أصحاب الرياضة ، إلى درجة الجنون والعبادة لهذه اللعبة ، فقد اعتزل كثير منهم صلاة الجمعة والجماعة ، وانقطع للرياضة صباحاً وصفيراً في الملاعب ، واعتكافاً في مقر النادي ، وجدلاً سقيماً عقيماً مع خلانه في السهر ، وزملائه في العمل . وقراءة للصحف والمجلات الرياضية ، واستماعاً للمباريات المحلية والدولية والإقليمية ، المرئية منها والمسموعة ، بل لقد وصلت الموالاة والمعاداة بين اللاعبين الى درجة الكفر ـ والعياذ بالله ـ وذلك أنه إذا كان في أحد النوادي ـ من أعضائه أو من اللاعبين شخص كافر ، فإن المنتسبين الى هذا النادي على مختلف المستويات يحبون ويناصرون ويساعدون هذا الكافر بالقول والعمل ، ويمنحونه خالص مودتهم القلبية ، بينما يكنون أعظم الحقد والغل والاستخفاف والازدراء للمسلم الذي ينتمي إلى نادي آخر ، ولو كان شاباً نشأ في عبادة الله ، ويعرفون عن حياة اللاعبين المحليين والإقليميين والدوليين ، اكثر مما يعرفون عن حياة العشرة المبشرين بالجنة .

فكيف يدعي الإسلام من هذه حالهم والله عز وجل يقول: ﴿**لا تجد قوماً**

(١) انظر بروتوكولات حكماء صهيون ـ البروتوكول الثالث عشر ص ١٦٨ ترجمة محمد خليفة التونسي .

يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم﴾[1] .

فإذا كان الآباء والأبناء الكفار المحادون لله ورسوله ، لا تجوز مودتهم فكيف بهؤلاء الكفار الذين هم أعداء لله ورسوله والذين آمنوا أمثال (بيليه ؛ وريفيليون ، وتوماس ، وغيرهم من أدوات الكفر ومخالبه) لقد أصبحت فرحة أعضاء النادي بانتصارهم الموهوم المزعوم أعظم مكانة وأجل قدراً من الانتصار على اليهود في فلسطين ، وعلى الشيوعيين في افغانستان ، وعلى الصليبيين في ارتريا والفلبين ، كما أن هزيمتهم ، أمام أحد النوادي أشد وقعا من اغتصاب تلك الأماكن وتشريد ملايين اللاجئين من المسلمين ، إن السواد الأعظم من المسلمين قد انحرفوا بواجب الموالاة والمعاداة عن منهجه الصحيح ، وبدأوا يوالون ويعادون في قضايا سطحية ساذجة تافهة هزيلة ، أشبه ما تكون بتصرفات صبيانية ، وهذا النمط من التفكير ، من الأسباب التي اوصلتنا إلى ما نحن فيه من ذلة ومهانة ، وازدراء ، وقطيعة[2] .

ونحن امة قد شرفها الله بحمل رسالة الإسلام ، وإبلاغها للناس كافة وهذا يتطلب منا جهدا وتضحية والتزاما ، وجدية في الحياة حيث نختلف في غايتنا ووسيلتنا عن الأمم العابثة الهابطة الغارقة في أوحال الشهوات والشبهات .

لقد حول أعداء الإسلام قضية الموالاة والمعاداة عن مسارها الصحيح

---

(١) سورة المجادلة آية (٢٢) .

(٢) لقد شبه أحد المشجعين المنتخب الكويتي بعد تصدره على فرق آسيا وذهابه إلى اسبانيا بأنه شبيه بفتح الأندلس ، وعقد مقارنة بين صقر قريش عبد الرحمن الداخل ، واللاعب فيصل الدخيل ، وجعل افراد المنتخب في مصاف الصحابة الأجلاء فقال (رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) إنها مأساة جيل ربي على السخافة والسفاهة واللهو والولاء لغير الله . انظر المجتمع عدد ٥٥٢ في ١٤٠٢/٢/١٩ ص ٧ .

الى مسار تافه هزيل ، فقد أفرغت قلوب الأجيال - إلا من عصم الله - من حب الله ورسوله ، وحب أصحابه ، والتابعين لهم بإحسان ، ومن حب العلماء العاملين وكتب العلم ، وحب القوة وأسبابها الحقيقية ، الى حب أعداء الله ، وما يخدم أعداء الله من تافه القول وساقط العمل .

إنه لا يجوز ولا يصح من المسلم أن يحب لعبة من اللعب ، ولا كتاباً من الكتب ، ولا شخصاً ، أو جماعة من الناس ، ولا نظاماً من الأنظمة ، ولا مذهباً من المذاهب ولا عملاً من الأعمال ، ما لم يكن ذلك موافقاً لما يحبه الله ورسوله ، ومستمداً محبته من محبتهما ، قال تعالى ﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم . قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾[1] .

فالمسلم بحكم إيمانه بالله تعالى لا يحب اذاً الا في الله، ولا يبغض إذاً أبغض إلا في الله ، لأنه لا يحب إلا ما يحب الله ورسوله ، ولا يكره إلا ما يكره الله ورسوله ، فهو اذاً يحب الله ورسوله بحب ويبغضهما ببغض ودليل هذا ، الآية السابقة وقول الرسول (ﷺ) (من أحب لله وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الإيمان)[2] .

وبناء على هذا فجميع عباد الله الصالحين يحبهم المسلم ويواليهم وجميع الخارجين عن أمر الله ورسوله يبغضهم ويعاديهم .

إن الواجب علينا اذا كنا مسلمين صادقين ، أن نرجع الى كتاب الله عز وجل وسنة رسوله (ﷺ) وأن نضع الخطط التي تتفق مع أهداف ديننا وطموحات أمتنا ، وأن نوالي ونعادي وفق مفهوم الإسلام وتصوره الصحيح ، بدلا من الموالاة والمعاداة على سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً .

---

(١) سورة آل عمران آية (٣١ ، ٣٢) .
(٢) انظر سلسلة الآحاديث الصحيحة للألباني م ١ ص ١١٢ رقم الحديث (٣٨٠) .

فهل يستيقظ النائمون وينتبه الغافلون والمخدوعون من هذه الأمة أم ﴿ لَعَمْرُكَ إنهم لفِي سكرتِهم يَعْمَهُون ﴾[1] .

(١) سورة الحجر آية (٧٢) .

الفصل الأول

منزلة الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية

وفي هذا الفصل عشرة مباحث هي:

المبحث الأول: الموالاة والمعاداة في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: الموالاة والمعاداة في السنة النبوية.

المبحث الثالث: أقوال السلف الصالح في الموالاة والمعاداة.

المبحث الرابع: ارتباط الموالاة والمعاداة بالشهادتين.

المبحث الخامس: الموالاة والمعاداة في الله قول وعمل.

المبحث السادس: حكم موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين.

المبحث السابع: مكانة الموالاة والمعاداة في الاسلام.

المبحث الثامن: موالاة أهل الحق تستلزم معاداة أهل الباطل.

المبحث التاسع: صلة المداهنة والمداراة بالموالاة والمعاداة.

المبحث العاشر: تغيير المسميات لا يغير حقيقة المسمى وحكمه.

المبحث الأول

الموالاة والمعاداة في القرآن الكريم

إن الإسلام دين سلام ، وعقيدة حب ووئام ، ونـظام يستهدف أن يعيش العالم كله بظله ، وأن يقيم فيه منهجه ، وأن يجمع الناس تحت لوائه أخوة متحابين ومتعاونين ، وليس من عائق يحول دون ذلك سوى عدوان أعدائه عليه وعلى أهله ، فكيف يتم لقاء أو مودة مع من كفروا بالله وبما جاء به رسول الله (ﷺ) من حق ؟ كيف يتم لقاء أو محبة مع من تجرؤا على ذات الله فوصفوها بأوصاف لا تليق بأبسط الناس فضلاً عن القوي العزيز ؟ كيف تتم مودة وموالاة مع من نصبوا أنفسهم أعداء للحق وأهله عبر كل زمان ومكان ؟ ماذا أبقوا بعد هذه الجرائر الظالمة للموالاة والمودة من سبب ؟

إن المسلم مطالب بالسماحة مع أعدائه ، ولكنه منهي عن الموالاة لهم ومناصرتهم ، والتحالف معهم ، لأنه مهما أبدى من السماحة والمودة ، فلن يرضى عنه الأعداء حتى يقضوا على دينه ، وحتى ينسلخ من عقيدته

ومن السذاجة ، أن يظن شخص أنه يمكن الجمع بين رضا الله ، ورضا الكفار معاً .

إن هناك فئةً من الناس تحاول كسر حاجز التضاد بين الإيمان والكفر فتدعو تارة الى الجمع بين الحق والباطل باسم التسامح وحسن المعاملة وتارة تحرف بعض النصوص كي توافق هوى في نفسها ، ولكي تمزج المسلمين مع غيرهم حتى يذوبوا في مستنقع الكفر العميق ، وتدعو تارة أخرى بإسم التقريب بين الأديان ، والتعايش السلمي إلى الأخذ من كل دين بطرف ، وتارة تدعو إلى طرح الأديان جانبا واتخاذ مبدأ العلمانية في ادارة الدول والشعوب ، بحجة تجنب غائلة الحروب بين أهل الأديان .

ونحن كمسلمين لن نرضى بغير منهج الإسلام في التعامل مع الناس ، لأن ذلك شرط من شروط صحة إسلامنا ، فلن نكون مسلمين حقيقة حتى نطبق أحكامه على أنفسنا ، ومن هذه الأحكام ما يتعلق بتعاملنا مع غيرنا من الناس .

والقضية التي نختلف عليها مع غيرنا هي قضية الإيمان بهذا الدين فمن آمن أحببناه وواليناه ، ومن كفر وفسق أبغضناه وعاديناه ، ان انقطاع رابطة العقيدة الإسلامية ، وآصرة الإيمان بين المسلم والكافر ، موجب للمفاصلة الحاسمة الجازمة التي لا تستبقي شيئاً من آواصر المحبة ووشائج المودة والقربى مع من كفروا بالله[1] .

إن السواد الأعظم من المسلمين اليوم قد ارتدوا عن دينهم بسبب موالاتهم للكفار وتوليهم لهم بالقول والفعل والإعتقاد ، حيث نجد كثيراً من مدعي الإسلام يمجدون مبادىء الكفر وأنظمته رغبة أو رهبة ، ويستهزؤ ن بشعائر الإسلام في أقوالهم وأفعالهم ، ويحملون السلاح دفاعا عن الباطل

---

(١) انظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٦ ص ٧٥٨ ـ ٧٥٩ وانظر جـ ٢٨ ص ٦٢ ـ ٦٣ .

وأهله ، وحربا للحق وأصحابه ، ومع كل هذا الإجرام ينظرون إلى أنفسهم وينظر البعض إليهم أنهم من عداد المسلمين الصالحين . ولهذه الفئة نظائر في حياة الرسل والدعاة إلى الله في كل زمان ومكان ، فأهل النفاق موجودون قديماً وحديثا ، وهم أول من يسير على هذا الخط المنحرف ، ثم يتبعهم الدهماء من الناس إن لم يجدوا من يرشدهم أو يوجههم إلى الحق ، من عالم عامل بعلمه ، أو صاحب حكم عادل في حكمه ، والله عز وجل يبتلي الناس في مثل هذه الأحوال ، ليرى وهو العالم بكل شيء ، من يقدم موالاته على موالاة الكفار والمرتدين ، ومحبته على محبتهم فيرفع من استغنى بمحبة الله عن محُبة أعدائه الى الدرجات العالية ، ويخفض من تعلق قلبه بمحبة غير الله الى قاع الهاوية وشفير جهنم وقد انقسم الناس في هذا الزمان في تعاملهم مع الكفار إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : قسم ناصر لدين الله مجاهد في سبيل الله موالٍ لأوليائه ، معاد لأعدائه ، وهم القليلون عدداً الأعظمون أجراً عند الله .

القسم الثاني : قسم خاذل لأهل الإسلام ، تارك لمعونتهم معتزل عن الكفار .

القسم الثالث : قسم خارج عن الإسلام ، بمظاهرة الكفار وموالاتهم ومناصرتهم بالقول والفعل والاعتقاد ، ومعاداة أهل الحق ومحاربتهم(١) .

فقد روي عن النبي (ﷺ) أنه قال : (من أعان صاحب باطل ليدحض بباطله حقاً فقد برأت منه ذمة الله وذمة نبيه)(٢) .

ونظراً لتداخل أنواع الموالاة التي يحكم على صاحبها بالكفر مع أنواع الموالاة التي يأثم فاعلها بما دون الكفر ، تبعاً لاختلاف النية والحال والمحل الذي تحصل به الموالاة للكفار ، فقد أجملنا الأدلة الدالة على

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٥٦ ـ ٢٥٧ .
(٢) رواه الطبراني عن ابن عباس . انظر مجموعة التوحيد ص ٢٥٧ .

تحريم موالاة الكفار ووجوب موالاة المؤمنين حسب ترتيب السور والآيات في القرآن الكريم .

الدليل الأول : قال تعالى ﴿ **ودَّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين** ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا الذين كفروا يردوكم على أعقابكم فتنقلبوا خاسرين** ﴾[3] ففي الآية الأولى من الثلاث المتقدمة بيان من الله عز وجل لما تكنه قلوب أهل الكتاب من طوية خسيسة وحسد بغيض تجاه الإسلام والمسلمين ، فاضت به ألسنتهم ، وانبعثت منه دسائسهم في الماضي والحاضر ، وما تزال تلك صفتهم لا تتغير ، ولذلك نبهنا الله الى أخذ الحذر منهم ، وعدم الاغترار بمعسول الألفاظ التي لا تسمن ولا تغنى من جوع ، وهم من مكرهم بنا أنهم يتظاهرون بالصداقة التي تجرنا إلى موالاتهم ومتابعتهم فتحصل الردة عن الحق إلى الضلال ، وهذا هو أهم مبتغاهم ، وما يودونه من كل مسلم[4] .

وفي الآية الثانية ، نداء من الباري جل وعلا الى المؤمنين يستثيرهم باسم الإيمان الى عدم طاعة أهل الكتاب، أو الاستجداء من مناهجهم ، وأوضاعهم ، ونظمهم الخبيثة القاصرة .

إن هذا التصرف لا يصدر إلا عن هزيمة داخلية ، وشعور بالنقص وشك في عدم كفاية هذا الدين ، وقدرته على قيادة الحياة وتنظيمها والسير بها إلى طريق الارتقاء ، فإذا وجد مثل هذا الفهم والتصور الخاطىء عند

---

(١) سورة البقرة آية (١٠٩) .
(٢) سورة آل عمران آية (١٠٠) .
(٣) سورة آل عمران آية (١٤٩) .
(٤) انظر في ظلال القرآن جـ ١ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

بعض المسلمين فلا شك أن أعداء الإسلام سيستغلون تلك الثغرة بمكر وخبث ودهاء ، من أجل الغاية التي تؤرقهم ، وهي قيادة الجماعة المسلمة كلها إلى الكفر والضلال ، فإن لم يستطيعوا تحقيق ذلك بالاتصال المباشر ، جندوا أتباعهم من المنافقين والمخدوعين الذين ينتسبون إلى الإسلام زوراً وبهتاناً ، ليعملوا على تطويع هذه الأمة لأعدائها ، لأن الموالاة والطاعة للأعداء لا بد أن يسبقها محبة لهم ، ولما يصدر عنهم ، وهذا ما حذرنا الله منه في هذه الآية[1] .

وفي الآية الثالثة والأخيرة من الآيات المتقدمة ، تحذير للمؤمنين من طاعة الذين كفروا ، فالمؤمن إما أن يكون مستمراً على طريق الإيمان في جهاد الكفر والكفار ، وعداوتهم ، وبغضهم ، وإما أن يكون مرتداً على عقبيه كافراً ـ والعياذ بالله ـ ومحال أن يقف المسلم سلبياً بين الإسلام والكفر ، فيحافظ على إسلامه ، وينال رضا الكفار والسلامة من أذاهم . إنه قد يخيل الى البعض ، أنه يستطيع ، أن ينسحب من المعركة بين الإسلام والكفر ، وأن ينضم إلى القوي المنتصر في النهاية ، فإن كان ذلك المنتصر كافراً سالمه وأطاعه وخضع له ، وهو مع هذا كله يعتقد أنه محتفظ بدينه وعقيدته ، وهذا وهم وضلال كبير ، إن الذي لا يكافح الشر والكفر والضلال ، ويقف منه موقف العداء ، لا بد أن يتقهقر ويرتد حتى يركن إلى أعداء الله ، ويستمع الى وسوستهم ، ويطيع توجيهاتهم رجاء الحماية والنصرة عندهم ، فيصبح من الذين استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة ، وبذلك يكون من المرتدين الخاسرين[2] .

الدليل الثاني : قول الله تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾[3] .

(١) المصدر السابق جـ ٤ ص ١٨ ـ ١٩ .

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٥ وانظر في ظلال القرآن جـ ٤ ص ١٠٢ .

(٣) سورة البقرة آية (١٢٠) .

إن الله عز وجل يخبرنا في هذه الآية على جهة التأكيد والدوام أن اليهود والنصارى لن يصطلحوا معنا ، ولن يسالمونا أو يرضوا عنا ، حتى نتبع باطلهم ، نحذو حذوهم في شركهم وكفرهم وانحلالهم ، فمن الغباء والجهل، بل من الكفر، أن يشك الإنسان في اخبار الله عزَّ وجلَّ في طبيعة العلاقة لكل من اليهود والنصارى معنا ، إن من يظن أنه يمكن أن يقع خلاف ما أخبر الله به في شأن اليهود والنصارى يكون غير مسلم ، إنه لا يتصور من مسلم أن يعتقد أنه منْ الممكن أن يتحول اليهود والنصارى إلى أناس مسالمين موادعين ، مناصرين لنا على الحق ، إن هذا التصور الخاطىء والفهم الساذج لا يصدر إلا عن انسان مخدوع بأضاليل اليهود والنصارى ، معرض عن تلاوة كتاب الله وتدبر آياته .

ان اليهود والنصارى ، في معركة مستمرة مع المسلمين كما اخبر الله عز وجل ونحن نرى الدليل عليها في كل زمان ومكان ، إنها معركة بين الجماعة المسلمة ، وبين هذين المعسكرين الكافرين ، ولكن أعداء الإسلام زيادة في تضليلنا يرفعون أعلاماً شتى ، في خبث ومكر ، وتورية ، حيث لم يعلنوها حربا معلنة باسم الديانة اليهودية ، أو النصرانية ، ضد الإسلام ، خوفاً من رد الفعل عند المسلمين ، بل أعلنوها باسم الارض تارة ، وباسم الاقتصاد تارة اخرى ، وباسم السياسة والمصالح القومية مرات اخرى .

وألقوا في روع المخدوعين منا أن الحرب باسم الدين حكاية قديمة لا معنى لها ، وما أدرك أولئك السذج أن الاستعمار الذي مزق شمل الأمة والبلاد الإسلامية ، لم يكن هدفه الأول الإقتصاد ، بقدر ما كان تتمة لما عجزت عنه الحروب الصليبية ، في عهد صلاح الدين ، ولكنهم في هذه المرة لم يجدوا قائداً صالحاً يدحرهم كما دحرهم صلاح الدين الأيوبي ، بل وجدوا وللأسف الشديد بين المسلمين من يعين الغاصب على اغتصابه والظالم على ظلمه فلا حول ولا قوة إلا بالله[1] .

---

(١) انظر ظلال القرآن سيد قطب جـ ١ ص ١٤٦ .

الدليل الثالث : قول الله تعالى ﴿ **ولئن اتبعت أهواءهم من بعد الذي جاءك من العلم إنك اذاً لمن الظالمين** ﴾[1] . فلو وافقهم النبي (ﷺ) على دينهم ظاهراً من غير اعتقاد القلب ، مداهنة لهم ، وخوفاً من شرهم ، لكان بذلك ، بموجب تعبير القرآن الكريم من الظالمين .

فكيف حال من أظهر الاعجاب والتمجيد للكفار ، ودعا الى ما هم فيه من كفر، وأنهم أهدى من الذين آمنوا سبيلاً؟ ألا يكون ذلك ظالم لنفسه ولأمته ، بدعوتها الى الكفر والضلال . إن الطريق واضح والصراط مستقيم ، وليس هناك مقارنة بين الأخذ بالعلم اليقيني الذي جاء من عند الله، وبين اتباع أهواء أهل الضلال والانحراف ، وتوجيه الخطاب الى شخص رسول الله (ﷺ) يحمل إيحاءً قوياً إلى من وراءه من المسلمين أن لا ينخدعوا في غمرة الدسائس اليهودية والصليبية ، وحملات التضليل ، فيخطبوا ود اليهود والنصارى فإن ذلك سيجعلنا من الظالمين ، وما أجدرنا نحن المسلمين اليوم أن نستمع إلى هذا التحذير العظيم من الرب الكريم ، فنتعامل مع الكفار في شؤون دنيانا بحذر ووعي ويقظة تامة ، ونقاطعهم في شؤون ديننا مقاطعة تامة ، فلا نستفتي المستشرقين من اليهود والنصارى والشيوعيين والكفار أجمعين في أمر ديننا ، ولا نتلقى عنهم تاريخنا ، ولا نرسل اليهم أبناءنا يتلقون عنهم علوم الاسلام التي خلطوها بمذاهبهم الباطلة ، والتي يأتون ببعض نصوصها في وضع مبتور كي يحققوا اهدافهم في الدس ، والتكفير للمسلمين ، وقد عاد الينا كثير من أبنائنا مدخولي العقل فاقدي الضمير[2] .

الدليل الرابع : قول الله تعالى ﴿ **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك**

---

(١) سورة البقرة آية (١٤٥) .

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٤ وانظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٢ ص ١٨٧ - ١٨٩ .

حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[1] . ففي هذه الآية تقرير صادق من العليم الخبير ، يكشف عن الإصرار الخبيث والعداوة المتأصلة في نفوس اعداء الإسلام ، لهذا الدين وأهله ، في كل جيل وفي كل أرض .

إن وجود الإسلام بذاته ، هو غيظ وكمد ورعب لأعداء الله ، وأعداء الجماعة المسلمة في كل حين ، فهم يعرفون ما في الإسلام من القوة والنزاهة والعدل بحيث يخشاه كل طاغ ، ويرهبه كل باغ ، ويكرهه كل مفسد ، ذلك انهم لا يأمنون على باطلهم وبغيهم وفسادهم ، وفي الأرض جماعة مسلمة تؤمن بهذا الدين وتتبع هذا المنهج ، وتعيش بهذا النظام المميز الفريد[2] . ولهذا فهم لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا ولم يرخص الله عز وجل في موافقتهم خوفاً على النفس والمال ، بل أخبر أن من وافقهم ، بعد أن قاتلوه ، ليدفع شرهم ، أنه مرتد ، فإن مات على ردته بعد أن قاتله المشركون فإنه من أهل النار الخالدين فيها . فكيف حال من وافقهم من غير قتال ، ألا يكون أولى بعدم العذر وأولى بحكم الردة والكفر[3] .

الدليل الخامس : قال تعالى **﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾**[4] فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن إتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء ، واصحابا ، من دون المؤمنين ، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء[5] قال ابن جرير الطبري[6] في قوله تعالى **﴿ فليس من الله**

(١) سورة البقرة آية (٢١٧) .
(٢) انظر في ظلال القرآن جـ ٢ ص ٣٣٠ ـ ٣٣١ .
(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .
(٤) سورة آل عمران آية (٢٨) .
(٥) انظر الإيمان ـ أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه . د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٣ .
(٦) هو محمد بن جرير الطبري (ابو جعفر) مفسر ، مقرىء ، محدث ، مؤرخ ، فقيه ، =

في شيء ﴾ يعني فقد بريء من الله ، وبريء الله منه ، بارتداده عن دينه ، ودخوله في الكفر[1] . ا . هـ .

ويقول القرطبي : هذا المعنى ، أي ليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء ، وهو اذاً من حزب الشيطان وأنصاره[2] . ا . هـ . وأما قوله تعالى ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ أي إلا أن يكون المسلم مقهوراً معهم ، لا يقدر على إظهار عداوتهم ، لتعذيبهم له ، فيظهر لهم الرضا بلسانه وقلبه مطمئن بالإيمان بالله ، ممتلىء بالعداوة والبغضاء لأعداء الله .

والتقية لهم لا تجيز مشايعتهم على كفرهم ، ولا إعانتهم على مسلم ، وقيل التقية منسوخة ، وإنما كانت أول الإسلام[3] . والراجح أنها باقية ولكنها لا تصح إلا مع غلبة الظن في القتل أو القطع أو الإيذاء العظيم ، وسوف نذكر ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى في موضوع الإكراه في الفصل الرابع من الباب الثاني ، والذي نخرج به من هذه الآية ، أن التعاون مع أعداء الله وأعداء المسلمين خيانة عظمى لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم ، لا تصدر إلا عن صاحب نفس دنيئة ، وطبع لئيم ، ومنافق حقود .

الدليل السادس : قول الله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة

= اصولي ، مجتهد ، ولد بآمل طبرستان في آخر سنة (٢٢٤ هـ) وطوف الآقاليم في طلب العلم واستوطن بغداد واختار لنفسه مذهباً في الفقه ، توفي ليومين بقيا من شهر شوال في بغداد سنة (٣١٠ هـ) من تصانيفه : جامع البيان في تأويل القرآن ، وتاريخ الأمم والملوك ، وتهذيب الآثار ، واختلاف الفقهاء وآداب القضاة والمحاضر والسجلات . انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٩ ص ١٤٧ .

(١) انظر تفسير الطبري جـ ٣ ص ١٥٢ .

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٥٧ .

(٣) انظر تفسير الطبري جـ ٣ ص ١٥٢ وانظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٥٧ .

من دونكم لا يألونكم خبالا ودُّوا مَا عَنِتُّمْ قد بدت البغضاء من أفواهم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾[1] .

إن هذه الآية تحذير صارخ وبلاغ عظيم للجماعة المسلمة أن لا تتخذ من أعداء يتظاهرون للمسلمين في ساعة قوتهم وغلبتهم بالمودة والصداقة ، وهم لا يريدون في الحقيقة للمسلمين إلا الاضطراب والخبال ، ولا يقصرون في زرع الفرقة بين المسلمين كلما واتتهم الفرصة في نثر الشوك في طريق الدعوة إلى الإسلام ، فهم يسعون جاهدين في الكيد والدس للإسلام وأهله عبر وسائلهم المتعددة ، ولكن المسلمين وللأسف الشديد في غفلة عن أمر ربهم ، وعن أعدائهم ، فما يزال معظمهم مخدوعاً في أعداء الله .

وما يزال البعض من مدعي الإسلام ، يفضون إلى أعداء الله بالمودة ، ويأمنونهم على أسرار المسلمين ، ويتخذون منهم بطانة ، وأصحاباً وأصدقاء .

إن هذه الآية تبصرنا بأعدائنا الحقيقيين ، الذين لا يخلصون لنا أبداً ولا تغسل أحقادهم مودة المسلمين لهم ، لأنهم أعداء عقيدة لا ترجى مودتهم[2] . يقول الشاعر :

كل العداوات قد ترجى مودتها   الا عداوة من عاداك في الدين

وها نحن نشاهد مصداق هذه الآية فيما مضى وفيما هو حاضر مشهود ، إن كل تقارب مع الكفار وتقريب لهم ، يورث المسلمين عنتا ومشقة ، وإنه بعد هذا كله لا يقرب الكفار أو يواليهم من دون المسلمين ، إلا سفيه أو مجنون ، او جماعة من السفهاء والمجانين حيث يقول تعالى في آخر هذه الآية ﴿ قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون ﴾ فمن خالف أمر الله

آل عمران آية (١١٨) .

في ظلال القرآن جـ ٤ ص ٤٠ ـ ٤١ .

بائتمان وتقريب من خونهم الله ، فهو غير عاقل ، أو كافر جاحد عن عمد وإصرار .

الدليل السابع : قول الله تعالى ﴿ **أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنمُ وبئس المصير** ﴾[1] . قال الطبري[2] : أي أفمن اتبع رضوان الله على ما أحب الناس وسخطوا ، كمن باء بسخط من الله بسبب مناصرته للشرك والوقوف مع المشركين[3] . ا. هـ .

وعلى هذا فاتباع رضوان الله يكون بموالاة أوليائه ، ونصرتهم ومعاداة أعدائه وبغضهم ، ومحاربتهم .

الدليل الثامن : قول الله تعالى ﴿ **ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم أولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا** ﴾[4] .

يخبر تعالى بهذه الآية أن المنافقين والكفار ، يودون كفر المسلمين كما كفروا هم بذلك ، ومودتهم هذه ليست مودة قلبية مجردة عن العمل ، بل إنها مودة تقتضي العمل والسعي والتخطيط لتكفير المسلمين ، وهذا ما هو حاصل فعلاً في عصرنا الحاضر ، فبلاد المسلمين ممتلئة بالجمعيات السرية والظاهرة المدعومة من اليهود والنصارى والشيوعيين ، والتي تعمل على قدم وساق ، لإخراج العباد من عبادة رب العباد ، إلى عبادة البشر بعضهم لبعض ، وهم يسلكون في ذلك وسائل شتى وطرقاً متعددة ، ظاهرة وخفية ، ونحن نشاهد اليوم جوانب عظيمة من مكرهم ، ونقاسي آلاما جمة

---

(١) سورة آل عمران آية (١٦٢) .
(٢) انظر ترجمته ص ٧٨ من هذه الرسالة .
(٣) تفسير الطبري جـ ٤ ص ١٠٧ وانظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٦ .
(٤) سورة النساء آية (٨٩) .

من جرائمهم ، يساعدهم في ذلك فئة حقيرة ذليلة دنيئة خسيسة ، باعت دينها بعرضٍ من الدنيا ، وتلك الفئة هي فئة المنافقين .

فعلى كـل مسلم غيور على دين الله ، أن يعـرف أمـاني أعـدائـه وأهدافهم على الإسلام والمسلمين ، فلا يمكنهم من تحقيق ذلك ، وأن يمتثل امر الله عز وجل بعدم اتخاذهم أولياء ، فمن اتخذهم أولياء فقد عصى الله واستحق عذابه[1] .

إن الإسلام يتسامح مع مخالفيه من الكفار الصرحاء الذين يخالفونه جهاراً نهاراً ، ولكنه لا يتسامح هذا التسامح مع من يقولون كلمة لا اله إلا الله بأفواههم وتكذبها افعالهم ، حيث ينطقون شهادة أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله ثم يبقون في دار الكفر يناصرون الكفار ويوالونهم مع قدرتهم على الهجرة. إن الرضا عن مثل هذا الوضع ليس تسامحاً إنما هو تميع ، فالإسلام دين التسامح ، ولكنه يأبى التميع للمنتمين إليه إنه تصور جاد للحياة ، ونظام جاد في تعامله مع الناس ، والجد لا ينافي التسامح ولكنه ينافي التميع ، واذا كان الله عز وجل قد نهى عن موالاة المسلمين الذين يقيمون مع الكفار وأمر بقتلهم حيث وجدوا ، ونهى عن اتخاذهم أولياء ونصراء . فما ظنك أيها الأخ الكريم بمن يوالي الكفار وهـو بين المسلمين ؟ أليس هذا الصنف اولى بهذا التهديد والوعيد ممن يداهن الكفار وهو بينهم وفي بلادهم ، إن في هذه الآية بيان يرفع صفة التميـع عن المسلم في اعتقاده وعمله على حد سواء[2] .

الدليل التاسع : قول الله تعالى ﴿ **إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالـوا فِيمَ كنتم قالـوا كنـا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله**

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٣٠٨ وانظر مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني جـ ١ ص ٤٢٠ وانظر مجموعة التوحيد ص ٢٦٢ .

(٢) انظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٥ ص ٤٧٦ ـ ٤٨٢ .

واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوّاً غفورا ﴾[1] .

وقول الله تعالى **﴿ الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السَّلَمَ ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون ، فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين ﴾[2] .**

ففي هذه الآيات اخبار من الله عز وجل أنه سوف يسأل كل من انحاز إلى الكفار ، أو تخلى عن المسلمين واعتزلهم ، في أي فريق كنتم ؟ أفي فريق المسلمين ؟ أم في فريق المشركين ؟ فاعتذر البعض عن كونهم ليسوا في فريق المسلمين بسبب الاستضعاف . فلم تعذرهم الملائكة ، وقالوا لهم ﴿ ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ﴾ فكل من لم يكن مع جماعة المسلمين فهو مع المشركين ، ما عدا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فهؤلاء يرجى لهم العفو من الله في قبول عذرهم والمغفرة عن تقصيرهم ، وهناك من اعتذر بأنه ما عمل سوءاً حيث ترك كلاً من المسلمين والمشركين ، واعتزل بنفسه عن الفريقين مع علمه أن المسلمين على حق ، فعدَّ القرآن كلاً من الاعتذارين الاستضعاف والاعتزال غير مقبول ، وأن مثل هذا الفعل موجب لدخول النار وعذابها ، حيث يقتضي واجب الأخوة في الإسلام ، أن يكون المسلم مع إخوانه المسلمين ، كالعضو مع الجسد ، يتأثر بكل مؤثر يصيب الجسم من الداخل أو الخارج ، فإذا كان هؤلاء لم يعذروا ، فكيف بمن اظهر لأهل الشرك الموافقة لهم ، والدخول في طاعتهم ، فآواهم ونصرهم ، واتبع سبيلهم ، وخطأ أهل التوحيد وسبهم ، واستهزأ بهم في أقوالهم وأفعالهم ، ومظاهرهم التي هي من شعائر

---

(1) سورة النساء آية (٩٧ - ٩٩) .

(2) سورة النحل آية (٢٨ ، ٢٩) .

الإسلام ؟ أليس هذا الصنف من الناس أولى بالكفر ممن ترك الهجرة إلى دار الإسلام ، والانضمام إلى جماعة المسلمين مشحه بالوطن أو المال أو الأهل وخوفاً من الكفار على تلك الأشياء ؟[1] .

الدليل العاشر : قول الله تعالى ﴿ **انا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما آراك الله ولا تكن للخائنين خصيما**﴾[2] .

فنهى الله تعالى رسوله محمد (ﷺ) عن عضد أهل التهم والدفاع عن أهل الباطل ، وفي هذا دليل على أنه لا يجوز لأحد أن يخاصم عن كافر ، أو منافق ، أو مرتد ، إلا إذا علم أنه محق في مسألة من المسائل بعينها ، فيجادل عن تلك المسألة بذاتها[3] .

فلا ينبغي للمسلم أن يكون خصماً لأهل الحق في الدفاع عن أهل الباطل ، كما يفعل كثير من المفتونين في هذا العصر ، فالذين يدافعون عن الأفراد الظالمين ، أو الحكومات الظالمة ، والأنظمة المرتدة ، والأحزاب الكافرة واقعون فيما نهى الله عنه ، بل لقد وصل الأمر ببعضهم إلى حد الدفاع عن اليهود الغزاة في فلسطين والصليبيين المحاربين للمسلمين في أوغندا وتشاد وايرتريا والفلبين ، ومثل ذلك موقف الحكومات الكافرة في بعض البلاد العربية من قضية الهجوم الاستعماري الإلحادي على افغانستان ، حيث بدأت تلك الحكومات تبرر إجرامها وإجرام أسيادها في موسكو في غزوهم لأفغانستان[4] .

إنه لا ينبغي للمسلم ان يكون بوقا للأعداء ، وصدى لأصواتهم

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ١٣٦ ـ ١٣٧ وانظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٩٩ وانظر زاد المسير في علم التفسير جـ ٤ ص ٤٤٢ .

(٢) سورة النساء آية (١٠٥) .

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٣٧٧ .

(٤) انظر مجلة المجتمع عدد (٥٥١) في ١٤٠٢/١/٢٠ هـ ص ٢٨ بخصوص ما قاله راديو عدن عن المجاهدين الأفغان .

المنكرة ، والخطاب وإن كان موجها للنبي (ﷺ) فإن المراد بذلك هم الذين كانوا يفعلون ذلك من المسلمين . والدليل على ذلك ما يلي :

أولاً : إن الله تعالى أبان ذلك بما ذكره بعد بقوله تعالى ﴿ **هأنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا** ﴾[1] .

ثانياً : ان النبي (ﷺ) كان حكماً في القصة التي نزلت الآية بسببها ، ولذلك كان يُعْتَذر إليه ، ولا يَعْتَذِر هو إلى غيره ، فدل ذلك على أن المقصود بذلك أمته من المسلمين[2] .

ثم قال تعالى ﴿ **ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم إن الله لا يحب من كان خواناً اثيما** ﴾[3]. أي لا تحاجج عن الذين يخونون أنفسهم ، نزلت في أسير بن عروة ، والمجادلة المخاصمة عن الغير[4] . وفي هذه الآية دليل على النهي عن المجادلة عن من أذنب وتوجه عليه عقوبة من حد أو تعزير فإنه لا يجادل عنه ، بدفع ما صدر عنه من الخيانة او تبريرها ما ارتكبه من جريمة ، لغرض اسقاط ما ترتب على ذلك من العقوبة الشرعية ، وفي قوله تعالى ﴿ **إن الله لا يحب من كان خواناً أثيما** ﴾ دليل على انتفاء حب الله لمن كان بهذا الوصف ، واذا انتفى الحب ثبت ضده ، وهو البغض[5] فمن اللائق بالمسلم أن يحب ما أحب الله ، ويبغض ما أبغضه الله ، ولا يكون مخالفاً لله في حب ما يبغض وبغض ما يحب ، فإن هذا السلوك لا يجوز أن يصدر من مسلم ملتزم بالإسلام التزاما صادقا .

فما هو موقف اقزام الأعلام من هذه النصوص ؟ وهم ديدنهم المجادلة

(١) سورة النساء آية (١٠٩) .

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٣٣٧ .

(٣) سورة النساء آية (١٠٧) .

(٤) انظر تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٣٧٨ .

(٥) انظر تفسير ابن سعدى جـ ٢ ص ١٥٤ .

والمخاصمة عن الخونة ، في تزييف الحقائق وتضليل الشعوب ، وتقبيح الحسن ، وتحسين القبيح ، والباس الباطل ثوب الحق ، والباس الحق ثوب الباطل ، اليس هؤلاء داخلين تحت ما نهت عنه هاتان الآيتان نهياً صريحاً لا لبس فيه ولا غموض ؟ ولكن أين من يسمع ويعقل ويتدبر أمره فيما يقول ويفعل في هذه الحياة ؟

الدليل الحادي عشر : قول الله تعالى ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما ، الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين ، ايبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾[1] .

يقول الله تعالى لنبيه محمد (ﷺ) يا محمد بشر المنافقين الـذين يتخذون أهل الكفر بي ، والإلحاد في ديني أولياء ، يعني أنصاراً ، واخلاء من دون المؤمنين ، تاركين موالاة المؤمنين ، معرضين عنها ، يطلبون عند هؤلاء الكفار المنعة والقوة والنفوذ ، وما علم اولئك السفهاء البلهاء أن العزة لله جميعا[2] . قال تعالى **﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون ﴾**[3] .

الدليل الثاني عشر : قول الله تعالى ﴿ وقد نزَّل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، إنكم إذاً مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾[4] .

فذكر تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب ، أنهم اذا جلسوا مجلساً يمدح فيه الكفر بالله والكافرون ، ويقر فيه الاستهزاء بالله ورسوله وكتابه ، ثم سكتوا عن أولئك المجرمين وعن باطلهم ، وصحبوهم على تلك

---

(١) سورة النساء آية (١٣٨ ، ١٣٩) .
(٢) انظرتفسير القرطبي جـ ٥ ص ٢١١ .
(٣) سورة المنافقون آية (٨) .
(٤) سورة النساء آية (١٤٠) .

الحال ، فهم مثلهم في الحكم والجزاء ، هذا وهم في بلد واحد في اول الإسلام . فكيف بمن كان عنهم في سعة في بلاد المسلمين ، ثم استقدم الكافرين ـ المستهزئين بالله ورسوله والمؤمنين إلى بلاد المسلمين ، واتخذ منهم اصدقاء وأصحاباً وجلساء ، يأنس بقربهم ، بدلا من قرب اتقياء المسلمين ويتخذهم امناء ومستشارين ، وناصحين وهم متلبسون بالحديث عن الكفر فيما يظهره ويعلي شأنه ، مع استهزائهم بالله وآياته ورسوله والمؤمنين وهذا أمر لا يمكن أن يقره المؤمن بالله أو يرضى به ، أو يقبله ممن قاله دون أن يعترض عليه ، وينكر عليه قوله ، إن كان ممن يقدر على ذلك ، فإن لم يكن متمكناً من ذلك فلا أقل من اعتزال هذا المكان وهذا القول ، حتى ينجو من عذاب الله ، ويجب أن لا يمنعه من ذلك خوف أو حياء ، فإن الخوف والحياء من الله أولى ، من الخوف والحياء من الناس ، ولا يمنعه من ذلك خوف على مال أو مركز ، أو أي غرض من أغراض الدنيا ، فإن الله سبحانه وتعالى ، أحق بالخشية والخوف من الناس جميعا[1] .

الدليل الثالث عشر : قول الله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء ، بعضهم اولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة ، فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين** ﴾[2] . قال حذيفة (رضي الله عنه) ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر لهذه الآية[3] . ا . هـ .

---

(١) انظر كتاب الإيمان ـ اركانه ـ حقيقته ـ نواقضه . د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٦ ـ ١٨٧ .
(٢) المائدة آية (٥١ ، ٥٢) .
(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ١١٥ .

وقد روى ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين قال : قال عبد الله بن عتبة مثل قول حذيفة المتقدم[1] .

وقال القرطبي : في قوله تعالى ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾ أي من يعاضدهم ويناصرهم على المسلمين ، فحكمه كحكمهم ، في الكفر والجزاء وهذا الحكم باق إلى يوم القيامة ، وهو قطع الموالاة بين المسلمين والكافرين[2] ا ـ هـ .

لأن في الآية شرطاً وجوابا ، فاذا تحقق الجواب بتحقق الشرط وجبت معاداة الموالى للكفار ، كما تجب معاداة الكفار الصرحاء ، ووجبت النار للموالي للكفار إن لم يتب قبل موته ، كما تجب النار لمن مات كافراً وصار منهم ، ومن أصحابهم ، ومن أهل ملتهم ، ولو لم يقل انا يهودي ، أو نصراني ، أو شيوعي ، أو وثني ، أو بعثي ، أو اشتراكي ، أو نحو ذلك ولو كان اسمه محمداً او علياً أو عبدالله ، ولو نطق بالشهادتين لأنه لم يحقق معناهما ، ولم يعمل بمقتضاهمـا. ويقول ابـن العربي : إن الآية تفيد نفي اتخاذ الأولياء من الكفار جميعا[3] ا. هـ .

لأن المتولي للكفار متبن لما عليه أحد الكفار وتابع له وراض عنه ، فيكون مثله من حيث الكفر والجزاء ، ثم تأمل أعذار هؤلاء الذين كفروا بموالاتهم للكفار، تجد أن الله عز وجل لم يقبلها منهم ، وهي خوفهم من أهل الكتاب وسلطانهم ، على مراكزهم وأموالهم ، ودنياهم عامة ، من أن تنتقص أو تستباح ، أما دين الإسلام وشرائعه العظام ، فليست داخلة في

---

(١) انظر كتاب الإيمان ـ اركانه ـ حقيقته ـ نواقضه . د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٤ .
(٢) انظ تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٢١٧ .
(٣) انظر احكام القرآن لإبن العربي جه ٢ ص ٦٣٠ .

تفكير ومخيلة هؤلاء المنافقين ، الذين يعيشون لبطونهم وفروجهم وشهواتهم المحرمة ، وقد عد الله ذلك عذراً غير مقبول منهم قطعاً لحجتهم وحجة المنافقين أمثالهم الى يوم القيامة(١) .

الدليل الرابع عشر : قول الله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتو الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾(٢) .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة أهل الكتاب وغيرهم من الكفار ، وبين أن موالاتهم تنافي الإيمان(٣) .

الدليل الخامس عشر : قول الله تعالى ﴿ **ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم إن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون** ﴾(٤) .

فبين سبحانه وتعالى أن الإيمان الحقيقي بالله ونبيه محمد (ﷺ) مرتبط بعدم موالاة الكفار ، وتوليهم ، فثبوت موالاة الكفار ، موجب لعدم الإيمان او نقصه ، لأن عدم اللازم يقتضي عدم الملزوم ومن جهة اخرى فقد رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه والخلود في العذاب ، واخبر أن موالاة الكافرين لا تحصل من مؤمن ، فـإن أهل الإيمـان يعادونهم ولا يوالونهم كما هو الواجب شرعا(٥) .

ثم بين سبحانه وتعالى في آخر الآية أن من أسباب موالاة الكفار

---

(١) انظر كتاب الإيمان اركانه ـ حقيقته ـ نواقضه . د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٤ .
(٢) سورة المائدة آية (٥٧) .
(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٦١ .
(٤) سورة المائدة آية (٨٠ ، ٨١) .
(٥) انظر كتاب الإيمان ـ أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ـ د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٥ .

الفسق الذي بدوره ، جرهم إلى أن جعلوا الكفار اولياء ، فصاروا بذلك مرتدين عن الإسلام أعاذنا الله من ذلك[1] .

الدليل السادس عشر : قول الله تعالى ﴿ **ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن اطعتموهم إنكم لمشركون** ﴾[2] نزلت هذه الآية لما قال المشركون للمسلمين تأكلون مما قتلتم ولا تأكلون مما قتل الله ، فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل أكل الميتة يكون مشركاً ، من غير فرق بين الخائف وغيره ، إلا المكره إكراها ملجئاً ، فكيف بمن أطاع الكفار على كفرهم ، ووالاهم ، وركن اليهم ونصرهم ، وشهد أنهم على حق فيما يفعلونه وما يتركونه وأطاعهم في إباحة الربا والزنى والقمار ، وما يدعون إليه من فحشاء وعري وغناء ماجن خسيس ، فهؤلاء اولى بالكفر والشرك ، ممن وافق المشركين على أن الميتة حلال[3] .

الدليل السابع عشر : قول الله تعالى ﴿ **واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه ، بها ولكنه أخلد الى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾[4] .

اختلف المفسرون في المقصود بهذه الآية ، فذكرت بعض الروايات أنها نزلت في عابد من بني اسرائيل كان اسمه « بلعام بن باعورا » فكان هواه وتأييده مع القوم الذين حاربوا موسى (عليه السلام) فاعتبر هذا نامنه

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٩ .

(٢) سورة الأنعام آية (١٢١) .

(٣) أنظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٩ وانظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٨ ص ٣٧٠ .

(٤) سورة الأعراف اية (١٧٥ ـ ١٧٦) .

مظاهرة للمشركين وموالاة لهم ، فكان ذلك الأمر منه انسلاخاً من آيات الله . حيث ركن إلى شهوته وهواه في حطام الدنيا الفاني ، فقعد عن موالاة الحق ونصرة اهله .

والراجح عدم تخصيص الآية بهذا السبب الذي لم يثبت سنده ، بل الآية تدل على هذا المعنى من مفهومها العام ، وعلى ذلك فالعلماء الذين لم يعملوا كما أمرهم الله ، بموالاة المؤمنين ومحبتهم ونصرتهم ، والاعتصام بحبل الله مع المؤمنين ، وفي الجانب الآخر يقومون بمعاداة المشركين وبغضهم وجهادهم ، وفراقهم ، فإنهم اذا لم يكونوا بهذا الوصف ، فقد انسلخوا من آيات الله واستحقوا الوصف المَهين[1] .

الدليل الثامن عشر : قول الله تعالى ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾[2] .

أي إن لم تجانبوا الكفار وتوالوا المؤمنين ، وتتميزوا عن المشركين ، تقع فتنة في الناس وهي التباس الأمر ، واختلاط المؤمنين بالكفار ، فيقع الناس في حيرة التمييز بين الحق والباطل ، في أقوال الناس وأفعالهم ، وخاصة العامة منهم وصغار السن ، لامتزاج المؤمنين بالكفار ، واختلاط أقوالهم وأفعالهم واعتقاداتهم ، فيحصل لضعاف المسلمين وللجهلة منهم العدوى من الكفار ، بتحريض من المنافقين الذين يكونون في العادة وسطاء بين الكفار الصرحاء والمسلمين الأغبياء ، فتترك الواجبات ، وترتكب المحرمات ، وتنتشر عدوى الكفر بين المسلمين ، كما تنتشر عدوى الأمراض عند من لا حصانة لديهم ، فمن باب الوقاية والحماية وعدم التفريط في دين الأمة ، أن يفصل المجتمع المسلم فصلاً تاماً ، عن أهل

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ٧ ص ٣١٩ـ ٣٢٠ وانظر تفسير زاد المسير عبد الرحمن بن الجوزي جـ ٣ ص ٢٨٧ وانظر تفسير الطبري جـ ٩ ص ٨٢ ، ٨٩ وانظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٩ .

(٢) سورة الأنفال آية (٧٣) .

الكفر وعن مناهجهم وانظمتهم وأوضاعهم الشاذة ، وأن يبنى المجتمع الإسلامي على أساس الإسلام بناء صحيحا قوياً ، وبأيد مسلمة مؤمنة قادرة ، ذات اعتزاز بدينها قادرة على التأثير دون التأثر في تعاملها مع غير المسلمين[1] .

الدليل التاسع عشر : قول الله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء ان استحبوا الكفر على الإيمان** ﴾[2] .

فهذه الآية تؤكد بكل قوة انقطاع آواصر الدم والنسب ، اذا انقطعت رابطة الإيمان بهذا الدين ، وتبطل ولاية القرابة في الاسرة ، إذ بطلت ولاية القرابة في الله، فلله الولاية الأولى وفيها ترتبط البشرية جمعاء فرابطة العقيدة متبوعة لا تابعة لغيرها من الروابط ، ولذلك اذا فُقدت رابطة العقيدة أو ضعفت فلا اعتبار ولا قيمة للروابط الأخرى ، فالحبل مقطوع والعروة منقوضة مع من يتولى الكفار قال تعالى ﴿ **ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون** ﴾[3] و(الظالمون) هنا تعنى المشركين . فولاية الأهل والقوم - ان استحبوا الكفر على الإيمان - شرك لا يتفق مع الإيمان ومقتضى الإيمان بالله[4] .

الدليل العشرون : قول الله تعالى ﴿ **ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كُتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين** ﴾[5] .

---

(١) انظر مختصر التفسير ابن كثير / محمد علي الصابوني م ٢ ص ١٢٢ وانظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٥٦ وانظر مجموعة التوحيد ص ٢٦٢ .

(٢) سورة التوبة آية (٢٣) .

(٣) سورة التوبة آية (٢٣) .

(٤) انظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ١٠ ص ١٦٢ .

(٥) سورة التوبة آية (١٢٠) .

فبين سبحانه وتعالى في هذه الآية أن إغاظة الكفار والنيل منهم وخاصة الذين يحاربون الله ورسوله والمؤمنين ، أمر مقصود من الشارع الحكيم ، فإغاظتهم لا تأتي إلا عن طريق البغض والعداوة لهم ولكفرهم وهذا البغض هو الذي يولد الرغبة في حربهم بلا هوادة ، ولا تميع ، ولا تراجع ، ولا استسلام ، ومفهوم المخالفة في هذه الآية يدل على أن الذي لا يغيظ الكفار ولا ينال منهم ، ويتولاهم ويحرص على رضاهم ، يكتب له بذلك عمل فاسد ، لأنه على النقيض من صفات المحسنين أعاذنا الله من ذلك[1] .

الدليل الحادي والعشرون : قول الله تعالى ﴿ **ونادى نوح ربّه فقال رب إن ابني من أهلي وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين ، قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين** ﴾[2] .

ففي هاتين الآيتين تبيان أن لا موالاة بين المسلم والكافر ، ولو كان هذا الكافر ابناً للإنسان قد خرج من صلبه وغذاه من كسبه فما حجة الذين يوالون الكفار ، المحاربين لله ورسوله والمؤمنين ، وهم لا يرتبطون بهم بنسب ولا سبب مباح[3] .

الدليل الثاني والعشرون : قول الله تعالى ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون** ﴾[4] .

فذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة من الكفار الصرحاء ، والكفار المدلسين او الظالمين مطلقاً موجب لمسيس النار وعذابها ،ولم يذكر سبحانه

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ ١١ ص ٤٧ وانظر في ظلال القرآن جـ ١١ ص ٣٥٢ .

(٢) سورة هود آية (٤٥ ، ٤٦) .

(٣) انظر في ظلال القرآن جـ ١٢ ص ٥٦٠ - ٥٦١ .

(٤) سورة هود آية (١١٣) .

فرقا بين من خاف او لم يخف ، ما عدا المكره اكراها ملجئا ، فيجوز له الموافقة في الظاهر بالقول ، وقلبه مطمئن بالإيمان ، قال تعالى ﴿ **إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان**﴾[1] . فكيف حال من اتخذ الركون إلى الكفار سياسة وكياسة ، ليساعدوه على اغتصاب المنصب والثروة في البلاد الإسلامية ؟ إن مثل ذلك كمثل المنافقين الذين قال الله فيهم ﴿ **فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى ان تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين** ﴾[2] .

ومن هذا نستنتج أن الركون إلى الكفار وموالاتهم من أعظم الذنوب الموجبة لدخول النار ، فإن اقترن بذلك حب زوال التوحيد وأهله ، واستيلاء أهل الشرك عليهم ، فإن هذا من أعظم الكفر وأشد أنواعه[3] .

الدليل الثالث والعشرون : قول الله تعالى ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾[4] .

فهذه الآية تدل على أن الإنسان اذا عبد ربه بطاعته ومحبته ومحبة ما يحبه ولم يبغض المشركين ويبغض افعالهم ويعاديهم ، فهو لم يجتنب الطاغوت ومن لم يجتنب الطاغوت لم يدخل في الإسلام ، فهو كافر ، ولو كان من أعبد هذه الأمة ، يقوم الليل ، ويصوم النهار ، وتصبح عبادته كمن صلى ولم يغتسل من الجنابة ، أو كمن يصوم في شدة الحر وهو يفعل الفاحشة في نهار رمضان[5] .

---

(١) سورة النحل آية (١٠٦) .
(٢) سورة المائدة آية (٥٢) .
(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٤١ .
(٤) سورة النحل آية (٣٦) .
(٥) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٩٣ .

وعلى هذا فعبادة الله لا تتحقق إلا بإجتناب الطاغوت ، وإجتنابه يعني بغضه وعداوته ، وقطع الصلة به والتعاون معه ، إلا بحدود ما أباح الشرع ، وفق قيود وشروط خاصة من اكراه ملجيء ، وصله بالمعروف لذوي القرابة من الكفار ، مع كراهة ما هم فيه من كفر والتصريح لهم بذلك .

الدليل الرابع والعشرون : قول الله تعالى ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾[1] .

فحكم الله تعالى لا يبدل على أن من رجع عن دينه إلى الكفر فهو كافر ، سواء كان الدافع لذلك خوفاً على نفس او مال او أهل من الكفار ، وسواء كان كفره في الباطن أم بالظاهر دون الباطن ، وسواء كان كفره بمقاله او بفعاله أو بهما معاً، وسواء كان طامعاً من المشركين بمال أو جاه أو شهوة أو شهرة فهو كافر على كل حال من تلك الأحوال جميعا . ما عدا صورة واحدة وهي ما اذا أكره على قول كلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، جاز له موافقتهم في الظاهر على ذلك، أما إن وافقهم في الباطن فهو كافر مثلهم ، ولو ادعى الإكراه، لأن الباطن لا سلطان لأحد عليه من الناس وإن صبر المكره على اذى الكفار ، ولم يوافقهم في طلبهم على قول كلمة الكفر ، فقتل بذلك فهو شهيد ، كما حصل ذلك من خباب بن الأرت[2] .

---

(١) سورة النحل آية (١٠٦ ، ١٠٧) .

(٢) هو خباب بن الأرت بن جندلة بن سعد بن خزيمة ، وهو من السابقين الى الإسلام كان سادس ستة في الإسلام ، وممن عذب في سبيل الله تعذيباً شديداً ، حيث كان الكفار يلبسونه الدروع الحديدية ويضعونه في شمس مكة وحرها اللافح ليس عليه ما يستره ، وقد صبرَ ولم يعط الكفار ما طلبوه ، ثم شهد بدراً بعد ذلك وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) وقد نزل الكوفة في عهد الخلفاء الراشدين ومات بها سنة (٣٧ هـ) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير جـ ٢ ص ٩٩ ـ ١٠٠ .

وخبيب بن عدي[1] (رضي الله عنهما) حيث عذب الأول بالنار الشمس واستشهد الثاني مصلوباً بأيدي المشركين ، فلم يستجيبا إلى مطلب الكفار ، مع عظم ما عرض عليهما من إغراء مقابل النطق بكلمة الكفر[2] .

وظاهر كلام الإمام أحمد بن حنبل[3] (رحمه الله) أن الإكراه المعنوي لا يصح به قول كلمة الكفر، بل لا بد من الإكراه بالتعذيب الحسي فإن أحمد لما دخل عليه يحيى بن معين[4] ، وهو مريض وتلا عليه هذه الآية فقلب أحمد وجهه إلى الجهة الأخرى ، فما زال ابن معين يعتذر ويقول حديث عمار بن ياسر ، فلما خرج من عنده قال : أحمد يحتج بحديث عمار وحديث عمار يقول : مررت بهم وهم يسبونك ، فنهيتهم

---

(١) هو خبيب بن عدي بن مالك الأنصاري ، شهد بدراً مع رسول الله (ﷺ) ثم بعث الرسول (ﷺ) عشرة من الصحابة (رض) كان منهم خبيب فظفر بهم قوم من بني لحيان فقتلو منهم ثمانية وبقي خبيب وزيد بن الدثنة فذهبوا بهما الى مكة وباعوهما الى قريش ، فلبث خبيب عند الكفار مدة ثم خرجوا به من منطقة الحرم ، فقتلوه ، فهو اول من صلب في سبيل الله ، انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير جـ ٢ ص ١٠٣ ـ ١٠٥ .

(٢) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة، نفس المكان المتقدم .

(٣) هو أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، قدمت أمه بغداد وهي حامل فولدته في ربيع الأول سنة (١٦٤ هـ) ونشأ بها وطلب العلم وسمع الحديث من شيوخ بغداد ثم رحل الى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة ، توفي ببغداد لثلاث عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة (٢٤١ هـ) وله من الكتب المسند في الحديث يحتوي على نيف وأربعين ألف حديث ، وله الناسخ والمنسوخ ، وله كتاب الزهد ، والمعرفة والتعليل ، والجرح والتعديل . انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٢ ص ٩٦ وانظر دائرة المعارف الإسلامية جـ ١ ص ٤٩١ ـ ٤٩٦ .

(٤) هو يحيى بن معين بن عون الغطفاني المري (أبو زكريا) محدث حافظ مؤرخ ، عارف بالرجال ، أصله من سرخس ، ولد بقرية نقيا قرب الأنبار في آخر سنة (١٥٨ هـ) وكان أبوه على خراج الري ، فخلف له ثروة كبيرة ، فأنفقها في طلب العلم ، وعاش ببغداد ، وحدث عن أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم ، وتوفي بالمدينة وهو قاصد للحج في ذي القعدة سنة (٢٢٣ هـ) من آثاره : التاريخ والعلل ، ومعرفة الرجال . انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ١٣ ص ٢٣٢ .

فضربوني ، وأنتم قيل فريد أن نضربكم ، فقال يحيى بن معين : والله ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله منك[١] .

الدليل الخامس والعشرون : قول الله تعالى ﴿ وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لنفتري علينا غيره وإذاً لا تخذوك خليلا ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلا إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تَجِدُ لك علينا نصيرا ﴾[٢] . قال ابن عباس في رواية عن عطاء أن سبب نزول هذه الآيات أن وفداً من ثقيف ، أتوا النبي (ﷺ) فسألوه وقالوا : متعنا بآلهتنا سنة حتى نأخذ ما يهدي لها ، فإذا اخذناه كسرنا أصنامنا وأسلمنا ، وحرم وادينا كما حرمت مكة ، حتى تعرف العرب فضلنا عليهم ، فهم رسول الله (ﷺ) أن يعطيهم ذلك فنزلت تلك الآيات[٣] وقد أخبر الله عز وجل رسوله (ﷺ) أنه لو وافقهم لاتخذوه خليلا ، من الخلة وهي المحبة التي تؤدي إلى الموالاة والمصافاة والمصادقة للكفار ، ثم أخبر أن مثل هذا الركون والميل نحو الكفار ولو كان قليلاً موجب لضعف الحياة والممات ، ولو كان هذا الميل يقصد به مصلحة الدعوة والإسلام ، حيث إن التنازل عن شيء من الدين ، يورث التنازل المستمر الى درجة الصفر ، وهو الكفر ، لأن الانحراف الطفيف في أول الطريق ينتهي إلى الإنحراف الكامل في نهاية المطاف ، ولأن أحكام الإسلام وواجباته كل لا يتجزأ ، وليس بينها فاضل ومفضول خاصة فيما يتعلق بالواجبات والأركان ، وليس فرض ضروري في وقت يمكن الاستغناء عنه في وقت آخر ، وما عرضه وفد ثقيف على رسول الله (ﷺ) يعرضه اعداء الإسلام على مدعي الإسلام اليوم إلا أن مادة الطلب تختلف ، فثقيف طلبت من الرسول (ﷺ) مطالب مقابل وعدها بالإسلام ، أما أعداء الإسلام اليوم ، فيطلبون من أرباب العلم

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٤٢ .

(٢) الإسراء الآيات (٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥) .

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ وانظر تفسير الطبري جـ ١٥ ص ٨٨ ـ ٨٩ .

والدعوة ، ترك الدعوة تركاً كلياً أو تركاً جزئياً بحيث لا يتعرض الدعاة الى مصالح ومظالم وتسلط صاحب السلطان وبحيث لا تشكل الدعوة خطراً على وجوده ووجود أسياده ، وقد يستجيب لذلك كثير من حملة الأقلام في النجور ، والكتب في الصدور الذين هم مطية لكل متغطرس جبار ، والبعض منهم يبرر ذلك بأن مصلحة الدعوة في كسب أصحاب المناصب العليا ، ولو كانوا هم المحاربين للإسلام والمسلمين ، والبعض الآخر يغريه الكسب المادي ولو كان هذا الكسب على حساب التنازل عن جانب أو جوانب متعددة من أركان الإسلام وواجباته ، وهم بذلك يظنون أنهم يخدعون غيرهم ، وما أدرك هؤلاء أن غيرهم يمكر بهم ويصطادهم من حيث لا يشعرون ذلك أن أصحاب السلطان يستدرجون أصحاب الدعوات ، ويغرونهم بالأسعار المرتفعة لكلماتهم ، حتى يتنازلوا عن جوانب من هذا الدين ، ويصدروا لهم الفتاوى التي تحل ما حرم الله ، أو تحرم ما أحل الله ، عند ذلك يفقد أدعياء العلم هيبتهم ، وحصانتهم عند صاحب السلطان وعند الناس عامة ، ويكون صاحب السلطان قد حقق مقصده فيهم بتلويث سمعتهم وسمعة الدعوة التي يمثلونها ، ثم يرميهم كما ترمى الثياب الخلقة البالية ، لا يؤبه لهم في قول أو فعل ، إن الواجب على كل مسلم هو عدم لتنازل عن شيء من دينه وعقيدته تحت وطأة الاغراءات المتعددة التي يلوح بها الكفار .

إن الركون اليسير من شخص رسول الله (ﷺ) لو تم لكان نتيجته عذاب الدنيا والآخرة ، فما ظنك اذا كان ذلك الركون ركوناً تاماً وتولياً عاماً ومن شخص أبعد ما يكون عن الله ورسوله (ﷺ) ألا يكون ذلك كفراً وخلوداً في النار[1] .

الدليل السادس والعشرون : قول الله تعالى عن أهل الكهف ﴿ وإذ

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٣٠٠ . وانظر في ظلال القرآن جـ ١٥ ص ٣٥١ - ٣٥٣ .

اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشرْ لكم ربكم من رحمته ويهيىء لكم من أمركم مرفقا ﴾[1] . وقول الله تعالى **﴿ إنهم إن يظهروا عليكم يرجِموكم أو يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا أبدا ﴾**[2] .

ففي الآية الأولى يبدو موقف الفتية الذين آمنوا بربهم واضحاً صريحاً لا تردد فيه ولا تلعثم ، إنه موقف المفاصلة الكاملة للمجتمع الكافر ، فلا سبيل إلى الالتقاء على أنصاف الحلول ولا المشاركة في الحياة الجاهلية ، ولا بد اذاً من الفرار عندما يصل الخطر الى الإرغام على عقيدة الكفر . وفي الآية الثانية ذكر الله عز وجل على لسان أحد الفتية أن حالهم بين أمرين :

١ ـ إما أن يرجمهم الكفار ويقتلوهم شر قتلة .

٢ ـ وإما أن يعيدوهم في ملتهم وكفرهم ، والنتيجة **﴿ فلن تفلحوا اذاً ابدا ﴾** أي ان وافقتموهم على دينهم ، بعد أن غلبوكم وقهروكم عليه ، فإذا كانت هذه حال من وافق الكفار بعد ان غلبوه وقهروه ، فكيف مصير من وافقهم واحتضنهم واجابهم الى ما طلبوا من غير غلبة ولا اكراه ، ومع ذلك نجد أن كثيراً منهم يظنون أنهم يحسنون صنعا ، ويحسبون انهم مهتدون[3] .

الدليل السابع والعشرون : قول الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام في شأن أبيه وقومه **﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله ، وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا ، فلما اعتزلهم وما يعبدون من دِون الله وهبنا له اسحاق ويعقوب وكلا جعلنا نبيا ﴾**[4] .

---

(١) سورة الكهف آية (١٦) .

(٢) سورة الكهف آية (٢٠).

(٣) انظر مـ موعة التوحيد ص ٢٤٣ وانظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ١٥ ص ٣٧٥ .

(٤) سورة مريم آية (٤٨ ، ٤٩) .

هكذا بكل قوة وعزم واصرار ، اعتزل ابراهيم أباه وقومه ، واعتزل عباداتهم وآلهتهم ، وهجر أهله ، ودياره ، فلم يتركه الله وحيدا ، بل عوضه الله عن ذلك خيراً عظيماً، وابراهيم (عليه السلام) لم يعتزلهم إلا بعد أن أيس من قومه وأبيه، حيث تبين له أنهم أعداء لله، وأنهم لا يفيد معهم شيء من وسائل الدعوة، فاجتنبهم وتبرأ منهم ومن آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، فإذا كان ابراهيم قد تبرأ من أبيه وقومه لكفرهم، أفلا يجب علينا اعتزال الكفار والبراءة منهم، ومفاصلتهم كما فعل أبونا ابراهيم (عليه السلام)[1] .

الدليل الثامن والعشرون : قول الله تعالى ﴿ **فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزنا** ﴾[2] فبين تعالى أنه بعث موسى إلى فرعون ليكون موسى عدواً لهم يتحداهم بسبب كفرهم ، ويعاديهم بسبب ضلالهم ، فهي عداوة بين الحق والباطل عداوة بين الحق الذي يمثله موسى ومن معه ، والباطل الذي يمثله فرعون وحزبه ، وهذه العداوة إنما كانت بسبب اختلاف منهج الحق عن منهج الباطل ، فهي ليست عداوة على حسب أو نسب أو مصالح مادية ، وإنما هي عداوة في اختلاف الدين ، وهذه العداوة لن تقف عند حد المشاعر القلبية ، وإنما ستكون باعثة لما يدخل الهم والحزن والكمد على قلب فرعون وقومه ، بما يواجهونه من الأقوال والأفعال التي تصدر من موسى ومن معه[3] .

الدليل التاسع والعشرون : قول الله تعالى حكاية عن موسى (عليه السلام) ﴿ **قال ربّ بما أنعمت عليّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين** ﴾[4] .

---

(١) انظر تفسير ابن سعدى جـ ٥ ص ١١٣ - ١١٤ وانظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ١٦ ص ٤٤٠ وانظر مختصر تفسير ابن كثير للصابوني م ٢ ص ٤٥٤ .

(٢) سورة القصص آية (٨) .

(٣) انظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٢٠ ص ٣٢٦ .

(٤) سورة القصص آية (١٧) .

ففي هذه الآية يتحدث الله عن موسى (عليه السلام) وقد قطع على نفسه عهداً مطلقا ، ألا يقف في صف المجرمين ظهيراً أو معينا لهم ، وذلك إشعاراً بالبراءة من الجريمة وأهلها براءة تامة ، وعلى هذا فلا يحل لمسلم يحرص على سلامة إسلامه أن يعين ظالماً حتى ولو بكتابة ما ينطوي على الظلم أو يصحبه على تلك الحال ، فإن الله لعن آكل الربا وموكله وكاتبه وشاهديه ، وليست مناصرة الظالم على ظلمه ومظاهرة الكافر على كفره ، بأيسر مما تقدم .

وفي الأثر من مشى مع مظلوم ليعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام ، ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه أزلّ الله قدميه على الصراط يوم تدحض الأقدام[١] .

وروي ايضا (من مشى مع ظالم فقد أجرم)[٢] .

وهذه الآثار ضعيفة الإسناد ، وان كان المعنى الذي تدل عليه في الجملة صحيحا[٣] .

فالمشي مع الظالم لا يكون جرماً إلا إذا مشى معه ليعينه على ظلمه فحينئذ يكون قد ارتكب ما نهى الله عنه في قوله تعالى **﴿ ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾**[٤] .

الدليل الثلاثون : قول الله تعالى مخاطباً رسوله محمد (ﷺ) **﴿ وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين ﴾**[٥] . فمعنى ظهير في هذه الآية والتي قبلها بمعنى معين

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٣ ص ٢٦٤ .
(٢) المصدر السابق المكان نفسه .
(٣) انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للالباني جـ ٢ ص ١٨١ .
(٤) سورة المائدة آية (٢) .
(٥) سورة القصص آية (٨٦) .

وناصر ، وهي مرادفة لمعنى الموالاة التي تدل على المحبة والمناصرة[1] ومعنى هذه الآية ، أي لا تكن يا محمد عونا لمن كفر بربك على كفره[2] والخطاب وإن كان موجها للرسول (ﷺ) فالمقصود به أمته من بعده ، فيجب أن لا يكون هناك تناصر ، او تعاون بين المؤمنين والكافرين المحاربين لله ورسوله والمؤمنين ، لأن الإيمان والكفر طريقان مختلفان ، ومنهجان لا يلتقيان ، أولئك حزب الله وهؤلاء حزب الشيطان ، فعلام يتعاونان ؟ وفيما يتعاونان ؟[3] .

الدليل الحادي والثلاثون : قول الله تعالى **﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم ﴾**[4] .

فأخبر تعالى أنك لا تجد من يؤمن بالله واليوم الآخر ايماناً حقيقياً ثم تصدر منه موادة لمن حاد الله ورسوله ، ولو كان أقرب قريب وأن هـذا الجمع مناف للإيمان مضاد له ، إذ لا يجتمع الإيمان بالله واليوم الآخر مع مودة ومحبة من جاد الله ورسوله ، إلا كما يجتمع الضدان[5] . وعلى ذلك فمن واد كافراً فليس بمؤمن[6] .

أما ما قد يعترض به معترض على هذا الدليل من جواز نكاح نساء أهل الكتاب ، الأمر الذي يترتب عليه مودة الرجل لزوجته الكافرة كما في فول الله تعالى **﴿ وجعل بينكم مودة ورحمة ﴾**[7] فكيف الجمع بين هذين الدليلين الذين ظاهرهما التعارض ؟

---

(١) انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٥٨٤ وانظر ص ٧ من هذه الرسالة .
(٢) انظز تفسير الطبري جـ ٢٠ ص ٨١ .
(٣) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٢٠ ص ٣٨٠ .
(٤) المجادلة آية (٢٢) .
(٥) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٤٨ .
(٦) انظر كتاب الإيمان ـ أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه . د / محمد نعيم ياسين ص ١٨٦ .
(٧) سورة الروم آية (٢١) .

والجواب على ذلك باختصار أن في هذه المسألة قولين :

الأول : هو قول من يمنع الزواج من غير المسلمات[1] . وعلى هذا القول فلا اشكال ولا اعتراض ، ودليل أهل هذا القول هو قول الله تعالى ﴿ **ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن** ﴾[2] وقول الله تعالى ﴿ **ولا تمسكوا بعصم الكوافر** ﴾[3] .

الثاني : قول من يرى الاباحة مستدلاً بقول الله تعالى ﴿ **والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم** ﴾[4] فقد جعل أصحاب هذا القول شروطاً متعددة في مسألة زواج المسلم بالكتابية سوف نتناولها بالتفصيل في بحث قادم ـ إن شاء الله ـ ولكن لا مانع من الاشارة الى مجمل تلك الشروط ، وهي أن يكون المتزوج للكتابية ، قوياً في عقيدته ، صلبا في رجولته ، حاداً في معاملته ، شديد الغيرة على دينه ، فإذا توفرت هذه الصفات في شخص مسلم جاز له نكاح الكتابية ، وإن كان بعكس ذلك فالأولى منعه[5] .

وقال بعض المفسرين ان النساء ، من الضعفة وممن لا يقاتل فجاز برّهنّ بالمعروف[6] ومن البرِّ بربهنّ الزواج منهن قال تعالى : ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾[7] .

---

(١) انظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د / بدران ابو العينين بدران ص ٤٥ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٢١) .

(٣) سورة الممتحنة آية (١٠) .

(٤) سورة المائدة آية (٥) .

(٥) انظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د / بدران ابو العينين بدران ص ٦٥ .

(٦) انظر زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن الجوزى جـ ٨ ص ٢٣٧ .

(٧) سورة الممتحنة آية (٨) .

الدليل الثاني والثلاثون: قول الله تعالى: ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سوَّل لهم وأملى لهم، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزَّل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم اسرارهم فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾[1].

فذكر تعالى أن هناك جماعة من الناس تدعي الإسلام في ظاهر حالها ، ولكنهم في الحقيقة مرتدون بسبب وعدهم للكفار ، المتضمن طاعتهم لهم في بعض الأمور ، فذكر أنهم ارتدوا بذلك ، ولم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة وغرهم الشيطان بتسويله وتزيينه لما ارتكبوه من الردة ، وأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة ، وأنهم بمعرفتهم الحق ، ومحبتهم له ، والشهادة به ، لا يضرهم ما فعلوا ، فقالوا للكفار سنطيعكم في بعض الأمر من موالاة ومحبة ، وتأييد ، مع بقائهم حسب زعمهم الخاطىء على مسمى الإسلام ، وأنهم فعلوا ذلك محبة للدنيا ، وخوفا على فوات الأنفس والأموال والمناصب . فاذا كانت الردة حاصلة لمن وعد المشركين بالطاعة في بعض الأمور ، فكيف حال من وافق المشركين وأطاعهم في كل الأمور قولا وفعلا ، ألا يكون هؤلاء احرى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين في الطاعة في بعض الأمور دون البعض الآخر ، وبناء على ذلك فإن اتباع المشركين والدخول في طاعتهم والشهادة لهم بأنهم على الحق ، ومعاونتهم على الباطل ، وترك التوحيد وأهله وخذلان أصحابه ، كل هذه امور موجبة للردة والكفر[2] .

الدليل الثالث والثلاثون : قول الله تعالى: ﴿ ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجنّ معكم

(١) سورة محمد آية (٢٥ - ٢٨) .
(٢) انظر مجموعة الوحيد ص ٢٤٤ ، دط .

ولا نطيع فيكم أحداً أبداً ، وإن قوتلتم لننصرنكم والله يشهد أنهم لكاذبون ﴾[1] . ففي هذه الآية تنبيه من الله عز وجل لرسوله (ﷺ) ولأمته من بعده إلى القرابة الشديدة بين المنافقين والكفار من أهل الكتاب ، قرابة تصل إلى درجة الأخوة بينهما ، فأهل الكتاب كفروا صراحة ، والمنافقون اخوانهم في الكفر ، ولو أنه يلبسون رداء الإسلام ظاهرا ، فهم كفار في حقيقة أمرهم وواقعهم ، فقد اعتبرت الآية وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم ، والخروج معهم نفاقاً وكفرا ، وإن كان هذا الوعد كذبا وتمويها . فكيف بمن وعد الكفار بالدخول معهم ونصرهم صادقا ظاهرا ، فدخل في طاعتهم ، ودعا اليها ، ونصرهم على ذلك ، وانقاد لهم وصار من جملتهم وأعانهم على كفرهم بالمال والرأي والعتاد ، أليس هذا أشد حالا وأسوأ مآلاً من المنافقين المذكورين في هذه الآية ؟[2] .

الدليل الرابع والثلاثون : قول الله تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق ﴾ .. الى قوله تعالى ﴿ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾[3] .

فأخبر تعالى أن من تولى اعداء الله ، وإن كانوا أقربا ، فقد ضل سواء السبيل ، أي أخطأ الطريق القويم ، والمنهج المستقيم ، فإن من يدعي محبة الله ، ومحبة رسوله ، ومحبة المؤمنين ، ثم يتخذ أعداء الله أصدقاء وحلفاء وأنصاراً ، ويلقى اليهم بالمودة لكاذب فيما يدعيه من حب الله ورسوله والمؤمنين ؟ وفعله هذا تكذيب عملي لله ، ومن كذب على الله فهو

---

(١) سورة الحشر آية (١١) .

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٦ - ٢٣٧ وانظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٢٨ ص ٤٣ .

(٣) سورة الممتحنة آية (١) .

كافر في مثل هذه الصورة ، لأنه تعمد مخالفة الله فيما نهى الله عنه وقد أجمع العلماء على أن من تعمد استحلال ما حرم الله فهو كافر[1] .

الدليل الخامس والثلاثون : قول الله تعالى ﴿ **إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداء ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون** ﴾[2] . أي إن قدروا على المسلمين ، واستولوا عليهم ساموهم سوء العذاب[3] . وهذا الكلام له شواهد في التاريخ فعندما تغلب الصليبيون على المسلمين في الأندلس ابادوا المسلمين ابــادة تامة بعد ان استقر المسلمون فيها ثمانية قرون ، وكان بوسع المسلمين أيام عزهم وقوتهم أن يبيدوا كل الطوائف غير الإسلامية ، وأن يسحقوها سحقاً تاماً ، ولكن الدين الإسلامي رحيم حتى بـأعدائـه رفيق بهم ، واليهود اليـوم عندمـا تغلبـوا على المسلمين فعلوا بالمسلمين مثل ما فعل الصليبيون قبلهم فنجد أنهم شردوا الملايين من السكـان وقتلوا مئـات الآلاف ، ولا زالـوا يـطاردون البقيـة البـاقيــة من الفلسطينيين خارج فلسطين ، وعداوة اليهود لنا ليست عداوة عرقية أو طمعاً في البلاد او الاقتصاد ، كما يصور ذلك السذج البلهاء من الناس ، بل هي عداوة عقيدة ودين ، وهذا ما يدل عليه قولهم وفعلهم فعندما دخلت قوات اليهود القدس عام (١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٧ م) تجمهر الجنود من اليهود حول حائط المبكى كما يزعمون ، وأخذوا يهتفون مع موسى ديان ، هذا يوم بيوم خيبـر . . . يالثـارات خيبـر ، ثم اخـذوا ينشـدون حـطوا المشمش على التفاح . . . دين محمد ولى وراح . محمد مات وخلف بنات !!![4] .

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٤٩ .

(٢) سورة الممتحنة آية (٢) .

(٣) انظر مختصر تفسير ابن كثير / محمد علي الصابوني م ٣ ص ٤٨٢ وانظر مجموعة التوحيد ص ٢٦٥ .

(٤) انظر كتاب ـ قادة الغرب يقولون: دمروا الاسلام أبيدو أهله تأليف جلال العالم ص ٩ ، ١٥ ، ٢٩ .

الدليل السادس والثلاثون : قول الله تعالى ﴿ وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه إن ابراهيم لأواه حليم ﴾[1] **وقول الله تعالى ﴿ وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ، الا الذي فطرني فإنه سيهدين ﴾**[2] . **وقول الله تعالى ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء ابدا حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾**[3] .

إن الإيمان بالدين الإسلامي هو الرباط الذي تلتقي فيه سائر الأواصر البشرية والعلاقات الإنسانية فإذا انقطعت رابطة الإسلام انقطعت سائر الروابط الأخرى ، فلا لقاء بعد ذلك في نسب أو صهر ، أو عشيرة ، أو أرض . فإما ايمان بالله فالرابطة الكبرى موصولة ، والوشائج الأخرى تنبع منها وتلتقي معها. أو لا إيمان فلا صلة إذاً يمكن ان تقوم بين انسان وانسان من جنس آخر[4] .

ففي هذه الآيات اشارة وتنبيه بأنكم يا معشر المؤمنين لكم قدوة صالحة في مفاصلة الكفار ومعاداتهم ، إلى أن يؤمنوا اذا كنتم متبعين لملة ابراهيم ومن معه من المؤمنين ، فقفوا من الكفار مثل موقفه ومن معه منهم ، واظهروا العداوة للكفار مثل إظهارهم العداوة لهم ، فهم لكم قدوة ولكم بهم أسوة[5] .

الدليل السابع والثلاثون : قول الله تعالى ﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين

---

(١) سورة التوبة آية (١١٤) .

(٢) سورة الزخرف آية (٢٦ ، ٢٧) .

(٣) سورة الممتحنة آية (٤) .

(٤) انظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ١١ ص ٣٢٢ وانظر معالم في الطريق للمؤلف نفسه ص ١٨٧ - ١٩٨ .

(٥) انظر تفسير ابن سعدى جـ ٧ ص ٣٥٢ .

قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهـروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾[1] . وقول الله تعالى **﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الأخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور ﴾**[2] .

ففي هاتين الآيتين ينهى الله عزل وجل عن موالاة وموادة ومناصرة الكفار لأن ذلك من الظلم والتناقض ، ان يجمع الإنسان بين محبة الله وبين محبة من غضب الله عليه ، فإن عداوة المعادي لربك أيها الإنسان باعثة وداعية الى عدواتك له ، ولنضرب لذلك مثلاً ـ ولله المثل الأعلى ـ لو كان هناك حاكم له مملوك ، وهذا الحاكم يسدي على مملوكه من الخير ، ويمنع عنه من الشر الشيء الكثير ، ولهذا الحاكم أعداء ، أيليق عقلاً وعرفاً ، أن يوالي هذا المملوك ويناصر ويحب عدو سيده وولي نعمته ، فكيف اذا نهاه سيده عن ذلك أشد النهي ؟ ورتب على موالاته لعدوه أن ينزل به أشد انواع العذاب فكيف اذا كان هذا العدو عدواً له ولسيده في آن واحد ، ألا يعتبر من يفعل ذلك من الظالمين ؟ والظلم نوع من الشرك ، قال تعالى **﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾**[3] . فحال من يوالي الكفار ويناصرهم ، ويترك موالاة الله ورسوله والمؤمنين ، ومناصرتهم ، كحال هذا المملوك مع سيده والله أعز قدرا ، وأجل ذكرا وأعظم شأنا من ذلك[4] .

الدليل الثامن والثلاثون : قول الله تعالى **﴿ وكان الكافر على ربه ظهيرا ﴾**[5] . فهذه الآية دلت على أن المؤمن دائماً مع الله على نفسه وهواه وشيطانه وعدو ربه ، وهذا معنى كونه من حزب الله وجنده والموالين

---

(١) سورة الممتحنة آية (٩) .

(٢) سورة الممتحنة آية (١٣) .

(٣) سورة لقمان آية (١٣) .

(٤) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٦٤ وانظر تفسير ابن سعدى جـ ٧ ص ٣٥٦ و٣٦٤ وانظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٢٨ ص ٦٥ ـ ٧٠ .

(٥) سورة الفرقان آية (٥٥) .

له ، فهو مع الله على أعداء الله يحاربهم ويعـاديهم ويبغضهـم من أجل الله كما يكون خواص الملك معه على حرب اعدائه ، أما البعيدون منه فهم غير مهتمين به ولا مبالين بشيء من ذلك[1] .

ذكر ابن أبي حاتم عن عطاء بن دينار عن سعيد بن جبير قـال : (الكافر عون للشيطان على ربه بالعداوة والشرك) . أ ـ هـ وقال الليث عن مجاهد قال :(الكافر يظاهر الشيطان على معصية الله ويعينه عليها)[2] ا. هـ. وقال زيد بن أسلم (ظهيرا) أي موالياً لأعداء الله أيا كان نوعهم، والمعنى أنه يوالي عدو الله على معصية الله والشرك به ، فيكون مع عدو الله معيناً له على مساخط الله [3] ا. هـ.

فالمعية الخاصة التي للمؤمن مع ربه والهه قد صارت بحق الكافر والفاجر معية مع الشيطان والنفس والهوى ولهـذا صدَّر الله الآيـة بقولـه ﴿ **ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم ولا يضرهم** ﴾[4] وهذه العبادة هي الموالاة المتضمنة للمحبة والرضا ، ولكنها لما صُرفت لمـا لا ينفع ولا يضر ، أصبحت هذه الموالاة مظاهرة لأعداء الله على الله وتلك الصفة من نواقض الإسلام العشرة التي عدها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) موجبة للخروج من الإسلام[5] .

ومن هذه الأدلة جميعا يتقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن لا صحة لإسلام المسلم حتى يتولى الله ورسوله والذين آمنوا قولاً وفعلاً واعتقاداً ، ويعلن عداوته للكفار بالقول والفعل والاعتقـاد ، ما دامـوا على الكفر ، ويستمر على هذا الاعتقاد والعمل حتى يلقى الله على ذلك .

---

(١) الفوائد لابن القيم ص ٧٩ .
(٢) المصدر السابق ص ٨٠ .
(٣) المصدر السابق المكان نفسه .
(٤) سورة الفرقان آية (٥٥) .
(٥) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٨ .

المبحث الثاني

الموالاة والمعاداة في السنة النبوية

لقد ذكرنا طرفا من الأحاديث الصحيحة في شأن الموالاة والمعاداة عامة وفي موالاة الكفار خاصة ، وخشية الاطالة والتكرار فسوف نقتصر في هذا المبحث على ذكر الأحاديث التي لم يتقدم ذكرها فيما سلف من هذه الرسالة وهذه الأحاديث هي كما يلي :

أولاً : إن الإسلام قد سد الذرائع المفضية الى موالاة اليهود والنصارى بما روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : (لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام . فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه الى أضيقه)[1] .

قال النووي[2] : فالصواب تحريم ابتدائهم بالسلام ، ونقل القاضي

(١) رواه مسلم . انظر صحيح مسلم (كتاب السلام) جـ ٤ ص ١٧٠٧ .

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري بن حسن النووي، الشافعي (محي الدين ، ابو زكريا) فقيه، محدث ، حافظ ، لغوي ، مشارك في بعض العلوم ولد بنوى من أعمال حوران في العشر=

عن جماعة أنه يجوز ابتداؤهم بالسلام للضرورة والحاجة ، ولقوله (ﷺ) (يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله)[1] .

أما ما ورد في الحديث من اضطرارهم الى أضيق الطريق ، فالمقصود بذلك اشعارهم بالذلة والمهانة بسبب ما هم فيه من كفر ، حتى يسلموا فيدخلوا في عزة الإسلام او يستكينوا فلا يتطاولون على الإسلام والمسلمين بأذى ، أو يظهروا عداوتهم فيحاربوا مع الكفار المحاربين .

وهذا الاضطرار والتضييق عليهم في الطريق ليس مطلقاً ، بل بشرط أن لا يلجئهم الى الوقوع في وهدة ، او الاصطدام بجدار ونحو ذلك . لأنَّ المقصود الإهانة المعنوية دون الأذى الجسدي[2] .

حيث أن ابتداءهم بالسلام ، وتصديرهم في المجالس والطرق ، اعزاز لهم ولما يمثلونه من كفر ، وذلك مخالف لما دلت عليه الآيات القرآنية في قوله تعالى ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[3] وقول الله تعالى ﴿ **وليجدوا فيكم غلظة** ﴾[4] وعلى ذلك يمكن أن يقاس صاحب البدعة .

= الأول من المحرم سنة (٦٣١ هـ) وقرأ بها وقدم دمشق ، فسكن المدرسة الرواحية ، لازم كمال الدين اسحاق المغربي ، وقرأ الفقه واصوله والحديث واصوله والمنطق والنحو واصول الدين ، وسمع الكثير من الرضي بن البرهان ، وعبد العزيز الحموي وغيرهما ، وولى مشيخة دار الحديث بعد شهاب الدين ابي شامة ، وتوفي بنوى في ١٤ رجب سنة (٦٧٧ هـ) ودفن بها من تصانيفه الكثيرة الاربعون النووية في الحديث ، شرح صحيح مسلم ، روضة الطالبين وعمدة المفتيين في فروع الفقه الشافعي ، تهذيب الأسماء واللغات ، التبيان في آداب حملة القرآن ، ورياض الصالحين . انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحاله جـ ١٣ ص ٢٠٢ .

(١) رواه مسلم : انظر شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٤ ص ١٤٦ .
(٢) انظر شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٤ ص ١٤٤ ـ ١٤٧ وانظر الجامع الصحيح جـ ٧ ص ٣ ـ ٥ الحاشية على تلك الصفحات .
(٣) الفتح آية (٢٩) .
(٤) التوبة آية (١٢٣) .

قال الطيبي[1] : إن المختار من الأقوال ، أن المبتدع لا يبدأ بالسلام[2] ا. هـ .

وقال آخرون إن النهي عن البدء بالسلام يحمل على الكراهية لا على التحريم حيث كان رسول الله (ﷺ) يستألف الكفار بالأموال الطائلة فكيف بالكلام الحسن[3] ا. هـ .

فمن قصد بالسلام تألفهم للدعوة الى الله فهذا في حقه السلام مباح ، ومن قصد بالسلام ملاطفتهم في معاملات تجارية ونحو ذلك ، فابتداؤهم بالسلام مكروه ، وأما من ابتدأهم بالسلام تعظيما لهم واكراما لمقامهم ، وطلبا لرضاهم ، ومحبة لهم ، فهذا محرم يتنافى مع الآيات القرآنية والحديث المتقدم[4] . ويتعارض صراحة مع قول الله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق** ﴾[5] . والسلام هو شعار المودة ودليلها البارز قال رسول الله (ﷺ) : (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم)[6] .

---

(١) هو الحسين بن محمد بن عبد الله الطيبي (شرف الدين) عالم مشارك في أنواع العلوم توفي في ١٣ شعبان سنة (٧٤٣ هـ) من تصانيفه : الكاشف عن حقائق السنن النبوية ، التبيان في المعاني والبيان ، مقدمة في علم الحساب ، أسماء الرجال ، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب في التفسير، انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٤ ص ٥٣ .

(٢) انظر حاشية الجامع الصحيح جـ ٧ ص ٥ .

(٣) انظر المصدر السابق المكان نفسه وانظر شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٤ ص ١٤٥ .

(٤) انظر شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٤ ص ١٤٤ ـ ١٤٧ . انظر حاشية الجامع الصحيح جـ ٧ ص ٣ ـ ٥ .

(٥) سورة الممتحنة آية (١) .

(٦) رواه مسلم . انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالين ص ٦٦١ ورقم (٨٤٨) .

وعلى هذا فالسلام على الكفار تعظيما واكراما وتحية لهم وطلباً لرضاهم امر لا يجوز ، للآية المتقدمة وللحديث الذي يدور حوله النقاش واذا تقرر عدم السلام بهذا الوصف ، خوفاً لما يجر اليه من مودة وموالاة للكفار .

فكيف حال من يستقبلون قتلة المسلمين من اليهود والنصارى والمرتدين بالمعانقة والاستبشار ، وأيديهم لا تزال تقطر من دماء المسلمين المنكوبين .

إن هؤلاء الذين يتلقون الكفار وأشباههم بالبشاشة والإكرام ، ويقدمون لهم الهدايا الثمينة والأموال الطائلة ، ويرسلون اليهم التهاني ، والرسائل التي تبالغ في مدحهم واطرائهم ، ومدح ما هم فيه من كفر وضلال - وحتى في مناسبات سخيفة ساذجة - عليهم أن يراجعوا أنفسهم اذا أرادوا السير مع الإسلام سيراً حقيقياً قبل ﴿أن تقول نفسي يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وان كنت لمن الساخرين﴾[1].

وقد روى أبو داود ، وأحمد عن بريدة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ) : (لا تقولوا للمنافق سيد فإنه ان يك سيداً فقد أسخطتم ربكم عز وجل)[2] .

ثانياً : ما اخرجه النسائي والبيهقي وأحمد أن جريرا قال : أتيت النبي (ﷺ) وهو يبايع فقلت : يا رسول الله ابسط يدك حتى أبايعك واشترط علي فأنت أعلم قال (أبايعك على أن تعبد الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتناصح المسلمين ، وتفارق المشركين)[3] .

---

(١) سورة الزمر آية (٥٦) .

(٢) انظر سنن أبي داود كتاب الأدب جـ ٥ ص ٢٥٧ ح ٤٩٧٧ وقال الألباني اسناده صحيح . انظر المشكاة جـ ٣ ص ١٣٤٩ ح ٤٧٨٠ وانظر سلسلة الآحاديث الصحيحة للالباني م ١ رقم الحديث (٣٧١) وانظر مسند احمد جـ ٥ ص ٣٤٦ .

(٣) قال الألباني اسناده صحيح انظر سلسلة الآحاديث الصحيحة / للالباني م ٢ ص ٢٣٠ رقم=

ثالثاً : روي عن رسول الله (ﷺ) انه قال (كل مسلم على مسلم حرام ، أخوان نصيران ، لا يقبل الله عز وجل من مشرك بعد ما أسلم عملا ، أو يفارق المشركين الى المسلمين)[1] .

رابعاً : ما روي عن ابي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال : (الرجل على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل)[2] .

خامساً: قال رسول الله (ﷺ): (إن أوليائي يوم القيامة المتقون، وإن كان نسب أقرب من نسب فلا يأتيني الناس بالأعمال ، وتأتوني بالدنيا تحملونها على رِقابكم فتقولون : يا محمد : فأقول هكذا وهكذا : لها . وأعرض في كلا عطفيه)[3] .

سادساً : قال رسول الله (ﷺ) : (إن أولى الناس لي المتقَون من كانوا وحيث كانوا)[4] .

هذا مجمل ما ورد من الآحاديث الصحيحة في موضوع الموالاة والمعاداة سوى ما تقدم ذكره سلفاً ، وفيما يلي بعض الآحاديث التي يُستأنس بها وقد يكون في سند بعضها مقال وهي كما يلي :

= الحديث (٦٣٦) وانظر سنن النسائي جـ ٧ ص ١٤٨ وانظر سنن البيهقي جـ ٩ ص ١٣ وانظر مسند أحمد جـ ٤ ص ٣٦٥ .

(١) انظر سلسلة الآحاديث الصحيحة للالباني م١ رقم الحديث (٤٦٩) .

(٢) رواه أبو داود والترمذي باسناد صحيح وقال الترمذي حديث حسن . انظر نزهة التقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٣٤١ رقم الحديث (٣٦٨) .

(٣) أخرجه البخاري من الأدب المفرد ص ١٢٩ . انظر سلسلة الآحاديث الصحيحة م ٢ ص ٤٠٣ رقم الحديث (٧٦٥) .

(٤) رواه احمد : جـ ٥ ص ٢٣٥ وهو حديث صحيح . انظر صحيح الجامع الصغير جـ ٢ ص ١٨١ ح ٢٠٠٨ .

أولاً : روى أبو نعيم في الحلية من حديث مكحول عن واثلة بن الأسقع (رضي الله عنه) مرفوعا قال : (يؤتى بعبد محسن في نفسه لا يرى أن له ذنبا فيقول له هل كنت توالي أوليائي ؟ قال كنت من الناس سلما ! قال فهل كنت تعادي أعدائي ؟ قال ربِّ لم يكن بيني وبين احد شيء . فيقول الله عز وجل لا ينال رحمتي من لم يوالِ أوليائي ويعاد أعدائي)[١] . فهذا الحديث تنبيه للذين يظنون أنهم في سلامة من أمرهم وهم يقفون موقف المتفرج في صراع الإسلام وأهله مع قوى الكفر والضلال ، وهو كذلك تحذير للذين يفعلون أكثر مما يفعله المتفرجون ، تحذير للذين يداهنون الكفار ويوالونهم ، ولا يرون بذلك بأساً أو غضاضة ، ففي الحديث عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : (من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام)[٢] .

ثانياً : روي عن أبي بكر محمد بن عمر بن حزم عن أبيه عن جده عمرو أن رسول الله (ﷺ) كتب لعامر بن الأسود (بسم الله الرحمن الرحيم) (هذا كتاب من محمد رسول الله (ﷺ) لعامر بن الأسود المسلم ، إنه له ولقومه من طيء ما اسلموا عليه من بلادهم ومياههم ما اقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وفارقوا المشركين) كتبه المغيرة ، أخرجه أبو موسى[٣] .

ثالثاً : ما روى أبو ياسر بن أبي حبة بإسناده عن عبدالله بن احمد حدثني أبي حدثنا اسماعيل حدثنا سعيد الحريري عن أبي العلاء بن الشخير

---

(١) انظر تحفة الأخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران / تأليف حمود بن عبد الله التويجري ص ٣٨ .

(٢) رواه الطبراني وأبو نعيم وغيرهما بأسانيد فيها مقال عن عبد الله بن بسر (رضي الله عنه) مرفوعا ـ ولكن معناه موافق لعموم الأدلة انظر تحفة الأخوان / محمود التويجري ص ٧٥ .

(٣) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير جـ ٣ ص ٧٧ .

قال : كنا مع مطرف في سوق الأبل بالربذة فجاء إعرابي معه قطعة أديم وجراب فقال من يقرأ أو فيكم من يقرأ قلت نعم ! فأخذته فإذا فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله ، وفارقوا المشركين ، وأعطوا الخمس مما غنمتم، وأقروا بسهم النبي (ﷺ) وصفيه ، فأنتم آمنون بأمان الله وأمان رسوله)[١] .

رابعاً : ما روى عن أسامة بن زيد (رضي الله عنه) قال: دخلت مع رسول الله (ﷺ) على عبد الله بن أبي في مرضه نعوده فقال له النبي (ﷺ) (قد كنت نهيتك عن حب يهود . فقال : عبدالله . فقد أبغضهم سعد بن زرارة فمات)[٢] .

خامساً : ما روي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال : اعتبروا الناسر بإخوانهم[٣] .

سادساً : جاء في كتاب كتبه النبي (ﷺ) بين المهاجرين والأنصار وواد ع فيه اليهوَد وعاهدهم ، ما يدل على تناصر المؤمنين وأنهم يد واحدة على من خالفهم جاء فيه (وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة[٤] ظلم ، أو إثم ، أو عدوان ، او فساد بين المؤمنين وأن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمناً في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن ، وإن ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم ، وإن المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس[٥] .

(١) رواه البيهقي . انظر السنن الكبرى للبيهقي جـ ٩ ص ١٣ وانظر اسد الغابة لابن الأثير جـ ٥ ص ٣٩ ـ ٤٠ .
(٢) انظر مسند أحمد جـ ٥ ص ٢٠١ وانظر سنن ابي داود جـ ٣ ص ١٨٤ .
(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٥٧ .
(٤) الدسيعة ـ العظيمة ـ انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢٨٢ ـ ٢٨٣ .
(٥) انظر السيرة لابن هشام جـ ٢ ص ١٤٧ ـ ١٤٩ وانظر تهذيب سيرة ابن هشام / عبد السلام هارون ص ١٤٠ ـ ١٤١ .

سابعاً : ما روي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : (لا تصاحب الا مؤمنا ، ولا يأكل طعامك إلا تقي)[1] .

ثامناً : روى الامام أحمد في مسنده أن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت : قال رسول الله (ﷺ) : (ألا أخبركم بخياركم قالوا : بلى ، قال : فخياركم الذين إذا رُؤُا ذُكر الله تعالى. ألا أخبركم بشراركم قالوا : بلى . قال : فشراركم المفسدون بين الأحبة المشاؤن بالنميمة الباغون للبراء العنت[2] .

ومن خلال الآحاديث المتقدمة يتأكد لدي أن المسلم مأمور بمفاصلة المشركين وعداوتهم، وعدم اظهار التقدير والتكريم لهم ، ولا يجوز احترامهم إلا في حالة واحدة ، وهي ما اذا أراد المسلم تأليف قلوبهم للدعوة الى الإسلام ، فيجوز له البر بهم ، والتظاهر بحسن المعاشر لهم ، ولا تدخل محبتهم قلبه إلا بعد إسلامهم ، ودخولهم في عداد المسلمين .

أما فيما يتعلق بمحبة المؤمنين والمسلمين ، ووجوب مناصرتهم بالقول والفعل والاعتقاد ، فإن السنة قد دلت على ما دل عليه القرآن الكريم ، من أن الموالاة في الله والمعاداة فيه ، أصل من أصول الإسلام ، لا يصح إسلام المرء إلا بهما فمن خالف ذلك فقد خالف ما قرره الله ورسوله في الكتاب والسنة ، من وجوب موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين .

---

(١) رواه أبو داود ، والترمذي بإسناد لا بأس به. انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٣٤١ رقم الحديث (٣٦٧) .

(٢) انظر مسند الإمام أحمد جـ ٦ ص ٤٥٩ وقال عنه ابن الأثير انه حديث غريب ، انظر النهاية في غريب الحديث والأثر جـ ٣ ص ٣٠٦ باب العين مع النون .

المبحث الثالث

أقوال السلف الصالح في الموالاة في الله والمعاداة فيه

أولاً: يروى عن ابـن مسعـود[1] (رضي الله عنـه) أنـه قال (تـقـربـوا الـى الله ببغض أهل المعاصي، والقوهم بوجوه مكفهرة، والتمسوا رضى الله بسخطهم، وتقربوا الى الله بالبعد منهم)[2]؟

وروى أبو نعيم في الحلية عن ابن مسعود أنه قال: لا يقلدن أحدكم

---

(١) هو عبدالله بن مسعود بن غافل حليف بني زهرة، كان إسلامه قديماً حيث أسلم مع سعيد ابن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقيل عنه إنه قال لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الأرض مسلم غيرنا، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة، وهاجر الهجرتين، وصلى القبلتين، وشهد بدرا وأحداً والخندق وبيعة الرضوان، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله (ﷺ) وهو الذي اجهز على أبي جهل وشهد له الرسول (ﷺ) بالجنة، توفي بالمدينة سنة (٣٢ هـ) ودفن بالبقيع. انظر أسد الغابة لابن أثير جـ ٣ ص ٢٥٦ - ٢٦٠.

(٢) انظر تحفة الاخوان / حمود التويجري ص ٥٦.

دينه رجلاً ، فإن آمن آمن وإن كفر كفر ، فإن كنتم لا بد مقتدين ، فاقتدوا بالميت فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة)[1] ا. هـ.

ثانياً : عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال : (كل اخاء منقطع إلا اخاء كان على غير طمع)[2] ا. هـ .

ثالثاً : اخرج ابو نعيم عن حسان بن عطية أن أبا الدرداء[3] (رضي الله عنه) كان يقول : (لا تزالون بخير ما أحببتم خياركم ، وما قيل فيكم بالحق فعرفتموه ، فإن عارف الحق كعامله)[4] ا. هـ .

رابعاً : قال ابن مسعود (رضي الله عنه) (لو أن رجلاً قام يعبد الله بين الركن والمقام سبعين سنة لبعثه الله مع من يحب يوم القيامة)[5] ا. هـ . وهذا الاثر موافق لمعنى الحديث الصحيح (المرء مع من احب)[6] وقال الحسن (رضي الله عنه) مصارمة الفاسق قربان الى الله)[7] ا. هـ.

خامساً : ما يصوره لنا موقف خالد بن الوليد (رضي الله عنه) مع مجاعة

---

(١) انظر الحلية لأبي نعيم جـ ١ ص ١٣٦ .

(٢) انظر كنز العمال / عبد الرحمن جلال الدين السيوطي جـ ٨ ص ٢٣٦ .

(٣) هو عويمر بن مالك بن زيد بن قيس بن أمية بن عامر ويكنى(بأبي الدرداء) تأخر إسلامه قليلا وكان آخر أهل داره إسلاماً وحسن إسلامه ، وكان فقيها عاقلاً حكيماً ، آخى رسول الله (ﷺ) بينه وبين سلمان الفارسي (رضي الله عنهما) وتولى ابو الدرداء قضاء دمشق في خلافة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وتوفي قبل ان يقتل عثمان بسنتين . وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٥ ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .

انظر الحلية لأبي نعيم جـ ١ ص ٢١٠ .

(٥) انظر فضيلة الألفة والأخوة ـ مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) الورقة (٧٨) المؤلف غير معروف ، يعتقد أنها مؤلفة في القرن التاسع الهجري .

(٦) رواه مسلم صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٣٢ (باب البر والصلة) .

(٧) انظر فضيلة الألفة والأخوة الورقة (٧٨) .

ابن مـرار الحنفي اليمـامي ، أن الميـل الى أصحـاب البـاطـل ومـوادعتهم ، موالاة لهم فقد كان مجاعة بن المرار الحنفي من أهل اليمامة قد وفد هو وأبوه على النبي (ﷺ) وكان من رؤساء بني حنيفة وأقطعهما النبي (ﷺ) العودة وعوانة والجبل ، ثم لما حصلت الردة مال مجاعة الى تأييد قومه من أصحاب مسيلمة ، ولما سار خالد الى اليمامة حين ارتدوا قدم مائتي فارس ، وقال من أصبتم من الناس فخذوه ، فأخذوا (مجاعة) في ثلاثة وعشرين رجلا من قومه ، فلما وصلوا الى خالد قال مجاعة يا خالد ، لقد علمت أني قدمت على رسول الله (ﷺ) في حياته فبايعته على الإسلام ، وأنا اليوم على ما كنت عليه ، أمس ، فإن يك كذاباً قد خرج فينا فإن الله يقول : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[1] فقال خالد : يا مجاعة ، تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه ، أنت أعز أهل اليمامة وقد بلغك مسيري اقرارا له ورضاءً بما جاء به ، فهلّا أبيت عذراً ، وتكلمت فيمن تكلم ، فقد تكلم ثمامة ابن أُوثال فرد وأنكر ، وتكلم الْيَشْكُري ، فإن قلت أخاف قومي ، فهلا عمدت اليَّ أو بعثت الي رسولاً ، فقال : إن رأيت يـا ابن المغيرة أن تعفو عن هذا كله ، فقال قد عفوت عن (رمك)[2] ولكن في نفسي حرج من تركك[3] ا. هـ .

سادساً : في سنة (١٣٨ هـ) من الهجرة نشأ خلاف كبير بين الأخوين ، سلطان الشام ، الملك الصالح اسماعيل ، وسلطان مصر ، الملك الصـالح نجم الـدين أيوب ، كـان من نتيجته أن استعـان الملك

---

(١) سورة الأنعام آية (١٦٤) .

(٢) أي سجنك . انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٣٧٥ .

(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٨٩ ـ ٢٩٠ وص ٢٩٩ ـ ٣٠٠ وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة / لابن الأثير جـ ٤ ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .

اسماعيل بالصليبيين أعداء الإسلام والمسلمين ، وتحالف معهم على قتال أخيه نجم الدين ، وأعطاهم مقابل ذلك مدينة صيدا ، على رواية السبكي[1] . وكذلك قلعة صفد وغيرها على رواية المقريزي[2] . وأمعن اسماعيل في هذه الخيانة ، فسمح للصليبيين أن يدخلوا دمشق ، ويشتروا منها السلاح وآلات الحرب، وما يريدون .

فأثار هذا الصنيع المنكر استياء عامة المسلمين وعلمائهم فهب الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام وصعد على منبر الجامع الأموي بدمشق في يوم الجمعة ، وخطب الناس وأفتى بتحريم بيع السلاح للأعداء ، وأنكر بشدة على الملك اسماعيل خيانته وفعلته النكراء ، والغى من الخطبة الدعاء المتعارف عليه للسلطان اسماعيل وهذا بمثابة الإعلان بنزع البيعة منه ، وأبدل ذلك بقوله (اللهم أبرم لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك ويذل فيه أهل معصيتك ، ويؤمر فيه بالمعروف وينهى فيه عن المنكر)[3] ا . هـ .

ولم يكن السلطان حاضرا تلك الخطبة ، فلما علم أمر بعزل الشيخ واعتقاله مع صاحبه الشيخ ابن الحاجب المالكي لاشتراكه معه في هذا الإنكار[4] .

سابعاً : قال ابن جرير الطبري في قوله تعالى **﴿ فليس من الله في شيء ﴾**[5] يعني فقد بريء من الله وبريء الله منه لارتداده عن دينه[6] ا . هـ .

---

(١) انظر طبقات الشافعية للسبكي جـ ٥ ص ١٠٠ وبعدها .

(٢) انظر كتاب السلوك للمقريزي جـ ١ ص ٣٠٣ .

(٣) انظر وا إسلاماه / أحمد باكثير ص ١٠٠ .

(٤) المصدر السابق المكان نفسه .

(٥) سورة آل عمران آية (٢٨) .

(٦) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٨٨ وانظر الدرر السنية جـ ٢ ص ١٧٦ وانظر ص ٦٥ - ٦٦ من هذه الرسالة .

ثامناً : يفهم من كلام ابن تيمية (رحمه الله) قوله : إن ظاهر النصوص يدل على كفر من تولى الكفار . نقل ذلك عنه حمد بن عتيق في بعض ما كتبه[١] . وقد سئل شيخ الإسلام (رحمه الله) عن المعاون لأعداء الله فقال حكمه حكم المباشر وبهذا قال ابو حنيفة ومالك وأحمد[٢] .

تاسعاً : يقول ابن كثير[٣] في تفسيره ، إن من يوال الكفار من دون المؤمنين ويسر اليهم بالمودة فهو كافر مرتد ، ويستدل على ذلك بقول الله تعالى **﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾**[٤] إلا ما استثنى الله ممن يكره اكراها ملجئا[٥] ا . هـ .

عاشراً : يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) (لو أن رجلاً أقر بأن الإسلام نهى عن الشرك ، ولم يفعل الشرك بنفسه ، ولكنه زينه للناس ، ورغبهم فيه ، اليس هذا كافراً مرتداً)[٦] .

وعلى هذا القول يحكم بكفر الذين يدعون إلى الأحزاب الكافرة ، من شيوعية ، أو اشتراكية ، أو بعثية ، او ماسونية ، أو علمانية ، او نحو

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٨٨ وانظر الدرر السنية جـ ٢ ص ١٧٦ .
(٢) انظر الفتاوى لإبن تيمية جـ ٣٥ ص ٩١ .
(٣) هو اسماعيل بن عمر بن كثير الشافعي المعروف بابن كثير (عماد الدين ، أبو الفداء) ولد سنة (٧٠٠ هـ) يجندل من أعمال بصرى ، ثم انتقل الى دمشق ونشأ بها ، وتعلم العلم فيها ، فهو محدث ، مؤرخ ، مفسر ، فقيه ، توفي في شعبان سنة (٧٧٤ هـ) ودفن بمقبرة الصوفية ، عند شيخه ابن تيمية (رحمهما الله جميعاً رحمة واسعة) من تصانيفه : تفسير كبير يقع في عشر مجلدات ، مختصر علوم الحديث لابن الصلاح ، البداية والنهاية في التاريخ . الفصول في سيرة الرسول (ﷺ) وجامع المسانيد ، جمع فيه آحاديث الكتب الستة والمسانيد الأربعة : انظر معجم المؤلفين جـ ٢ ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ .
(٤) سورة آل عمران آية (٢٨) .
(٥) انظر مختصر تفسير ابن كثير / محمد علي الصابوني م ١ ص ٢٧٦ .
(٦) انظر الرسائل الشخصية / محمد بن عبد الوهاب ص ٢٩ .

ذلك ، وإن لم يكونوا من المعتنقين لها والمنضمين اليها ، ويلحق بذلك ايضا دعاة الدعارة والفساد في وسائل الإعلام ، الذين يزينون الفاحشة ، وهتك القيم والأخلاق الإسلامية ، وإن لم يمارسوا الفساد بأنفسهم ، ويطبقوه على أهليهم ، لأن من كره ما أحل الله ، ودعا إلى ما حرم الله ، فقد استحق غضب الله عليه .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) (لو أن انساناً كره ما أنزل الله ، أو أمر الرسول (ﷺ) به أمر استحباب ، وصد الناس عن ذلك كركعتي الفجر مع علمه بما قال الرسول (ﷺ) أليس هذا كافرا مرتدا ؟

فكيف بمن سب دين الله الذي بعث الله به جميع أنبيائه ، مع اقراره ، ومعرفته به ، ومدح دين المشركين ، الذي بعث الله أنبيائه بإنكاره ، وبيان بطلانه[1] ا. هـ .

وقال الفضيل بن عياض[2] : (من أحب صاحب بدعة أحبط الله عمله ، وأخرج الإسلام من قلبه ، ومن زوج كريمته من مبتدع فقد قطع رحمها : ومن جلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة ، واذا علم الله من رجل أنه مبغض الصاحب بدعوة رجوت أن يغفر الله له[3] ا. هـ .

فإذا كان هذا كله في صاحب البدعة وهو على دين الله . فما بالك بمن يوالي من يدعون خصائص الألوهية في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله ومع ذلك كله يقرهم على هذا الإدعاء ، ويواليهم ويناصرهم عليه ، فهذه ليست موالاة مبتدع على بدعته بل هي موالاة كافر على كفره ، او مشرك على شركه ويذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) أنه

---

(١) انظر الرسائل الشخصية / محمد بن عبد الوهاب ص ٣٠ .
(٢) انظر ترجمته في ص ١٤٤ من هذه الرسالة .
(٣) انظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٧ ص ٢٧٨ .

لا يحكم بالكفر إلا على من عرف التوحيد ثم عاداه ، وعادى من يلتزمونه ، وصد الناس عنه ، فيقول : (ولكن نكفر من اقر بدين الله ورسوله ، ثم عاداه وصد الناس عنه ، فهذا الذي اكفره ، وكل عالم على وجه الأرض يكفر هؤلاء ، إلا رجلاً معانداً ، أو جاهلاً بأحكام الإسلام[1] .

ثم يقول نكفر من أشرك بالله ، بعد ما نبين له الحجة على بطلان الشرك ، وكذلك نكفر من حسنّ الشرك للناس ، وأقام الشبه الباطلة على اباحته ، وكذلك من قام بسيفه ـ دون مشاهد الشرك ، وقاتل بسيفه دونها ، وأنكر وقاتل من يسعى في ازالتها[2] .

وفي رسالة بعث بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، الى محمد بن عيد ، ذكر فيها انه يحكم بكفر من بان له أن التوحيد هو دين الله ورسوله ، ثم أبغضه ونفر الناس عنه ، وجاهد من صدق الرسول فيه ، وكذلك من عرف الشرك وأن رسول الله (ﷺ) بعث بإنكاره ، وأقر بذلك ليلاً ونهاراً ، ثم مدحه وحسنه للناس ، وزعم أن أهله لا يخطئون لأنهم السواد الأعظم فحكمه الكفر[3] .

ثم يقول : (وإني لا أكفر أحداً بالظن ، أو بالموالاة للكفار ، أو بالجهل ما لم تقم عليه حجة البلاغ[4] ا. هـ.

ومفهوم كلام الشيخ (رحمه الله) أن من قامت عليه حجة البلاغ بشأن موالاة الكفار ثم والاهم بعد ذلك فهو كافر .

ويرى قتال من أبغض التوحيد ، ونفر الناس عنه ، ومدحه وحسنه ،

---

(١) انظر مجموع الرسائل الشخصية / محمد بن عبد الوهاب ص ٥٨ .
(٢) المصدر السابق ص ٦٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٥ .
(٤) المصدر السابق المكان نفسه .

ووالى اعداء التوحيد ، وخصوم الإسلام ، بعد معرفته له ، وذلك عمل بقوله تعالى **﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾**[1] .

ثم يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) : (وقد أجمع العلماء على ان من سب الشرع ، او سب الآذان ، او سب شيئا من أحكام الإسلام الثابتة انه كافر مرتد[2] .

وهذا يدل ـ والكلام للشيخ ـ على أن الإنسان قد يكفر بكلمة ، أو عقيدة قلب أو فعل من أفعال الشرك .

فكيف بمن جاهد بنفسه وماله ورأيه ، أهل التوحيد ، وأطاع أهل الشرك والضلال ؟ أليس ذلك أولى بوصف الكفر والردة عن الإسلام[3] ؟ .

ثم يقول : (لو قدرنا فرضاً أن السلطان المسلم في المغرب ظلم أهل المغرب ظلما عظيما ، في أموالهم ، وأنفسهم ورأوا أنه لا مخرج لهم بذلك الا ـ بالاستنجاد بالفرنج ، وعلموا يقينا أنهم لا يوافقونهم ، إلا أن يقولوا نحن معكم على دينكم ودنياكم ، وأنكم على حق ، والسلطان على باطل ، وتظاهروا معهم بذلك ، مع أنهم لم يدخلوا في دين الفرنج حقيقة ، ولم يتركوا دين الإسلام بالفعل ، لكن تظاهروا بما ذكرنا، ومرادهم في ذلك دفع الظلم عنهم فلا يشك أحد أنهم مرتدون .

حيث صرحوا أن دين الكفار هو الحق ، ودين السلطان الذي هو الإسلام هو الباطل ، مع علمهم أن الحق والصواب عكس ما قالوا ، ولكنهم قالوا ذلك كراهية للسلطان ولما فيه من ظلم[4] ا. هـ.

وهذا المثال ينطبق على كثير ممن يدعون الإسلام اليوم ، فقد انحرف

---

(١) سورة الأنفال آية (٣٩) .
(٢) انظر الرسائل الشخصية / محمد بن عبد الوهاب ص ٢٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٧ .
(٤) المصدر السابق ص ٢٨ .

كثير من الناس وارتدوا عن الاسلام ، ووالوا أعداء المسلمين ، بحجة فساد العلماء والحكام المسلمين ، فانضموا الى الأحزاب الكافرة ، واعتنقوا المبادىء الضالة كوسيلة من وسائل التخلص من حكم الحكام الظالمين وتسلط العلماء النفعيين ، وهؤلاء أخطأوا الطريق ، فهم كالمستجير من الرمضاء بالنار ، فكراهيتهم لبعض المسلمين الذين يمثلون الاسلام تمثيلاً زائفاً جعلتهم يكرهون الإسلام نفسه ، وينفرون منه ، وينفرون الناس عنه ، لاعتقادهم الخاطىء أن الدعوة إلى الإسلام ، تخدم مصالح هؤلاء الذين يتاجرون باسم الإسلام . وهذا التصور والفهم ، هو غاية الجهل والسطحية والسذاجة حيث أن الإسلام حجة على الناس ، وليست أعمال الناس حجة على الإسلام ، ولأن الإسلام يحكم على الأشخاص من خلال قيمه وتصوراته ، ولا يحكم على الإسلام من خلال افعال الناس وتصرفاتهم فسوء ألتطبيق للإسلام من بعض المسلمين ، يجب أن لا نُحَمِّل ذلك الخطأ مبدأ الإسلام نفسه ، حيث إن نظرية الإسلام الأساسية ، قائمة على العدل والإنصاف فإذا سرق الحاكم او ظلم ، او ارتشى القاضي وجار في حكمه ، او نافق العالم وداهن ، فالإسلام بريء من كل هذه السيئات والتصرفات ، لأن أحكامه تأبى مثل هذه الأعمال وتنكرها ، ويعتبر الأفراد مسؤولين عن هذا التصرف ومجزيين عليه في الدنيا والآخرة ، والإسلام بريء منهم ومن تصرفاتهم التي لا تمثله في قليل أو كثير .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) : (ومن اعتقد أن لأحد من الناس طريقاً غير متابعة محمد (ﷺ) أو أنه لا يجب عليه ابتاعه ، أو أنَّ له او لغيره الخروج عن اتباعه ، أو قال إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعة الله كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى (عليه السلام) فقد كفر في هذا كله)[1] .

---

(١) انظر الرسائل الشخصية / للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٦٨ .

ثم يقول الشيخ في موضع آخر : (إنَّ هؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم وجوب الطاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإسلام).

كيف لا !!! وهم يحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ويسعون في الأرض فسادا ، بقولهم ، وفعلهم ، وتأييدهم . ومن جادل عنهم ، أو أنكر على من كفرهم ، أو زعم أن فعلهم هذا ولو كان باطلا ، فلا يخرجهم الى الكفر ، فأقل احوال هذا المجادل أنه فاسق لأنه لا يصح دين الإسلام ، إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم[1] .

قال تعالى **﴿ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾**[2] .

وقد نهى الله نبيه وعباده المؤمنين عن المجادلة عمن فعل ما دون الشرك من الذنوب في قوله تعالى **﴿ ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ﴾**[3] فكيف بمن جادل عن المشركين ، وصد عن دين رب العالمين[4] ا. هـ .

ان في تلك الآية ادانة صريحة للذين يظاهرون الكفار ويوالونهم من دون ـ المؤمنين ، ان المسلم الحقيقي هو الذي لا يطلق لسانه في تمجيد الكفار وتصويب باطلهم ، وهو يعلم أنهم يفعلون بالمسلمين الأفاعيل النكراء ، من قتل للنفوس البريئة ، ونهب للثروات الطائلة ، ومتاجرة بأعراض المسلمات ، فلا يتعاون مع الكفار ويمجدهم ويتعاطف معهم ، ويدافع عنهم ، الا كافر مثلهم .

إن المسلم المخلص الغيور ، هو الذي ينطلق في تعامله مع الناس

---

(١) انظر الرسائل الشخصية / محمد بن عبد الوهاب ص ١٨٨ .
(٢) سورة البقرة آية (٢٥٦) .
(٣) سورة النساء آية (١٠٧) .
(٤) انظر الرسائل الشخصية / محمد بن عبد الوهاب ص ١٩٣ .

من قاعدة الحب في الله والبغض في الله ، فيحب أهل الإسلام وإن كانوا بعيدين عنه نسباً ووطناً ، ويبغض أهل الكفر وإن كانوا قريبين منه نسباً ووطناً .

ان هناك فئة من الناس هي بمثابة إمَّعَات[1] ، تردد ما تردده وسائل الإعلام المعادية للإسلام ، فليحذر المسلم من أن يكون ببغاء يردد ما يتفوه به الأعداء ، ويكون صدى لهم في اقوالهم وأفعالهم فيخذل المؤمنين ، وينصر الكافرين على المؤمنين ، ومن فعل ذلك فقد استحق غضب رب العالمين فيا أهل الإسلام ويا حماة العقيدة الإسلامية ، لا تغتروا بمن يتمسح بالإسلام وهو من أشد أعدائه ، وألد خصومه ، فتبرروا لهم أخطاءهم ، وتتستروا على جرائمهم ، فإنكم مسؤولون عن ذلك أمام الله عز وجل يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

وقد لخص الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) بعض مقالات لابن تيمية (رحمه الله) قال في أحدها (إن من أعظم الفروق بين أهل محبة الله ، وبين من يدعي محبة الله : هو اتباع الشريعة والقيام بواجب الجهاد)[2] .

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) : (إن هؤلاء الذين يقولون التوحيد دين الله ورسوله ، ثم يبغضونه أكثر من بغض اليهود والنصارى ، ويسبونه ، ويصدون الناس عنه ، ويجاهدون في زواله ، وتثبيت الكفر بالنفس والمال والرأي ، هؤلاء يجب جهادهم وقتالهم ، بكل مستطاع ، حيث إنهم أشد من اليهود والنصارى ، وهم مصدر فتنة على هذا

(١) إمعات جمع امعة وهو الذي يقول لكل أحد انا معك ، ولا يثبت على شيء لضعف رأيه . انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢٦ .
(٢) انظر ملحق المصنفات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ١٧ .

الدين وقد أمر الله عز وجل بقتال أهل الفتنة قال تعالى ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾[1] .

ثم يقول كيف لا يكفر من جاء إلى أهل الشرك يحثهم عليه وعلى لزومه ، ويزينه لهم ويستثيرهم على قتل المؤمنين الموحدين ، وأخذ مالهم ومصادرة حقوقهم[2] إن الأدلة على كفر المسلم ، إذا أشرك بالله ، أو صار مع المشركين على المسلمين ، ولو لم يشرك ، أكثر من أن تحصر من كلام الله وكلام رسوله وكلام أهل العلم المعتمدين[3] .

الحادي عشر : سئل الشيخان حسين[4] وعبدالله[5] : أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمهم الله جميعا) عمن عاهد على السمع والطاعة ، والموالاة في الله والمعاداة فيه ، ولم يف بما عاهد عليه من الموالاة والمعاداة ولا تبرأ من دين الكفار ؟

فأجابا بأن حكمه الكفر والردة عن الإسلام[6] . وحول هذا المعنى يقول الشاعر سليمان بن سحمان الدوسري .

---

(١) سورة البقرة آية (١٩٣) .
(٢) انظر الرسائل الشخصية / محمد بن عبد الوهاب ص ٢٧٢ .
(٣) انظر الرسائل الشخصية / الشيخ محمد عبد الوهاب ص ٢٧٢ .
(٤) هو الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد في الدرعية سنة (١١٦٥ هـ) ونشأ بها في كنف والده نشأة علم وصلاح فقرأ القرآن حتى حفظه ثم تفقه على والده في المذاهب الإسلامية ، وبعد وفاة والده كان هو القائم مقام والده في نشر الدعوة ، وتعليم طلاب العلم وقد تخرج على يديه عشرات العلماء الذين تولوا القضاء في مناطق مختلفة في عهده ، وله عدد من المصنفات منها جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية ، والف مختصرا للسيرة النبوية وله رسائل متفرقة وضعت في مجاميع الرسائل والمسائل النجدية وفي اثناء حملة ابراهيم باشا على الدرعية واستيلائه عليها نقل الشيخ وابنه عبد الرحمن الى مصر وبقي فيها تحت الإقامة الجبرية حتى توفي سنة (١٢٤٢ هـ) انظر مشاهير علماء نجد / عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله ص ٣٢ . ٥٠ .
(٥) انظر الدرر السنية جـ ٨ ص ١١٣ ـ ١١٤ .
(٦) انظر الدرر السنية جـ ٨ ص ١١٣ ـ ١١٤ .

ففرض على كل امرىء نصرة الهدى وقمع ذوي الإلحاد من كل ذي صد[1]

الثاني عشر : يقول الشيخ حمد بن علي بن عتيق : (ان الأمور التي يصير بها المسلم مرتدا ، أمران :

١ ـ الأمر الأول الشرك .

٢ ـ الأمر الثاني مظاهرة المشركين على دينهم الباطل وطاعتهم في ذلك ولم يستثن من حالات المظاهرة والطاعة إلا حالة واحدة وهي الموافقة لهم في الظاهر ، مع مخالفتهم في الباطن ، وذلك اذا كان في سلطانهم ، مع مباشرة تعذيبهم وتهديدهم له)[2] ا . هـ.

الثالث عشر : قال الشيخ عبدالله بن عبد اللطيف (رحمه الله) إن كل من استسلم للكفار ، ودخل في طاعتهم وأظهر موالاتهم فقد حارب الله ورسوله ، وارتد عن الإسلام ، ووجب جهاده ، ولزمت معاداته[3] ا . هـ . وقد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا أنه يكفر ، كما في قصة المنافقين في غزوة تبوك ، فكيف بمن أظهر الكفر وساعد على إظهاره ، ودعا اليه خوفا وطمعا في ملذات الدنيا ، الا يكون اولى وأحق بالكفر والردة ممن قال بضع كلمات معدودة في مناسبة محدودة[4] .

---

(١) ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان / سليمان بن سحمان ص ٨ .

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٨٦ ـ ٢٩٦ .

(٣) انظر الدرر السنية جـ ٧ ص ١١ .

(٤) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٤ .

المبحث الرابع

ارتباط الموالاة والمعاداة بالشهادتين

ان مما يجب أن يعلمه كل مسلم ، أن الله افترض علينا جميعاً عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم ، وأوجب علينا جميعاً محبة المؤمنين ومناصرتهم بالقول ، والفعل والاعتقاد ، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان ، ومن مستلزماته العظام ، فنفى الإيمانَ عمن يوادُ من حاد الله ورسوله ، ولو كانت هذه الموادة لأقرب قريب كافر ، ولذلك فمن العلماء من عدّ الموالاة والمعاداة داخلة في معنى لا إله إلا الله ، ومنهم من توقف في ذلك فيكون في هذه المسألة قولان :

القول الأول : إن الموالاة والمعاداة من معاني لا إله إلا الله . فقد سئل الشيخ عبدالله[1] بن عبد الرحمن أبابطين عن معنى لا إله إلا الله وعن

---

(١) هو الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن بن عبد العزيز (أبابطين) ولد في بلدة الروضة من بلدان سدير في عشرين ذي القعدة سنة (١١٩٤ هـ) ونشأ بها وتعلم على يد علمائها ثم انتقل الى شقراء وتعلم على يد قاضيها الشيخ عبد العزيز الحصين ، ولما تولى سعود بن عبد العزيز بن محمد على الحرمين سنة (١٢٢٠ هـ) ولاه قضاء الطائف ، وكان بجانب ذلك =

معنى الطاغوت الذي أمرنا الله باجتنابه والكفر به .. فأجاب بأن معنى (الإله) هو المألوه الذي تألهه القلوب وتحبه ، وقد دل صريح القرآن على معنى الإله وأنه المعبود كما في قوله تعالى ﴿ **وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون** ﴾[1] .

قال المفسرون : هي كلمة التوحيد ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده ، والمعنى ، جعل هذه الموالاة لله والبراءة من كل معبود سواه كلمة باقية في ذرية ابراهيم ، يتوارثها الأنبياء وأتباعهم ، بعضهم عن بعض ، وهي كلمة ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ فتبين ، أن موالاة الله بعبادته ، والبراءة من كل معبود سواه ، هو معنى لا إله إلا الله[2] آ. هـ.

وعلى ذلك فمن أباح الشرك ، أو تولى المشركين ، وذب عنهم ، أو عادى الموحدين ، وتبرأ منهم ، فهو ممن أسقط حرمة ﴿ **لا إله إلا الله** ﴾ ولم يعظمها ولا قام بحقها ، ولو زعم أنه مسلم ، وأنه من أهلها القائمين بحرمتها[3] .

ويقول الشيخ عبد الرحمن بن حسن[4] في الآية المتقدمة إن

= يقوم بتعليم طلاب العلم ، ثم انتقل الى شقراء وتولى قضاء بلدان الوشم كلها ، وفي عهد الإمام تركي بن عبدالله أرسله الى بلدة عنيزة قاضياً عليها وذلك سنة (١٢٤٨ هـ) وبقي فيها اثنتان وعشرون سنة وفي عام (١٢٧٠ هـ) رجع الى قضاء شقراء ، وقد توفي في السابع من جمادي الأولى سنة (١٢٨٢ هـ) وله من المؤلفات : مختصر بدائع الفوائد للإمام ابن القيم ، وكتب حاشية نفيسة على شرح المنتهى ، جاءت في مجلد ضخم ، وله لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، انظر مشاهير علماء نجد عبد الرحمن بن عبد اللطيف ص ١٧٦ - ١٧٨ .

(١) الزخرف آية (٢٨) .

(٢) انظر الدرر السنية جـ ٢ ص ١٤٣ .

(٣) المصدر السابق جـ ٩ ص ٣٢٥ .

(٤) هو الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، ولد سنة (١١٩٣ هـ) في=

الله عبر على لسان ابراهيم في قوله ﴿ إنني براء مما تعبدون ﴾ عن معنى ﴿ لا إله ﴾ وعبر عن معنى قول ﴿ إلا الله ﴾ بقوله (إلا الذي فطرني ﴾ فتبين أن معنى لا اله إلا الله . هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله ، وإخلاص العبادة ، بجميع أنواعها لله تعالى[1] .

ومثل ذلك ما ذكر الله عن أصحاب الكهف في قوله تعالى ﴿ وإذا اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ﴾[2] . ففي قوله ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون) معنى ﴿ لا إله ﴾ وفي قـوله ﴿ إلا الله ﴾ هـو المستثنى في كلمة الإخلاص[3] .

ومثل ذلك ايضا قوله تعالى ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ، ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً

= بلدة الدرعية ، ونشأ بها وقرأ القرآن وحفظه وهو ابن تسع سنين ، ثم لازم حلق الذكر عند جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد توفي جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعمره ثلاث عشرة سنة ، بعد ذلك تعلم على يدي كثير من العلماء الأجلاء ، ثم جلس لطلاب العلم يدرسهم علم التوحيد والفقه ، وتولى قضاء الدرعية ، زمن الإمام سعود بن عبد العزيز وبعد سقوط الدرعية على يد ابراهيم باشا نقل الشيخ الى مصر وذلك سنة (١٢٣٣ هـ) وبقي بمصر ثمان سنوات قضاها في طلب العلم والتعليم ، ثم عندما استولى تركي بن عبدالله على نجد عام (١٢٤٠ هـ) كتب الى الشيخ يطلب قدومه فقدم سنة (١٢٤١ هـ) وتولى منصب قاضي الرياض ، وتعلم على يديه خلق كثير - توفي سنة (١٢٨٥ هـ) وله عدة ردود على ابن جرجيس وعثمان بن منصور وعلى عبد الحميد الكشميري ، وشرح كتاب التوحيد لجده محمد بن عبد الوهاب الى غير ذلك من الرسائل والشروح .

انظر : مشاهير علماء نجد / تأليف عبد الرحمن بن عبداللطيف ص ٥٨ - ٦٤ .

(١) انظر الدرر السنية جـ ٢ ص ١١٠ .
(٢) سورة الكهف آية (١٦) .
(٣) انظر الدرر السنية جـ ٢ ص ١١٠ .

أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾[1] . ففي قوله ﴿**ألا نعبد**﴾ معنى ﴿ لا إله ﴾ وفي قوله ﴿ إلا الله ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص ، فالولاء لله يتضمن البراءة من كل ما سواه[2] ا . هـ .

وفي رسالة أخرى من عبد الرحمن بن حسن ، وعلي بن حسين[3] ، وابراهيم[4] بن سيف ، إلى بعض الأخوان قالوا فيها : إن التوحيد هو إفراد الله بالعبادة ، ولا يحصل ذلك إلا بالبراءة من الشرك والمشركين باطناً وظاهراً كما ذكر الله عن إمام الحنفاء (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿ **واذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ، الا الذي فطرني فإنه سيهدين** ﴾[4] ومن الأدلة على هذا المعنى قول الله تعالى ﴿ **قال يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين** ﴾[5] ، وقال تعالى ﴿ **وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين** ﴾[6] . وقان تعالى ﴿ **ما كان ابراهيم يهودياً ولا نصرانياً رلكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من**

---

(١) سورة آل عمران آية (٦٤) .

(٢) الدرر السنية جـ ٢ ص ١٢٠ .

(٣) هو الشيخ علي بن حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولد بالدرعية وقرأ على علمائها ، وتولى القضاء بمدينة الدرعية في زمن سعود بن عبد العزيز ، وعندما استولى ابراهيم باشا على الدرعية فر المترجم له الى عمان وقطر وأقام بها حتى تولى الإمام تركي ابن عبدالله فرجع الى نجد وتولى قضاء حوطة بني تميم ، ثم نقل الى قضاء الرياض وتوفي في آخر سنة (١٢٥٧ هـ) .
انظر مشاهير علماء نجد ص ٥٣ .

(٤) هو الشيخ ابراهيم بن سيف من تلاميذ الشيخ عبد العزيز الحصين تولى القضاء في ناحية سدير من قبل الإمام عبدالله بن سعود وابنه الإمام فيصل بن تركي . انظر مشاهير علماء نجد ص ١٦٤ .

(٤) سورة الزخرف آية (٢٦ ، ٢٧) .

(٥) سورة الأنعام آية (٧٨ ، ٧٩) .

(٦) سورة البقرة آية (١٣٥) .

المشركين ﴾[1] . وقال تعالى ﴿ قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ﴾[2] . وقال تعالى ﴿ قل إني أمرت أن أكون أوّل من أسلم ولا تكونن من المشركين ﴾[3] . وقال تعالى ﴿قل إنني هداني ربي إلى صراط مستقيم ديناً قِيَمَاً مِلَّة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾[4] . وقال تعالى ﴿ ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفاً ولم يك من المشركين ﴾[5] . وقال تعالى ﴿ ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً وما كان من المشركين ﴾[6] . وقال تعالى ﴿ ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت اليك وادع إلى ربك ولا تكوننّ من المشركين ﴾[7] . وقال تعالى ﴿ منيبين إليه واتقوه واقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين ﴾[8] . وقال تعالى ﴿ وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين ﴾[9] .

فتأمل تلك الآيات ، ثم انظر كيف أكد الباري جل وعلا على رسله والمؤمنين باثنتي عشرة آية في البراءة من المشركين ومدحهم بتلك الصفة ، وهذا كله يدل بلا ريب على أن الله أوجب على المؤمنين البراءة من كل مشرك ، وأمر بإظهار العداوة ، والبغضاء للكفار عامة ، وللمحاربين خاصة ، وحرم على المؤمنين موالاتِهم والركون اليهم[10] .

---

(١) سورة آل عمران آية (٦٧) .
(٢) سورة آل عمران آية (٩٥) .
(٣) سورة الأنعام آية (١٤) .
(٤) سورة الأنعام آية (١٦١) .
(٥) سورة النحل آية (١٢٠) .
(٦) سورة النحل آية (١٢٣) .
(٧) سورة القصص آية (٨٧) .
(٨) سورة الروم آية (٣١) .
(٩) سورة يونس آية (١٠٥) .
(١٠)انظر الدرر السنية جـ ٢ ص ١٢٨ .

وهـذه البـراءة من الكفـار ، هي حقيقـة معنى (لا إلــه إلا الله) ومدلولهـا ، لا مجرد قـولها بـاللسان ، من غيـر نفي لما نفتـه من صلة بالمشركين ، ومن غير اثبات لمـا أثبتته من مـوالاة رب العـالمين [١] .

فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله ، نفي استحقاق العبادة ـ والولاء جزء منها ـ لغير الله عز وجل ، مع اثبات هذا الاستحقاق لله وحده وهو ما دل عليه قول الله تعـالى ﴿ **ولقد بعثنـا في كـل أمـة رسـولا أن اعبـدوا الله واجتنبـوا الطاغوت** ﴾ [٢] .

فلا يكفي في تحقيق معنى الشهادة أن يعبد الانسان ربه حتى يجتنب عبادة غير الله من جهة ، وينفي استحقاق أي مخلوق لأي نوع من أنواع العبادة من دون الله ، وهذا أمر متفق عليه ولا جدال فيه [٣] .

فمن والى الكفار أو تولاهم فقد كفر ، لأنه لم يحقق معنى لا اله الا الله [٤] .

وبناء على ذلك فإن الذين يتولون الكفار ، ولا يعادونهم ، لا يعبدون الله حق عبادته ، وأنهم يشركون معه في العبادة غيره ، إذ لو كانوا يعبدون الله حق عبادته ، لما أظهروا الرضا ، والمودة ، والمناصرة ، لأعداء الله وأعداء دينه ، من الكفار والمشركين والمرتدين ، فإن المسلم اذا دخل في طاعة الكفار ، وأظهر المودة والموافقة لهم على الكفر ، وأعانهم عليه بالمال أو السلاح أو الرجال ، أو الرأي وأيدهم على ذلك ، وقطع علاقتـه مع المسلمين ، أو جعل صلته بالكفار تربو على صلته بالمسلمين ، فقد خرج عن معنى لا إله إلا الله ، وارتد عن الإسلام ، وكان حكمه الكفر ، لأنه

---

(١) المصدر السابق المكان نفسه .

(٢) سورة النحل آية (٣٦) .

(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(٤) انظر كتاب ـ الايمان ـ أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ـ د / محمد نعيم ياسين ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

حينئذ يكون في عداد المشركين حكماً وفعلاً ، وهو لم يحقق معنى لا إله إلا الله ، فينفي ما نفته ، ويفعل ما أثبتته ، وإن كان يقولها عشرات المرات ، لأن القول الصادق يدل عليه العمل(١) .

وقد سئل مؤلف رسالة (أسباب نجاة المسؤول من السيف المسلول) من قبل شخص ـ ما ـ قال في سؤاله : نحن نقول لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ولا تكفون عن قتالنا ، والكفار الأولون ، إذا قالوها كُفَّ عنهم ، وأنتم تقولون أنكم تقولونها وتشركون ، فماذا نقول حتى تكفوا عنا ، أفتونا مأجورين ؟ فأجاب الشيخ بقوله : إن كلمة الإخلاص هذه قيدت بقيود ثقال ، حيث كان امام الحنفاء (عليه السلام) لم يحصل له قول (لا إله إلا الله) ولم تتم له المحبة ، والموالاة وهو امام المحبين الا بالمعاداة ، كما قال تعالى مخبرا عنه ﴿ **أفرأيتم ما كنتم تعبدون ، أنتم وآباؤكم الأقدمون ، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين** ﴾(٢) . فإنه لا ولاء إلا ببراءة ولا ولاء لله إلا بالبراءة من كل معبود سواه(٣) .

وهذا هو معنى قول لا إله إلا الله ، كما قال تعالى ﴿ **وإذ قال ابراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون ، إلا الذي فطرني فإنه سيهدين ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون** ﴾(٤) . فأورثها إمام الحنفاء (عليه السلام) لأتباعه يتوارثها الأنبياء بعضهم عن بعض ، فلما بعث نبينا محمد (ﷺ) أمره الله بقولها كما قالها أبونا ابراهيم (عليه السلام) فأنزل الله عز وجل بها سورة كاملة هي سورة الكافرون ، فأمره أن يقول : ﴿ **قل يأيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون** ﴾ . . . الى قوله : ﴿ **لكم دينكم ولي**

---

(١) انظر كتاب ـ الإيمان ـ اركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ـ د / محمد نعيم ياسين ص ١٨١ ـ ١٨٢ .
(٢) سورة الشعراء آية (٧٥ ـ ٧٧) .
(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ١٤٠ .
(٤) سورة الزخرف آية (٢٦ ـ ٢٨) .

دين﴾ . وقد عرف المشركون ذلك حين دعاهم إلى قول لا إله إلا الله ، قالوا ﴿ اجعل الآلهة الها واحداً إن هذا الشيء عجاب﴾[1].

فإن لا إله إلا الله ، معناها النفي والإثبات ، وحقيقتها الموالاة والمعاداة في الله[2] ا. هـ .

القول الثاني : قول من توقف هل الموالاة والمعاداة من معنى (لا إله إلا الله) أم لا ؟

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب : انه يجب على المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين وعدم موالاتهم ، وأوجب عليه محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان ، ونفى الإيمان عمن يواد من حاد الله ورسوله ، ولو كان أقرب قريب في النسب ، وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله ، أو من لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض علينا ذلك وأوجبه ، وأوجب العمل به ، فهذا هو الغرض والحتم الذي لا شك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها ولوازمها فهو حسن وزيادة خير[3] ا. هـ .

وعلى هذا فالقول الثاني موافق للقول الأول من حيث المبدأ ، إلا أن الشيخ سليمان يرى أن البحث في هذا الموضوع لا يضيف شيئاً جديداً طالما الأمر ثابت وجوبه شرعا ، والذي يبدو لي أن كلا القولين صواب ، إلا أن في القول الأول زيادة توضيح للأدلة ، وتأكيد لها ، وبيان لأهمية هذا الأمر ومقامه في الإسلام ، والزيادة في توضيح النصوص الشرعية مقبولة عقلاً وشرعاً ، والله الهادي الى سواء السبيل .

---

(١) سورة ص آية (٥) .
(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ١٤١ .
(٣) المصدر السابق ص ٥٠ ـ ٥١ .

المبحث الخامس

الموالاة والمعاداة في الله قولاً وعملاً

سبق ان ذكرنا أن الموالاة والمعاداة يقصد بهما اظهار الحب والبغض في الأقوال والأفعال والنوايا ، وهما بهذا الاعتبار ينقسمان الى قسمين :

القسم الأول : ما يتعلق بالقلب والوجدان ، كالمحبة والمودة(١) في الموالاة والعداوة(٢) والبغض في المعاداة .

القسم الثاني : ما يتعلق بالفعل والقول ، كالنصرة بالقول ، أو بالنفس أو بالمال أو بالرأي ، في الموالاة . أو بذل القول والنفس والمال في المعاداة .

ومن أجل ذلك فأساس هذه الرسالة يدور ويستند الى عاطفة المحبة

---

(١) المودة أخص من المحبة ، حيث إن المودة هي الحب الكثير ، والحب المجرد من المودة يكون اقل من المودة بدرجة او درجات متفاوتة .
انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ١٥١ ، ـ٢ ص ١٠٣١ .

(٢) العداوة أخص من البغض ، لأن كل عدو مُبغض ، وليس كل مبْغَض عدو . انظر محيط المحيط بطرس البستاني م ٢ ص ١٣٥٣ وما يليها .

والمودة ، والعداوة والبغضاء ، وما يترتب على تلك الأمور من أقوال وأفعال ، حيث إن الأقوال والأفعال مبنية على العواطف ومترتبة عليها ، ونابعة منها ، سواء كانت العواطف حسنة أم سيئة .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : (إن كل حركة في الوجود إنما تصدر عن محبة ورغبة ، ولكنها قد تكون محبة محمودة أو محبة مذمومة ، والمرجع في ذلك كله إلى عرف الشرع لا إلى عرف الناس)[1] ا. هـ .

وقد يأخذ علينا بعض النقاد أن من سمات هذا البحث الظاهرة غلبة الناحية العاطفية فيه ، وأنه يقل فيه الجدل المنطقي المبني على المقدمات والنتائج .

وللإجابة على هذا التساؤل نقول : بأن الموالاة والمعاداة تنطلق في أساسها من عاطفة المحبة والمودة ، أو البغض والعداوة ثم يترتب على ذلك وينبني عليه أمور قولية وفعلية ، فالأقوال والأفعال ، مرتبطة بالعواطف ارتباط الفرع بالأصل .

فمبدأ كل علم نظري وعمل اختياري هو الخواطر والأفكار فإنها توجب التصورات والتصورات تدعو الى الإرادات والإرادات تقتضي وقوع الفعل والقول ، فصلاح الأقوال والأفعال مرتبط بصلاح الخواطر والأفكار ، وفساد الأقوال والأفعال مرتبط بهما[2] . قال ﷺ : « ألا وإن في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب »[3] .

ولذلك عرف العلماء الإيمان بأنه «اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل

---

(١) انظر التحفة العراقية لابن تيمية ٣٥ .

(٢) انظر الفوائد لابن القيم ص ١٧٣ .

(٣) انظر فتح الباري جـ ١ ص ١٢٦ .

بالأركان »[1] . فبين هذه الجوانب ارتباط وتلازم لا يتحقق وصف الإيمان للمؤمن إلا بتحقق هذه الجوانب الثلاث .

ذلك أن العبادة في الإسلام ليست كلمة تقال باللسان ، وليست هي فقط الشعائر التعبدية وحدها من صلاة وصوم وزكاة وحج كما يظن بعض الناس .

ان النطق بالشهادتين ، يقتضي العمل بموجبهما ليكون موحداً من نطق بهما توحيداً حقيقياً ، ومن مقتضيات شهادة التوحيد ، الموالاة في الله والمعاداة فيه ، فمن توجه بالولاء والمحبة والنصرة للكفار أينما كانوا ، فإن هذا نقض لشهادة التوحيد ولو ظل ينطقها مئات المرات .

إن التوحيد يشمل كل حياة الإنسان وعمله وكل فكره ومشاعره وحتى خلجات النفس الداخلية التي قد يخفيها الإنسان داخل نفسه ، ولا يبينها ولكنها لا تخفى على الله تعالى . قال تعالى ﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾[2] . ويقول الله ﴿ **قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾[3] .

إن التوحيد لا يتم في حقيقة الواقع حتى تكون كل أعمال الإنسان وفكره ومشاعره مستقيمة على منهج الله مستمدة من وحي الله ، وهذا لا يعني أن الإنسان يجب أن يكون معصوما من الخطأ ، ولكن الأخطاء تتفاوت ، فمنها ما يكون سهواً وخطأ ، ومنها ما يكون عمداً وتهاوناً ، ومنها ما هو من صغائر الذنوب ، ومنها ما يكون كبيرة من كبائر الذنوب ، وقد يكون منها ما هو ردة وكفر ، وذلك يختلف باختلاف الأفعال والنيات . ولكن التوجه بالمحبة والمودة الى الكفار والمشركين ، واقامة منهج الحياة والسلوك

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٢٦٧ .

(٢) سورة غافر آية (١٩) .

(٣) سورة الأنعام آية (١٦٢ ـ ١٦٣) .

على هذا الأساس، ردة كاملة لا شبهة فيها ولا غبار عليها، حيث إن نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية تمنع موالاة الكفار جملة وتفصيلا.

فمحبة هوى النفس بغير التقيد بحب ما يحبه الله ، أو بغض ما يبغضه الله ، يعتبر شركاً وكفراً بواحاً ، قال تعالى : ﴿ **فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً** ﴾[2] . وقال تعالى ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **أرأيت من اتخذ إلهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا** ﴾[4] .

فالموالاة الحقيقية لله ، والمعاداة فيه ، يجب أن تدور عليهما الأعمال الظاهرة ، وتنتج عنهما ، فالإيمان اعتقاد بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان[5] .

والحب في الله والبغض في الله من أسس الإيمان وركائزه العظام ، والأعمال الظاهرة تصدق ذلك أو تكذبه ، وقد ربط الله عز وجل المحبة بآثارها في قوله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾[6] . فصفة المحبين لله المحبوبين عند الله أنهم يكونون ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾

---

(١) سورة المائدة آية (٤٨) .
(٢) سورة المائدة آية (٧٧) .
(٣) سورة الكهف آية (٢٨) .
(٤) سورة الفرقان آية (٤٣) .
(٥) انظر شرح الطحاوية ص ٢٦٦ .
(٦) سورة المائدة آية (٥٤) .

وهي صفة مترتبة على المحبة في الله ، فالمؤمن مع أخيه المؤمن ، سمح ، ودود ، هين ، لين ، معين ، مستجيب ، فهي الأخوة التي ترفع الحواجز ، وتزيل التكلف ، وتختلط فيها النفس بالنفس ، على محبة الله ، ومن أجل الحب في الله ، وهذا الموقف مع المؤمنين على نقيضه موقف آخر مع الكفار ، فالمؤمن فيه على الكفار شماس[1] واباء[2] واستعلاء[3] وغلظة ، فهي ليست العزة للذات ، ولا الاستعلاء للنفس ، إنما هي العزة للعقيدة ، والاستعلاء للراية التي يقف المؤمنون تحتها جميعاً في مواجهة الكافرين في كل زمان ومكان)[4] . فعندما تصل المحبة في الله الى ذروتها ، يصبح الجهاد في سبيله ، والتضحية بالنفس والمال والأهل والعشيرة ، من نتائج ذلك الحب وآثاره المشرقة .

وقد شذ بعض أهل الكلام ، في مسألة الإيمان هل هو قول وعمل أم لا ؟ فقالت جماعة ، بأن الإيمان هو تصديق القلب فقط . وقال الجمهور بأن الإيمان قول وعمل وعلى هذا ففي المسألة قولان :

القول الأول : قول الكرامية والجهمية وأبي الحسين الصالحي أحد رؤساء القدرية أن الإيمان هو الإقرار باللسان أو التصديق بالجنان . وهذا القول ظاهر الفساد حيث إن المنافقين عند هؤلاء كاملي الإيمان ولازم قولهم أن فرعون وقومه كانوا مؤمنين ، فقول يترتب عليه مثل ذلك يعتبر ظاهر البطلان فلا يحتاج فيه الى مناقشة أو جدل كلامي مع هؤلاء[5] .

القول الثاني : أما القول الثاني : وهو قول الجمهور : وهو أن الإيمان هو ما يقوم بالقلب واللسان وسائر الجوارح ، وقد قال بذلك الإمام مالك

---

(١) أي عسر في عداوته شديد على من عاداه وعانده ، لسان العرب ج ٢ ص ٣٥٨ .
(٢) والاباء الامتناع والكراهية . لسان العرب م ١ ص ١١ .
(٣) أي رفعة وشرف ، لسان العرب م ٢ ص ٨٧٤ .
(٤) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٦ ص ٧٧٥ - ٧٧٦ .
(٥) انظر شرح الطحاوية ص ٢٦٦ .

والشافعي وأحمد والأوزاعي[1] واسحاق[2] بن راهويه وسائر أهل الحديث وأهل المدينة وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين ، حيث قالوا إن الإيمان تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان[3] .

وقد شذ بعض المعاصرين في هذا فقال لا يخرج من الملة إلا الكفر الاعتقادي[4] . ثم يقول : (الأصل أنه لم يوجد دليل على أن المسلم قد نقض إيمانه فتظل القاعدة العامة بالحكم له بالإسلام بمجرد النطق باللسان أي الشهادة)[5] . وعلى هذا القول فإن الحكام الذين يحلون ما حرم الله ويحرمون ما أحل الله ويحكمون بغير ما أنزل أنهم من المسلمين الذين تجب طاعتهم وموالاتهم ونصرتهم وعلى هذا القول أيضاً أن الذين يلهبون ظهور المؤمنين بالسياط ويمزقون أجسادهم بوسائل التعذيب ويفرغون ما بجعبة بنادقهم في اجسامهم الطاهرة إن هؤلاء من عموم المسلمين وإنه يكفي لتكفير تلك السيئات مجرد النطق بالشهادتين دون العمل بمضمونهما ، إنه لا بد أن يفهم كل مسلم ويدرك كل مؤمن ، أن هناك فرقاً بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان ، بين المؤمنين الأبرار ، والكافرين الفجار ، بين أهل الطاعة وأهل المعصية ، في المعاملة والتعامل معهم ، فهذا أصل عظيم من أعظم ما يجب الاعتناء به على المسلم فرداً كان أو جماعة ، أو دولة ،

---

(١) هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي الدمشقي (ابو عمرو) ولد ببغداد سنة ٨٨ هـ ، وأقام بدمشق ، ثم تحول الى بيروت فسكنها مرابطاً الى أن توفي بها سنة (١٥٧ هـ) من آثاره : كتاب السنن في الفقه ، والمسائل في الفقه . انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٥ ص ١٦٣ .

(٢) هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد بن عبدالله المعروف (بابن راهويه) (أبو يعقوب) ولد سنة (١٦١ هـ) واصبح محدثاً فقيها ، رحل الى الحجاز ، وله مع الشافعي مناظرة في بيوت مكة ، توفي سنة ٢٣٧ هـ من تصانيفه المسند ، وكتاب التفسير . انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٢ ص ٢٢٨ .

(٣) انظر شرح الطحاوية ص ٢٦٦ .

(٤) انظر الحكم وقضية تكفير المسلم / سالم علي البهنساوي ص ٤٥ .

(٥) المصدر السابق ص ٥٤ .

لأنه قد دخل بسبب المساواة في التعامل بين الأخيار والأشرار ، من الكفر والفسوق والعصيان ما لا يعلمه إلا الله في بلاد المسلمين ، حتى صار منهم معاونين لأهل البغي والفساد ، ظناً منهم أنهم اذا كانت لهم أحوال من الصلاح في تأدية بعض شعائر العبادة فإن ذلك يكفي عن اعمال القلب والجوارح في مسألة الحب في الله والبغض فيه ، وما علم أولئك أن الله قد فرق بين أهل طاعته وأهل معصيته ، على أساس اعمالهم . قال تعالى : **﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون ﴾**[1] . وقال تعالى : **﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ما لكم كيف تحكمون ﴾**[2] . وقال تعالى : **﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾**[3] . فقرن تعالى في الآية الأولى والأخيرة بين الإيمان والعمل وبيّن اختلاف العمل بينهما . ثم بيّن نتيجة كل عمل ومآله .

والإيمان يزيد وينقص ، والعمل تابع له في ذلك ، فمن الأعمال ما يزيد الإيمان بها ، ومنها ما تنقصه حتى ينتهي الإنسان الى الكفر والردة (أعاذنا الله) من ذلك .

فإيذاء المسلم بالقول والعمل سبب في نقض الإسلام أو نفيه بالكلية قال رسول الله (ﷺ) . « المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده »[4] .

وقد سئل الشيخ حسين والشيخ عبدالله أبناء الشيخ محمد (رحمهم الله) عمن قال لا أتعرض لمن قال « لا إله إلا الله » ولو فعل الكفر والشرك وعادى دين الله .

---

(١) سورة الجاثية آية (٢١) .

(٢) سورة القلم آية (٣٦) .

(٣) سورة ص آية (٢٨) .

(٤) رواه مسلم . انظر : صحيح مسلم جـ ١ ص ٦٥ كتاب الإيمان .

فأجابا : بأن هذا وأمثاله لا يكون مسلماً[1] . بل هو ممن قال الله فيهم ﴿ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾[2].

وقال الحسن البصري[3] (رحمه الله) : (ليس الإيمان بالتحلي ، ولا بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل)[4] . وذلك أن الله تعالى يقول ﴿ إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾[5] ا. هـ .

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (ليس المراد بقول (لا إله إلا الله) قولها باللسان مع الجهل بمعناها ، وترك العمل بمقتضاها ، فإن المنافقين يقولونها وهم تحت الكفار في الدرك الأسفل من النار ، مع أنهم يصلون ويتصدقون .

ولكن المراد بقولها مع معرفة القلب لمعناها ومحبته لها ، ومحبة أهلها ، وبغض من خالفها ومعاداته[6] ا. هـ .

---

(١) انظر : مجموعة التوحيد ص ٢٨٤ وانظر الدرر السنية جـ ٨ ص ١١٢ .

(٢) سورة النساء آية (١٥١) .

(٣) هو الحسن بن يسار البصري ، تربى في بيت النبوة فقد ولد سنة (٢١ هـ) بالمدينة، ونشأ بها في كنف علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقد خرجت به أمه يوماً الى الصحابة (رضي الله عنهم) وكان ممن دعا له عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فقال اللهم فقهه في الدين وحببه الى الناس ، سكن البصرة ، وكان مثالاً للعالم المتبحر المتجرد الصدوق المخلص ، وكان له مواقف مع الحجاج وابن هبيرة وغيرهم من الولاة ، وله مواعظ جمة جمع فيها بين جزالة اللفظ وقوة المعنى وحسن الايجاز توفي ليلة الجمعة من غرة رجب سنة (١١٠ هـ) .

انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ١ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

وانظر : صور من حياة التابعين د / عبد الرحمن رأفت الباشا جـ ٢ صفحة ٦ ـ ٣٦ .

(٤) انظر : مجموعة التوحيد ص ٢٤ ـ ٢٥ .

(٥) سورة فاطر آية (١٠) .

(٦) انظر مجموعة التوحيد ص ١٠٨ .

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله): أنه لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله ومقتضاها»[1]ا. هـ.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : (إن المسلم ليقول في اليوم والليلة أكثر من سبع عشرة مرة ﴿**أهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾[2]. ولكنه مع ذلك قد يكون من المغضوب عليهم، ومن الضالين بلسان حاله، وفعاله[3] ا. هـ.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) : (إن الناس ثلاثة أصناف ، منعم عليهم، ومغضوب عليهم ، وضالون).

فالمغضوب عليهم ؛ أهل علم ليس معه عمل ، والضالون أهل عبادة ليس معها علم. والآيات وإن كان سبب نزولها في شأن اليهود والنصارى ، فهي عامة لكل من اتصف بذلك الوصف ، ما عدا صفة المؤمنين ، وهي الجمع بين العلم والعمل[4] ا. هـ.

وقال الشيخ اسحاق[5] بن عبد الرحمن بن حسن (رحمه الله) : (إن مجرد الإتيان بالشهادتين من غير علم بمعناهما ، ولا عمل بمقتضاهما لا يكون به المكلف مسلما ، بل هو حجة عليه ، خلافاً لمن زعم أن مجرد الإقرار كاف بذلك ، كالكرامية ، أو مجرد التصديق كاف في دخول الإنسان

---

(١) المصدر السابق المكان نفسه .

(٢) سورة الفاتحة آية (٦ ، ٧) .

(٣) انظر التحفة العراقية لابن تيمية ص ٤١ .

(٤) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٠ .

(٥) هو الشيخ اسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ولد بمدينة الرياض سنة (١٢٧٦ هـ) ونشأ بها وأخذ العلم عن أخيه عبد اللطيف وعن جمع من العلماء ، ورحل الى الهند سنة (١٣٠٩ هـ) وأخذ عن علماء الهند ، ثم رجع وأخذ عنه العلم جمع من طلاب العلم وله بعض الردود القصيرة ، توفي في شهر رجب سنة (١٣١٩ هـ) بمدينة الرياض . انظر مشاهير علماء نجد / عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله ص ٩٥ .

في مسمى الإسلام ، كالجهمية ونحوهم ، وقد أكذب الله المنافقين فيما أتوا به وزعموه من الشهادة ، وأكد على كذبهم ، مع أنهم أتوا بألفاظ مؤكدة بأنواع من التأكيدات[1] .

قال تعالى : ﴿ **اذا جاءك المنافقون ، قالوا نشهد أنك لرسول الله والله يعلم أنك لرسوله والله يشهد أن المنافقين لكاذبون** ﴾[2] . وقال تعالى في عاقبتهم رغم نطقهم وادعائهم الإيمان ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجدَ لهم نصيرا** ﴾[3] .

ومن هذا يتضح أن مسمى الإيمان لا بد فيه من التصديق والعمل وأن من شهد أن لا إله إلا الله ، وعبد غيره ، لا شهادة له ، وإن صلى وزكى وصام وزعم أنه مسلم .

لأن الكفر نوعان :

١ ـ كفر مطلق .

٢ ـ كفر مقيد .

فالكفر المطلق ، هو الكفر بجميع ما جاء به الرسول (ﷺ) .

والكفر المقيد هو أن يكفر ببعض ما جاء به الرسول (ﷺ) حتى أن بعض العلماء كفروا من أنكر فرعاً مجمعاً عليه ، كتوريث الجد، أو الأخت ، وان صلى وصام وزعم أنه مسلم[4] . فكيف بمن يبيح المحرمات ، أو يقر بوجودها مع علمه بها ، كالربا ، أو الزنا ، أو الخمر ؟

ثم كيف حال من يستبيح لنفسه أو لغيره ، قتل النفوس المؤمنة

---

(١) انظر : الدرر السنية جـ ١ ص ٢٦١ .

(٢) سورة المنافقون آية (١) .

(٣) سورة النساء آية (١٤٥) .

(٤) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٦١ .

البريئة ، ويسعى في محاربة الله ورسوله والمؤمنين ، عبر وسائل متعددة ، وأجهزة مختلفة ، يعادي أولياء الله ويطاردهم ، ويوالي أعداء الله ويقربهم ، ثم يضحك على البسطاء بالتمسح بظاهر الإسلام ، وهو من أشد وألد الأعداء للإسلام والمسلمين .

ولقد اجمعت الأمة الإسلامية على كفر (بني عبيدالله المهدي) المسمين ببني عبيد القداح ، مع أنهم يتكلمون بالشهادتين ويصلون ، ويبنون المساجد في قاهرة مصر ، وغيرها من المدن المصرية ، وقد ذكر أن ابن الجوزي[(١)] ، صنف كتاباً في وجوب غزوهم ، وقتالهم سماه (النصر على مصر) نظراً لما ارتكبه هؤلاء من بدع وضلالات[(٢)] .

وقد اجمع الصحابة (رضي الله عنهم) أن من أقر بنبوة مسيلمة الكذاب أنه مرتد ، ولو بقي ينطق الشهادتين ، وأن من يشك في ردته فهو كافر[(٣)] .

وقد عدوا من أصناف المرتدين - الفجأة السلمي - حيث وفد على أبي بكر (رضي الله عنه) وذكر أنه يريد قتال المرتدين - فأمده أبو بكر بالسلاح والرواحل ، فاستعرض السلمي المسلم والكافر ، يقتل من لقى منهم ويأخذ ماله ، فوصل الخبر إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فجهز جيشاً لقتاله ، فلما أحس السلمي بالجيش ، قال لأمير الجيش : أنت أمير أبي بكر وأنا أميره ،

---

(١) هو عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي القرشي التميمي البكري البغدادي ، الحنبلي ، المعروف بابن الجوزي (جمال الدين ، أبو الفرج) محدث ، حافظ ، مفسر ، فقيه ، واعظ ، أديب ، مؤرخ مشارك في أنواع العلوم . ولد ببغداد سنة (٥١٠ هـ) وتوفي بها ودفن بباب حرب . بلغت مؤلفاته مائة واثنين وتسعين مؤلفا في مختلف العلوم والمعارف .
انظر : زاد المسير في علم التفسير جـ ١ ص ٢١ - ٣١ .
وانظر : معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٥ ص ١٥٧ .

(٢) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٦٢ .

(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٥ .

ولم أكفر . فقال أمير الجيش إن كنت صادقاً فألق السلاح . فألقاه ، فبعث به قائد الجيش إلى أبي بكر فأمر بتحريقه بالنار وهو حي[١] .

فإذا كان هذا حكم الصحابة (رضي الله عنهم) في هذا الرجل مع اقراره بأركان الإسلام ، فما ظنك بمن لم يقر من الإسلام بكلمة واحدة سوى قول لا إله إلا الله بلسانه في بعض المناسبات ، مع تكذيبه لها بأفعاله[٢] . وقد قال أحد رجال البادية عندما قدم على الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) فسمع منه التوحيد ، وعرف ما كان عليه قومُه من الشرك ، قال أشهد أن قومي كفار ، وأن مطوعهم الذي يسميهم أهل إسلام أنه كافر)[٣] . فأطلق على قومه وعلى إمامهم الكفر رغم أنهم يؤدون الشهادتين مع ثباتهم على لفظها ، ولكنه أدرك بالفطرة السليمة أنهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئا وهو الشرك ، فقال فيهم ما قال ، وقد أقره على ذلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) نظراً لما كانوا متمسكين به من بدع وانحرافات تؤدي بالمتمسك بها انى الشرك .

والنطق بالشهادتين لا يكفي للكف عن قتال من لم يمتثل ببقية أركان الاسلام وواجباته ، بدليل قوله تعالى ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله** ﴾[٤] وقوله تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله** ﴾[٥] . قال المفسرون في معنى (فتنة) كفر وشرك[٦] ، ومعنى قوله : ﴿ **ويكون الدين لله** ﴾ وقوله : ﴿ **ويكون الدين كله لله** ﴾ أي يكون

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٦ .
(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٦ .
(٣) المصدر السابق المكان نفسه .
(٤) سورة البقرة آية (١٩٣) .
(٥) سورة الأنفال آية (٣٩) .
(٦) انظر تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٣٥٣ـ ٣٥٤ وانظر مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني جـ ١ ص ١٧٠ .

دين الله هو الظاهر العالي على سائر الشرائع والأنظمة ، في كافة وجوه الحياة[1] .

وقد أطلق الله عز وجل ، على تارك الحج بدون عذر الكفر ، قال تعالى : ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ومن كفر فإن الله غني عن العالمين** ﴾[2] ، وقد قاتل أبو بكر (رضي الله عنه) مانعي الزكاة وهم يقولون لا إله إلا الله ، ولكنهم حين امتنعوا عن دفع الزكاة ، أصبح نطقهم لها لا تأثير له عليهم ، في عصمة الدم والمال ، ولا في اعتبارهم من أهل الإسلام[3] . قال تعالى ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾ الى قوله ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾[4] . فبين سبحانه وتعالى أنه لا يخلي سبيلهم حتى يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، ولم يكتف بالنطق بالشهادتين ، ووافق ما دلت عليه هذه الآية ، الحديث الصحيح عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) « أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله . ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة . فإذا فعلوا عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها . وحسابهم على الله »[5] .

ومما تقدم يتبين أن المسلم اذا حدث منه قول أو فعل أو اعتقاد يناقض أركان الإسلام وأصوله ، لم ينفعه مجرد النطق بالشهادتين ، كما قال تعالى للذين تكلموا بالكلام السيء في غزوة تبوك ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم** ﴾[6] . وقال تعالى عن المنافقين ﴿ **يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم** ﴾[7] .. الآية .

---

(١) المصدرين السابقين المكان نفسه .

(٢) سورة آل عمران آية (٩٧) .

(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ١٤٥ - ١٤٦ .

(٤) سورة التوبة آية (٥) .

(٥) انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٣ .

(٦) سورة التوبة آية (٦٦) .

(٧) سورة التوبة آية (٧٤) .

فدلت الآية على أن المنافقين كفار في الواقع وإن كانوا في الظاهر يتظاهرون بالإسلام ، ودلت أيضاً على أن الكفر يكون بكل ما ينقض التصديق والمعرفة بلا إله إلا الله ، إلا ما ورد التخصيص بكونه لا يخرج من الإسلام ، كبعض الذنوب ، ما لم يستبح الإنسان فعل ما حرم الله ، فمن أباح المحرم أو حرم المباح ، فقد كفر بما أنزل الله على رسوله ، حيث يعد فعله هذا استدراك على الله وتجهيل للباري عز وجل فيما شرع وأنزل ، وهذا من أشد أنواع الكفر وأقبحها[1] .

فإذا كان في هاتين الآيتين المتقدمتين تكفير لأناس ينطقون بالشهادتين ، ويؤدون أركان الإسلام ، ويخرجون للجهاد فيه ، وبمجرد قولهم لكلمات قليلة في الباطل ، حكم الله عليهم بالكفر ، فأين موقع أهل زماننا الذين جعلوا السخرية بالدين وأهله مادة لهم في صحفهم ، واذاعاتهم ، ووسائل إعلامهم عامة ، ولم يكتفوا بذلك ، بل شنوا حرب الإبادة والتنكيل على كل مسلم غيور ، وحاصروه في كل صقع من أصقاع الأرض ، إن تلك الأدلة المتقدمة سقناها الى الذين يحسبون الإسلام تمتمات جوفاء وهمهمات خاوية ناسين أو متناسين أن الإيمان هو ما وقر في القلب وصدقه العمل[2] ؟

وحول هذا المعنى يقول الشاعر سليمان بن سحمان الدوسري ما يلي :

أو ما ترى أن القلوب اذا امتلت ... حباً وايماناً لها أنوار
ولها بذلك غيرة فتغار من ... رؤيا المعاصي والسعيد يغار
اظهار هذا الدين تصريح لهم ... بالكفر إذ هم معشر كفار
وعداوة تبدو وبغض ظاهر ... يا للعقول أما لكم أفكار

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٢٠٧ .
(٢) انظر في هذا المعنى ـ كتاب الإيمان وأثره في نهضة الشعوب / يوسف العظم ص ١٩ .

هـذا وليـس القلـب كـاف بغضــه والـحـب منه ومـا هـو الـمعـيـار
لكنـمـــا المعـيـار أن تـــأتـي بـــه جهـراً وتصريحـاً لهـم وجهـــار[1]

(١) ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان ص ٧٦ ، ٧٧ .

المبحث السادس

حكم موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين

إن الحكم على الأشياء لا يستند إلى قضايا اجتهادية ظنية وإنما ينبثق من أدلة قطعية ، ونصوص ثابتة ، من الكتاب والسنة ، وقد دل الكتاب والسنة على وجود موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين .

قال تعالى ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾[1] .

قال ابن سعدى وغيره في تفسير هذه الآية : إن الله عز وجل نهى عن ولاية الكفار ، من اليهود والنصارى وغيرهم من باب أولى ، وذكر أن مآل توليهم هو الخسران المبين في الدنيا والآخرة ، وأخبر تعالى عن الذين يجب ويتعين علينا توليهم دون غيرهم فقال تعالى ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله**

---

(١) سورة المائدة آية (٥٥ ، ٥٦) .

والذين آمنوا ﴾ فكل من كان مؤمناً تقياً ، كان الله ولياً ، ومن كان لله ولياً ، فهو ولي لرسوله والمؤمنين .

ومن تولّ الله ورسوله ، كان تمام ذلك تولي من تولاه الله ورسوله وهم المؤمنون ، الذين قاموا بالإيمان ظاهراً وباطناً ، وأخلصوا للمعبود بإقامتهم لواجبات الإسلام .

وقد أفادت أداة الحصر في قوله تعالى ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ إنه يجب قصر الولاية على من ذكرهم الله تعالى في الآية ، والتبري من ولاية غيرهم[1] ا.هـ.

قال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾[2] ..

يقول سيد قطب (رحمه الله) في هذه الآية : إن القرآن الكريم يأمر المسلم ويرشده الى وجوب اخلاص ولائه لربه ولرسوله (ﷺ) ولعقيدة الإسلام ، وجماعة المسلمين ، وعلى ضرورة المفاصلة الكاملة بين الصف الإسلامي الذي يقف فيه المؤمن ، وبين كل صف لا يرفع راية الإسلام ، ولا يتبع قيادة الرسول (ﷺ) ، ولا ينضم إلى حزب الله ، إن موالاة الفرد ومحبته لغير الجماعة المسلمة معناه الارتداد عن دين الله ، والنكول عن طريق الإسلام ، الوقوع في دائرة أولياء الشيطان ، أعاذنا الله من ذلك[3] ا هـ .

وعن موالاة الكفار بعضهم لبعض ، وعدم جواز دخول المؤمنين معهم

---

(١) انظر تفسير ابن سعدى جـ ٢ ص ٣١٠ - ٣١١ وانظر تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٢٢١ وانظر زاد المسير في علم التفسير / عبد الرحمن بن الجوزي جـ ٢ ص ٣٨٣ وانظر مختصر تفسير ابن كثير / محمد علي الصابوني جـ ١ ص ٥٢٨ وانظر فتح القدير جـ ٢ ص ٥٣ .

(٢) سورة التوبة آية (٧١) .

(٣) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٦ ص ٧٥٦ .

في الموالاة ، يقول الله تعالى مخبراً عن ذلك **﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ، إلّا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾**[1] .

فأشار سبحانه وتعالى إلى قطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، وأن الكفار بعضهم أولياء بعض ، كما أن المؤمنين بعضهم أولياء بعض وهذه حقيقة ثابتة لا يشك فيها إلا مرتاب ، فهل يمكن أن يُرفع علم الجهاد ويدحر أهل البغي والفساد ، وأن يؤمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، بدون الحب في الله والبغض في الله ، وبدون الموالاة في الله والمعاداة فيه ؟

إنه لو كان الناس متفقين على طريقة واحدة ، ومحبة من غير عداوة ولا بغضاء ، لم يكن هناك فرق بين أهل الحق وأهل الباطل ، ولا بين المؤمنين والكافرين ، ولا بين أولياء الرحمان وأولياء الشيطان[2] .

وعلى هذا فلا بد أن يكون للمؤمن اعداء يبغضهم في الله ، وأولياء يحبهم في الله ، لأن الأرض لا تخلو من اعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمينَ ، فما خلت منهم زمن الرسل والأنبياء ، فكيف بأزمان الفتنة في آخر الزمان ؟

قال تعالى **﴿ وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الأنس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ، ولو شاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ﴾**[3] . فالدنيا هي دار الصراع بين الحق والباطل ، وابتلاء الأخيار ، بالأشرار ، والمؤمنين بالفجار .

أما الدار الآخرة فهي الدار التي لا معاداة فيها ولا بغضاء ، قال تعالى : **﴿ ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانا على سرر متقابلين ﴾**[4] .

---

(١) سورة الأنفال آية (٧٣) .

(٢) انظر : مجموعة التوحيد ص ١١٧ ـ ١١٨ .

(٣) سورة الأنعام آية (١٢٢) .

(٤) سورة الحجر آية (٤٧) .

أما الدنيا فلا بد فيها من محبة المؤمنين وعداوة الكافرين ، فقد ورد في الأثر (أن الله أوحى إلى نبي من الأنبياء ، أن قل لفلان العابد ، أمَّا زهدك في الدنيا فتعجلت راحة نفسك ، وأما انقطاعك اليّ ، فتعززت به ، ولكن هل عاديت فيّ عدوا ، وواليت في ولياً[1] ؟ وقال عبدالله[2] بن عمر (رضي الله عنهما) (لو صمت النهار لا أفطر ، وقمت الليل لا أنام ، وأنفقت مالي علقاً علقاً في سبيل الله ، ثم أموت وليس في قلبي حباً لأهل طاعته ، وبغضاً لأهل معصيته ، ما نفعني ذلك شيئاً)[3] آ. هـ.

وقال الفضيل[4] بن عياض في بعض كلامه : هاه ! تريد أن تسكن الفردوس ، وتجاور الرحمن في داره مع النبيين ، والصديقين والشهداء والصالحين ، بأي عمل عملته ؟ بأي شهوة تركتها ؟ بأي غيظ كظمته ؟ بأي رحم قاطعة وصلتها ؟ثم قال: بأي قريب باعدته في الله ؟ بأي بعيد قربته في الله[5] آ. هـ.

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ١١٧ .

(٢) هو عبدالله بن عمر بن الخطاب القرشي ، أسلم مع ابيه صغيرا ، وهو لم يبلغ الحلم ، ولم يشهد بدرا لصغر سنه ، وأول مشاهده الخندق وشهد غزوة مؤتة مع جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنهم جميعا) وشهد اليرموك وفتح مصر وأفريقية ، توفي عبدالله بن عمر سنة (٧٣ هـ) وهو ابن اربع وثمانين سنة . انظر أسد الغابة / لابن الأثير جـ ٣ ص ٢٢٧ ـ ٢٣١ .

(٣) انظر فضيلة الألفة والأخوة مخطوطة بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) الورقة (٧٠) المؤلف غير معروف كتبت تقريبا في القرن التاسع الهجري .

(٤) هو الفضيل بن عياض (أبو علي التميمي) أحد الأئمة العباد الزهاد ولد بخراسان بكورة دينور ، وقدم الكوفة وهو كبير ، ثم انتقل الى مكة فتعبد بها ، وكان حسن التلاوة ، وكثير الصلاة والصيام ، وكان له مع الرشيد قصة حيث دخل الرشيد عليه منزله وأعطاه المال فرفض ذلك ، توفي في مكة في شهر محرم سنة (١٨٧ هـ) انظر البداية والنهاية / لابن كثير جـ ١٠ ص ١٩٨ ـ ١٩٩ .

(٥) انظر فضيلة الألفة والأخوة / مخطوطة بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) الورقة (٧٨) المؤلف غير معروف ، كتبت في القرن التاسع الهجري تقريبا .

وكون المسلم يستشعر دائماً عداوة الكفار ، والمنافقين ، والمرتدين ليس معنى ذلك ، أن يعيش في كآبة وحزن وضجر وضيق ومعاناة طيلة حياته نتيجة مشاهداته لأعمال أهل الكفر واختلاطه بالكفار ، وإنما المقصود من عداوة الكفار واضمار العداوة لهم وملازمة هذا الشعور نحوهم ، هو أن يتحول الشعور بعداوتهم الى عمل مثمر بناء ، وذلك بالسعي الجاد لإخراج من يريد الله هدايته من صف الكفار إلى صف أهل الإسلام ، بالدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، والأسوة الكريمة ، ومن رفض قبول الدعوة الى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ، وجب معه استعمال الأسلوب الثاني من أساليب الدعوة وهو الجهاد ، الذي شرعه الله بتحرير العقول من أن تستعبد لغير خالق العباد .

فمعاداة الكافرين في الإسلام وسيلة لشحذ الهمم في دعوة غير المسلمين الى الإسلام ، وهي كذلك وسيلة لمحافظة المسلم على خصائص الإسلام ومميزاته ، فلا يتأثر بنظم الكفر وتصوراته الجاهلية ، نظراً لما يكنه لأولئك ولنظمهم من موقف عدائي بخلاف ما لو فقد الشعور نحوهم بالبغض والعداوة ، فإنه عندئذ يستحسن أقوالهم وأفعالهم ويتأثر بهم ،وهذا أمر مشاهد وتجربة ماثلة للعيان ، فالذي يجاري الكفار في بعض الأمور ويقلدهم في اقوالهم وأفعالهم ، أقل عداوة وبغضا لهم ، ممن يفاصلهم مفاصلة تامة .

فالشعور بالعداء نحو الأعداء ليس عملاً سلبيا ، اذا أحسن استغلاله في اطار امة منظمة ملتزمة بعقيدة ومنهج معين .

ولذلك شواهد من التاريخ الواقعي .

فالصليبيون في الأندلس ظلوا يضمرون العداء للمسلمين طيلة ثمانية قرون من الزمن حتى تغلبوا على المسلمين وأبادوهم ابادة تامة ، وفر من فر من البقية الباقية الى شمال أفريقيا . فلم تمت عداوتهم للمسلمين طيلة هذه القرون العديدة ولم يذوبوا او ينصهروا مع المسلمين ، وعندما هجم

الصليبيون واستولوا على الشام والقدس قرابة قرنين من الزمن ، لم تخمد نار العداوة لهم في قلوب المؤمنين ، حتى هيأ الله لهم الخلاص على يد صلاح الدين الأيوبي . واليهود الذين يستحلون فلسطين اليوم وعلى رأسها القدس لم يفعلوا ذلك إلا عداوة للمسلمين وحقداً عليهم وتشفياً منهم ، فشعورهم بالعداء نحو المسلمين ، جعلهم عبر ثلاثة عشر قرناً يبحثون عن الفرصة السانحة التي ينقضون فيها على المسلمين فيذلونهم كما دمر المسلمون أسلافهم وقد قالوا ذلك عندما استولوا على القدس عام (١٣٨٧ هـ ١٩٦٧ م) يوم بيوم خيبر ، يا لثارات خيبر محمد مات وخلف بنات[١] .

والجنرال الصليبي غورو ، عندما تغلب على جيش ميسلون خارج دمشق توجه فورا الى قبر صلاح الدين الأيوبي عند الجامع الأموي ، وركله برجله القذرة وقال له (ها قد عدنا يا صلاح الدين)[٢] أ . هـ.

فكيف يكون أهل الباطل محتفظين بعداوتهم للإسلام والمسلمين عشرات القرون ، مستغلين كل الطرق والوسائل الظاهرة والخفية لترجمة هذه العداوة الى عمل واقعي مشهود في دنيا الإسلام والمسلمين ، أما المسلمون وللأسف الشديد فإنهم سريعاً ما ينسون اليد التي تصفعهم والقدم التي تركلهم ، ﴿نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون﴾[٣] .

إن تهاون بعض المسلمين في واجب الموالاة والمعاداة في الله ليس نتيجة لجهلهم بحكم موالاة المؤمنين، أو معاداة الكافرين، إنما الباعث الحقيقي على ذلك هو تقاعسهم عن تأدية الواجب الشرعي في ذلك حيث قد تكون مصالحهم او اهواؤهم متعارضة مع أوامر الله في الموالاة أو

---

(١) انظر قادة الغرب يقولون دمروا الإسلام أبيدو أهله ـ تأليف جلال العالم ص ٩ ، ١٥ ، ٢٩ .

(٢) انظر القومية والغزو الفكري / تأليف محمد جلال كشك . ص ٨٤ .

(٣) سورة الحشر آية (١٩) .

المعاداة ، كما هو الحال في واقع معظم الناس اليوم ، الذين يحبون للدنيا ويبغضون للهوى ، بعيداً عن مجال الحب في الله والبغض فيه . إن الحب في الله ، والبغض فيه ، هو الحب والبغض الذي يتعدى العلاقات الاجبارية ، من علاقة العمل أو الجوار أو النسب ، فالإنسان قد يحب أحداً من هؤلاء لمصلحة دنيوية فقط ، أو لتوافق الطباع السيئة بينهما ، كما قد يكره أحداً من هؤلاء لمصلحة دنيوية ، أولاختلاف النفوس والرغبات بينهما ، وهذا النوع من الحب والبغض وإن كان هو السائد في مجتمعنا المعاصر فهو ليس من قبيل الحب في الله ، أو البغض فيه .

فالحب في الله والبغض فيه ، أوسع دائرة من ذلك كله ، فهو حب وبغض على مستوى العالم أجمع ، وعلى مستوى الحياة كلها ، فالحب في الله هو حب أهل الإيمان في أي زمان ومكان ، وموالاتهم ، ومناصرتهم على ذلك .

والمعاداة في الله هي معاداة وبغض أهل الكفر والعصيان في كل زمان ومكان .

ومما تقدم عرضه يتضح أن من أحب في الله ، فلا بد أن يبغض في الله ، فإذا أحببت عبداً لأنه مطيع لله ، ومحبوب عند الله فلا بد أن تبغض الضد وتعاديه ، وذلك أمر لا يحتاج الى جدال ، لأن المتضادات ، لا يوجد أحدها إلا بانتفاء الآخر .

والحب والبغض من الأمور التي فطرت عليها النفس البشرية ، فلا يخش على الناس من تلاشي هاتين الصفتين ، أو إحداهما ، ولكن الخطر الحقيقي يكمن في صرف تلك الصفتين عن اطارهما الصحيح ، وما يجب أن يستخدما فيه من حب في الله وبغض في الله ، الى الحب المزيف والبغض المزيف كما هو شأن أهل الجاهلية قديماً وحديثاً[١] .

---

(١) انظر : ص ٣٧ ـ ٤٦ من هذه الرسالة .

وحيث تقرر بما لا يدع مجالاً للشك ، وجوب موالاة المؤمنين ، ومعاداة الكافرين ، فقد أكد الله على ذلك، وجعل هذا الأمر من سمات المؤمنين العملية ، قال تعالى ﴿ **يأيها لذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونهم أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم** ﴾[1] وقال تعالى : ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[2] .

قال بعض المفسرين: أن من يتول الكفار منكم أيها المسلمون ، فيرتد بالموالاة لهم ، فليعلم أن الله تعالى ، يأتي بقوم آخرين ينصرون هذا الدين على أبلغ الوجوه .

وقال الحسن : علم الله تعالى أن قوما يرجعون عن الإسلام بعد دخولهم فيه ، بسبب موالاتهم للكفار ، فأخبر هؤلاء بأنه سبحانه وتعالى غني عنهم ، وأنهم لن يضيروا[3] الإسلام شيئاً بنكولهم عنه ، حيث إنه تعالى سيأتي بقوم يحبهم ويحبونه ، أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين ، وأن هؤلاء بردتهم تلك لن يضروا سوى أنفسهم ، بحرمانها من منهج الحق والصواب .

وقد وصفت آية المائدة السابقة المؤمنين المحبوبين عند الله المحبين له بأنهم (أذلة) أي جمع ذليل ، لأن ذلول ـ والذل نقيض الصعوبة ـ لا يجمع على أذلة ، وانما يجمع على (ذُلُل) وليس المراد أنهم مهانون عند المؤمنين ، بل المراد المبالغة في وصفهم بالرفق ولين الجانب ، فإن من كان ذليلاً عند انسان، فإنه لا يظهر الكبر والترفع عليه البتة .

ولتضمن الذل معنى الحنو والعطف ، عدي بعلى دون اللام ، كأنه

---

(١) سورة المائدة (٥٤) الآية .

(٢) سورة الفتح آية (٢٩) .

(٣) يضيروا بمعنى يضروا . لسان العرب م ٢ ص ٥٥٩ .

قيل عاطفين عليهم ، والمراد أنهم مع شرفهم واستعلاء حالهم ، واستيلائهم على المؤمنين ، خـافضون لهم اجنحتهم ، ليضمـوا الى شرف منصبهم فضيلة التواضع « أعزة على الكافرين » أي يظهرون الغلظة والترفع على من كفر بالله ، قد اجتمعت هممهم وانعقدت عزائمهم ، على معاداة أهل الكفر وحربهم ، وبذلوا كل جهد يحصل به الانتصار عليهم[1] .

وقد : أكد الله هذا المعنى بعدد من آيات القرآن الكريم منها قول الله تعالى ﴿ **قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة** ﴾[2] .

وقول الله تعالى : ﴿ **يـأيها النبي جـاهد الكفـار والمنافقين واغلظ عليهم** ﴾[3] فهذه الآيات وغيرها مما تقدم فيها الدليل القاطع على وجوب موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ، وأن ذلك من مطالب الإسلام ومقاصده الأساسية .

إن أهم ما يميز المسلم عن غيره ، هو الولاء في الله ، فلا الصلاة ولا الزكاة ولا الحج ولا الصوم ، ولا غير ذلك من أعمال الإسلام تجعل المسلم مستقيم الإسلام ، اذا نقض ولاءه لله وللجماعة المسلمة ، قال رسول الله ﷺ « من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه ، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم »[4] .

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ١١٥ ، وانظر تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٢٢٠ . وانظر جـ ١٦ ص ٢٩٢ - ٢٩٣ من الكتاب نفسه . وانظر زاد المسير في علم التفسير جـ ٢ ص ٣٨١ - ٣٨٢ . وانظر جـ ٧ ص ٤٤٥ من الكتاب نفسه . وانظر مختصر تفسير ابن كثير / للصابوني م ١ ص ٥٢٧ وانظر م ٣ ص ٣٥٥ من الكتاب نفسه . وانظر تفسير ابن سعدى جـ ٢ ص ٣٠٨ . وانظر جـ ٧ ص ١١٠ - ١١١ من الكتاب نفسه ، وانظر فتح القدير / للشوكاني جـ ٢ ص ٢١ . وانظر حاشية تفسير الطبري جـ ٦ ص ١٦٢ (طـ - ١ - المطبعة الأميرية) .

(٢) سورة التوبة آية (١٢٣) .

(٣) سورة التوبة آية (٧٣) .

(٤) رواه احمد بهذه الزيادة وهي « وان صلى وصام وزعم أنه مسلم » وروى البخاري الحديث بدون هذه الزيادة . انظر فتح الباري جـ ١٣ ص ٥ وانظر مسند الامام احمد جـ ٤ ص ٢٠٢ .

ولذلك فإننا نلاحظ ان كل مرة ذكرت فيها كلمة حزب الله في القرآن الكريم ، إنما ذكرت بجانب الولاء مقيدة فيه مما يدل على أن الولاء لله عز وجل هو الميزان الذي يوزن به إيمان الإنسان بالله ، قال تعالى ﴿ **ومن يتولَّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا ان حزب الله هم المفلحون** ﴾[2] . فهاتان الآيتان ، بينتا أنه لا يكون الإنسان من حزب الله إلا إذا حرر ولاءه ومودته ، فلم يعطهما لعدو الله ، مهما كان نوعه ، بل الواجب على كل مسلم أن يعطي ولاءه لله ورسوله والمؤمنين بهذا الدين ، وهذه هي الصفة الأولى للمؤمنين ، قال تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله** ﴾[3] . فلا ولاء في الإسلام إلا على أساس هذا الدين ، ومنطلقاته النظرية والعملية ، وكل آصرة جاهلية يعطي الناس ولاءهم على أساسها هي آصرة باطلة فاسدة .

فآصرة العمل التي يجتمع عليها الشيوعيون ويتآخون عليها هي آصرة باطلة شرعاً وفاسدة عقلاً وواقعا . وآصرة القومية التي يتآخى عليها القوميون العرب او العجم أو الأكراد أو البربر او الاتراك او غيرهم هي آصرة باطلة شرعا حيث يقـول تعالى : ﴿ **يـأيها النـاس انا خلقنـاكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله اتقاكم إن الله عليم خبير** ﴾[4] . وآصرة الوطنية التي يلتقي عليها دعاة الوطنية غير معتبرة شرعاً

(١) سورة المائدة آية (٥٦) .
(٢) سورة المجادلة آية (٢٢) .
(٣) سورة التوبة آية (٧١) .
(٤) سورة الحجرات آية (١٣) .

وفاسدة عقلا . وآصرة الانسانية التي يروج لها دعاة الماسونية غير معتبرة شرعاً وفاسدة عقلاً وواقعا .

فالمسلم الذي يعطي ولاءه لتلك الروابط الجاهلية لم يعد مسلما حيث إن الله يأبى علينا نحن المسلمين أن نعطي ولاءنا الا لمن يرتبط معنا برباط الإيمان والإسلام قال تعالى : ﴿ **قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه اذ قالوا لقومهم انا برأؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾[1] . فالموالاة على أية آصرة من الأواصر غير آصرة الإسلام باطلة في الشرع والعقل ومخرجة لصاحبها عن الإسلام ، فمتى اعطى المسلم ولاءه للكافرين فقد صار منهم قال تعالى : ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾[2] . ومتى اعطى المسلم ولاءه للمنافقين صار منهم قال تعالى : ﴿ **المنافقون والمنافقاتُ بعضهم من بعض** ﴾[3] واذا اعطى ولاءه للمؤمنين صار منهم إذا أدى حق الإيمان . قال تعالى : ﴿ **إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون** ﴾[4] .

فقد ورد النص القرآني الكريم في استعمال أداة الحصر (إنما) التي تحصر الحكم فيما بعدها ، مما يفيد أن المؤمنين المتصفين بهذه الصفات هم وحدهم الذين تجب موالاتهم دون غيرهم من أصناف الكفار[5] . وعلى هذا فإن المسلم يجب عليه وجوبا شرعيا ان يناصر المسلمين ويهتم بأحوالهم ويشاركهم في آمالهم وآلامهم مشاركة مادية ومعنوية ، حيث اتفق

---

(١) سورة الممتحنة آية (٤) .
(٢) سورة الأنفال آية (٧٣) .
(٣) سورة التوبة آية (٦٧) .
(٤) سورة المائدة آية (٥٤) .
(٥) انظر كتاب جند الله ثقافة واخلاقا تأليف / سعيد حوى ص ١٧٢ ـ ١٧٥ .

العلماء على أنه إذا أُسر مسلم من قبل الكفار فإنه يجب على المسلمين جميعاً إنقاذه[1] .

فكيف إذا كانت شعوباً بأكملها تحت أسر الكفار وسيطرتهم أفلا يكون الواجب أعظم وألزم أيها الأخوة في الله .

(١) انظر فتح القدير جـ ٥ ص ١٩١ وانظر البحر الرائق جـ ٥ ص ٧٢ وانظر نهاية المحتاج جـ ٨ ص ٥٨ .

المبحث السابع

مــوالاة أهــل الحق تستلزم معاداة أهل الباطل

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) : (اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت والايمان بالله ، والدليل قوله تعالى ﴿ **ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت** ﴾[1] .

فأما صفة الكفر بالطاغوت ، أن تعتقد بطلان عبادة غير الله ، وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم .

وأما معنى الايمان بالله أن تعتقد أن الله هو المعبود وحده ، دون سواه ، وتخلص جميع أنواع العبادة كلها لله ، وتنفيها عن كل معبود سواه ، وتحب أهل الاخلاص وتواليهم . وتبغض أهل الشرك وتعاديهم ، وهذه ملة ابراهيم التي سفه نفسه من رغب عنها ، وهذه هي الأسوة الحسنة التي أخبر الله بها في قوله تعالى[2] : ﴿ **قد كانت لكم اسوة حسنة في إبراهيم والذين**

---

(١) سورة النحل آية (٣٦) .

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٩ وانظر الدرر السنية جـ ١ ص ٩٤ ـ ٩٥ .

معه إذ قالوا لقومهم إنا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾(١) ا. هـ.

وهذه الآيات وغيرها، تدل على أن الانسان لا يصير مؤمنا بالله إلا بالكفر بالطواغيت ومعاداتهم، ومعاداة كل الصفات الطاغوتية وأهلها ومن يروج لها من أهل الردة والنفاق وتجار الألسن وفاقدي الضمير.

إنه لا يمكن أن يستقر في قلب واحد، الإقرار بالتوحيد وأنه دين الله، ثم يعاديه، ويعرف أن الشرك هو الكفر ثم يواليه ويذب عنه، وعن أهله باللسان والمال والسنان فهذا الفعل من أعظم الذنوب وأكبر الآثام(٢).

قال تعالى: **﴿ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم إن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليـه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيـراً منهم فاسقون ﴾**(٣).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (في هذه الآيات بيان من الله سبحانه وتعالى أن الإيمان بالله وبالنبي (ﷺ) وما أنزل اليه يقتضي عدم ولاية الكفار، فثبوت موالاتهم، يوجب عدم الإيمان، **لأن عدم اللازم** يقتضي عدم الملزوم)(٤) آ. هـ.

فالبراءة من الشرك تقتضي البراءة من المشركين، **والبراءة من الأوثان** تقتضي البراءة من عابديها، قال تعالى: **﴿ انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾**(٥). الآية. فقدم الباري عز وجل البراءة من المشركين على

---

(١) سورة الممتحنة آية (٤).
(٢) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٩٦.
(٣) سورة المائدة آية (٨٠ - ٨١).
(٤) مجموعة التوحيد ص ٢٥٩.
(٥) سورة الممتحنة آية (٤).

البراءة من الأوثان المعبودة . ومثل ذلك قول الله تعالى : ﴿ **وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا** ﴾[1] . فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم ، وقال تعالى : ﴿ **فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله** ﴾[2] . فقدم اعتزالهم على اعتزال ما يعبدون . وقال تعالى : ﴿ **وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله** ﴾[3] . الآية . فأشار الى اعتزالهم واعتزال ما يعبدون من دون الله ، وهذه أدلة كافية في وجوب مباينة الكفار ، ومباينة الأفعال الخاصة بهم لمن كان قصده الحق والإهتداء بهداه ، فكم من انسان لا يقع منه الشرك ولكنه لا يعادي المشركين ولا يعتزلهم فلا يكون بذلك مسلما ، لأنه بعمله هذا مخالف لملة جميع الرسل ، فلم يقل ولم يفعل كما أمره الله ، وكما ذكر الله عن أبينا إبراهيم (عليه السلام) حيث يقول ﴿ **انا برءاؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾[4] . فتأمل كيف قدم الباري جل وعلا العداوة على البغضاء ، لأن الأولى أهم من الثانية .

فالإنسان قد يبغض الكفار ولا يعاديهم ، فلا يكون آتيا بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء معا ، ولا بد من أن تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين باديتين لكل ذي عينين ، وأن يستمر على ذلك الى غاية أن يسلم الكافر ، ويدخل في عداد المؤمنين ، ولا يستثنى من ذلك سوى المكره اكراها ملجئاً فإنه يجوز له موافقة الكفار في الظاهر مع عداوته لهم في الباطن ، واظهار العداوة لهم في اول لحظة من زوال الإكراه .

هذا في مجال اظهار العداوة لهم ، فكيف بحال من وجدت منه الموالاة ، والمواصلة والمناصرة للكفار ؟

---

(١) سورة مريم آية (٤٨) .
(٢) سورة مريم آية (٤٩) .
(٣) سورة الكهف آية (١٦) .
(٤) سورة الممتحنة آية (٤) .

أليس ذلك يدل على عدم البغضاء وعلى عدم العداوة من باب أولى ، وهذا يستلزم عدم الإيمان ، فإن الأيمان الصحيح يوجب استمرار المقاطعة ، والعداوة والبغضاء للكفار حتى يسلموا عملاً بقول الله تعالى : ﴿ **وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾[1] .

ولولا العداوة في الله لما تحمل الأنبياء والرسل والمؤمنون صنوف العذاب والأذى من الكفار ، ولكان بالإمكان مجاملتهم ومداهنتهم وطلب رضاهم وكف شرهم عن الأنفس والأموال والأعراض ، ولكن الحق لا بد أن يصطدم مع الباطل ، والنور لا بد أن يطرد الظلام .

فالرسول (ﷺ) لما قام ينذر المشركين عن الشرك ويأمرهم بالتوحيد لم يكرهوا ذلك منه اول الأمر ، واستحسنوه ، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه ، إلى أن صرح بسبب دينهم ، وتسفيه أحلامهم وتجهيل أكابرهم ، فحينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة واظهارها بالأذى له (ﷺ) ولأصحابه حتى اضطر بعض الصحابة الى الهجرة الى الحبشة ، وحوصر البعض الآخر في شعب أبي طالب ، فإذا عرفت هذا ، وعرفت أن الاسلام لا يستقيم في حق الإنسان ولو وحد الله وترك الشرك ، ما لم يصرح للكفار بالعداوة والبغضاء كما تقدم في الآيات السابقة، حيث إنه لو كان بالإمكان مداهنة الكفار، لما حمَّل رسول الله (ﷺ) نفسه وأصحابه مؤنة مواجهة الكفار بالعداوة والبغضاء، وهو أرحم الناس بأصحابه وأتباعه، مع ذلك لم يجد لنفسه ولا لأصحابه رخصة في مداهنة الكفار ومجاراتهم ومجاملتهم، وقد أحب المشركون ذلك منه، ولكنه لم يحصل من الرسول (ﷺ) وصحابته ما طلب المشركون حصوله من المداهنة والموافقة لهم على الكفر. قال تعالى: ﴿**ودوا لو تدهن فيدهنون**﴾[2]. وحول هذا المعنى قال أحد العلماء من قصيدة في غربة الإسلام مبتدئاً بنهج الرسول (ﷺ) :

---

(١) سورة الممتحنة اية (٤) .

(٢) سورة القلم آية (٩) .

ووالى وعادى في رضا الله قومه . . . ولم يثنه عن ذاك صولة قاهر[1]

فلا بد لبقاء الايمان وكماله من اعلان عداوة الكفار ، واعلان محبة المسلمين والإنضمام اليهم ، قال تعالى ﴿ **فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون** ﴾[2] . ففي قوله اشهدوا بأنا مسلمون اظهار للبراءة من الكفار وكفرهم ، وزجر عن الدخول في طاعتهم ، واشعار بوجوب التميز عنهم ، والإعتزاز بالاسلام ، والاعتداد به قولا وفعلا[3] .

وقد أجمع العلماء من الصحابة والتابعين وتابعيهم وجميع المسلمين سلفا وخلفا ، أن المرء لا يكون مسلماً إلا بالتجرد من الشرك الأكبر والبراءة منه وممن فعله ، وبغضهم ومعاداتهم بحسب الطاقة والقدرة والإمكان[4] .

وقد سئل الشيخ حسين والشيخ عبدالله ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمهم الله جميعا) عن رجل دخل هذا الدين وأحبه وأحب أهله ، ولكن لا يعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم ؟

فأجابا : بأن هذا لا يكون مسلماً إلا اذا عرف التوحيد ودان به وعمل بموجبه ، وصدق الرسول (ﷺ) فيما أخبر به وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به ، وآمن بما جاء به[5] .

فمن قال لا أعادي المشركين ، أو عاداهم ولم يكفرهم ، فهو غير مسلم وهو ممن قال الله فيهم ﴿ **ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون**

---

(١) انظر المجموع المخطوط بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (١٦٣٨) الورقة (١٥٦) أو ص ٣١١ - ٣١٢ القائل هو الصنعاني .

(٢) سورة آل عمران آية (٦٤) .

(٣) انظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٨ .

(٤) انظر الدرر السنية جـ ٩ ص ١٩٩ .

(٥) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٨٤ وانظر الدرر السنية جـ ٨ ص ١١١ - ١١٢ .

أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا ﴾[1] ا. هـ .

فمما تقدم نعلم أن الله أوجب معاداة الكفار ، ومنابذتهم وتكفيرهم ، واستمرار العداوة لهم إلى أن يسلموا. فقد روى الإمام احمد عن عمرو بن الجموح (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول : « لا يحق لعبد صريح الايمان حتى يحب لله تعالى ، ويبغض لله تعالى ، فإذا أحب لله تعالى ، وأبغض لله تبارك وتعالى ، فقد استحق الولاء من الله ، وان أوليائي من عبادي وأحبائي من خلقي الذين يُذْكَرون بذكري وأُذْكَر يذكرهم[2] » .

وفي ذلك يقول ابن القيم[3] (رحمه الله) في نونيته :

أتحب أعداء الحبيب وتدعي … حبا له ما ذاك في الامكان
وكذا تعادي جاهدا أحبابه … أين المحبة ؟ يا أخا الشيطان
شرط المحبة أن توافق من تحب … على محبته بلا نقصان
فإن ادعيت له محبة مع خلا … فك ما يحب فأنت ذو بطلان[4] .

وحول هذا المعنى يقول الشيخ سليمان بن سحمان نظما :

يوالي ويدني أهل سنة أحمد … عدوا لمن يهدى بغير هداها[5]

---

(١) سورة النساء آية (١٥١) .
(٢) رواه احمد . انظر مسند احمد جـ ٣ ص ٤٣٠ .
(٣) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد المعروف بابن قيم الجوزية (شمس الدين ، أبو عبدالله) ولد سنة (٦٩١ هـ) وهو فقيه ، أصولي ، مجتهد ، مفسر ، متكلم، نحوي ، محدث ، مشارك في غير ذلك ، ولد بدمشق ونشأ بها ، ولازم ابن تيمية وسجن معه في قلعة دمشق ، وتوفي في ١٣ رجب سنة (٧٥١ هـ) ودفن في سفح قاسيون بدمشق ، من تصانيفه الكثيرة : روضة المحبين ونزهة المشتاقين ، زاد المعاد في هدى خير العباد ، تهذيب سنن أبي داود ، الجيوش الاسلامية على حرب المعطلة والجهمية ، وله نظم ومؤلفات كثيرة . انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة . جـ ٩ ص ١٠٦ - ١٠٧ . وانظر مقدمة زاد المعاد في هدى خير العباد ص ٣ .
(٤) نونية ابن القيم ص ١٧١ .
(٥) انظر ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان / سليمان بن سحمان ص ٣ .

وقد روي عن سالم بن أبي الجعد[1] أنه قال : (العروة الوثقى هي الحب في الله والبغض في الله)[2] ا. هـ .

ومن المخالفين في موضوع الموالاة والمعاداة ما يلي :

القسم الأول : من عبد الله ووحده ، ولكنه لم ينكر الشرك ولم يعاد أهله فهو وإن وحد الله فتوحيده فاسد ، لعدم كفره بالطاغوت ، فالانسان لا يصير مؤمناً إلا بالكفر بالطاغوت ، قال تعالى : ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾[3] .

القسم الثاني : من عادى المشركين ولم يكفرهم .

فهذا النوع لم يأت بما دلت عليه (لا اله إلا الله) من نفي الشرك وما تقتضيه من تكفير من فعله ، وهذا الأمر هو مضمون سورة الاخلاص ، وسورة الكافرون ، وآيات من سورة الممتحنة ، فمن لم يكفر من صرح القرآن الكريم بكفره ، فقد خالف ما جاءت به الرسل من التوحيد ، وما يوجبه في حق الناس من حب وعداوة ، وايمان وكفر(٤) .

القسم الثالث : من لم يحب التوحيد ولم يبغضه :

وهذا الصنف للأسف الشديد هو الغالب وجوده بين المسلمين في هذا

---

(١) هو سالم بن ابي الجعد ، مولى اشجع واسم أبي الجعد رافع روى عن ابن عباس ، وابن عمر ، وجابر ، وانس ، وعبدالله بن عمرو وروى عنه عمرو بن مرة ، وأبو اسحاق . وروي عن احمد بن حنبل تضعيف رواية سالم بن أبي الجعد عن ثوبان ، وقال ليست هذه الأحاديث بصحاح ، وذكر أن سالما لم يلق ثوبان وأن بينهما معدان بن أبي طلحة وقد سئل ابو زرعة عن سالم بن أبي الجعد فقال كوفي ثقة . انظر كتاب الجرح والتعديل / للرازي جـ ٤ ص ١٨١ .

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ١٠ .

(٣) سورة البقرة آية (٢٥٦) .

(٤) انظر الدرر السنية جـ ٢ ص ٩٥ ـ ٩٧ وانظر مجموعة التوحيد ص ٣٦ .

العصر ، ومثل هذا الصنف من الناس لم يكن موحدا لله تعالى حق التوحيد لأن التوحيد الحقيقي هو الرضا بالدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده ، قال تعالى ﴿ ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾[1] . فلو رضي بما رضي الله به ، وعمل به لأحبه ، فلا اسلام إلا بمحبة التوحيد والعمل به ، ومحبة أهله ، فالإخلاص لله إنما يكون في محبة الله ، وارادة وجهه ، فمن أحب الله أحب دينه ، لأن المحبة يترتب عليها تنفيذ ما تقتضيه كلمة الإخلاص وشروط التوحيد التي منها المحبة لله وفي الله[2] .

فمن عرف الشرك وأبغضه ، لا بد أن يعرف ما يريد الله من خلقه من محبة واجلال وتعظيم له سبحانه وتعالى ، فذكر هذه الحال عن نبينا محمد (ﷺ) بقوله تعالى ﴿ فلا أعبد الذين تدعون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ﴾[3] .

فالذي يبغض الكافرين وأعمالهم ، ولكنه لم يدخل في جماعة المسلمين ويعمل لصالح الاسلام معهم ، فإن إيمانه ناقص ، نظرا لعدم موالاته لله ورسوله والمؤمنين ، فالمؤمن الحق هو الذي يكون مع المؤمنين كالعضو من الجسم كما وضح ذلك حديث الرسول (ﷺ) . وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) انه لا بد للمسلم من التصريح بأنه من هذه الطائفة المؤمنة ، حتى يقويها ويتقوى بها ويفزع الطواغيت ، الذين لا يبلغون الغاية في العداوة حتى يصرح لهم أنه من هذه الطائفة المحاربة لهم[5] ا. هـ .

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .
(٢) انظر الدرر السنية جـ ٢ ص ٩٥ ـ ٩٧ وانظر مجموعة التوحيد ص ٣٦ .
(٣) سورة يونس آية (١٠٤) .
(٤) انظر مجموعة التوحيد ص ٣٠ .

القسم الرابع : من لم يبغض الشرك ولم يحبه :

فهذا لم ينف ما نفته (لا إله إلا الله) من الشرك والكفر بما يعبد من دون الله ، والبراءة منه ، فهذا ليس من الاسلام في شيء أصلا ولم يعصم ماله ودمه ، لأنه لم يحقق معنى (لا إله إلا الله)[1] . ولأنه خالف ما ذكر الله عن أبينا ابراهيم (عليه السلام) في قوله تعالى : ﴿ **كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا حتى تؤمنوا بالله وحده** ﴾[2] . ولحديث : (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)[3] .

القسم الخامس : من عمل بالتوحيد ، ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم : فهذا لم يصحح توحيده بنفي الشرك والبراءة منه ومعاداة أهله ، فهو لم يوحد الله توحيداً كاملاً ، لأن التوحيد الحقيقي يقتضي نفي الشرك والبراءة من المشركين، وتكفير أهله بعد قيام الحجة عليهم، وهذا النوع من الناس من أشد أنواع المخالفين خطرا على التوحيد، لأنه قد يغتر بحالهم، فيقلدهم غيرهم في مداهنة الكفار والمشركين والمرتدين وهم في الحقيقة لم يأتوا بالأمور التي دلت عليها كلمة الإخلاص نفياً وإثباتاً[4] . فهم يظنون أنهم إذا أصلحوا أنفسهم ، فلهم مطلق الحرية في التعامل مع الآخرين ، بلا تمييز بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل ، وهؤلاء يخشى أن يكونوا من الداخلين تحت قول الله تعالى ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾[5] .

---

(١) المصدر السابق ص ٣٧ وانظر الدرر السنية جـ ٢ ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) سورة الممتحنة آية (٤) .

(٣) رواه مسلم . انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٣ .

(٤) انظر مجموعة التوحيد ص ٣٧ وانظر الدرر السنية جـ ٢ ص ٩٨ .

(٥) سورة الكهف آية (١٠٣ ـ ١٠٤) .

وفي ذلك يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) : (فالله الله يا أخواني تمسكوا بأصل دينكم، وأوله وآخره وأسّه ورأسه، شهادة أن لا إله إلا الله ، واعرفوا معناها وأحبوها ، واحبوا أهلها ، واجعلوهم اخوانكم ، ولو كانوا بعيدين منكم نسباً واكفروا بالطواغيت وعادوهم وابغضوهم ، وابغضوا من أحبهم ، او جادل عنهم ، أو لم يكفرهم ، أو قال ما عليَّ منهم ، أو قال ما كلفني الله بهم ، فقد كذب هذا على الله وافترى عليه اثماً مبيناً ، فقد كلف الله كل مسلم ببغض الكفار ، وافترض عليه عداوتهم ، وتكفيرهم والبراءة منهم ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم ، فالله الله تمسكوا بذلك لعلكم تلقون ربكم لا تشركون به شيئاً)[١] ا. هـ .

ويقول الشيخ المودودي (رحمه الله) : إن من مظاهر النفاق أن الإنسان يدعي الإيمان بالاسلام ويتظاهر بالانتساب إليه والتمسك به ، ثم يعيش راضيا مطمئنا في ظل نظام مناقض للذي يؤمن به ، قانعا مغتبطا في كنفه ، لا ينبض له عرق ، ولا يخفق له قلب ، إن مثل هذا الصنيع لعمر الحق من امارات النفاق ومن صميمه من غير شك[٢] ا. هـ .

القسم السادس : من ترك الشرك ، ولم يعاد أهله ، ولم يكفرهم :

فهذا الصنف داخل تحت ما ذكر في الصنف الأول ، إلا أنه يزيد عليه أن الصنف الأول يعمل بالتوحيد ، وهذا الصنف جمع بين سيئتين ، الأولى ترك الواجبات الشرعية ، والثانية مداهنة الكفار ، وعدم معاداتهم ، فهو لم يؤمن بالله إيماناً حقيقياً ولم يعمل بآوامره التي أنزل على عباده ، ولم يجتنب الطاغوت كما نهى الله عن ذلك فهو ليس من الاسلام في شيء[٣] .

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ١١١ .
(٢) انظر تذكرة الرعاة ـ للمودودي ص ٧ ـ ٨ .
(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ١٠ .

القسم السابع : من لم يشرك بالله ، ولكنه عرف التوحيد ولم يعمل به ولا أحب ولا أبغض فيه :

فهذا وأمثاله من الذين يستحقون عذاب الله ، ولو لم يكن قد حصل الشرك منهم، لأن فائدة ترك الشرك تصحيح التوحيد لله، ومن أعظم ما ينبني على التوحيد التضرع عند الله ، والالتجاء اليه وحده ، ومحبة ما يحب وعداوة ما يعادي[1] .

ومن ادعى الاسلام ونطق بشهادة (أن لا إله إلا الله) وأحبها وانتسب الى أهلها ، ولكنه لم يفرق بين أوليائها وأعدائها ، ولم يحب في الله ، ولم يبغض في الله ، فهذا عين الكفر وصريحه ، لأن حق التوحيد ليس مجرد الاقرار به ، ثم الاعراض عن أحكامه التي أهمها الحب في الله والبغض في الله ، كما سبق بيان ذلك من الكتاب والسنة[2] .

القسم الثامن : من عرف التوحيد وأحبه واتبعه ، وعرف الشرك وتركه ، ولكنه مع ذلك يكره من دخل في التوحيد وانضم الى جماعة المسلمين ويحب من بقي في مناصرة وتأييد الكفار :

فهذا النوع من الاعتقاد والتعامل كفر[3] ، يخرج به المسلم من مسمى الاسلام لأن الانسان اذا أحب نصرة الكافرين وخذلان المسلمين فهو داخل تحت قول الله تعالى : **﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم ﴾**[4] .

فالذين يؤيدون أحزاب الكفر وأحزاب الشيطان ، التي تتخذ مظاهر متعددة في البلاد الاسلامية ، بحبهم لمن ينتمي إليها ، وبغضهم لمن ينتمي

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٩٩ .
(٢) انظر المبحث الأول والثاني من الباب الأول من هذه الرسالة من صفحة ٥٧ الى ١٠٦ .
(٣) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٦٦ .
(٤) سورة محمد آية (٩) .

الى حزب الله الممثل في الجماعة المسلمة ، هؤلاء داخلون تحت هذا الحكم ، وهذا الحكم ينطبق تماماً على دعاة الشيوعية والاشتراكية أو الدعاة الى حزب البعث ، أو الأحزاب الماسونية ، أو دعاة العلمانية ، فالذين يؤيدون من ينضم الى تلك الأحزاب الكافرة ، هم كفار وإن ادعوا الاسلام ، حيث لا يدعو أحد من المسلمين الى الخروج من حزب الله الى أحزاب الكفار ، ومن فعل ذلك فليس بمسلم ، حيث لم يرض بالاسلام دينا ولم يتخذ شريعته منهجا في الحياة .

القسم التاسع : من عرف التوحيد وأنه الحق ، ولكنه لم يلتفت اليه ، ولم يتعلمه ولا دخل فيه ، ولا انضم الى جماعة المسلمين ، وبقي مع الشرك وأهله :

فهذا العمل ، وهذا الموقف كفر ، يقاتل عليه من فعله ، لأن صاحبه عرف الحق فلم يتبعه ، وعرف الشرك فلم يتركه ، مع أنه قد لا يبغض دين الله ، ولا رسوله ، ولا المؤمنين ، ولا يمدح الشرك أو يزينه للناس ، ولكنه مقبل على الكافرين بفعله مدبر عن المؤمنين .

وقد يتخذ لذلك التصرف حجة وهي حبه لأهله ووطنه ومنافعه ، فيقاتل أهل التوحيد مع أهل بلده من الكفار ، فيجاهد بنفسه وماله ورأيه ، أهل الحق مع أهل الباطل ، وهذا الموقف كفر مخرج عن الاسلام ، لأن ذلك هو غاية التولي للكفار ، وحتى لو ادعى الاكراه في ذلك ، فإن الاكراه مهما يكن ، لا يجوز معه أن يحمل المسلم سلاحه ، ضد أهل الحق من المسلمين [1] .

ومن يقف مثل هذا الموقف من أهل الاسلام ، يكون داخلا تحت قول الله تعالى : **﴿ ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كل ما ردوا الى الفتنة أركسوا فيها ، فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السَّلَمَ**

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٦٦ .

ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم أولئك جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا﴾[1].

القسم العاشر : من تساوى لديه الاسلام والكفر في الحب والبغض ، أو من يحبهما من وجه ، ويبغضها من وجه آخر .

فهذا الذي يقف من الاسلام مثل هذا الموقف ، لم يتحقق فيه معنى الإسلام وهو الاستسلام لله والانقياد له بالطاعة ، التي من أركانها موالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه ، فهو كأنه يعارض الله فيما فرض وشرع ، قال الله تعالى : **﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾**[2] .

يقول الشيخ عبد الله بن حمد الحجازي[3] (رحمه الله) اعلموا (رحمكم الله) أن أكبر الذنوب وأعظمها الشرك بالله، قال الله تعالى: **﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾**[4]. وهذا الذنب القبيح له وسائل وذرائع توصل إليه، وأعظمها موالاة أعداء الله على اختلاف أنواعها، فيا عباد الله، انتبهوا من هذه البلية العظيمة، التي صيرت أهل الإسلام وأهل الردة والضلال عند كثير من الجهال جماعة واحدة إلا من عصم الله برحمته[5] ا. هـ.

فمن كمال الايمان ، وتمام العبودية لله محبة الله ، ومحبة رسوله وأنبيائه وعباده المؤمنين ، وإن كانت المحبة التامة لا يستحقها غير الله (تبارك وتعالى) فغير الله يحب في الله ، لا مع الله .

---

(١) سورة النساء آية (٩١) .

(٢) سورة النساء آية (٦٥) .

(٣) الشيخ عبدالله بن حمد الحجازي من تلاميذ الشيخ محمد بن إبراهيم بن محمود . انظر مشاهير علماء نجد / عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبدالله ص ١٩٠ .

(٤) سورة النساء آية (١١٦) .

(٥) انظر الدرر السنية جـ ١١ ص ١٨٣ .

فإن المحب يحب ما يحب محبوبه ، ويبغض ما يبغض ، ويوالي من يواليه ، ويعادي من يعاديه ، ويرضى لرضاه ، ويغضب لغضبه ، ويأمر بما يأمر به ، وينهى عما ينهى عنه ، فهو موافق لمحبوبه فيما يأمر به وما ينهي عنه[1] . والله تعالى يحب المحسنين ، ويحب المتقين ، ويحب التوابين ويحب المتطهرين[2] ، ونحن ملزمون شرعاً بحب ما يحبه الله تعالى كما أننا ملزمون بعدم حب ما لا يحبه الله تعالى ، فالله سبحانه وتعالى ، لا يحب الخائنين ، ولا يحب المفسدين ، ولا يحب المستكبرين[3] .

ونحن أيضا يجب أن لا نحبهم ، وأن نبغضهم ، موافقة له سبحانه وتعالى في حب ما يحب وبغض ما يبغض .

فالمحبة التامة لله ، مستلزمة الموافقة للمحبوب في محبوبه ومكروهه ، وولاية من يواليه ، وعداوة من يعاديه ، ومن المعلوم أن من أحب الله المحبة الواجبة ، فلا بد أن يبغض اعداءه ، ولا بد أن يحب ما يحبه الله من الأقوال والأفعال فيحب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والذكر وتلاوة القرآن ونحو ذلك ، ويحب الجهاد في سبيل الله وما دونه من اعمال الخير[4] ، لأن كل ذلك من الأمور المحبوبة عند الله تعالى ، قال تعالى : ﴿ **إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص** ﴾[5] .

فلا بد للمسلم أن يحب الله عز وجل أولا . ثم هذه المحبة لله تجعله يكون متواضعاً مع المؤمنين ، ذا غلظة وعزة على الكافرين ، فإذا أصبح

---

(١) انظر شرح الطحاوية ص ٣١٧ - ٣١٨ .
(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم / محمد فؤاد عبد الباقي ص ١٩٢ .
(٣) المصدر السابق المكان . نفسه .
(٤) انظر شرح الطحاوية ص ٣١٨ .
(٥) سورة الصف آية (٤) .

بهذه الحال ، أحبه الله عز وجل لهذه الصفة التي اتصف بها . قال تعالى : **﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ﴾**(١) .

وقد سئل ابنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) وهما حسين وعبدالله عن رجل دخل هذا الدين وأحبه وواحب أهله ، ويبغض الشرك وأهله ، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة أهل الاسلام ، ويقاتلون أهله ، وهو يعتذر بأن مقاتلته لهؤلاء الكفار وترك وطنه من اجلهم يشق عليه ذلك ، فهو لا يستطيع مفارقة الأهل والأموال والأولاد والعشيرة .

فهل يكون كافرا أم مسلماً ؟

فأجابا بأن في ذلك تفصيل .

أولاً : أن ينظر الى هذا الشخص المقيم مع الكفار ، هل يقدر على اظهار دينه عندهم ، ويتبرأ منهم ومما هم عليه من كفر وشرك ؟ وهل يقدر على اظهار عداوته لهم ، أو أن يظهر لهم أنهم كفار ؟ وهل يأمن على أن لا يفتنوه عن دينه ، لأجل أهله وماله وولده ؟ فإن كانت الإجابات على هذه الأسئلة بنعم فهذا لا يحكم بكفره ولكنه اذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ، ومات بين أظهرهم فيخشى أن يكون داخلاً في أهل هذه الآية **﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا ، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ﴾**(٢) .

---

(١) سورة المائدة آية (٥٤) .

(٢) سورة النساء آية (٩٧ ـ ٩٨) .

ثانياً : أما إذا أظهر الموافقة للكفار على دينهم ، وأن بدعتهم وكفرهم أصوب من الإسلام ، واتهم الاسلام بالباطل والقصور ، وقاتل معهم أهل التوحيد ، بنفسه وماله ورأيه فهذا كافر مرتد ، ولو عرف الدين بقلبه وكره الكفر بقلبه ، لأن الأمر الذي يمنعه من الهجرة محبة الدنيا على الآخرة ، ويتكلم بكلام الكفر من غير اكراه ملجىء فهو داخل في قوله تعالى : ﴿ **ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة والله لا يهدي القوم الكافرين** ﴾[(١)][(٢)] ا. هـ . وحتى المكره اكراها ملجئاً لا يجوز له أن يحمل على أخيه السلاح فيقتله من اجل سلامة نفسه ـ هو ـ[(٣)] . فالاكراه يجوز معه التلفظ بكلمة الكفر ترضية للكفار أما من يحارب المسلمين بقوله وفعله ويناصر الكافرين من اجل أنه يشق عليه فراق أهله وأولاده وبلاده ، فيقتل المسلمين ، ويرمل نساءهم ، وييتم أطفالهم ، ويخفض الاسلام وأهله ، ويظهر الكفر ويجاري أهله ، مقابل ان يسلم ـ هو ـ بنفسه ، فهذا ظلم واعانة على الظلم ، قال تعالى : ﴿ **قل أغير الله أبغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون** ﴾[(٤)] .

قال القرطبي في معنى هذه الآية ، أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى ، أي لا تؤخذ نفس بذنب غيرها ، بل كل نفس مأخوذة بجرمها ومعاقبة بإثمها[(٥)] .

---

(١) سورة النحل آية (١٠٦ ، ١٠٧) .
(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٨٤ ـ ٢٨٥ ـ والدرر السنية جـ ٨ ـ ص ـ ١١١ ـ ١١٢ .
(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٢ ـ ١٩٨٣ وانظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣١٦ ـ ٣١٦ . وانظر التشريع الجنائي الاسلامي / عبد القادر عودة جـ ١ ص ٥٦٨ .
(٤) سورة الانعام آية (١٦٤) .
(٥) انظر تفسير القرطبي جـ ٧ ص ١٥٧ .

وفي مختصر تفسير الطبري : أي لا تجترح نفس اثما فيؤخذ به غيرها[1] . وعلى هذا اذا وجد حاكم ظالم يطارد أهل الحق ويبطش بهم ، وينصر أهل الباطل ويدعم باطلهم ، فلا يجوز لمن يلتزم بالاسلام قولا وفعلا ، أن يعين هذا الظالم على ظلمه ، لأنه حينئذ يخالف قول الرسول (ﷺ) « أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً » . فقال رجل : يا رسول الله ، أنصره إذا كان مظلوماً ، أرأيت إن كان ظالما ، كيف أنصره ؟ قال : (تحجزه - أو تمنعه - من الظلم ، فإن ذلك نصره)[2] .

والذي يعين الظالم على المظلوم إنما يعمل ضد مفهوم الحديث تماماً ، وهذا اثم عظيم وذنب كبير ، وتلك هي الموالاة الظالمة حيث ينصر من يجب عليه خذلانه ، ويخذل من تجب عليه نصرته .

ونود أن نذكِّر في هذا المقام الذين يوالون الكفار ويطلبون رضاهم ، بأن رضا الكفار لن يتم بما هو دون الكفر ، قال تعالى ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾[3] . فالكفار اذا أحسوا أن لدى المسلم امكانية المتابعة لهم والموالاة لهم على كفرهم ، فإنهم يتدرجون به رويدا رويدا حتى يخرجوه من الاسلام . فإذا آرادوا اقرار منكر - ما - فأول خطوة في ذلك هي ان يشتروا بعض العلماء الذين يبيعون دينهم بعرض من الدنيا ، ثم يستصدرون الفتاوى التي هم أول من يعلم ببطلانها ، ثم يطلبون التأييد على هذا المنكر الذي فعلوه بحجة أنه لا يعارض الشرع ، ثم يطلبون ممن يوافقهم مطاردة من ينكر عليهم تصرفهم هذا ، وأن يحمل السلاح ويدفع المال لقتال المعارضين لهم ، وان كان المعارض هو صاحب الحق والذي مع الحق ، وهكذا يفعل الكفار في مدعي الإسلام ترك بعض

---

(١) انظر مختصر تفسير الطبري / ابن صمادح الأندلسي / على هامش المصحف المفسر ص ١٦٥ .

(٢) رواه البخاري . انظر فتح الباري جـ ٥ ص ٩٨ (باب المظالم) .

(٣) سورة البقرة آية (١٢٠) .

الواجبات وفعل بعض المحرمات تدريجيا حتى ينسلخ المسلم من دينه ويخرج من مسمى الإسلام وهو لا يشعر[1] . ومما تقدم يتضح أنه يجب على المسلم أن يقف موقفاً صلباً من أعداء الإسلام والمسلمين وان لا يتنازل عن شيء من واجبات الإسلام مهما كانت الدوافع والأسباب ، وأن يقاطع اهل الشرك ويتبرأ منهم ومن شركهم ويجاهدهم ويكفرهم ، ويقر بإباحة دمائهم وأموالهم ما داموا على الكفر . فلا يكون المؤمن موحدا الا بهذا وهو مقتضى كلمة الإخلاص (لا إله إلا الله) حيث يقول الله عز وجل ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾[2] . فهذا شأن كل مؤمن مع المؤمنين، ويقول الله تعالى عن الكفار ﴿ **والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير** ﴾[3] .

فلا يصح للمؤمن دين الا بموالاة أهل التوحيد ، ومعاداة أهل الضلال وبغضهم والبراءة منهم ، كما تبرأ ابراهيم والذين معه من الكفار ، وكما تبرأ نبينا محمد (ﷺ) وصحبه من كفار قريش ومن حذا حذوهم ، وهذه هي الموالاة للمؤمنين ، والمعاداة للمشركين التي هي أصل عرى الايمان وأوثقها[4] .

فمعاداة الكفار واجبة وإن كان فيهم اخلاق طيبة ، وصفات حميدة . فمن لم يعاد الكفار ويتبرأ منهم لم يدخل في الإسلام ، وإن كان يتعامل مع المسلمين معاملة حسنة ويقدم لهم دعماً سخياً .

فإن في قصة أبي طالب درسا وعبرة وعظة ، أنه لا موالاة إلا بمعاداة فهذا الرجل قد بذل عُمُرَه وماله وأولاده وعشيرته في نصرة الرسول (ﷺ) إلى

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٦٦

(٢) سورة التوبة آية (٧١) .

(٣) انظر سورة الأنفال آية (٧٣) .

(٤) انظر الدرر السنية جـ ٢ ص ٩٥

أن مات على ذلك ، وصبر على المشقة العظيمة ، والعداوة البالغة له من قومه ، وكان يحب من أسلم وينتقص أعمال المشركين ، وكان يرى رسول الله ﷺ على حق وصواب كما يظهر ذلك من قوله في النونية :

ولقد علمت بأن دين محمد   من خير أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة   لوجدتني سمحا بذاك مبينا[1]

ويقول في قصيدة أخرى :

ولقد علموا أن ابننا لا مُكَذَّبٌ   لدينا ولا يعني بقول الآباطل
حدبتُ[2] بنفس دونه وحميته   ودافعتُ عنه بالذرى[3] والكلاكل[4] [5]

ولكنه لما لم يتبرأ من دين أبيه عبد المطلب ويعلن عداوته لذلك ، ولم يعلن موالاته لله ثم لرسوله والمؤمنين في الله ، ما نفعه ذلك شيئا ، وقد استغفر له النبي (ﷺ) نظراً لنصرته له ودفاعه عنه ، فأنزل الله قوله تعالى : ﴿ **ما كان للنبي والذين آمنوا معه أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم** ﴾[6] . لو كان هناك رجل من أهل الشرق أو أهل الغرب ، يحب الدين الإسلامي ، وينصر المسلمين باليد والمال والسلاح ، ولكنه لم يعلن دخوله في الإسلام وانضمامه الى جماعة المسلمين ، وبراءته وانفصاله وعداوته للمشركين ، لم يكن مسلماً

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٤٢ .
(٢) أي تعطفت وأشفقت عليه . انظر لسان العرب لابن منظور جـ ١ ص ٥٨١ .
(٣) الذُرى بالضم أعلى كل شيء . وذروة السنام والرأس أشرفهما . المصدر السابق جـ ١ ص ١٠٦٦ .
(٤) الكلاكل جمع كِلكِلة : وهو الصدر من كل شيء ، وقيل هو ما بين الترقوتين : وقيل هو باطن الزور وقيل القصير الغليظ الشديد . المصدر السابق جـ ٣ ص ٢٩٠ وانظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٨٠١ .
(٥) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٤٢ .
(٦) سورة التوبة آية (١١٣) .

ولم تصح موالاته من قبل المسلمين ، وإنما يعامل على أساس البر والصلة بالمعروف ، دون محبة القلب كمحبة أحد المسلمين ، فهو وإن كان يُحَبُّ لما فيه من صفات طيبة واخلاق كريمة ، كالكرم ، والأمانة ، والصدق والوفاء ، فإن تلك الصفات لا تطغى ولا تنسينا صفة الكفر التي هي اسوأ صفة وأقبحها في الوجود ، فمثل الكفار وصفاتهم الطيبة كمثل امرأة جميلة كريمة متواضعة ولكنها مع تلك الصفات عاهر بغي ، فإن تلك الصفة القبيحة تطغى على جميع صفاتها الحسنة وتذهب أثرها عند ذوي العقول السليمة والفطرة المستقيمة وتجعلهم يمقتونها ويعادونها وينظرون إليها نظرة احتقار وازدراء[١] .

إن موقف المسلم من الكفار ، ليس مجرد العداء لهم ، بل المطلوب منه جهادهم ، والحرص على مراغمتهم ، وادخال الحزن عليهم[٢] ، قال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة ﴾[٣] . فمن جهاد الكفار السعي إلى كسر شوكتهم ومراغمتهم ، وإدخال الهزيمة عليهم بكل الوسائل والأسباب المباحة، والتضييق عليهم ، والوقوف في وجه مكائدهم ، بكل ثبات واصرار ، وكشف آباطيلهم ، وعورات نظمهم ، وتعرية مفاسدهم لكل ذي عينين ، حتى يحصل الاقبال على الإسلام والادبار عن الكفر ، نتيجة للفهم والوعي الصحيح . فإن لم يحصل من المسلم جهاد ومراغمة للكفار ، فلا أقل من مقاطعتهم وعداوتهم ، وترك تبادل الأقوال والأفعال التي لا يقصد بها تقريبهم إلى الإسلام ، وإنما يقصد بها التقرب الى دنيا الكفار وما هم فيه من كفر .

ومما تقدم نخلص الى القول بأنه لا صحة لإسلام المسلم إلا بموالاة

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ١٠ ص ١٠١ .
(٢) انظر مدارج السالكين / ابن القيم الجوزية جـ ١ ص ٢٢٦ .
(٣) سورة التوبة آية (١٢٣) .

أهل الاسلام ومعاداه أهل الكفر ، فلو والى المسلم المسلمين ولم يعاد الكافرين لم يصح اسلامه ، ولو عادى الكافرين ولم يوال المسلمين لم يصح اسلامه إلا بالجمع بين موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين ، وحول هذا المعنى يقول الشيخ سليمان بن سحمان شعرا :

ومن كان ذا حب لمولاه إنما ... يتم بحب الدين دين محمد
فعاد الذي عادى لدين محمد ... ووال الذي والاه من كل مهتد
وأحبب رسول الله اكمل من دعا ... الى الله والتقوى وأكمل مرشد
وما الدين إلا الحب والبغض والولاء ... كذاك البرا من كل غاو ومعتد[1]

ويقول أيضا :

نعم لـو صدقت الله فيمـا زعمتـه ... لعـاديت من بـالله ويحــك يكفـر
وواليت أهـل الحق سـرًّا وجهـرة ... ولمــا تهــاجيهم وللكفـر تنصــر
فما كل من قد قال ما قلت مسلم ... ولكن بــأشـراط هنـالـك تــذكــر
مبـاينـة الكفـار في كـل مـوطــن ... بذا جاءنا النص الصحيح المقـرر
وتكفيــرهـم جهـرا وتسفيــه رأيهم ... وتضليـلهـم فيـمــا اتـوه وأظهـروا
وتصـدع بـالتـوحيـد بين ظهـورهم ... وتـدعـوهمـوا سـرا لــذاك وتجهـر
فهـذا هو الـدين الحنيفي والهدى ... وملــت ابراهيـم لو كنت تشعر[2] .

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٩٤ .

(٢) انظر ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان / للشيخ سليمان بن سحمان . ص ٧٩ .

المبحث الثامن

مكانة الموالاة والمعاداة في الاسلام

إن معرفة المسلم الملتزم بالاسلام عقيدة وعبادة لحكم الموالاة والمعاداة في الله ، تجعله ينطلق في تعامله مع الناس من فهم ثابت وتصور صحيح ، في علاقاته مع الناس ، فيعاملهم على أساس قربهم وبعدهم من الله ، فكلما كان الانسان إلى الله أقرب ، كانت موالاته ومحبته ومناصرته في الله أعظم ، وكلما انحرف الانسان عن طاعة الله عز وجل ، أبغضه المؤمن على قدر انحرافه ، وعاداه على قدر بعده عن الله ، لأن محبة الله عز وجل هي الأساس في كل تصرف يتصرفه العبد المسلم ، فمحبة ما يحبه الله تابعة لمحبة الله منبثقة عنها ، إذ المحبة هي أصل الموالاة في الله ، والبغض أصل المعاداة في الله ، كما سبق ايضاح ذلك ، وقد أخبر الله عز وجل أنه هو الوليّ ، والمتولي لنا في كل شأن من شؤوننا ، وأنه لا يجوز أن نتخذ معه أو من دونه وليا ، أو أولياء ، قال تعالى : ﴿ **أم اتخذوا من دونه أولياء فالله هو الوليّ وهو يحيي الموتى وهو على كل شيء**

قدير ﴾[1] . فالذين اتخذوا من دونه أولياء ، غلطوا أشد الغلط ، وأجرموا أشد الإجرام ، عندما اتخذوا حثالة البشر أو بعض المخلوقات أولياء لهم من دون الله ، أو مع الله ، قال تعالى **﴿ ثم الذين كفروا بربهم يعدلون ﴾**[2] .

وأصبح القولين في ذلك أنهم يعدلون بالله غيره ، في العبادة والمحبة والموالاة[3] . كما في قوله تعالى **﴿ تالله إن كنا لفي ضلال مبين ، إذ نسويكم برب العالمين ﴾**[4] . وقال تعالى **﴿ ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله ﴾**[5] . وقال تعالى : **﴿ بئس للظالمين بدلا ﴾**[6] . أي أن يبدلوا عبادة الله ومحبته وموالاته بغيره من الأنداد .

فالمسلم الحق هو الذي يتخذ الله ولياً ، ويرضى بولايته دون سواه ويعتقد جازماً أن وَلاية الله عز وجل هي التي تنفع في الدنيا والآخرة لأن ذلك مما أخبر الله به في قوله تعالى : **﴿ بل الله مولاكم وهو خير الناصرين ﴾**[7] . فالله هو الولي للمؤمنين ، وهو خير الناصرين لهم ، ففي ولايته وطاعته غنية وكفاية عن طاعة الكفار وموالاتهم ، فيجب على المسلم أن يكون الله عز وجل هو الوليّ الذي يتقرب اليه العبد بالقول والعمل ، فهو يتولى عباده المؤمنين بإخراجهم من الظلمات الى النور ، واعانتهم في جميع أمورهم[8] . قال تعالى : **﴿ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من**

---

(١) سورة الشورى آية (٩٩) .
(٢) سورة الانعام الآية (١) .
(٣) أنظر مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين ، ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٣٤٠ .
(٤) سورة الشعراء آية (٩٨) .
(٥) سورة البقرة آية (١٦٥) .
(٦) سورة الكهف آية (٥٠) .
(٧) سورة آل عمران آية (١٥٠) .
(٨) أنظر تفسير ابن سعدى جـ ٦ ص ٥٩٥ .

الظلمات الى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾[1] . وقال تعالى : **﴿ فَاطِرَ السمواتِ والأرضِ أنت وليّ في الدنيا والآخرةِ توفني مسلماً وألحقني بالصالحين ﴾**[2] . وقال تعالى : **﴿ قل أغير الله اتخذُ ولياً فاطِرِ السماواتِ والأرضِ ﴾**[3] . قل يا محمد « أغير الله اتخذ وليا » أي ربا ومعبودا وناصرا ومحبوبا دون الله . وهو الذي فطر السموات والأرض ، فكيف يليق أن اتخذ غير الخالق الرازق الغني الحميد[4] .

قال الله تعالى : **﴿ أن اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين ﴾**[5] . وقال تعالى : **﴿ نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴾**[6] .

فإذا كان الله عز وجل هو الولي والوالي والناصر والنافع والضار ، فمن السفاهة والطيش بل ومن الكفر بعبادة الله ، أن يتخذ المرء من دونه ولياً أو نصيراً ، قال تعالى : **﴿ ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ﴾**[7] .

وقال تعالى : **﴿ ما لهم في الأرض من ولي ولا نصير ﴾**[8] .

فبيَّن تعالى على جهة الإخبار بأن الله هو الولي وأنه لا وليّ غيره وأنه

---

(١) سورة البقرة آية (٢٥٧) .
(٢) سورة يوسف آية (١٠١) .
(٣) سورة الأنعام آية (١٤) .
(٤) انظر تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٣٩٧ .
وانظر تفسير ابن سعدى جـ ٢ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .
(٥) سورة آل عمران آية (٦٨) .
(٦) سورة فصلت آية (٣١) .
(٧) سورة النساء آية (٨٩) .
(٨) سورة التوبة آية (٧٤) .

هو وليّ الصالحين ، قال تعالى : ﴿ **ان وليِّ الله الذي نَزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين** ﴾[1] .

فالانسان عندما يتخذ الله وليا انما يفعل ذلك لأنه أمر كلفه الله به ، حيث يريد سبحانه وتعالى ، من المسلم التجرد لله من تعظيم سواه ، لأن الموالاة والتولي لغير الله ، تعظيم لمن والاهم وتولاهم من دون الله ، وهذا شرك في التعظيم ، فالموالاة هي لب المحبة وثمرتها ، والشرك في المحبة من أعظم أنواع الشرك ، قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله** ﴾[2] .

فمتى أحب العبد غير الله لذاته والتفت اليه بقلبه كان عبدا لما أحبه ورجاه ، واذا لم يحب أحدا لذاته سوى الله ، وأحب ما يحبه الله تقربا إلى الله كان ذلك من تمام العبودية لله عز وجل، لأن العبد كلما ازداد حبا لله ولما يحبه الله ، ازداد عبودية وقربا من الله وهذا الأمر هو جوهر الاسلام وحقيقته التي ارسل الله من اجلها جميع الرسل والأنبياء[3] .

فيجب علينا أن نعطي حبنا وولاءنا لله عز وجل أولا ثم لرسوله والمؤمنين بهذا الدين حتى نكون من حزب الله ، وتنتفي عنا صفة الانتماء الى الأحزاب الشيطانية ، التي تعبدنا الله ببغضها وعداوتها وجهادها والقضاء عليها ، فبالاضافة الى أن موالاة غير الله شرك ، هي كذلك موالاة غير نافعة في الدنيا والآخرة ، حيث أن الانسان يقصد بموالاة من تولاه ، أن يتقوى بقوته ، ويعز بعزته ، ويرتفع برفعته ، وهل هناك أحد ، تنطبق عليه تلك الصفات بكمالها غير الله عز وجل ، فالله يَعِدُ الذين آمنوا في مقابل الثقة

---

(١) سورة الأعراف آية (١٩٦) .

(٢) سورة البقرة آية (١٦٥) .

(٣) أنظر رسالة العبودية لشيخ الاسلام ابن تيمية ص ٥٤ ـ ٥٨ .

به ، وصدق الالتجاء اليه ، والولاء له وحده ، ولرسوله ، وللمؤمنين ، يعدهم بالنصر والغلبة والتمكين ، وقد جاء هذا الوعيد ، بعد بيان قاعدة الايمان ذاتها ، في قوله تعالى : ﴿ **ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون** ﴾[1] . فإذا كان النصر والغلبة والعزة والكرامة ، إنما تكون بموالاة الله ورسوله والذين آمنوا ، فمن الانحراف عن العقيدة السليمة ، أن يخلع الانسان صفة الموالاة والتولي بكمالها لأعداء الله أو لمخلوقات ضعيفة ، لا تنفع نفسها فضلا عن غيرها ، فالذين يحبون غير الله ، ويرجون سواه ، في نصرة أو معونة أو تمكين ، هؤلاء كأنما يتجاهلون مقام الباري عز وجل ، ويستصغرون شأنه في المعونة والنصرة ، عندما يلجئون بالمودة وطلب النصرة من غير الله ، كحال الذين يستعينون ويستنصرون بالكفار الشرقيين أو الكفار الغربيين ، أو الهيئات الدولية ، والأحزاب الجاهلية ، وهذا منتهى الضلال والإنحراف ، فالله سبحانه وتعالى أمر عباده أن يتخذوه وليا ، دون غيره من المخلوقات ، لأن ذلك من مقتضى عبوديتهم له ، واعترافهم بربوبيته ، وألوهيته عليهم ، كما يجب عليهم خوفه ، ورجاؤه ، يجب عليهم محبته ، وموالاته ، دون غيره ، وليس الدافع الى موالاة الله ، هو طلب النصرة والتمكين فقط ، بل الدافع الأساسي أن هذا أمر تعبدنا الله به ، أما ما يترتب على هذا الأمر من نصرة ومودة وفلاح ، فهذه ثمار تأتي في حينها ، وتأتي لتحقيق قدر الله في التمكين لهذه الأمة ، لا لتكون بذاتها هي الاغراء الوحيد على الدخول في هذا الدين ، فانتصار المسلمين على اعدائهم ، وتفوقهم على سواهم ، لا شيء منه لذواتهم ، وأشخاصهم ، إنما يكون ذلك لحساب عقيدتهم ، فيكون لهم ثواب الجهد في ذلك ، فالله عز وجل لا يطلب ولاية أحد من خلقه ليزداد بهم عزا أو قوة ، أو أن يعينوه في شأن من شؤونه ، فإنه سبحانه وتعالى هو الغني الحميد الذي لا يحتاج الى أحد من خلقه في الأرض ولا في

(١) سورة المائدة آية (٥٦) .

السماء ، قال تعالى ﴿ وما له منهم من ظهير ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ ولم يكن له وليٌّ من الذل وكبره تكبيراً ﴾[2] . قال مجاهد[3] : المعنى لم يحالف أحدا ، ولا ابتغى نصراً من أحد ، أي لم يكن له ناصر ، يجيره من الذّل ، يعني لم يذل فيحتاج الى وليّ أو الى ناصر ؛ لعزته وكبريائه[4] ا. هـ .

وأما قوله تعالى : ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾[5] . أي ان تكونوا سببا في نصر دين الله ، ينصركم الله على الكفار . وقال قطرب[6] : إن تنصروا نبي الله ينصركم الله[7] آ. هـ.

وقال تعالى : ﴿ ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴾[8] . أي من ينصر دين الله ، وينصر رسوله فإن الله ناصره[9] . وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريين من

---

(١) سورة سبأ آية (٢٢)
(٢) سورة الاسراء آية (١١١) .
(٣) هو مجاهد بن جبير المالكي (أبو الحجاج) ولد حوالي سنة (٢٠ هـ) توفي عام (١٠٤ هـ) من آثاره تفسير القرآن الكريم ، فهو مفسر تابعي جليل . أنظر معجم المؤلفين جـ ٨ ص ١٧٧ .
(٤) أنظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٣٤٥ .
(٥) سورة محمد آية (٧) .
(٦) هو محمد بن المستنير بن أحمد البصري (المعروف بقطرب) (أبو علي) لغوي ، نحوي ، أخذ النحو عن سيبويه وغيره من علماء البصرة وأخذ عن النظام المعتزلي ، وكان يعلم اولاد أبي دلف العجلي ، وتوفي ببغداد . من تصانيفه في اللغة والتفسير العلل في النحو ، الآشتقاق المصنف الغريب في اللغة ، الرد على الملحدين في متشابه القرآن . توفي سنة (٢٠٦ هـ) وله نحو عشرون كتابا . انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ١٢ ص ١٥ . وانظر الموسوعة العربية/ محمد شفيق غربال م ٢ ص ١٣٨٨ .
(٧) أنظر تفسير القرطبي جـ ١٦ ص ٢٣٢ .
(٨) سورة الحج آية (٤٠) .
(٩) أنظر تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ٧٢ .

أنصاري الى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾[1] . فقوله : **﴿ كونوا أنصار الله ﴾** معناه كونوا أنصارا لدين الله ، ومعنى (نحن أنصار الله) أي نحن أنصار دين الله . وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : **﴿ من أنصاري إلى الله ﴾** . أي من يكون معنيا اليّ فيما يقرب الى الله[2] .

ومن خلال استعراض هذه الآيات والتي قبلها يتضح أن موالاة المسلم لربه ثم لرسوله ، ثم للمؤمنين ، عبادة تَعبَّده الله بها ، وحمَّله إياها ، وإلا فإن الله عز وجل غني عن عباده ليس محتاجاً إليهم في شيء ، وهو كذلك قادر على نصرة دينه وأتباع دينه بقوله (كن فيكون) ولكنه جعل الموالاة في الله والمعاداة فيه أصلا من الأصول الشرعية ليختبر عباده بذلك وليمتحن خلقه بهذا الواجب العظيم ، فمن قام بذلك قام بواجب عظيم من واجبات الاسلام ، ومن ضيع ذلك فهو لما سواه أضيع . والموالاة الحقيقية لله عز وجل ، توجب موالاة ومحبة رسول الله ﷺ ، لأن من لوازم محبة الله ، محبة رسوله (ﷺ) وموالاة الله توجب موالاة رسوله (عليه افضل الصلاة والسلام) لأن المحب يحب ما يحب محبوبه ، ويبغض ما يبغض محبوبه ويوالي من يوالي محبوبه ويعادي من يعاديه ، وقد ذكر الله عز وجل وجوب محبة رسوله (ﷺ) وموالاته في آيات وأحاديث كثيرة نذكر منها ما يلي :

أولاً : قول الله تعالى **﴿ ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾**[3] .

ثانياً : قول الله تعالى **﴿ إنما وليكم الله ورسوله ، والذين آمنوا ﴾**[4] .

---

(١) سورة الصف آية (١٤) .
(٢) أنظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٨٩ ـ ٩٠ وانظر فتح القدير / للشوكاني جـ ٥ ص ٢٢٣ .
(٣) سورة المائدة آية (٥٦) .
(٤) سورة المائدة آية (٥٥) .

ثالثاً : قول الله تعالى ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتُهم ﴾[1] .

قال ابن عطية[2] ، وبعض العلماء هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، لأن أنفسهم تدعوهم إلى الهلاك والضلال، وهو يدعوهم إلى النجاة[3] آ. هـ. ويؤيد هذا المعنى حديث (إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقتحمون فيها)[4] .

وأدلة وجوب محبة الرسول (ﷺ) وموالاته من السنة ما يلي :

١ - ما روي أن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال سمعت رسول الله (ﷺ) جهارا غير سرّ - يقول : « إن آل أبي ليسوا بأوليائي ، إنما وليّ الله وصالح المؤمنين »[5] . قال النووي في معنى الحديث ان وليّ من كان صالحاً وان بعد نسبه مني ، وليس وليٌّ من كان غير صالح وإن قرب نسبه [6] .

٢ - وعن أنس (رضي الله عنه) إن رسول الله ﷺ قال : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب اليه من ولده ووالده والناس أجمعين »[7] .

---

(١) سورة الاحزاب آية (٦) .

(٢) يوجد بهذا الاسم : ابن عطية : عبد الله بن عطية بن حبيب أبو محمد مقرىء ، مفسر ، مات سنة ثلاث وثمانين وثلاثمائة من الهجرة ومن آثاره تفسير القرآن الكريم . ويوجد أيضا بهذا الاسم ابن عطية / عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي عالم بالتفسير ، والأحكام ، والحديث ، والفقه ، والنحو والأدب ، توفي سنة (٥٤٦ هـ) في بلاد المغرب . ولا أعلم أيهما المقصود بكلام القرطبي . أنظر فتح القدير للشوكاني جـ ١ ص ٩ . وانظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٥ ص ٩٣ ، جـ ٦ ص ٨٣ .

(٣) أنظر تفسير القرطبي جـ ١٤ ص ١٢٢ .

(٤) رواه مسلم أنظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٧٨٩ (ط - دار التراث العربي) .

(٥) رواه البخاري . أنظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٤١٩ .

(٦) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٤٢١ .

(٧) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٦٨ (كتاب الايمان) .

فمحبة الرسول (ﷺ) بهذه الدرجة تقتضي أن مخالفة ذلك منقصة للايمان[1] .

٣ ـ عن أنس (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) قال : (ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان . من كان الله ورسوله أحبّ اليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله . وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن انقذه الله منه ، كما يكره أن يقذف بالنار)[2] . ومحبة الرسول تستلزم محبة كل ما جاء به من عند الله ، ومعاداة كل من عاداه .

٤ ـ عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال : « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به »[3] وقد عدّ ابن القيم (رحمه الله) من أنواع الكفر . كفر الإعراض عن الرسول (ﷺ) فلا يصدقه ، ولا يكذبه ، ولا يواليه ، ولا يعاديه ولا يصغي الى ما جاء به البتة ، كما قال احد بني عبد ياليل للنبي (ﷺ) : (والله أقول لك كلمة . ان كنت صادقا ، فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك . وان كنت كاذباً فأنت أحقر من أن أكلمك)[4] . ا . هـ .

فمن هذه الاحاديث وتلك الآيات يزول الشك باليقين ، في وجوب محبة الرسول (ﷺ) ومحبة كل ما جاء به من عند الله ، من الأقوال والأفعال والاعتقادات ، وأن من خالف ذلك فليس له في الايمان حظ او نصيب .

ومن مقتضيات محبة الله ومحبة رسوله ، ومحبة ما جاء به الرسول (ﷺ) أن يحب المرء المسلم اخوانه المؤمنين وجماعة المسلمين ، فإن هؤلاء تجب محبتهم في الله ، ومناصرتهم من أجل دين الله ، فقد دلت

---

(١) أنظر التحفة العراقية / لابن تيمية ص ٣٥ .

(٢) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم جـ ١ ص ١٦٦ (كتاب الايمان) .

(٣) قال النووي حديث صحيح . أنظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن (الطبعة السابعة) ص ٣٩٦ .

(٤) أنظر مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين / ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٣٣٨ .

الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب محبتهم ، ومناصرتهم بالقول والفعل والاعتقاد ، ومن الأدلة على ذلك من كتاب الله قول الله تعالى :

١ - ﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾[١] . فقوله تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات ﴾ أي ذكورهم واناثهم (بعضهم اولياء بعض) أي في المحبة والموالاة والانتماء والنصرة والتعاطف[٢] .

٢ - قول الله تعالى ﴿ إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾[٣] .

٣ - قول الله تعالى ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون ، ومن يتولّ الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون ﴾[٤] .

ففي تلك الآيات عقد موالاة ومحبة ومناصرة عقدها الله عز وجل بين المؤمنين في كل زمان ومكان ، وذكر لنا نموذجا في موالاة الذين آمنوا وهاجروا في سبيل الله ، كيف استقبلهم اخوانهم الأنصار ، الذين آووا ونصروا الرسول (ﷺ) ومن معه من أصحابه ، وكيف أعانوهم بأموالهم وأنفسهم وديارهم ، حسبما تقتضيه أخوة العقيدة الإسلامية ، فصار بعضهم أولياء بعض ، لكمال ايمانهم ، وتمام اتصال بعضهم ببعض[٥] .

وقد دلت السنة النبوية المطهرة على وجوب موالاة المسلمين بعضهم لبعض واليك بعض الأدلة على ذلك .

---

(١) سورة التوبة آية (٧١) .
(٢) أنظر تفسير ابن سعدى جـ ٣ ص ٢٦٤ ، وانظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٢٠٣ .
(٣) سورة الانفال آية (٧٢) .
(٤) سورة المائدة آية (٥٥ ، ٥٦) .
(٥) أنظر تفسير ابن سعدى جـ ٣ ص ١٩٣ .

١ ـ ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال (ترى المؤمنين في تراحمهم، وتوادهم، وتعاطفهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى)[١].

٢ ـ ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما)، ا(أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله، والمعاداة في الله، والحب في الله، والبغض في الله)[٢].

٣ ـ عن أبي موسى (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وشبك بين أصابعه [٣].

٤ ـ عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أنصر أخاك ظالما أو مظلوما ﴾ . فقال رجال : يا رسول الله ، أنصره اذا كان مظلوما أرأيت كان ظالما ، كيف أنصره ؟ قال : (تحجزه ـ أو تمنعه ـ من الظلم ، فإن ذلك نصره)[٤] .

٥ ـ عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : جاء رجل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ! متى الساعة ؟ قال « وما أعددت للساعة » . قال : حب الله ورسوله . قال « فإنك مع من أحببت »[٥] .

قال أنس : فما فرحنا ، بعد الاسلام ، فرحا أشد من قول النبي صلى الله عليه وسلم « فإنك مع من أحببت » . قال أنس : فأنا أحب الله ورسوله . وأبا بكر وعمر . فأرجو أن أكون معهم . وإن لم أعمل أعمالهم[٦] .

٦ ـ وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما قضى صلاته أقبل الى

---

(١) رواه البخاري . أنظر صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٢ (باب كتاب الأدب) .
(٢) أنظر تخريج هذا الحديث في ص ٢ من هذه الرسالة .
(٣) متفق عليه . أنظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٤٥ .
(٤) رواه البخاري . أنظر المصدر السابق جـ ١ ص ٢٥٢ .
(٥) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٣٢ .
(٦) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٣٢ .

الناس بوجهه فقال : «يأيها الناس اسمعوا واعقلوا ، واعلموا أن الله عز وجل عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ، فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس ولوى بيده الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغطبهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله ، انعتهم لنا ـ يعني صفهم لنا ـ فسر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسؤال الاعرابي فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة ، تحابوا في الله وتصافوا ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور ، فيجلسهم عليها ، فيجعل وجوههم نورا ، وثيابهم نورا ، يفزع الناس يوم القيامة ، ولا يفزعون ، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[١] .

٧ ـ ورد في كتاب بعث به الرسول (صلى الله عليم وسلم) مع عمرو بن أمية الضمري ، إلى النجاشي ملك الحبشة ، وكان من ضمن ما جاء فيه ، قوله (صلى الله عليم وسلم) : « وأني أدعوك الى الله وحده لا شريك له ، والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني فتؤمن بي وبالذي جاءني »[٢] .

٨ ـ روي عن عائشة (رضي الله عنها) أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم) : « الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة

---

(١) أنظر مسند أحمد جـ ٥ ص ٣٤٣ وانظر سنن أبي داود جـ٣ ص ٧٩٩ ح ٣٥٢٧ وإسناده صحيح تعليق عزت الدعاس .
انظر منهاج المسلم / لأبي بكر الجزائري ص ١٠٩ وقال عنه انه صحيح. (ط ـ ١ ـ ١٣٩١) الناشر محمد علي السيد بسوريا .

(٢) رواه البيهقي في الدلائل عن الحاكم . أنظر البداية والنهاية (لابن كثير) جـ٣ ص ٨٣ وانظر حياة الصحابة مجلد (١) ص ١٠٣ وانظر تاريخ الطبري م ٢ ص ٨٩ .

الظلماء وأدناه أن تحب على شيء من الجور ، وتبغض على شيء من العدل »[1] .

٩ ـ وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ص): « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي . اليوم أظلهم في ظلي . يوم لا ظل إلا ظلي »[2] .

١٠ ـ وفي الحديث « أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله »[3] .

فهذه الأدلة لعلى وجوب محبة المؤمنين ، وموالاتهم ومناصرتهم ودفع الأذى عنهم ، وقد ذكر الله عز وجل أن الذين يعادون المؤمنين ، أو من دان بالاسلام وعمل به ودعا اليه ، ويسعون لايصال الشر اليهم ، وتشريدهم عن ديار الاسلام ، أن هؤلاء على خطر عظيم في خروجهم من الاسلام[4] .

قال تعالى ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا واثما مبينا﴾[5].

وفي الحديث « من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب »[6] .

---

(١) راه الحاكم من المستدرك وقال صحيح الاسناد ، وأبو نعيم من الحلية عن عائشة (رضي الله عنها) مرفوعا . أنظر تحفة الأخوان / حمود بن عبد الله التويجري. وانظر مجموعة التوحيد ص ١١٨ .

(٢) رواه مسلم : انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٨٨ .

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير عن ابن مسعود مرفوعا ، وهو حسن . انظر الايمان لابي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥ هـ) ص ٤٥ تحقيق ناصر الدين الالباني المطبعة العمومية بدمشق . وانظر مسند الامام احمد جـ ٤ ص ٢٨٦ .

(٤) أنظر الجواب الفائض للرد على الرائض / تأليف سليمان بن سحمان مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (٣٤١٣) الورقة (٣٣) .

(٥) سورة النساء آية (١١٢) .

(٦) رواه البخارى في باب التواضع . أنظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٠ .

وفي حديث آخر «وإني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحَرِب»[1].

وقد جعل الله حب الصحابة ، ومن سار على نهجهم الى يوم الدين علامة ، ودليلا ، من دلائل الايمان ، كما ذكر أن بغضهم وبغض من يقتدي بهم ، وبمن اقتدوا به ، من دلائل الكفر ، قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) « آية المنافق ، بغض الأنصار ». « وآية المؤمن حب الأنصار »[2] . وعن أنس ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « حب الأنصار آية الايمان . وبغضهم آية النفاق»[3]. وعن البَرَاء ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال في الانصار : « لا يحبهم إلا مؤمن ، ولا يبغضهم إلا منافق ، من أحبهم أحبه الله ، ومن أبغضهم أبغضه الله»[4]. وفي حديث عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه قال: عهد النبي الأمي (ﷺ) إليَّ «أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق»[5]. ومعنى هذه الأحاديث، أن من عرف رتبة الأنصار، وما كان منهم في نصرة الإسلام والسعي في إظهاره، وإيواء المسلمين، وقيامهم في مهمات الإسلام حق القيام وحبهم للنبي (ﷺ)، وحبه إياهم وبذلهم أموالهم، وأنفسهم بين يديه، وقتالهم معه، ومعاداتهم سائر الناس، من غير المسلمين إيثاراً للإسلام، ومن عرف فضل علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقربه من رسول الله (ﷺ)، وحب النبي (ﷺ)، له، وما كان منه في نصرة الإسلام، وسوابقه فيه، ثم أحب الأنصار وعلياً لهذا ـ كان ذلك من دلائل صحة إيمانه، وصدقه في إسلامه، لسروره بظهور الإسلام، والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى، ورسوله (ﷺ) ومن أبغضهم كان بضد ذلك، واستدل ببغضه لهم على نفاقه وفساد سريرته[6]. ويقاس على ذلك حب، أو بغض من سار

---

(١) أنظر مجموعه التوحيد ص ٤٨٣ .

(٢) رواه مسلم . انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٨٥ .

(٣) المصدر السابق نفس المكان .

(٤) المصدر السابق نفس المكان .

(٥) المصدرالسابق ص ٨٦ .

(٦) المصدر السابق ص ٨٥ .

على نهجهم واقتفى أثرهم إلى يوم الدين.

وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: «مثل المؤمن، ومثل الايمان، كمثل فرس في أخيته، يجول ثم يرجع الى أخيته، وإن المؤمن يسهو ثم يرجع إلى الايمان، فاطعموا طعامكم الأتقياء، وأولوا معروفكم المؤمنين»(1)، فهذا الحديث يدل على وجوب اعطاء المعروف لأهل الايمان وأهل التقى الذين هم عون للمؤمن في الدنيا والآخرة.

وقد دلت بعض الأحاديث أن القطيعة بين الاخوة المسلمين وعدم الموالاة في الله من علامات الساعة وأشراطها، فقد روي عن حذيفة (رضي الله عنه) قال سئل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الساعة فقال: «علمها عند ربي لا يجليها لوقتها الا هو ولكن أخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، أن بين يديها فتنة وهرج، قالوا يا رسول الله الفتنة قد عرفناها، فالهرج ما هو؟ قال بلسان الحبشة القتل، ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحد يعرف أحدا»(2).

وهذا للأسف هو الحاصل بين عامة المسلمين في العصر الحاضر.

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) من حديث طويل أن من دعائه (صلى الله عليه وسلم): (اللهم اجعلنا هادين مهتدين، غير ضالين ولا مضلين، سلما لأوليائك وعدوا، لأعدائك، نحب بحبك من أحبك، ونعادي بعداوتك من خالفك). (3).

ومما تقدم يتضح لنا بكل جلاء ووضوح، وجوب موالاة الله ورسوله والمؤمنين، موالاة وتوليا بالقول والفعل والاعتقاد، إذا كنا صادقين في انتسابنا الى أمة الاسلام، فالحب في الله والبغض في الله أصل عظيم من

(1) أنظر مسند أحمد جـ ٣ ص ٥٥.
(2) مسند أحمد جـ ٥ ص ٣٨٩.
(3) سنن الترمذي جـ ٥ ص ١٤٨.

أصول الايمان ، يجب على العبد مراعاته ، ولهذا جاء في الحديث المنقدم : « أوثق عرى الايمان ، الحب في الله ، والبغض في الله » . . . الحديث .

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) : أصل دين الاسلام ، وقاعدته أمران : -

الاول : الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، والدعوة الى ذلك ، والموالاة فيه ، وتكفير من تركه ، قال تعالى ﴿ إنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾[1] .

الثاني : الانذار عن الشرك ، في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله[2] .

ثم يقول جاء في الحديث الصحيح ، (من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله)[3] . فقوله وكفره بما يعبد من دون الله ، تأكيد للنفي ، فلا يكون معصوما إلا بذلك ، لأن شهادة أن لا إله إلا الله ، قيدت في الأحاديث بقيود ثقال ، منها العلم ، والاخلاص ، والصدق ، واليقين ، وعدم الشك ، وقبول ذلك ومحبته ، والمعاداة فيه ، والموالاة عليه)[4] ا.هـ.

فمن والى الله ورسوله والمؤمنين ، ولم يعاد المشركين ، لم يصح ايمانه ، ولم يستقم إسلامه ، لأن عداوة الكفار واجبة ، بالقدر الذي يجب فيه ، موالاة الله ورسوله ، والمؤمنين ، قال شيخ الاسلام ابن تيمية (رحمه

---

(١) سورة الممتحنة آية (٤) .
(٢) أنظر مجموعة التوحيد ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(٣) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٣ .
(٤) أنظر مجموعة التوحيد ص ٣٥ .

الله) : (الاخلاص محبة الله ، وارادة وجهه ، فمن أحب الله أحب دينه وما لا فلا)[1] ا. هـ.

وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) : الواجب على كل عبد أن يعرف أن من صدّق الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ووحد الله ، لا يجوز له أن يواد من حاد الله ، ورسوله ، حتى يتوب المحاد من المحادة لله ورسوله[2] . ا. هـ.

والدليل على ذلك قوله تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾**[3] . فإذا كان الله عز وجل ، قد نهى عن موادة الأب والابن والأخ والعشيرة ، إذا كانوا كفارا ، فما بالك بمن يواد الكفار ، الذين لا يرتبط بهم بنسب أو سبب مباح ، وقال الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمهما الله) ، في معرض شرحه لكلام الشيخ ابن القيم (رحمه الله) في باب التوبة ، قال: (يتبين لك أن الاسلام ، لا يستقيم إلا بمعاداة أهل الشرك ، فان لم يعادهم فهو منهم ، وإن لم يفعل فعلهم)[4] .

ولأن محبة الله ومحبة الكفار ، لا تجتمع في قلب مؤمن ، حتى في حال الاكراه الملجىء ، الذي يعذر فيه الانسان بالنطق في كلمة الكفر ، لا يعذر الانسان برضا القلب عنهم ، لأنه اذا رضى بقلبه ، فليس بعد ذلك في قلبه ذرة من ايمان .

وفي كتاب وقعه علماء مكة المكرمة ، بعد فتحها ، على يد سعود

---

(١) المصدر السابق ص ٣٦ .
(٢) المصدر السابق نفس المكان .
(٣) سورة المجادلة آية (٢٢) .
(٤) أنظر مجموعة التوحيد ص ٣٥ .

ابن عبد العزيز بن محمد بن سعود ، قالوا فيه : (ومن لم يدخل في هذا الدين ويعمل به ، ويوالي أهله ، ويعادي أعداءه ، فهو عندنا كافر بالله واليوم الآخر ، وواجب على إمام المسلمين جهاده وقتاله ، حتى يتوب إلى الله مما هو عليه ، ويعمل بهذا الدين)[١] . ا. هـ.

وقد وقع عليه أحد عشر عالما من علماء مكة الأجلاء ، ولكن للأسف الشديد ، إن كثير من ولاة المسلمين المعاصرين ، الذين فُرض عليهم محاربة من يوالي الكفار ، هم قد سبقوا غيرهم في ذلك ،فركنوا الى الذين ظلموا ، واتخذوهم بطانة من دون المؤمنين .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) (لا تضيعوا حظكم من الله ، وتحبوا دين اليهود والنصارى ، على دين نبيكم ، فما ظنكم بمن واجه الله ، وهو يعلم من قلبه أنه عرف التوحيد ، وأنه يعلم أنه دين الحق ، وهو يبغضه ويبغض من أتى به ، ويبغض من اتبعه ، ويعرف أن دعوة غيره هي الكفر ولكن مع ذلك يحبه ويحب من اتبعه ، أتظنون أن الله يغفر لهذا)[٢] ؟

إن الموالاة كما قلنا في التعريف الشرعي هي المحبة القلبية وما يترتب عليها من أقوال وأفعال .

والمحبة لغير الله شرك كما تقدم إيضاح ذلك ، فاخلاص الموحد لله يقتضي الحب في الله، والبغض فيه ، والمعادة في الله ، والموالاة فيه لأن العبد إذا أخلص لله في المحبة ، أحب طاعته وأهل طاعته ، وأبغض معصيته وأهل معصيته ، على معاصيهم . فعلى قدر المحبة لله ، تكون الموالاة بين المسلمين والمعادة للكافرين[٣] .

(١) الدرر السنية جـ ١ ص ٣١٨ .
(٢) أنظر الدرر السنية جـ ١ ص ٦١ .
(٣) أنظر الدرر السنية جـ ١١ ص ٥٢ .

والمحبة لله وفي الله ليست من قبيل محبة العوض فقط ، بل هي أيضا إضافة لما يجده المسلم في الجنة مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، محبة يجد المؤمن في قلبه وفعله آثارها الحسنة ، ونتائجها المحمودة ، في دار الدنيا قبل الآخرة ، بخلاف محبة الأجير والعامل الذي يعمل لمحبة العوض فقط ، أما حال العمل ، فلا يجد إلا التعب والضيق والنصب ، وإنما يدفعه للعمل محبة العوض الذي ينتظره بعد تمام العمل .

حيث إن محبة الله وحده ، ومحبة ما يحبه الله ، تتفق مع الفطرة التي فطر الله الناس عليها ، فلا تعارض أو تناقض بين ما أمر الله به وبين ما هو مودع في نفس الانسان من حب وبغض ، ولذلك كانت الموالاة في الله والمعاداة فيه ملة أبينا ابراهيم (عليه السلام) وهدى نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) قال تعالى : ﴿ والذين آمنوا أشدُّ حبا لله ﴾[1] . والموالاة في الله ، هي سبب تناصر المسلمين فيما بينهم ، وتعاونهم على ما يحقق لهم العزة والكرامة في الدنيا والآخرة .

وقد عد الشيخُ محمدُ بن عبد الوهاب (رحمه الله) من نواقض الاسلام العشرة : مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين[2] . مستدلا بقول الله تعالى ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾[3] .

وقد أجمع علماء الاسلام أن من لم يكفرلا المشركين أو شك في كفرهم ، أو صحح مذهبهم ، أو اعتقد أن نظامهم أهدى وأفضل من هدى الله ورسوله ، أو أبغض شيئا مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم)

---

(١) سورة البقرة آية (١٦٥) .

(٢) نظر مجموعة التوحيد ص ٢٨ .

(٣) سورة المائدة آية (٥١) .

ولو عمل به فهو كافر ، لعدم استسلامه وانقياده انقيادا كاملا لله عز وجل[1] . ا. هـ.

وعداوة الكفار أمر واجب على المسلم ، ولو كان هذا الكافر من القرابة في النسب ، قال تعالى ﴿ يـأيها الـذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الايمان ، ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ، قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم، وأموال اقترفتموها ، وتجارة تخشون كسادها ، ومساكنُ ترضونها ، أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[2] .

فنهى سبحانه وتعالى في الآية الأولى ، المؤمنين عن موالاة وموادة أقرب الناس اليهم إذا كانوا كفارا ، وبين أن الذي يتولى أباه أو أخاه الكافر ، ظالم لنفسه ، يحملها على محمل قد حرمه الله عليها ، فكيف بمن تولى الكافرين وهم أعداء له ولآبائه ولدينه ، أفلا يكون هذا ظالما بلى والله أنه أظلم الظالمين ، وقد عرف العلماء الظلم بأنه وضع الشيء في غير موضعه[3] .

ثم بين في الآية الثانية أن هذه الأعذار الثمانية، التي يعتذر بها المعتذرون ، لا تضح أن تكون عذرا في موالاة ، وموادة الكافرين فليس لأحد أن يواليهم ، خوفا على أبيه ، أو أخيه ، أو بلاده ، أو ماله ، أو مركزه ، أو زوجته ، وأولاده ، فإن الله قد سد باب الاعذار بهذه الأمور ونحوها ، وعد من يعتذر بها من المنافقين ، قال تعالى ﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا ﴾[4] .

---

(١) الدرر السنية جـ ٢ ص ١٧٦ .
(٢) سورة التوبة الآيات (٢٣ ، ٢٤) .
(٣) أنظر مورد الظمآن لدروس الزمان تأليف عبد العزيز السلمان جـ ٣ ص ١٠٥ .
(٤) سورة الفتح آية (١١) .

وقد يعترض معترض ، على أن هذه الآية والتي قبلها نزلت في شأن الجهاد ، فما علاقتهما بالموالاة والمعاداة ، فنقول ان علاقتهما بالموالاة والمعاداة من وجهين :

الاول : إذا كانت هذه الاعذار الثمانية المذكورة في الآية ليست عذرا في ترك الجهاد ، الذي هو فرض كفاية في بعض أحواله ، فكونها لا تكون عذرا ، في ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى .

الثاني : قوله تعالى ﴿ أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴾ فمحبة الله ورسوله ، توجب إيثار عداوة المشركين ومن في حكمهم ، ومقاطعتهم على هذه الثمانية ، كما أن محبة الجهاد توجب إيثاره عليها[1] .

وقد ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) : (أن المبغض لما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) كافر بالاجماع ولو عمل به)[2] ثم يقول في موضع آخر (فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، أن يرد شيئا مما جاء به الرسول (صلى الله عليه وسلم) لكونه مخالفا لهواه أو لما عليه أهل وقته ، ومشائخه ، فإن الكفر كما قال ابن القيم (رحمه الله) في نونيته :

فالكفر ليس سوى العناد ورد ما   جاء الرسول به لقول فلان
فانظر لعلك هكذا ، دون التي   قد قالها ، فتبوء بالخسران[3]

وقال تعالى:﴿ إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾[4] ا. هـ.

---

(١) أنظر مجموعة التوحيد ص ٢٦٢ .
(٢) أنظر الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٣٠ .
(٣) المصدر السابق ص ٢٤٠ .
(٤) سورة الانفال آية (٧٣) .

أي إن لم تجانبوا المشركين ، وتوالوا المؤمنين ، وإلا وقعت الفتنة في الناس ، وهو التباس الأمر ، واختلاط المسلم بالكافر ، على غير تمييز فيقع بذلك فساد عريض[1] .

وفي رسالة بعث بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) الى عبدالله بن علي ، ومحمد بن جماز ، يأمرهما بمخاطبة من لديهم ، قال فيها (ولكن أخبروهم أن الحب والبغض ، والموالاة والمعادة ، لا يصير للرجل دين إلا بها . فلا ينفعهم ترك الشرك ، ولا ينفعهم قول ﴿ لا إله إلا الله ﴾ ، حتى يبغضوا لله)[2] .

وقال : ﴿ أبلغوهم ، أن المعاداة ، ملة أبينا ابراهيم (عليه السلام) ونحن مأمورون في متابعته . قال تعالى : ﴿ قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾[3] .

ثم قال : « واذكروا لهم ، إن الواجب على الرجل ، أن يعلم عياله ، وأهل بيته ، الحب في الله ، والبغض في الله ، والموالاة في الله ، والمعاداة فيه ، مثل تعليم الوضوء والصلاة ، لأنه لا صحة لاسلام المرء ، إلا بصحة الصلاة ، ولا صحة لاسلامه أيضا إلا بصحة الموالاة والمعاداة في الله »[4] . وفي مسائل لخصها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، عن ابن تيمية (رحمهما الله) قوله : « إن الحسنات أمور وجودية ، متعلقة بالرحمة والحكمة ، لأنها إما فعل مأمور ، أو ترك محظور ، والترك أمر وجودي ، فتركه لما عرف أنه ذنب ، وكراهته له ، ومنع نفسه منه ، أمور وجودية ، وانما يثاب على الترك ، على هذا الوجه ، وقد جعل النبي (صلى الله عليه

---

(١) ملحق المصنفات ـ مختصر تفسير سورة الانفال للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٢٥ .
(٢) الرسائل الشخصية / محمد بن عبد الوهاب ص ٣٢٢ .
(٣) المصدر السابق نفس المكان .
(٤) الرسائل الشخصية ، محمد بن عبد الوهاب ص ٣٢٣ .

وسلم) البغض في الله ، من أوثق عرى الايمان ، وهو أصل الترك ، وجعل المنع لله ، من كمال الايمان ، وهو أصل الترك أيضا ، فبراءة الخليل (عليه السلام) من قومه المشركين ومعبوداتهم ليست تركا محضا ، بل صادرا عن بغض وعداوة لهم ، لبغضهم ومعاداتهم لله »[1] . ثم يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب - إن الله سبحانه وتعالى يحب عباده المؤمنين ، فيريد الاحسان اليهم ، وهم يحبونه فيريدون طاعته ، وما من مؤمن إلا ويجد في قلبه محبة الله ورسوله والمؤمنين، والمحبة هذه تكون لكل محبوب بحسبه محبة الله هي الأساس ، ومحبة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ،من محبة الله ، ومحبة المؤمنين من محبة الله ومحبة رسوله ، فاذا سمع المؤمن ، من يسب أحد هؤلاء المحبوبين لديه ، هان عليه ذلك الساب وانعقد القلب على عداوته ، ومهاجرته ، بل وجب السعي الى ارجاعه الى الحق أو محاربته على ذلك ، خاصة إذا كان السب لله أو لرسوله (صلى الله عليه وسلم) لأن ذلك لا يصدر إلا عن كافر أو مرتد عن الاسلام[2] ، قال تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾[3] . ا.هـ.

وعلى هذا ، فإن بغض الكفار واجب ومحبتهم ممتنعة ، وعلى العكس من ذلك أهل الايمان ، فإن حبهم واجب وبغضهم ممتنع ، يقول الامام عبد العزيز بن محمد بن سعود (رحمهم الله) - وهو من العلماء العاملين - في رسالة بعث بها الى بلاد العجم وبلاد الروم قال فيها : (نحن لا نكفر إلا من عرف التوحيد وسبه وسماه دين الخوارج ، وعرف الشرك وأحبه وأحب أهله ودعا اليه وحض الناس عليه ، بعد ما قامت عليه الحجة ، وإن لم يفعل الشرك أو فعله وسماه بغير اسمه ، بعد ما عرف أن

---

(١) ملحق المصنفات للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٦ .
(٢) أنظر العقيدة الاسلامية / محمد بن عبد الوهاب جـ ص ٣٥٥ .
(٣) سورة المجادلة آية (٢٢) .

الله حرمه ، أو كره ما أنزل الله أو أبغض ما أنزل الله[1] . قال تعالى : ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أَنْزَلَ اللهُ فأحبطَ أعمالَهم ﴾[2] .

فنستنتج من ذلك ، أن أكبر ذنب وأصله وأعظمه منافاة لأهل الاسلام ، الولاء لأعداء الله ، من حب ومعاونة ، ومناصرة لهم على كفرهم ، لأن من أنواع الشرك الرئيسة شرك المحبة والولاء[3] ، والشرك بأنواعه المتعددة من أعظم الذنوب . قال تعالى : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾[4] . وشرك الولاء للأعداء يتخذ صورا متعددة منها السعي فيما يظهر به دين الكفار ، وما هم عليه من باطل وشرك ، يضاف الى ذلك انشراح الصدر لهم ، وطاعتهم والثناء عليهم ومدح من دخل تحت أمرهم المنكر ، وانضم الى سُلكهم وحرض على ترك جهادهم ومسالمتهم ، ودعا الى عقد الأخوة معهم والطاعة لهم وتكثير سوادهم[5] .

وقد روى عن جابر (رضي الله عنه) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : (ستكون أمراء ، من دخل عليهم فأعانهم على ظلمهم وصدقهم بكذبهم ، فليس مني ولست منه ، ولن يرد عليّ الحوض)[6] .

وروي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) (من أعان على خصومة بظلم أو يعين على ظلم لم يزل في سخط الله تعالى حتى ينزع)[7] .

(١) أنظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٤٥ ، ١٤٦ .
(٢) سورة محمد آية (٩) .
(٣) أنظر مقرر علم التوحيد للصف الثاني ثانوي بالمملكة العربية السعودية / تأليف محمد قطب (ط ـ ١) سنة ١٣٩٦ هـ ، ص ٣٦ .
(٤) سورة النساء آية (٤٨) .
(٥) أنظر الدرر السنية جـ ١١ ص ٨٠ .
(٦) رواه أحمد ، مسند أحمد جـ ٢ ص ٩٥ .
(٧) رواه بن ماجة، سنن ابن ماجة جـ ٢ ص ٥٢ .وانظر الحلية لابي نعيم جـ ٥ ص ٧٤ ، ٢٤٨ .

وروي أ يضا عن امرأة يقال لها فسيلة قالت : سمعت أبي يقول : سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقلت : أمن العصبية أن يحب الرجل قومه ؟ قال : لا . (ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم)[1] .

ويقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (رحمهم الله) إن الله افترض على المؤمنين عداوة المشركين من الكفار والمنافقين ومن حذا حذوهم ، وقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين وبيّن أن من تولّى الكفار فهو منهم[2] . قال تعالى ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾[3] . وقال تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون اليهم بالمودة ﴾ . . . . إلى قوله ﴿ ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾[4] . ا . هـ .

فنأخذ من تلك الآيات ، أن موالاة الكافرين أمر عظيم ، ومبدأ خطير وذلك مما عرضته الآيات من شدة النهي والزجر ، مع صحابي علم الله واطلع رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، على أن حاطب بن أبي بلتعة ، (رضي الله عنه) فعل ذلك مع سلامة القصد ، ويقين القلب بالاسلام ، ولكن مع ذلك أنزل فيه آيات بينات ، ووقف عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ثائرا ، يقول : يا رسول الله دعني أضرب عنقه فقد نافق ، فيرد عليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) يا عمر إنه قد شهد بدرا ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر ، فقال : (اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[5] . فأعطت الآيات التسع من أول سورة الممتحنة حجما عظيما لهذه الحادثة ،

---

(١) رواه ابن ماجة ، المصدر السابق جـ ٢ ص ٤٦٣ .
(٢) أنظر مجموعة التوحيد ص ١١٣ .
(٣) سورة المائدة آية (٥١) .
(٤) سورة الممتحنة من آية (١ - ٩) .
(٥) تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٥٠ .

لكي لا تكون سابقة لمثلها ، في هذا الدين ، مع أنه كان يمكن أن تمر هذه الحادثة لو قدرناها باعتبارها حادثة فردية ، بطريق أسهل وأخف ، من أن ينزل الله بها وحياً يتلى الى قيام الساعة ، ولكن إرادة الله ومشيئته هي التي قدرت لهذه الحادثة أن تكون ، وأن تكشف ، فصاحب القصة ، هو أحد الأفراد القلة ، الذين استودعهم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) سر هذه الغزوة ، ثم تدركه لحظة الضعف البشري ، فيبوح بذلك السر ، ويجري قدر الله واعجازه ، بكف ضرر هذه الحادثة ، قبل تمامها ، باطلاع رسوله (صلى الله عليه وسلم) على الأمر[1] . فيتحقق بذلك أمر الله ، في منع موالاة الكافرين ومودتهم ، وبخاصة الذين يحاربون أهل الاسلام ، في دينهم ، وديارهم ، وانفسهم ، حيث قال تعالى ﴿ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾ أما لو رجعنا الى الكتاب الذي بعث به حاطب بن أبي بلتعة ، الى قريش ، لوجدنا أن ما فيه من كلمات ، تعتبر بمثابة حرب نفسية للكفار حيث يقول فيه : (أما بعد : فإن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قد توجه اليكم بجيش ، كالليل ، يسير كالسيل ، وأقسم بالله ، لو لم يسر اليكم إلا وحده ، لأظفره الله بكم ، وأنجز له موعده فيكم ، فإن الله وليّه وناصره)[2] . ولكن نظرا إلى أن الأمر تم بتصرف فردي واجتهاد شخصي لمصلحة خاصة ، اعتبر ذلك الأمر في غاية الخطورة والشدة ، حيث أن في ذلك إذاعة لسر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ،وللجماعة المسلمة بدون مراجعتها واقرارها لذلك .

فاعتبر ذلك انحيازا إلى الكفار وموالاة لهم ، ولكن حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) قد استثني من طائلة هذا التصرف وعفي الله عنه لاعتبارات تقدم ذكرها[3] ، وهي لا تنطبق على سواه ، أما من يفعل ذلك

---

(١) أنظر في ظلال القرآن جـ ٨ ص ٦٥ ، ٦٦ .

(٢) تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٥٠ . وانظر نيل الأوطار للشوكاني جـ٨ ص ١٥٦ .

(٣) أنظر ص ١٧٢ من هذه الرسالة .

من المسلمين بعده ، فهو مرتكب لذنب عظيم وإثم كبير ، إاذا فعل ذلك لغـرض دنيوي وكـان سليم الاعتقاد ، نحـو الله ورسولـه ودين الاسـلام والمسلمين . حيث أن حاطب (رضي الله عنه) أراد بعمله ذلك أن يتخذ يداً عند الكفار يحمون بها أبناءه وأهله ، ولم ينو الردة عن الدين ، ومع ذلك وصف هذا العمل بالضلال قال تعالى : ﴿ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾[1] .

أما من فعل ذلك مع فساد النية وخبث الطوية فهو كافر مرتد[2] . وهذا الحكم ينطبق على الذين يستدعون الكفار الى بلاد المسلمين ثم يطيعونهم فيما يأمرون به من كفر وضلال ، ويظهرون لهم الموافقة على دينهم الباطل ، ويعينونهم عليه بالمال والرجال والسلاح ، بينما يقـطعون صلتهم بالمؤمنين خاصة والمسلمين عامة ، وربما ناصبوا المسلمين العداء في أقوالهم وأفعالهم فهل يشك أحد في كفر هؤلاء وردتهم عن الاسلام ، إن من يفعل ذلك يكون خارجا على منهج الله ومنهج رسوله ، فإن كان حاكما سقطت ولايته وانحلت بيعته ، ووجب عصيانه وعدم طاعته ، وإن كان من أدعياء العلم ، ثبت إلحاده وانحرافه وزندقته ، وإن كان جاهلاً، أو متهاونا ، ثبت ضلاله لعدم سعيه وسؤاله عما لا يعلم حيث إن الله تعالى يقول (فسئلوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون)[3] .

فكثير من مدعي الاسلام في عصرنـا الحاضـر داخلون تحت هذا الحكم ، فالذين يصححون مذاهب الكفر ويعظمون أحزابه وينتمون إليها ويدعون لها ، كفار وإن اعتقدوا الاسلام أو زعم بعضهم بجهل أو تجاهل أن لا تعارض بين الاسلام وتلك الاحزاب .

---

(١) سورة الممتحنة آية (١) .
(٢) أحكام القرآن لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧١ .
(٣) سورة الأنبياء اية (٧) .

فالذين ينادون بالشيوعية ، أو الاشتراكية ، أو يدعون إلى الاحزاب البعثية ، أو القومية ، أو العلمانية ، أو الماسونية ، هؤلاء كفار وإن عاشوا بين المسلمين ، وتسموا بأسماء أهل الاسلام ، لأنهم لم يرضوا بالاسلام دينا ، ولم يعتقدوا بكماله وتمامه ، وإلا لم ينتموا ويدعوا الى تلك الاحزاب الكافرة . قال تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا ﴾(١) .

وقال تعالى ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾(٢) .

وقال تعالى : ﴿ ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾(٣) .

فالذين يوالون الكفار على تلك الصفات المتقدمة حكمهم الكفر ، لأن هؤلاء الذين يوالون الكفار غالبا ما يكونون مبغضين لحكم الله ورسوله ودين الاسلام ، معادين لأوليائه موالين لأعدائه ، فهم والحالة هذه جمعوا بين سببين مكفرين :

الأول : تفضيل أحكام الكفار وأنظمتهم على حكم الله ورسوله .

الثاني : بغضهم لما جاء عن الله وعن رسوله من دين الاسلام ، فهم يحاولون تأويل النصوص الشرعية وتفسيرها حسبما يتفق مع أهوائهم ، ورغباتهم المنحرفة فهم وإن عملوا ببعض أحكام الاسلام ، فليسوا مسلمين بالمعنى الصحيح ، لأنهم لم يستسلموا لله ، وينقادوا له بالطاعة ، ويذعنوا لأحكام الاسلام ، ففي أنفسهم حرج مما قضى الله به وشرع وهذا ينفي عنهم صفة الايمان . قال تعالى : ﴿ فلا وربك

---

(١) سورة المائدة آية (٣) .
(٢) سورة النساء آية (٦٥) .
(٣) سورة آل عمران آية (٨٥) .

لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ﴾[1] .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية (رحمه الله) إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يقول : (إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة ، إذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ، ووقع فيه وأقره ودعا إليه ، وصوبه وحسنه ، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية ، أو نظيره ، أو شر منه ، أو دونه ؛ فتنقض بذلك عرى الاسلام ، ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان ، وتجريد التوحيد ، ويبدع بتجريد متابعة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له بصيرة وقلب حي يرى ذلك عيانا والله المستعان .)[2] . ا . هـ.

وقد رأى ذلك من قبلنا ، ورأيناه في عصرنا الحاضر بصورة لا مثيل لها ، فقد ابتلينا بجهلة يدّعون علما بلا عمل ، ويحملون شهادات كبيرة ولكنهم مع ذلك أشربت قلوبهم حب الشرك والبدع ، وقلدوا اليهود والنصارى وأهل الوثنية حذو القذة بالقذة ، فقد استحسنوا البدعة ، وأنكروا التوحيد والسنة ، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق ، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل وجهلوا أو تجاهلوا أن الله تعالى عقد الاخوة والموالاة والمحبة بين المؤمنين كلهم ، ونهى عن موالاة الكافرين كلهم ، من يهود ونصارى ومجوس ، ومشركين وملحدين ومارقين ومرتدين ، وغيرهم ممن ثبت في الكتاب والسنة الحكم بكفرهم . فعليهم ، وعلى امثالهم ممن لم يصلوا الى درجتهم ، أن يعلموا أن الله عز وجل ، قد أوجب على كل مسلم محبة كل مؤمن موحد ، تارك لجميع المكفرات الشرعية ، وأن عليه موالاته ونصرته بنفسه ، وماله ، واعتقاده ، وكل من كان بخلاف ذلك ، من أهل الزيغ

---

(١) سورة النساء آية (٦٥) .

(٢) مجموعة التوحيد ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

والانحراف والضلال ، فإنه يجب التقرب الى الله ببغضه ومعاداته ، وجهاده باللسان واليد بحسب القدرة والامكان فما الولاء والبراء ، إلا الحب والبغض في الله ، وهما أصل الايمان ، فأصل الايمان ، أن تحب في الله أنبياءه ، ورسله ، وأتباع رسوله ، وتبغض في الله ، أعداءه ، وأعداء رسله ، وأعداء المؤمنين في كل زمان ومكان ، وكل من حكم الشرع بتكفيره ، فإنه يجب تكفيره ، ومن لم يكفر من كفره الله ورسوله ، فهو كافر مكذب لله ورسوله ، وذلك إذا ثبت عنده كفره بدليل شرعي[1] . آ . هـ.

وقد بيّن الله عز وجل في كتابه الكريم ، وسنة رسوله المصطفى العظيم أن الناس في هذه الحياة قسمان لا ثالث لهما ، حزب الله ، وحزب الشيطان ، وأمر المسلم أن ينضم إلى حزب الله ، يحبه ويواليه ويناصره بجميع ما يملك ، إن أراد أن يكون من جزب الله المفلحين ، قال تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ﴾ . . . إلى قوله ﴿ أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون ﴾[2] . أما من ضل وانحرف، وشقي في دنياه وأخراه ، فهو الذي يتولى ويوالي حزب الشيطان ، وحزب الشيطان يتخذ مظاهر متعددة واشكالا مختلفة ، ولكن يجمعها شيء واحد هو تعارضها مع الاسلام جملة وتفصيلا ، فكل حزب يتعارض مع الاسلام هو حزب الشيطان مهما اطلق عليه من أسماء براقة ، وألفاظ منمقة ، قال تعالى ﴿ استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون ﴾[3] . فيجب على المسلم أن يتعامل مع الناس ، على أساس أن هناك من الناس من هم أولياء لله ، ومنهم من هم أولياء للشيطان ، وقد فرق الله بينهم بقوله تعالى في شأن أوليائه ﴿ ألا إن أولياء الله لا خوف

---

(١) أنظر في هذا المعنى الفتاوي السعدية جـ ١ ص ٩٨ / عبد الرحمن بن سعدي .
(٢) سورة المجادلة آية (٢٢) .
(٣) سورة المجادلة آنة (١٩) .

عليهم ولا هم يحزنون ﴾(1) . وقوله تعالى : ﴿ الله وليُّ الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾(2) . وقال تعالى عن أولياء الشيطان ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ﴾(3) . وقال تعالى : ﴿ ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا ﴾(4) . وقال تعالى : ﴿ أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو ﴾(5) . فإذا عرف الناس أن فيهم ، أولياء للرحمن ، وأولياء للشيطان ، فيجب على المسلم أن يفرق بين هؤلاء وهؤلاء ، كما فرق الرسول (صلى الله عليه وسلم) بينهما(6) .

فأولياء الله لا تجوز معاداتهم أو محاربتهم ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : (من عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب)(7) . . . . الحديث .

فيؤخذ من ذلك أن من كره من أحب الله خالف الله ، ومن خالف الله عانده ، ومن عانده أهلكه الله .

وإذا ثبت ذلك في جانب المعاداة ثبت ضد ذلك في جانب الموالاة لأولياء الله ، فمن والى أولياء الله أكرمه الله ، ومن عاداهم عاداه الله .

قال الطوفي(8) : (لما كان وليّ الله هو من تولى الله بالطاعة

---

(1) سورة يونس آية (٦٢) .
(2) سورة البقرة آية (٢٥٧) .
(3) سورة الاعراف آية (٢٧) .
(4) سورة الانعام آية (١٢١) .
(5) سورة النساء آية (١١٩) .
(6) سورة الكهف آية (٥٠) .
(7) أنظر مجموعة التوحيد ص ٤٨٢ .
(8) رواه البخاري . أنظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٠ .
(9) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الصرصري البغدادي الحنبلي ، =

والتقوى ، تولاه الله بالحفظ والنصرة ، وقد أجرى الله العادة بأن عدو العدو صديق ، وصديق العدو عدو ، فعدو ولي الله ، عدو الله ومن عادى انسانا كان كمن حاربه ، ومن حارب ولى الله كان كمن حارب الله .)[1] . ا . هـ .

وفي الحديث (إني لأثأر لأوليائي كما يثأر الليث الحرب)[2] .

أي آخذ ثأرهم ممن عاداهم ، كما يأخذ الليث الحرب ثأره ، لأن الله عز وجل يدافع عن الذين آمنوا ، قال تعالى ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور ﴾[3] . فهذه كرامة من الله عز وجل للذين آمنوا به ، ووالوه ، وأحبوه ، وأحبوا ما يحب ، وابغضوا ما يبغض ، ورضوا بما يرضي ، وسخطوا بمايسخط ، وأمروا بما يأمر به ، ونهوا عما نهى عنه ، وأعطوا لمن يحب أن يعطي ، ومنعوا من يحب أن يمنع ، فمن أجل ذلك أحاطهم الله بعنايته ورعايته قال تعالى : ﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ .

فمن لم يعاد الكافرين ويوال المسلمين فليس من حزب الله ولا من أهل ولايته ، يقول الشاعر سليمان بن سحمان :

فمن لم يعاد المشركين ومن لم ... يوالِ ولم يبغض ولم يتجنب
فليس على منهاج سنة أحمد ... وليس على نهج قويم معرب[4]

= ولد سنة (٦٥٧ هـ) ونشأ نشأة العلماء فهو فقيه ، أصولي ، مشارك في أنواع العلوم ، ولد بقرية طوفي من أعمال بغداد ، وتوفي في الخليل بفلسطين سنة (٧١٦ هـ) من تصانيفه الكثيرة : بغية الشامل في أمهات المسائل في أصول الدين ، مختصر الحاصل في أصول الفقه ، شرح مقامات الحريري في مجلدات ، الاكسير في قواعد التفسير ، مختصر الجامع الصحيح للترمذي .
أنظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٤ ص ٢٦٦ .

(١) أنظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٣ .
(٢) أنظر مجموعة التوحيد ص ٣٨٣ ضمن كلام شيخ الاسلام ابن تيمية .
(٣) سورة الحج آية (٣٨) .
(٤) عقود الجواهر المنضدة الحسان / سليمان بن سحمان ص ٢٤٨ .

ويقول في موضع آخر :

ومن كـان ذا حب لمـولاه انمـا ... مـحبتـه لـلدين شـرط فـقيِّـدِ
ومـن لا فـلا والحـب لله انـمـا ... يتم بـحب الـديـن دين مـحمـدِ
فعـاد الـذي عـادى لـدين محمـد ... ووال الـذي والاه من كـل مهتدِ
وأحبب رسول الله أكمل من دعـا ... إلى الله والتقـوى وأكمـل مـرشـدِ
أحب من الأولاد والنفس بل ومن ... جميع الورى والمال من كل اتلد
وأحبب لحب الله من كـان مؤمنا ... وأبغض لبغض الله أهــل التمـرد
وما الدين إلا الحب والبغض والولا ... كذاك البراء من كل غاو ومعتد[1]

ويقول المجاهد مروان حديد[2] من قصيدة طويلة :

ومـرضـاة الالـه بـحـرب كفـر ... وبغض الكفـر في لحمـي ودمي

فخلاصة القول في هذا المبحث اننا محتاجون الى ولاية الله ونصرته وعونه لنا ، وهذا لا يتحقق إلا إذا كانت موالاتنا في الله ، ومعاداتنا فيه . وأن من لم يوال في الله ويعاد فيه فليس بمسلـم ، وأنه لا عز لنا في الدنيا

---

(١) المصدر السابق ص ٢٥٩ .

(٢) ولد الشاعر المجاهد مروان حديد في مدينة حماة عام (١٩٣٨ م) وعاش في اسرة عرفت بتمسكها بالاسلام - تلقى العلم بمدارس حماة ومساجدها ، وبعد أن أتم دراسته الثانوية ، إنتقل إلى مصر والتقى بكثير من علمائها ، وعلـى رأسهم الشيخ حسن البنا (رحمه الله) ثم بعد ذلك تخرج من كلية الزراعة مهندسا زراعيا ، وعاد الى سوريا داعية الى الله ، يزرع بدعوته الايمان في القلوب المجدبة ، ولكن البعثيين الكفرة تصدوا لـه فاعتقلوه وقضى سنوات طويلة في سجن تدمر الصحراوي ثم خرج منه عام (١٩٦٧ م) بعـد الهزيمـة المصطنعة التي سلم فيها الخائن النصيري هضبة الجولان لأخوانه اليهود ، فتألم المجاهد مروان حديد لاستيلاء اليهود على القدس ، وشكل مجموعة من الشباب المسلم واتخذوا قاعدة لهم في غور الاردن ينطلقون منها الى قلب فلسطين ، مجاهدين لليهود ، فتآمر عليهم اليهود مع النصيريين الكفرة وعندما عاد مروان حديد الى حماة داهمته القوات البعثية صباح اليوم الاول من شهر يوليو ١٩٧٥ م . وصعدت روحه الطيبة الى بارئها . أنظر شعراء الدعوة الاسلامية جـ ٥ ص ٩٥ - ٩٧ .

والآخرة إلا بالموالاة في الله التي تجعل المسلمين كالجسد الـواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى . ولا فوز لنا في الآخرة إلا بذلك ، فمن والى الكفار فهو معهم دنيا وأخرى ، قال تعالى ﴿ إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا ﴾[1] . وقال تعالى ﴿ بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما ، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا ﴾[2] .

---

(١) سورة النساء آية (١٤٠) .
(٢) سورة النساء آية (١٣٩) .

المبحث التاسع

صلة المداهنة والمداراة بالموالاة والمعاداة

يختلط على كثير من الناس مفهوم المداهنة بالمداراة ، فيحتج البعض منهم بمفهوم إحداهما على الاخرى ، رغم أن هناك فرقاً بينهما لا يخفى على ذوي الاطلاع ، من أجل ذلك آردنا في هذا المبحث أن نوضح - حسب اطلاعنا المحدود - الفرق بين هذين المفهومين الذين يلتبسان على كثير من الناس ، فنقول :

بأن في هذا المبحث مطلبين :

المطلب الاول : هو تعريف المداهنة وحكمها .

المطلب الثاني : هو تعريف المداراة وحكمها والفرق بينها وبين المداهنة .

المطلب الأول

المداهنة وحكمها

المداهنة : هي ترك ما يجب لله ، من الغيرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتغافل عن ذلك ، لغرض دنيوي وهوى نفساني ، لزعم هؤلاء

أن المعيشة لا تحصل لهم إلا بذلك ، فالمداهنة هي المعاشرة والاستئناس مع وجود المنكر والقدرة على الانكار[1] .

فالمداهنة محرمة ، وهي نوع من أنواع الموالاة للكفار[2] .

فمن داهن أهل الكفر والظلم والفجور وهو قادر على الانكار عليهم فقد خالف نهج الرسل والانبياء واتباعهم ، وخرج عن سبيلهم ومنهاجهم ، فالذين يداهنون الكفار ، يرون العقل في إرضاء الناس على اختلاف مشاربهم ومعتقداتهم ، بغض النظر عمن هو صاحب الحق ومن صاحب الباطل ، فهم يسالمون الجميع ويستجلبون مودتهم ومحبتهم ، إيثارا للحظوظ الدنيوية ، وحبا للدعة والراحة ، وطلبا للسلامة العاجلة ، في ترك المعاداة في الله ، والموالاة فيه ، وتحمل الأذى في سبيله ، وهذا الاعتقاد والعمل هو التهلكة في العاجلة والآجلة ، حيث إن المداهنة بهذا الوصف تتعارض مع آيات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال تعالى : ﴿ يا بُني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ﴾[3] .

فالمداهن بالاضافة إلى تركه واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يكتسب إثما جديدا وهو إشاعة الفحشاء والمنكر في المجتمع ، لأن الفجرة والطغاة إذا أمنوا من مغبة الانكار عليهم، ازدادوا في فجورهم وطغيانهم، لأنهم يرون أن الكل يعلم فجورهم، ومع ذلك يسكت ويداهن ، فالمداهنة مشاركة بجريمة اقتراف المنكر والسكوت عليه في الدنيا ، ولذلك استحق من يفعل ذلك اللعن والطرد من رحمة الله ، كما ذكر الله عز وجل عن بني اسرائيل قال تعالى : ﴿ لعن الذين

---

(١) الدرر السنية جـ ١١ ص ٨٥ .
(٢) الدرر السنية جـ ٧ ص ٣٨ - ٣٩ .
(٣) سورة لقمان آية (١٧) .

كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾[1] .

فلا يجوز ترك إنكار المنكر ممن يراه ، فالذي يسكت عن إنكار المنكر خوفا أو هيبة من أحد من الناس ، يكون مداهنا في دين الله ، والله عز وجل حرم المداهنة بقوله تعالى : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾[2] .

فالذي يرى المنكر ينكر على فاعله بالحكمة والموعظة الحسنة التي يراها مناسبة لمثل تلك الحالة ، فالمنكر إذا خفي لم يضر إلا صاحبه ، وإذا فشا ولم ينكر ضر العامة كلهم[3] .

وفي الحديث أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: (إذا عُملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها) وقال مرة : (أنكرها كمن غاب عنها . ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها)[4] . فعلى هذا ، يكون الاستئناس ، والمعاشرة عند رؤية المنكر مع القدرة على الانكار ، هو عين المداهنة[5]. فما ذاق طعم الايمان : من لم يوال في الله ويعاد فيه ، فالعقل كل العقل ما أوصل الى رضا الله ورسوله وهذا إنما يحصل بمراغمة أعداء الله ، وإيثار مرضاته على مرضاتهم ، والغضب إذا انتهكت محارمه . فالغضب ينشأ من حياة القلب وغيرته وتعظيمه لله ، وإذا عدمت الحياة في القلب ، تبعها انعدام الغيرة والتعظيم والغضب لله ، فتساوى عند هؤلاء الناس الخبيث والطيب ، في المعاملة وفي الموالاة والمعاداة ، فأي خير يبقى في قلب كهذا ؟

---

(١) سورة المائدة آية (٧٩) .
(٢) سورة القلم آية (٩) .
(٣) أنظر الدرر السنية جـ ١١ ص ٤ .
(٤) أنظر سنن ابي داود جـ ٤ ص ١٢٤ رقم الحديث (٤٣٤٥) كتاب الملاحم .
(٥) أنظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٣٥ ـ ٣٦ .

إن المداهن الذي يطلب رضا الخلق ، أخبث حالا من الزاني والسارق وشارب الخمر .

قال ابن القيم (رحمه الله) : (ليس الدين بمجرد ترك المحرمات الظاهرة بل بالقيام مع ذلك بالأمور المحبوبة عند الله ، وأكثر المنتسبين الى الدين لا يعبئون منها ، إلا بما يشاركهم فيه عموم الناس ، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والنصيحة لله ورسوله وعباده المؤمنين ، ومناصرتهم والجهاد معهم فلا يخطر ببال كثير ممن يدَّعون الاسلام ، فضلا عن أن يريدوا فعلها ، أو أن يفعلوها ، وأقل الناس دينا ، وأبعدهم من الله ، من ترك هذه الواجبات ، وان زهد في الدنيا جميعها ، حيث يندر من هؤلاء من يحمر وجهه ويتمعر غضبا لله ، اذا انتهكت محارمه ، فهم لا يجودون بالانفس والأموال في نصرة الحق وقمع الباطل ، فأصحاب الكبائر ، أحسن حالا عند الله من هؤلاء)[1] . ا . هـ .

ثم يقول الشيخ حمد بن عتيق معلقا على كلام ابن القيم (رحمهما الله جميعا) لو قدر أن رجلا يصوم النهار ويقوم الليل ، ويزهد في الدنيا كلها ، وهو مع ذلك لا يغضب ولا يتمعر وجهه ويحمر لله غضبا عند رؤية المنكر وأهله ، فهذا من أبغض الناس عند الله وأقلهم شأنا ، نظرا لعدم تحمله الأذى في سبيل الدعوة الى الله[2] . ا . هـ .

ثم يقول حدثني من لا أتهم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) أنه قال مرة : عندما رأى أناسا يجلسون في المسجد على مصاحفهم يقرؤن ويبكون ، فإذا علموا معروفا لم يأمروا به ، وإذا رأوا منكرا لم ينهوا عنه ، ورأى أناسا يعكفون عندهم ، ويقولون هؤلاء لحي

---

(١) أنظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٣٨ .
(٢) أنظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٣٨ - ٣٩ .

غوانم[1] ـ وأنا أقول إنهم لحي فوائن[2] ـ فقال السامع أنا لا أقدر أن أقول إنهم لحى فوائن فقال الشيخ أنا أقول إنهم من العمي البكم)[3] .

يشهد لهذا ما جاء عن بعض السلف قولهم : إن الساكت عن الحق شيطان أخرس ، والمتكلم بالباطل شيطان ناطق[4] . فلو علم المداهن الساكت أنه من أبغض الخلق الى الله وهو في تلك الحالة ، لتكلم بالخير وصدع بالحق ، ولو علم طالب رضا الخلق بترك الانكار عليهم ، أنه لن يناله من ذلك إلا غضب الله عليه ، ومن يغضب الله عليه يغضب الناس عليه ، كما ورد في الحديث عن عائشة (رضي الله عنها) : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : (من التمس رضا الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس)[5] .

فالمداهنة سبب للغضب والعذاب في الدنيا والآخرة ، يقول الشاعر :

وثمود لو لم يدهنوا في ربهم لم تدم ناقتهم بسيف قُدارِ[6]

وعلى هذا فالحاكم المسلم يجب عليه موالاة أهل الايمان ونصرتهم ، وقمع أهل الباطل والبغي والفساد وكسر شوكتهم ، وقد أخذ بهذا المبدأ عبد الله بن سعود بن عبد العزيز في رسالة بعث بها الى أمراء بعض الجهات التابعة له . قال فيها : (بلغنا الخبر أن بعض الأمراء متسلط على أهل الدين ، بأمور ظاهرها حق وباطنها باطل ومغشة ، ولا يفعل هذا أمير مع

---

(١) أي فائزة ، من غنم الشيء غنما أي فاز به . أنظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦٧٠ .

(٢) فوائن جمع (فينة) وهي الأمر الرديء .

(٣) أنظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٣٩ .

(٤) المصدر السابق نفس المكان .

(٥) أنظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٣٥٠ ـ ٣٥١ ، أنظر سنن الترمذي جـ ٤ ص ٣٤ .

(٦) أنظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٣٦ .

أهل الدين ، فأدعه يوما واحدا في الامارة ، فكل يأخذ حذره ويبدل ما كان عليه ، ومضى ما فيه الكفاية)[1] ا . هـ .

ومما تقدم يتضح أن المداهنة مذمومة وقد نُهِي عنها نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، قال تعالى : ﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾[2] .

والمداهنة مذمومة لانها وسيلة الى تزيين القبيح وتصويب الباطل والسكوت على المنكر فهي من الموالاة المحرمة[3] . اللهم إنا نعوذ بك من كل عمل يغضبك علينا ، ومن كل سجية تقربنا من التشبه بالشياطين الساكتين والناطقين ، أو أن نداهن في ديننا أهل الشبهات والشهوات والنفاق والكفر ، انك حسبنا ونعم الوكيل .

المطلب الثاني

المداراة وحكمها والفرق بينها وبين المداهنة

المداراة : هي درء الشر المفسد بالقول اللين ، وترك الغلظة أو الإعراض عنه إذا خيف أشد منه ، أو مقدار ما يساويه[4] .

حكم المداراة لأهل الشر والفجور :

تجوز مداراة أهل الشر والفجور فيما لا ينتج عنه قدح في أصل من أصول الاسلام وواجباته ، وهذه المداراة ليست داخلة في مفهوم الموالاة المحرمة[5] ، فقد كان النبي (صلى الله عليه وسلم) يدارى الفساق والفجار فقد روى البخاري بسند منقطع قوله ، ويذكر عن أبي الدرداء « انا لنكشر

---

(١) أنظر الدرر السنية جـ ١١ ص ٨٥ .

(٢) سورة القلم آية (٩) .

(٣) أنظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري جـ ١٣ ص ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) أنظر الدرر السنية جـ ١١ ص ٨٥ وانظر جـ ٧ ص ٣٦ .

(٥) المصدر السابق نفس المكان .

في وجوه أقوام وان قلوبنا لتلعنهم »[1] . وفي حديث آخر عن عروة بن الزبير عن عائشة (رضي الله عنها) أنها أخبرته أنـه استأذن على النبي (صلى الله عليه وسلم)[2] رجل فقال : إئذنوا له ، فبئس ابن العشيرة ـ او بئس أخو العشيرة ـ فلما دخل ألان له الكلام . فقلت له يا رسول الله ، قلت ما قلت ، ثم ألنت له في القول. فقال : أي عائشة : إن شر الناس منزلة عند الله من تركه ـ أو ودعه ـ الناس اتقاء فحشه[3] .

قال بعض العلماء تجوز المداراة ، فيما لا يؤدي الى ضرر الغير ، فأما إن كانت المداراة في أمور تخالف أصول الدين فهي مداهنة لا مداراة ، فلا يجـوز مداراة النـاس في مظالمهم من قتـل نفس أو سرقـة أمـوال، أو انتهاك أعراض ، أو شهادة زور أو نحو ذلك من الأمور المحرمة[4] .

قـال ابن بطال[5] : المـداراة من اخلاق المؤمنين . وهي خفض

---

(١) أنظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٥٢٧ وقد ضعف الألباني هذا الحديث في كتابه سلسلة الاحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٢٥٢ رقم (٢١٦) .

(٢) هو عينيه بن حصن . ولم يكن أسلم حينئذ ، وإن كان قد أظهر الاسلام . فأراد النبي (ص) أن يبين حاله ليعرفه الناس ، ولا يغتر به من لم يعرف حاله . قال القاضي : وكان منه في حياة النبي (ص) وبعده ما دل على ضعف إيمانه . وارتد مع المرتدين. وجيء به أسيرا إلى أبي بكر (رضي الله عنه) ووصف النبي (ص) بأنه بئس أخو العشيرة ، من أعلام النبوة . لأنه ظهر كما وصف . وإنما ألان له القول تألفا له ولأمثاله على الاسلام . والمراد بالعشيرة قبيلته ، أي بئس هذا الرجل منها . أنظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٠٢ (كتاب البر والصلة) .

(٣) أنظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٥٢٨ .

(٤) أنظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن جـ ١ ص ٤٠٤ تأليف / محمد علي الصابوني .

(٥) هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري ، القرطبي ، المالكي ويعرف بابن اللجام (أبو الحسن) . محدث فقيه ، استقضي بحصن الورقة وتوفي في آخر يوم من شهر صفـر سنة (٤٤٩ هـ) من آثـاره : شرح الجـامع الصحيـح للبخاري في عـدة اسفار ، والاعتصام في الحديث . أنظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ٧ ص ٨٧ .

الجناح للناس ، ولين الكلمة ، وترك الإغلاظ لهم في القول والعمل ، وذلك من أقوى أسباب الألفة[1] . ا.هـ.

أما المداهنة فهي من الدهان ، وهو الذي يظهر على الشيء ويستر باطنه ، وفسرها العلماء بأنها معاشرة الفاسق ، وإظهار الرضا بما هو فيه من غير إنكار عليه .

أما المداراة فهي تعني الرفق بالجاهل في التعليم ، وبالفاسق في النهي عن فعله ، وترك الإغلاظ عليه ، حتى لا يظهر ما هو فيه ، والانكار عليه بلطف القول والفعل ، ولا سيما اذا احتيج إلى تألفه على الخير ومنع ما يحصل منه من شر[2] .

فقد روى أبو نعيم في الحلية عن صفوان بن عسال (رضي الله عنه) قال كنا مع النبي (صلى الله عليه وسلم) في سفر فأقبل رجل فلما نظر اليه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : بئس أخو العشيرة وبئس الرجل ! فلما دنا منه أدنى مجلسه فلما قام وذهب قالوا : يا رسول الله ! حين أبصرته قلت : بئس أخو العشيرة وبئس الرجل ، ثم أدنيت مجلسه ؟ فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : إنه منافق اداريه عن نفاقه ، فأخشى أن يفسد عليَّ غيره . قال ابو نعيم هذا حديث غريب[3] .

ومن ذلك نستنتج أن المداراة جائزة فيما لا يؤدي إلى ضرر الغير في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم وفيما لا يخالف أصلا من أصول الاسلام وواجباته ، وأن مداراة أهل الفسق والفجور ليست قاعدة مطردة يؤخذ بها في كل وقت وحال ، وإنما يجوز العمل بها فقط إذا خيف حصول شر أعظم مما هو كائن ، أو مثله ، وكان المداري غير قادر على إنكار هذا المنكر

---

(١) أنظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٥٢٨ .

(٢) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٥٢٨ ـ ٥٢٩ .

(٣) الحلية لابي نعيم جـ ٤ ص ١٩١ .

بالقول أو الفعل ، فيجوز له درء الشر بالقول اللين ، أو الإعراض عنه لهذه الأسباب ، أما إذا زالت الأسباب الموجبة للمداراة ، أو كانت المداراة تؤدي إلى ضرر الغير أو إلى مخالفة أصل من أصول الاسلام وواجباته ، فإن المداراة حينئذ لا تصح ولا تجوز ، لأنها انتقلت من كونها مداراة إلى كونها مداهنة ، والمداهنة محرمة في الاسلام كما سبق بيان ذلك[1] .

---

(١) أنظر صفحة ٢٠٤ ـ ٢٠٨ من هذه الرسالة .

المبحث العاشر

تغيير الاسماء لا يغير حقيقة المسمى وحكمه

يعبر القرآن الكريم عن مفهوم الخيانة بكلمة الولاء للأعداء والتولي لهم ، وهذا يبدو واضحا جليا في آيات القرآن الكريم المتناولة لهذا الموضوع ، فإنه يطلق ذلك اللفظ على أولئك الذين خانوا الله ورسوله والمؤمنين ، فآثروا العدو والسعي في رضاه ، على رضى الله ورسوله وجماعة المسلمين وآثروا خدمة العدو الكافر على خدمة دين الاسلام ومبادئه العظام .

قال تعالى ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾[1] فقيل إنها نزلت في أبي لبابة (رضي الله عنه) حين أشار إلى بني قريظة عدم النزول على حكم سعد بن معاذ (رضي الله عنه) وقال لا تفعلوا فإنه الذبح ، وأشار إلى حلقه ، وقيل نزلت في قوم كانوا يسمعون الشيء من النبي (ص) فيلقونه إلى المشركين ويفشونه[2] .

(١) سورة الأنفال آية (٢٧) .

(٢) انظر جامع النقول في أسباب النزول ـ ابن خليفة عليوي جـ ٢ ص ٦٨ (طـ ١) .

فالخيانة تعني في مفهوم الاسلام والمسلمين ، موالاة العدو وتوليه ، وخيانة كل الفضائل والمبادىء التي جاء بها الاسلام ، وطبيعي أن يعدل الناس الذين ابتعدوا عن مفهوم الاسلام ، عن استعمال التعبير القرآني ، في أقوالهم وأفعالهم ، لأنهم يعلمون أن التعبير القرآني يشتمل على ما لا يريدون من مفاهيم تتنافى وسلوكهم العملي في واقع الحياة [1] .

ولذلك فهم يصفون موالاتهم للأعداء وتوليهم لهم ، وخيانتهم لله ورسوله والمؤمنين ، بأوصاف الصلاح والاصلاح ، وهم في الحقيقة إنما يلبسون باطلهم ثوب الحق ، وينفذون مؤامراتهم وخياناتهم مع أعداء الاسلام ، تحت هذه الأغطية الجوفاء فقد قتلوا المسلمين الغيورين على دينهم باسم حفظ مصالح الأمة وأمنها ، وهم أول البائعين لمصالح الأمة ، باسم التعاون المشترك والمصالح المشتركة ، وباعوا بلاد المسلمين بمن فيها من المسلمين ، تحت شعار المصالح القومية للأمة العربية ، إلى آخر ما حواه قاموس أولئك الخونة الأنذال من ألفاظ الدَّجل والتضليل ، وهم بهذا النهج لم يأتوا بجديد انما هم يسيرون على طريق أسلافهم من طواغيت الأرض ومجرميها ، فهذا فرعون كما يذكر عنه القرآن الكريم ، قد سبق هؤلاء على هذا الاسلوب من التحريف والتزييف ، قال تعالى : ﴿ وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه اني أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾[2] . فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني ، عن موسى رسول الله ـ عليه السلام ـ أني أخاف أن يبدل دينكم ، أو أن يظهر في الأرض الفساد﴾ .

أليست هي بعينها كلمة كل طاغية مفسد ، عن كل داعية مصلح ؟ أليست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل ؟ أليست هي بعينها كلمة الخداع والتضليل الماكر الخبيث لإثارة دهماء الناس

(١) انظر مجلة الأمان عدد ٧٩ السنة الثانية في ١٤٠٠/٩/٢٧ هـ ص ١٧ ، ١٨ .
(٢) سورة غافر آية (٢٦) .

في وجه الحق وأهله ، وعبر الزمان والمكان ؟ تتكرر كلما تقابل الحق مع الباطل والايمان مع الكفر[1] .

ثم يقول الله عز وجل عن فرعون هذا في موضع آخر : ﴿ قال فرعون ما أريكم إلا ما أرى وما أهديكم إلا سبيل الرشاد ﴾[2] .

انظر كيف نجد فرعون يتحدث عن نفسه حديث المخلص لقومه الساعي لمصلحتهم فيقول : إنني لا أقول لكم إلا ما أراه صوابا وأعتقده نافعاً ، وهل يرى الطغاة أفعالهم إلا أنها الخير والرشاد ، فالخير والرشاد في مفهوم أولئك المجرمين ، أن ينالوا شهواتِهم وملذاتِهم كاملةً دون نقص ، ولو فنيت الأمةُ كلها ، أما لو كانوا يسعون في مصلحة الأمة كما يدعون ، لسمحوا للأمة أن تقول لهم أنتم مخطئون ، وأنتم غير صالحين للقيادة فتنحوا عنها ، وأعطوا القوس باريها ، ولكن الحاصل من الطغاة ، من فرعون الغابر إلى فراعنة العصر الحاضر ، أنهم لا يسمحون لأحد أن يرى رأيا يخالف رأيهم ، أو أن يقول كلاماً يخالف قصدهم ، ولو لم يكونوا بهذا الوصف لما كانوا طغاة مستبدين وفراعنة مجرمين[3] .

قال تعالى : ﴿ **ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون** ﴾[4] . فباسم الاصلاح والمحافظة على حقوق الأمة ، يوالون الكفار ، وينشرون كفرهم ، ويحاربون المؤمنين ، ويطفئون نور الله بأفواههم ، ويعبثون في الأرض فسادا ، واذا أنكر عليهم أحد من المسلمين جريمتهم ، ﴿قالوا انما نحن مصلحون﴾ فهم كما يقول الشاعر :

كم أضاعوا باسم الشعوب شعوبا   طحنتها المكائد الهوجاءُ
وأبادوا من الرجال فحولا   لن يموتوا ، فإنهم شهداءُ[5]

(١) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٢٤ ص ١٧٨ .
(٢) سورة غافر آية (٢٩) .
(٣) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٢٤ ص ١٨٠ .
(٤) سور ة البقرة آية (١١ ، ١٢) .
(٥) انظر شعراء الدعوة الاسلامية جـ ٢ ص ٢٢ .

ولو نوقشوا في هذا الأمر قالوا نحن نـريد أن نحقق رغبـة الأمة ، ونداري مصالحها ، ونرضي من فيها على اختلاف أنواعهم ، كفارا كانوا أو مسلمين ، ونعطي لكل فريق رغبته بلا حدود أو قيود ، وهم يدركون أن قولهم ذلك مجرد دعوى ، يبررون بها باطلهم ، ولكنهم يرون هذا الباطل في تصورهم الخاطىء صحيحا ، الى حد ـ ما ـ وهم لذلك يجمعون بين المتناقضات ، ويؤلفون بين المتضادات ، وهو أمر ممتنع الحصول عقلاً وشرعاً ، ولذلك يبين الله عز وجل أن عملهم هذا قمة في الفساد ، ونهاية في الضلال ، وكأنه ليس هناك مفسد في الوجود غيرهم ، فقال تعالى عنهم ﴿ألا إنهم هم المفسدون﴾، فما يزعمونه اصلاحاً هو عين الفساد، ولكن من جهلهم المطبق وانحرافهم السحيق ، لا يشعرون أن عملهم هذا هو الفساد[١] .

فالإفساد في الأرض من وجهة نظر هؤلاء ، هـو الدعـوة إلى الله وتحكيم شرعه ، حيث يترتب تلقائياً بطلان حكم الفراعنة ، وسقوط نظامهم كله ، لأن نظام الطغاة قائم أساسا على عبودية البشر للبشر ، أو بتعبير أدق على أساس ربوبية الفراعنة على عبيدهم المستَعْبَـدِين لهم ، ولذا قـرنوا الفساد في الأرض ، بتحطيم الجذور التي يقومون عليها ، لأن بتحطيمها تحطيما لهم ، وإن كان في ذلك صلاح المجتمعات كلها وتحريرها من عبوديتهم الظالمة ، وطغيانهم المميت[٢] .

ومثل هذا ما قاله النمرود وقومه لإبراهيم (عليه السلام) عندما كسر أصنامهم . كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى : **﴿ قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين ﴾**[٣] . فأطلقوا وصف الظلم على ابراهيم ، بينما الظلم الحقيقي في عبادتهم للنمرود وأصنامه ، ومحاربتهم لدين الله ورسله[٤] .

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٥٧ ـ ٢٥٨ .
(٢) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب م ٣ جـ ٩ ص ٦١٠ ـ ٦١١ .
(٣) سورة الأنبياء آية (٥٩) .
(٤) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب م ٥ جـ ١٧ ص ٥٤٩ .

ولكن النمرودَ وفرعونَ والفراعنةَ من بعدهما ما كان لهم أن يصنعوا ما صنعوا لولا وجود الفراعنة الصغار ، الذين أيدوهم على الباطل ، وزينوا لهم مطاردة المؤمنين ، فهذا فرعون يشير عليه قومه بملاحقة موسى ومن معه ، بحجة أن لا يفسدوا في الأرض ، والفساد في الأرض في نظر هؤلاء كالفساد في نظر الفراعنة الكبار ، قال تعالى : ﴿ **وقال الملأ من قوم فرعون أنذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنُقَتِّل أبناءهم ونستحي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون** ﴾[1] .

ألا ما أشبه الليلة بالبارحة، إن الإنسان لتنشلّ أعضاؤه ويقشعر بدنه عندما يسمع حديث أحد المعذبين الأبرياء بأيدي جلادي الطغاة وزبانتهم المجرمين حتى لا يكاد يصدق أن هؤلاء الذين يفعلون بالناس تلك الأفاعيل آدميون من بني الانسان ، يقول أحد المعذبين بأيدي الفراعنة الصغار يصف السجن وبعض ما لقيه فيه في قصيدة تربو على مئتين وتسعين بيتا نختار منها ما يلي كدليل على ما نقول، يقول :

فيه زبانية أعدوا للأذى ... وتخصصوا في فنه الملعون
متبلدون .. عقولهم بأكفهم ... وأكفهم للشر ذات حنين
لا فرق بينهم وبين سياطهم ... كل أداة في يد مأفون
يتلقفون القادمين كأنهم ... عثروا على كنز لديك سمين
بالرجل بالكرباج باليد ... بالعصا وبكل اسلوب خسيس دون
لا يقدرون مفكرا ولو انه ... في عقل سقراط وافلاطون
لا يعبأون بصالح ولو انه ... في زهد عيسى أو تقى هارون
لا يرحمون الشيخ وهو محطم ... والظهر منه تراه كالعرجون
أترى أولئك ينتمون لآدم ؟ ... أم هم ملاعين بني ملعون
لا تحسبوهم مسلمين من اسمهم ... لا دين فيهم غير لعن الدين[2] !

(١) سورة الأعراف آية (١٢٧) .
(٢) انظر نافذة على الجحيم / لعدد من الكتاب ص ١٣٦ - ١٣٧ .

فهؤلاء المجرمون وأمثالهم هم الذين كانوا سنداً للطغاة في حربهم للذين آمنوا ، ولا شك أنهم مؤاخذون بما يفعلون ، فمن يعتذر لهم بأنهم أدوات وآلات في يد الحاكم ، لم يفهم ما قاله الله عنهم في قوله تعالى : ﴿ **إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين** ﴾[1] .

فقرن تعالى جنودهما بهما لمشاركتهم لهما في الظلم والضلال، والإعراض عن الحق .

وقال تعالى : ﴿ **فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** ﴾[2] وقال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين ، الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما أمر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود** ﴾[3] . فذكر تعالى أنهم جميعاً ظالمون ، وأنهم قادمون على النار ، على حد سواء لا فرق بينهم ، وبين كبيرهم فرعون .

ومما تقدم يتضح أن الفراعنة ، وأعوانهم يسمون الأشياء بغير مسمياتها الحقيقية ، تعمية على الناس ، وتضليلاً لهم ، ولكن دَجلهم ومكرهم لا يخفى على من رزقه الله فهماً وعلماً وعملاً ، فقد ظهر في عصرنا الحاضر مصطلاحات لفظية تحمل معنى موالاة الكفار بغير هذا اللفظ المتداول في لغة القرآن الكريم فيطلقون على مداهنة الكفار والركون اليهم ، صداقة وتعاون ، ويطلقون على ملء البلاد الاسلامية بالجواسيس من اليهود والنصارى والوثنيين ومن يزاولون مهمة التكفير للمسلمين ، بأن ذلك سياسة وانفتاح على العالم ، كما يرسلون عشرات الآلاف من الأطفال والمراهقين الى الأعداء ، كي يربوهم ويعدوهم على طريقتهم الخاصة باسم العلم ،

---

(١) سور ة القصص آية (٨) .
(٢) القصص آية (٤٠) .
(٣) سورة هود آية (٩٦ ـ ٩٨) .

كما يسمون تبادل الزيارات مع الكفار ، واستقبالهم بالأحضان ، ومعاشرتهم وذكر ما فيـه تعظيمهم والتبسم في وجـوههم تسامحـاً ومراعـاة للمشاعـر الانسانية ، فنقول لهؤلاء ومن هم على شاكلتهم إن موالاة الكفار تعني محبتهم واظهار الود لهم بالقول والفعل والنية فمهما أُطلق على هذا المفهوم من أسماء فإنها لا تخرجه عن كونه موالاة للكفار يستحق فاعل ذلك ما تقدم من الوعيد في شأن من والى الكفار او تولاهم ، فالحكم يدور مع الحقيقة لا مع مجرد اللفظ فلو سمي الزنا متعة ، لم يخرجه ذلك عن مفهـومه الشرعي ، ولو سميت الخمر مشروبا روحيا ، لم يخرجها عن كونها خمرا ولو سمي الربا عمولة ، أو قرضا بفائدة ، أو تعاوناً اقتصاديا ، لم يخرجه عن كونه ربا[1] .

فقد ورد في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال : « ليستحلن طائفة من أمتي الخمر يسمونها بغير اسمها »[2] .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : (من أظهر الوَلاية لله وهو لا يؤدي الفرائض ولا يتجنب المحارم ، بل قد يأتي بما يناقض ذلك لم يكن لأحد أن يقول هذا ولي الله)[3] .

لقد درج الناس في هذا العصر ، على اطلاق مسميات الاسلام مثل لفظة شهيد ، ومجاهد ، على أناس هم أشد كفرا من اليهود والنصارى ، لأنهم مرتدون في عرف الاسلام والمرتد أعـظم كفرا ، ممن لم يعـرف الاسلام ابتداء لأن المرتد عرف الحق ورجع عنه الى الباطل .

كما أن هناك مسمياتٍ باطلة ظالمة تطلق على أهل التوحيد ورجال الإسلام من قبل أعداء الإسلام ، مثل لفظ الخونة ، والعملاء ، والمتعصبين

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ١٣٦ وانظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٨٥ .

(٢) أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م ١ ص ١٣٦ .

(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ٥١٥ .

والمتطرفين ، والمحتجرين . وغير ذلك من الألفاظ التي يُقصد بها التضليل ، وصرف الناس عن الحق الى الباطل ، وهم بهذا لم يأتوا بجديد في ذلك ، إنما يحيون سنة فرعون الذي قال عن موسى وصحبه ، كما ذكر الله تعالى ذلك حكاية عنه **﴿ إن هؤلاء لشرذمة قليلون ، وإنهم لنا لغائظون ، وانا لجميع حاذرون ﴾**(١) . فعلى المسلم أن يعرف الفراعنة في كل زمان ومكان ، وعليه أن يميز بين الغث والسمين من تلك الأقوال ، وأن يعرف الحق من الباطل بناء على الحقائق الثابتة لا على الدعاية المضللة ، وأن لا يكون صدى للأبواق المأجورة يردد بلا وعي ولا ادراك ما يقوله الأعداء وفي هذا المعنى يقول الشاعر عبد المنعم محمد الهاشمي ما يلي :

فهم قد زينوا البطلان حتى ... كسوه ثوب حق خادعينا
وأما الحق فاتهموه حتى ... كسوه ثوب بطلان ضغينا(٢)

وفي هذا المعنى يقول الشاعر سليمان بن سحمان الدوسري ما يلي :

وفي زعم هذا الأحمق الوغد أنه ... وأصحابه أهل الهدى حين يرسما
وأن ذوي الاسلام أهل ضلالة ... وأهل ابتداع بئسما قال اذ رمى
أيوصف بالاسلام من كان مشركا ... ويوصف بالاشراك من كان مسلما
لعمري لقد جئتم من القول منكرا ... وزورا وبهتانا وأمرا محرما(٣)

فخلاصة القول في هذه المسألة أن المسلم عليه التثبت فيما يأخذ ويدع من أقوال الناس وأفعالهم قال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾**(٤) .

---

(١) الشعراء آية (٥٤ ـ ٥٦) .
(٢) مجلة البلاغ عدد ٥٦٨ في ١٤٠١/١/٢٢ هـ ص ٥٣ .
(٣) دايوان عقود الجواهر المنضدة الحسان / سليمان بن سحمان ص ١٥٣ .
(٤) سورة الحجرات آية (٦) .

فلا يجوز لمسلم أن يوالي قوماً بناء على ما تلوكه وسائل الاعلام الموجهة لخدمة أغراض معينة ، أو بناء على ما يتفوه به سواد الناس ، ممن لا دراية لهم ، وليس لديهم دين مصحوب بعلم وعمل ، كما أنه لا يجوز له أن يعادي قوماً تعاديهم تلك الوسائل وهذه الفئات من الناس ، ما لم تتبين له الحقائق من مصادر مؤكدة مأمونة ، موثـوقة في نقلهـا وحكمها على الأشياء ، ونظرتها الى الأمور من وجهة النظر الإسلامي الصحيح ، فعندئذ يوالي أهل الحق ويعادي أهل الباطل ، كما شرع الله وأمر عباده المؤمنين بذلك كما هو مقرر في الكتاب والسنة .

الفصل الثاني

التطبيق العملي للموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية

وتحت هذا الفصل خمسة مباحث هي :

المبحث الأول : أسباب تحقيق الموالاة في الله .

المبحث الثاني : الحقوق التي تقتضيها الموالاة في الله .

المبحث الثالث : حقوق الأقليات الاسلامية .

المبحث الرابع : أسباب تحقيق المعاداة في الله .

المبحث الخامس : صور من الموالاة والمعاداة في الله .

المبحث الأول

أسباب تحقيق الموالاة في الله

إن الاسلام ليس دعوة نظرية لإمتاع العقول وتزكية الخيال ، بقدر ما هو عمل واقعي ، ومنهج تطبيقي لإصلاح شأن الانسان وشأن الناس جميعاً ، لقد كانت الآية أو الآيات تنزل في الحالة الخاصة او الحادثة المعينة تحدث الناس عما في نفوسهم ، وتصور لهم منهج العمل في ذلك الموقف أو غيره من المواقف ، وتصحح لهم الأخطاء في الشعور والسلوك ، وتربطهم في هذا كله بالله عز وجل ، ومن ثم يتكيفون في واقع حياتهم العملية والنفسية ، وفق ذلك المنهج الالهي القويم[1] .

لقد أكد الله عز وجل على العمل في آيات كثيرة من القرآن الكريم ، فقد ورد ذكر العمل مقروناً بالإيمان في اكثر المواضع ، ومفرداً تارة أخرى وقد بلغ ذلك أكثر من ثلاثمائة وسبعين موضعاً من القرآن الكريم[2] .

---

(١) انظر معالم في الطريق / سيد قطب ص ١٨ ـ ١٩ .

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن ص ٤٨٣ ـ ٤٨٨ .

ليكون ذلك دليلاً على أن العمل هو البرهان الحقيقي على صدق القول من كذبه ، ذلك أن العمل أشق من مجرد القول الذي لا يكلف الانسان الا بضع كلمات عابرة ، ولكن بالأفعال يظهر الصدق من الكذب .

فمن سمات هذا الدين البارزة وخصائصه الفريدة أنه يربط القول بالعمل ، فهو ليس مجموعة من النصوص المثالية النظرية ، بقدر ما هو عمل تطبيقي واقعي طبقه الرسولُ ﷺ وطبقه أصحابُه ، ولا يزال المسلمون المتمسكون بهذا الدين يطبقونَ نصوصَ الكتابِ والسنةِ حتى هذا اليوم تطبيقاً عملياً في صغير الأمور وجليلها ، وهذا هو معنى الإسلام والاذعان الحقيقي لله عز وجل ، وقد ذم الله عز وجل الذين يقولون ما لا يفعلون بقوله تعالى **﴿ يأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ﴾**[1] .

وأسباب تحقيق الموالاة في الله كثيرة ومتنوعة ولكن حسبنا أن نذكر أهم تلك الأسباب العملية للذكرى والتنبيه وهي كما يلي :

السبب الأول : إن من أهم أسباب تحقيق الموالاة في الله ، أن يكثر المسلم من مطالعة كتاب الله عز وجل وتدبر آياته ، حيث إن المسلم يرى من خلال آيات الكتاب الكريم ما يجب عليه نحو ربه ثم نحو رسوله (ﷺ) ثم نحو اخوانه المؤمنين ، من محبة وطاعة ومناصرة ، فقراءة الكتاب الكريم جلاء للبصائر الكليلة ، وشفاء للصدور العليلة ، فإن من داوم على قراءته في تمهل ، وترو ، وتدبر ، انفتحت اغلاق قلبه وسطعت أنوار القرآن في آفاق نفسه ، وانمحت منها غياهب الظلام والفجور ، ولذلك يدعونا الله عز وجل الى هذا الأمر بقوله تعالى : **﴿ أفلا يتدبرون القرآن ، أم على قلوب أقفالها ﴾**[2] .

وقال رسول الله (ﷺ) : «تعلموا القرآن وسلوا الله به الجنة ، قبل أن

---

(١) سورة الصف آية (٢) .

(٢) سورة محمد آية (٢٤) .

يتعلمه قوم يسألون به الدنيا ، فإن القرآن يتعلمه ثلاثة : رجل يباهي به ، ورجل يستأكل به ، ورجل يقرأه لله »[1] .

وقد ذكر في تفسير قوله تعالى : **﴿ وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضاً ، الذين كانت أعينهم في غطاء عن ذكري وكانوا لا يستطيعون سمعاً ﴾**[2] .

إنهم هم الذين كانوا يعرضون عن القرآن الكريم ، وعن الاستماع اليه ، والتأمل في معانيه ، والتدبر في آياته[3] .

وأخرج ابن حبان من حديث طويل عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: « قلت يا رسول الله ! أوصني ! قال : عليك بتقوى الله ، فإنه رأس الأمر كله ، قلت : يا رسول الله ! زدني ! قال : عليك بتلاوة القرآن ! فإنه نور لك في الأض وذكر في السماء»[4].

ويروى عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) أنه قال : (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل. ويروى عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قوله : (لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن ، فإن كان يحب القرآن فهو يحب الله ، وإن كان يبغض القرآن ، فهو يبغض الله ورسوله) .

وللقرآن تأثير مباشر على قوة الايمان وضعفه ، فكلما قويت الصلة بكتاب الله وتدبر معانيه ، كلما ازداد الايمان في النفس وظهرت آثاره على الأقوال والأفعال ، وكلما ضعف الايمان بضعف الصلة بكتاب الله وتدبر معانيه ، كلما ازداد الانسان بعداً عن محبة الله ومحبة رسوله ومحبة المؤمنين . وصار مهيئاً لمحبة الكفار وأفعال الكفر وصفات الكافرين .

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ١ ص ١١٨ رقم الحديث ٢٥٨ .
(٢) سورة الكهف آية (١٠٠ ـ ١٠١) .
(٣) انظر تفسير الطبري جـ ١١ ص ٦٤ ، والطبري جـ ١٦ ص ٢٥ ، وفي ظلال القرآن جـ ١٦ ص ٤١٤ .
(٤) انظر الترغيب جـ ٣ ص ٨ . وانظر آحاديث تاريخ الخطيب جـ ٧ ص ٣٩٣ .

السبب الثاني : إن السبب الثاني من أسباب تحقيق الموالاة في الله هو « الإيمان » بالله . إن الفرد بغير الإيمان الحقيقي بالله ، ريشة في مهب الريح ، لا تستقر على حال ، ولا تسكن الى قرار ، والانسان بغير الدين الإسلامي ، إنسان لا قيمة له ولا جذور ، فهو عندما ينسلخ من الدين الإسلامي يتحول الى حيوان شره ، أو وحش مفترس ، لا تستطيع الثقافة الوضعية ولا القانون الجاهلي أن يحدا من شراهته أو يمنعاه من الافتراس ، والمجتمع بغير دين صحيح ، وإيمان قوي ، مجتمع متوحش مظلم متألم ، وإن لمعت فيه بوارق الحضارة المهترئة وامتلأ بأدوات الرفاهية وأسباب النعيم الحسي ، فهو مجتمع البقاء فيه للأقوى ، لا للأفضل والأتقى ، مجتمع تقرأ التعاسة والشقاء في وجوه أصحابه ، وإن زينوا وجوههم بأنواع الأصباغ والمحسنات ، وركبوا الطائرات ، وسكنوا العمارات واغتصبوا أعظم الثروات ، فهو مجتمع تافه رخيص هزيل . لأن غايات أهله غايات ساذجة سطحية هزيلة لا تتجاوز شهوات البطون والفروج ، قال تعالى : ﴿ **والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم** ﴾[1] . بخلاف مجتمع الايمان والاسلام المبني على الحب في الله والرضا بكل ما صدر عن الله عز وجل ، إن المؤمن بعقيدة الاسلام قد نفذ الى سر الوجود فأحب الله عز وجل واهب الحياة ، ومنشىء الخلق ، وصاحب الأمر والنهي المطلق في الوجود كله ، وهذا أمر طبيعي ، في أن يحب الانسان ربه ، وخالقه ورازقه ، لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن اليها ، وأي إحسان كإحسان من خلق فقدر وشرع فيسر ، وجعل الانسان في احسن تقويم ، ووعد من أطاعه بجنة الخلد التي فيها ما لا عين رأت ، ولا اذن سمعت ولاخطر على قلب بشر . لهذا كله ولأكثر منه ، أحب المؤمنون ربهم حباً لا يقاس بغيره مما هو دونه ، فقدموا أنفسهم وأهليهم وأموالهم في سبيل الله ، بلا تردد أو منة ، بل اعتبروا ذلك تفضلا من الله عليهم ، أن فتح لهم باب

---

(١) سورة محمد آية (١٢) .

الجهاد والاستشهاد في سبيله ويسر لهم أسبابه ، فقاموا بذلك الواجب خير قيام[1] .

أحب المؤمنون ربهم وكل ما يصدر عن ربهم من أمر ونهي ، وكل ما يحبه سبحانه وتعالى ، أحبوا الكتاب الذي أنزله ليخرج الناس به من الظلمات الى النور ، وأحبوا الرسول (ﷺ) الذي أرسله الله رحمة للعالمين وأحبوا اخوانهم في الله من أهل الخير والصلاح في كل زمان ومكان ، لأن محبة المؤمنين أمر لازم على كل مسلم ، ومناصرتهم واجب شرعي لا يتخلى عنها إلا من لا إيمان له ، قال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً لهم مغفرة ورزق كريم** ﴾[2] . فالحب في الله أخص من الرضا وأعمق أثراً حيث إنه الضمان الوحيد لترابط المجتمع واحترام حقوقه ، ولذلك ورد في الحديث الشريف ، (لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أو لا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم ؟ أفشوا السلام بينكم)[3] .

إن الحب في الله يحول المرّ حلوا ، والكدر صفاء ، والألم شفاء ، والنصرة جهادا ، والابتلاء رحمة ، والإحجام عن نصرة أهل الحق خيانة ، وتراجعاً عن الإسلام .

إن الإيمان الحقيقي بالله ، هو الذي ينبعث منه الحب في الله الذي يحرك ارادة القلب ، ويوجهها الى المحبوبات وترك المحظورات ، وكلما ازداد الإيمان بالله في نفس المؤمن كلما ازدادت المحبة في الله لديه قوة وصلابة .

---

(١) انظر كتاب الايمان وأثره في الحياة . د / يوسف القرضاوي ص ٥ ـ ١٢ .

(٢) سورة الأنفال آية (٧٤) .

(٣) رواه مسلم ـ انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٧٤ (كتاب الايمان) .

فحقيقة المحبة في الله لا تتم إلا بموافقة الباري جل وعلا في حب ما يحب ، وبغض ما يبغض[1] .

ولذلك فأكمل الخلق وأفضلهم وأعلاهم إيماناً من كان أقربهم إلى الله في محبته ، وأقواهم في طاعته ، وأتمهم عبودية له[2] . وهذه الصفات تستلزم بطبيعة الحال محبة الرسول (ﷺ) ومحبة ما جاء به من عند الله ، ومحبة المؤمنين بهذا الدين ، وايثارهم على النفس بالمال والنصرة والتأييد ، والانضمام في حزبهم حيث إنهم حزب الله ومن انضم الى حزب الله فقد أفلح في دنياه وأخراه .

إن الإيمان بالله ، والحب في الله ، وما يترتب عليهما قواعدُ متلازمةُ ينبني بعضها على البعض الآخر، ويتأثر اللاحق منها بالسابق ، فإذا قوي الإيمان بالله في نفس المؤمن ازداد الحب في الله ، وازدادت الأفعال المترتبة على ذلك ، حتى تصبح الجماعة المسلمة ، كخلايا الدم في الجسم تعمل لغرض واحد ، وهدف واحد ، وفي إطار واحد ، عند ذلك تصبح الجماعة المسلمة بنية حية قوية صامدة قادرة على أداء رسالتها ودورها العظيم في حق نفسها ، وفي حق البشرية جمعاء[3] .

إن أي ارتباط بين شخصين أو أكثر ، لا بد أن يكون مسبوقا برابطة تربط بينهما ، وهذه الرابطة ، قد تكون صحيحة ، وقد تكون فاسدة ، بحسب أسسها وركائزها ، والأهداف المقصودة منها .

أما الرابطة في دين الإسلام فهي الرابطة في الإيمان بهذا الدين ، قال تعالى : ﴿ **واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ**

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .
(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٤٢٢ ـ ٤٢٣ .
(٣) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ١٢ ص ٥٦٠ ـ ٥٦٢ .

كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾[1] .

إن رابطة الاسلام تغنينا عن جميع الروابط الجاهلية الفاسدة مثل رابطة الدم ، أو رابطة اللون أو اللغة ، أو رابطة الوطن أو الاقليم أو رابطة الحرفة ، أو الطبقة ، أو غير ذلك من الروابط الجاهلية التي تختلف اختلافاً جذرياً مع أصول الاسلام ومنطلقاته في الموالاة والمعاداة ، والحب والبغض ، فالدعوة الى القومية والتجمع العربي فقط على أساس العروبة لغة ونسباً هي دعوة جاهلية خارجة عن منهج الاسلام يقول الله تعالى : **﴿ يأيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾**[2] .

فمن أجل ذلك جعل الرسول (ﷺ) الأخوة في الله هي الأساس والرابطة التي جمع عليها أفئدة أصحابه ، حيث إن العقيدة الإسلامية التي جاء بها من عند الله تضع الناس كلهم في مقام العبودية لله تعالى ، دون أي اعتبار لفارق اللون ، أو الدم ، أو الوطن ، أو الطبقة ، أو غير ذلك من الفوارق القائمة في المجتمعات الجاهلية .

فالمقياس لتفاوت الأفراد في الإسلام هو التقوى والعمل الصالح ، وهذا المبدأ يحقق العدل بالنسبة لكافة المنتمين اليه ويسع العالم أجمع دون أي تمييز بينهم فيما عدا التقوى والعمل الصالح .

إن البشرية قد جربت في الماضي المعهود والحاضر المشهود روابط عديدة ، من قومية ووطنية ، ومنظمات حزبية كافرة ، وقد باءت كلها بالفشل الذريع ، فهي لم تستطع أن تجمع المتفرقين ، أو توحد المختلفين ، أو تنصر المهزومين ، ولم تنصف المظلومين من الظالمين .

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٣) .

(٢) سورة الحجرات آية (١٣) .

إن مفتاح القلوب لادخال الحب والألفة والتعاون والتناصر بين الناس ، يكمن في الانتماء إلى هذا الدين ، وفهمه فهماً مستقيماً ، والعمل به قولاً وفعلاً ، قال تعالى : ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين ، وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾[1] .

فلا الفة ولا تعاون ولا تناصر ، إلا بتعميق مفهوم الإيمان في النفوس ، ولنا في هذا تجربة فريدة مُضيئة سوف تبقى مثلاً أعلى ما بقيت الحياة ، فقد كانت حياة العرب قبل الاسلام أشبه بحالنا اليوم من الفرقة والقتال والتناحر والخصام والأنانية ، وحب الذات ، وعدم التمييز في النصر بين الظالم والمظلوم ، وعدم الايثار ، والتضحية للمضطهدين والمحتاجين والمشردين من الضعفاء والمساكين . وعندما شع نور الاسلام في قلوب أولئك القوم قلب أفعالهم وأقوالهم رأساً على عقب ، فاستيقظوا بعد الضلالة والعمى وأدركوا أن التآخي في الله ليس مجرد شعار في كلمة يُجْرُونها على ألسنتهم وتتناقلها افواهُهم ، وإنما هو حقيقة عملية يتصل بواقع الحياة ، وبكل أوجه العلاقات القائمة من تعاون وتناصر ، وتناصح وايثار ومحبة ، وقد قام بتطبيق ذلك تطبيقاً عملياً كل من المهاجرين والأنصار (رضوان الله عليهم) ، ثم تبعهم على ذلك عامة المسلمين على درجات متفاوتة .

وهذا يؤكد لنا أن مناط التآخي والمحبة والتناصر بين المسلمين هو فهم الإسلام فهماً صحيحاً ، وتطبيقه تطبيقاً تاما كما فهمه وطبقه أولئك الصفوة الأفاضل الأبرار ، بلا تردد أو مداهنة أو احتيال[2] .

إن الفهم الحقيقي للإسلام ، هو الذي ينبعث منه شعور صادق يحل

---

(١) سورة الأنفال آية (٦٢ ـ ٦٣) .

(٢) انظر فقه السيرة د / محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٥٦ ـ ١٥٩ .

في كيان المرء واحساسه ، ويستولي على شعوره ووجدانه ، فيدرك به من حقائق الرسالة ما لا يستطيع أن يدركه من يعيش على هامش الحياة ، ومن علامات هذا الفهم المستنير لمقاصد الاسلام ، أن يُرى المرء متجافياً عن دار الغرور ، منيباً الى دار الخلود ، مستعداً للموت قبل الفوت ، منبعثاً إلى الدعوة إلى الإسلام في همة وجد ونشاط ، مطبقاً أحكامه على نفسه وأهل بيته ، في غير هوادة أو مداهنة .

ومن علاماته أيضاً ، شعور المرء بالغيرة والغضب اذا انتهكت حرمات العقيدة ، أو اعتدي على حمى الاسلام والمسلمين .

إن من لوازم الإيمان بالله ، الحب في الله ، والحب في الله يورث الموالاة والمناصرة والتعاون بين الأخوة في الله ، فعلينا أن نسعى لغرس الإيمان في النفوس ، وأن نقتلع كل عوامل الضعف أو العوائق التي تمنع وصول التصور الاسلامي الصافي الى النفوس ، اذا أردنا تحقيق الموالاة في الله والمعاداة فيه[1] .

السبب الثالث : من أهم أسباب تحقيق الموالاة في الله تجنب الخلاف بين المسلمين ، حيث يؤدي الخلاف بين المسلمين إلى الانقسام وإلى ضعف الموالاة وربما الى المعاداة بين الطرفين المتنازعين ، وقد نهى الله عن التنازع والاختلاف والمجادلة بغير التي هي أحسن ، قال تعالى : **﴿ ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾**[2] . وقال تعالى : **﴿ إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾**[3] . وقال تعالى : **﴿ ولا تكونوا من المشركين ، من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً ﴾**[4] . وقال تعالى : **﴿ واعتصموا بحبل الله**

(١) انظر تذكرة الدعاة ـ لبهي الخولي ص ٢٣٣ .
(٢) سورة آل عمران آية (١٠٥) .
(٣) سورة الأنعام آية (١٥٩) .
(٤) سورة الروم آية (١٥٩) .

جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾[1] .

فالأخوة المعتصمة بحبل الله ، هي الأخوة التي تؤلف بين المسلمين بغض النظر عن مراكزهم ، وألوانهم وبلادهم وكان بعضهم يقرأ الآية أو الحديث فيفهم منه فهماً معيناً ، ويفهم غيره فهماً آخر ، فيناقش كل صاحبه بالتي هي أحسن ، فإن كانت النتيجة اتفاقاً حمد الله تعالى ، وإن كانت الأخرى ، عذر كل صاحبه ، وانصرفا صديقين متحابين .

وكان من أثر ذلك في علاقة بعضهم ببعض ، نمو روح التسامح فيما بينهم ، وقوة المحبة ، والأخوة في الله ، وفي سبيل الحق ، والتعاون على كل ما يوصل إلى إرضاء الله تعالى ، وإلى سعادة الأمة فبارك الله لهم في أعمارهم ، وأعمالهم ، وحفظها من أن تضيع في جدل عقيم ، ومراء سقيم ، ليس له من باعث سوى العناد للرأي ، والانتصار للمذهب ، مهما بعد عن الحق ، أو ظهر خطؤه[2] .

لقد نفعهم الله سبحانه وتعالى بوحدة الكلمة والرأي ، فسلموا من التخاصم والتحاسد ، ومن كل ما يفسد القلوب ، ويحبط الأعمال ، فنفعهم الله بأعمالهم ونفع بها الأمة .

وها هي ذي آثارهم ، لا زالت مناراً يهتدي به من أراد سلوك طريقهم ، ونموذجاً لمن وهبه الله الفقه في الدين وحرص على تحري الحق ، وأراد أن ينفع كما نفعوا ، ويثمر كما أثمروا ولعل من أسباب نجاحهم ، أنهم كانوا جميعاً يغترفون من نهر واسع الجنبات عميق الغور ،

---

(١) سورة آل عمران آية (١٠٣) .

(٢) انظر ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين / عبد الجليل عيسى ص ٦ .

وذلك هو كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) يرتوي منه كل منهم على قدر استعداده ، ولا يقابل من غيره بعتاب ولا ملام .

أما اليوم ـ ونقولها بكل مرارة وأسى ـ فقد وصل الاختلاف بين المسلمين المحسوبين على الإسلام ، الى درجة ينفطر لها قلب المسلم الغيور حسرة وألما ، وكأنهم ـ عفا الله عنهم ـ لم يكفهم التمزق الذي أصابهم من أعدائهم من الخارج ، فراحوا يوسعون شقة الخلاف ، ويعينوا أعداءهم على أنفسهم ، بتفرقهم شيعاً وأحزاباً يخاصم كل حزب غيره ويعاديه[1] .

بدلاً من الانضمام تحت حزب واحد وراية واحدة وقيادة واحدة . فالحزب هو حزب الله ، والراية هي راية الاسلام ، راية (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ، والقيادة هي قيادة محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسلام .

هذا هو طريق العزة والنصر ، طريق الموالاة في الله ، والوحدة على رضاه :

تأبى الرماح اذا اجتمعن تكسرا   واذا افترقن تكسرت آحادا

فالخلاف المذموم ، هو الذي يؤدي الى نشوء العصبية بين المختلفين وتراشقهم بسهام اللجاج والجدل ، حتى ينتهي بهم الى التفرق والتناحر ، وعلى هذا فلا يجوز للمسلم أن يتعصب لقول في مذهبه مخالف لكتاب الله وسنة رسوله ، بل يجب الرد والرجوع اليهما قال تعالى : **﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾**[2] .

فالاختلاف الناجم عن الهوى والتعصب ، هو بلا شك شر على

---

(١) انظر في هذا المعنى في كتاب ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين / عبد الجليل عيسى ص ٦ .

(٢) سورة النساء آية (٥٩) .

الأمة ، وقد حصل بسببه آثار سيئة ومفاسد كبيرة . فالتخلص من الاختلاف الذي هو من هذا النوع ، واجب ورحمة للأمة كما قال تعالى : ﴿ ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ﴾[١] .

فينبغي للعلماء والمجتهدين ، التقارب والبعد عن الاختلاف . تبعاً لقوة الدليل وغلبة الظن أنه الحق ، لأن اجتماع المسلمين ، وتوحد كلمتهم وتقاربهم وتعاونهم واحترام بعضهم لبعض أمر ، حث عليه الاسلام ، وهو الضمان الحقيقي لدوام الأخوة والموالاة والنصرة فيما بينهم[٢] . ويجب أن يدرك الأخ المسلم في تعامله مع اخوانه أنه لا يتعامل مع ملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، بل يتعامل مع بشر يخطئون ويصيبون في اجتهادهم في اقوالهم وأفعالهم ، فعلى الأخ أن لا يضيق ذرعاً بأي بادرة خطأ أو اجتهاد في غير محله ، بل يحسن التوجيه ، فيعذر الجاهل وينبه الغافل ، ويذكر المتهاون والله الهادي الى سواء السبيل .

السبب الرابع : من أسباب تحقيق الموالاة في الله صحبة أهل الخير وأهل المعرفة بالله ، وتلك الصحبة مما أمر بها الإسلام وحث عليها ، وأهل الخير الذين تستحب صحبتهم ، هم من يشتغلون بعيوب أنفسهم عن عيوب الناس ، يلتزمون أمر الشرع ونهيه في صدق وطاعة ، ويقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوة وايمان ، فصحبة هؤلاء تلين القلوب ، وتطهر من الذنوب وهي بيئة طيبة يحيى فيها القلب حياة كريمة[٣] .

فقد ورد في الحديث الصحيح أن اعرابيا قال لرسول الله ﷺ : متى الساعة ؟ قال له رسول الله ﷺ (ما أعددت لها ؟) قال : حبّ الله ورسوله . قال « أنت مع من أحببت »[٤] .

---

(١) سورة الأنفال آية (٤٦) .

(٢) انظر أسباب اختلاف الفقهاء . د / عبد المحسن بن عبدالله التركي ص ٣٤ ـ ٣٦ .

(٣) انظر تذكرة الدعاة ـ لبهي الخولي ص ٢٠٥ .

(٤) رواه مسلم : انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٣٢ .

وفي حديث آخر : « إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك ، إما أن يحذيك[١] وإما أن تبتاع منه ، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ، ونافخ الكير ، إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحاً خبيثة[٢] » . وفي الحديث أيضاً « إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي . اليوم أظلهم في ظلّي يوم لا ظل إلا ظلي »[٣] .

وفي الحديث القدسي (وجبت محبتي للمتحابين فيَّ ، والمتزاورين في ، والمتباذلين فيَّ)[٤] . وفي حديث آخر عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال . . قال رسول الله ﷺ : « الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل »[٥] . وذلك أن ترابط القلوب برباط العقيدة الإسلامية يورث أنساً وسعادة واستقامة في الحياة ، وأقل درجات الحب في الله ، سلامة الصدر من الغل والحسد والضغينة نحو الإخوان في الله ، وأعلى درجات الحب في الله والموالاة فيه مرتبة الإيثار ، وقد ذكر الله عز وجل ذلك في وصفه للأنصار حين أكرموا إخوانهم المهاجرين قال تعالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[٦] .

وفي الحديث (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)[٧] .

---

(١) يحذيك : أت يعطيك .

(٢) رواه مسلم . انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٢٦ .

(٣) المصدر السابق جـ ٤ ص ١٩٨٨ ح ٢٥٦٦ .

(٤) رواه مالك في الموطأ . انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ . ص ٣٥٢ .

(٥) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ٢ ص ٦٣٣ .

(٦) سورة الحشر آية (٩) .

(٧) رواه البخاري ومسلم . انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٤٥ (باب تعظيم حرمات المسلمين) .

وقال تعالى : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾[1] .

فالأخ المسلم الصادق يرى أن اخوانه أولى به من نفسه ، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم ، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره ، فحاجته اليهم أشد من حاجتهم اليه[2] .

قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم** ﴾[3] .

فالأخ يتقوى بإخوانه ويسترشد بهم فبدلا من أن يفكر بعقل واحد يفكر بعدة عقول عندما يطرح أي مشكلة من مشاكل الحياة التي تواجهه فيجد من إخوانه تنويراً وتبصيراً لما قد يغيب عنه أو يخفى عليه ، ويجد منهم عونا معنوياً ومادياً له في الحياة .

السبب الخامس : من أسباب تحقيق الموالاة في الله ، سلامة الصدر من الغش والحسد والضغينة نحو الأخوان في الله .

فقد أخرج احمد باسناد حسن والنسائي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : كنا جلوساً مع رسول الله ﷺ فقال: « يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة! » فطلع رجل من الأنصار تنظف لحيته من وضوئه ، وقد علق نعليه بيده الشمال ، فلما كان الغد قال النبي ﷺ مثل ذلك ، فطلع ذلك الرجل مثل المرة الأولى فلما كان اليوم الثالث ، قال النبي ﷺ مثل مقالته أيضا ، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأولى ، فلما قام النبي ﷺ تبعه

---

(١) سورة التوبة آية (٧١) .
(٢) انظر مجموعة رسائل البنا ص ٢٧٦ .
(٣) سورة المائدة آية (٥٤) .

عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) فقال : إني لاحيت[١] أبي فأقسمت أني لا أدخل عليه ثلاثاً فإن رأيت أن تؤويني اليك حتى تمضي فعلت ، قال نعم ، قال أنس فكان عبدالله يحدّث أنه بات معه تلك الثلاث الليالي فلم يره يقوم من الليل شيئا ، غير أنه اذا تعار[٢] ، تقلب على فراشه ذكر الله عز وجل ، وكبر حتى يقوم لصلاة الفجر ، قال عبدالله : غير أني لم اسمعه يقول إلا خيراً . فلما مضت الثلاث الليالي وكدت أن احتقر عمله قلت : يا عبدالله ! لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة ، ولكن سمعت رسول الله ﷺ يقول لك ثلاث مرات « يطلع عليكم الآن رجل من اهل الجنة » . فطلعت أنت الثلاث المرات فأردت أن آوي اليك فأنظر ما عملك فاقتدي بك فلم أرك عملت كبير عمل ، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال : ما هو الا ما رأيت ، فلما وليت دعاني فقال : ما هو إلا ما رأيت غير أني لا أجد في نفسي لأحد من المسلمين غشا ، ولا أحسد أحداً على خير اعطاه الله اياه، فقال عبدالله : هذه التي بلغت بك وهي التي لا نطيق[٣] .

هذه حال أولئك الصفوة صدق وصفاء ونقاء في الظاهر والباطن ، ولكن للأسف إن هذا الأمر مفقود بين المسلمين في عصرنا الحاضر إلا ما شاء الله ، فحتى أولئك الذين ينصبون أنفسهم للدعوة إلى الإسلام ، نرى كثيرا منهم يضمرون ويظهرون أنواعاً من الغش والحسد نحو إخوانهم في الإسلام ، حيث إن هم أحدهم هو التجريح لكل من ينتمي إلى الدعوة

---

(١) أي خاصمته . انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٨٢٦ .

(٢) استيقظ وأصابه الارق ، وتقلب في فراشه ليلاً مع كلام وصوت . انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٥٩٨ .

(٣) رواه احمد. انظر مسند احمد جـ ٣ ص ١٦٦ ، وقال الهيثمي رجال أحمد رجال الصحيح . انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد جـ ٨ ص ٧٩ وقال ابن كثير في تفسيره جـ ٤ ص ٣٣٨ لحديث احمد : وهذا اسناد صحيح على شرط الشيخين ا. هـ.

الاسلامية أو يحسب عليها ، فلا يبقون على أحد يمثل الاسلام أو يتمثل فيه الاسلام سوى خاصة أنفسهم وقلة من أتباعهم ، وينظرون الى من سواهم نظرة الند للند ، وهذا أمر في غاية الخطورة على واقع المسلمين وحياتهم ، وهو أمر يمنع تحقيق الموالاة والمناصرة بين عموم المسلمين ، ويبقي الفئات العاملة للاسلام مزع متناثرة متناحرة ، لا تشكل بوضعها هذا أي خطر على الأعداء ، ولا تحقق لها ولدينها العزة والكرامة .

إن المسلم الحق الذي يحرص على مصلحة الاسلام والمسلمين هو الذي يواجهه اخوانه ويكاشفهم بآرائه عنهم وعن عملهم للاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، فقد يتصور خطأ أنهم على خطأ وهو المخطىء في الحقيقة وقد يكون العكس صحيحا ، كما أن الأخ او الجماعة المسلمة التي يوجه اليها النقد يجب أن تتحلى برحابة الصدر وباحترام آراء إخوانهم الآخرين وان اشتملت على شيء من الاجتهاد المخالف للصواب في مسألة فرعية فإن الكمال لله عزل وجل فظاهر العتاب خير من باطن الحقد .

فكثير من المنتسبين الى الدعوة تقاعسوا عن الانتماء اليها بسبب أنهم طرحوا بعض القضايا والآراء حول طريقة الدعوة وسبلها فلم يُلق لها بال ولم يؤبه[1] لها ، فكان ذلك سبباً من أسباب إعراضهم عن الدعوة ، وعن الانتماء اليها ، وهو سبب غير وجيه بطبيعة الحال ، ولكنه واقع فعلا ، ومنهم من يختزن في ذهنه مجموعة من الملاحظات التي يظنها أخطاء يتردى فيها العاملون للإسلام ، ثم تزداد في نفسه يوماً بعد يوم دون أن يبديها لأخوانه أو يناقشهم عليها ، ويرى رأيهم فيها ، وفي النهاية تشكل تلك الملاحظات مبرراً شرعياً في نظره للانفصال عن الجماعة المسلمة وعن الدعوة التي ينتمون اليها دون أن يكلف نفسه عرض تلك الملاحظات على اخوانه ومعرفة وجه الحق فيها له أم عليه ؟

---

(١) لا يؤبه له : لا يحتفل به ، ولا يلتفت اليه . انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٣ .

إن الشجاعة في نقد الأخ لأقوال اخوانه وأفعالهم معدومة تقريباً بين العاملين للاسلام ، كما أن رحابة الصدر وتقبل النقد عند بعض الأخـوة مفقودا أيضا ، وهذا يؤدي الى استمرار الأخطاء ، وانطواء النفوس على ما يزعزع ثقتها بإخوانها ، وبالتالي تضعف الموالاة والمناصرة بين الأخ واخوانه وربما تقطع الصلة بينه وبين اخوانه بسبب ذلك .

وللأسف فإن هذا الأمر الذي اضعناه او تهاونا فيه قد أخذ به أعداؤ نا فهم أكثر منا شجاعة في نقد بعضهم لبعض ، كما أنهم أقدر منا على تحمل النقد وتقبله ممن جاء به ، وان بدا هذا النقد واهياً ضعيفاً .

فعلى كل أخ اذا أراد أن تستمر الموالاة والمناصرة بينه وبين اخوانه ، أن يكون صريحاً مع اخوانه ، وأن لا يضمر لهم خلاف ما يظهر ، وأن يكون لهم مرآة يرون من خلاله عيوبهم ويكونوا له مرآة يرى عيوبه من خلالهم ، حتى يصل الجميع الى التكامل والتكاتف وتجنب الأخطاء .

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخـو المؤمن : يكف عليـه ضيعتـه ، ويحـوطـه من ورائه »[1] .

السبب السادس : من أسباب تحقيق الموالاة في الله الفرح بحسن حـال المسلمين واسترضـاء المسلم لأخيه المسلم وقضـاء حاجته. أخرج الطبراني عن ابن بريدة الأسلمي قال : شتم رجل ابن عباس (رضي الله عنهما) فقال ابن عباس : انك لتشتمني وإن فيَّ ثلاث خصال : إني لآتي على الآية في كتاب الله فلوددت أن جميع الناس يعلمون ما أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح ولعلي لا أقاضي

(١) رواه ابو داود والترمذي . انظر سنن ابي داود جـ ٤ ص ٢٨٠ (كتاب الأدب ، باب في النصيحة والحياطة) .» وانظر سنن الترمذي جـ ٣ ص ٢١٨ (باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم) .

إليه ابدا ، وإني لأسمع بالغيث قد أصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح وما لي به سائمة[١] .

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : « كنت جالساً عند النبي ﷺ ، اذا أقبل أبو بكر آخذا بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته ، فقال النبي ﷺ أما صاحبكم فقد غامر ، فسلم وقال : يا رسول الله ، إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء ، فأسرعت اليه ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لي فأبى عليّ فأقبلت إليك . فقال : يغفر الله لك يا أبا بكر (ثلاثاً) ثم ان عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر فسأل : أَثَّم أبو بكر ؟ فقالوا : لا . فأتى إلى النبي ﷺ فجعل وجه النبي ﷺ يتمعر ، حتى أشفق عليه أبو بكر فجثا على ركبتيه فقال : يا رسول الله ، والله أنا كنت أظلم (مرتين) . فقال النبي ﷺ إن الله بعثني اليكم فقلتم : كذبت وقال أبو بكر : صدقت ، وواساني بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركون لي صاحبي ؟ (مرتين) . فما أوذي بعدها)[٢] .

وفي قضاء حاجة المسلم لإخوانه يُروى عن رسول الله ﷺ أنه قال « أحبُّ الناس الى الله تعالى أنفعهم للناس ، وأحبُ الأعمال الى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم ، أو يكشف به عنه كربة ، أو يقضي عنه دينا ، أو تطرد عنه جوعاً ، ولئن أمشي مع أخ في حاجة أحبُّ اليّ من أن اعتكف في هذا المسجد (يعني المسجد النبوي) شهرا ، ومن كف غضبه ، ستر الله عورته ، ومن كظم غيظه ولو شاء أن يمضيه أمضاه ، ملأ الله قلبه رجاء يوم القيامة ومن مشى مع أخيه في حاجة حتى تتهيأ له ، أثبت الله قدمه يوم تزول الأقدام ، وإن سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل)[٣] .

---

(١) رواه الطبراني . انظر مجمع الزائد ومنبع الفوائد / للهيثمي جـ ٩ ص ٢٨٤ وقال الهيثمي رجاله رجال الصحيح .

(٢) رواه البخاري . انظر فتح الباري جـ ٧ ص ١٨ (كتاب فضائل الصحابة) .

(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ٢ ص ٦٠٨ رقم الحديث (٩٠٦) .

فالفرح بحسن أحوال المسلمين والحرص على رضاهم ، وادخال السرور عليهم ، والاهتمام بالمسلم أثناء تقديم حاجته ، والانصات اليه ، كل هذه المعاني قد أمر بها الشرع وهي من حسن الخلق. فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال : « أحب عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً »[1] . حيث إن عدم تقدير المتكلم وعدم المبالاة بكلامه أو الاهتمام به ، وبما يطلبه ، يورث في نفس المتكلم ردود فعل خطيرة ، ومداخل لشياطين الجن والأنس في ايقاع الفرقة ونشوء العداوة بين المسلمين .

وقد أمر الله عز وجل بفعل الخير في حق المسلمين جميعاً قال تعالى : ﴿ **واقعلوا الخير لعلكم تفلحون** ﴾[2] .

ومما يثبت المودة ويزيد المحبة زيارة الأخ المسلم لأخوانه. فقد روي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ زار أهل بيت من الأنصار فطعم عندهم طعاماً ، فلما أراد أن يخرج أمر بمكان من البيت فنضح[3] له على بساط ، فصلى عليه ودعا لهم[4]. وورد في فضل الزيارة أحاديثُ منها ما رواه الترمذي وحسنه وصححه ابن جبان من حديث أبي هريرة رفعه (من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد طبت وطاب ممشاك وتبوءت من الجنة منزلا)[5] .

وفي حديث عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) مرفوعاً (حقت محبتي للمتزاورين فيّ)[6] .

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ١٧٤ رقم الحديث (٤٣٣) .
(٢) سورة الحج آية (٧٧) .
(٣) أي رش الماء على بساط . انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٩٣٦ .
(٤) رواه البخاري . انظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٤٩٩ .
(٥) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٥٠٠ .
(٦) انظرفتح الباري جـ ١٠ ص ٥٠٠ .

والزيارة توجب إكرام الزائر في حدود القدرة والاستطاعة . فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه) . . . الحديث[1] .

والزيارة يجب ان تتم وفق ضوابط وحدود معينة بلا إفراط أو تفريط فيها ، ويحكم هذه الضوابط العرف السليم والفهم المستقيم ، والحكمة التي تضع الأشياء في مواضعها المناسبة ، ومقتضياتها السليمة ، حتى تحقق الزيارة الهدف المقصود منها ، ولا تؤدي إلى مردود عكسي يضعف الموالاة أو ينقصها بين الأخوة في الله .

السبب السابع : من أسباب تحقيق الموالاة في الله حفظ السر للأخ المسلم . فالمسلم اذا استودع أخاه سراً وجب عليه المحافظة على ذلك ، فقد روي أن عمر (رضي الله عنه) حين تأيمت[2] حفصة بنت عمر من خنيس بن حذافة السهمي (رضي الله عنهما) وكان من أصحاب النبي ﷺ ومن أهل بدر ـ توفي بالمدينة ، فقال عمر : لقيت عثمان بن عفان فعرضت عليه فقلت إن شئت انكحتك حفصة ، فقال سأنظر في أمري ، فلبثت ليالي ثم لقيني فقال بدا لي أن لا أتزوج يومي هذا. قال عمر: فلقيت أبا بكر فقلت إن شئت أنكحتك حفصة، فلم يرجع إليّ شيئاً فلبثت ليالي فخطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر فقال لعلك وجدتَ حين عرضتَ عليَّ حفصة فلم أرجع إليك شيئاً؟ قال قلتُ: نعم قال: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك شيئاً حين عرضتها عليَّ إلا أني سمعت رسول الله ﷺ يذكرها ولم أكن لأفشي سر رسول الله ﷺ ولو تركها نكحتها[3] .

---

(١) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٥٣٢ .

(٢) أي فقدت زوجها . أنظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٣٤ .

(٣) رواه البخاري والنسائي . انظر فتح الباري جـ ٩ ص ١٨٣ وانظر سنن النسائي جـ ٦ ص ٧٧ ، ٧٨ .

وروي عن عبدالله بن جعفر قال : أردفني رسول الله ﷺ ذات يوم خلفه فأسرّ اليّ حديثاً لا أحدث به أحداً من الناس. . . الحديث. .[1].

فهذه الأحاديث تدل على وجوب حفظ السر وهو نوع من الأمانة التي أمر الله بحفظها حيث يقول **﴿ يأيها الذين آمنوا لا تخونوا الله ورسوله وتخونوا آماناتكم وأنتم تعلمون ﴾**[2]. وقال تعالى : **﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾**[3].

ولذلك فإنه من أعظم الذنوب، أن يتظاهر المرء بالصلاح والتقوى والصدق والاخلاص ، فإذا استودعه أحد الأخوة في الله سراً أذاع به ونشره ، إما لأنه منافق في الأصل من الذين (يخادعون الله والذين آمنوا وما يخدعون إلا أنفسهم وما يشعرون)[4]. وإما لأنه من الذين يعبدون الله على حرف كما في قوله تعالى : **﴿ ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن اصابه خير اطمأن به وان اصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين ﴾**[5]. وإما لأنه جهول لا يقدر حق الأمانة التي اؤتمن عليها فيبوح بأسرار اخوانه بلا وعي أو ادراك ، وكل هذه الأمور سبب في اضعاف روح الموالاة والمناصرة بين الأخوة المؤمنين .

السبب الثامن : من أسباب تحقيق الموالاة في الله ، مواساة الأخ لأخوانه بفضل ماله قال تعالى : **﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾**[6].

---

(١) رواه مسلم : انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ (طـ - دار احياء التراث).
(٢) سورة الأنفال آية (٢٧) .
(٣) سورة المؤمنون آية (٨) .
(٤) سورة البقرة آية (٩) .
(٥) سورة الحج آية (١١) .
(٦) سورة الحشر آية (٩) .

وقال تعالى : ﴿ **ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً** ﴾[1] .

وقد روي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) أنه قال : بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ ، إذ جاء رجل على راحلة له . قال : فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً . فقال رسول الله ﷺ : « من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له ، ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له » . قال فذكر من أصناف المال ما ذكر ، حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل »[2] . وأخرج الطبراني عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : (أتى علينا زمان وما يرى أحد منا أنه أحق بالدينار والدرهم من أخية المسلم ، وانّا في زمان الدينار والدرهم أحب الينا من أخينا المسلم)[3] .

ففي هذه الأدلة دلالة واضحة على الحث على الصدقة والجود والمواساة للمحتاجين، عند وجود الأسباب المقتضية لذلك، فالله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . وإنه يكفي العلم بحاجة المحتاج ، دون اضطراره الى السؤال واراقة ماء وجه في المسألة والاستجداء .

فالبذل والعطاء من فضل المال لمن هو محتاج الى ذلك أمر مؤكد على المسلم الواجد ، فالذي يبخل بفضل ما له على اخوانه ، وهم بأشد الحاجة اليه ، فهو ناقص الايمان قليل الفلاح قال تعالى : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[4] .

والأدلة المتقدمة في وجوب مواساة الأخ لإخوانه في الاسلام لا يستدل

---

(١) سورة الانسان آية (٨) .

(٢) رواه مسلم : انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٣٥٤ (باب اللقطة) .

(٣) رواه الطبراني بأسانيد بعضها حسنة . انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد / للهيثمي : ١٠ ص ٢٨٥ .

(٤) سورة الحشر آية (٩) .

بهـا على جـواز الاشتـراكيـة، أو شيـوعيـة المـال بين المسلمين ، كما يحاول ذلك عبيد مـاركس اليهودي . فـإن المسلم الحقيقي يندفـع ذاتيـاً إلى مسـاعـدة إخـوانـه بفضـل مـالـه عن رضـا نفس وطيبـة خـاطـر، نتيجـة إيمـانـه بـالله وبمـا عنـد الله من عـظيم الجـزاء ، وقد يقول بعض دعاة الاشتراكية والشيوعية في العالم الاسلامي ، إننا نشاهد كثيراً من الدول والشعوب التي تدعي الاسلام ، تبذر الأموال على الغانيات والـراقصات ، وفي أمـور هزيلة سـاذجة ، في حين أن معـظم الشعوب الاسلامية، تعاني من الفقر المدقع ، ومشكلات الحروب الشيء الكثير ، ومع ذلك ما قدم لها الاقطاعيون[1] في العالم الاسلامي أية مساعدات مالية على المستوى المطلوب كما يأمر بذلك الحديث .

فنقول للاجابة عـن هذا الاحتجاج الموهم : إن تقصير هؤلاء عن القيام بواجبهم الشرعي نحو اخوانهم ، لا يعني ذلك خطأ النظام الاقتصادي في الاسلام ، وتقصيره في سد حاجات المسلمين ، وإنما الخطأ مرجعه الى سوء التطبيق من هؤلاء الذين يملكون الأموال الطائلة في العالم الاسلامي ، ولا يؤدون الحق الشرعي عليهم ، فهم ليسوا من الملتزمين بالاسلام التزاماً حقيقياً ، بل هم صـورة مزيفـة للمسلمين ، ولذلـك يجب أن لا نحمل الاسلام أخطاء أولئك الخارجين عليه ، ولا نتخذ ذلك مبرراً للدعوة الى غير الإسلام وإلى غير نظامه الاقتصادي العادل الرحيم .

السبب التاسع : من أسباب تحقيق الموالاة في الله ، الاحتراز من سوء الظن بالمسلم .

فقد أخرج ابن عسـاكر عن أنس (رضي الله عنـه) أن رجلاً مـر بمجلس في عهد رسول الله ﷺ فسلم الرجل فردوا عليه ، فلما جاوزهم قال أحدهم : إني لأبغض هذا ، قالوا : مـه ! فوالله لننبئنه بهذا ! انطلق يا فلان ! فأخبره بما قال له ! فانطلق الرجل الى النبي ﷺ فحدثه بالذي كان

---

(١) هم الذين يتحكمون بالأرض ومن فيها من الناس . انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٧٥٢ .

وبالذي قال ، قال الرجل : يا رسول الله ! ارسل اليه فاسأله لم يبغضني ؟ قال له رسول الله (ﷺ): لم تبغضه؟ قال: يا رسول الله! أنا جاره وأنا به خابر، ما رأيته يصلي صلاة إلا هذه الصلاة التي يصليها البر والفاجر، فقال له الرجل: يا رسول الله! سله هل أسأت لها وضوءاً أو أخرتها عن وقتها فقال: لا ثم قال: يا رسول الله أنا له جار وأنا به خابر، ما رأيته يطعم مسكيناً قط إلا هذه الزكاة التي يؤديها البر والفاجر، فقال: يا رسول الله! سله هل رآني منعت منها طالبها؟ فسأله، فقال: لا، فقال: يا رسول الله أنا له جار وأنا به خابر، ما رأيته يصوم يوماً قط إلا الشهر الذي يصومه البر والفاجر، فقال الرجل: يا رسول الله! سله هل رآني أفطرت يوماً قط لست فيه مريضاً ولا على سفر فسأله عن ذلك، فقال: لا، فقال له رسول الله (ﷺ): فإني لا أدري لعله خير منك[١].

وقد ورد في الحديث الصحيح النهي عن سوء الظن بالمسلم؛ قال رسول الله ﷺ : « إياكم والظنّ فإن الظن أكذب الحديث »[٢] فإن المسلم بناء على ذلك مأمور بأن يحسن الظن بإخوانه ، وأن يحمل ما يصدر عنهم من قول أو فعل على محمل حسن ما لم يتحول الظن الى يقين جازم ، فالله عز وجل أمرنا بالتثبت فيما يصدر من الغير نحونا ونحو اخواننا . قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾[٣] . فكم أوقع سوء الظن السيء من فراق بين المتحابين ، وقطيعة بين المتواصلين ، ولو لم يكن الظن على درجة عظيمة من الخطورة والأهمية في اضعاف روح الموالاة بين المؤمنين ، لما أكد الباري عز وجل على ذلك في الكتاب والسنة . ومن استعراض الأسباب المتقدمة ، نجد أن ما أصاب المسلمين اليوم من قطيعة وتناحر ، وتنكر بعضهم للبعض الآخر . انما هو بسبب تجافيهم عن الأخذ بالأسباب التي تحقق الموالاة في الله والتي أشرنا اليها فيما تقدم من هذا

(١) كنز العمال جـ ٢ ص ١٧٠ وانظر حياة الصحابة جـ ٢ ص ٥١٣ ـ ٥١٤ .
(٢) رواه البخاري . انظر فتح الباري جـ ٩ ص ١٩٨ (باب النكاح ـ ٤٥) .
(٣) سورة الحجرات آية (٦) .

المبحث واقبالهم على بدائل مستمدة من مخططات اليهود والنصارى لتدمير هذه الأمة .

فقد استبدل معظم المسلمين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ مطالعة الصحف والمجلات والنشرات والكتب التي يصدرها ويسيطر عليها أعداء الإسلام والمسلمين ، سواء كانوا أعداء أصلاء أم أعداء عملاء .

ونتيجة لذلك فقد ضعف الايمان في النفوس وشوهت حقيقته بواسطة وسائل الاعلام المعادية للاسلام ، في داخل البلاد الاسلامية وخارجها ، ووقع الاختلاف بين المسلمين نتيجة اختلاف مصدر التلقي والتوجيه ، فمن الناس من يستوحي أقواله وأفعاله من كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ومن الناس من يستوحي أقواله وأفعاله من أسائده من اليهود والصليبيين ، ومنهم من يستوحي أقواله وأفعاله من الشيوعيين الوجه الثاني للعملة الكافرة ، ولذلك فشا التناحر والخصام بين مختلف فئات المجتمع الواحد تبعا لاختلاف التبعية والولاء ، وهذا ما جعل المسلمين كاليهود تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ، وكثر التأسي بالاشرار والمصاحبة لهم نظراً لكونهم يتمتعون بمركز القوة في عامة البلاد الاسلامية . وانزوى ضعاف الايمان عن صحبة الأخيار ، نظرا لما تنطوي عليه من أخطار جسيمة ، حيث إن أهل الخير تحت المراقبة الدائمة والخطر المستمر نظرا الى أن السلطات الكافرة لا تريد للخير أن ينتشر أو أن يستمر .

وقد تداعت على المسلمين المصائب في كل قطر وبلد حتى شغل البعض منهم بمصيبته عن مصيبة اخوانه ، مما أعطى للأعداء فرصة الضربات القاضية للمسلمين في بعض البلاد الاسلامية ، دون أن يقابل عملهم هذا بأي رد اسلامي كبير ، يكون تأديبا لهم ولأسيادهم من ورائهم ، وذلك كله بسبب غيبة الموالاة الحقيقية في الله ، التي تجعل المسلمين كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى .

المبحث الثاني

حقوق الموالاة بين المسلمين

لقد اكرم الله عز وجل المسلمين حين جعل من دينه رابطة تربط المسلم بأخيه المسلم مهما نأى المكان واختلف الزمان ، واصبحت العقيدة الاسلامية ، تجمع بين القلوب المؤمنة ، وتنشىء العطف والرحمة فيما بينها .

ومن أول خصائص المجتمعين على الحق أن يسوسوا به أنفسهم ، وأن تقوى به المحبة بينهم ، وأن تكون له مناصرتهم وتأييدهم ، قال تعالى : ﴿ **إنما المؤمنون اخوة** ﴾[1] . وقال تعالى : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا** ﴾[2] .

وعلى هذا اذا قلنا : إن الإسلام هو العروة الوثقى بين اتباعه جميعاً ، فإن التناصر بينهم يتم في حدود الشريعة الاسلامية ، ولذلك فلا مجال

---

(١) سورة الحجرات آية (١٠) .

(٢) سورة آل عمران آية (١٠٣) .

للاعتراض عليه ، من فرد أو جماعة ، أو دولة ، لأن من اعترض على ما شرعه الله وأوجبه على المسلمين فحكمه الكفر[1] .

فقد أمرنا الله عز وجل بأوامر وكلفنا بتنفيذها ، ونهانا عن محرمات وطلب منا عدم مقارفتها ، قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعداون واتقوا الله إن الله شديد العقاب** ﴾[2] .

فأي مسلك ينافي أمر الله أو نهيه يعد خروجاً على الاسلام ولكن هذا الخروج منه ما هو كفر ومنه ما هو أقل من ذلك بمراتب متفاوتة .

وقد ذكر الله عز وجل نموذجاً حياً للموالاة الصحيحة بين الأخوة في الله ، ثم ذكر الهدف من الموالاة في الله في مجال الدعوة ، بذكر قصة موسى وهارون (عليهما وعلى نبينا افضل الصلاة والتسليم) ، قال تعالى : ﴿ **واجعل لي وزيرا من أهلي ، هارون أخي ، أشْدُدْ به أَزْرِي ، وأَشْرِكْهُ في أمري ، كي نسبحك كثيراً ، ونذكرك كثيراً ، إنك كنت بنا بصيرا** ﴾[3] .

فبين الله تعالى الغاية من الأخوة في الله والموالاة فيه، أن المؤمنين بعضهم سند لبعض كما كان هارون سندا لموسى (عليهما السلام) فموسى طلب من ربه أن يجعل له وزيرا يشد عضده ، ويقوي همته ، ويعينه على نوائب الحياة ، في القول والعمل ، واذا فهو يريد شريكا في أمره كله ، يقاسمه بؤسه ونعيمه ، ويتبادل معه الرأي ، ويتحمل معه أعباء الدعوة الى الله ، على بصيرة وهدي من الله ، يشاركه في ذكر الله ، وتسبيحه ، ويتحمل معه الصبر والابتلاء في ابلاغ الدعوة الى الطغاة والمنحرفين ،

---

(١) انظر زاد المسير في علم التفسير م ٢ ص ٣٦٦ - ٣٦٧ وانظر تفسير الطبري جـ ٦ ص ١٦٣ وانظر تفسير القرطبي جـ ٦ ص ١٩٠ .

(٢) سورة المائدة آية (٢) .

(٣) سورة طه الآيات (٢٩ ـ ٣٥) .

فمجابهة الطغاة تحتاج الى معين وناصر ، والمعين والناصر بعد الله ، هو الأخ المؤمن الصادق ، الذي يقدم نفسه ، وماله وجميع ما يملك في نصرة دين الله ونصرة أخيه في العقيدة، بلا ملل أو منة قال تعالى : ﴿ **اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى ، اذهبا الى فرعون إنه طغى** ﴾[1] . وما دام هذا شأن موسى مع هارون كما هو شأن نبينا محمد ﷺ مع صحابته ، والتابعين لهم بإحسان ، ألا يجب علينا الاقتداء بهم ، في أن نذهب دعاة الى الحق ، كما ذهب موسى وهارون (اذهب أنت وأخوك بآيات) ألسنا مكلفين بحمل هذا الدين كما حمله موسى وهارون وكما حمله رسولنا محمد (ﷺ) ؟ قال تعالى : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر** ﴾[2] ألا يجب علينا التحمل والصبر في سبيل الدعوة كما صبر موسى وهارون (ولا تنيا في ذكرى) ألا يجب أن نبلغ الطغاة والفراعنة في كل زمان ومكان دعوة الحق ونلزمهم بالأخذ بها وعدم إضلال الناس ، وتعذيبهم بمناهج الكفر والضلال .

فالموالاة في الله لا تصدر من طرف واحد ، وإنما هي شركة بين المؤمنين يكمل بها بعضهم بعضا ، فالأخ الذي تبحث عنه ليعينك دائماً على طاعة الله ويواليك ويناصرك على ذلك ، هو أيضا يبحث عنك لنفس الغرض ، حيث إن الموالاة تضامن في المال والنفس واللسان والقلب ، والأخ مع أخيه مثل اليدين تغسل احداهما الأخرى ، وتعين احداهما الأخرى في مجالات الحياة المختلفة ، والحقوق التي تقتضيها الأخوة في الله هي كما يلي :

أولاً ـ الحق الأول من حقوق الموالاة في الله الإيثار : إن من الصفات الكريمة التي امتدح الله بها الأنصار صفة الإيثار قال تعالى :

---

(١) سورة طه الآيات (٤٢ ـ ٤٣) .

(٢) سورة آل عمران آية (١١٠) .

﴿ يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ﴾[1] . فالمسلم الذي يؤثر اخوانه في الله بماله ونفسه ، فينزلهم منزلة اعظم من نفسه ، فإن ذلك دليل على كمال إيمانه وعظيم حبه لله تعالى ، ولمن يحبهم الله من خلقه ، وهذه أعظم منزلة في الايثار ، ودونها منزلة أخرى وهي أن ينزل المسلم اخوانه المؤمنين منزلة نفسه فتسمح نفسه بمشاركتهم له في ماله ومنزله اذا اقتضى الأمر ذلك .

قال الحسن : (كان أحدهم يشق ازاره لأخيه مناصفة بينهما)[2] . هـ . ودون المرتبتين السابقتين مرتبه ثالثة ، وهي أن ينزل المسلم أخاه مرتبة الصاحب لديه ، فيقوم بحاجته من فضل ماله ، إذا عرضت له حاجة ، وهو يملكها بين يديه قدمها دون أن يلجئه الى السؤال اذا علم بحاله ، فإن ألجأه الى السؤال فهو دليل على تقصيره في حق أخيه عليه . فاذا لم تجد نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخوانك الذين انعقدت رابطة الأخوة بينك وبينهم ، فاعلم أن الجاري بينكم مخالطة وهمية ليست ذات صفة شرعية صادقة .

فقد روي أن أبا هريرة (رضي الله عنه) جاءه رجل فقال إني أريد ان اواخيك في الله ، فقال : أتدري ما حق الإخاء في الله قال له عرفني . قال : أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني . فقال الرجل : لم أبلغ هذه المنزلة بعد قال : اذا فاذهب عني[1] ا . هـ .

ثانيا : من حقوق الماولاة في الله قضاء حاجات الإخوان والقيام بها

---

(١) سورة الحشر آية (٩) .

(٢) انظر فضيلة الألفة والأخوة . مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) فيلم (٦/٥٥٦) الورقة (٣٧) . المؤلف غير معروف . كتبت في القرن التاسع الهجري تقريبا .

(٣) انظر فضيلة الألفة والأخوة . مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) فيلم (٦/٥٥٦) الورقة (٣٧) المؤلف غير معروف . كتبت في القرن التاسع الهجري تقريبا . .

على قدر الاستطاعة والقدرة ، مع البشاشة ، وإظهار الفرح والاستبشار بها ، قال بعض السلف[1] : « إذا استقضيت أخاك الحاجة فلم يقضها لك فذكره ثانية فلعله قد نسيها ، فإن لم يقضها لك فتوضأ وضوءك للصلاة ثم كبر عليه واقرأ هذه الآية ﴿ **إنما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم إليه يرجعون** ﴾[2] . ا.هـ.

وكان بعض السلف الصالح يقوم بتفقد عيال أخيه في الله بعد موته عشرات السنين ، فيقضي حاجاتهم ، ويلبي مطالبهم ، ويتودد لهم ، ويتردد عليهم ، كأنهم بمنزلة أولاده ، فكانوا لا يفقدون من أبيهم إلا عينه[3] .

قال ميمون بن مهران : (من لم ينفعك بصداقته ، لم يضرك بعدواته[4]) . أ. هـ.

وروي في الأثر (ألا إن لله أواني في أرضه وهي القلوب فأحب الأواني إلى الله أصفاها وأصلبها وأرقها ، وأخلصها من الذنوب وأصلبها في الدين وأرقها على الإخوان)[5] .

وكان الحسن البصري (رحمه الله) يقول : (إخواننا أحب إلينا من أهلينا وأولادنا ، لأن أهلينا يذكروننا الدنيا ، وإخواننا يذكروننا الآخرة[6]) .

ثالثاً : من حقوق الموالاة في الله أن يسكت الأخ المسلم عن عيوب إخوانه في غيبتهم وحضرتهم ، إذا كانت هذه العيوب لا تمس شيئا من واجبات الدين وأركانه ، وذلك مثل قلة الأكل عند البعض منهم ، أو زيادته

---

(١) نفس المصدر السابق نفس المكان .

(٢) سورة الأنعام آية (٣٦) .

(٣) المصدر السابق الورقة (٤٠) .

(٤) المصدر السابق نفس المكان .

(٥) فضيلة الالفة والأخوة . مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (١٦٠٥) فيلم (٦/٥٥٦) الورقة (٤٠) المؤلف غير معروف . كتبت في القرن التاسع الهجري تقريبا .

(٦) المصدر السابق الورقة (٤٠ ، ٤١) .

عند البعض الآخر ، أو كثرة النعاس لدى بعضهم أو قلة الكلام من بعضهم وكثرته عند البعض الآخر ، فإن هذه الأمور ونحوها من الأولى أن يتجاهلها الأخ من إخوانه فلا يبديها لهم اذا خاف في ابدائها لهم أو مناقشتهم فيها ما يحملهم على قطع رابطة الأخوة ومفارقة الجماعة ، فلا يبديها لهم ولا يناقشهم فيها مواجهة ، ولكن يعرض بما هو شبيه بحالتهم ، فيكون ناصحا لهم بطريق غير مباشر .

وعلى الأخ أن لا يكثر من مفاتحة إخوانه بأشياء لم يذكروها مخافة أن يحملهم على الكذب اضطراراً في ذلك . وأن يسكت عن القدح في احباب اخوانه والمقربين اليهم ، ممن لا يظهر عليهم فعل المعاصي والمجاهرة بها .

قال ابن المبارك : (المؤمن يطلب لهفوات اخوانه المعاذير والمنافق يطلب العثرات) [1] . ا . هـ.

ومن حقوق الموالاة في الله ترك سوء الظن بالأخ المسلم ، فسوء الظن غيبة القلب ، وذلك أمر منهي عنه المسلم ، ما لم تتوافر الأدلة اليقينية في حصول الأمر المظنون به ، وسوء الظن هو أن تحمل فعل أخيك على

(١) هو عبد الله بن المبارك « أبو عبد الرحمن المروزي » مولى بني حنظلة كانت أمه خوارزمية وكان أبوه عبدا تركيا لرجل من تجار همدان من بني حنظلة . ولد عبد الله بن المبارك في سنة (١١٨ هـ) وتعلم العلم حتى أصبح يلقب بأمير المؤمنين في الحديث ، قدم هارون الرشيد الى الرقة في غرب بغداد فاستقبله أفراد من الحرس والشرطة ، وعندما قدم عبد الله ابن المبارك من نفس المكان خرج الناس عن بكرة أبيهم لاستقباله فنظرت جارية في قصر الخليفة إلى المنظر فقالت ما هذا ؟ قالوا : عالم من أهل خراسان . فقالت : هذا والله الملك ، لا ملك هارون الرشيد الذي لا يجمع الناس الا بشرط وأعوان ، وقد سئل ابن المبارك من الناس؟ فقال: العلماء. قيل فمن الملوك؟ قال: الزهاد. قيل فمن السفلة؟ قال: الذين يعيشون بدينهم توفي (رحمه الله) مجاهداً في بلاد الروم سنة (١٨١ هـ). انظر تاريخ بغداد/ للخطيب البغدادي جـ :١ ص ١٥٢. وانظر حلية الأولياء لأبي نعيم جـ ٨ ص ١٦٧ .

(٢) أنظر فضيلة الالفة والأخوة . مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (١٦٠٥) فيلم (٦/٥٥٦) المؤلف غير معروف، الورقة (٤١ ، ٤٢) كتبت في القرن التاسع الهجري تقريبا .

وجه فاسد مع إمكان أن تحمله على وجه حسن ، وسوء الظن يمكن تقسيمه الى قسمين :

القسم الأول : هو ما يسمى فراسة المؤمن ، وهو الظن الذي يستند إلى علامات ودلائل تشير إلى ذلك فإن هذا يحرك الظن تحريكا لا يقدر الإنسان على دفعه .

القسم الثاني : الظن السيىء ، ومنشأه سوء اعتقاد الأخ بأخيه ، فإذا صدر من الأخ المظنون به سوء فعل له وجهان ، دفعه سوء اعتقاده بأخيه أن ينزل فعله هذا على الوجه الرديء ، من غير علامة يقينيه ترجح ذلك الأمر الذي حمل فعل أخيه عليه ، وهذا الظن المبني على أمور وهمية جناية على الأخ بغير ما اكتسب ، وهذا هو الظن الذي حذرنا الله منه وحذرنا منه رسوله (ﷺ) قال تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم** ﴾[1] .

وقال رسول الله ﷺ (إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث[2]) . وأقل درجات المعاملة في الأخوة في الله أن يعامل أخاه بمثل ما يجب أن يعامل هو به[3] .

رابعاً : من حقوق الموالاة في الله أن يذكر الأخ محاسن إخوانه في الله ، لأن المحاسن تغطي المساوىء وتجلب المحبة ، وهذه الصفة من أخص خصال الأخوة في الله .

فعلى الأخ المسلم أن يتودد لأخيه بلسانه ويتفقده في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها ، فمعنى الموالاة في الله هي أن يساهم الأخ مع اخوانه

---

(١) سورة الحجرات آية (١٢) .

(٢) رواه البخاري . أنظر فتح الباري جـ ٩ ص١٩٨ (باب النكاح ـ ٤٥) .

(٣) فضيلة الإلفة والأخوة ـ مخطوطة بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) فيلم (٦/٥٥٦) الورقة (٤٢) .

في السراء والضراء . ولذلك رُوي عن أبي كريمة المقداد بن معد يكرَبْ (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ : (اذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه)[1] .

والحكمة من اخبار الأخ أخاه بمحبته اياه لتحصل بينهما المودة والصلة والتزاور والمناصحة والتعاون، فتزداد المحبة وتتقوى الصلة بينهما وتتوثق عرى الأخوة بين الأخوة في الله[2]. حيث أن الأخ اذا عرف أنك تحبه أحبك على ذلك، ومعرفة الحب تكون بالقول والفعل . فإذا حصل ذلك بدأ الحب يتزايد بين الجانبين ، ويتضاعف ، والمحبة بين المؤمنين مطلوبة في الشرع ولذلك أرشد الرسول ﷺ الى أسبابها القولية والفعلية ففي الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا . ولا تؤمنوا حتى تحابوا . أولا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم »[3] . هذا في أسباب المحبة القولية .

أما المحبة الفعلية فقد ورد في الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن النبي (ﷺ) قال : (لو دعيت الى ذراع أو كراع لأجبت ، ولو أهدي إليَّ ذراع أو كراع لقبلت)[4] . وفي حديث آخر (كان رسول الله ﷺ يقبل الهدية ويثيب عليها)[5] .

ومن مقتضيات الموالاة في الله أن يدفع المسلم عن أخيه في الله ذم

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث صحيح . أنظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٣٥٢ رقم الحديث (٩/٣٨٤) .
(٢) أنظر نزهة المتقين شرح رياض الصحالين جـ ١ ص ٣٥٢ .
(٣) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٧٤ .
(٤) رواه البخاري . أنظر فتح الباري جـ ٥ ص ١٩٩ .
(٥) المصدر السابق جـ ٥ ص ٢١٠ .

الذامين وقدح القادحين ، وأن يرد تعنت المتعنتين وتشويه الحاقدين الذين يريدون أن يصفوا كل مسلم بأوصاف النقيصة والازدراء ، حتى لا يبقوا لأحد من المسلمين صفة العزة والكرامة والإيمان الصحيح ، وان تسليط الجهال وأنصاف المتعلمين على القدم وتكفير علماء المسلمين من اعظم المنكرات وأقبح الصفات ، لأن هؤلاء لا يريدون أن يبقوا على فرد أو جماعة تمثل الاسلام تمثيلا صحيحا وبالتالي كأنهم بلسان حالهم يقولون أن لا وجود للإسلام والمسلمين ، فينشرون اليأس والتخاذل بين المسلمين ، ولم يسلم من تلك المصيدة الخبيثة حتى أولئك الذين يتزعمون الدعوة الى الله ، فهم يربون أتباعهم على الحقد والضغينة نحو الآخرين ، وكأن الاسلام وقف عليهم دون غيرهم من الناس ، وكأنهم وحدهم المعصومون من الخطأ الذي يشترك فيه عامة الناس ، إن المبدأ والمنهاج في تقييم المسلمين اذا انتشر وشاع على هذا الأساس ، فسوف تفقد الأمة الثقة بجميع المسلمين عامة والعاملين للإسلام خاصة ، وعند ذلك تضيع في متاهات الضلال والانحراف لعدم توفر القيادة الفكرية والقدوة العلمية والجماعة المستقيمة التي يمنحها المسلم ولاءه وانتماءه ، ونصرته وتأييده في هذه الحياة .

وهذا لا يعني عدم محاسبة الأخوان عن أعمالهم وعيوبهم ومناصحتهم في تقصيرهم ، ولكن الذي نقصده هو عدم التجريم الخفي الذي يهدم ولا يبني ، ويفسد ولا يقوم ، والذي قد يكون للكذب والمكر السيىء مجال واسع فيه .

فالإغضاء عن عيوب الإخوان يعتمد على الغرض الباعث على الاغضاء ، فإذا أغضيت لسلامة دينك ، ولما ترى فيه من اصلاح أخيك بالأغضاء منه ، فأنت مدار له والمداراة جائزة كما تقدم [1] .

---

(١) أنظر صفحة ٢٠٩ - ٢١١ من هذه الرسالة .

وإن أغضيت عن فعل محرم أو ترك واجب ، أو أغضيت لحظ نفسك واستجلاب شهواتك ، وسلامة جاهك فأنت مداهن والمداهنة محرمة مذمومة كما تقدم إيضاح ذلك .

خامسا : من حقوق الموالاة في الله أن لا يسب المسلم إخوانه من أجل الدفاع عن كافر أو نحوه ، ودليل ذلك أن أبا سفيان (رضي الله عنه) أتى - قبل إسلامه - على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : والله ما أخذت السيوف من عنق عدو الله مأخذها ! فقال أبو بكر (رضي الله عنه) : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟

فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : (يا أبا بكر ! لعلك أغضبتهم ، لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك) .

فأتاهم أبو بكر فقال : يا إخوتاه ! أغضبتكم ؟ قالوا : لا . يغفر الله لك . يا أخي[1] .

فهم قالوا هذا الكلام موالاة لله ورسوله والمؤمنين ، ومعاداة لأعدائهم ، ولذلك جعل النبي ﷺ إثارة غضبهم بهذه الصورة سببا في غضب الله على من أغضبهم ، فإذا كان أبو بكر (رضي الله عنه) رغم منزلته في الإسلام يقول له الرسول ﷺ لعلك أغضبتهم لئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك .

فكيف حال الذين يعاندون المؤمنين في وسائل الإعلام المختلفة فيمدحون الكفار وينشرون الكفر ليل نهار ، ويسخرون من المؤمنين بأقوالهم وأفعالهم ، أليس هؤلاء قد باؤا بغضب على غضب

---

(١) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٤٧ (كتاب فضائل الصحابة) وانظر التحفة العراقية / لابن تيمية ص ٣٥ .

واستحقوا لعنة الله وعذابه ، قال تعالى ﴿ فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين ﴾[1].

سادسا : من حقوق الموالاة العفو عن هفوة الأخ والكف عن عثرته ، وهي لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية ، أو في دنياه بتقصيره في حقك .

فأما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية وترك واجب أو اقتراف محرم فلا يخلو ذلك من أمرين :

١ ـ أن تكون تلك المعصية التي اقترفها ، أو الواجب الذي تركه زلة قد ندم عليها وتاب عنها فالعفو والصفح واجب في ذلك .

٢ ـ أن يكون مصرا على المعصية متلبسا بها ، فالأولى التلطف في نصحه بما يقيم عوجه، ويجمع شمله ، ويعيد الورع والصلاح إليه ، فإن لم تستطع وبقي مصرا ، فقد اختلفت طرق الصحابة في حق مودته واستمرار موالاته ، أو مقاطعته ومعاداته ، ولهم في هذه المسألة قولان :

القول الاول : قول أبي ذر[2] (رضي الله عنه) حيث يرى أن

---

(١) سورة البقرة آية (٩٠) .

هو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل الغفاري، وأمه رملة بنت الوقيعة من بني غفار، وكان أبو ذر (رضي اللهعنه) من كبار الصحابة وفضلائهم قديم الإسلام، يقال أسلم بعد أربعة وكان خامس من أسلم، ثم انصرف إلى بلاد قومه وأقام بها حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة فقدم عليه، وعندما خرج رسول الله ﷺ إلى تبوك تخلف أبو ذر قليلاً، ثم ركب بعيره ولحق برسول الله ﷺ وفي الطريق كان بعيره بطيئاً فتركه وحمل متاعه على ظهره وانطلق ماشياً على قدميه حتى لحق برسول الله ﷺ فنظر أحد المسلمين إليه وهو مقبل فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال الرسول ﷺ (كن أبا ذر) فقالوا: يا رسول الله هو أبو ذر، فقال رسول الله ﷺ: (يرحم الله أبا ذر يمشي على الطريق وحده ويموت وحده ويحشر وحده، وقد توفي (رضي الله عنه) على طريق الربذة في أطراف الشام سنة (٣٢ هـ) وصلى عليه عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه).
انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٥ ص ١٨٦ ـ ١٨٨ .

المسلم إذا انقلب على إخوانه وعصى ربه ، وأصر على معصيته ، أنه يجب بغضه ومعاداته حيث يقول : «**إذا انقلب أخوك عما كان عليه من الإستقامة ، فأبغضه من حيث أحببته ، فإن ذلك من مقتضى الحب في الله والبغض فيه**»[1] . ا.هـ.

القول الثاني : قول أبي الدرداء (رضي الله عنه) وجماعة من الصحابة (رضي الله عنهم) حيث ذهبوا إلى خلاف القول الأول فقالوا : (إذا تغير أخوك وحال عما كان عليه فلا تدعه لأجل ذلك ، فإن أخاك يعوج مرة ويستقيم أخرى[2]) . ا.هـ.

وقال ابراهيم النخعي[3] ، لا تقطع أخاك ، ولا تهجره عند الذنب بذنبه ، فإنه يركبه اليوم ويتركه غدا[4] . ا.هـ.

وهذه الطريقة يرى البعض أنها أقوم وألطف وأفقه . وقد احتج أهل القول الأول بأن مرتكب المعاصي لا تجوز مؤاخاته ابتداء ، فيجب مقاطعته انتهاء . لأنَ الحكم إذا ثبت بعلة فالقياس أن يزول بزوالها ، وعقد الأخوة في الله لا يستمر مع من يقارف المعاصي ويصر عليها .

وأجاب أهل القول الثاني على ذلك ، بأنه إذا قوطع من إنحرف عن طريق الأخوة في الله ، وانقطع عن صحبة إخوانه الأفاضل الكرام ، فإن ذلك يزيده إصرارا واستمرارا على معصيته ، ويتيح فرصة للشيطان وحزبه ،

---

(١) أنظر فضيلة الالفة والأخوة . محطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (١٦٠٥) فيلم (٦/٥٥٦) المؤلف غير معروف ، كتبت في القرن التاسع الهجري تقريبا الورقة (٥٥) .

(٢) المصدر السابق الورقة (٥٦) .

(٣) هو ابراهيم بن يزيد النخعي من كبار التابعين علما وورعا ، توفي سنة (٩٥ هـ) . أنظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ١٤٠ .

(٤) أنظر فضيلة الإلفة والأخوة ، مخطوطة بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) على ميكروفيلم رقم (٦/٥٥٦) الورقة (٥٦) .

أن يجروا العاصي من الساحل إلى محيط الكفر والضلال ، مما يتحقق معه غلبة الهلاك .

والأصل أن ينزّل عقد الأخوة في الله منزلة عقد القرابة ، فإذا انعقدت القرابة تأكد الحق ووجب الوفاء به ، وكذلك الأخوة في الله ، إذا انعقدت وجب بقاؤها حتى ولو حصل ما يناقضها من معصية لا توجب الكفر ، أو حصل ما ينقصها أو يضعفها ، لأن استمرار الملاطفة والرفق والاستمالة ، يفضي إلى الرجوع والتوبة إلى الله ، عند استمرار الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن ، ولأن استمرار الصحبة يؤدي إلى استمرار الحياء عند العاصي أو المخالف مما قد يكون سببا معينا على الإقلاع عن المعصية ومخالفة الجماعة ، ولأن من الحق الوفاء بحق الأخوة في الله والأخ العاصي أو المخالف لنهج الجماعة المسلمة بأشد الحاجة إلى من يقف معه في مصيبته تلك ، أرأيت هذا الأخ لو كان مستقيما على الصراط السوي ، وأصابته حاجة مالية أو فقر شديد ، ألا يجب شرعا مساعدته ومعاونته وكذلك الأمر بالنسبة لمصائب الاعتقاد والعمل ، فإن فقر الدين أعظم رزية من فقر المال ، فهذا الأخ الذي انحرف بعصيانه وخرج على منهج الجماعة قد أصابته مصيبة وألمت به نازلة ، حيث افتقر في دينه وأصيب في عقيدته فينبغي أن يراقب وأن يراعى ولا يهمل بل يجب أن يتلطف به ، ليعان على الخلاص من الواقعة التي ألمت به ، فأخوة الإيمان عدة للنوائب ، وحوادث الزمان ، فهي مؤازرة في البلاء ومشاركة في الرخاء وأي حادثة أشد من حادثة الإصابة في الدين ، وأما ابتداء مصاحبة الفاسق أو مؤاخاته فلا تقاس على هذه الحال ، فمؤاخاة الفاسق ابتداء لم يتقدم لها حق سابق ، ولذلك يجوز ترك المؤاخاة له ابتداء ، وهذا ليس بمذموم ولا مكروه ، بل قال البعض إن هذا هو الأولى(١) .

---

(١) أنظر فضيلة الإلفة والأخوة / مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (١٦٠٥) على ميكروفيلم (٥٥٦/٦) الورقة (٥٦) .

أما قطع الأخوة بعد اتصالها فمنهي عنه ، ومذموم في نفسه ، ونسبة قطعها إلى تركها ابتداء ، كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح .

فالطلاق في معظم أحواله أبغض إلى الله من ترك النكاح، فمخالطة الفساق ابتداء محذورة، ومفارقة إخوان العقيدة والإيمان أيضا محذورة، حيث أن المسلم مطلوب منه شرعا، أن يصحب الأخيار وينبذ الأشرار، لأن الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها إئتلف وما تناكر منها اختلف . وهذا الأخ الذي شذّ عن إخوانه في الله هو كالمريض الذي يجب الإعتنا به وعلاجهُ بكل مستطاع، فالمريض لا ييأس منه أهله بمجرد ظهور المرض عليه، فيسعون إلى قبره ودفنه وهو على قيد الحياة ، بل الواجب بذل الطاقة واستفراغ الوسع في معرفة أسباب المرض ونوعه ، ثم معرفة العلاج النافع لمثل تلك الحال . وكذلك الشأن في معاملة من يشذ عن طريق الجماعة المسلمة ، فإنه يجب أن تصله وإن قطعها ، وأن ترفق به وإن جفاها ، وأن تحسن إليه وإن أساء إليها ، وأن تصبر عليه كصبر أهل المريض على علاج مريضهم ما لم تيئس منه كيئس أهل المريض من مريضهم بالموت[١] .

وهذا القول هو القول الراجح في نظري للأسباب التي ذكرتها فيما سبق ، لأن القول الأول وهو قول أبي ذر (رضي الله عنه) في وجوب معاداة من انحرف بمعصيته عن طريق الأخوة في الله ، فيه شدة وخشونة وغلظة قد يترتب عليها من المفاسد أكثر مما يترتب عليها من المصالح .

وإن كان الأمر في نظري أنه يختلف باختلاف الأشخاص والأوضاع المحيطة بالجماعة المسلمة ، لأن هذه المسألة مما يدخل في نطاق السياسة الشرعية لمصلحة الدعوة إلى الله عز وجل .

هذا الكلام المتقدم يتعلق بالخلاف بين الأخوة في الله ، إذا ارتكب أحدهما معصية تؤدي به إلى الانحراف عن طريق الجماعة المسلمة .

---

(١) المصدر السابق نفس المكان .

أما ما يتعلق بتقصير الأخ في حق أخيه بما يوجب إيحاشه وإثارة غضبه فالأولى أن لا يلجأ المسلم إلى ذلك مع إخوانه ، ولكن لو حصل زلة من أخ على أخيه فالواجب العفو والاحتمال ، وأن يحمل أقواله وأفعاله على المحمل الحسن ، وأن يطلب له العذر في ذلك .

وعلى الأخ المسلم أن يكون معتدلا لا مع أخوانه في الحب ، فلا يتكلف ما لا يطيق ، ويكون معتدلا مع أعدائه في البغض فلا يبالغ في البغض عند الوقيعة بالأعداء ، فقد يتحول الأعداء إلى أصدقاء يوما من الأيام ، قال تعالى : ﴿ **عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم**[1] ﴾كما أن تحول الأصدقاء إلى أعداء أمر غير ممتنع الحصول . روى الترمذي عن علي موقوفا :

أحبب حبيبك هو نا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما .

وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما[2] .

وروي عن عمر (رضي الله عنه) قوله : (لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا[3]) . ا . هـ .

أي لا يكن حبك شديدا إلى درجة الهيام والإفراط ، فيكون مشقة على النفس والمال ، ولا تلفا ، وهو أن تحب تلف صاحبك ، ولو كان في هلاكه هلاكك.

سابعا : من حقوق الموالاة بين الأخوة في الله دوام المحبة والمودة إلى الموت ، فالمحبة والموالاة والمناصرة للمؤمنين عبادة يتقرب بها العبد

---

(١) سورة الممتحنة آية (٧) .

(٢) رواه الترمذي . وقال : عن علي موقوف . انظر سنن الترمذي جـ ٣ ص ٢٣٤ .

(٣) أنظر فضيلة الإلفة والأخوة مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) فيلم (٦/٥٥٦) المؤلف غير معروف كتبت في القرن التاسع الهجري تقريبا ص ٥٧ .

إلى ربه والعبادة ليس لها أجل دون الموت قال تعالى : ﴿ واعبد ربك حتى يأتيك اليقين[1] ﴾ .

قال القرطبي : اليقين الموت[2] . فمعنى ذلك أن المحبة في الله يجب أن تستمر مع أهل الايمان الى الموت ، وحتى لو مات بعض الأخوة في الله فإن المحبة تستمر مع أولادهم وقراباتهم حيث أن الحب في الله يراد به الآخرة ، فإذا انقطع قبل الموت بغير عذر شرعي حبط العمل وضاع السعي بين المنقطعين . قال رسول الله ﷺ : (سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله وذكر منهم (رجلان تحابا في الله ، اجتمعا عليه وتفرقا عليه)[3] .

فإذا قصر العبد في طاعة الله سلبه الله من يؤنسه وذلك أن مجالسة الإخوان في الله مسلاة من الهموم ، وعون على الدين والدنيا .

ولذلك قال ابن المبارك : (ألذّ الأشياء مجالسة الأخوان والاجتماع بهم)[4]. ا . هـ .

والمودة الدائمة هي التي تكون بسبب الموالاة في الله والحب فيه ، أماالمودة لغرض دنيوي فهي تزول بزوال الغرض الذي حدثت المودة من أجله .

---

(١) سورة الحجر آية (٩٩) .

(٢) أنظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ٦٤ .

(٣) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم جـ ٢ ص ٧١٥ (كتاب الزكاة - باب فضل اخفاء الصدقة) .

(٤) أنظر فضيلة الالفة والاخوة . مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (١٦٠٥) فيلم (٦/٥٥٦) المؤلف غير معروف . يعتقد انها كتبت في القرن التاسع الهجري الورقة ص ٥٧) .

فقد رُوي رسول الله ﷺ انه قال : (ما تواد اثنان في الله عز وجل ، أو في الاسلام فيفرَّقَ بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما[1] .

ومن الوفاء بحق الأخوة في الله ، عدم موافقة الأخ على ما يخالف الحق ، بل من الوفاء المخالفة في ذلك إذا كان لدى المخالف دليل صريح فيما ذهب اليه .

ثامنا : من حقوق الموالاة في الله أن الإنسان إذا عجز عن تقديم العون المـادي لإخوانـه فلا أقـل من أن يدعـو لهـم في حياتهم بـالنصر والتمكين ، وبعد مماتهم بالمغفرة والرضوان ، فقد ورد في الحديث (ما من عبد مسلم يدعو لأخيـه بظهـر الغيب ، إلا قال الملك : ولك ، بمثل[2]) .

---

(١) أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ٢ ص ٢٣٢ .

(٢) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٩٤ (باب الذكر ـ ٢٣) .

المبحث الثالث

موالاة الأقليات الإسلامية

إن موالاة ونصرة الأقليات المسلمة ـ بل الأكثرية المسلمة الممزقة تحت أقدام المجرمين الكفرة ـ واجب شرعي لا يعذر المسلمون بتركه ، ويأثمون إثماً عظيماً في تقاعسهم عن ذلك ، كيف لا يكون ذلك ؟ والله عز وجل يقول ﴿ **إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير** ﴾[1] .

فيتبين من هذه الآية أن الأصل أن يكون المجتمع المسلم كلاًّ لا يتجزأ ، وجماعة لا تفترق ، ووحدة لا تنفصم ، والأصل أيضاً أن يفتح المجتمع المسلم أبوابه لتقبل كل من يدين بالاسلام بلا فارق أو تمييز على أساس من اللون ، أو العرق ، أو لنشأة أو مكان الولادة أو غير ذلك من

(١) سورة الأنفال آية (٧٢) .

الفوارق الجاهلية ، فبلاد الإسلام هي المأوى الشرعي لكل مسلم ، فالدخول الى دار الاسلام حق شرعي لكل مسلم على المسلمين جميعا ، لا فضل لهم بذلك أو منة اذا كانوا مسلمين يطبقون الاسلام تطبيقاً صحيحاً .

ولكن مع ذلك لو بقيت قلة من المسلمين بدار الكفر ، ثم اعتدى عليها بعد التسهيلات التي يمنحها المسلمون لهذه القلة في الدخول في دار الاسلام ، فإن الواجب الاسلامي يفرض على المسلمين مناصرة تلك الأقلية المسلمة التي رضيت بالبقاء في دار الكفر بدون عذر أو مبرر شرعي ، حيث أن دار الاسلام قد فتحت أبوابها لدخولهم ودخول كل مسلم اليها ، قال تعالى : ﴿ **وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير** ﴾[1] .

فهؤلاء ليسوا من أعضاء المجتمع الاسلامي الموحد المتحد على الاسلام ، قال تعالى : ﴿ **والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا** ﴾[2] . ومع ذلك أوجب علينا مناصرتهم ، بموجب رابطة الاسلام والايمان ثم استثنى في مناصرة هؤلاء ، أن لا تكون مناصرتهم مخلة بشرط من شروط الاتفاق بين المسلمين والكفار ، لأن مصلحة المجتمع المسلم في دار الاسلام أولى من مصلحة قلة من المسلمين اختارت البقاء في دار الكفر على النزوح الى دار الاسلام ، مع تمكنها من الدخول في دار الاسلام لو أرادت ذلك[3] .

فإذا كانت مناصرة هذه القلة بتلك الصفات واجبة في الاسلام ، فما ظنك بمناصرة المسلمين المأسورين عند الكفار ، والذين لا يستطيعون للخروج حيلة ولا يهتدون سبيلا ، ولو خرجوا من دار الكفر لما وجدوا دار إسلام تؤويهم أو تضمهم ، أو تدافع عنهم ؟

(١) سورة الأنفال آية (٧٢) .

(٢) سورة الأنفال آية (٧٢) .

(٣) أنظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ١٠ ص ٧٣ .

إن الواجب الإسلامي يفرض على الدول والشعوب المنتسبة الى الاسلام أن تكون بين خيارين في تعاملها مع المسلمين المضطهدين .

الأول : أن تفتح أبواب بلادها لتقبل المضطهدين من المسلمين من مختلف أنحاء العالم ، فتؤويهم في دار الإسلام وتقدم لهم المساعدات السخية وفرص العمل الشريف ويشتركون معهم في جميع الحقوق والامتيازات كما اشترك المهاجرون والأنصار بالمدينة عند قدوم المهاجرين اليها ، وهذا الأمر قد يترتب عليه بعض الصعوبات نظرا إلى أنه قد يهاجر إلى البلاد الإسلامية من لا يعمل بالإسلام على الوجه الصحيح ، ونظرا لوجود فئات كثيرة من أهل الكفر والنفاق تعيش بداخل البلاد الإسلامية ولا ترضى بمثل هذا الاجراء حيث يتعارض مع رغباتها ومنهجها في الحياة.. ولذلك فإن من الأولى في بداية الأمر أن لا يكثر المسلمون من سواد خصومهم بمثل هذا التصرف حتى يتكون لديهم القاعدة الصلبة التي تتحدى قوى الكفر والنفاق في الداخل والخارج . كما أن فتح باب الهجرة لبعض الأقليات الإسلامية قد يؤدي إلى أن تكون هجرتهم لمصالح دنيوية ، ويؤدي إلى خلو كثير من البلاد التي كانت تحكم بالإسلام إلى أن تكون دار كفر لا وجود للمسلمين فيها ، مع أن المسلمين اليوم ليسوا بحاجة ماسة إلى العدد الكمي بقدر ما هم بحاجة ماسة إلى النوعية المخلصة الصادقة التي تفهم الاسلام كما فهمه السلف الصالح .

الثاني : أن يعدل المسلمون عن فتح باب الهجرة للأكثرية المسلمة المضطهدة في معظم البلاد الإسلامية ، وأن يستبدلوا ذلك بالدعم السخي لاخوانهم بالمال والنفس والرأي ، فيكون المسلمون بدار الكفر مجاهدين في سبيل الله بأنفسهم وأموالهم ويكون إخوانهم في الإسلام مجاهدين معهم بالمال والرأي والنفس إن تطلب الأمر ذلك ، وبذلك يتحقق للمسلمين هدفان :

(١) كسر شوكة الكفار وحماية المسلمين من سيطرة الكفر وهيمنته على المسلمين .

(٢) رفع راية الجهاد التي أمر الله بها أن ترفع حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله . قال تعالى : ﴿ **وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله**[١] ﴾ .

يقول أبو بكر بن العربي : إذا كان من المسلمين أسراء أو مستضعفون فإن الولاية معهم قائمة ، والنصرة لهم واجبة بالبدن والمال والرأي ، وبأن لا تبقى منا عين تطرف ، حتى نخرج إلى استنقاذهم ، إن كان عددنا يحتمل ذلك ، وأن نبذل جميع أموالنا في استخراجهم ، حتى لا يبقى لأحد منا درهم أو دينار يبخل به عن ذلك[٢] . ا.هـ.

ولا ريب أن تطبيق مثل هذه التعاليم كان هو السبب الرئيسي في نصرة المسلمين وعزتهم عبر قرون طويلة من تاريخ هذه الأمة المجيدة ، كما أن إهمالهم لهذا الأمر هو الذي أطمع الأعداء في بلاد المسلمين ، فبدؤوا في كل يوم يفترسون جزءا من المسلمين ، والبقية الباقية من المسلمين في لهو وعبث ومجون وضياع[٣] .

فالدول المحسوبة على الإسلام اليوم لا تقوم بواجب الأقليات الإسلامية على المستوى المطلوب منها شرعا وانما اكتفت بإنشاء ادارة هزيلة ضعيفة واهية بموجب قرار وزراء خارجية المؤتمر الاسلامي التاسع الذي عقد في ـ داكا ـ عام (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م) ونشاط هذه الادارة محدود جدا فهي تقوم بطلب المساعدات من الأعضاء ثم تقوم بتوزيعها على المراكز الإسلامية بشكل اعانات نادرة محدودة لا تسمن ولا تغني من جوع

---

(١) سورة الأنفال آية (٣٩) .

(٢) أنظر : أحكام القرآن لابن العربي جـ ٢ ص ٨٧٦ وانظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٥٧ - ٥٨ .

(٣) أنظر فقه السير. محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٣٩ .

فقد ذكر أحد المسؤولين في هذه الادارة أنهم قدموا مساعدة مالية الى خمسة عشر مركزا بالولايات المتحدة الاميركية ودول الكاريبي ، وعشرين مركزا في أوروبا ، وثلاثين مركزا في آسيا ، وستة وستين مركزا في أفريقيا ، ولم يذكر المسؤول الرقم الخاص بكل قارة ولا الرقم الاجمالي لهذه المساعدات[1]. مما يدل على أن المساعدات ليست على المستوى المطلوب، وانها لا تعادل ما يتقاضاه حمار من الحمير الناهقة أو الرافسة، والآثار الظاهرة لتلك المراكز تدل على ضعفها وعجزها عن الجدية والنشاط ، فهي لا تخدم المسلمين إلا في قضايا جزئية ، أما أن تتبنى قضايا الاعتقاد والعبادة والسياسة والأقتصاد والاجتماع ونحو ذلك فهي غير مؤهلة لذلك ، ولا يسمح لها الأعضاء بمزاولة مثل ذلك ، في الوقت الذي نجد فيه أن مجلس الكنائس العالمي قد اعتمد مبلغ خمسين مليون دولار لإنفاقها على مراكز تكفير المسلمين في كل من تركيا وسوريا والاردن ومصر والسودان وتونس والجزائر والسنغال وملاوي وباكستان وبنغلاديش وهذه كلها دول إسلامية فيما مضى من الزمن[2] .

ولم يكتف الصليبيون بذلك بل إن قضايا النصارى في مصر والشام ترعى من قبل الدول الكبرى الصليبية في العالم أجمع .

ولذلك نحن لا نطالب بمثل تلك الإدارة الهزيلة لحقوق الأقليات الإسلامية في العالم ، بل نطالب الأمة بأجمعها أن تكون في حسها ووجدانها مساعدة الأقليات الإسلامية ، وأن تضغط على الحكومات التي تمثلها تمثيلا زائفا في أن تهتم بأمور المسلمين وقضاياهم في العالم أجمع ، لأن ذلك من مسؤوليات المسلمين عامة وحكوماتهم خاصة ، وقد تعتذر

(١) أنظر مجلة البلاغ عدد ٥٣٣ في ١٤٠٠/٤/٢٩ هـ ص ٢٦ .

(٢) أنظر مجلة الدعوة السعودية عدد ٨٠٩ في ١٤٠١/١٠/١٧ هـ ص ١٢ .

بعض الحكومات بأنها تلتزم مبدأ الحياد مع شقيقاتها ، أو مع دول العالم، والحق أنه لا حياد مع من حارب الله ورسوله والمؤمنين قال تعالى : ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم[٢] ﴾ . فهذا العذر غير مقبول فأي ارتباط يتعارض مع الكتاب والسنة يجب أن يضرب به عرض الحائط . والأدلة على وجوب مناصرة الأقليات الاسلامية سبق ذكر البعض منها والبعض الآخر كما يلي :

(١) قال تعالى : ﴿ لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم وكان الله سميعا عليما[١] ﴾ .

(٢) قال تعالى : ﴿ والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون[٢] ﴾ .

(٣) قال تعالى : ﴿ وجزاء سيئة سيئةٌ مثلها فمن عفى وأصلح فأجره على الله إن الله لا يحب الظالمين ، ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل[٣] ﴾ .

ومن السنة قول الرسول (ﷺ) ما يلي :

(١) روى عن رسول الله ﷺ أنه قال (انصر أخاك ظالما أومظلوماً[٤]) .

(٢) وعن البراء بن عازب (رضي الله عنه) قال : (أمرنا رسول الله ﷺ بسبع ونهانا عن سبع . فذكر عيادة المريض واتباع الجنائز ، وتشميت العاطس ، ورد السلام ، ونصر المظلوم ، واجابة الداعي ، وابرار القسم[٥]) .

(٣) قوله ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، مثل

---

(١) سورة المجادلة آية (٢٢) .
(٢) سورة النساء آية (١٤٨) .
(٣) سورة الشورى آية (٣٩) .
(٤) سورة الشورى آية (٤٠ ، ٤١) .
(٥) رواه البخاري . أنظر فتح الباري جـ ٥ ص ٩٨ (كتاب المظالم) .
(٦) المصدر السابق ص ٩٩.

الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[1]) .

فهذه الآيات والأحاديث تدل على وجوب الانتصار للمظلومين من الظالمين ، وللمضطهدين المعذبين من قبل الكفار المجرمين ، سواء كان الذين يعذبون المسلمين كفارا صرحاء أو مرتدين عملاء .

إن في تلك الأدلة تقريرا خالدا لصفة من صفات هذه الأمة المسلمة ، صفة الانتصار من كل باغ ومعتد وظالم مهما كان مركزه ووجوده في الأمة الإسلامية ، إن الدين الإسلامي لا يحابي أحدا على حساب الآخرين .

ولذلك حرم الإسلام الخضوع للظالم أو مساعدته في ظلمه أو التستر على مظالمه ، أو تبرير جرمه وطغيانه .

أن الأمة المسلمة مطالبة شرعاً بالانتصار ممن يظلمها ، مطالبة بالرد على سيئات الظالمين بمثلها ، وهي في عملها هذا تزاول حقها المشروع في دفع الظلم عنها وعن أفرادها ورعاياها من المسلمين في كل مكان من الأرض ، فلا عبرة بأي أعراف أو مفاهيم جاهلية ، من شأنها أن تهدر حقوق المسلمين وتدوس كرامتهم ، في الوقت الذي تتجاوز به دول الكفر جميع القوانين التي وضعتها بنفسها ، عندما ترى أن هذه القوانين لا تخدم أهدافها ومصالحها ومصالح عملائها .

فالهيئات الدولية التي يدير شؤونها أعداء الإسلام ، كأنما وضعت لتكبيل المسلمين وتقييدهم والقضاء عليهم فوجا إثر فوج[2] .

إن وضع الاكثرية الإسلامية في عصرنا الحاضر وضع حرج للغاية

---

(١) رواه البخاري ومسلم ، انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٤٦ رقم الحديث (٢٢٦) .

(٢) أنظر تفسير القرطبي جـ ٦ ص ١ ـ ٤ . وانظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٦ ص ٥٧٧ ـ ٥٧٩ وجـ ٢٥ ص ٣٠١ ـ ٤٠٣ .

حيث أقام أعداء الإسلام دويلات وإمارات مبعثرة ، أحاطوها بحدود جغرافية مصطنعة ، وأعطوها جنسيات متباينة ، ووضعوا على رأس كل واحدة منها - إلا ما ندر منها - دكتاتورا متسلطا يفتك بالمسلمين فتكا ذريعا ، فلا هي تستطيع الانتصار عليه بمفردها ، ولا تستطيع أن تستنصر عليه بجيرانها ، لأن القائمين على مسؤوليات الدول المجاورة يقومون بنفس الدور ، ويسيرون على نفس المخطط .

والشعوب الإسلامية ، مطحونة غارقة في بحر الشهوات والشبهات بحيث لا تشعر بعملية الإنسلاخ من الإسلام وعملية التصفية الجسدية للمسلمين الغيورين على دينهم فنجد أن عامة الشعوب الإسلامية مشغولة بالفن الماجن القابع بين وجه المرأة ونحرها ، والبعض الآخر مشغول بالرياضة التي تروض الناس على الضياع والذل والانحطاط . والنوع الثالث مشغول بعبادة الدرهم والدينار يلهث وراء ذلك ويطلب حصوله بكل وسيلة وأقبح سبيل . وإذا وجدت قلة مؤمنة - في خضم هذا المجتمع المنحرف عن الإسلام - يعزّ عليها ما يعانيه إخوانها تحت وطأة الطغاة المجرمين - وما أكثرهم - فإنها قد لا تجد إلى مساعدتهم سبيلا ، وذلك أن معظم الدول المنتسبة إلى الإسلام لا تسمح بجمع أي نوع من أنواع التبرعات للأقليات الإسلامية المضطهدة في العالم - بل الأكثرية المضطهدة في العالم الاسلامي . وبعض الدول قد تسمح في ظروف معينة بجمع التبرعات لبعض المنكوبين من المسلمين إذا كان ذلك يناسب وضعها السياسي وقضاياها الأمنية ، فتسمح بجمع التبرعات تحت إشرافها واطلاعها ، بحجة تنظيم ذلك وصيانته ، ثم تدفع ما تحصل عليه أو بعض ما تحصل إلى الموالين لها في طرف النزاع في فلسطين ، أو في أفغانستان ، أو غيرها من البلاد الإسلامية ، وقد لا يأتي أصحاب الشأن من ذلك شيء ، سوى اعطاء بعض المنافقين والعملاء كي يصوروا في الرائي والصحف والمجلات ، وينشر ذلك في نشرات الأخبار وأقوال الصحف المحلية والعالمية .

ولذلك يحجم كثير من المسلمين عن المشاركة في دعم الأقليات الإسلامية لأنه لا يطمئن إلى سلامة وصول هذه الإعانات إلى المستحقين لها شرعا. نظرا لبعد القائمين على مقاليد السلطة في معظم الدول الإسلامية عن جوهر الإسلام وحقيقته.

ولكن لو قامت دولة إسلامية حقيقية صادقة مخلصة، وأرادت أن تقوم بمساعدة المسلمين المعذبين في العالم الإسلامي بجدية وإخلاص، فإنها تزاول بعملها هذا أمرا مشروعا وتؤدي واجبا نحو هذا الدين ونحو المسلمين عامة وهي تنطلق في عملها هذا من قول الرسول ﷺ (كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والإمام راع ومسؤول عن رعيته[1] ..) ورعاية المسلمين لأخوانهم لا تحدها حدود، ولا تمنعها قيود غير شرعية وقد يعترض معترض فيقول: كيف تستطيع دولة صغيرة من الدول أن تتدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى؟ والجواب: أن نقول: إن المسلمين في مودتهم وتراحمهم وتناصرهم يجب أن يكونوا أشد من تناصر الكفار فيما بينهم. لقد تضامنت دول الكفر جميعا مع اليهود من حين اعلانهم لدولتهم حتى هذا التاريخ وهم يلقون الدعم البشري والعسكري والاقتصادي والمعنوي من دول الكفر عامة والدول الكبرى منها خاصة. وتضامنت دول الكفر كلها مع أميركا في قضية الرهائن الاميركيين لدى ايران، رغم قوة أميركا وتفوقها في مجالات عديدة. وتضامن اليهود مع نصارى لبنان فضلا عن نصارى العالم أجمع، وتضامن الشيوعيون في كوبا وبولندة والدول العربية مع روسيا في غزوها لأفغانستان رغم أن روسيا ليست بحاجة إلى ذلك، فهل ما تبيحه دول الكفر لنفسها من تعاون وتناصر يحرم تطبيقه بين المسلمين؟

إن لدى الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية وسائل كثيرة تستطيع

---

(١) رواه البخاري ومسلم. أنظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٨٨ رقم الحديث (٢٨٥).

من خلالها الضغط والتأثير على من يطاردون الأكثرية المسلمة فضلا عن الأقليات الإسلامية ومن هذه الوسائل ما يلي :

أولا : استخدام الاقتصاد كوسيلة قوية ومؤثرة على أوضاع هؤلاء المجرمين ، فلا نصدر لهم ما يحتاجون إليه ضرورة ولا نستورد منهم ما يمكن أن نجده عند غيرهم ممن هم على علاقة حسنة بالمسلمين .

ثانيا : من وسائل الضغط على أعداء الله وأعداء رسوله والمؤمنين عدم التعاون معهم في أي مجال من مجالات الحياة ، فلا نعينهم ولا نستعين بهم في أي أمر من أمور المسلمين ، مادمنا نجد في غيرهم من يسد مسدهم ، ولو اضطررنا الى التعامل معهم فنتعامل معهم معاملة تجارية دون محبة أو مودة فهاهم ينهبون ثروات المسلمين وخيراتهم ولا يضمرون لهم سوى الحقد والكراهية والمكر الخبيث !!

ثالثاً : يجب على المسلمين أن يكشفوا مخططات الكفار ويوضحوا جرائمهم تجاه الإسلام والمسلمين ، في مناهج التعليم ووسائل الاعلام ، وأن لا يسلكوا معهم سبيل المداهنة والنفاق .

رابعا : يجب على المسلمين شعوبا وحكومات أن يمدوا يد العون والمساعدة بسخاء إلى المسلمين الذين يقاومون الحكومات الطاغية والأحزاب الكافرة ، ودعمهم في ذلك بلا خجل أو حياء أو خوف من الناس ، لأن هذا واجب شرعي من واجبات الإسلام ، يؤديه المسلمون كما يؤدون غيره من الواجبات الشرعية .

خامسا : أن يستقدم المسلمون بعض اللاجئين من المسلمين الذين يطردون من بلادهم والذين لا يشكلون إلا قلة قليلة في بلاد الكفار مثل لاجئي كمبوديا ، وكوريا ، وفيتنام ، وتايلند ، وبعض بلدان افريقيا وأوروبا الشرقية ، ثم يتقاسمهم أهل البلاد الإسلامية فيما بينهم ،

كما تفعل الدول الصليبية مع النصارى في شرق آسيا ، فإن المسلمين بحاجة إلى الأيدي العاملة ، فبدلا من أن يستقدموا مئات الآلاف من الصليبيين واليهود وأهل الأوثان ، يأتون بأخوانهم في الإسلام ، فيستفيدون منهم في مجال الأعمال المختلفة ، ويفيدوهم بالنصرة والمأوى واتاحة العيش الكريم لهم مع المسْلمين ، والدول الاسلامية تتمتع بمساحات شاسعة من الأرض وبأنهار كبيرة وكثيرة ، وبثروة بترولية كبيرة ، فهي قابلة للنمو في مجال الزراعة والصناعة ومختلف جوانب الحياة . وهي قادرة على استيعاب الملايين من البشر ، ففي السودان وجنوب مصر وليبيا وتونس صحارَى شاسعة يمكن استغلالها واسكان آلاف اللاجئين فيها .

ولكن أين من يفكر في مثل هذا ويعمل له ؟

إن معظم الدول التي تحكم الشعوب الإسلامية لا تفكر بمثل ذلك ولا تخطط له ، لأنها قصيرة الأجل في نظرها فاقدة للثقة بنفسها ، لأنها أصلا ما قامت ولا انطلقت من منطلق صحيح ، يجعلها تطمئن في تخطيطها وتصرفها في سائر أعمالها .

فهي تنتظر الوقيعة بها صباح مساء ، ولذلك كل هم تلك الدول هو أن تعضَ على مكانها بالنواجذ ، ولو كان في ذلك تدمير لأمة الإسلام كلها .

فهي على استعداد أن تبيع بلاد المسلمين بمن فيها من المسلمين مقابل الحصول على مال كثير وكرسي وثير ، فحكومات كهذه لا تبنى ولا تهتم بشعوبها المحدودة بحدود ضيقة ، فضلا عن أن يرجى فيها الخير في نصرة شعوب وبلاد بعيدة عنها ، ففاقد الشيء لا يعطيه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

المبحث الرابع

أسباب تحقيق المعاداة في الله

إن المسلم مأمور بإظهار العداوة لأعداء الله ورسوله والمؤمنين ، وهذا الأمر لا يتحقق إلا بخمسة أسباب رئيسة هي على النحو التالي :

السبب الأول : هو ترك اتباع أهواء الكفار أو تحقيق رغباتهم في معصية الله ، قال تعالى : **﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا نصير[1] ﴾** .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) . فانظر كيف قال في الخبر ملتهم ، وقال في النهي أهواءهم ، لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقا ، والزجر وقع عن اتباع أهواءهم في قليل أو كثير[2] .

---

(١) سورة البقرة آية (١٢٠) .

(٢) أنظر سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك للشيخ حمد بن علي بن عتيق ـ تحقيق اسماعيل بن عتيق ص ٢٨ .

وقال تعالى لموسى وهارون : ﴿ فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون[1] ﴾ . وقال موسى لأخيه هارون كما ذكر الله عنه بقوله تعالى ﴿ اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين[2] ﴾ . وقال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا[3] ﴾ . وقال تعالى ﴿ فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾ . وقال تعالى ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، انهم لن يغنوا عنك من الله شيئا ، وان الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين[4] ﴾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) لقد جعل الله عز وجل لرسوله شريعة شرعها له وأمره باتباعها ونهاه عن اتباع الذين لا يعلمون ، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعة الإسلام ، واتبع الكفار ، قال تعالى : ﴿ وكذلك أنزلناه حكما عربيا ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق[5] ﴾ . فمن دلائل الايمان تعمد مخالفة أهواء الكفاء وصد رغباتهم التي يقصدون بها جر المسلم الى الكفر واخراجه من الإسلام[6]) ا.هـ.

السبب الثاني : هو معصية الكفار فيما أمروا به ، فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين ، وأخبر أن المسلمين ان اطاعوهم ، ارتدوا عن الايمان

---

(١) سورة يونس آية (٨٩) .
(٢) سورة الاعراف آية (١٤٢) .
(٣) سورة النساء آية (١١٥) .
(٤) سورة المائدة آية (٤٨) .
(٥) سورة الجاثية آية (١٨ ، ١٩) .
سورة الرعد آية (٣٧) .
(٦) أنظر سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الاشراك للشيخ حمد بن علي بن عتيق / تحقيق اسماعيل بن عتيق ص ٢٩ .

الى الكفر قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين**[1] ﴾ . وقال تعالى ﴿ **ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا**[2] ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وان اطعتموهم انكم لمشركون**[3] ﴾ . وقال تعالى : ﴿ **فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا**[4] ﴾ .

فيجب على المسلمين حكاما ومحكومين عدم طاعة الكفار واظهار المعصية لهم بالقول والعمل ومعاملتهم بالغلظة التي تجعلهم لا يطمعون بأكثر مما يستحقون بموجب شريعة الإسلام .

السبب الثالث : عدم الركون الى الكفار أو الظالمين ، أو اتخاذهم أمناء أو مستشارين فإن ترك ذلك دليل على معاداتهم كما أمر الله عز وجل ؛ فإن الله قد وعد بمسيس النار في الآخرة وعدم النصرة في الدنيا لمن ركن إلى الكفار أو تولاهم قال تعالى ﴿ **ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون**[5] ﴾ .

وهو أمر متحقق فعلا حيث نرى أن الموالين للأعداء لم ينتصروا على أعدائهم ، ففي الحروب التي خاضها المناوئون لليهود اسما لا حقيقة لم ينتصروا على اليهود في حرب (١٣٦٧ هـ) وحرب (١٣٨٧ هـ) وحرب (١٣٩٣ هـ) أي بالتاريخ الميلادي حرب (١٩٤٨ م) وحرب (١٩٦٧ م) وحرب (١٩٧٣ م) لأنهم قد ارتموا بأحضان أعدائهم وأطاعوهم ووالوهم واتبعوا أهواءهم ، فكان ما توصلوا اليه من هزائم فادحة ، أمر جار وفق سنة

(١) سورة آل عمران آية (١٠٠) .
(٢) سورة الكهف آية (٢٨) .
(٣) سورة الانعام آية (١٢١) .
(٤) سورة الفرقان آية (٥٢) .
(٥) سورة هود آية (١١٣) .

الله في الكون والحياة حيث وعد الله عز وجل بحرمان من تولى غيره من العزة والتمكين قال تعالى : ﴿ **الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا**[1] ﴾ .

السبب الرابع : من أسباب تحقيق المعاداة في الله ترك موادة الكفار والبشاشة في وجوههم ، والمبالغة في استقبالهم وفي إكرامهم لغير نيّة الدعوة إلى الله ، فالكافر عدو الله ورسوله والمؤمنين والمحارب منهم أشد عداوة من غيره . قال تعالى : ﴿ **لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو عشيرتهم**[2] ﴾ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : (ان الله يخبرنا بهذه الآية أنه لا يوجد مؤمن ، يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم ، فمن واد كافرا ، فليس بمؤمن ، لأن مودة الله ومودة عدوه ضدان لا يجتمعان في قلب واحد[3]) . ا . هـ .

السبب الخامس : من أسباب تحقيق المعاداة في الله مراغمة الكفار في ترك التشبه بهم في أقوالهم وأفعالهم ، فقد حث الله المؤمنين على ترك الأقوال والأعمال التي تحمل مفهوما خاصا وسيئا في استعمال الكفار وعرفهم قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم**[4] ﴾ .

فنهى عن التشبه بالكفار في أقوالهم وأفعالهم ، وقد دلت السنة على النهي عن مشابهة الكفار بالملبس ونحوه ، فقد روي عن عبد الله بن عمرو

---

(١) سورة النساء آية (١٣٩) .
(٢) سورة المجادلة آية (٢٢) .
(٣) أنظر مجموعة التوحيد ص ٢٧١ .
(٤) سورة البقرة آية (١٠٤) .

ابن العاص (رضي الله عنه) قال : (رأى رسول الله ﷺ عليّ ثوبين معصفرين فقال ان هذه ثياب الكفار فلا تلبسها[1]) .

فنهى عن لبس هذه الثياب لعلة مشابهتها للزي الخاص بالكفار .

وفي رواية أخرى عنه قال : (رأى النبي ﷺ عليّ ثوبين معصفرين فقال أأمك أمرتك بهذا ؟ قلت أغسلهما قال بل أحرقهما[2]) وفي الحديث «ليس منا من تشبه بغيرنا[3]» .

فشدة النهي عن التشبه بالكفار حتى تتحقق المفاصلة التامة بين منهج الحق وطرق الباطل ، لأن المشابهة في الأقوال والأفعال تورث نوعا من المودة والمحبة ، والمناصرة بين المتشابهين ، ولذلك نهى الله ورسوله عن مشابهة الكفار بالأقوال والأفعال التي هي من خصائص كفرهم نهيا شديدا ، لأن المشابهة لهم سبب يفضي الى محبتهم ومودتهم وموالاتهم ومناصرتهم ، وقد حرم الإسلام كل سبب يوصل الى المحرم أو يعين عليه[3] .

ولكن للأسف الشديد إن واقع المسلمين اليوم بعيد كل البعد عما يجب أن يكون عليه ، فكل هذه الأسباب الخمسة معدومة تماما على مستوى الحكومات القائمة في البلاد الإسلامية ، وعلى مستوى الأكثرية من الشعوب الإسلامية . فمعظم الدول الإسلامية تتبع هوى الكفار ، وتطيعهم في معصية الله ، وتتخذهم بطانة من دون المؤمنين وتظهر لهم المودة والاكرام قولا وفعلا ، وتبالغ في إكرامهم بغير نية دعوة إلى الإسلام .

---

(١) رواه مسلم ، أنظر شرح النووي على صحيح مسلم جـ ١٤ ص ١٥٩ ح ٢٨٣٦ وقال عنه ضعيف الاسناد ، ولكن الالباني حسنه. أنظر صحيح الجامع الصغير جـ ٥ ض ١٠١ ح ٥٣١٠ .

(٢) المصدر السابق نفس المكان.

(٣) أنظر مجموعة التوحيد ص ٢٧٢ .

وبعض الدول المحسوبة على الإسلام تلزم رعاياها بالتشبه بالكفار في أقوالهم وأعمالهم ، وتحارب أخلاق الإسلام عبر وسائل التعليم والاعلام ، ومع ذلك لو تكلم أحد أو وصفها بالكفر لزجت به في غياهب السجون وأذاقته أصناف العذاب الأليم .

أما على مستوى الشعوب الإسلامية ، فإن معظم الشعوب الإسلامية تنقسم الى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : قسم مؤمن مبتلي في عقيدته وعبادته أين ما اتجه وحيثما سار ، لا يجد إلا أعداء يتربصون بالمؤمنين الدوائر ، فهو متألم لهذا الواقع المر الحزين ولكنه لا يستطيع أن يفعل حيال ذلك شيئا ذا بال ، لأن الجماعة المسلمة الملتزمة بالإسلام تعيش وسط جموع كبيرة من المرتدين والمنافقين والانتهازيين والجاهلين الذين يشكلون بمجموعهم كتلة واحدة تقف ضد الحق وأهله ، وتحاربه بكل ما تملك من سلام .

القسم الثاني : طبقة المنافقين وأخماس المسلمين وأسداسهم الذين لا هم لهم إلا شهواتهم ومنافعهم العاجلة ، فعليها يوالون ومن أجلها يعادون وهذه الفئة في الغالب تكون مع الأقوى سواء من أهل الخير أو من الشر ، فهم أتباع لمن يأخذ بزمام المبادرة ويعتلي مركز القيادة .

القسم الثالث : فئة المرتدين والمتحزبين الكافرين الذين ينتمون إلى أحزاب الكفر والضلال ، كحزب البعث ، أو الحزب الشيوعي ، أو الحزب الاشتراكي أو غير ذلك من أحزاب الكفر التي تتقنع بأقنعة ظاهرها الدعوة إلى الاصلاح وباطنها الدعوة إلى الكفر البواح .

فوجود هذه الفئات وسيطرتها على مقاليد الأمور معظم البلاد الإسلامية ، هو الذي أدى إلى انعدام تحقيق الموالاة في الله والمعاداة فيه على مستوى الدول والشعوب الإسلامية .

والمخرج من ذلك كما اعتقد ـ والله أعلم ـ هو السعي الجاد من قبل

المؤمنين العاملين للإسلام في تحويل اكبر قدر ممكن من البشر المتواجدين في البلاد الإسلامية إلى الإسلام الصحيح وعند ذلك يسهل القضاء على أعداء الإسلام والمسلمين ، ويسهل تطبيق الموالاة في الله والمعاداة فيه كما حصل في أول هذه الدعوة .

والله الهادي إلى طريق الحق والصواب .

المبحث الخامس

صورة من الموالاة في الله والمعاداة فيه

إن هذا الدين من سماته العظيمة ومميزاته الكريمة انه ينقل النص الموحى به من عند الله إلى التطبيق العملي في واقع الناس وحياتهم ، فمجرد العلم بالأحكام الشرعية لا يغني صاحبه شيئا ، ما لم تتحول هذه المعرفة إلى عمل واقعي مشاهد محسوس ، إن القرآن الكريم والسنة النبوية ليسا للمتاع العقلي ولا للمعرفة المجردة ، وإنما جاء بهما الرسول ﷺ من عند ربه ليكونا منهاج حياة ، ولذلك لم ينزل الله عز وجل هذا القرآن جملة واحدة ، وإنما نزل وفق الحاجات المتجددة ، ووفق المشكلات العملية التي تواجهها الجماعة المسلمة في حياتها الواقعية ، يقول سيد قطب (رحمه الله) : (لقد كانت الآية أو الآيات تنزل في الحالة الخاصة أو الحادثة المعنية ، تحدث الناس عما في نفوسهم ، وترسم لهم منهج العمل في المواقف المتعددة[1] . ا ـ هـ

---

(١) انظر معالم في الطريق سيد قطب ص ١٨ ـ ١٩ .

وكان من ضمن هذه المواقف التي تناولها القران الكريم والسنة النبوية موقف الموالاة والمعاداة ، فنزلت الآيات القرآنية وتحدث الرسول ﷺ عن هذه القضية بما لا يدع زيادة لمستزيد ، وقد طبق الرسول ﷺ وأصحابه ومن سار على نهجهم الموالاة في الله والمعاداة فيه كما رسمها الله عز وجل ، فوالوا أولياءه وعادوا اعداءه ، على هدى وبصيرة من وحي الله ، فكانوا بذلك قدوة واسوة حسنة لمن وفقه الله إلى عمل الخير وهداه إلى الصواب ، وفي هذا المبحث سنعرض صورا ومشاهد واقعية حقيقية ، عن الموالاة والمعاداة في الله ، وكيف وصل الإسلام بأتباعه إلى هذه الدرجة العظيمة من الحب في الله والبغض في الله ، بصورة لا مثيل لها في غير تاريخ الإسلام وسنعمل على ترتيب هذه الصور حسب اهميتها - وإن كانت كلها مهمة - وهي صور للذكرى وليست للحصر ، فصور الموالاة والمعاداة في الله أكثر من أن تحصر ، حيث ما من عمل من الأعمال إلا والباعث عليه الحب في الله أو البغض في الله ، وهذه الصور تتخذ أشكالا متنوعة في الموالاة والمعاداة في الله بحيث تكون نموذجا متكاملا للمجتمع المسلم فهي لا تقتصر على جانب دون جانب آخر ، ومن هذه الصور ما يلي :

أولا - من صور الموالاة في الله الإيثار :

فقد روي في سبب نزول قول الله تعالى ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[1] . إنما هم الأنصار ، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رجلا أتى النبي ﷺ فبعث الى نسائه فقلن ما معنا إلا الماء ، فقال رسول الله ﷺ من يضم أو يضيف هذا ، فقال رجل من الأنصار أنا ، فانطلق به إلى امرأته فقال أكرمي ضيف رسول الله

(١) الحشر آية (١٩) .

ﷺ فقالت : ما عندنا إلا قوت صبياني ، فقال هيِّئي طعامك وأصبحي سراجك ، ونومي صبيانك إذا أرادوا عشاء ، فهيأت طعامها وأصبحت سراجها ونومت صبيانها ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته ، فجعلا يُريانه أنهما يأكلان ، فباتا طاويين . فلما أصبح غدا إلى رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ضحك الله الليلة ـ أوعجب ـ من فعالكما. فأنزل الله هذه الآية(1) .

وقد روى البخاري أيضا عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: (قالت الأنصار للنبي ﷺ أقسم بيننا وبين اخواننا النخيل . قال لا . فقالوا تكفونا المؤنة ونَشْرِكُكُم في الثمرة قالوا سمعنا وأطعنا)(2) وقد أخرج الإمام أحمد عن أنس ، أن عبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنه) قدم المدينة : فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري (رضي الله عنه) فقال له سعد : أي أخي أنا أكثر أهل المدينة مالا ، فانظر شطر مالي فخذه وتحتي امرأتان فانظر أيتهما أعجب اليك حتى أطلقها . فقال عبد الرحمن : (بارك الله لك في أهلك ومالك دلوني على السوق فدلوه فذهب ، فاشترى وباع فربح فجاء بشيء من أقط وسمن ، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث ، فجاء وعليه درع زغفران فقال رسول الله ﷺ (مهيم ؟)(3) فقال : يا رسول الله تزوجت أمرأة ، فقال : (ما أصدقتها ؟) قال : (وزن نواة من ذهب) قال : (أو لم ولو بشاة)(4) .

ثانيا ـ من صور المعاداة في الله ، معاداة ذوي القرابة وهجرهم ، عند استمرار عداوتهم ومحاربتهم لله :

---

(1) انظر فتح الباري جـ ٧ ص ١١٩ (كتاب مناقب الانصار) .

(2) رواه البخاري . انظر صحيح البخاري جـ ٣ ص ١٣٦ (طـ دار احياء التراث العربي) .

(3) أي ما أمرك وشأنك . انظر صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٠٤٢ .

(4) رواه البخاري ومسلم انظر صحيح البخاري جـ ٧ ص ٥ وانظر صحيح مسلم جـ ٢ ص ١٠٤٢ .

قال تعالى ﴿ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾[1] .

روي في سبب نزول هذه الآية أقوال متعددة ، نذكر منها قول ابن جريج[2] حيث يقول : حُدِثتُ أن أبا قحافة سب النبي ﷺ فصكه ابنه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) صكة فسقط منها على وجهه ، ثم أتى النبي ﷺ فذكر له ذلك فقال : أو فعلته ، لا تعد إليه ، فقال : والذي بعثك بالحق نبيا لو كان السيف مني قريبا لقتلته . هذا والله أعلم كان في أول الإسلام ، فإن أبا قحافة أسلم عام الفتح[3] ، وقال ابن مسعود (رضي الله عنه) إن الآية المتقدمة نزلت في أبي عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح (رضي الله عنه) حيث قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم بدر ، وكان ابن الجراح يتصدى لأبي عبيدة عدة مرات ، وأبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر من ذلك قصد إليه أبو عبيدة فقتله أي قتل الشرك الممثل في شخص أبيه - ولو لم يكن مشركا لكان من أبر الناس بوالده[4] .

وقد أنكر الواقدي ذلك وقال إن والد أبي عبيدة قد توفي قبل الاسلام ، ورد بعض أهل العلم قوله ذلك[5] .

ومن صور المعاداة في الله ، أنه لما أكثر اليهود من نقضهم العهود مع

---

(١) المجادلة آية (٢٢) .

(٢) هو عبد الله بن جريج الأموي المكي ولد سنة (٨٠ هـ) وتوفي سنة (١٥٠ هـ) محدث حافظ فقيه مفسر ، رومي الأصل ولد بمكة وقدم العراق وحدث بالبصرة واكثروا عنه الرواية . من آثاره السنن ، مناسك الحج ، وتفسير القرآن الكريم . انظر معجم المؤلفين . عمر رضا كحاله جـ ٦ ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٧ ص ٣٠٧ وانظر اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير جـ ٣ ص ٨٥ .

(٤) انظر تفسير القرطبي جـ ١٧ ص ٣٠٧ وانظر صور من حياة الصحابة د / عبد الرحمن رأفت الباشا جـ ٢ ص ١١ .

(٥) انظر اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير جـ ٣ ص ٨٥ .

رسول الله (ﷺ) وصاروا ينسجون المؤامرات بالمدينة أذن رسول الله (ﷺ) للصحابة في قتل اليهود المحاربين لله ورسوله ، وكان ذلك في السنة الثالثة للهجرة حيث قال الرسول (ﷺ) : « من ظفرتم به من رجال يهود فاقتلوه » . فوثب محيصة بن مسعود (رضي الله عنه) على ابن سنينة اليهودي وهو من تجار يهود فقتله ، وكان ابن سنينة يبايعهم في تجارته ، فقال له أخوه حويصة بن مسعود ـ وهو حينئذ مشرك ـ : « يا عدوا الله قتلته ! أما والله لرب شحم في بطنك من ماله ! » يلوم أخاه على قتل هذا التاجر اليهودي . فقال محيصة : « لقد أمرني بقتله من لو أمرني بقتلك لقتلتك !! » فقال : « إن دينا بلغ بك هذا لعجب » فأسلم حويصة لذلك[1] .

ومن صور الموالاة في الله ما حصل من سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) مع أمه عندما امتنعت عن الأكل والشرب وأقسمت أن لا تطعم حتى يرجع عن الإسلام ، وأخذت على ذلك ليالي وأياما ، وبدأت تستقبل سعدا بالبكاء والدموع ، لعلها تبلغ بدموعها ما لم تبلغه بتوسلاتها ، وكان معروفا أنه من أبر الأبناء بأمهاتهم ، لكنه وقف من أجل دينه ذلك الموقف الحازم الشديد ، فقال لها ـ والله لو كان لك ألف نفس ، فخرجت نفسا نفسا ، ما تركت ديني هذا .

وعند ذلك ادركت أن هذا الأمر ليس فيه مجال للمساومة أو الإغراء ، أو التهديد أو الوعيد ، فرجعت عن ذلك[2] . وقريب من هذه الحادثة ما حصل من الطفيل بن عمرو الدوسي حيث أسلم وأقام بمكة زمنا تعلم فيه وتفقه في أمر دينه ثم عزم على الرحيل والعودة إلى قومه دوس التي كانت تعبد أصناما منها ـ ذو الشرى ، وذو الكفين ، وعندما وصل إلى أهله قال :

---

(١) انظر المصدر السابق جـ ٤ ص ٣٣٤ ـ ٣٣٥ .

(٢) انظر كتاب سعد بن ابي وقاص / عبد الحميد جودت السحار ص ٨ ـ ١٣ وانظر صور من حياة الصحابة د / عبد الرحمن رأفت الباشا جـ ٤ ص ١١١ ـ ١١٣ .

إستقبلني والدي وكان شيخا كبيرا فقلت له إليك عني يأبت فلست منك ولست مني. قال: ولما يا بني؟ قلت: لقد أسلمت وتابعت دين محمد ﷺ قال: أي بني، ديني دينك، فقلت: اذهب واغتسل وطهر ثيابك، ثم تعال حتى أعلمك ما علمت، فذهب واغتسل وطهر ثيابه ثم جاء فعرضت عليه الإسلام فأسلم، وهكذا فعل مع زوجته وأمه وبعض قومه، وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) ممن أسلموا على يد الطفيل بن عمرو الدوسي[1].

وقد أخرج ابن جرير الطبري عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : أمر رسول الله ﷺ بقتلي بدر أن يسحبوا[2] الى القليب ، فطرحوا فيه ثم وقف وقال : (يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقا ؟ فإني وجدت ما وعدني ربي حقا . فقالوا يا رسول الله تكلم قوما موتى ؟ قال لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقا) . فلما رأى أبو حذيفة بن عتبة (رضي الله عنه) أباه عتبة يسحب إلى القليب عرف رسول الله ﷺ الكراهية في وجهه فقال يا أبا حذيفة كأنك كاره لما رأيت ! فقال يا رسول الله ، إن أبي كان رجلا سيدا فرجوت أن يهديه ربه إلى الإسلام ، فلما وقع الموقع الذي وقع أحزنني ذلك فدعا رسول الله ﷺ لأبي حذيفة بخير[3] . ا.هـ.

وقد روي أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال لسعيد بن العاص (رضي الله عنه) ـ وقد مر به ـ اني أراك كأنك في نفسك شيئا ، أراك تظن أني قتلت أباك ، إني لو قتلته لم أعتذر إليك من قتله ، ولكني قتلت خالي العاص بن هشام ابن المغيرة ، فأما أبوك فاني مررت به وهو

---

(١) انظر صور من حياة الصحابة د / عبد الرحمن رأفت الباشا جـ ١ ص ٢٩ ـ ٣٠ جـ ٧ ص ٩١ .

(٢) أي يجر على وجه الأرض .

(٣) اخرجه الحاكم في المستدرك جـ ٣ ص ٢٢٣ وقال صحيح الاسناد على شرط مسلم .

يبحث بحث الثور بروقه[1] ، فحدث عنه وقصد له ابن عمه علي فقتله . فقال سعيد بن العاص : لو قتلته لكنت على الحق وكان على الباطل فأعجبه قوله[2] .

ومن صور الماولاة في الله والمعاداة فيه ، ما أخرج البزار عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : مر رسول الله ﷺ بعبد الله بن أبي بن سلول وهو في ظل أطم[3] . فقال ابن سلول : غبر علينا ابن أبي كبشة[4] . فقال إبنه عبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول (رضي الله عنه) يا رسول الله والذي أكرمك لئن شئت لآتينك برأسه ؟ فقال : لا . ولكن بر أباك وأحسن صحبته[5] .

وأخرج ابن شاهين باسناد حسن عن عروة قال : استأذن حنظلة بن أبي عامر وعبد الله بن عبد الله بن أبي بن سلول (رضي الله عنهما) رسول الله ﷺ في قتل أبويهما فنهاهما عن ذلك[6] .

وأخرج ابن أبي شيبة عن أيوب قال : قال : عبد الرحمن بن أبي بكر (رضي الله عنهما) لأبي بكر : رأيتك يوم أحد فصدفت[7] عنك فقال ابو بكر (رضي الله عنه) لكني لو رأيتك ما صدفت عنك ، وقد أسلم عبد الرحمن (رضي الله عنه) في هدنة الحديبية[8] .

---

(١) الروق أي القرن انظر لسان العرب م ١ ص ١٢٥٧ .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢٩٠ وانظر اسد الغابة جـ ٢ ص ٣١٠ جـ ٥ ص ١٧٠ ـ ١٧١ وانظر حياة الصحابة جـ ٢ ص ٢٩٢ .

(٣) الأطم البناء المرتفع . انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٢٠ .

(٤) ابي كبشة . هو زوج حليمة السعدية مرضعة رسول الله ﷺ ولم يجد المنافقون من عيب في رسول الله ﷺ ، فنسبوه الى زوج مرضعته .

(٥) انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي جـ ٩ ص ٣١٨ قال الهيثمي رجاله ثقات .

(٦) انظر الأصابة في معرفة الصحابة لابن حجر جـ ١ ص ٣٦١ .

(٧) اي اعرضت . انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٥١٢ .

(٨) انظر سنن البيهقي جـ ٨ ص ١٨٦ وانظر كنز العمال جـ ٥ ص ٢٧٤ .

وبعد أن وضعت الحرب أوزارها في معركة بدر ، استشار الرسول ﷺ أصحابه (رضي الله عنهم) في أسرى بدر فقال ما ترى يا ابن الخطاب قال عمر قلت والله ما أرى ما رأى أبو بكر ، ولكن أرى أن تمكنني من فلان قريب لعمر فاضرب عنقه ، وتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه ، وحتى يعلم الله أنه ليشت في قلوبنا هوادة[1] للمشركين[2] .

وروي عن الزهري قال : لما قدم أبو سفيان بن حرب (رضي الله عنه) المدينة جاء إلى رسول الله ﷺ وهو يريد غزو مكة فكلمه أن يزيد في هدنة الحديبية ، فلم يقبل منه رسول الله ﷺ فقام فدخل على ابنته أم حبيبة - زوجة رسول الله ﷺ (رضي الله عنها) فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله ﷺ طوته دونه . فقال أيا بنية أرغبت بهذا الفراش عني ؟ أم بي عنه ؟ فقالت : بل هو فراش رسول الله ﷺ وأنت امروء نجس مشرك . فقال يا بنية لقد أصابك بعدي شر)[3] . ومن صور المعاداة في الله أيضا ، ما حصل في معركة بدر الكبرى حينما مر مصعب بن عمير بأخيه أبي عزيز بن عمير وقد خاض معركة بدر مع الكفار ضد المسلمين ، فمر به مصعب وأحد الأنصار يضع القيد في يده ، فقال مصعب للأنصاري شُدَّ يديك به ، فإن أمه ذات متاع لعلها تفديه منك ، فقال أبو عزيز لأخيه مصعب : أهذه وصاتك بي ؟؟ فقال مصعب إنه - أي الأنصاري - أخي دونك[4] . ومن صور الموالاة والمعاداة التي حصلت في موقف واحد وحادثة واحدة ما روي في حادثة زيد بن سعنة (رضي الله عنه) وكان يهوديا قبل اسلامه - أنه أقرض النبي ﷺ قبل أن يسلم قرضا اقترضه النبي ﷺ ليسد به خللا في

(١) هوادة . أي لين ورقة . انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ١٠٠٩ .
(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢٩٧ .
(٣) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٢٨٠ وانظر اسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير جـ ٥ ص ٤٥٧ وانظر الطبقات لابن سعد جـ ٨ ص ٧٠ .
(٤) انظر غزوة بدر / تأليف احمد محمد باشميل ص ١٧٦ - ١٧٧ .

شؤون نفر من المؤلفة قلوبهم ، ثم رأى زيد بن سعنة أن يذهب لطلب الوفاء من الرسول ﷺ قبل ميعاد الوفاء المحدد، قال : أتيته - يعني رسول الله ﷺ - فأخذت بمجامع قميصه وردائه، ونظرت إليه بوجه غليظ. ثم قلت: يا محمد ألا تقضيني حقي؟ فوالله ما علمتكم بني عبد المطلب إلا مطلاً! ولقد كان لي بمخالطتكم علم!! ونظر إلى عمر بن الخطاب وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ﷺ ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فوته[1]، لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ﷺ ينظر إليّ في سكون وتؤدة[2]. آ. هـ.

ومن الصور في مثل هذا الموقف ما كان من عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مع عمير بن وهب الجمحي (رضي الله عنه) حيث كان قبل إسلامه مع صفوان بن أمية (رضي الله عنه) وكان ذلك قبل إسلام صفوان أيضا فتحدث عمير بن وهب عن أسر ابنه في بدر ، وحدث صفوان برغبته في قتل الرسول ﷺ لولا دين عليه وأولاد صغار لهم من ينفق عليهم ، فقال صفوان بن أمية (رضي الله عنه) أنا أتحمل ذلك عنك وتعاهد الرجلان بجوار الكعبة على ذلك ، ثم مضى عمير بن وهب في مهمته حتى قدم المدينة ، ونزل على مقربة من المسجد النبوي ، وبينما هو متجه الى المسجد إذ التفت عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وكان مع جماعة من الصحابة خارج المسجد فقال عمر هذا عدو الله عمير بن وهب ، والله ما جاء إلا لشر أمضوا إلى رسول الله ﷺ وكونوا حوله ، ثم انطلق عمر اليه ، وأخذ بمجمع ثوبه من عنقه وطوق عنقه بحمالة سيفه ، ثم مضى به الى رسول الله ﷺ ، فلما رآه النبي ﷺ على هذه الحال قال لعمر أطلقه يا

---

(١) أي لولا ما اخشى أن يفوتني من رضا رسول الله ﷺ لفعلت .

(٢) انظر حقوق الانسان / محمد الغزالي ص ٥٩ وانظر اسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٢ ص ٢٣١ - ٢٣٢ .

عمر ، فأطلقه ، ثم قال رسول الله ﷺ ما الذي جاء بك يا عمير ، قال جئت أرجو فكاك هذا الأسير الذي في أيديكم قال الرسول ﷺ فما بال السيف معك ؟ قال وهل أغنت عنا شيئا يوم بدر .

ثم أخبره النبي ﷺ باتفاقه مع صفوان وخطتهما لقتل الرسول ﷺ فقال والله لقد أيقنت أنه ما أتاك به إلا الله. فالحمد لله الذي ساقني إليك سوقاً ليهديني إلى الإسلام، ثم شهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ففرح المسلمون بذلك فرحاً شديداً، حتى إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: لخنزير كان أحب إليّ من عمير بن وهب حين قدم على رسول الله ﷺ وهو اليوم بعد إسلامه أحب إليّ من بعض أبنائي[1].

ومن تلك الصور العملية في الموالاة والمعاداة في الله ما حصل من المغيرة بن شعبة (رضي الله عنه) وذلك عندما نزل رسول الله ﷺ بالحديبية أتاه عروة بن مسعود الثقفي (رضي الله عنه) قبل أن يسلم[2] . وكان سيد ثقيف ، وكان خلال حديثه يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه جريا على عادة العرب في ذلك عند الملاطفة والرغبة في التواصل والتراحم ، وكان المغيرة بن شعبة ـ هو ابن أخي عروة بن مسعود[3] ـ واقفا على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما مد عروة يده إلى لحية رسول الله ﷺ قرع المغيرة يد عمه بكعب السيف وهو يقول : أكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل الا تصل إليك ، فيقول عروة : ويحك ما أفظك ، وما أغلظك ، فيبتسم رسول الله ﷺ .

---

(١) انظر صور من حياة الصحابة د / عبد الرحمن الباشا جـ ١ ص ٥٨ ـ ٦٨ وانظر اسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٤ ص ١٤٩ وانظر كتاب الجرح والتعديل جـ ٤ ص ٤٢١ .
(٢) انظر اسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ ص ٤٠٥ ، ق,،ذ ابن الأثير .
(٣) المصدر السابق جـ ٣ ص ٤٠٦ ـ ٤٠٧ .

وانصرف عروة وهو مأخوذ بما رأى من فعل ابن أخيه فيه وحرصه على سلامة رسول الله ﷺفرجع الى قريش وهو يقول لهم : (يا معشر قريش إني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه واني والله - ما رأيت ملكا في قوم قط مثل محمد في أصحابه ، والله ما يُحِدُّون إليه النظر ، وما يرفعون عنده الصوت ، وما عليه إلا أن يشير إلى امرىء فيفعل[1] .

ومن الصور العملية في ذلك أيضا أن معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) بعث بعثة استطلاعية مكونة من اثنين من جنوده للوصول الى القسطنطينية وتفقد أحوالها ، وسافر الاثنان متنكرين حتى وصلا عاصمة الروم واختلطا بأهلها وجمعا ما يريدان من معلومات ، وكانت خطتهما أن يمشيا متباعدين حتى إذا قبض على أحدهما كان بوسع الآخر العودة والإخبار عنه ، ودخل أحدهما قصر الملك في أحد احتفالاتهم ، وحاول التعرف على القصر ومداخله ، وأحوال الملك وجماعته ، ولكنه اكتشف أمره وقبض عليه ، وكان أخوه في الإسلام يراقب ذلك فلما تأكد من أنه سجن كر راجعا ليخبر الخليفة بأمره .

وقدم الجندي الأموي المسلم إلى ملك الروم الذي كان مغرورا بأبهته وحاشيته كالديك الرومي محاطا بالحاشية والحرس ، فاتهم الجندي المسلم باللصوصية وقال له : ماذا يريد خليفتكم من الأغارة علينا ، أما تكفيكم بلادكم. ورد عليه الجندي بعزة واباء: نحن لا طمع لنا في بلادكم وأموالكم وانما نهدف الى نشر الإسلام وإقامة موازين العدل الذي افتقدها الناس بسبب ضلالهم عن الدين الحق وتحريفهم لكتب الانبياء السابقين ولتأليههم البشر وعبادتهم للملوك والجبابرة . . . وغضب عند ذلك البطريرك الذي كان

---

(١) رواه البخاري . انظر فتح الباري جـ ٥ ص ٣٢٩ - ٣٣٣ .

جالسا قرب الملك وقام من مجلسه وصفع الجندي على وجهه صفعة مؤلمة . . وأمر به الى السجن ومرت الايام وجرى تبادل الأسرى بين المسلمين والروم وعاد الجندي المسلم الأسير إلى أهله ، واستدعاه الخليفة وأكرمه وسمع خبره ، ثم أمر بتوجيه بعثة من الجنود تنكروا على شكل صيادين حتى وصلوا الى القسطنطينية فدخلوها واحتالوا على البطريرك فقبضوا عليه وجاءوا به مكبلا الى أن أُدخل على مجلس الخليفة الذي زانه الوقار والحكمة والهيبة ، فأُوقف أمامه ، وكان الجندي الذي أسر بجانب الخليفة : فقال له: معاوية : أهذا هو؟ - أي الذي صفعك- فقال : نعم يا امير المؤمنين ، فقال له دونك فاقتص منه ، فقال الجندي باستعلاء وعزة : بل عفوت عنه يا أمير المؤمنين ، فقال الخليفة للبطريرك : إذهب الى ملكك وقل له : أن أمير المؤمنين يقيم العدل ويقتص من الجاني حتى في مملكتك ، ورجع البطريرك يرجف فؤادُه خزيا وهيبة ، وقد أذله وقهره عفو الجندي وتوبيخ الأمير بالرغم مما أساء إليهما به هو وملكه المتعجرف . وهكذا لم يقر قرار للخليفة المسلم حتى أعاد لجندي صفع ظلماً ، حقه من عدوه ، وحفظ له كرامته وللدولة هيبتها أمام أعتى دول الأرض حينذاك واكثرها غني ورفاهية وتجبرا[١] .

ورحم الله معاوية بن أبي سفيان الذي ضرب بتلك الحادثة المثل الكبير للحاكم المسلم الذي يدافع عن حق الفرد وحق الجماعة على حد سواء .

ولكن أين حكام اليوم من مثل تلك الحادثة العظيمة لقد أضاعوا حقوق الافراد وحقوق الأمة كلها ، فهناك شعوب مسلمة تقتل وتعذب بأشد أنواع العذاب وتستعبد من قبل طغاة كافرين ، ومع ذلك لا نسمع ممن

---

(١) انظر تأملات تاريخية في مجلة المجتمع عدد ٥٣٤ السنة الحادية عشرة في ١٤٠١/٨/٢٨ هـ ص ٤٩ .

يدعون الإسلام من الحكام والمحكومين حتى مجرد الاستنكار بالقول فضلا عن الاستنكار بالعمل بل ربما قدم بعض ادعياء الاسلام العـون المادي والمعنوي لمن ينتهكون حرمات المسلمين واعراضهم ، فرحمتك يا رب ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثالثاً : من صور المعاداة في الله مـا قام بـه بعض المسلمين من هجمات جريئة وتصفية جسدية لأعداء الله ، لم يدفعهم الى ذلك حب مرتبة دنيوية ولا راتب أو مكافأة شهرية ، وإنما فعلوا ذلك موالاة لله وحبا له ، وعداوة لأعداء الله وبغضا لهم .

قال ابن اسحاق لما انتهى أمر الخندق ـ كان سلام بن ابي الحُقَيْق اليهودي ، فيمن حزب الأحزاب على رسول الله ﷺ وكانت الأوس قبل أُحد قد قتلت كعب بن الأشرف من كبار اليهود فاستأذن الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي الحُقَيْق وهو مقيم بخيبر فـأذن لهم ، فخرج من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر ، هم عبدالله بن عتيك ، ومسعود بن سنان ، وعبدالله بن أنيس ، وأبو قتادة الحارث بن ربعي ، وخزاعي بن أسود حليف لهم من أسلم ، وأمرَّ عليهم رسول ﷺ عبدالله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليدا أو امرأة ، فخرجوا حتى اذا قدموا خيبرَ ، أتوا دار ابن ابي الحقيق ليلا ، فلم يدعوا غرفة في الدار حتى أغلقوها على أهلها ، وكان هو في علية[1] اليها عجلة قال : فأسندوا اليها حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا فخرجت امرأته اليهم ، فقالت من انتم ؟ قالوا أناس من العرب نلتمس الميرة[2] ، قالت ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه ، فلما دخلنا أغلقنا علينـا وعليه الحجرة ، تخوفاً أن يكـون دونه محـاولة تحـول بيننا وبينـه . قال

---

(١) أي غرفة مرتفعة على أخرى .
(٢) الميرة أي الطعام .

فصاحت امرأته فنوهت بنا فابتدرناه وهو على فراشه ، بأسيافنا ، فوالله ، ما يدلنا عليه في سواد الليل إلا بياضه ، كأنه قبطية ملقاة[1] .

قال فلما صاحت بنا امرأته جعل الرجل منا يرفع عليها سيفه ثم يذكر نهي رسول الله ﷺ فيكف يده ، ولولا ذلك لفرغنا منها بليل قال فلما ضربنا بأسيافنا تحامل عليه عبدالله بن أُنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه وهو يقول قطني قطني ـ أي حسبي حسبي ـ قال وخرجنا وكان عبدالله بن عتيك ضعيف البصر ، قال فوقع من الدرجة فوثبت يده وثباً شديداً ، وحملناه حتى نأتي به نهر من عيونهم ، فندخل فيه ، فأوقدوا النيران واشتدوا في كل وجهة يطلبوننا حتى اذا يئسوا رجعوا اليه فاكتنفوه وهو يقضي . فقلنا كيف لنا بأن نعلم أن عدو الله قد مات ؟ قال فقال رجل منا : أنا أذهب فأنظر لكم . فانطلق حتى دخل مع الناس قال : فوجدتها ـ يعني امرأته ـ ورجال من اليهود حوله وفي يدها المصباح تنظر في وجهه ، وتحدثهم ، وتقول : اما والله قد سمعت صوت ابن عتيك ثم اكذبت نفسي ، وقلت : أنى ابن عتيك بهذه البلاد . ثم أقبلت عليه تنظر في وجهه ، فقالت : فاظ ، وإله يهود ، قال فما سمعت كلمة كانت ألذّ على نفسي منها .

وفي هذه الحادثة يقول حسان بن ثابت (رضي الله عنه)

لله دُر عـصـابـةٍ لاقيـتـهـم ... ياابن الحُقَيْقِ وانت ياابن الاشرفِ
يسرون بالبيض الخفاف اليكم ... مرحا كأسد في عرينٍ مغْرِفِ
حتى أتوكم في محل بلادكم ... فسقـوكم حتفـاً ببيض ذفَفِ
مستنصرين لنصر دين نبيهم ... مستصغرين لكل أمر مجْحِفِ[2]

فهؤلاء الذين قاموا بهذا العمل لم يدفعهم الى ذلك رغبةٌ في مال يمنحه

---

(١) القبطية : ثياب من كتان بيض رقاق ، كانت تنسج بمصر ، وهي منسوبة الى القبط على غير قياس . انظر ـ المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٧١٨ .

(٢) انظر في هذا البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ١٣٧ ، ١٣٨ .

لهم الرسول ﷺ او رهبةً من بطش الرسول ﷺ بهم لو لم يقوموا بذلك وإنما هم الذين استأذنوا الرسول ﷺ لهذه المهمة العظيمة حبا لله ورسوله ونصرة دينه ، وعداوة لمن حارب الله ورسوله وكان بإمكانهم ان يعيشوا كما عاش غيرهم من الجبناء والمنافقين الذين يدسون رؤوسهم بالرمال ويتملقون كل كافر وفاجر ، ولكن الحب الحقيقي لله ورسوله والمؤمنين والبغض والعداوة للكافرين ، لا بد أن يتحول الى عمل واقعي مشهود ليظهرَ صفاء الإيمان في أعماق النفس المسلمة .

ومن صور المعاداة في الله ما حصل في عهد شيخ الاسلام ابن تيمية (رحمه الله) حيث كان هناك رجل نصراني إسمه عساف من أهل السويداء ، فشهد عليه جماعة من أهل الاسلام انه يسب النبي ﷺ وعندما طلب هرب واستجار بأحمد بن حجي امير آل علي ، فاجتمع الشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ زين الدين الفارقي[1] شيخ دار الحديث ، ودخلا على الأمير عز الدين أيبك الحموي فكلماه في أمره ، فأجابهما الى ذلك ، وأرسل معهما من جنده من يحضر ، فخرج الشيخان من عنده ومعهما خلق كثير من الناس وفي الطريق التقوا بعساف النصراني ومعه رجل من العرب ، فسب المسلمون عسافا وشتموه فقال ذلك الرجل الاعرابي هو خير منك - يعني النصراني - فرجم الناس ذلك الاعرابي حتى مات، وأما عساف النصراني فقد قدم الى الوالي وأعلن اسلامه وحقن الوالي دمه بسبب اسلامه[2] .

رابعا - من صور الموالاة في الله عدم الرضوخ للإغراءات المادية :

---

(١) هو عمر بن اسماعيل بن مسعود بن سعد الدين الربعي الفارقي الشافعي ولد سنة ٥٩٨ هـ وتوفي سنة (٦٨٩ هـ) وهو محدث فقيه ، اصولي ، اديب ، مشارك في أنواع العلوم ، وله عدد من المؤلفات انظر معجم المؤلفين جـ ٧ ص ٢٧٧ وانظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٣ ص ٣١٨ .

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٣ ص ٣٣٥ - ٣٣٦ .

وذلك في مثل ما حصل من عبدالله بن حذافة السهمي (رضي الله عنه) حيث أسر في إحدى المعارك مع الروم ثم ذهبوا به الى ملك الروم ، وعرض عليه أن يتنصر ، ويخلي سبيله ويكرم مثواه ، فرد عليه بعزّة وثقة وأنفة واباء ، قائلا : ان الموت أحبُ اليّ ألف مرة مما تدعوني اليه .

فقال قيصر أجبني الى النصرانية ، فإنك إن فعلت شاطرتك ملكي ، وقاسمتك سلطاني ، فقال عبدالله : لو أعطيتني جميع ما تملك ، وجميع ما تملكه العرب ، على أن أرجع عن ديني طرفة عين ما فعلت ذلك .

قال : اذن اقتلك . قال : أنت وما تريد ، ثم صلبوه على خشبة الصلب فرموه قريباً من رجليه ، وقريباً من يديه وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى ، ثم أمر بقدر عظيمة ، فصب فيها الزيت ، ثم أوقدت تحته النار حتى اشتدت حرارته ثم دعا بأسيرين من أسارى المسلمين ، فألقي احدهما فاذا لحمه يتفتت ، وإذا عظامه تبدوا عارية ، ثم التفت الى عبدالله بن حذافة ودعاه الى النصرانية فكان أشد اباء لها من قبل . فلما يئس منه ، أمر به أن يلقى في القدر التي القي فيها صاحبه ، فلما ذهبوا به دمعت عيناه ، فقال رجال قيصر لملكهم : إنه قد بكى فظن أنه قد جزع من الموت ، وقال ردوه إليَّ ، فلما مثل بين يديه عرض عليه النصرانية ، فأباها .

فقال ويحك ، فما الذي أبكاك اذن ؟

قال : أبكاني أني قلت في نفسي : تلقى الآن في هذه القدر ، فتذهب نفسك ، وقد كنت اتمنى ان يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر ، أنفس فتلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله .

فقال الطاغية : هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك فقال عبدالله له : وعن جميع أسارى المسلمين أيضا . قال عبدالله : فقلت في نفسي : عدوٌّ من أعداء الله ، أقبل رأسه فيخلي عني وعن أسارى المسلمين جميعا ، لا

ضير في ذلك علي ثم دنا منه وقبل رأسه ، فأمر الملك باطلاق سراحه وسراح جميع المسلمين المأسورين لديهم[1] .

إن هذا البطل المسلم المجاهد ، قد أضاف بعمله هذا مجدا الى بطولاته العظمى في الإسلام ، حيث لم يدفعه هذا الترغيب والترهيب الى حب السلامة لنفسه فقط ، ولم يطغ حب الذات أو حب المنصب أو حب المال أو الجاه على حب الله ، ولم يخضع الى الاغراءات المادية والمعنوية التي اراد ملك النصارى أن يرجعه بها عن الإسلام ، رغم عظمة الاغراء وهول الموقف . لقد رفض أن يقبل رأس هذا الكافر إلا اذا كان ثمن هذه القبلة جميع أسارى المسلمين .

انها قبلة ما أعظم ثمنها وأجل قدرها !

ولكن شتان بين الأمس واليوم . لقد اصبح المسلمون اليوم يتسابقون الى تقبيل السفاحين لدماء المسلمين من الكفرة والمرتدين أمثال بيغن ، وريغان ، وبريجنيف ورؤساء الأحزاب البعثية والماسونية في البلاد العربية . لقد قبَّلَ عبدالله بن حذافة السهمي رأس ملك الروم بعزة واستعلاء بعد أن املى عليه شروطه ، أما مدعي الاسلام اليوم فيقبلون رؤوس الطواغيت وهم اذلاء صاغرون ، يقبلونهم وقد سلبوهم دينهم ان كان لديهم بقية من دين ، يقبلونهم وقد عاثوا في أرض الاسلام والمسلمين بكل انواع الجرائم والمنكرات ، ونهبوا خيرات البلاد ، وشردوا الملايين ممن يدعون أخوتهم ، إن كانوا يعرفون للأخوة معنى ، ومع ذلك يقبلونهم بأفواههم ، وترتجف لمحبتهم قلوبهم ، وتشهد على مودتهم للكفار أفعالهم .

أما عبدالله بن حذافة السهمي فقد قبل حاكم الروم وقلبه يكاد ينفجر غيظا وعداوة له ولكنه الإكراه الذي عذر الله المسلم فيه أن يقول كلمة

---

(١) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الاثير جـ ٣ ص ١٤٢ ـ ١٤٤ وانظر صور من حياة الصحابة د / عبد الرحمن رأفت الباشا جـ ١ ص ٥١ ـ ٥٧ .

الكفر . قال تعالى ﴿ **من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم** ﴾[1] .

إن قبلات العبيد لأسيادهم اليوم في الشرق والغرب ليس ثمنها مشاطرة أولئك العبيد أسيادهم في ملكهم واموالهم ، كما عُرِضَ على عبدالله بن حذافة السهمي من قبل قيصر ، وإنما ثمنها مشاطرة الأسياد لأولئك العبيد في نهب خيرات المسلمين وثرواتهم فهل هذه هي التقدمية والحرية والاشتراكية التي ينادون بها ؟!

خامساً: من صور الموالاة في الله استخدام الاقتصاد في الموالاة في الله والمعادة فيه : وذلك مثل ما فعل ثُمامةُ بنُ أُثالٍ ملك اليمامة (رضي الله عنه) عندما أسلم فقد آذِي المسلمين في أول أمره ثم أسر فمنَّ عليه رسول الله (ﷺ) وبعد أن أسلم قال يا رسول الله والله ما كان على ظهر الأرض وجه أبغض اليَّ من وجهك قبل أن أسلم ، وقد أصبح وجهك الآن أحب الوجوه كلها الي ، ووالله ما كان دين أبغض اليَّ من دينك ، فأصبح دينك أحب الدين كله الي ، ووالله ما كان بلدٌ أبغضَ إليّ من بلدك ، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها الي ، ثم قال : كنت أصبت في أصحابك دما ، فما الذي توجبه علي . فقال : النبي ﷺ لا تثريب عليك يا ثمامة ، فإن الاسلام يجب ما قبله ، ثم ذهب معتمراً الى مكة ، وهو حديث عهد بالاسلام وأقبل على قريش بكل عزة وكبرياء فثاروا في وجهه ، ووصفوه بمختلف الأوصاف ، وكادوا يقتلونه لأنهم ، كانوا يعدونه سندا ومعيناً لهم ، ثم قال لقريش : أقسم برب هذا البيت ، إنه لا يصل اليكم بعد عودتي الى اليمامة حبة من قمحها أو شيء من خيراتها حتى تتبعوا محمداً عن آخركم . وفعل ما قال بكل حزم وقوة ، حتى فشا في قريش الجوع واشتد عليهم

---

(١) سورة النحل آية (١٠٦) .

الكرب فشكوا الى رسول الله ﷺ الأمر وقالوا قتلت الرجال بالسلاح ، والأطفال والنساء بالجوع ، وكان الرسول ﷺ مشفقا حتى على اعدائه فكتب (عليه الصلاة والسلام) الى ثمامة بن أثال[1] بأن يطلق ما منعه عنهم من الميرة من تمر وطعام ففعل ذلك .

سادساً : من صور الموالاة في الله مشاركة المسلمين ولو بالقلب والشعور اذا عجز المرء عن المشاركة الفعلية فيشاركهم في أفراحهم وآلامهم فيفرح بما يفرحهم ويتألم لما يتألمون منه .

فقد روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أنه قال (من مات ولم يغز ولم يحدث به نفسه ، مات على شعبة من نفاق)[2] قال القرطبي : إن من لم يتمكن من عمل الخير ، فينبغي له العزم على فعله اذا تمكن منه ليكون عزمه بدلا من فعله ، فأما اذا خلا عنه ظاهرا وباطنا فذلك شأن المنافق الذي لا يعمل الخير ولا ينويه خصوصاً الجهاد الذي هو ذروة سنام الاسلام[3] .

فالمسلم لا بد أن يوالي اولياء الله وينصرهم ويحب نصرتهم ويعادي أعداء الله ويشارك في كسر شوكتهم بنفسه وماله وأقواله فإن لم يستطع فلا أقل من المشاركة بقلبه ووجدانه ، فقد روي عن ابي عبدالله جابر بن عبد الله الانصاري (رضي الله عنهما) قال : كنا مع النبي ﷺ في غزاة فقال : إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيرا ، ولا قطعتم واديا ، إلا كانوا معكم حبسهم المرض) وفي رواية : (الا شركوكم في الأجر)[4] .

وروى البخاري عن أنس (رضي الله عنه) قال : (رجعنا من غزوة

---

(١) انظر صور من حياة الصحابة د / عبد الرحمن الباشا جـ ١ ص ١٠٢ ـ ١١٦ .
(٢) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥١٧ (كتاب الامارة ـ باب ذم من مات ولم يغز) .
(٣) انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ٢ ص ٩٢٩ (طـ مؤسسة الرسالة) .
(٤) رواه مسلم صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٥١٨ (طـ دار احياء التراث العربي) .

تبوك مع النبي ﷺ فقال : (إن اقواماً خلفنا بالمدينة ما سلكنا شعباً ، ولا وادياً الا وهم معنا حبسهم العذر)[1] وفي قصة الذين جاؤوا الى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يأخذهم معه الى الجهاد ، فردهم لأنه لم يجد ما يحملهم عليه ، وهم لا يجدون ما ينفقون سوى اعز ما يملكون من تضحية في نفوسهم دليل على المشاركة بالشعور عند عدم المشاركة بالفعل فقد انصرفوا وهم يبكون حزنا على ما فاتهم من شرف الجهاد قال تعالى : **﴿ ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ، ولا على الذين اذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون ﴾**[2] .

فالمسلم اذا عجز عن المشاركة بالمال او النفس او القول فلا أقل من المشاركة بمشاعر الحب والبغض ، ولذلك فعذر الله للمذكورين في الآيتين ليس على اطلاقه بل هو مشروط بقوله (اذا نصحوا لله ورسوله) أي اذا عرفوا الحق واحبوه واحبوا أهله ، واحبوا انتصارهم ، وعرفوا الباطل وعادوه وابغضوه وعادو اهله ، فعند ذلك تزول عنهم التبعة ويدخلون في عداد المحسنين[3] . قال تعالى **﴿ اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل ﴾** ولكنهم مع ذلك نجد أن أعينهم تفيض من الدمع حزناً على ما فاتهم من شرف الجهاد مع أن طبيعة معظم الناس الذين يفقدون حرارة الإيمان ان يفرحوا بنجاتهم من الأخطار ، وابتعادهم عن غائلة الحروب ! ولكن الإيمان جعل هؤلاء يرون في فوات هذه الغزوة عليهم فوات شيء ثمين يستحق أن تسكب عليه العبرات وتحزن له النفوس ، وعلى عكس هذا

(١) انظر صحيح البخاري ، جـ ٤ ص ٣١ (طـ دار احياء التراث العربي) .
(٢) سورة التوبة آية (٩١ ، ٩٢) .
(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٢٢٦ .

الموقف المتسامح مع أصحاب الاعذار الذين شاركوا بقلوبهم ومشاعرهم عند عجزهم عن المشاركة بأفعالهم نجد موقف الشدة والتأنيب لأولئك الذين تخلفوا عن المعركة نفسها بدون عذر شرعي وذلك في قصة الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وهم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع العمري ، وهلال بن امية الواقفي(١) .

وذلك نتيجة لحظات من الضعف البشري ، وايثارا للراحة على التعب والظل على الحر ، والإقامة على السفر ، مع أنهم مؤمنون صادقون ، فقد استيقظ الإيمان في نفوسهم بعد قليل من سفر الرسول ﷺ وعلموا أنهم ارتكبوا بتخلفهم عنه وعن المؤمنين اثماً كبيراً ، ومع ذلك فقد كانت عقوبتهم قاسية رادعة مؤلمة ، فقد عزلوا عن المجتمع عزلاً تاماً ، واعتزلهم المؤمنون إعتزالاً كاملاً ، ونهى الناس عن كلامهم ، والتحدث معهم لمدة خمسين يوماً حتى زوجاتهم ، أمروا بمفارقتهن ، مفارقة سكنى واستئناس بهن ، ورغم المقاطعة الشديدة لهم ، لم نجد منهم من ركن الى اقوال المنافقين أو اتخذهم بطانة من دون المؤمنين ولم نجد منهم من استجاب الى دعوة حاكم غسان الذي سمع بالخبر ، فأراد أن يستغل تلك الفرصة بدعوة أحد الثلاثة أو جميعهم اليه ، ولكن كتابه أحرق بالنار ، لأن جذوة الإيمان مشتعلة في النفوس ، كما نجد في هذه القصة الوحِدَة الحقيقية في القول والعمل والالتزام الصارم بأمر رسول الله ﷺ في مقاطعة من يؤمرون بمقاطعته ولو كان أقرب قريب ، وهذه الصفة هي روح الموالاة والمعاداة في الله ، فلم يهم أحد من المسلمين بمسارقة اولئك النفر في الحديث خفية أو خلسة ، لإعتقادهم اعتقاداً جازماً بأن الله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، وتخلف ثلاثة نفر من ثلاثين ألف مجاهد ليس له تأثير مباشر في نتيجة المعركة او طبيعتها ولكن القضية هي اكبر من ذلك ـ حيث أن الأمر يتعلق بمبدأ المشاركة والالتزام بمفهوم الإيمان ، ولا يجوز للمسلم أن

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٢٣ .

يتحول من المشاركة الفعلية الى المشاركة القلبية والشعورية إلا عند وجود الأسباب المبيحة لذلك ، أما ترك المشاركة الفعلية والقولية والقلبية فهذا لا يحصل من مسلم صادق في انتمائه للإسلام فلا يجوز للمؤمن الصادق في إيمانه أن يتخلف عن عمل يقتضيه الواجب ، أو يرضى لنفسه بالراحة والناس من اخوانه يتعبون ، او يستغرق في الملذات والنعيم واخواته يبتئسون ، وتلك هي سمة الإيمان وسمة المؤمن دائماً وأبداً إنه فرد من جماعة ، وجزء من كل ، وعضو من جسم ، وان ما يصيب هذه الجماعة يصيبه من باب أولى ، وما يفيد هذه الجماعة يفيده ، وإن النعيم لا معنى له ولا قيمة له مع شقاء الأمة وبؤسها ، والراحة لا لذة لها ، مع تعب الناس وعنائهم ، وإن التخلف عن الواجب نقص في الايمان ، وخلل في الدين، واثم لا بد فيه من التوبة ، والانابة الى الله عز وجل[1] .

ولذلك فإحساس المؤمن وضميره الحي يدفعانه الى ذلك الواجب بسلطان من داخل نفسه لا من خارجها ، فهذا ابو خيثمة (رضي الله عنه) بعدما سار رسول الله ﷺ في غزوة تبوك المتقدم ذكر طرف منها ـ دخل على أهله في يوم شديد الحر ، فوجد امرأتين له في عريشين لهما في حائطه وقد رشت كل واحدة منهما عريشها بالماء ليزداد برودة ، وبردت فيه ماء، وهيأت له فيه طعاماً ، فلما دخل قام على باب كل عريش ، فنظر إلى أمرأتيه وما صنعتا له .

فقال في نفسه : رسول الله ﷺ في الضح[2] ، والريح والحر ، وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيأ وامرأتين حسنوين في ماله مقيم ؟ ما هذا بالنَّصف[3] ؟ والله لا أدخل عريش واحدة منكن حتى ألحق برسول الله (ﷺ) فهيئا لي زادا ، ففعلتا ، ثم خرج في طلب الرسول (ﷺ) حتى أدركه

---

(١) انظر في هذا المعنى كتاب السيرة دروس وعبر تأليف د / مصطفى السباعي ص ١٧٢ .
(٢) الضح ـ لهب الشمس وحرارتها . انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٥٣٦ .
(٣) النصف ـ أي العدل والانصاف انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٩٣٤ .

حين نزل تبوك ، وقد قال وهو في الطريق شعراً بهذه المناسبة نذكر منه ما يلي :

تـركت خضيباً بالعريش وصـرمـةً صفايا كـرامـاً بسُرهـا قـد تحممـا
وكنت اذا شـك المنافق اسمحت الى الدين نفسي شطره حيث يمما[1]

إن المسلم الحق ليضيق صدره بمأكله ومشربه ومسكنه وهو حر طليق ، اذا كان اخوانه يتقلبون في حالة بؤس وشقاء وضيق .

ومثل ابو خيثمة عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) حيث دخل مكة في جوار الوليد بن المغيرة ، فلما رأى عثمان ما يلقى رسول الله ﷺ واصحابه من الأذى وهو يغدو ويروح بأمان الوليد بن المغيرة قال عثمان : والله إن غدوى ورواحي آمناً بجوار رجل مشرك ، ورسول الله ﷺ وأصحابه يلقون من البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني لنقص شديد في نفسي فمضى عثمان الى الوليد بن المغيرة فقال يا أبا عبد شمس وفت ذمتك قد كنت في جوارك ، وقد أحببت أن أخرج منه الى رسول الله ﷺ فلي به وبأصحابه أسوة فقال الوليد ، فلعلك يا ابن أخي أوذيت أو أنتهكت ، قال لا : ولكن أرضي بجوار الله ولا أريد أن استجير بغيره ، قال الوليد فانطلق الى المسجد فأردد على جواري علانية كما أجرتك علانية ، فانطلق الى المسجد ثم قال الوليد هذا عثمان بن مظعون قد جاء ليرد على جواري فقال عثمان صدق ، وقد وجدته وفيا كريما ، وقد أحببت أن لا أستجير بغير الله عز وجل . ثم حضر مجلسا لقريش وفيه لبيد ينشد .

ألا كل شيء ما خلا الله باطل . فقال : عثمان صدقت ثم قال : وكل نعيم لا محالة زائل . فقال عثمان كذبت .

فقال لبيد : يا معشر قريش ما كانت مجالسكم هكذا فقام سفيه منهم

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٨ .

فلطم عثمان بن مظعون على عينه حتى أثر فيها فقال له بعضهم لقد كنت في ذمة منيعة وكنت في غنية عما لقيت فقال عثمان جوار الله آمن وأعز[1] .

فهذا ما فعله السلف الصالح وما يفعله كل مسلم غيور في عصرنا الحاضر فمهما انحرفت الأمة عن جادة الصواب فإنها لا تعدم الخير وقد عبر عن هذا المعنى من المسلمين المعاصرين عصام العطار[2] بقصيدة نجتزىء منها قوله ما يلي :

فلا راحة حتى ولو لان مضجع ... ولو كنت حتى في ظلال البواسق
اذا كان في خلف السجون أشاوس ... تعذب بأيدي كل طاغ ومارق
تمنيت حتى ضجعة السجن بينكم ... على الصخر في جو من الجور خانق
صلابة أرض السجن ان كان بينكم ... أحب وأشهى من طري النمارق[3]

سابعا : من صور الموالاة في الله أن يكون المسلمون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وقد تحقق هذا في عهد الرسول ﷺ وفي عهد الخلفاء الراشدين من بعده ، فقد كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : (لأن أستنقذ رجلاً من المسلمين من أيدي الكفار أحب الى من جزيرة العرب)[4]. وقد روى أن أحد الجنود المسلمين وقع أسيرا في حوزة الرومان وأنهم حملوه الى امبراطورهم

(١) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ ص ٣٨٥ - ٣٨٦ .

(٢) هو الشيخ عصام العطار تعلم في دمشق وعمل في مجال التربية والتعليم ثم وهب حياته للدعوة الى الاسلام ، وقد حقد عليه حزب البعث الكافر فخرج يبحث عن مكان أمين في بلاد الله فلم تتسع له البلاد الاسلامية واستقر في المانيا سنوات ولكنه مع ذلك لم يسلم من حقد الطائفة النصيرية الكافرة حيث قد تطاولوا عليه في منفاه فقتلوا زوجته بنان الطنطاوي ولا زال الصراع بينه وبين اعداء الله قائم ومستمر . انظر شعراء الدعوة الاسلامية جـ ١ ص ٧٥ - ٩٢ .

(٣) شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث جـ ١ ص ٩١ تأليف احمد الجدع، حسني جرار .

(٤) انظر كنز العمال جـ ٢ ص ٣١٢ .

الذي حاول أن يكرهه على ترك اسلامه ، ورفض الأسير المسلم ، وثبت على عقيدته ، فثار الأمبراطور ، وأمر أن تفقأ عيناه . . . وسمع عمر بن عبد العزيز ، فكتب الى ملك الروم يقول : أما بعد . فقد بلغني ما صنعت بالأسير المسلم . واني أقسم بالله لئن لم ترسله اليّ من فورك لأبعثن اليك من الجند ما يكون أولهم عندك وآخرهم عندي .

وعندما وصل الخطاب تراجع ملك الروم امام هذه العزمة وأمر بإعادة الأسير المسلم الى أهله وقومه[1] . وفي موقف المعتصم[2] صورة من صور الموالاة في الله فهو الخليفة الثامن من خلفاء . الدولة العباسية وبطل عمورية العملاق الذي ضرب بتلك المعركة المثل الأعلى في استرداد الكرامة والذود عن حياض المسلمين وقصة عمورية كما ذكر بعض المؤرخين هي : أن (نوفيل) ملك الروم أغار على حدود الدولة العباسية وعلى (زبطرة) بالذات وهي مسقط رأس المعتصم وعلى أهل (ملطية) وغيرها من حصون المسلمين ، وأسر مجموعة من المسلمين من الرجال والنساء والأطفال فمثل بهم فمنهم من سمل عيونهم ، ومنهم من قطع انوفهم وآذانهم ومنهم من قتل ، وكان من بين الأسرى امرأة هاشمية ، كبر عليها الضيم ، وعظمت عليها القسوة ، فصاحت بأعلى صوتها وامعتصماه ، ونقل بعض الحاضرين هذه الصيحة الى المعتصم ، فما أن وصلت الى مسمعه حتى صرخ بأعلى صوته في المجلس ونهض مردداً لبيك ، لبيك ، يأختاه

---

(١) انظر مجلة الدعوة المصرية عدد (٤٧) السنة التاسعة والعشرون (٤٢١) في جمادي الأولى (١٤٠٠) ص ٥٥ مقال عن عمر بن عبد العزيز بقلم محمد الخطيب .

(٢) هو أبو اسحاق المعتصم بالله محمد بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن عبدالله المنصور بويع بالاخلافة يوم وفاة أخيه المأمون في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من رجب سنةً (٢١٨ هـ ـ ٨٣٣ م) ولسنة (١٨٠ هـ ـ ٧٩٥ م) وتوفي سنة (٢٢٦ هـ ـ ٨٤١ م) فتح عمورية من بلاد البيزنطيين الشرقية ، وشيد مدينة سامرا سنة (٢٢٢ هـ ـ ٨٣٨ م) بعد أن ضاقت بغداد بجنده من الأتراك وتوفي بها . انظر تاريخ الطبري جـ ١٠ ص ٣٠٤ ـ ٣٦٧ وانظر الموسوعة العربية الميسرة جـ ٢ ص ١٧١٨ .

وأمر بالنفير العام ، واستدعى القضاة والشهود ، وأشهدهم على وصيته ، أن ماله اذا استشهد في هذه المعركة فيقسم الى ثلاثة أقسام : ثلثه صدقة وثلثه لأولاده ، وثلثه لمواليه ، وسار بنفسه ومن معه من خيرة قواده ورجاله سنة (٢٢٣ هـ) فحاصر (عمورية) وهي عين النصرانية ومركز قوتها ومسقط رأس (نوفيل) ملك الروم ، ففتحها بعد حصار شديد رغم حصانة اسوارها وقوة رماتها فخرت صريعة بين يديه ، وثأر المعتصم ، من أعداء الله ، ولمن نكّل بهم من المسلمين والمسلمات ، واسترد كرامة الأمة الاسلامية ، وبين كيف تكون غضبة الحاكم المسلم اذا انتهكت حرمات العقيدة ، أو اعتدى على حمى الاسلام والمسلمين[١] . وقد عاد الى بغداد مكبراً مهللاً واستقبلته الأمة بالفرح والغبطة والسرور ، وأنشد ابو تمام قصيدته المشهورة :

السيف أصدق إنباء من الكتب   في حدّه الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لا سود الصحائف في   متونهن جلاء الشك والريب

وجاء من هذه القصيدة :

لبيت صوتا زبطريا هرقت له   كأس الكرى ورضاب الخرّد العرب

وجاء من هذه القصيدة أيضا :

كم كان في قطع أسباب الرقاب بها   الى المخدرة العذراء من سبب[٢]

وفي مثل هذه الصورة المشرقة من صور الوفاء والغيرة على حمى الاسلام ما روى ان الحجاج بن يوسف الثقفي غضب على واليه في السند غضباً

---

(١) انظر في هذا ـ البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ ص ٢٨٦ ـ ٢٨٨ (احداث سنة ـ ٢٢٣) وانظر تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١٠ ص ٣٣٢ وانظر موسوعة التاريخ الاسلامي جـ ٣ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٦ .

(٢) انظر ديوان ابي تمام ص ١٤ ـ ١٨ .

شديداً ، وذلك بسبب امرأة أسرت من المسلمين وأدخلت الى بلاد السند فجهز الجيوش المتواصلة ، وانفق بيوت الأموال حتى استنقذ المرأة وردها الى أهلها ومدينتها[1] .

هذه حال المسلمين في عهدهم الزاهر عهد الجسد الواحد اذا إعتدي على طرف منه تقلص الجسم وارتعش وانتفض إنتفاضة تدمر الأعـداء . ولكن شتان بين الأمس واليوم ، وأين الثرى من الثريا ؟ إن ملايين المسلمين اليوم من الرجال والنساء والأطفال يصرخون ليل نهار ، في مشارق الأرض ومغاربها وشمالها وجنوبها ، ووسطها ، يصـرخون وينـادون بلسان الحـال والمقال وامعتصماه ، ولكن هيهات هيهات لا مجيب !!

يقول الشاعر عمر أبو ريشة :

أمـتي كـم غـصـة دامـيـة ... خنقت نجوى علاك في فمي
تسمعي نوح الحزانى وتطربي ... وتنظري دمع اليتامى وتبسمي
رب (وامعتصمـاه) انطلقت ... مـلء افـواه الصبـايـا اليتم
لامست أسمـاعهم لكنهـا ... لم تلامس نخوة المعتصم[2]

لقد اصبح معظم المسلمين اليوم كالسائمة من بهيمة الأنعام التي يذبح الجزار من طرفها وتفقد كل يوم فرداً من أفرادها ، ومع ذلك فهي تأكل بكل طمأنينة وتجتر ، وتعطي الدر بسخاء لمن يحد السكين لنحرها ، لقد أصبح الكفار في هذا العصر أكثر موالاة مع بعضهم من المسلمين مع بعضهـم وهذا ليس من قبيل التشهير بل هو الواقع فعلاً ، فإذا أُعتدي على يهـودي او نصراني او شيوعي قامت قيامة العالم كله ، أما عندما يكون الضحية من المسلمين فإننا نرى التجاهل المفرط من المسلمين وأعداء الإسلام على حد سواء . وكدليـل على ما نقـول نسوق بعض الأحـداث المشهورة للعبـرة

(١) انظر تاريخ الأمم والملوك للطبري جـ ١٠ ص ٣٥٢ (احداث سنة ٢٢٤) .
(٢) انظر مجلة الدعوة السعودية عدد ٨١٥ الاثنين ١٤٠١/١١/٣ ص ٣٠ - ٣١ .

والذكرى فعندما قتل قادة الثورة الايرانية أحد التجار اليهود قامت قائمة اسرائيل واليهود في امريكا وروسيا وأوروبا وحاصروا ايران محاصرة إقتصادية وإعلامية وعسكرية ، وعندما قبضت الحكومة الايرانية على خمسين فردا من الصليبيين واليهود لديها قامت الدنيا كلها فما من صحيفة تصدر أو مجلة او نشرة أخبار في اذاعة أو تلفاز في كل صباح ومساء في العالم كله ، إلا وتذكر عنهم كلاماً مستفيضاً وجدلاً كلامياً وآخر ما دار بشأنهم ، ولم يكتف الصليبيون واليهود بذلك بل حركوا شركاءهم وعملاءهم في داخل ايران وخارجها كي يطوقوا تلك الثورة ويقضوا عليها في مهدها .

وعندما قُتِل مزارع أبيض من النصارى البريطانيين في روديسيا قامت بريطانيا في كل نشرة من أخبارها . تذكر الملابسات والمحاكمات والتقارير الاخبارية عن ذلك[1] وفي بولندا دعت نقابة العمال الحرة الى إضراب في العاصمة البولندية في أكثر من ثلاثين دائرة عمل وذلك بسبب احتجاز السلطة الحكومية ، أحد عمال الطباعة لديها حيث أن هذا العامل عضو في هذه المنظمة[2] .

فهل يكون الكفار أوفى لأهل ملتهم منا نحن المسلمين ؟

هذا ما هو حاصل فعلاً في واقعنا الحاضر ، وحتى نكون موضوعيين في هذا نسوق حادثة واحدة من مئات الحوادث التي تبين مدى ظلم المسلمين بعضهم لبعض ، وعدم موالاة بعضهم لبعض ، على المستوى الرسمي ، والمستوى الشعبي ، وذلك أنه حدث في يوم الجمعة (٢٧ - ٦ - ١٩٨٠ م) وفي الساعة التاسعة صباحا توجهت اثنتا عشرة طائرة هليوكبتر ، تابعة لسرايا الدفاع بقيادة المجرم الطاغية رفعت الأسد فنزلت في مطار حماة ثم انتقلت الى سجن تدمر الصحراوي حيث المعتقل الكبير لخيرة المسلمين

---

(١) اذاعة لندن صباح يوم الأربعاء ٢٠/١٢/١٤٠٠ هـ الساعة السابعة زوالى .

(٢) اذاعة لندن صباح يوم الثلاثاء ٢٦/١٢/١٤٠٠ هـ الساعة السابعة زوالى .

العاملين المجاهدين وأخرجوهم خارج السجن بطريقتهم الخاصة ثم اطلقوا عليهم النار فاستشهدوا جميعا وقال الذين شهدوا العملية أن عددهم ما بين الثمانمائة والألف ، من خيرة أهل الاسلام ، ثم دفنوا في الصحراء التي قتلوا فيها بواسطة جرافتين كبيرتين)[1] إن هذا الخبر الذي يدمي القلب ويبكي العين ويحزن النفس لم نسمع عنه في وسائل الإعلام التي تدعي الاسلام ، ولا في وسائل الإعلام العالمية التي تدعي المحافظة على حقوق الانسان أي تعليق أو بيان ، في الوقت الذي تتحدث فيه هذه الوسائل عن اخبار القطط والكلاب والفئران ، وهذا يؤكد لنا أن الاعلام في العالم كله كأنه يعمل تحت ادارة واحدة ، تهدف إلى طمس معالم الاسلام واخفاء قضاياه وتجاهل حقوقه وحقوق اهله .

إن هؤلاء الذين استشهدوا تحت وطأة الحُكم النصيري الكافر ، لو كانوا من أهل الفن الماجن المصاب بجنون الشهوة الجنسية او كانوا ممن يحملون عقولهم في اقدامهم من أصحاب الكرة الذين تتقاذفهم مخططات اليهود والنصارى كما يتقاذفون الكرة بينهم ، لبكت عليهم وسائل الاعلام المسموعة والمرئية والمقروءة بدلا من الدموع دما ، ولأجمعت وسائل الإعلام كلها في بلاد الاسلام وخارجها على تأبينهم بما يصك الآذان ويذهل الاسماع ولتحرك سماسرة اليهود والنصارى في المنظمات الدولية والمنظمات الخاصة الى اصدار بيانات الاستنكار والاحتجاج ، أما عندما يكون القتلى من المسلمين المخلصين بأيدي الشيوعية في افغانستان ، أو على يد الصليبي ماركُس في الفلبين، أو بأيدي عبدة البقر في الهند ، أو على يد الطاغية المجرم ـ النصيري ـ في سوريا فإن العالم كله يلتزم الصمت نحو تلك الأحداث الدامية ويتجاهلها لأن الضحية في ذلك هم أهل الاسلام .

بل لقد ابتكرت وسائل الاعلام الغربية المعادية للإسلام مصطلحات

---

(١) انظر مجلة النذير العدد التاسع عشر الاثنين ١٨/٨/١٤٠٠ هـ دمشق ص ١٦ .

إعلامية تطلقها على أهل الإيمان والإسلام ، لقصد تعمية المسلمين في العالم عما يصيب اخوانهم في مشارق الأرض ومغاربها من تصفيات جسدية وتعذيب وحشي فهي تصف المسلمين الغيورين على الاسلام بأنهم يمينيون متطرفون ، وفي هذا ادخال للمسلمين في عداد النصارى ، ومحاولة صبغهم بصبغة العمالة للغرب وتارة تصفهم بأنهم مسلمون متعصبون او متطرفون وفي هذا تضليل للسامع بأن هؤلاء يستحقون ما يلقون من قتل وتعذيب لأنهم ليسوا مسلمين معتدلين . ولو سألنا هؤلاء أو سألنا عملاءهم في البلاد الإسلامية عن المسلم المعتدل في مفهوم هؤلاء لوجدناه المسلم الذي لا يعرف من الإسلام إلا إسمه ، ولا يختلف عن اليهود والنصارى في شيء سوى تسميه بالإسلام وإنتسابه اليه إسما لا حقيقة ، فهذا هو المسلم المعتدل في مفهوم أعداء الإسلام .

وبناء على ذلك فإن المسلم المعتدل في نظر أعداء الإسلام غير مسلم في مفهوم الإسلام الصحيح ، لأن الإسلام الذي يرض عنه أعداء الإسلام ليس إسلاما حقيقيا قال تعالى : **﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت اهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير ﴾**(١) .

ولذلك يجب على المسلم أن لا يصدق أبواق اليهود والنصارى ومن يدور في فلكهم في إطلاق المفاهيم والأوصاف على العاملين للإسلام ، قال تعالى : **﴿ يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ﴾**(٢) بل يجب أن يسمى المسلمين بما يسمون به أنفسهم ، لا بمسميات أعداء الإسلام لهم ، فإن اعداء الإسلام يكيدون للإسلام والمسلمين بالقول والفعل وهذا الأمر ليس غريباً منهم ، ولكن الغريب في ذلك أن يصدق أقوالهم وأفعالهم بعض من ينتسب إلى الإسلام فلا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) البقرة آية (١٢٠) .

(٢) سورة الحجرات آية (٦).

الباب الثاني

في

عوامل ضعف الموالاة في الله والمعاداة فيه

وفي هذا الباب تقديم وخمسة فصول :

التقديم

تحديد قضية هذا الباب

قد يستغرب الإنسان المسلم ويصاب بالدهشة والحيرة والاضطراب حينما يطلع على ما سبق عرضه في الباب الأول بشأن الموالاة في الله والمعاداة فيه من وجهة النظر الاسلامية ، وبين ما هو حاصل في واقع المسلمين المعاصرين من الناحية التطبيقية ، فيجد البون الشاسع بين ما هو كائن في واقع المسلمين وبين ما يجب أن يكون عليه المسلمون بمقتضى الكتاب والسنة .

وكتوضيح للعوامل التي أدت الى هذا الواقع المتردي المؤلم الحزين أردنا التعرف على أهم هذه العوامل وبيانها لعلنا نتجنب الوقوع في تلك المزالق التي مزقت شمل المسلمين وفرقت كلمتهم وجعلت بعضهم أعداء لبعض .

في حين أن العدو الحقيقي يتمتع بالأمن والطمأنينة والسلامة في بلاد الاسلام .

ويمنحه ابناء المسلمين خالص المودة والمحبة والمناصرة والولاء ويجد من أبناء المسلمين من يحميه ويدافع عنه ويستميت دونه ، وما كان من الممكن أن يحصل ذلك لولا تلك المفاهيم المغلوطة والتصورات المنحرفة ، التي قلبت موازين الموالاة والمعاداة رأسا على عقب ، فوالى من ينتسب إلى الاسلام أعداء الاسلام ، وعادى من ينتسب الى الاسلام أهل الاسلام الصحيح . وقد قسمنا تلك العوامل الى خمسة فصول رئيسية .

الفصل الأول

الجهل وصلته بالموالاة والمعاداة

الجهل في اصطلاح : أهل الكلام : هو اعتقاد الشيء على خلاف ما هو عليه حقيقة ، وهو ينقسم الى قسمين :

١ ـ بسيط

٢ ـ مركب

فالجهل البسيط : هو عدم العلم بما من شأنه أن يكون به عالماً.

والجهل المركب : هو عبارة عن اعتقاد جازم غير مطابق للواقع[١] . ويخلط كثير من الناس بين الجهل والخطأ في المفهوم والآثار المترتبة على ذلك مع أن هناك فرقاً واضحاً بينهما .

---

(١) انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ١٤٤ قال الراغب الأصفهاني (رحمه الله) الجهل على ثلاثة اضرب : الأول : وهو خلو النفس من العلم ، وهذا هو الأصل . الثاني اعتقاد الشيء بخلاف ما هو عليه . الثالث : فعل الشيء بخلاف ما حقه ان يفعل عليه ، انظر مفردات الفاظ القرآن للراغب الاصفهاني ص ١٠٢ .

فالخطأ هو أن يقصد بفعله فعلاً مباحاً فيقع في محذور لم يقصده كأن يرمي طيراً في غابة فيقتل إنساناً لم يقصد قتله .

بخلاف الجهل فإنه تهاون مبعثه عدم بذل الجهد واستفراغ الوسع في معرفة الحق وإتباعه[1] .

وكل من الجهل والخطأ يؤاخذ عليها في جناية عدم التثبت ، ولكن العقوبة في ذلك لا تقدر بقدر الجريمة الخالية من الخطأ أو الجهل[2] .

فالخطأ ينقسم الى قسمين : خطأ في حقوق الله .
وخطأ في حقوق العبيد .

فأما الخطأ في حق الله فقد جعل الشارع الخطأ عذراً ، إذا اجتهد المخطيء في التثبت على ما يمكنه[3] .

أما الخطأ في حقوق العبيد ، فليس الخطأ عذراً فيها ، فيضمن المُتْلِفُ خطأً قيمة ما أتلف ، فعليه الدية في القتل تعويضا عما أصاب ورثة المقتول من الضرر ، فخففت العقوبة من القصاص الى الدية المخففة نتيجة لوجود الخطأ في ذلك[4] .

والجهل يعذر صاحبه في أمور قد تخفى على كثير من الناس ولكنه يؤاخذ على ذلك بتساهله عن البحث والسؤال قال تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون** ﴾[5] والجهل كالخطأ في أقسامه فمنه ما يتعلق بحق الله تعالى ومنه ما يتعلق بحق الناس .

---

(١) انظر أصول الفقه / محمد الخضري ص ١٠٥ .
(٢) المصدر السابق المكان نفسه .
(٣) المصدر السابق المكان نفسه . محمد الخضري ص ١٠٥ أصول الفقه .
(٤) انظر اصول الفقه / محمد الخضري ص ١٠٥ .
(٥) سورة النحل آية (٤٣).

فإن كان الجهل بحكم يتعلق بحق الله تعالى من حيث الإباحة والتحريم ، فإن صاحبه لا يؤاخذه عليه حتى يبلغه الدليل ، فقد روى مسلم[1] في صحيحه عن ابن عباس (رضي الله عنهما) : أن رجلاً أهدى لرسول الله ﷺ راوية خمر[2] . فقال له رسول الله ﷺ (هل علمت ان الله قد حرمها ؟) قال : لا . فسار انسانا . فقال النبي ﷺ (بم ساررته ؟) فقال : أمرته ببيعها . فقال رسول الله ﷺ (إن الذي حرم شربها حرم بيعها) قال : ففتح المزاد حتى ذهب ما فيها .

وفي ذلك يقول النووي ـ لعل سؤال الرسول ﷺ عن علمه بالتحريم ليعرف حاله فإن كان عالماً بتحريمها أنكر عليه هديته ، وعزره على ذلك فلما اخبره أنه كان جاهلا بذلك عذره ، وفي هذا دليل على أن من ارتكب معصية جاهلاً تحريمها ، فلا اثم عليه ولا تعزير[3] .

ولكن اذا تعلقت جناية الجاهل بحق الناس فالقاعدة أنه لا يعذر أحد بجهالته حفاظاً على حقوق الناس روى مسلم عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن النبي ﷺ قال : « لو يعطى الناس بدعواهم لأدعى ناس دماء رجال واموالهم ولكن اليمين على المدعى عليه »[4] فمن يدعي الجهل بالأمور الظاهرة في الإسلام سواء كانت في حق الله أو حق عباده لا يقبل منه ذلك اذا كان يعيش في وسط إسلامي .

أما من كان حديث عهد بالاسلام ، وكان قد نشأ في مجتمع غالب سكانه غيرُ مسلمين فقد يعذر ببعض أنواع الشرك اذا وقع فيه وهو لا يدري ، والدليل على ذلك طلب الصحابة رضوان الله عليهم أن يجعل لهم الرسولِ ﷺ ذات أنواط كما للمشركين ذات أنواط ، فحلف رسول الله ﷺ

---

(١) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٢٠٦ (باب المساقاة) .
(٢) أي قربة ممتلئة خمرا .
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١١ ص ٤ .
(٤) المصدر السابق جـ ١٢ ص ٢ .

أنها مثل قصة قوم موسى ، عندما قالوا : ﴿اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة﴾ فلا خلاف أن الذين قالوا ذلك لم يعلموا الحكم ، ولكن لو فعلوا ذلك بعد نهيه لكفروا ، ومن ذلك نستنتج أن المسلم اذا تكلم بكلام الكفر وهو لا يدري أنه كفر ، فنبه الى ذلك فرجع عنه وأتاب من ساعته انه لا يكفر)[١] .

أما من لم يكلف نفسه بمعرفة الشرك ولا انه كاره ، فوقع فيه أو أيد أهله ، فهو آثم وعلى خطر من خروجه عن الاسلام ، لأن من جهل الشرك ، لا يحصل منه شيء مما دلت عليه (لا إله إلا الله) ومن لم يقم بمعنى هذه الكلمة وما دلت عليه ، عن علم ويقين وصدق واخلاص ومحبة وقبول وانقياد ، فليس من الاسلام في شيء[٢] ، وكثير من الناس لا يميزيون بين ما أمروا به ، وما نهوا عنه ، ولا بين ما صح عن رسول الله ﷺ ولا ما كذب عليه ، ولا يفهمون حقيقة مراده ، ولا يتحرون طاعته ، بل هم جهال لما أتوا به معظمون لاغراضهم وأهوائهم متبعون لشهواتهم وملذاتهم[٣] ولا ريب أن الله عز وجل لم يعذر أهل الجاهلية الذين لا كتاب لهم بهذا الشرك الأكبر الذي حصل منهم والدليل على ذلك حديث عياض بن حمار عن النبي ﷺ (ان الله نظر الى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم ، الا بقايا من أهل الكتاب)[٤] فكيف يعذر الله أمة كتاب الله بين أيديهم ، يمكنهم أن يقرؤه ويفهموا ما فيه قال تعالى : ﴿ **ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر** ﴾[٥] فهو حجة الله على عباده كما قال تعالى : ﴿ **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو اله واحد وليذكر أولوا الألباب** ﴾[٦] .

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٨٤ .
(٢) انظر الدرر السنية جـ ٢ ص ٩٨ وانظر مجموعة التوحيد ص ٣٧ .
(٣) انظر الدرر السنية جـ ٢ ص ٩٩ .
(٤) رواه مسلم . انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٩٧ - ٢١٩٨ رقم الحديث (٢٨٦٥) .
(٥) سورة القمر آية (١٧) .
(٦) سورة ابراهيم آية (٥٢) .

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) (ان الانسان يكفر بكلمة يخرجها لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل)[١] ا. هـ.

ويستدل على ذلك بحديث (إن الرجل يتكلم بالكلمة من رضوان الله ، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه ، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله ، ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه)[٢] والانسان قد يكفر بالمقالة الكافرة ، وفعل الكفر ، وإن كان عند نفسه أنه لم يأت بمكفر ، كما حصل من المنافقين في غزوة تبوك قال تعالى : ﴿ **لا تعتذروا قد كفرتم بعد ايمانكم** ﴾[٣] فهؤلاء ظنوا أن ذلك ليس بكفر ، ولكن الآية ، دليل على أن الرجل اذا فعل الكفر ولو لم يعلم ، أو يعتقد أنه كافر ، لا يعذر بذلك ، بل يكفر بفعله القولي والعملي ، ومن اجل ذلك فالذي يسب الاسلام او شعائره كافر بطريق الأولى ، وإن لم يعتقد أنه كافر[٤] .

وقد يعلم الانسان أن الشيء يضره ويفعله ، ويعلم أن هذا الشيء ينفعه ويتركه ، لأن ذلك العلم عارضه ما في نفسه من طلب لذة أخرى ، أو دفع ألم آخر ، فيكون جاهلاً ظالما حيث قدم هذا على ذلك ، ولهذا قال أبو العالية سألت أصحاب محمد ﷺ عن قوله ﴿**يعملون السوء بجهالة**﴾[٥] فقالوا كل من عصى الله فهو جاهل[٦] . وقال تعالى : ﴿ **ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون**

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٥٠ .
(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ٢ ص ٥٧٩ .
(٣) سورة التوبة آية (٦٦) .
(٤) انظر تيسير العزيز الحميد ص ٥٥٤ ـ ٥٥٥ .
(٥) سورة النساء آية (١٧) .
(٦) ملحق المصنفات / محمد عبد الوهاب ص ١٩٣ وانظر لطائف المعارف للحافظ ابن رجب ص ٣٥٠ .

بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾[1] وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين»[2]. ولا يجوز أن ينسب الكفر الى شخص معين ما لم تقم عليه حجة البلاغ والعلم التي يعتبر من خالفها كان كافرا ، تارة ، أو فاسقاً أو عاصيا أخرى وهذا في الأمور الخفية مثل الصرف والعطف ، التي قد يقال فيها إنه مخطىء ضال .

أما الأمور التي يعلم الخاصة والعامة من المسلمين ، أن رسول الله ﷺ بعث بايجابها ، مثل أركان الاسلام الخمسة ، والأشياء التي ظاهر تحريمها مثل الزنا والخمر والميسر ، والربا ونحو ذلك من المحرمات والواجبات فلا يعذر احد بجهالتها ما لم يكن حديث عهد بالاسلام[3] . وعلى هذا فليس كل من جهل شيئاً من الدين يكفر ، فقد كان بعض الصحابة ظنوا إباحة الخمر كقدامة بن مظعون وأصحابه فظنوا أنها تباح لمن عمل صالحا على ما فهموه من آية المائدة . قال تعالى : **﴿ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين﴾**[4] وقد اتفق علماء الصحابة (رضي الله عنهم) كعمر وعلي وغيرهما ، على أنهم يستتابون فإن اصروا على الاستحلال كفروا ، اذا كان قد بلغهم الدليل . فلم يكفروهم ابتداء لأجل الشبهة التي عرضت لهم حتى يتبين لهم الحق ، فإن أصروا بعد معرفة الحق كفروا بجحودهم واصرارهم[5] . وعلى ذلك فمن أعان على ترك واجب ، أو اباحة محرم من شعائر الاسلام الظاهرة

---

(١) سورة الأعراف آية (١٧٩) .

(٢) العقيدة والآداب الإسلامية الأولى ص ٢٤ تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

(٣) انظر الدرر السنية جـ ٨ ص ٢٩ وانظر المصدر نفسه جـ ٨ ص ٩٠ .

(٤) سورة المائدة آية (٩٣) .

(٥) انظر الجامع الفريد / تأليف مجموعة من أئمة الدعوة ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

المعلومة من الدين بالضرورة فحكمه الكفر وإن ادعي الاسلام[1] . وعند ذلك يجوز قتله ، لأنه لا عذر له في مثل ذلك بالجهل الا من هو حديث عهد بالاسلام .

فقد أخبر سبحانه وتعالى بجهل كثير من الكفار مع تصريحه بكفرهم ووصف بني اسرائيل بالجهل مع أنه لا يشك أحد في كفرهم قال تعالى : **﴿ قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون ﴾**[2] فنحن نقطع بأن أكثر اليهود والنصارى اليوم جهال مقلدون ، ولكن مع ذلك نعتقد كفرهم وكفر من شك في كفرهم . قال تعالى : **﴿ فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾**[3] وقد دل القرآن الكريم على أن الشك في أصول الدين كفر ونوع من أنواع الردة عن الاسلام .

والشك هو التردد بين شيئين كأن لا يجزم بصدق الرسول ﷺ ولا كذبه ، ولا بوقوع البعث ، ولا بعدم وقوعه ونحو ذلك . أو كأن لا يعتقد بوجوب الصلاة ، ولا بعدم وجوبها ، ولا بتحريم الزنا أو عدم تحريمه ونحو ذلك فهذا كفر باجماع العلماء[4] .

ولا عذر لمن كانت هذه حالته ، بكونه لم يفهم حجج الله وبيناته فعذره غير مقبول بعد بلوغه الحجة وإن لم يفهمها لأن طلب الفهم والعلم بالحجة راجع اليه هو[5] . قال تعالى : **﴿ فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون ﴾**[6] وقد اخبر تعالى عن الكفار أنهم لم يتفهموا ما أنزل الله عليهم بواسطة رسوله محمد ﷺ قال تعالى : **﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه**

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ٨ ص ٢٨ ـ ٢٩ .
(٢) سورة الأعراف آية (١٣٨) .
(٣) سورة يونس آية (٨٩) .
(٤) انظر الدرر السنية جـ ٨ ص ٢١٣ .
(٥) انظر الدرر السنية جـ ٨ ص ٩٠ .
(٦) سورة النحل آية (٤٣) .

فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبدا ﴾[1] فبين سبحانه وتعالى أنهم لم يفقهوه والفقه لغة الفهم ، فلم يعذرهم لكونهم لم يفهموا بل صرح القرآن الكريم بكفرهم ويكفر من اعتقد الصواب ، وهو على الباطل ، لعدم تحريه الصواب تحريا دقيقا قال تعالى : **﴿ قل هل ننبئكم بالاخسرين أعمالا، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا ﴾**[2] .

وقد سئل الشيخ عبدالله بن عبد الرحمن أبابطين : أن هناك فئة من الناس لا تعرف الايمان بالله على الوجه الحقيقي ، ولا تعرف معنى الكفر بالطاغوت ، ولكنها تلتزم ببعض شرائع الاسلام على الاجمال .

أما على التفصيل فهي تبغض أهل التوحيد ، وتمقتهم ، وترى منهم الخطأ في الأمور التي تخالف عاداتها وشهواتها وهواها وما تعارفت عليه حيث يعتقد هؤلاء أن كل شيء خلاف ما تعارفوا عليه هو خطأ ، لأن في ذهنهم أن كل ما تعارفوا عليه هو الصواب وهو الدين ، ولو كان هو عين الخطأ ، والصواب مع من يعتقدونه مخطئا ، فهم لا يأخذون بالدليل الذي يرد به عليهم ، ولا يلتفتون اليه ، ولا يرعوون من فيهم ، أو يرجعون عن باطلهم ، لأنهم يرون الدين الحق هو ما تظاهر به المنتسبون اليه من عامة الناس ، ولو كان هؤلاء العامة مع قادتهم من علماء السوء وحكام الضلال منحرفين عن الاسلام الصحيح ، فهم يصرحون في بعض الأحايين بالبغض والعداوة لأهل الحق ، ويصفونهم بأوصاف الكفر والضلال جهلاً أو نفاقا ويحرصون على تتبع عوارتهم والوقوع في عثراتهم والتجسس عليهم لحساب أهل الكفر والضلال .

---

(١) سورة الكهف آية (٥٧) .
(٢) سورة الكهف آية (١٠٣ ، ١٠٤) .

فأجاب (رحمه الله) بكفر هؤلاء وخروجهم عن الاسلام لعدة أسباب هي :

أولاً : أنهم لم يكلفوا أنفسهم في معرفة الاسلام ولم يستسلموا لله وينقادوا له في كل أمر أو نهي .

ثانياً : أنهم عادوا أهل الحق ، وأبغضوهم وخطئوا طريقهم ورأوا الدين هو ما عليه اكثر المنتسبين اليه من الناس الذين لا علم لديهم ولا عمل[1] .

ولا يعني هذا أننا نكفر كل مسلم لا يفهم الاسلام ويعرفه كمعرفة أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما)، بل إن المسلم اذا كان معه أصل الاسلام الذي يدخل به الإنسان في عداد المسلمين فهو مسلم ، ولو كان جاهلاً بتفاصيل أحكام الاسلام الخاصة ، فإنه ليس على عوام المسلمين ممن لا قدرة لهم على معرفة تفاصيل ما شرعه الله ورسوله ، أن يعرفوا على التفصيل ما يعرفه من أقدره الله على ذلك من علماء المسلمين ، وأعيانهم بل عليهم أن يؤمنوا بما جاء به الرسول ﷺ ايماناً عاماً مجملاً ، ويعملوا بذلك واذا اشتبه عليهم الأمر لجأوا الى أهل الذكر فسألوهم عما لا يعلمون . أما اذا لم يوجد مع الجاهل ، الأصل الذي يدخل به الانسان في عداد المسلمين ، فهو كافر ، وكفره ، هو بسبب الأعراض عن تعلم دينه فلا هو علمه ، ولا تعلمه ، ولا عمل به . فمن كان ظاهره الكفر فهو كافر ومن كان ظاهره العصيان فهو عاصي ، ولا نكفر إلا من كفره الله ورسوله بعد قيام حجة البلاغ عليه[2] . وقد عد الفقهاء أنواع الردة أربعة ذكروا منها الشك ، والشك إنما يكون بسبب الجهل في عدم معرفة أقوى الدليلين دليل الإثبات ودليل النفي ، ولو قلنا بعدم تكفير الجاهل مطلقاً لكان لازم هذا أن

---

(١) أنظر الدرر السنية جـ ٨ ص ٢٣٢ .

(٢) الدرر السنية جـ ٨ ص ٢٥٧ .

لا نكفر جهلة اليهود والنصارى ومن على شاكلتهم من أهل الأوثان لجهلهم بأحكام الاسلام ، وقد أجمع المسلمون على كفر من لم يفكر اليهود والنصارى ، أوشك في كفرهم ، وإن كان كفر بعض هؤلاء مبنياً على الجهل بأحكام الاسلام ، ولكن يكفي في اقامة الدليل عليهم ان يعلموا باسم الاسلام ، وأن الله لا يقبل من انسان غير الاسلام ديناً ، ثم يبقي عليهم بعد ذلك معرفة هذا الدين ، ومعرفة صفاته وخصائصه وذلك من واجبات الفرد نفسه أن يسأل عن الخطأ والصواب ، كما يفعل ذلك في أمور معيشته وعلى هذا فمرتكب الكفر ، وإن كان متأولا ، أو مجتهدا ، أو مخطئاً أو مقلدا ، أو جاهلا ، ليس معذورا في ذلك ، فليس حكم الكفر والردة مقصوراً على من عاند مع معرفة وعلم ، فنحن لا نعرف المعاند حتى يقول : أنا أعلم أن ذلك حق ولكن لا ألتزمه ، ولا أقول به ، وهذا الصنف بهذا الوصف لا يكاد يوجد[1] .

وقد قال تعالى : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾[2] . وقال تعالى : ﴿ **انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار** ﴾[3] فلم يستثن سبحانه وتعالى من ذلك الجاهل ، ولم يخص المعاند ، فمن أخرج الجاهل والمتأول ، والمقلد ، فقد شاق الله ورسوله وخرج عن سبيل المؤمنين[4]. وقال تعالى : ﴿ **ولو أننا نزّلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾[5] والجهالة معصية في صغائر الذنوب وفيما دون الكفر ، فإن تاب من ارتكب الذنب بجهالة فقبول توبته راجع الى الله عز وجل قال تعالى : ﴿ **إنما التوبة على الله**

---

(١) أنظر الدرر السنية جـ ٩ ص ٢٤١ .

(٢) سورة النساء آية (٤٨) .

(٣) سورة المائدة آية (٧٢) .

(٤) أنظر الدرر السنية جـ ٩ ص ٢٤٦ .

(٥) سورة الإنعام آية (١١١) .

للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيما ﴾[1] قال مجاهد الجاهل من لا يعلم حلالا من حرام ، ومن جهالته ركب الأمر المحرم ، فكل من عمل خطيئة فهو بها جاهل - سواء كانت هذه الجهالة تصل الى الكفر ، أو الى ما دونه ، فكل من عصى ربه فهو جاهل حتى ينزع عن معصيته ، وإنما سموا جهالا لمعاصيهم ، لأنهم غير مميزين ولا متبعين للحق ، ولذلك فعملهم هذا اثم يؤاخذون عليه إلا اذا تابوا وأصلحوا فإن الله غفور رحيم[2] .

والجهل صفة موجودة في حياة الناس ولكنه يختلف باختلاف الأفراد والأمم ، فمن الجهل ما يكون كفراً بواحاً ومنه ما يكون كبيرة من كبائر الذنوب ومنه ما يكون معصية من صغائر الذنوب ولكي يتخلص المسلم من الجهل صغيره وكبيره عليه أن يتخذ من رسول الله أسوة حسنة له في حياته قال تعالى : ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾[3] وبسؤال أهل العلم العاملين بعلمهم كما تقدم بيان ذلك .

فعلى هذا نقول ان كثيرا ممن يدعون الاسلام في عصرنا الحاضر وهم يقفون في صف الطغاة والمجرمين ويوالونهم ويناصروبهم ضد الحق وأهله على خطر من خروجهم من الاسلام وإن اعتذر البعض منهم او عنهم بأنهم جهلة لا يعلمون الحق والحقيقة لأن الواجب الشرعي عليهم هو التثبت والبحث عن الحق والصواب قال تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[4] وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنباء فتبينوا**

---

(١) سورة النساء آية (١٧) .

(٢) أنظر تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٩١ / ٩٢ وجـ ٦ ص ٤٣٦ .

(٣) سورة الأحزاب آية (٢١) .

(٤) سورة النحل آية (٤٣) .

أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ﴾[1] . ولقد حذر النبي (ﷺ) الجاهلين من البقاء على جهلهم وحثهم على طلب العلم وعلى تحطيم ربقة الجهل ، وحثهم على قرع أبـواب المعرفـة ، ويتجلى هذا بوضوح فيما رواه عبد الرحمن بن أبزي عن ابيه عن جده قال خطب النبي (ﷺ) ذات مرة فأثنى على طوائف من المسلمين خيراً ، ثم قال : (ما بال أقوام لا يفقهون جيـرانهم ولا يعلمونهم ولا يعـظونهم ولا يأمـرونهم ولا ينهونهم ، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقـهون ولا يتعظون والله لَيُعَلِّمنَّ قوم جيرانهم ، ويفقهونهم ويعظونهم ، ويأمرونهم وينهونهـم وليتعلمن قوم من جيرانهم ويتفقهون ويتعظون أو لأعاجلنهم العقوبـة ثم نزل)[2] . ولقد بين الرسول (ﷺ) في هذا الحديث مسؤولية العلماء ، كما بين واجب من لا يعلم ، وحث الفريقين على اداء واجبهما ، أهل العلم ينشرون العلم ويبينونه ، والجاهل يسعى إليهم ويتعلم منهم ، وقد رتب على إخلال أحد الفريقين أو كليهما بواجبه عقوبة زاجرة رادعة من خلال هذا الحديث ، وهذا يدل على أن الجهل ليس عذراً في ترك الأحكام او إعفائه من المسؤولية[3] .

يقول الشاعر :

اذا كنت لا تدري ولم تك بالذي يسائل من يدري ،فكيف إذاً تدري؟[4]

---

(١) سورة الحجرات آية (٦) .

(٢) أنظر مجمع الزوائد جـ ١ ص ١٦٤ ، وقد رواه الطبراني في مجمعه الكبير ، وفيه بكير ابن معروف قال البخاري : إرم به ، ووثقه أحمد من رواية ، وضعفه من أخرى ، وقال : إبن عدي أرجو أنه لا بأس به ، فالحديث فيه لين ، وأخرجه المنذري من الترغيب والترهيب جـ ١ ص ٨٦ ـ ٨٧ بلفظ (عن) إشارة إلى أنه وجد من صحح الحديث أو حسنه ممن أخرجه .

(٣) أنظر لمحات من المكتبة والبحث والمصادر ص ٢٣ تأليف د / محمد عجاج الخطيب .

(٤) الدعوة السعودية عدد ٨١٥ من ١٤٠١/١١/٣٠ هـ ص ٣٤ .

لقد اصبح المعروف منكرا والمنكر معروفا ، والحق باطلاً والباطل حقاً في مفهوم كثير ممن ينتمون الى الاسلام اسما لا حقيقة ، ولكن مع ذلك يعتقدون جهلا أو تجاهلا أنهم هم أصحاب الاسلام الصحيح فالاسلام الذي يريدونه ويعتقدون صحته هو إسلام لا يمنعهم عما حرم الله ، ولا يلزمهم بما أوجب لله ، ولذلك تراهم يقفون في وجه كل داعية مخلص يريد إرجاع الأمة الى الصواب ، ويصفون الدعاة الى الله بأبشع الأوصاف التي هم في الحقيقة جديرون بها . إن هؤلاء الجهال وما أكثرهم في عصرنا الحاضر ، هم من أهم عوامل ضعف الموالاة بين المسلمين نظراً الى أنهم يشكلون اكثرية ساحقة ساذجة تافهة في المجتمع الاسلامي ولذلك نرى لزاما على الأمة الاسلامية ، والعلماء خاصة أن يهتموا بتلك الفئة من الناس اهتماماً يناسب حجم المشكة ويدرأ خطرها عن الدعاة الى الله ، وأن يوجهوهم الى التصور السليم ، ويلقنوهم الفهم المستقيم ، وأن يحولوهم من موقف الرفض والعداء للدين وأهله ، الى موقف التأييد والموالاة والمناصرة على الحق .

لقد اصبح الجهر بكلمة الحق في وسط هذه الجموع المضللة من قبل اعداء الاسلام جريمة يؤخذ عليها بالنواصي والاقدام ، لقد جهلت الشعوب الاسلامية هذا الدين ، وأخذت عنه تصورات خاطئة ، بفعل أعداء الاسلام في داخل البلدان الاسلامية وخارجها ، ونقضوا عرى الاسلام عروة عروة كما قال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : (إنما تنقض عرى الاسلام عروة عروة ، اذا نشأ في الاسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك ، وما عابه القرآن وذمه ، ووقع فيه وأقره ودعا اليه وصوبه وحسنه ، وهو لا يعرف أنه الذي كان عليه أهل الجاهلية ونظيره ، أو شر منه ، أو دونه .

فتنقض بذلك عرى الاسلام ، ويعود المعروف منكرا والمنكر معروفا والبدعة سنة والسنة بدعة ، ويكفر الرجل بمحض الايمان ، وتجريد التوحيد ، ويبدَّع بتجريد متابعة الرسول ﷺ ومفارقة الأهواء والبدع ، ومن له

بصيرة وقلب حي يرى ذلك عياناً ، والله المستعان)[1] ا.هـ. وقد أصبح هذا القول حقيقة واقعة في أيامنا هذه ، والدليل على ذلك أن الاسلام عاش محنتين عظيمتين على يد طاغيتين مجرمين هما مصطفى كمال أتاتورك وجمال عبد الناصر ومع ذلك كان موقف الجماهير الجاهلة المضللة عن حقيقتهما هو موقف التأيد المطلق والمناصرة التامة لهما والهيام في حبهما الى درجة الشرك قال تعالى : ﴿ **ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله** ﴾[2] ونحن نذكر هذين الشخصين كمثالين للقيادات الضالة التي يصفق لها الدهماء من الناس ويهيمون في حبها ، ويبذلون دماءهم وأموالهم وكل ما يملكون في سبيل حفظها وبقائها ، وما علموا أن الواجب الشرعي يفرض عليهم أن يحطموا تلك الزعامات الفاجرة الخارجية على الاسلام ، وأن يعادوها ويبغضوها كما أمر الله في كتابه الكريم وعلى لسان نبيه المصطفى محمد ﷺ ، ولكن الجهل المطبق هو الذي حال دون معرفة حقيقة الأعداء وحقيقة الأصدقاء وهو الذي جعل هؤلاء الجهال يوالون أعداء الاسلام موالاة مطلقة ويحاربون أهل الايمان . ان مصطفى كمال اتاتورك لم يكن يعرف من الاسلام الذي يدعيه أكثر من أن اسمه مصطفى في السجل الرسمي للدولة اما حقيقته فهو صنيعة للحاخام اليهودي (نعوم) منفذ الخطة اليهودية لهدم الخلافة الاسلامية[3] . ا.هـ [illegible]

لقد كان أتاتورك مجرماً بمعنى الكلمة سواء كان في حياته الخاصة أم في مسؤولياته العامة . ويشهد على ذلك أحد وزرائه - عصمت اينونوا - حيث قال له مرة : (هل سنأخذ اوامركم من على مائدة العرق)[4] .

---

(١) أنظر مجموعة التوحيد ص ٣١٩ - ٣٢٠ .
(٢) سورة البقرة آية (١٦٥) .
(٣) أنظر كتاب الرجل الصنم ص ٥٦٣ تأليف ضابط تركي سابق ترجمة عبد الله بن عبد الرحمن .
(٤) أنظر المصدر السابق ص ٥٢٣ .

إن هذا الرجل بعد أن وصل الى سدة الحكم وقضى على الخلافة الاسلامية ، وقع معاهدة (لوزان) المعقودة بينه وبين بريطانيا المجرمة التي قضت على الخلافة الاسلامية ، ومكنت اليهود من احتلال فلسطين كما هو معروف عن دور (بلفور) وزير خارجية بريطانيا آن ذاك .

وقد كان يمثل بريطانيا في معاهدة (لوزان) اللورد (كيرزون) و(رومبسولد) وكانت هذه المعاهدة تشتمل على أربعة شروط رئيسية هي :

أولاً : الغاء الخلافة الاسلامية .

ثانياً : قطع كل صلة بالاسلام .

ثالثاً : طرد وقتل أنصار الاسلام المتحمسين له .

رابعاً : تغيير الدستور الاسلامي الى دستور علماني[١] .

ولقد طبق أتاتورك هذه المعاهدة تطبيقاً تاماً ، فألغى الخلافة الاسلامية ومنع تدريس مواد الشريعة الاسلامية ومنع الزي الاسلامي ، واستبدل بلغة القرآن الحروف اللاتينية ، كما ألغى الحكم بالشريعة الاسلامية ، ووضع مكانها القوانين الوضعية التي جلبها من أوروبا .

وكان قصده من ذلك كله جعل تركيا وما حولها من بلاد الاسلام قطعة من أوروبا وأقسام مبدأ علمانية الدولة والحكم ، وعدم اعتبار الدين في أي شأن من شؤون الحياة .

هذا الشخص الذي فعل بالمسلمين هذا الفعل ما زال تمثاله الذي يرمز الى الخيانة والعمالة للأعداء ، أول ما تقع عليه عين القادم في مطار استنبول !! وتماثيله الأخرى منتشرة في كل منعطف وميدان ، وصورة تباع للسياح ، وكأنه منقذ امة او فاتح عظيم ، ولو كان كذلك لما جاز ذلك .

فكيف به وهو خائن لئيم ؟ والأعجب من ذلك أن الدستور الوضعي

---

(١) أنظر المصدر السابق ص ٢٨٣ ـ ٢٩٤ وانظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام / تاليف محمد محمود الصواف ص ١٢٨ .

في تركيا لا يزال حتى هذا اليوم حارساً اميناً على نظام أتاتورك العلماني الجاهلي ولا يستطيع احد من أبناء الشعب المسلم في تركيا أن يجهر بانتقاد هذا الطاغية الهالك أو يكشف مخازيه وفضائحه التي بقيت سراً لأكثر من خمسين عاما .

وفي هذه الايام تجرى محاكمة للدكتور نجم الدين أربكان زعيم حزب السلامة الاسلامي بتهمة السعي لاقامة دولة اسلامية في تركيا ، وقد طالب المدعي العام العسكري بإنزال عقوبة السجن لمدة (٣٦) سنة على الدكتور نجم الدين كما طالب بانزال عقوبة السجن لمدة (١٧) سبع عشرة سنة على ثلاثة وثلاثين من اعضاء حزب السلامة الاسلامي لأنهم يسعون لاقامة دولة اسلامية ، وهذه يرون أنها جريمة لأنها تخالف نظام اتاتورك العلماني[1] .

ولم يكن تمجيد هذا الطاغية مقصورا على تركيا وحدها ، بل إن كثيرا من الكتاب واصحاب الأقلام المأجورة والمخدوعة يمجدون هذا المجرم ويمتدحونه ، وكأن تحطيم الخلافة الاسلامية نصر عظيم وفتح مبين ، ولا غرابة على معظم الذين فعلوا ذلك لأنهم ينظرون إلى الأمور من خلال منظار اليهود والنصارى اليها ، ولكن الغرابة في الأمر ان ينساق من يدعي الاسلام الى الوقوف بجانب اعداء الاسلام . بينما يكيلون السباب والشتائم على سلاطين الدولة العثمانية وخاصة عبد الحميد الثاني الذي وقف في وجه المؤامرة اليهودية الصليبية رغم الضعف الشديد الذي يحيط بالدولة في عهده ورغم قوة أعدائه ، فقد أبى اباء المؤمن المعتز بإيمانه بالله عندما عرض عليه (قره صو)[2] المرسل من قبل (هرتزل) قائد اليهودية وحامي حماها ـ مبلغ مائة مليون ليرة ذهب باسم قرض طويل الأجل وبدون فائدة

(١) أنظر مجلة الإرشاد العدد العاشر لسنة الثالثة شوال (١٤٠١ هـ) ص ٣٧ .
(٢) أنظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام / محمد محمود الصواف ص ١٢٩ .

وتعهد أيضا باسم اليهود ببناء اسطول بحري لمشاركة الدولة العثمانية في صد الاعداء عنها ، وتعهد كذلك ببناء جامعة في القدس ، كل ذلك مقابل التنازل عن قطعة صغيرة ، من أرض فلسطين لليهود .

فأبى السلطان رغم حاجته الى المال والاستقرار وقال للوسيط (قره صو) وهو عثماني الجنسية (اغرب عن وجهي أيها الخنزير ، انا لن استطيع أن ابيع شبراً واحداً من أرض فلسطين لأنها ليست ملكي . بل هي ملك المسلمين جميعا أخذوها بدمائهم ، ولن يعطوها الا بدمائهم ، فليحتفظ اليهود بملايينهم ، وإذا مزقت دولتي يوماً فإنهم سيأخذونها بلا ثمن ، أما وأنا حي فإن عمل المشرط في بدني لأهون عليَّ من أن أرى فلسطين بُترت من دولتي ، وهذا امر لن يكون ، إني لا أستطيع الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة)[1] .

(رحمك الله) يا عبد الحميد ، لقد ظلمك التاريخ ، وظلمك أصحاب الاقلام الذين يتخذون من مؤلفات جورجي زيدان ، وفارس نمر ، وسلامة موسى ، مصدراً لتاريخهم ومعلوماتهم ، وما أدرك أولئك الجهلة أن ثلاثتهم قد تربوا في أحضان الصليبية ، وأنهم يعملون لها ، وأن مؤلفاتهم سلاح من الأسلحة التي تشهر في وجه الاسلام والمسلمين .

إن هذا الموقف في معاداة عبد الحميد ، وموالاة ومناصرة أتاتورك يعطي صورة واضحة على من يجهل معظم أفراد الأمة بأعدائها الحقيقيين الى حد يجعلهم ينصرون الظالم على المظلوم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . ولم يتعظ المسلمون من نتائج هذا الموقف مع اتاتورك وما من ذلك من جرائم وسيئات بل مر هذا الحدث بما فيه من مصائ عظام أثقلت وتثقل كاهل الأمة الاسلامية حتى هذا اليوم ، وم بعض المنتسبين الى الاسلام يمتدح ذلك العدو اللدود للاسا

(١) أنظر محاضرات في تاريخ فلسطين تأليف : د / أحمد طربين

أما المأساة الثانية التي كرر فيها الأعداء مواقف اتاتورك في صورة شخص آخر فهي مأساة المسلمين في مصر ، وخارج مصر ، تلك المأساة التي عاشها أبناء مصر الأوفياء لدينهم واسلامهم ، وعاشها معهم كل مؤمن مخلص غيور ، وذلك حين تآمر حفيد فرعون[1] جمال عبد الناصر ـ مع أعداء الإسلام والمسلمين ، العميل المزدوج للأمريكان واليهود والشيوعيين . فلقد قال عنه خالد محي الدين ـ وهو من المقربين اليه ـ إن عبد الناصر كان على علاقة مع وكالة المخابرات الأمريكية عن طريق (كيرميت روزفلت) المهندس الامريكي لثورات المنطقة[2] . وقد ذكر (مايلز كوبلاند) صديق عبد الناصر الحميم عن تلك العلاقة بين عبد الناصر والادارة الامريكية فيقول عن عبد الناصر (إنه لا يعمل كما يظن كثيرون نتيجة استثار ، أو نزوة أو أي دافع من البواعث السطحية . إننا (نحن رجال المخابرات الامريكية) قد رسمنا له الطريق فسار فيه . وقد تكون النتائج غير ذلك لو أنه أُعد اعداداً من نوع آخر)[3] .

وقد أشار الدكتور / محمد صادق الى هذا الارتباط بما لا يدع مجالا للشك بأن عبد الناصر تآمر مع اعداء الاسلام الصليبيين للقضاء على الاسلام والمسلمين[4] . وعبد الناصر كما هو عميل للصليبيين هو كذلك عميل لليهود لأن اليهودية والصليبية يعملان معا ضد الاسلام وينسقان الخطط فيما بينهما لحرب الإسلام والمسلمين . والأدلة على عمالة عبد الناصر لليهود ما يلي :

لا : صرح رجل عدل كان أحد ابطال فلسطين ، الذي عرفه اليهود قبل

الولد . أنظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ١٨٣ .

ان ـ جار رزق ص ١٣ .

مايلز كوبلاند ص ٢٣٩ ترجمة إبراهيم جزيني .

الميكيافيلية في العلاقات العربية الأمريكية الدكتور / محمد صادق

ان يعرفه غيرهم ، وهو اللواء معروف الحضري (رحمه الله) الذي كان أحد أبطال حرب (١٩٤٨) وهو الذي مد يد العون للجنود المصريين المحاصرين في (الفالوجه) وكان عبد الناصر احد هؤلاء المحاصرين هناك وبعد فك الحصار ورجوعهم الى المخيم قال معروف الحضري انه شاهد عبد الناصر يخرج من بين خطوط الحصار ويدلف الى خطوط اليهود بعد منتصف الليل بغير علم قيادته ، وبغير أمرها ، وأنه شاهده اكثر من مرة يفعل ذلك تحت جنح الظلام وكانت سيارة عسكرية يهودية تنتظره على مقربة من خط المواجهة يستقلها ثم يعود فيها مع خيوط الفجر الأولى ، ولا ندري ماذا كان يفعل إلا ما دهمت به مصر بعد ذلك بثلاث سنوات .

ثانيا : يوجد وثيقة بخط عبد الناصر كتبها بيده بعد أن وقع معروف الحضري بأسر اليهود ، وصلت الى معروف يطلب منه فيها التعاون مع ضابط المخابرات اليهودية المدعو (كوهين) الأمر الذي رفضه معروف الحضري (رحمه الله) .

ثالثا : صرح بن غورين مؤسس دولة اسرائيل في عام (١٩٥٠) في الكنيست الاسرائيلي قائلا : ان انقلابا عسكريا سيقع في مصر لن نكن نحن معاشر اليهود أقل فرحا به من المصريين أنفسهم ، ويقصد بذلك الانقلاب الذي أوصل عبد الناصر الى الحكم في مصر ، فكان ما كان في مصر مما أثلج صدور الكفار أجمع ما عدا أهل الإسلام .

رابعا : جاء في مجلة يهودية تدعى (يدعوت أحرينوت) قولها : إن اسرائيل مارست ضرب الحركات الإسلامية خلال الثلاثين عاما الماضية عن طريق أصدقائها في العالم العربي[1]. وهذا ما حصل في مصر

---

(١) أنظر فيما تقدم محاضرة مسجلة للدكتور / علي جريشة بعنوان أعداء في طريق الدعوة . تسجيلات اليمامة ـ الرياض ـ البطحاء ـ عمارة النيل .

على يد ذلك السفاح وما يحصل في وقتنا الحاضر على يد عملاء الكفار الشرقيين والغربيين .

خامسا : نشرت إحدى المجلات الانجليزية (نيوستيتسمان) في عددها الصادر في الثاني من أكتوبر عام (١٩٧٠) بعد أن جللته بالسواد حدادا على عبد الناصر مقالا للمستر (سكوتسمان) الذي يعترف بأنه صهيوني بارز ولكنه يرثي (جمال عبد الناصر) لما قدمه لليهود من خدمات لا تعوض بثمن وصدق الله العظيم حين قال ﴿ **ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم** ﴾[١] ويضيف (سكوتسمان) قائلا : كان أول لقاء لي مع عبد الناصر سنة (١٩٥٣) الأمر الذي جعلني أرتبط معه بصداقة شخصية استمرت سنوات طويلة ، ثم يقول : لقد نزلت ضيفا عند عبد الناصر في إحدى الليالي بمنزله الكائن بجوار الثكنات (منشية البكري) وقد شهر بتكريمه لي عندما جلست معه جلسة خاصة للعشاء على مائدة المطبخ ، لا على مقاعد غرفة الطعام بالصالون المعتاد ، ولقد دعاني الى رؤية بناته في غرفة النوم بعد أن سارعت زوجته الى الاختفاء[٢] .

سادسا : جاء في مذكرات موشي ديان - وزير الدفاع الاسرائيلي سابقا - أن حسن التهامي قال له : إنه كان للاستخبارات المصرية عميل اسرائيلي في منصب استراتيجي ، وكان ضابطا كبيرا في الجيش الاسرائيلي ، وقد أبلغ المصريين بأن الحرب ستقوم خلال الفترة ما بين (٣ - أو - ٦) من حزيران - وردا على السؤال : لماذا لم يوضع سلاح الجو المصري في حالة تأهب قصوى ؟ ولماذا لم تكترث

(١) سورة البقرة آية (١٢٠) .

(٢) أنظر الدبلوماسية والميكيافيلية في العلاقات العربية الأمريكية د / محمد صادق ص ز من المقدمة .

القيادة المصرية بهذه المعلومات ؟؟ قال التهامي : إن الرئيس المصري آنذاك جمال عبد الناصر كان شريكا في المؤامرة الاسرائيلية[1] .

سابعا : نقلت وكالة ـ أ . ب : فيلادلفيا ـ أن هناك عدة صحف أميركية نشرت سلسلة من التصريحات أدلى بها ـ ايلمورجاكسون ـ مراقب لجنة خدمة أصدقاء أمريكا لدى الأمم الامتحدة وعضو كنيسة الكويكر ـ قال : « إن الرئيس المصري جمال عبد الناصر أجرى إتصالات مع الإدارة الأمريكية عام (١٩٥٥ م) من خلال سفيره في واشنطن « أحمد حسين ـ لمصالحة اليهود » وقال جاكسون في ختام تصريحاته : « إن كثيرين ممن وضعوا ثقتهم في الرئيس المصري « جمال عبد الناصر » وكانوا من أنصاره قد يدهشون لقيامه بهذه الجهود لكن الحقيقة أنه قام بذلك . وقد حال دون ذلك إستراتيجية السياسة اليهودية في ذلك الوقت . ا . هـ.[2]

إن الدور الذي لعبه جمال عبد الناصر في تحطيم عقيدة الأمة وأخلاقها وتسليم المساحات الشاسعة من أرض الاسلام والمسلمين بما فيها القدس لليهود بلا ثمن لهو دور عظيم لا يقارن به إلا الدور الذي قام به (كمال أتاتورك) من قبله .

فكلاهما لعب دورا مأسويا في تاريخ الإسلام والمسلمين ، وكلاهما صنعا مأساة لم يصنعها أحد غيرهما في زمانهما ومكانهما فالإثنان حققا لليهود. . . .) أغلى أمانيهم !!!

الأول : أسقط الخلافة الإسلامية ، وشتت البلاد الإسلامية دويلات وإمارات مبعثرة متناحرة ، وأنشأ مبدأ العلمانية في الحكم والتشريع .

---

(١) أنظر مجلة المجتمع عدد ٥٢٢ السنة الحادية عشرة ف ١٤٠١/٥/٢٥ هـ . ص ١٦ .

(٢) أنظر مجلة الإصلاح السنة السادسة ـ العدد (٥٨) ربيع الأول عام ١٤٠٣ هـ ص ٢٧ .

والثاني : منح اليهود نصرا مؤزرا وأعطاهم أرضا وأماكن لم يحلموا بالوصول إليها بهذه السرعة ، ويمثل هذه السهولة . وأعقبه السادات فمنح اليهود صك التملك الشرعي لأراضي المسلمين ومقدساتهم .

هذه نماذج للقيادات الظالمة الطاغية التي لم تترك وراءها أي معلم من معالم البناء الحقيقي للأمة سوى الهزائم المتكررة في مجال الحرب العسكرية والحرب الثقافية، والحرب الأخلاقية والتي جميعها أثقلت كاهل الأمة في حاضرها ومستقبلها . إن البناء في مفهوم تلك القيادة الضالعة في موالاة أعداء الإسلام وتبعيتهم هو نشر الفساد الأخلاقي والانهيار الاجتماعي ، وقتل عشرات الآلاف من أبناء المسلمين في الحرب العشوائية ، وداخل السجون والمعتقلات الرهيبة إن جرائم هؤلاء قد تجاوزت البالغين إلى الأطفال الرضع ونسوق حادثة واحدة من آلاف الحوادث إلى الذين استعبدهم حب عبد الناصر ؛ ليروا مدى العطف والعناية التي يقدمها محبوبهم إلى أبناء المسلمين .

لقد ذهب عبد الناصر في زيارة لروسيا الشيوعية وعدوة الإسلام الأولى ، ومن أجل ترضية سبعة عشر يهوديا أعضاء في مجلس السوفيت الأعلى[1] . أمر عبد الناصر وهو في موسكو باعتقال جميع الإخوان المسلمين وكان من ضمن الإخوان أخ كريم يعيش بالإسكندرية ، وكان الضابط المكلف باعتقاله يدعى (عبد العزيز الصوابي) فذهب إليه مع بعض زبانيته في ساعة متأخرة من الليل . ثم اعتقله واعتقل زوجته معه ، وترك في البيت ثلاثة أطفال أكبرهم دون الخامسة وأصغرهم رضيع ، وفي الصباح استيقظ الأطفال فوجدوا الباب مغلقا وليس عندهم أحد ، وعند منتصف النهار مر شقيق الزوجة في زيارة عابرة فنادى على من في الدار فلم يجبه إلا صياح الأطفال وصراخهم وخاطب أكبرهم أين أمك ؟ وأين أبوك ؟ وأجاب : قمنا من النوم فلم نجدهما !!!

---

(١) أنظر الكيد الأحمر / عبد الرحمن حنبكة ص ٩٣ .

وفتح الباب بعد مخاطرة عظيمة فوجد الأطفال الثلاثة في وضع تتفطر له الأكباد !!

إن هذه الصورة وغيرها مئات وآلاف الصور المحزنة المبكية ، ومن أراد المزيد من تلك الصور فليرجع إلى الكتب المطولة في ذلك[1].

ان هذا ليس غريبا من شخص باع دينه بدنياه واستعبده حب المنصب والجاه حتى ولو كان على أشلاء الأبرياء والمظلومين ، من الذين لا ذنب لهم ، إلا أنهم قالوا ربنا الله ثم استقاموا ، هذه معاملة عبد الناصر لأبناء المسلمين أما (سكوتسمان) اليهودي الصهيوني فله مكان خاص في بيت الرئيس[2] . إن تآمر عبد الناصر مع اليهود والنصارى وغيرهم من كفار الأرض أمر لا غرابة فيه .

ولكن الغريب في الأمر أن يفعل بالمسلمين هذا الفعل هو وزبانيته ومع ذلك كله نجد الملايين في مصر وخارج مصر تسبح بحمد هذا العميل وتقدسه ، وتمنحه أعظم الأسماء وأجل الأوصاف والألقاب ، وما ذلك إلا نتيجة جهلها بحقائق الأمور ، واعتمادها على وسائل التجهيل والتضليل في الداخل والخارج التي جعلت من الدمية أعظم أسطورة، ومن الفأر أسداً ضرغاماً، وذلك حتى تتم فصول المؤامرة ويتحقق الدور الذي رسمه أعداء الإسلام لها بسلام . فقد استشهد سيد قطب (رحمه الله) وغيره من العلماء الأجلاء ولم نر أو نسمع من الملايين المضللة التي خرجت تطالب ببقاء عبد الناصر بعد هزيمته المنكرة أي احتجاج أو استنكار في الوقت الذي كان يجب على الجماهير أن تفعل عكس ذلك تماما ، ولكن من يعي ويبصر أو من غير العرب يصفق لقائد مهزوم ؟!!

---

(١) أنظر مذبحة الإخوان في ليمان طرة ـ جابر رزق ، وانظر البوابة السوداء أحمد رائف ، وانظر القابضون على الجمر / محمد أنور رياض وانظر نافذة على الجحيم ، لعدد من الكتاب . وانظر الفراعنة الصغار ، د/جابر رزق ص ١٠٢ .

(٢) أنظر صفحة ٣٣٠ من هذه الرسالة .

عجبت لمصر تهضم الليث حقه   وتفخر بالسنور ويحك يا مصر
سلام على الدنيا سلام على الورى   إذا ارتفع السنور وانخفض النسر[1]

ويقول الشاعر :

ولا خير من قوم تذل كرامهم   ويعظم فيهم نذلهم ويسود[2]

أن من العقبات الشديدة في وجه الدعاة والمصلحين في هذا العصر تلك الجموع البشرية المضللة التي تعيش على هامش الحياة ، وهي سلاح قوي في يد أعداء الإسلام ، ودعاة الضلال والانحراف ، وهم لا يتكلفون في توجيه هؤلاء الدهماء ضد الإسلام والمسلمين ، بأكثر من دغدغة عواطفهم بالمال والجنس ولغو الحديث ، مع إيغار صدورهم ضد الحق ودعاته ، وعندئذ تكون هذه الفئة سلاحا بأيدي أعداء الإسلام والمسلمين . ان انتشار هذه الفئة الجاهلة الغبية في معظم أقطار المسلمين كان من أهم أسباب ضعف الموالاة والمعاداة في الله ! ولذلك يجب على كل مسلم أن يساهم في حل هذه المشكلة الحادة المعقدة .

والحل لا يخرج عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإنما دورنا هو كيف نجعل الناس يفهمون الإسلام فهما صحيحا ويلتزمونه قولا وفعلا .

والطريق في نظري لإفهام الناس ينقسم الى قسمين :

القسم الأول : هو دور الاتصال الشخصي في نشر التصور الإسلامي الصحيح ، فلو أخذ كل منا على عاتقه إبراز مفاهيم الإسلام وقيمه العادلة للناس في كل لقاء يلتقي به مع غيره من الناس لكان لذلك أثر عظيم في جلاء ظلمة الجهل عن الناس وتصحيح نظرتهم للإسلام ومقاصد المسلمين .

---

(١) أنظر مجلة الإصلاح عدد ٢٦ في جمادى الثاني (١٤٠٠) ص ١٨ .
(٢) معجم الأدباء لياقوت الحموي جـ ٨ ص ٢٥٨ .

القسم الثاني : هو دور التعليم ووسائل الإعـلام في تعميق مفهوم الإيمان وإعطاء التصور الصحيح للدين الإسلامي ونظامه في الحياة ، مع بيان الخصائص التي تميزه عن النظم الجاهلية كلها . إننا لو استطعنا أن نجعل الناس يهتمون بالإسـلام وقضايـاه المختلفة كـاهتمامهم بقضـاياهم الشخصية، لكان ذلك فاتحة خير وطريقا إلى الوصول إلى الهدف الأسمى في تطبيق الإسلام وتنفيذ أحكامه .

ولكن للأسف الشديد فإن غالبية الناس عن الإهتمام بالدين وقضاياه غافلون ، فكل ما يفهمه أو يهتم به بعض المنتسبين إلى الإسلام هو تأدية الشعائر التعبيدية من صلاة وزكاة وصوم وحج ، أما الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله ومحاربة المنكرات الظاهـرة ظهور الشمس في رابعـة النهـار وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائـه ، فهم عنها غـافلون وعن التشبث بها معرضون .

ومن الأمثلة على جهل بعض المسلمين بالإسلام وتصوره تصورا ناقصا خاطئا ما ذكره جمال الدين الأفغاني (رحمه الله) حيث يقول : (إنك إذا سألت الهندي المسلم عن الإسلام ، كان يجيبك بأنه يحمد الله على أنه من أكلة لحوم البقر . هذا كل ما يفهمه عن الإسلام أنه يبيح لحم البقر طعاما للناس)[1] آ. هـ. وليس كل أهل الهند المسلمين بهذا الوصف ، ولكن الغالبية العظمى منهم ومن غيرهم في البلاد الإسلامية لا يخرجون عن نطاق هذا الفهم القاصر للدين الإسلامي .

والسبب في ذلك والله أعلم أن أكثر المسلمين يأخذون إسلامهم عن طريق التقليد لأناس هم أبعد ما يكونون عن الإسلام الصحيح علما وعملا وهذا الأمر هو أعظم مصدر من مصادر الجهل المنتشر بين المسلمين وقد اختلف العلماء في التقليد على قولين :

---

(١) أنظر الإيمان وأثره في نهضة الشعوب / يوسف العظم ص ١٣٤ .

القول الأول : قول جماعة نفت التقليد وأنكرته وذمته ، وقالت في تبرير ذلك أن الناس أحد رجلين .

أ - إما عامي فيجب عليه أن يتعلم ما يستقيم به دينه ، ولا فائدة له في لزوم مذهب معين ، فإنه كالأمي الذي يدعي أنه يقرأ وهو ليس بقارىء ، أو يدعي أنه كاتب وليس بكاتب ، فيدعي أنه على مذهب وهو لا يعرفه ، ولا يعرف الصحيح من والضعيف .

ب - والرجل الثاني فقيه عالم بالكتاب والسنة ، فلا يصح أن يقدم على شيء بغير حجة ولا دليل[1] .

وقد ذم الله التقليد والاتباع على غير هدى كما ذكر الله عن الكفار في قوله تعالى : **﴿ إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون ﴾**[2] . وقال تعالى : **﴿ يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله وأطعنا الرسول، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ﴾**[3] . وقد أمر الله عباده باتباع ما أنزل على رسوله قال تعالى : **﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾**[4] .

وقد بيّن تعالى أن الذين يقلدون غيرهم بلا وعي ولا تعقل يندمون على ذلك يوم القيامة عندما يرون العذاب الأليم قال تعالى : **﴿ وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرَّة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار ﴾**[5] .

(١) أنظر مجموعة التوحيد ص ١٥٠ وانظر أصول مذهب الإمام أحمد للدكتور عبد الله عبد المحسن التركي ص ٦٧٥ - ٦٨٩ وانظر إيقاظ همم أولى الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار / صالح بن محمد نوح الفلاني ص ١٥٣ - ٢١٤ .

(٢) سورة الزخرف آية (٢٣) .

(٣) سورة الأحزاب الآيات (٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨) .

(٤) سورة الأعراف آية (٣) .

(٥) سورة البقرة آية (١٦٧) .

القول الثاني: قول من يقول إن التقليد أمر ضروري يباح عند الضرورة فليس في قدرة كل الناس معرفة الأدلة التفصيلية من الكتاب والسنة ولكنهم استرطوا أن يكون التقليد لأحد الأئمة في ما وافق الكتاب والسنة فقد صرح الأئمة بأنه لا يجوز تقليدهم تقليدا مطلقا في كل شيء، لأن التقليد المطلق خاص بالمعصوم ﷺ فيما لم ينسخ أو يكون مخصوصا به دون غيره[1]. فقد أمرنا الله بمتابعته بقوله تعالى: ﴿ **لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر** ﴾[2].

أما ما عدا الرسول ﷺ فيؤخذ من قوله ويرد ولذلك نرى أن الأئمة والفقهاء قد أوثر عن كل واحد منهم ما يدل على ذم التقليد والمتابعة المطلقة لغير رسول الله ﷺ[3].

ومن الأقوال التي رويت عنهم ما يلي:

١ - قال أبو حنيفة (رحمه الله) : (هذا رأيي فمن جاءنا برأي خير منه قبلناه) وقال: (هل لأحد قول مع قول النبي ﷺ)[4].

٢ - قال بشر بن الوليد[5] قال أبو يوسف[6] صاحب أبي حنيفة (لا يحل

---

(١) أنظر مجموعة التوحيد ص ١٥٠ - ١٥٢ وانظر أصول مذهب أحمد د/عبد الله التركي ص ٦٧٦ - ٦٨٩.

(٢) الأحزاب آية (٢١).

(٣) أنظر مجموعة التوحيد ص ١٥٠ - ١٥٢.

(٤) المصدر السابق ص ١٥١.

(٥) هو بشر بن الوليد بن عبد الملك ابن الخليفة الوليد الأول من أم ولد، وقد عرف بعالم بني مروان لغزارة علمه، وكان بشر أميرا للحج عام (٩٥ هـ) كما اشترك في بعض الفتوحات الإسلامية في آسيا الصغرى وتولى قيادة الأسطول المصري فرسا في تراقيا ووصل في توغله حتى أدرنة، ولا يعرف تاريخ وفاته. أنظر دائرة المعارف الإسلامية جـ٣ ص ٦٦٠.

(٦) هو يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي (أبو يوسف) ولد بالكوفة سنة (١١٣ هـ) وتفقه على أبي حنيفة وسمع من عطاء بن السائب وطبقته، وروى عنه محمد بن الحسن الشيباني، وأحمد بن جنبل، ويحيى بن معين، وأبو يوسف، فقيه، =

لأحد أن يقول مقالتنا حتى يعلم من أين قلنا)[١] .

٣ ـ قال الإمام مالك (رحمه الله) : (كل يؤخذ من قوله ويرد إلا قول صاحب هذا القبر) يشير الى رسول الله ﷺ. وقال أيضا : من ترك قول عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) لقول ابراهيم النخعي أنه يستتاب فكيف من ترك قول رسول الله ﷺ ملن هو دون ابراهيم النخعي[٢] .

٤ ـ قال الإمام الشافعي (رحمه الله) : (إذا صح الحديث فهو مذهبي) وفي لفظ (إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولي الحائط)[٣] .

٥ ـ قال أبو داود : قلت : (لأحمد ، الأوزاعي ، أهو أهل أن يقلد ؟ أم مالك ؟ فقال : لا تقلد في دينك أحدا من هؤلاء إلا ما جاء عن النبي ﷺ وأصحابه فخذوه)[٤] .

٦ ـ قال أحمد (رحمه الله) : (عجبت لقوم عرفوا الاسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿ **فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم** ﴾[٥] .

٧ ـ قال عبد الله[٦] بن المعتم . لا فرق بين بهيمة تنقاد وإنسان يقلد[٧] .

= محدث أصولي ؛ مجتهد ، حافظ ، عالم بالتفسير والمغازي ، وأيام العرب ، ولى قضاء بغداد لثلاثة من الخلفاء العباسيين ، وتوفي بها في ربيع الاخر سنة (١٨٢ هـ) ودفن بكرخ بغداد بقرب أم جعفر زبيدة . من آثاره ، كتاب الخراج ، المبسوط في فروع الفقه الحنفي ويسمى بالاصل ، كتاب في آداب القاضي على مذهب أبي حنيفة ، (أنظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحالة جـ ١٣ صص ٢٤٠ .

(١) أنظر مجموعة التوحيد ص ١٥١ .

(٢) المصدر السابق المكان نفسه.

(٣) أنظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٢٣ .

(٤) أنظر مجموعة التوحيد ص ١٥١ ـ ١٥٢ .

(٥) سورة النور آية (٦٣) .

(٦) هو عبد الله بن المعتم كان على احدي المجنبتين يوم القادسية وأرسله سعد بن أبي وقاص من العراق إلى تكريت ففتحها وأرسل عبد الله بن المعتم ربعة بن الافكل الى نينوي والموصل ففتحهما وكان ذلك سنة (٢٠ هـ) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٤ .

(٧) أنظر مجموعة التوحيد ص ١٥٢ .

٨ - قال ابن مسعود[١] (رضي الله عنه) : (لا يقلدن أحدكم رجلا إن آمن آمن ، وإن كفر كفر ، فإنه لا أسوة في الشر)[٢] .

قال الشاعر :

تخالف الناس فيما قد رأوا ورووا   وكلهم يدعون الفوز بالظفر
فخذ بقول يكون النص ينصره   إما عن الله أو عن سيد البشر[٣]

وهذا لا يعني حرمة إتباع العلماء فيما يقولون من حق وصواب ولكن الأمر الذي نريد تقريره ، أنه ليس واجب على الأمة إتباع العلماء كإتباع الرسول ﷺ .

وبناء على ذلك لا يحرم تقليدهم فيما وافق الحق والصواب ، كما يحرم تقليد من يقول بغير علم ، أو من يستمد أقواله وأفعاله من مناهج الكفر والضلال[٤].

فالعلماء يجري عليهم الخطأ والنسيان ، ومنهم من يقع في مصائد الولاة الكفرة فيبيع دينه بعرض من الدنيا .

من أجل ذلك كله فهم ليسوا معصومين من الخطأ وليس البعض منهم

(١) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب حليف بني زهرة ، كان أبوه مسعود قد حالف بني زهرة في الجاهلية ، وأمه أم بنت الحارث من هذيل كان إسلامه قديما أول الإسلام حين أسلم سعيدا بن زيد وزوجته فاطمة بنت الخطاب (رضي الله عنها) وذلك قبل إسلام عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . وروى عن ابن مسعود انه قال لقد رأيتني سادس ستة ما على ظهر الارض مسلم غيرنا ، وهو أول من جهر بالقرآن بمكة وهاجر الهجرتين وصلى القبلتين وشهد بدرا واحدا والخندق وبيعة الرضوان وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ وهو الذي اجهز عل أبي جهل ، وشهد له رسول الله ﷺبالجنة، وقد توفي ابن مسعود (رضي الله عنه) بالمدينة سنة (٢٣ هـ) ودفن بالبقع . انظر اسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ ص ٢٥٦ ـ ٢٦٠ .

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ١٥٢ .

(٣) أنظر مجموعة التوحيد ص ٣٣١ .

(٤) أنظر مجموعة التوحيد ص ٥٧٨ ـ ٥٧٩ .

حجة في مواقفه في بعض القضايا والأحداث ، فمن أحسن الظن ببعضهم من غير نظر إلى الكتاب والسنة هلك[1] . وخلاصة القول في هذه المسألة أن التقليد مذموم فيما يتعلق بأصول الأحكام دون فروعها .

أما من تحرى الحق في مسألة فرعية والتزم ذلك في حياته فلا ضير عليه سواء كان ذلك علماً تعلمه أو تقليدا لمن وافق عمله الكتاب والسنة[2] . فإن الله سبحانه وتعالى أمرنا باتباع أهل العلم فيما يفتون به من أحكام قال تعالى : ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون** ﴾[3] .

لذلك فإن تقليد العلماء العاملين بالشريعة الإسلامية عليه بعض التحفظات فما عذر أولئك الذين يقلدون اليهود والنصارى والمرتدين والمنافقين بغير سلطان آتاهم ؟ .

إنه لا عذر لهم سوى اتباع الهوى والشيطان والمكابرة عن الحق وأهله أعاذنا الله من ذلك .

يقول الشاعر سليمان بن سحمان :

فمن كابر النص الصريح معاندا ... وحلل تقليدا لما الله حرما
وقلد متبوعا له ومقلدا ... فهل كان ذا من أناب وأسلما[4]

وقد أخبر رسول الله ﷺ عن غربة الإسلام بقوله ﷺ (بدأ الإسلام غريبا وسيعود كما بدأ غريبا فطوبى للغرباء)[5] .

فهذا الحديث يدل على أن للدين اقبالا وإدبارا ، وأن من أقباله أن

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٧٠ .
(٢) انظر أصول الفقه / تأليف / محمد الخضري بك ص ٣٨٠ .
(٣) سورة النحل آية (٤٣) .
(٤) أنظر ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان / سليمان بن سحمان ص ٢١٥ ـ ٢١٦ .
(٥) رواه مسلم انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ١٣٠ .

تفقه القبيلة وتسترشد حتى لا يوجد فيها إلا منافق أو منافقان فهما خائفان مقهوران ذليلان . وإن من علامات غربته أن تجفوا القبيلة بأسرها حتى لا يوجد فيها إلا مؤمن أو مؤمنان فهما خائفـان مضطهـدان[1] . وقد وقـع مصداق ذلك في هذا العصر حتى صار المعروف منكرا والمنكر معروفا في كثير من بلاد المسلمين ، وفشى الجهل بين الناس والتقليد الأعمى لأهل الكفر والضلال ، فنشأ على ذلك الصغير وهرم عليه الكبير ، واعتقد أكثر الناس أن ما هم عليه من عاداتِ الكفر وصفات الكفار لا تتعارض مع الإسلام ، لعظيم جهلهم ، وشدة غفلتهمْ ، وبعدهم عن أحكام الإسلام بل إنهم يصفون من ينكر عليهم باطلهم وضلالهم بالكفر والتطرف والإنحراف عن الإسلام ، وينسبون إليه العمالة للأعداء والرجـوع بالأمـة إلى الوراء والتخلف ، وتحطيم منجزات الأمة وإيجاد بذور الفتنة والإنقسام وللأسف فإن هذه الفرية التي يرددها أعداء الإسلام لتشويه الحق وأهله تنطلي على كثير من مدعي الإسلام ، وهذا الفهم الخاطىء لما يقـال عن الإسلام والمسلمين لا يعفي هؤلاء من المسؤولية أمام الله عز وجل.

فقد قال الفقهاء : إنه يكفي في العلم بالشيء إمكان العلم به ، فمتى بلغ الإنسان سن التكليف وهو عاقل مختار ، وكان ميسرا له أن يعلم الحق من الباطل ، والحرام من الحلال ، إما بالرجوع للنصوص الموجبة للتحريم والتحليل ، وإما بسؤال أهل الذكر أعتبر عالما بالأفعال المباحة والأفعال المحرمة ، ولم يكن له أن يعتذر بالجهل ، أو يحتج بعدم العلم ، ولهذا يقول الفقهاء : (لا يقبل في دار الإسلام العذر بجهل الأحكام)[2] .

ويعتبر المكلف عالما بالأحكام بامكان العلم لا يتحقـق العلم فعلا ومن ثم يعتبر النص المحرم معلوما للكافة ولو أن أغلبهم لم يطلع عليه ، أو يعلم عنه شيئا ، ما دام العلم به ممكنا لهم بسؤال أهل الذكر عنه .

(١) انظر الدرر السنية جـ ١١ ص ١٠٦ ـ ١٠٧ .
(٢) أنظر التشريع الجنائي الإسلامي / عبد القادر عودة جـ ١ ص ٤٣٠ .

ولم تشترط الشريعة تحقق العلم فعلا ، لأن ذلك يؤدي إلى الحرج وفتح باب الادعاء بالجهل على مصراعيه ، ويعطل تنفيذ النصوص الشرعية بدعوى الجهل بها . فقد روى عن رسول الله ﷺ انه قال : (لو يعطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأموالهم) . . الحديث[1] .

ولذلك لم يجعل الباري عز وجل دعوى الجهل سببا لرفع الجناية عن المعتدي فلا ترتفع عن المعتدي المسؤولية الجنائية فيما اعتدى عليه بدعوى جهله بذلك[2] .

ومن ذلك يتأكد لى أنه لا عذر للذين يدَّعون الإسلام وهم يناصبون المسلمين العداء في البلاد الإسلامية فيقفون مع كل طاغية ضد كل داعية ولو جهلوا أو ادعوا الجهل في فهم حقيقة الإسلام والمسلمين ، لأن الواجب الشرعي عليهم يقتضي التثبت في اتخاذ المواقف من أهل الخير أو أهل الشر ، قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين** ﴾[3] .

إن واجب المنتمين إلى الإسلام أن يعرفوا نوعية من يتعاملون معهم وينزلوهم حسب المنزلة التي ينزلهم الشرع إياها ، ولا يكونوا امعات تصفق لكل ناعق وتصدق كل منافق ، فهذا الصنف من الناس هو الذي اعتمد عليه الطغاة في حرب الإسلام والمسلمين .

يقول الشاعر :

فكم خائن باع البلاد سموا به	إلى الأوج فهو الفارج الكربات
وكم ملحد مستهتر العرض قد غدا	بسحرهم يدعى أبا لبركات
وكم سارق قوت المساكين صوروا	على الطرس منه مبدع الحسنات

(١) رواه مسلم . أنظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ٢ .

(٢) انظر التشريع الجنائي الإسلامي / عبد القادر عودة جـ ١ ص ٤٣٠ - ٤٣١ .

(٣) سورة الحجرات آية (٦)

أراقوا على أقدامه المدح خشعا كما عكف الغاوون حول منات
آضاليل أملاها النفاق وحطمت بقية ما للدين من حرمات
فواها على الإسلام تهوى صروحه بأيدي جناة من بنيه عماة[1] .

ويقول الأديب المصري ، توفيق البكري مشيرا الى أن أسباب الطغيان وأساسه هو الجهل :

لا تعجبوا للظلم يغشى أمة فتبوء منه بفادح الأثقال
ظلم الرعية كالعقاب لجهلها ألم المريض عقوبة الإهمال[2] .

---

(١) أنظر شعراء الدعوة الإسلامية جـ ٥ ص ٣٣ ـ ٣٤ .
(٢) أنظر بروتوكولات حكماء صهيون ص ٨٤ . ترجمة محمد خليفة التونس .

الفصل الثاني

الاختلاف في مسألة من مسائل الفروع

إن الاختلاف من الظواهر العادية بين الناس نظراً لاختلاف القدرات الفكرية والجسمية والعقلية بين البشر، فما يراه إنسان مصلحة قد يراه إنسان آخر مفسدة، وما يحبه شخص قد يبغضه شخص آخر، ولهذا كله أنزل الله تعالى للناس تشريعاً يحقق لهم الخير في كل زمان ومكان، ويجنبهم شر تضارب الآراء واختلاف النزعات، كما هو حاصل في الأنظمة الوضعية[1].

ولذلك فإن الاختلاف بعد نزول القرآن الكريم والسنة النبوية يجب حسمه عن طريق الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً﴾[2].

---

(١) انظر أسباب اختلاف الفقهاء، د. /عبد الله عبد المحسن التركي ص ٩.

(٢) سورة النساء، آية (٥٩).

والخلاف الذي يجري بين المنتسبين إلى الإسلام يمكن تقسيمه إلى قسمين: -

(١) اخلاف في فروع الشريعة الإسلامية.

(٢) اختلاف في أصول الإسلام.

وحيث إن هذا الفصل خاص باختلاف الفروع فسوف نؤجل البحث في مسألة الاختلاف في الأصول إلى مبحث الموالاة والمعاداة للفرق التي تدعي الإسلام.

أما الاختلاف في الفروع فينقسم إلى قسمين:

(أ) اختلاف تنوع في الفروع.

(ب) اختلاف تضاد في الفروع.

واختلاف التنوع في الفروع ينقسم الى أربعة أقسام هي:

أولاً: أن يكون الحق في كل من القولين مع اختلاف الصور في ذلك وذلك مثل صلاة الخوف بصورها المتعددة[١].

ثانياً: أن يكون كل من القولين في معنى الآخر مع اختلاف لفظهما وذلك مثل ألفاظ الحدود والتعريفات.

ثالثاً: أن يكون المعنيان متغايرين ولكن كل قول صحيح مع اختلاف العبارة مثل تفسير القرء بالحيض أو الطهر[٢].

رابعاً: أن يكون الخلاف في طريقين مشروعين كلاهما حسن، ولكن الجهل والظلم يحمل على ذم أحدهما دون الآخر وذلك مثل صفة صلاة التراويح[٣].

---

(١) انظر المغني والشرح الكبير/لابن قدامة جـ٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٩.

(٢) انظر المعجم الوسيط جـ٢ ص ٧٢٩.

(٣) أنظر الفقه على المذاهب الأربعة عبد الرحمن الجزيري جـ١ ص ٣٤٠ - ٣٤٢.

والخلاف في مثل تلك الصور المتقدمة وأمثالها يجب أن لا يورث عداوة ولا بغضاء، بل هو من اختلاف التنوع الذي فيه رحمة وتيسير على المسلمين في عباداتهم وفي شؤون حياتهم العامة[1].

أما النوع الثاني من أنواع الاختلاف في الفروع وهو اختلاف التضاد في الفروع، فهذا لا يوجب الكفر أو الخروج من الإسلام ما دام هذا الاختلاف مبنياً على تأويل من دليل يعتقد المخالف صحته، وذلك مثل بعض فرق أهل الكلام[2]، فلا يجوز تكفيرهم إلا إذا أنكر المخالف حكماً شرعياً ثابتا بالتواتر القاطع والإجماع الصحيح، أو خالف بتأويل مجرد عن الدليل، وإنما لمجرد الظن والهوى فإنه يكفر بمثل هذه المخالفة التي لا تستند إلى دليل[3]. وهذا النوع من الخلاف في المسائل الفرعية هو الممنوع وقوعه بين المسلمين، لأن أحد المخالفين لا بد أن يكون مخطئاً وضالاً عن طريق الصواب.

فاختلاف التضاد في مسائل الفروع، هو أكثر أنواع الاختلاف خطورة حيث يؤول بالأمة إلى العداوة والبغضاء بل إلى سفك الدماء واستباحة الأموال والأعراض، وهذا كله سببه الجهل بأحكام الإسلام وعدم فقهها وفهمها فهماً صحيحاً، وذلك راجع إلى سوء الطوية عند المخالف كما يفعل بعض المنافقين، أو إلى التقليد الأعمى لأهل النفاق والضلال الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ومثل أولئك أهل التأويل الذين يؤولون آيات القرآن الكريم والسنة النبوية تأويلات ضالة، بعيدة كل البعد عن منطوق النصوص ومفهومها، وإنما حملهم على ذلك، الهوى وما تعودوه من أخلاق منحرفة ذميمة، ومفاهيم خاطئة، وذلك هو ما حصل لأهل السنة والجماعة

---

(١) أنظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم/ ابن تيمية ص ٣٨ ـ ٤٢. وانظر أسباب اختلاف الفقهاء، د./ عبد الله التركي ص ٣٠ ـ ٣٦.

(٢) أنظر ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين/ عبد الجليل عيسى ص ١١٦ ـ ١٢١.

(٣) المصدر السابق ص ١٣٢ ـ ١٣٣.

مع فرق أهل التأويل في مسائل القدر والصفات وفي شأن صحابة رسول الله (ﷺ)[1].

وفي هذا العصر يقف أهل السنة والجماعة مع أدعياء العلم والمتاجرين في الفتوى موقفاً خلافياً شديداً، نظراً إلى أن أكثر المنتسبين إلى العلم يشاركون بتأويلاتهم الضالة والفتيا الكاذبة في إفساد الأمة وانحلالها فقد أفتى بعضهم بجواز نزع الحجاب عن المرأة المسلمة، الأمر الذي تبعه تعري النساء وتبرجهن تبرج الجاهلية الأولى، كما أفتى البعض منهم بجواز عمل المرأة مع الرجل الأجنبي في مجالات مختلفة، وقد ترتب على ذلك مفاسد كثيرة لا يعلمها إلا الله، كما أباح البعض منهم الاستماع إلى الأغاني الماجنة والصور الخليعة، بتأويلات باطلة، حتى أصبحت هذه المحظورات الشرعية مباحة في نظر كثير ممن يدعي الإسلام.

ومخالفة هؤلاء لمذهب أهل السنة والجماعة لا توجب كفرهم في مثل هذه المسائل نظراً إلى أن معظم المخالفين في مثل هذه القضايا إنما خالفوا بناء على تأويل واجتهاد أخطأوا فيه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (إن أهل السنة المتبعين للرسول (ﷺ) يلتزمون الحق، ويرحمون من خالفهم عن اجتهاد حيث عذره الله ورسوله)[2].

وعلى هذا فالمخالفة المبنية على التكذيب، وهو أن ينفي وجود هذه الأشياء التي ورد الشرع بها بالتواتر القاطع توجب كفر المنكِر لها فلو أن إنساناً خالف في وجوب الاتجاه الى الكعبة في صلاة الفريضة، ورأى جواز الاتجاه إلى أي جهة أخرى، بدون عذر شرعي، فهذا حكمه الكفر لأنه أنكر شيئاً ثابتاً بالتواتر القاطع، لأن ذلك يتصل بركن من أركان الإسلام وهي

---

(١) أنظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم/ ابن تيمية ص ٣٨ ـ ٤٢.

(٢) أنظر ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين، عبد الجليل عيسى ش ١٢٠.

الصلاة، وفي مثل هذه الحالة يجوز إطلاق الكفر على من فعل مثل ذلك[1]. أما إن كان القول أو الفعل الصادر مبنياً على تأويل فاسد مستوحى من دليل ثابت، فإنه ينبغي أن لا يكفِّر كل فريق خصمه إذا رآه مخطئاً في فهم الدليل، وإن كان يجوز أن يصفه بالخطأ أو الضلال عن الطريق الذي يراه صواباً[2].

وحينئذ يعامل المخالف في ذلك معاملة العصاة والفسقة في شأن الموالاة والمعاداة، فيحبه على قدر ما معه من الخير ويبغضه على قدر ما معه من الشر، ولا يصل في بغضه وعداوته إلى مرتبة بغض الكفار وعداوتهم لأنه لم يخرج بهذا الخلاف من عداد المسلمين.

فقد كتب الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) في رسالة بعث بها إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام، قال فيها: (اعلموا وفقكم الله أن المسائل المجمع عليها لا مجال للنزاع فيها، وأما المسائل الاجتهادية فمعلوم أنه لا إنكار على من يسلك الاجتهاد في مسألة من مسائل الاجتهاد)[3] ا. هـ.

وقال أيضاً في رسالة بعث بها إلى أحمد بن يحيى إمام أهل رغبه قال فيها: (إن تفضل الله عليك بفهم ومعرفة، فلا تعذر عند الله ولا عند خلقه إلا باتباع الحق، فإن كان الصواب معنا فالواجب عليك الدعوة إلى الله وعداوة من صرح بسب دين الله ورسوله، وإن كان الصواب مع غيرنا، أو معنا شيء من الحق وشيء من الباطل، فالواجب عليك مذاكرتنا ونصيحتنا واطلاعنا على الحق، وعلى عبارات أهل العلم لعل الله أن يردنا بك إلى الحق، أما إذا كانت المسألة من مسائل الاختلاف عند الحنفية والشافعية

---

(١) المصدر السابق ص ١٣٣.

(٢) المصدر السابق المكان نفسه.

(٣) أنظر الدرر السنية جـ ١ ص ٤٣.

والمالكية والحنابلة فتلك مسألة أخرى لا توجب خلافاً، ولا عداوة بين المسلمين)[1] ا. هـ.

ويقول في موضع آخر: (نحن لا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه، إلا إذا اطّلعنا على نص جليّ مخالف لمذهب أحد الأئمة وكانت المسألة مما يحصل بها شعار، ظاهر كإمام الصلاة، فنأمر الحنفي والمالكي مثلاً بالمحافظة على نحو الطمأنينة في الاعتدال، والجلوس بين السجدتين، لوضوح الدليل على ذلك، بخلاف جهر الإمام الشافعي بالبسملة، فلا نأمره بالإسرار فيها، والفرق بين المسألتين لاختلاف دلالة الدليلين فيهما)[2]. ا. هـ.

لذا فإن مما يجب أن يتنبه إليه كل مسلم أن الاختلاف في مسائل الفروع، ومسائل الاجتهاد يقع بين المسلمين ولكن يجب أن لا يحملهم هذا الاختلاف على الفرقة والمقاطعة. قال تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون أخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾**[3].

فلم يقطع سبحانه وتعالى الأخوة بين المسلمين وإن وقع بينهم القتال الذي يستلزم كون أحدهم ظالماً والآخر مظلوماً[4]. ولم يقطع الأخوة الإسلامية أيضاً بين القاتل والمقتول ظلماً مع شدة الوعيد لمن قتل مؤمناً ظلماً حيث قال تعالى: **﴿كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد**

---

(١) انظر الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٠٠ ـ ٣٠١ .
(٢) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٢٧ .
(٣) سورة الحجرات ، آية (٩ ، ١٠) .
(٤) انظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٤٠ .

والأنثى بالأنثى، فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان﴾(١). فسماه أخاً له رغم شدَة ما بينهما، فما دون ذلك أهون وأولى فلا يجوز أن يؤدي الخلاف في مسائل الاجتهاد إلى العداوة والبغضاء والتناحر والكراهية لكل ما هو مع الخصم من حق أو باطل(٢).

إن من أعظم الدسائس الشيطانية على أهل الإسلام الاختُلاف والتناحر بينهم على جميع المستويات وهذا هو الحاصل فعلاً في عصرنا الحاضر وذلك يدلنا على أننا واقعون فيما نهى عنه رسول الله ﷺ بقوله: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم»(٣). وهذا الحديث لا يعني الاستسلام للفُرقة والرضى بها، وإنما هو من قبيل التنبيه على الخطر الذي يجب أن لا نقع فيه حيث أمرنا الله عز وجل بالاعتصام والاجتماع على الحق قال تعالى: **﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألَّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾**(٤).

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله): (إن الله أمر بالاجتماع في الدين ونهى عن التفرقة فيه، فبين هذا بياناً شافياً كافياً يفهمها العوام قبل غيرهم، ونهانا أن نكون كالذين تفرقوا وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون)(٥). ا.هـ.

وقد اختلفت وجهات النظر حول وجوب الانضمام إلى الجماعة المسلمة أو جواز الانفراد عنها على قولين: -

---

(١) سورة البقرة، آية (١٧٨).

(٢) انظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٤٠.

(٣) رواه مسلم. أنظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢١٦٦ (كتاب صفات المنافقين).

(٤) سورة ال عمران، اية (١٠٣).

(٥) أنظر الدرر السنية جـ ١ ص ٩٩.

القول الأول: قول جماعة من الصحابة ومن التابعين بأن الانضمام إلى الجماعة المسلمة واجب شرعي، ومفارقتها أمر محرم، لأنه لا إسلام إلا بجماعة كما سبق أن ذكرنا في الأدلة الدالة على الاجتماع وعدم الفرقة ولقول الرسول ﷺ: «من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة، فمات مات ميتة جاهلية»[1]. وورد من حديث رسول الله ﷺ قوله: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[2]. ؟

وورد في الحديث عن رسول الله ﷺ قوله: «وأنا آمركم بخمس أمرني الله بهن: السمع والطاعة والجهاد والهجرة والجماعة، فإن من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[3]. وروى الإمام أحمد عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: «من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر وتركها كفر، والجماعة رحمة والفرقة عذاب»[4]. وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال: «الصلاة إلى الصلاة التي قبلها كفارة والجمعة إلى الجمعة التي قبلها كفارة والشهر إلى الشهر الذي قبله كفارة إلا من ثلاث». قال: فعرفنا أنه أمر حدث. إلا من الشرك بالله ونكث الصفقة وترك السنة. قال: قلنا يا رسول الله هذا الشرك بالله قد عرفناه فما نكث الصفقة وترك السنة؟ قال: «أما نكث الصفقة فأن تعطي رجلاً بيعتك ثم تقاتله بسيفك وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة»[5].

---

(١) انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص١٤٧٦ (كتاب الإمارة).

(٢) أنظر فتح الباري جـ١٣ ص ٣٥ (كتاب الفتن ـ ١١).

(٣) المصدر السابق جـ ١٣ ص ٣١٦ (كتاب الاعتصام ـ ١٩).

(٤) رواه أحمد، انظر مسند أحمد جـ ٤ ص ٢٧٨.

(٥) رواه أحمد، أنظر مسند أحمد جـ ٢ ص ٢٢٩ وص ٥٠٦.

وقد خطب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في خطبته المشهورة التي خطبها بالجابية: (عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد)[1].

القول الثاني: هو ما ذهب إليه النجدات من الخوارج[2]. وبعض المعتزلة[3] من جواز الفرقة وعدم وجوب الجماعة[4]. وهذا القول ظاهر البطلان عقلاً وشرعاً وهو مخالف لما أجمع المسلمون عليه في عصورهم المختلفة.

وبطلان هذا القول من حيث العقل أن الاجتماع قوة، لأن المجتمعين يتقوى بعضهم ببعض، ولذلك فإنا نجد حتى من لا دين لهم يلتزمون بذلك ويسعون لتحقيقه بينهم. وفي فائدة الاجتماع يقول الشاعر: -

تأبى الرماح إذا اجتمعن تكسراً وإذا افترقن تكسرت آحادا

وأما في الشرع فللأدلة السابقة ولقول الرسول ﷺ من حديث طويل: «فمن أراد منكم بحبحة الجنة فليلزم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد» الحديث[5].

وحديث «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً» وشبك بين أصابعه[6].

ووجوب لزوم الجماعة المسلمة، وفائدة ذلك أمر لا يحتاج إلى جدال أو مناقشة فهو كما يقول الشاعر:

وليس يصح في الافهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

---

(١) انظر فتح الباري جـ ١٣ ص ٣١٦.

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني على هامش الفصل، لابن حزم جـ ١ ص ١٦٧ - ١٦٨. وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل جـ ٤ ص ٨٨.

(٣) انظر الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٦٣ - ١٦٦.

(٤) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٠٤.

(٥) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ١ ص ١٧٣ رقم الحديث (٤٣١).

(٦) رواه البخاري ومسلم. انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٤٥.

فيجب على كل مسلم أن يعمل مع الجماعة المسلمة في بلده ومحيطه وأن يشاركها مشاركة إيجابية بقوله وفعله ويبذل لها ماله ونفسه إذا اقتضى الأمر ذلك. كما يجب على الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي أن تشكل بمجموعها جماعة واحدة متحدة متضامنة فيما بينها على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وأن توثق المحبة والمودة فيما بينها، وأن لا تتفرق وتتطاحن ويهدم بعضها ما بناه البعض الآخر عن غفلة أو جهل أو غباء أو حسد ممقوت أو بغض دفين.

فإن الفرقة هي أهم ما تطمح إليها نفوس الأعداء، وتسعى جاهدة لتنميتها بين المسلمين، وما نال الأعداء منا غايتهم حتى أوقعوا الخلاف بيننا، ففضلوا الأتراك المسلمين عن العرب المسلمين والأكراد المسلمين عن إخوانهم من الأجناس الأخرى وهكذا العجم والبربر وبقية الأجناس فأصبح المسلمون شعباً وقبائل يتناحر بعضهم مع البعض الآخر.

يقول الدكتور عبد الله رشوان: (يجب علينا أن نتضامن ونتكاتف ونتعاون في تنفيذ ما اتفقنا عليه، قولاً وفعلاً... وليعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، والاتفاق تام وواجب في الأصول ولا اختلاف إلا في الفروع وليعلم الدعاة أننا جميعاً، نجتهد لنصرة الدين كل على قدر قدرته ووسع طاقته، فينا من يخطىء وفينا من يصيب، ونرجو من الله أن نكون جميعاً من الموفقين)[1]ا.هـ. وقد ذكر ابن عباس (رضي الله عنهما) في تفسير قول الله تعالى: ﴿يوم تبيض وجوه وتسود وجوه﴾[2] فقال: (تبيض وجوه أهل السنة والائتلاف، وتسود وجوه أهل الفرقة والاختلاف)[3] ا.هـ.

وقد ذم الله التفرقة في قوله تعالى: ﴿فتقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل

(١) انظر مقالة له في مجلة المجتمع عدد ٤٧٨ السنة الحادية عشرة في ١٤٠٠٦/١٤هـ ص ٢٧.

(٢) سورة آل عمران آية (١٠٦).

(٣) انظر الرسائل الشخصية، محمد بن عبد الوهاب ص ٣٠٥.

حزب بمـا لديهم فرحـون﴾[1]. والـزبـر الكتب أي كل فرقة صنفت كتباً أخذت بها دون كتب الآخرين كما هو واقع الحال في العصر الحاضر بين عامة المنتسَبين إلى الإسلام، وهذا من أكبر الأخطاء في منهج التربية الإسلامية حيث إن الواجب يقتضي أن نأخذ الحق من مصادره الأصلية كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وما وافقهما من أقوال أهل العلم، وأن نرفض الباطل والخطأ من أي شخص كان عدا رسول الله ﷺ فإنه لا يقر على خطأ حيث عصمه الله من الزلل.

فإن من الواجب على أهل المعرفة والاجتهاد أن لا يكونوا مقلدين لغيرهم بلا فهم وتدبر وإدراك، بل عليهم أن يقارنوا بين الأدلة والأقوال ويستنتجوا القول الوسط الموافق للنص الشرعي، وأن يتسامحـوا مع من خالفهم في فهم الدليل إذا كان هذا الخلاف في مسألة فرعية من فروع الشريعة. أما صغار المتعلمين فالأولى أن يختار لهم بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أسلم الكتب وأقومها، وأبعدها عن التعصب لمذهب معين، حتى لا نغرس الحقد والكراهية في نفوس الأبناء لكل من يختلف معنا في مسائل الفروع.

وعندما تتكون عند المبتدئين القدرة على الاستنتاج والتحليل ومعرفة الدليل، فإن لهم أن يعملوا باجتهادهم وما فهموه من الأدلة الشرعية، بشرط أن لا يتعارض الاجتهاد أو الفهم مع النصوص الشرعية من الكتاب والسنة.

كما أن من الأدب الشرعي أن الإنسان إذا تكلم مع من يختلف معه وجب أن يكون الكلام بحكمة وعلم وعدل، فإن العدل واجب مع كل أحد على كل أحد، والظلم محرم مطلقاً، لا يباح بحال من الأحـوال، قال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا أعدلوا هو أقرب للتقوى﴾[2].

---

(١) سورة المؤمنون، آية (٥٣).
(٢) سورة المائدة، آية (٨).

وهذه الآية نزلت في المسلمين بسبب بغضهم للكفار وهو بغض مأمور به المسلم، فكيف بمن أبغض مسلماً بتأويل أو شبهة، أو هوى، وآذاه على ذلك، ألا يكون هذا مرتكباً لإثم عظيم وذنب كبير[1]. قال تعالى: ﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾[2].

فلا نكفر أحداً من مدعي الإسلام بذنب دون الشرك، ولا نخرجه من دائرة الإسلام بارتكاب كبيرة من كبائر الذنوب، ما لم يستبيح لنفسه أو لغيره فعل المحرم، أو تحريم المباح)[3].

وخلاصة القول في ذلك أن الخلاف في مسألة أصولية يوجب كفر المخالف للحق وعداوته كعداوة الكفار سواء بسواء.

أما الخلاف في مسألة فرعية باجتهاد أو تأويل يعتقد المخالف صحته فلا يكفر بذلك، وحينئذ لا تصح معاداته كمعاداة أهل الكفر، بل يوالى على قدر ما معه من الخير ويبغض على قدر ما معه من الشر، ويجوز وصف المخالف في المسائل الفرعية في خلاف التضاد بالخطأ والبعد عن الحق ولكنه لا يوصف بالكفر أو يعادى معاداة الكفار، ما لم يكن هذا الخلاف مبنياً على الهوى والتأويل المجرد من الدليل، فإذا كان بهذا الوصف فإن أول ما يجب على صاحب الحق في حق من خالفه أن ينصحه ويبين له الدليل بياناً شافياً كافياً، بعد أن يوضح له الخطأ فيما ذهب إليه من قول أو فعل أو اعتقاد، وإن استمر عى خطئه عامله معاملة العصاة والفساق من المسلمين، فيحبه على قدر ما معه من الخير ويبغضه على قدر ما معه من

---

(١) انظر ملحق المصنفات، محمد بن عبد الوهاب ص ٥٢ ـ ٥٣ وانظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ٦ ص ١٠٩ ـ ١١٠.

(٢) سورة الأحزاب، آية (٥٨).

(٣) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٨٨.

الشر، ولا يحمله الخلاف على القطيعة والهجران كحال من يخالفوننا في مسائل أصولية.

هذا فيما يتعلق بخلاف التضاد في المسائل الفرعية، أما اختلاف التنوع في المسائل الفرعية فهو رحمة بالأمة وتيسيراً عليها ولا يجوز لأحد من المسلمين أن يحجر على أحد في شيء من ذلك.

ومن ذلك نستنتج أن الخلاف في المسائل الفرعية من أعظم أسباب الفرقة بين المسلمين فقد أدى الى عدم تعاونهم وتناصرهم مع بعضهم، مما مكن لأعداء المسلمين من التغلب عليهم كما يقول الشاعر:

بالخلافات، بالخلافة أودت واقتسمنا وسادنا الدخلاء[1]

---

(١) انظر شعراء الدعوة الإسلامية جـ ٢ ص ٢٢ .

الفصل الثالث

الاعتزال عن الجماعة المسلمة

وتحت هذا الفصل ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الاعتزال بدعوى جواز الاعتزال.
المبحث الثاني: اعتزال المؤمنين خوفاً من أعداء أهل الإيمان.
المبحث الثالث: العلماء بين طريق الجهاد وطريق الاعتزال.

المبحث الأول

الاعتزال بدعوى جواز الاعتزال

الاعتزال: هو الابتعاد والتنحي[1] قال تعالى: ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾[2]. ويستدل طائفة من الناس من علمائهم وعامتهم على جواز إعتزال أهل الحق والباطل والبعد عن الصراع بينها بعموم بعض النصوص من الكتاب والسنة متخذين من ذلك ذريعة لهم في ابتعادهم عن الانضمام إلى أهل الحق والجهاد معهم ضد الكافرين المحاربين لله ورسوله والمؤمنين.

وجملة النصوص التي يستدل بها أولئك هي ما يلي: -

١ - قول الله تعالى: ﴿ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة﴾[3].

(١) انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦٠٥ .
(٢) سورة الدخان، آية (٢١) .
(٣) سورة البقرة، آية (١٩٥) .

٢ ـ قول الله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾[١].

٣ ـ قول الله تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾[٢].

وبما روي عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الواردة في مثل هذا الموضوع وهي كما يلي: ـ

١ ـ ما روي عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني قال: قلت كيف نصنع في هذه الآية؟ قال: أية آية تريد؟ قلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾. قال: سألت عنها خبيراً سألت رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً، وهوى متبعاً، ودنيا مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمراً لايدان لك به، فعليك خويصة نفسك، ودع عنك أمر العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيهن على مثل قبض على الجمر، للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون بمثل عمله»[٣].

٢ ـ وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: قيل: يا رسول الله متى نترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟ قال: «إذا ظهر فيكم ما ظهر في الأمم قبلكم» قلنا: يا رسول الله وما ظهر في الأمم قبلنا؟ قال: «الملك في صغاركم، والفاحشة في كباركم والعلم في رذالتكم». قال زيد:

---

(١) سورة المائدة، آية (١٠٥).

(٢) سورة النساء، آية (٢٩).

(٣) رواه ابن ماجه، أنظر سنن ابن ماجه جـ٢ ص ٤٨٧ ـ ٤٨٨. وانظر جامع الأصول جـ ٣/١٠ ج٧٤٥٣ ورواه الترمذي في التفسير ج ٣٠٦٠ وقال حديث حسن غريب.

تفسير معنى قول النبي ﷺ (والعلم في رذالتكم) أي إذا كان العلم في الفساق[1].

٣ - وروي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال ومواقع القطر يفر بدينه من الفتن»[2]

٤ - ما روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «كيف بك يا عبد الله بن عمرو إذا بقيت في حثالة من الناس مرجت عهودهم وأماناتهم، واختلفوا فصاروا هكذا: وشبك بين أصابعه، قال: قلت يا رسول الله ما تأمرني؟ قال: عليك بخاصتك ودع عنك عوامهم»[3].

٥ - ما روي عن حذيفة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه، قالوا: وكيف يذل نفسه؟ قال: يتعرض من البلاء لما لا يطيقه»[4].

٦ - وروي عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، ومن تشرف لها تستشرفه فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليعذ به»[5].

وقد أجاب القائلون بعدم جواز الاعتزال بإجابات على هذه الأدلة نوجزها فيما يلي: -

---

(١) المصدر السابق نفسه جـ ٢ ص ٤٨٨ .

(٢) رواه البخاري، أنظر فتح الباري، جـ ١ ص ٦٩.

(٣) أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م ١ جـ ٣ ص ٢٦ رقم الحديث (٢٠٦) .

(٤) انظر المصدر السابق جـ ٢ ص ١٧٢ رقم الحديث (٦١٣) . وانظر : مسند أحمد جـ ٥ ص ٤٠٥ ، وانظر سنن ابن ماجه جـ ٢ ص ٤٨٨ .

(٥) رواه البخاري : انظر صحيح البخاري جـ ٩ ص ٦٤ .

أولاً: إن المقصود بالتهلكة في الآية من سورة البقرة هو ترك الجهاد والإنفاق في سبيل الله كما روى يزيد بن أبي حبيب عن أسلم بن عمران عن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) أنه قال: (كنا بمدينة الروم، فأخرجوا إلينا صفاً عظيماً من الروم، فخرج إليهم صف من المسلمين مثلهم أو أكثر، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله: يلقي بيده إلى التهلكة. فقام أبو أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) فقال: أيها الناس، إنكم تتأولون هذه الآية هذا التأويل، وإنما أنزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار، لما أعز الله الإسلام، وكثر ناصروه، فقال بعضنا لبعض سراً، دون رسول الله ﷺ: إن أموالنا قد ضاعت، وإن الله قد أعز الإسلام وكثر ناصروه، فلو قمنا في أموالنا فأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله على نبيه ﷺ هذه الآية يرد عليه ما قلنا، فكانت التهلكة، الإقامة على الأموال، وإصلاحها وترك الجهاد، فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم مجاهداً في سبيل الله[1].

ثانياً: إن المقصود بآية المائدة في قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ ليس الغرض منها بيان أن المؤمن غير مكلف بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذا اهتدى هو بذاته فقط. فهذه الآية لا تسقط عن الفرد أو مجموعة من الأفراد التبعة في كفاح الشر، ومقاومة الضلال، ومحاربة الطغيان، فقد روى أصحاب السنن: أن أبا بكر (رضي الله عنه) قام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿يأيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم﴾ وإنكم تضعونها على غير موضعها، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ٢ ص ٣٦١ ـ ٣٦٢ ، وانظر صور من حياة الصحابة ، د. عبد الرحمن رأفت الباشا جـ ١ ص ١٣١ .

الناس إذا رأوا المنكر ولا يغيرونه، يوشك الله عز وجل أن يعمهم بعقاب من عنده»[1]. وهكذا صحح الخليفة الأول ـ رضوان الله عليه ما ترامى إلى وهم بعض الناس في زمانه من هذه الآية الكريمة.

ونحن اليوم أحوج إلى هذا التصحيح، لأن القيام بتكاليف التغيير للمنكر قد صارت أشق وأثقل في مجتمع يتتبع القاعدون فيه كل عذر يعفيهم من المسؤولية فما أيسر ما يلجأ الضعاف إلى تأويل هذه الآيات على النحو الذي يعفيهم من تعب الجهاد ومشاق الدعوة، ويريحهم من عنت الجهاد وبلائه[2].

ثالثاً: إن المقصود من سورة النساء في قولـه تعالى: ﴿ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ هوالنهي عن أن يقتل بعض المسلمين بعضاً وقد أجمع أهل التفسير على ذلك. وإنما عبر بذلك باعتبار المسلمين كالجسد الواحد والنفس الواحدة، وأن ما يضر الكل يضر الجزء مثل قول الله تعالى: ﴿ولا تلمزوا أنفسكم﴾[3]. فغير متصور أن يعيب الإنسـان نفسه ولكنه تعبير يوحي بعظم الرابطة وعظم الوحدة بين المسلمين[4].

أما الإجابة عن الأحاديث المتقدمة فكما يلي: ـ

أولاً: إنها معارضة بآيات من القرآن الكريم وبأحاديث قد ورد معظمها في الصحيحين وذلك فيما يتعلق بوجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولزوم جماعة المسلمين.

---

(١) رواه أبو داود: انظر سنن أبي داود جـ ٤ ص ١٢٢ رقم الحديث (٤٣٣٨). ورواه الترمذي في سننه. انظر جـ ٤ ص ٣٢٢. ورواه أحمد في مسنده انظر جـ ١ ص ٢ ـ ٥ ـ ٧. ورواه ابن ماجه في سننه. انظر جـ ٢ ص ٤٨٤ رقم الحديث (٤٠٦٩).

(٢) أنظر في ظلال القرآن، سيد قطب م ٢ جـ ٧ ص ٦٣.

(٣) انظر سورة الحجرات، آية (١١).

(٤) أنظر تفسير القرطبي جـ ٥ ص ١٥٦.

ثانياً: أنه يمكن الجمع بين الأدلة الدالة على جواز الاعتزال وبين أدلة المنع عن الاعتزال، بأن الاعتزال يجوز عند توفر أحد الأسباب الآتية: ـ

السبب الأول: عدم معرفة صاحب الحق من صاحب الباطل.

فيجوز الاعتزال عندما يتعذر على الانسان المسلم معرفة صاحب الحق من صاحب الباطل، ففي حالة التباس الأمر عليه يجوز له اعتزال المتخاصمين كما فعل بعض الصحابة (رضي الله عنهم) فقد اعتزل سعد بن أبي وقاص ومحمد بن مسلمة وابن عمر في طائفة أثناء الخلاف بين علي ومعاوية (رضي الله عنهم) والسبب في ذلك عدم وضوح الدليل مع أحد الطرفين المتنازعين في نظرهما، فقد روي عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أنه قال عندما أمره رجل بالقتال بدعوى أنهم بغاة فقال: لا أدري من هي الفئة الباغية ولو علمنا ما سبقتني أنت ولا غيرك إلى قتالها[1] اهـ.

أما إن استبان له الحق والصواب فالجمهور متفقون على منع الاعتزال زمن الفتنة لما يترتب على ذلك من خذلان أهل الحق وتقوية أهل الباطل ويستدلون على ذلك بفعل بعض الصحابة (رضي الله عنهم) الذين اشتركوا في القتال في موقعة الجمل وصفين، وبفعل خزيمة[2] بن ثابت (رضي الله عنه) حيث كان مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وكان لا يقاتل فلما قُتِل عمار قاتل حينئذ وحدث بحديث (يقتل عماراً الفئة الباغية)[3].

السبب الثاني: فقدان القدرة القولية أو الفعلية على إظهار الحق وقمع

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم جـ ٤ ص ١٧١ .

(٢) هو خزيمة بن ثابت بن ثعلبة الأنصاري (يكنى أبا عمارة) وهو ذو الشهادتين جعل رسول الله ﷺ شهادته عن شهادة رجلين شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ حضر الجمل وصفين مع علي ولم يقاتل حتى قُتِل عمار وقاتل وقتل سنة (٣٧ هـ). أنظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٢ ص ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) انظر فتح الباري جـ ١٣ ص ٤٢ ـ ٤٣ .

الباطل. فيجوز للإنسان الاعتزال إذا لم يكن لديه القدرة القولية أو الفعلية على إظهار الحق وقمع الباطل، وذلك بموجب الأعذار الشرعية، لا بموجب هوى النفس ورغبتها[1]، قال تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[2].

السبب الثالث: إذا تيقن الإنسان أنه ليس له أعوان يساعدونه وينصرونه إذا كان العمل محتاجاً إلى ذلك.

فيجوز للمسلم أن يعتزل مواجهة الكفار وأن يمسك عن محاربتهم حتى تحين الفرصة المناسبة لذلك، كما أمسك النبي صلى الله عليه وسلم عن الجهاد في مكة حتى صار له شوكة وأنصار بالمدينة، فإذا وجد الأنصار وإن قلوا وجب التناصر بينهم، ولا يصح ترك أحدهم للآخر بلا نصرة أو معونة طلباً للراحة وإيثاراً للسلامة، لأن ذلك مما يتعارض مع المبادىء العامة لرسالة الإسلام[3].

ولذلك أجمع الفقهاء على أن المسلمين إذا كانوا من قلة العدد أو ضعف العدة بحيث يغلب على الظن عند أهل الحل والعقد في الأمة، أنهم سيقتلون من غير نكاية في أعدائهم، إذا ما أجمعوا على قتالهم، فينبغي أن تقدم هنا مصلحة حفظ النفس، لأن المصلحة المقابلة لذلك وهي مصلحة حفظ الدين، منتفية الحصول في غلبة الظن[4].

ويقرر عبد العزيز[5] بن عبد السلام حرمة الخوض في مثل هذا

---

(١) أنظر مختصر إغاثة اللهفان ص ٨٠.

(٢) سورة البقرة، آية (٢٨٦).

(٣) انظر فتح الباري جـ ١٣ ص ٤٢ ـ ٤٣ وانظر مختصر إغاثة اللهفان ص ٨٠.

(٤) انظر فقه السيرة د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٧٧.

(٥) هو عبد العزيز بن عبد السلام بن القاسم بن الحسن المعروف (بعز الدين بن عبد السلام) ولد سنة سبع وسبعين وخمسمائة من الهجرة وسمع الكثير من العلوم ثم علم جمعاً كثيراً من طلاب العلم بدمشق وولي خطابتها، ثم سافر الى مصر مهاجراً بسبب إنكاره على حاكم دمشق، فأكرمه صاحب مصر وولاه القضاء والخطابة فيها ثم أنكر الشيخ على الحاكم بعض =

الجهاد قائلاً: (فإذا لم تحصل نكاية وجب الانهزام، لما في الثبوت من فوات النفس، مع شفاء صدور الكفار، وإرغام أهل الإسلام، وقد صار الثبوت في هذه الحال مفسدة محضة، ليس في طيها مصلحة)[1] اهـ.

وتقديم مصلحة النفس هنا ليس خاصاً بالنفس فقط كما هو الظاهر بل إن ذلك هو مصلحة الدين أيضاً، إذ المصلحة الدينية تقتضي - في مثل هذه الحال - أن تبقى أرواح المسلمين سليمة لكي يتقدموا ويجاهدوا في الميادين المفتوحة الأخرى.

حيث إن هلاكهم يعتبر إضراراً بالدين نفسه، لأن ذلك سوف يفسح المجال أمام الكافرين ليقتحموا ما كان مسدوداً أمامهم من السبل، ويجتثوا أهل الإسلام من أساسهم، وخلاصة القول في هذه المسألة أنه لا يجوز للمسلم أن يعتزل المسلمين إلا وفق الشروط الخاصة التي تقدم ذكرها وهو وإن اعتزلهم عملياً لا يعتزلهم شعورياً في جميع تلك الحالات بل الواجب أن يكون مع المسلمين ومع أصحاب الحق منهم خاصة ولو بمشاعره، فإن القلب لا سلطان لأحد عليه، كما يجب أن يعمل للإسلام في الميادين المفتوحة أمامه ولو سراً إذا كان الجهر بالدعوة والانتساب إليها مما يترتب عليه ضرر بالدعوة وأصحابها.

فالإسرار بالدعوة سنة عند الحاجة إلى ذلك، فنوح (عليه السلام) دعا قومه سراً وجهراً قال تعالى: ﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾[2]

= مواقفه فانتزع منه الخطابة والقضاء وسمح له بالتدريس وتوفي الشيخ (العز بن عبد السلام) في العاشر من جمادى الأولى سنة ستين وستمائة من الهجرة وقد نيف على الثمانين ودفن في سفح المقطم وحضر جنازته السلطان الظاهر وخلق كثير (رحمه الله رحمة واسعة). وله من المصنفات التفسير، واختصار النهاية، والقواعد الكبرى والصغرى، وكتاب الصلاة، والفتاوى الموصلية، وغير ذلك. انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ١٣ ص ٢٣٥ - ط. وانظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة جـ ٥ ص ٢٤٩.

(١) انظر قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لعز الدين بن عبد السلام جـ ١ ص ٩٥.

(٢) سورة نوح، آية (٩).

والرسول ﷺ أقام يدعو بمكة سراً ثلاث سنوات، حتى نزل عليه قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾[1].

فإذا أمكن الجهر بالدعوة ومنازلة أعداء التوحيد بالقوة وجب الإسراع إلى ذلك عند غلبة الظن في توفر الأسباب وانتفاء الموانع.

قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»[2]. وفي حديث آخر: «إذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم، لا تزال طائفة من أمتي منصورين لا يضرهم من خذلهم حتى تقوم الساعة»[3]. فالصبر على الابتلاء مع أهل الحق، والاختلاط مع الناس لإبلاغ الدعوة إليهم أولى من العزلة عن ذلك[4].

وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس، ولا يصبر على أذاهم»[5].

فاللجوء إلى تأييد الظالم وإعلان التخلي والتبرؤ من الجماعة المسلمة ومهاجمتها كوسيلة للاعفاء من الإيذاء، والسجن والتعذيب خلاف الأصل. فالأصل أن نصبر ونتحمل الأذى ونثبت ولا نتخلى أو نتنكر للطريق الذي ارتضيناه واعتقدنا صحته والجماعة التي اعتقدنا اجتماعها على الحق. لتظل راية الحق مرفوعة يحملها الرجال جيلاً بعد جيل، فهذا هو الأصل وإن كان قد يباح لبعض الأفراد والجماعات الصغيرة الذين يشتد بهم الإيذاء بصورة لا يحتملونها أن يلجأوا لمثل هذه التصرفات أو بعضها مع اطمئنان القلب

---

(١) سورة الحجر، آية (٩٤).
(٢) انظر فقه السيرة. د. محمد سعيد رمضان البوطي ص ٧٧.
(٣) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م ٢ ص ٦٨٨ رقم الحديث (٩٦٣).
(٤) المصدر السابق م ١ ص ١٤٤ رقم الحديث ٤٠٣.
(٥) انظر الدرر السنية جـ ١١ ص ٨٦.

بالإيمان وبالالتزام مع الجماعة المسلمة، لكن يكون ذلك استثناء وليس القاعدة للمجموع، فالأصل العزيمة والترخص هو الاستثناء لأن الدعوات تقوم على العزائم وأولي العزم، لا على الرخص والمترخصين[١].

ففيما عدا هذه الصور المتقدمة لا يجوز الاعتزال كما هو مذهب جمهور العلماء بناء على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب شرعي على الأمة المسلمة ممثلة في أفرادها كل بحسب قدرته. قال تعالى: ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾[٢]. فالآية وردت بصيغة من صيغ الطلب، وهي المضارع المقرون بلام الأمر، والأمر للوجوب، ما لم توجد قرينة تصرف المعنى إلى ما هو دونه ولا قرينة في الآية من هذا القبيل، فيثبت وجوب العمل بالمطلوب في الآية، فهي إذاً في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٣]. وقال تعالى مشيراً إلى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصيغة الافراد ﴿يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانهى عن المنكر واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تدخلوا الجنة، ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم﴾[٦]. فمن رغب بنفسه عن الجهاد فقد خالفه الرسول ﷺ والذين آمنوا معه. ثم بين تعالى نتيجة عدم إنكار المنكر بقوله: ﴿لُعن الذين كفروا من بني إسرائيل على

---

(١) انظر مجلة الدعوة المصرية عدد (٩١) السنة (٣٣) جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ. ص (١٠) موضوع طريق الدعوة بين الأصالة والانحراف (٧).

(٢) سورة آل عمران، آية (١٠٤).

(٣) انظر التشريع والفقه في الإسلام لفضيلة الشيخ مناع القطان ص ٥٩.

(٤) سورة لقمان، آية (١٧).

(٥) سورة آل عمران، آية (١٤٢).

(٦) سورة التوبة، آية (٨٨).

لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون﴾[1].

فمن اعتزل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ففيه شبه من بني إسرائيل ما لم يكن له عذر شرعي في ذلك. والآيات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كثيرة جداً تربو على عشرين آية[2].

ومن الأحاديث الصحيحة في هذا الموضوع ما روى مسلم في صحيحه أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى منكم منكراً، فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان»[3]. وفي مسلم أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي، إلا وكان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل»[4]. وفي حديث آخر أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر»[5]. وفي حديث أيضاً أن النبي ﷺ قال: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها» وقال مرة (أنكرها) «كمن غاب عنها. ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها»[6].

---

(١) سورة المائدة، آية (٧٨، ٧٩).

(٢) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ص ٤٥٨، ٤٥٩.

(٣) رواه مسلم، انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٦٩.

(٤) المصدر السابق جـ ١ ص ٧٠.

(٥) رواه أبو داود كتاب الملاحم جـ ٤ ص ٥١٤، وابن ماجه في الفتن جـ ٢ ص ١٣٢٩، والترمذي في كتاب الفتن جـ ٦ ص ٣٣٨ ح ١١٧٥ وقال حديث حسن غريب وقال عنه الألباني إنه صحيح. أنظر مشكاة المصابيح جـ ٢ ص ١٠٩٤.

(٦) رواه أبو داود في سننه جـ ٤ ص ١٢٤ رقم الحديث (٤٣٤٥) (كتاب الملاحم). قال في التقريب (انه صحابي) ورمز السيوطي لصحته. انظر جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى ص ١٨٣.

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة ويأتي في مقدمتها قول الرسول ﷺ: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً» فقال رجل: يا رسول الله، أنصره إذا كان مظلوماً أرأيت إن كان ظالماً، كيف أنصره؟ قال: تحجزه ـ أو تمنعه ـ من الظلم، فإن ذلك نصره»[(1)].

ولهذا قال جمهور أهل العلم بوجوب الأمر بالمعـروف والنهي عن المنكر مطلقاً واحتجوا بالأدلة المتقدمة آنفاً.

وقالت طائفة أخرى يجب الإنكار بشرط أن لا يلحق المنكر بلاء، لا قبل له به، من قتل أو تعذيب ونحوه، وحجتهم في ذلك الآيات والأحاديث التي قد يستدل من ظاهرها بجواز الاعتزال كما تقدم.

ولحديث أم سلمة (رضي الله عنها) مرفوعاً (ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن عرف بريء، ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع) قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال (لا. ما صلوا)[(2)]. فدل الحديث على أن الإنسان لا يأثم بمجرد السكوت، وإنما يأثم برضى القلب والمتابعة كما دل الحديث على عدم جواز الخروج على الولاة ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الدين، فذكر الصلاة على سبيل المثال لا على سبيل التخصيص[(3)]. وقال الطبري وغيره: يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لمن قدر عليه[(4)] اهـ.

وقال ابن عطية[(5)]: الإجماع منعقد على أن النهي عن المنكر فرض لمن أطاقه وعلم به، وأمن الضرر على نفسه وعلى المسلمين، فإن خاف فينكر بقلبه، ويهجر صاحب المنكر ولا يخالطه[(6)] اهـ.

---

(١) رواه البخاري في باب المظالم. أنظر فتح الباري جـ ٥ ص ٩٨.
(٢) رواه مسلم ، انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٨٠ .
(٣) انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ (باب الامارة) .
(٤) انظر فتح الباري جـ ١٣ ص ٥٢ ، ٥٣ .
(٥) انظر ترجمته ص ١٧٨ من هذه الرسالة .
(٦) تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٢٥٣.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله): (وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة)[1] اهـ.

ومن الأدلة على أن من أنكر سلم ومن وافق بالرضى والسكوت أثم، ما حصل في غزوة تبوك عندما قال أحد المنافقين ما قال مستهزئاً بالرسول (ﷺ) وصحبه، فكان معهم اثنان من الصحابة هما مخشي بن حمير وعوف ابن مالك (رضي الله عنهما) على أرجح الروايات في ذلك. فمخشي سمع وسكتَ، فأنزل الله قوله تعالى: ﴿لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾[2]، فعُدَّ من ضمن المنافقين لسكوته ومداهنته إياهم، ثم استثناه الله فعفى عنه تفضلاً منه وكرماً، بعدما كاد أن يدخل في عداد المجرمين، وهذا دليل على أن الشخص الذي لا يغضب لله ورسوله، ولا ينكر المنكر إذا سمعه أو شاهده، أنه على خطر من الدخول مع أصحاب المعصية ومشاركتهم في الإثم والحكم والجزاء، إن لم يتداركه الله بعفوه وغفرانه.

والصحابي الآخر وهو عوف بن مالك (رضي الله عنه) فما إن سمع هذا الكلام حتى غضب لله ورسوله وأظهر العداوة لهؤلاء ووصفهم بالنفاق والكذب، وقابلهم بهذا الوصف، وأعلمهم أنه سيخبر الرسول ﷺ بذلك، وذهب فعلاً إلى الرسول ﷺ فوجد القرآن قد سبقه بذلك الخبر، فسلم من تبعة تلك المقالة بإنكارها، والرد القوي على الباطل وأهله[3].

وإنكار المنكر لا يلزم من منكره أن يكون سليماً من المعاصي معصوماً من الخطأ، فإنه يجب الأمر بالمعروف ولو كان الآمر متلبساً ببعض

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٣٠ .

(٢) سورة التوبة ، آية (٦٦) .

(٣) انظر في ذلك تفسير القرطبي جـ ٨ ص ١٩٧ ، ١٩٨ وانظر تيسير العزيز الحميد ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ . وانظر مجموعة التوحيد ص ٢١٣ .

المعاصي، لأنه في الجملة، يؤجر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا سيما إذا كان مطاعاً في قومه أما إثمه الخاص به، فقد يغفره الله له، وقد يؤاخذه به، أما من قال: لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر إلا من ليست فيه نقيصة من المعاصي، فالجواب أنه إذا أراد بذلك الأولى والأفضل فهو أمر جيد، أما إذا أراد بذلك المنع، فيلزم من ذلك سد باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعدم وجود الشخص أو الأشخاص الخالين من المعاصي أو الأخطاء[1].

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو عمل للنفس في الدنيا والآخرة فالإنسان وإن شعر بأنه لا يناله أذى مباشر من بعض معاصي الناس ومنكراتهم إلا أن الحقيقة أن المعصية إذا وجدت والمنكر إذا حصل ولم يقم الناس بالواجب عليهم في ذلك عمهم الله بآفة العقوبة في الدنيا والآخرة كما حصل لبني إسرائيل. قال تعالى: ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون، ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾[2]. وقد حذرنا الله عز وجل من ترك أهل المعاصي دون الإنكار والأخذ على يديهم فقال تعالى: ﴿واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة﴾[3]. وقال ﷺ: «مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، فكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا من فوقهم، فقالوا: لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً»[4]. ولذلك فإن الأمر بالمعروف

(١) أنظر فتح الباري جـ١٣ ص ٥٢، ٥٣.
(٢) سورة المائدة، آية (٧٨، ٧٩، ٨٠).
(٣) سورة الأنفال، آية (٢٥).
(٤) انظر فتح الباري جـ ٥ ص ١٣٢ (كتاب الشركة).

والنهي عن المنكر إصلاح للدنيا والآخرة معاً، ومن ذلك يتقرر أن المسلم يجب عليه الانضمام إلى المسلمين والجهاد معهم والميل إليهم ومناصرتهم باليد والمال واللسان، قال تعالى: ﴿أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون﴾[1].

فالاعتزال جائز عند توفر الأسباب الثلاثة التي تقدم ذكرها وفيما عدا هذه الصور الثلاث لا يجوز الاعتزال كما هو مذهب جمهور العلماء، وهو مقتضى الأدلة الدالة على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأكثر الناس الذين يلجئون الى دعوى الاعتزال في هذا العصر لا تنطبق بحقهم الأسباب المبيحة للاعتزال، ولذلك فهم آثمون فيما ذهبوا إليه موالين لأعداء الإسلام، متخاذلين في نصرة الحق وأهله وقد توعد الله من خذل مسلماً أو تقاعس في نصرته بما ورد على لسان رسوله ﷺ حيث روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من امرىء يخذل امرءاً مسلماً عند موطن تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله عز وجل في موطن يحب فيه نصرته، وما من امرىء ينصر امرءاً مسلماً في موطن ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته»[2].

وروي أيضاً أن معاوية (رضي الله عنه) يقول: (سمعت النبي ﷺ يقول: «لا يزال من أمتى أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك»[3].

وروي أيضاً أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته»[4].

---

(١) سورة التوبة، آية (١٦).
(٢) رواه أحمد، أنظر مسند أحمد جـ ٤ ص ٣٠.
(٣) رواه البخاري : انظر فتح الباري جـ ٦ ص ٦٣٢ (كتاب المناقب ، ٢٨) .
(٤) رواه الباري: أنظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣٢٣ (باب الإكراه، ٧).

وروي عن أبي أمامة (رضي الله عنه) قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ للجهاد، فمر رجل بغار فيه شيء من ماء، فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار ويصيب ما حوله من البقل، ويتخلى عن الدنيا فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال ﷺ: «إني لم أبعث باليهودية ولا النصرانية، ولكن بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام أحدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة»[1].

وقوله ﷺ: «من أصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»[2].

فهذه الأدلة كلها تدل على عدم جواز التخلي عن المسلمين واعتزالهم في مجاهدتهم لأهل الكفر والضلال، وأن من لم يقف مع المسلمين وينحز إلى صفهم ويجاهد معهم عدوهم، وينصرهم عليه بكل ما يملك من قوة فإنه على خطر من خروجه من مسمى الاسلام حيث أن المسلم الحقيقي هو الذي يكون مع المسلمين كالعضو من الجسد كما يقرر ذلك حديث رسول الله ﷺ . ومن يعتزل المسلمين في آلامهم وآمالهم فهو كالعضو البائن من الجسد أو كالعضو الميت من الجسم الحي وحينئذ فإن العضو الموصوف بتلك الصفة يعتبر وجوده كعدمه لعدم مشاركته للجسم في صفة الحياة وما يترتب عليها من تكاليف وواجبات وهكذا شأن من يهتم بنفسه فقط، غير مبال بأمر المسلمين، وقد ذكر الله عز وجل أن الاعتزال مناف لشرط الإيمان قال تعالى حكاية عن موسى (عليه السلام): ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾[3]. فمن اعتزل فليس بمصدق، ومن آمن بنبي وجب عليه عدم اعتزال دعوته وأهل دعوته كما يفهم مما ذكره الله تعالى عن موسى وقومه،

---

(١) أنظر تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٠ (ط ١ ادارة الطباعة المنيرية).

(٢) رواه البيهقي في الشعب عن أنس مرفوعاً. أنظر كتاب جند الله ثقافة وأخلاقاً، سعيد حوى ص ١٤١.

(٣) سورة الدخان، آية (٢١).

وأما المسألة الأصولية في شرع من قبلنا هل يكون شرعاً لنا؟ فقال بعضهم إذا أورد النص في شرعنا حكاية عن شرع من قبلنا على جهة الاستدلال والإقرار من غير إنكار، تقرر ضمناً الاستدلال بذلك والعمل بموجبه(١).

وعلى هذا فإن الذين يرضون أن يكونوا في عزلة عن الأمة في صراعها مع أعدائها ويتخذون السلبية منهجاً وطريقاً للهروب من مواجهة المشاكل والأحداث ليسوا مؤمنين حقيقة، بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً ورسولاً، وإلا لما وقفوا متفرجين في صراع الحق مع الباطل كأن الأمر لا يعنيهم، وكأنهم لا شأن لهم بما يجري من أحداث إن هؤلاء الذين يدسون رؤوسهم بالتراب طلباً للسلامة لو أخلصوا لله ولدينه، ووالوا أهل الإيمان وعادوا أهل الكفر والعصيان وواجهوا الحوادث بثبات المؤمن وصبر الموحد لقطعوا الطريق على أهل الباطل، ولما وجدت الفوضى الإلحادية إلى أوطان المسلمين سبيلاً.

لقد أمر الله بسلوك سبيل المؤمنين وبالاعتصام معهم على الحق، قال تعالى: ﴿ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾(٣).

فقد حث الله على الاعتصام بالحق وهو أقوى من مجرد الاجتماع ثم أكد على ذلك بقوله: (جميعاً) ثم نهى عن الضد وهو التفرق فهذه ثلاثة مؤكدات على وجوب لزوم الجماعة والتماسك معها(٤). وقد أمر الله بذلك أمراً صريحاً في سورة الكهف فقال تعالى: ﴿واصبر نفسك مع الذين يدعون

---

(١) أنظر أسباب اختلاف الفقهاء. د. عبد الله عبد المحسن التركي ص ١٢٥.
(٢) سورة النساء، آية (١١٥).
(٣) سورة آل عمران، آية (١٠٣).
(٤) انظر في ظلال القرآن م ٢ جـ ٤ ص ٢٣ - ٢٦.

ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾[1].

فالآية أمر لرسول الله ﷺ ولأمته من بعده بلزوم جماعة المسلمين وعدم الخروج عنهم طلباً لزينة الحياة الدنيا وشهواتها المحدودة الفانية، أو إرضاء للغافلين اللاهين عن الآخرة بالدنيا المفرطين بدنياهم وأخراهم لحساب شهواتهم وأهوائهم.

فمن اعتزل أهل الإيمان، وجماعة المسلمين فقد اتبع غير سبيلهم وافترق عنهم؛ واستحق الوعيد الشديد على ذلك، لأن ذلك خذلان للمسلمين وقد ورد عن سهل بن حنيف (رضي الله عنه) مرفوعاً (من أُذل عنده مؤمن فلم ينصره وهو يقدر أن ينصره أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة)[2].

ويمكن أن يحتج البعض بما روي عن طلحة بن عبيد الله قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوي صوته ولا يفقه ما يقول، حتى دنا فإذا هو يسأل عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «خمس صلوات في اليوم والليلة» فقال: هل عليَّ غيرها؟ قال: لا. إلا أن تطوع، قال رسول الله ﷺ: «وصيام رمضان» قال: هل عليَّ غيره؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال، وذكر له رسول الله ﷺ الزكاة، قال هل عليَّ غيرها؟ قال: لا، إلا أن تطوع، قال: فأدبر الرجل وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص، قال رسول الله ﷺ: «أفلح إن صدق»[3].

وحديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال:

---

(١) سورة الكهف، آية (٢٨).

(٢) رواه أحمد. انظر مسند أحمد جـ٣ ص ٤٨٧ وانظر كتاب الكبائر للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٧١ (طبع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء) تحقيق اسماعيل بن محمد الأنصاري.

(٣) رواه البخاري ومسلم انظر اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان جـ١ ص ٢ ـ ٣.

دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة؟ قال: «تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبي ﷺ: «من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا»[1].

فالذين يحتجون بهذين الحديثين على جواز الاقتصار على هذه الأعمال دون اللجوء إلى مجاهدة الكفار مع المؤمنين، ودون تحمل تبعة الولاء والعداء في الله، ودون القيام بحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هؤلاء الذين يفهمون هذا الفهم مخطئون في فهمهم لعدة أسباب هي كما يلي:

أولاً : إن هذين الحديثين لم يذكر فيهما الشهادة والحج وهما من أركان الإسلام فلو اقتصر أحد على العمل بما في ظاهر الحديثين دون هذين الركنين لعدّ كافراً بالإجماع.

ثانياً : إن هذين الحديثين إنما كانا إجابة لسائل سأل عن أركان الإسلام الفعلية التي كانت مفروضة حين زمن السائل فكانت الإجابة مطابقة لمقتضى الحال عن السؤال.

ثالثاً : إن الحديثين لم يتضمنا بنصهما جميع الواجبات وجميع المنهيات وإن كان هذا الأمر قد يدخل في عموم الأمر بعبادة الله والنهي عن الشرك.

رابعاً : إن الحديث الثاني وهو حديث أبي هريرة يكون مخصصاً لعموم الحديث الأول ومقيداً لاطلاقه حيث قد تضمن قوله ﷺ «تعبد الله لا تشرك به شيئاً» وجوب عبادة الله عز وجل في المسائل المذكورة بالحديث وغيرها من الأوامر والنواهي[2].

---

(١) رواه البخاري ومسلم ـ المصدر السابق جـ ١ ص ٣ .

(٢) انظر فتح الباري جـ ١ ص ١٠٦ ـ ١٠٨ وانظر جـ ٣ ص ٢٦٣ ـ ٢٦٥ . وانظر شرح النووي على =

وحينئذ فإن موالاة الله ورسوله والمؤمنين من أهم أصول العبادة لله عز وجل، كما أن محبة الكفار وتوليهم لون من ألوان الشرك قال تعالى: ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين[2].

وعلى هذا فلا صحة لما يتوهمه بعض ضعاف المسلمين من أنه يجوز لهم الاقتصار على بعض الواجبات المذكورة في الحديث الأول دون أن يتحملوا تبعة الموالاة في الله والمعاداة فيه، بالانضمام إلى حزب الله ومحاربة حزب الشيطان لأن الله تعالى يقول: ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾[3]. ويقول تعالى: ﴿رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون﴾[4]. ومن لم يكن في حزب الله فهو في حزب الشيطان. قال تعالى: ﴿ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ وعلى هذا فليس هناك منزلة وسط بين حزب الله وحزب الشيطان فيجب على الإنسان أن يراجع نفسه إلى أي الحزبين ينتمي قولاً وفعلاً واعتقاداً، فالكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني.

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين، وله من المؤيدين والمناصرين واصرف قلوبنا عن محبة وتأييد ومناصرة أحزاب الشياطين يا أرحم الراحمين إنك حسبنا ونعم الوكيل.

صحيح مسلم جـ ١ ص ١٦٦ ـ ١٦٩ ، ص ١٧٣ ـ ١٧٥ . وانظر شرح الزرقاني على موطأ مالك جـ ١ ص ٣٥٧ ـ ٣٥٩ .

(١) سورة البقرة ، آية (١٦٥) .

(٢) سورة المائدة ، آية (٥١) .

(٣) سورة المائدة ، آية (٥٦) .

(٤) سورة المجادلة آية (٢٢) .

المبحث الثاني

اعتزال المؤمنين خوفاً من أعداء أهل الإيمان

يعلم كثير من الناس أن الحق مع طائفة أو جماعة من المسلمين ولكن الخوف على النفس أو المال أو الأهل يدفع بعض المنتسبين إلى الإسلام الى اعتزال الجماعة المسلمة وعدم تأييدها أو الجهاد معها، طلباً للراحة وخوفاً من الفتنة والامتحان والابتلاء في طريق الدعوة، ولا شك أن الخوف مما فطرت عليه النفس البشرية ولكن هذا الخوف إما أن يجد مكانه الصحيح والطبيعي، وهو الخوف من الله عز وجل ومن عذابه، فعند ذلك يبادر المسلم الى فعل الطاعات وترك المحرمات، بدافع الخوف من عذاب الله، ورجاء ثوابه وعظيم جزائه، وإما أن ينحرف بتلك الصفة عن مسارها الصحيح فحينئذ، يخشى ويخاف من أهل الزعامات الأرضية حتى يقدم الخوف منهم على الخوف من الله لقصر نظره وضعف عقيدته، وهذا النوع من الخوف هو الذي ورد الذم لفاعله في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾[١].

---

(١) سورة آل عمران، آية (١٧٥).

وقال تعالى: ﴿إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين﴾[1]. فدلت الآيات على أن التخلص من الخوف من غير الله من كمال الإيمان ولذلك مدح الله المؤمنين بعدم الخشية من سواه، كما ذم الله عز وجل الذين يدَّعون الصلاح والإصلاح في وقت الرخاء والسعة، فإذا حانت ساعة الشدة والبأس، وبلغت القلوب الحناجر تنصلوا من الإسلام ومن المسلمين وأنكروا الانتماء إليهم خوفاً على أنفسهم وأموالهم وحظوظهم من الدنيا الفانية، قال تعالى: ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله، فإذا أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله﴾[2]. قال ابن القيم (رحمه الله تعالى): الخوف من عبودية القلب لله تعالى فلا يصلح الخوف إلا من الله تعالى، فهو كالذل والمحبة، والتوكل، والرجاء وغير ذلك من أنواع عبودية القلب[3]. اهـ.

فالخوف الذي يجعل الإنسان يترك ما يجب عليه من الدعوة والجهاد، ومناصرة المؤمنين بالقول والفعل، خوفاً من بعض الناس هو نوع من أنواع الشرك المنافي لكمال التوحيد[4].

وفي الآية المتقدمة رد على المرجئة، والكرامية ومن حذا حذوهم من المتأخرين الذين يقولون: إن من آثر الخوف فترك الجهاد، واعتزل الفئة المؤمنة، ولم يجاهد معها فإنه لا يترتب على عمله هذا كفر[5]. بناء على أصلهم أن الإيمان هو مجرد التصديق ويستدل البهنساوي على ذلك بقوله

---

(١) سورة التوبة، آية (١٨).

(٢) سورة العنكبوت، آية (١٠).

(٣) انظر الجامع الفريد ص ١٤٢.

(٤) انظر فتح المجيد ص ٣٤٤.

(٥) انظر المصدر السابق نفس المكان. وانظر الحكم وقضية تكفير المسلم ص ٥٥. سالم البهنساوي.

تعالى: ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾[1]. فيذكر أن القرآن أقر لهم بوصف الإيمان مع أنهم تركوا الهجرة خائفين ولم ينضموا إلى المسلمين بالمدينة، وكتوضيح لهذا الكلام نقول:

أولاً : إنّ الذين لم يهاجروا إلى المدينة لم يكن الخوف هو السبب في إقامتهم بمكة، وأنهم رغبوا بأنفسهم عن الاشتراك مع المسلمين لهذا السبب، بدليل أن عامة كتب التفسير لم تذكر هذا السبب الذي جعله علة لإقامتهم)[2].

ثانياً : إن الذين أقاموا بمكة من المستضعفين الذين عذرهم الله بالإقامة حيث إن الاستضعاف نوع من الإكراه[3]، بخلاف الخوف[4]، فإنه مغاير للاستضعاف، فالإكراه هو إلزام شخص بما لا يريده، والخوف، هو ترك ما يريده الشخص خوفاً مما لا يريده شخص آخر، فالإكراه شيء حاصل على الإنسان وواقع عليه، والخوف صادر منه في شيء لم يحصل له بعد. وقد دل القرآن الكريم على أن غير المستضعفين لم يعذروا بالإقامة بمكة بل أخبر تعالى بوجوب الهجرة عليهم. . . قال تعالى: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا**

---

(١) سورة الأنفال، آية (٧٢).

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٥٦. وانظر تفسير الطبري جـ ١٠ ص ٣٦ ـ ٤٠. وانظر زاد المسير جـ ٣ ص ٣٨٦. وانظر مختصر تفسير ابن كثير للصابوني جـ ٢ ص ١٢١. وانظر في ظلال القرآن أـ ٤ ص ٧٢ وانظر تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس جـ ٣ ص ١١.

(٣) انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٥٤٢ . وانظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣١١ .

(٤) انظر المعجم الوسيط ، جـ ١ ص ٢٦١ .

يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً﴾[1].

ولهذا كان النبي ﷺ يقول في قنوته: «اللهم نج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام والمستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف»[2].

ثالثاً : وردت الأحاديث بذم من سكن مع المشركين وهو ليس من الضعفاء المعذورين، ولم يستطع إظهار دينه بينهم، ومعلوم أن الكفار بمكة كانوا محاربين لكل مسلم غير مجيزين إظهار الإسلام لديهم، قال رسول الله ﷺ: «برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في بلادهم»[3].

وقال عليه الصلاة والسلام: «إني بريء من كل مسلم مع مشرك» ثم قال رسول الله ﷺ: «ألا لا تراءى نارهما»[4]. وقال عليه الصلاة والسلام: «أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتناصح المسلمين وتفارق المشركين»[5]. فالخوف ليس عذراً في ترك الدعوة واعتزال الجماعة، فمن منا لا يخاف على نفسه وماله وأهله وعرضه؟ ولو كان مثل هذا الخوف يبيح ترك الدعوة واعتزال الجماعة لما نهض أحد بتكاليف الإسلام وقام بحق هذا الدين.

إن من يترك العمل للإسلام مع الجماعة الإسلامية بدون عذر شرعي،

---

(١) سورة النساء، آية (٩٧، ٩٨، ٩٩).

(٢) أنظر الفتاوى ابن تيمية، جـ ٣٥ ص ٦٣.

(٣) أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م ٢ ص ٤١١.

(٤) رواه النسائي. أنظر سنن النسائي جـ ٨ ص ٣٦. وقال الألباني حديث حسن. أنظر صحيح الجامع الصغير جـ ٢ ص ١٧ ح ١٤٧٤.

(٥) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م ٢ ص ٢٣٠ رقم الحديث ٦٣٦.

وإنما خوفاً من نقص يصيبه في نفسه أو أهله أو ماله فإنه مرتكب لإثم عظيم وذنب كبير، وتلك هي أعذار المنافقين. قال تعالى: ﴿سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً﴾[1]. وهذا هو النفاق المحض[2]. مع أن مقتضى الإيمان الصحيح أن لا يخشوا أحداً غير الله، ولذلك قال في آخر الآية المتقدمة: ﴿قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً﴾؟. فالذين يعتزلون شعائر الإسلام والجماعة المسلمة خوفاً وتحسباً لنقص يصيبهم في أنفسهم أو أموالهم أو أهليهم، فهم مفضلون للدنيا على الآخرة، وهم حينئذ داخلون تحت قوله الله تعالى: ﴿ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة﴾[3]. وقوله: ﴿الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة﴾[4]. فلو كان هناك طريق للجهاد لا يخسر فيه الإنسان قطرة من دمه ولا درهماً من ماله، ولا يفارق فيه أهلاً ولا ولداً، لتسابق إليه المنافقون، ولما تحمل أصحاب رسول الله ﷺ تبعة التضحية بالمال والنفس والأهل في سبيل الله مع وجود ما يقوم مقام ذلك. فإذا كان التخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة واحدة موجب لوصف هؤلاء المتخلفين بالنفاق كما في قوله تعالى: ﴿فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون﴾[5]. فإذا كان هؤلاء سينالهم العذاب بتخلفهم عن معركة واحدة فما ظنك بمن يقف موقف المتفرج في صراع الحق مع الباطل بصفة

---

(١) سورة الفتح، آية (١١).

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ١٦ ص ٢٦٨ .

(٣) سورة النحل ، آية (١٠٧) .

(٤) سورة إبراهيم، آية (٣).

(٥) سورة التوبة، آية (٨١، ٨٢).

مستمرة، إيثاراً للسلامة، وطلباً للراحة، واستصغارا للدعوة وأصحابها، ألا يكون هذا أعظم إثماً ممن تخلف عن معركة واحدة.

ألا يكون موقف هذا المعتزل للدعوة والدعاة يوحي بعدم اكتراثه واهتمامه بالإسلام والمسلمين.

إن الخوف من أهم الأسباب التي تقعد بضعاف الإيمان عن الموالاة في الله والمعاداة فيه.

إن الذين يعيشون لبطونهم وفروجهم، أخوف ما يخافون على حظوظهم الدنيوية، ولذلك تراهم يضحون بالإسلام والمسلمين من أجل ذلك، فيدفعهم الخوف والجبن إلى تملق كل صاحب سلطة، ومجاراة كل طاغية، وإلى تحريف الكلم عن مواضعه طلباً لرضا ذوي السلطان، وأقل هؤلاء درجة من يلوذون بالصمت، في أشد المواقف حاجة إلى كلمة الحق عند السلطان الجائر.

فعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) مرفوعاً: «إنَّ من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله، وأن تحمدهم على رزق الله، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله. إن رزق الله لا يجره حرص حريص، ولا يرده كراهية كاره»[1]. وهذا يدل على أن إيثار رضا المخلوق بما يجلب له سخط خالقه، نوع من الشرك، لأنه قدم رضا المخلوق على رضا الخالق عز وجل، وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله ﷺ قال: «من التمس رضا الله بسخط الناس، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس» رواه ابن حبان في صحيحه[2].

فالواجب على المسلم إذا عرف الحق أن يتبعه، وأن يقول به دون

(١) الجامع الفريد ص ١٤٤.
(٢) المصدر السابق، ص ١٤٥.

خوف من أحد، أو مجاملة لأحد، لأن هذا هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والساكت عن الحق شيطان أخرس، فكيف يُنزَّل الخوف من الناس منزلة أعظم من منزلة الخوف من الله؟ إن هذا الأمر لا يجوز سواء-في حق الفرد أو الجماعة المسلمة لأن المسلم إذا عرف الحق يجب عليه أن يتوكل على الله في الدعوة إليه وبيانه، قال تعالى: ﴿يأيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾[1]. وقال تعالى: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾[2]. وعن ابن عباس(رضي الله عنهما) قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا له[3]: ﴿إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم، فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾[4].

أما إذا قصد الإنسان بأعماله الدنيا خاصة، فطبيعي أن يخشى على فراقها ويضحي بكل شيء في سبيل بقائها حتى ينسلخ من عقيدته وهذا لون من ألوان الشرك. قال تعالى: ﴿من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف إليهم أعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة إلا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون﴾[5].

وعلى هذا فإن الخوف من غير الله الذي يجعل الإنسان يترك ما أوجب الله عليه من الواجبات الشرعية هو نوع من أنواع الشرك يجب على المسلم الابتعاد عنه[6]

---

(١) سورة الأنفال، آية (٦٤).
(٢) سورة الطلاق، آية (٣).
(٣) رواه البخاري والنسائي. انظر فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ص ٣٥٦ ـ ٣٥١. وانظر مجموعة التوحيد ص ٢٠٠ ـ ٢٠١.
(٤) سورة آل عمران، آية (١٧٣).
(٥) سورة هود، آية (١٥، ص,ظ(.
(٦) انظر الفتح المجيد شرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن ص ٣٤٤.

قال تعالى: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمناً قليلاً ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1].

وقد يقول قائل لماذا إذاً نرى بعض العلماء والمفكرين يتغاضون عن كثير من المنكرات والمحرمات في بلادهم ويتجاهلون وجودها ألا يعني ذلك خوفهم من صاحب السلطان وبطشه؟

والجواب على ذلك في رأيي أنه ليس كل من رأى منكراً وسكت عنه يكون راضياً به أو خائفاً من أن ينكره، ولكن قد يكون الإنكار في بعض الأحوال ليس هو الأصلح للدعوة والدعاة إلى الله وإن كان الإنكار بصفة عامة أمراً صالحاً، وذلك راجع إلى طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه المسلم، فقد يعيش المسلم في مجتمع ملتزم بالإسلام وفي هذه الحال يكفي أن يجهر بإنكار المنكر فيجد من السلطة والمجتمع العون الكامل لتغيير هذا المنكر وإزالته، وقد يكون المسلم في مجتمع أفراده مسلمون وسلطته كافرة، وفي هذه الحال يتوجه بالإنكار والدعوة إلى المجتمع لأن السلطة ليست مستعدة للاستجابة إلا بمنطق القوة، والقوة ليست متوفرة بأيدي الدعاة في كل الظروف.

وقد يكون المسلم في مجتمع كافر - بدولته وأفراده - وفي مثل هذه الحال ليس من الحكمة الوقوف في وجه المجتمع كله وهو قطرة في بحر.

ففي مثل هذه الحال يلجأ إلى الدعوة الخاصة عن طريق الاتصال بالأفراد وربما بسرية تامة كما فعل نوح (عليه السلام) مع قومه وكما فعل نبينا محمد ﷺ في مكة حيث أمضى ثلاث سنوات يدعو الناس سراً وتلك الأساليب في الدعوة هي من الحكمة التي أمرنا الله بها في قوله تعالى: ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي

---

(١) سورة المائدة، آية (٤٤).

أحسن﴾(١). وقال تعالى: ﴿يُؤْتِي الحكمةَ من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد أُوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾(٢). وبناء على ذلك فإن من يسلك إحدى هذه السبل مع مجتمعه الذي يعيش فيه لا يعتبر من المنقطعين عن الدعوة ولا يوصف بالخوف أو الجبن في تجاهله لبعض المنكرات، لأنه ينظر إلى الأمور بحكمة وروية تختلف عن نظرة أهل الضحالة في العلم والتفكير الذين يقعد بهم الخوف عن العمل للإسلام في كل الميادين، أو الذين يندفعون بلا حكمة وروية في محاربة قشور الباطل وأغصانه ناسين أو متناسين العمل الجاد لاقتلاع جذور الباطل واجتثاث أصوله من أعماقها، فالباطل كالشجرة التي كلما قطع منها غصن خرج بدل منه ولا يزول الباطل إلا باقتلاع أصله، قال تعالى: ﴿ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء﴾(٣). ولذلك يجب أن نميز بين من يعمل لله بحكمة ومن يترك العمل لله خوفاً من الناس.

---

(١) سورة النحل، آية (١٢٥).

(٢) سورة البقرة، آية (٢٦٩).

(٣) سورة إبراهيم، آية (٢٦، ٢٧).

المبحث الثالث

العلماء بين طريق الجهاد وطريق الاعتزال

إن مما لا شك فيه أن العلماء هم ورثة الأنبياء وهم الأتقى لله قال تعالى: ﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾[1].

ولو وجد هؤلاء العلماء أن طريق الاعتزال يقودهم إلى بر الأمان في الدنيا والآخرة لسلكوه ودعوا الناس إليه، لأنهم هم الأعرف بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهم أقدر على استنباط الأحكام ومعرفتها كما قال تعالى: ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾[2]. فلو استنبط العلماء جواز الاعتزال عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتخلي عن جماعة المسلمين والاكتفاء بإصلاح النفس وتأدية الشعائر التعبدية المتعلقة بذات الفرد لما وقف العلماء تلك المواقف التي جعلتهم يقدمون أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله.

---

(١) سورة فاطر، آية (٢٨).

(٢) سورة النساء، آية (٨٣).

لقد كان بإمكان أولئك المجاهدين أن يلجئوا الى الآيات والأحاديث التي قد يُستوحى من ظاهرها جواز العزلة عن الصراع بين الحق والباطل، فيفسروا تلك النصوص على النحو الذي يعفيهم من تعب الجهاد ومشاقه المضنية، ويريحهم من سياط المتسلطين ومعتقلات الطغاة المجرمين ولكنهم أدركوا أن هذا الطريق الذي سلكوه هو الطريق الصحيح، فمشوا فيه مستهينين ومستصغرين وصابرين على جميع العقبات التي تواجههم فيه حيث أن ذلك الطريق هو طريق الجهاد الموصل إلى مرضاة الله وجنته يقول أحد هؤلاء المجاهدين:

وسبيل دعوتنا الجهاد، وإنه إن ضاع ضاعت حرمة الأوطان
والموت أمنية الدعاة، فهل ترى؟ ركناً يعاب بهذه الأركان[1]؟

وسنعرض في هذا المبحث نماذج حية لرجال عمر الإيمان قلوبهم فلم يأبهوا بجاه أو سلطان، ولم يرضخوا لجبروت أو طغيان، بل لقد كافحوا الطغيان في أوج قوته وبطشه وقهروا الجبروت في عنفوانه وتطاوله، ولم يكن لهم من سلاح سوى سلاح الإيمان الذي يعلو به المؤمن فوق كل سلاح لقد كان بإمكان هؤلاء جميعاً أن يعيشوا مع أممهم وحكامهم بغير هذا الأسلوب وغير هذا الطريق، لو أنهم أرادوا العيش الرغيد والمتاع الزهيد الذي يتكالب عليه علماء السوء وسماسرة الطغاة، ولكنهم كانوا أكبر من أن تفتنهم الدنيا أو تقعد بهم الشهوات والشبهات، ومواقف العلماء في ذلك أكثر من أن تحصر ولكن حسبنا أن نذكر بعض الصور للذكرى إن الذكرى تنفع المؤمنين، فمن هذه المواقف ما يلي:

أولاً ـ موقف سعيد بن جبير[2] مع الحجاج

كان سعيد بن جبير (رحمه الله) معروفاً بشدة الورع والتقوى قد أوتي

---

(١) انظر شعراء الدعوة الإسلامية، أحمد الجدع وحسني جرار جـ ٥ ص ٧.

(٢) هو سعيد بن جبير الأسدي الوالبي من أكابر أصحاب ابن عباس (رضي الله عنهما) كان =

لساناً ناطقاً بالحق؛ وقلباً حافظاً للعلم، وسرعة بديهة بإلقاء الحجة القوية في وجه الخصم، وكان الحجاج معروفاً بالفسق والتعدي على حرمات الناس في أنفسهم وأموالهم، فخاف من وجود سعيد بن جبير بين الرعية نظراً لحبها له وثقتها به فقرر التخلص منه بالترغيب والترهيب.

فقد حُمِلَ سعيد بن جبير إلى الحجاج ولما دخل عليه سأله الحجاج عدة أسئلة كلها سخرية وتبكيت واستهزاء فرد عليه سعيد ردا مفحما.

ثم أمر الحجاج بطبق مملوء باللؤلؤ والزبرجد، والياقوت فجمعه بين يده لعل ذلك يغري سعيد بن جبير فيكون ثمناً لصمته وسكوتـه، ولكن سعيداً أدرك الهدف من ذلك وقال للحجاج: إن كنت جمعت هذا لتتقي به فزع يوم القيامة فصالح، وإلا ففزعة واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ولا خير في شيء للدنيا إلا ما طاب وزكا[1]..

فلم ينفع الحجاج هذا الإغراء بالمال والذهب، فليس ابن جبير من عباد المال، ولا من الذين يبيعون دينهم بدنياهم، ولذلك ضاق الحجاج ذرعاً بسعيد فقال له: اختر يا سعيد أي قتلة أقتلك؟ فقال سعيد: اختر أنت لنفسك، فوالله لا تقتلني قتلة إلا قتلك الله مثلها في الآخرة؟ فقال: أتريد أن أعفو عنك؟ فقال: إن كان العفو فمن الله، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر.

فأمر به الحجاج فذبح من الوريد إلى الوريد. ولسانه رطب بذكر الله[2].

= من أئمة الإسلام في التفسير والفقه وأنواع العلوم وكثرة العمل الصالح. مات (رحمه الله) سنة (٩٥ هـ) وله من العمر (٧٤) سنة. أنظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ٩٨ - ٩٩ وانظر الإسلام بين العلماء والحكام، للبدري ص ١٣٨ - ١٤٣.

(١) انظر الاسلام بين العلماء والحكام ص ١٤١ .

(٢) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان جـ ٢ ص ١١٢ وانظر الاسلام بين العلماء والحكام ، عبد العزيز البدري ص ١٣٨ - ١٤٣ .

وقد قيل للحسن البصري (رحمه الله): إن الحجاج قد قتل سعيد بن جبير فقال: (اللهم أنت على فاسق ثقيف. والله لو أن من بين المشرق والمغرب اشتركوا في قتله لكبهم الله عز وجل في النار)[1] اهـ.

وقال أحمد بن حنبل (رحمه الله): (قتل الحجاج سعيد بن جبير وما على وجه الأرض أحداً إلا وهو مفتقر إلى علمه)[2] اهـ.

ثانياً: عندما قام المأمون بتأييد المعتزلة ضد أهل السنة والجماعة في مسألة القول بخلق القرآن، وقف الإمام أحمد (رحمه الله) ناصر السنة وهازم البدعة كالطود الشامخ لم يرهبه تهديد أو يرغبه إغراء ووعيد، حتى لقد أشفق عليه بعض تلاميذه وأقربائه، فقد جاءه عمه إسحاق فقال: (يا أبا عبد الله قد أجاب أصحابك، وقد أعذرت فيما بينك وبين الله، وبقيت أنت في الحبس والضيق). فقال: (يا عم إذا أجاب العالم تقية، والجاهل بجهل فمتى يتبين الحق)[3] اهـ.

ثالثاً: عندما سجن الإمام أبو حنيفة (رحمه الله) بعد أن ضرب بأمر أبي جعفر المنصور، زارته أمه في السجن فقالت له: (يا نعمان إن علماً ما أفادك غير الضرب والحبس لحقيق بك أن تنفر عنه ـ فأجابها: يا أمه لو أردت الدنيا لوصلت إليها، ولكني أردت أن يعلم الله أني صنت العلم ولم أعرض نفسي فيه للهلكة)[4]. ؟

رابعاً: إن الجهاد والتعرض للاستشهاد أعظم أجراً وأنفع للمسلمين من الذين يخفون رؤوسهم في التراب رغم رؤيتهم للمنكرات ظانين أن قيامهم ببعض شعائر الإسلام التي لا تكلفهم شيئاً من أنفسهم وأموالهم كافية في حملهم الى مراتب الشهداء والصالحين والمجاهدين في سبيل الله.

---

(١) المصدر السابق نفس المكان.

(٢) المصدر السابق نفس المكان.

(٣) أنظر الاسلام بين العلماء والحكام، للبدري ص ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٤) انظر المصدر السابق رقم الصفحة (٢٢١).

ومع أن الحق خلاف ما توهموه، حيث إن الواجب هو الجمع بين تأدية شعائر التعبد، مع الجهاد مع الجماعة المسلمة لنصرة هذا الدين بالقول والفعل، وهذا ما فهمه العالم العامل المجاهد عبد الله بن المبارك[1] (رحمه الله) حيث كان يحج سنة ويجاهد أخرى حتى توفي وهو في درب الجهاد، وكان هذا العالم الجليل صديقاً للفضيل بن عياض[2] وكان الفضيل منقطعاً للعبادة في أشرف مكان وهو المسجد الحرام، فكتب عبد الله بن المبارك رسالة وقصيدة إلى أخيه الفضيل بن عياض يقول في بعض أبياتها:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا ... لعلمت أنك في العبادة تلعب
من كان يخضب خده بدموعه ... فنحورنا بدمائنا تتخضب
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا ... رهج السنابك والغبار الأطيب
ولقد أتانا من مقال نبينا ... قول صحيح صادق لا يكذب
لا يستوي غبار خيل الله في ... أنف امرىء ودخان نار تلهب
هذا كتاب الله ينطق بيننا ... ليس الشهيد بميت لا يكذب[3]

لقد كتب ابن المبارك هذا الكلام في وقت لم يكن الجهاد فيه فرض عين كما هو الحال حيث يستبيح اليهود والنصارى والشيوعيون معظم البلاد الإسلامية. وقد وصف ابن المبارك انقطاع صديقه لنوافل العبادات بأنها لعب، وهي عبادة تقع في أشرف بقعة على هذه الأرض، تُرى ماذا يقول ابن المبارك عن أدعياء العلم الذين يفتون بمصالحة اليهود على مقدسات المسلمين، والذين يركعون تحت أقدام الطغاة المستبدين (رحم الله) العلماء العاملين الذين لا يبررون أخطاءهم وأخطاء حكام السوء في عصرهم بمبررات واهية، تبيح لهم ترك الجهاد، وتبرر للطغاة المجرمين البطش والتنكيل بأهل الحق والرشاد.

(١) أنظر ترجمته ص ٢٥١ من هذه الرسالة.

(٢) أنظر ترجمته ص ١٤٤ من هذه الرسالة.

(٣) أنظر الاسلام بين العلماء والحكام، للبدري ص ٢٢٩. وانظر تذكرة الدعاة ـ لبهي الهولي ص ٢١٢.

خامساً: إن في موقف العز بن عبد السلام من الملك الصالح أيوب (صاحب مصر) درساً لمن لا يخشى إلا الله تعالى، فقد استضاف الشيخ عبد العزيز بن عبد السلام الملقب (بالعز بن عبد السلام) (الملكَ الصالح أيوب) حيث نزل الشيخُ ضيفاً عنده في مصر بعد أن طُرد الشيخ من الشام، وفي يوم من الأيام كان الملك أيوب في محفل من المحافل، قد أحاط به الأمراء والحكام ورجال الجيش وسراة الحاشية، وأقبل الناس عليه يقبلون يديه ويحنون له الهامات ويطأطئون له الرؤوس في موكب يشعر بالذلة والخضوع لغير الله، فخرج العز بن عبد السلام يشق الصفوف المتراصة ويفري الجموع المحتشدة، ليهتف في وجه الملك في قوة المؤمن وعزم الموحد «لم تباع الخمور في عهدك وأنت ساه لاه في هذه الأبهة وهذا النعيم؟ وما كان للسلطان إلا أن يعتذر في رفق، ويجيب في لين - أنا ما علمت بهذا. . . لعله من زمان أبي - فيعيد العز بن عبد السلام قولته أشد مضاء من سابقتها فيقول: (ما زدت عن كونك من الذين يقولون ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾[1]. فيأمر السلطان بإغلاق تلك الخمارة، فيسأل الشيخ رجل من خاصته ممن أدهشتهم جرأة الشيخ في الحق أمام هذه الجموع فيقول: أما خفته؟ فقال الشيخ: والله يا بني. . لقد استحضرت هيبة الله تعالى، فصار السلطان أمامي كالقط الصغير)[2].

سادساً: موقف الشيخ ابن تيمية (رحمه الله) وهو في السجن حيث كتب إليه بعض إخوانه يشيرون عليه بالموافقة والمجاراة والمداهنة لخصومه، ليتخلص من السجن فقال في رسالة رد بها عليهم قوله: (أما بعد فقد وصلت الورقة التي ذكر فيها الشيخان الناسكان ما ذكرا، جعلهما الله من الأئمة المتقين الذين جمعوا بين الصبر والإيقان، وعلموا أن الله ناصر حزبه ومنجز وعده، ومنتقم من حزب الشيطان لعباد الرحمان، ولكن بما اقتضت

---

(١) سورة الزخرف، آية (٢٣).

(٢) انظر الايمان وأثره في نهضة الشعوب، يوسف العظم ص ٥٩ - ٦٢.

حكمته ومضت به سنته، من الابتلاء والامتحان الذي يميز الله به أهل الصدق والإيمان من أهل النفاق والبهتان[1].

قال تعالى: ﴿ألم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[2].

سابعاً: من مواقف العلماء الذين اختاروا طريق الجهاد والدعوة إلى الله على طريق العزلة والاعتزال، موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) وذلك أنه ثار في وجه الشرك والمشركين غير مبال بما يلاقيه في سبيل الله، وبعد أن شاع أمر الدعوة وأصبحت خطراً يهدد أهل الفسق والفجور، تآمر عليه بعض الفسقة وسطوا على بيته ليلاً لاغتياله، فعلم بهم الناس فصاحوا بهم فهربوا، فلم يطمئن الشيخ بعد هذه الحادثة إلى المقام في حريملاء، فانتقل منها الى العيينة وتلقاه أميرها ابن معمر بالقبول والمناصرة في أول الأمر ولكنه كان والياً من قبل ابن عرير حاكم الأحساء، وقد وشى بعض دعاة السوء وجهل الضلال بالشيخ الى ابن عرير فكتب الى ابن معمر خطاباً يأمره فيه بطرد الشيخ من بلده فما كان من ابن معمر إلا أن ينفذ أمر سيده، ومنها انتقل الشيخ إلى الدرعية حيث كتب الله له النصر بالتعاون مع الإمام محمد بن سعود[3].

ثامناً: من مشاركة العلماء في قضايا أمتهم وجهادهم الذي يستعلي على الاغراءات المادية ما حصل من جمال الدين الأفغاني[4] مع سلطان

(١) انظر العقيدة والآداب الاسلامية، للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٣٢٥ - ٣٢٩.

(٢) سورة العنكبوت، آية (١، ٢، ٣).

(٣) هو الإمام محمد بن سعود بن محمد بن مقرن من قبيلة عنزة تولى حكم الدرعية سنة (١١٣٩ هـ) وبعد توليه بتسعة عشر عاماً التقى بالشيخ محمد بن عبد الوهاب وتعاونا معاً في مجاهدة أهل الشرك والضلال إحدى وعشرين سنة حتى توفي الإمام سنة (١١٧٩ هـ) بعد إمارة دامت أربعين سنة. أنظر عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر ص ٦٣.

(٤) هو جمال الدين الأفغاني من أشهر أعلام الإسلام في القرن التاسع عشر =

قيل غير ذلك والله أعلم

تركيا حيث أراد السلطان عبد الحميد أن يشتري صمته فمنحه رتبة قاضي عسكري، وهي وظيفة يسيل لها لعاب كثير من أصحاب المناصب والشهوات بما تقتضيه من رواتب وحلل زاهية ومركز مرموق في نظر عبدة الدرهم والدينار، ولكن جمال الدين الأفغاني لم يكن من هذا النوع، فعندما جاء رجال السلطان يتسابقون إليه بهذه البشرى قال لهم: (قولوا لمولاكم السلطان إن جمال الدين الأفغاني يرى رتبة العلم هي أعلى رتبة ثم قولوا له إنني لا أستطيع أن أكون مثل البغل المزركش)[1].

وفي موقفه الثاني درس للذين لا يهتمون إلا بمصلحتهم الخاصة وراحتهم النفسية ولو كان ذلك على حساب الإسلام والمسلمين فقد هبط إلى مطار تركيا منفياً من ايران فسأله أحد مستقبليه عن حقائب متاعه فقال: (أما صندوق الكتب فها هنا ـ مشيراً إلى صدره ـ وأما صندوق الثياب فهذه ـ مشيراً إلى الجبة التي يرتديها ـ ثم قال: (كنت في أول عهدي بالنفي أستصحب جبة ثانية وسراويل، ولكن لما توالى النفي صرت أستثقل الجبة الثانية، فآثرت ترك التي عليَّ إلى أن تخلق فأستبدلها بغيرها)[2].

تاسعاً: يقول الشيخ عمر التلمساني رئيس جماعة الاخوان المسلمين في مصر: (إنني في كل ما أسعى إليه أبتغي مصلحة الدعوة الاسلامية

= الميلادي القرن الثالث عشر الهجري ولد في أسعد آباد على مقربة من كنار من أعمال كابل في أفغانستان عام (١٢٥٤ هـ) الموافق (١٨٣٨ م) من أسرة حنفية المذهب درس العلوم الاسلامية في صباه ثم انصرف وهو في الثانية عشرة من عمره الى دراسة الفلسفة وقام بعدة جولات في العالم الاسلامي والعالم كله، وهو يجمع بين الكتابة والخطابة والصحافة والسياسة، كان من أكبر الدعاة الى فكرة الجامعة الاسلامية وأنشأ في فرنسا مجلة العروة الوثقى بالاشتراك مع تلميذه محمد عبده وتوفي جمال الدين الأفغاني عام (١٨٩٧ م). أنظر دائرة المعارف الاسلامية جـ٧ ص ٩٥ ـ ١٠٠ وانظر الموسوعة الحركية، فتحي يكن جـ١ ص ٢١ ـ ٢٦).

(١) أنظر الايمان وأثره في نهضة الشعوب، يوسف العظم ص ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) انظر المصدر السابق.

وليست لي مصلحة خاصة، فأنا لا أطمع أن أكون وزيراً أو مديراً وقد بلغت من العمر ستة وسبعين عاماً فماذا أنتظر بعد ذلك؟ ولولا أنها بيعة لله تتطلب وفاء وتضحية في سبيله، لاعتزلت العمل في ذلك، ولكني أريد أن ألقى الله عز وجل ببيعي وليكن ما يكون)[1].

ولم يمنع رئيس دولة العلم والإيمان!! كما يدعي زوراً وبهتاناً، من أن يعتقل هذا الشيخ المسن الذي بلغ من العمر سبعة وسبعين عاماً بغير ذنب سوى أن يقول (ربي الله) في الوقت الذي يكتفي فيه السادات بتجريد صوري للبابا شنودة من منصب لا يملك فيه حل ولا عقد[2].

لقد كان بإمكان هؤلاء العلماء المجاهدين، أن يتحولوا إلى علماء انعزاليين ووعاظ مسكنة، يقرأون أفكار الحكام ورغباتهم قبل أن ينطقوا بها فيصدروا لهم الفتاوى المعلبة الجاهزة، ويلوون أعناق النصوص ويتكلفون في التأويل البعيد عن مدلول النص ومفهومه، ويستدلون بالضعيف من الأدلة، كي يكسبوا مقعداً وثيراً بجانب حاكم ظالم، ويقبضوا مالاً وفيراً ولو كان هذا المال قد سلب من عرق الكادحين وقوت الضعفاء والمساكين. ولكن العلماء العاملين أدركوا بما فتح الله عليهم من علم نافع وفهم ثاقب وهداية في القول والعمل أن الجهاد في سبيل الله هو الطريق الموصل الى مرضاته وجنته، وأن الجهاد يكون بالحسنى تارة عندما يكون الضالون أفراداً، يحتاجون الى الارشاد والتقويم، وتنوير الأفهام وإيضاح الطريق المستقيم، ويكون تارة بالقوة حين تملك الفئة الباغية قوة تقف بها في طريق الناس لتصدهم عن الحق والهدى وتعطل بقوتها تنفيذ شريعة الله[2].

فهل يبقى لدعاة الاعتزال مستمسك بعد هذا التوضيح والبيان؟!!

---

(١) المجتمع الكويتية عدد ٤٧٦ السنة الحادية عشرة في ١٤٠٠/٥/٢٩ هـ ص ٢٥.

(٢) انظر المجتمع الكويتية عدد ٥٤٢ السنة الحادية عشرة في ١٤٠١/١١/٩ هـ ص ١٨
وانظر صحيفة الأنباء العدد (٢٠٥٠) السنة السادسة في ١٤٠١/١١/٨ هـ ص ١، ١٩).

(٣) انظر هذا المعنى في ظلال القرآن، سيد قطب جـ ٧ ص ٦٣.

الفصل الرابع

دعوى الإكراه في عدم الموالاة في الله والمعاداة فيه

الإكراه هو حمل الإنسان على ما لا يرضاه من القول أو الفعل بحيث لو خلي ونفسه لما باشر ذلك القول أو الفعل[1].

والذين يدَّعون الإكراه في عدم موالاة المسلمين، أو معاداة الكافرين يلجأون الى الاعتذار والاحتجاج ببعض النصوص من الكتاب والسنة.

فمن الكتاب قول الله تعالى:

١ ـ ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[2].

٢ ـ قوله تعالى: **﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾**[3].

---

(١) انظر اصول الفقه ، محمد الخضري بك ص ١٠٦ .

(٢) سورة آل عمران ، آية (٢٨) .

(٣) سورة النحل، آية (١٠٦).

٣ ـ قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض﴾ . . إلى قوله ﴿عفواً غفوراً﴾[(١)].

٤ ـ: ﴿والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالمي أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾[(٢)].

ومن السنة قول الرسول (ﷺ):

٥ ـ عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»[(٣)]. ؟

فدل الحديث بعمومه على عدم مؤاخذة المكره فيما أكره عليه من قول أو فعل، وتلك جملة أدلة الذين يدعون الإكراه في عدم موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين حيث يقولون إن الله عذر المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله به لولا استضعافهم، والمكره لا يكون إلا مستضعفاً غير ممتنع من فعل ما أمر به من قبل الكفار وأشباههم[(٤)].

والرد على دعوى من يعممون الإكراه في كل قول أو فعل يرتكبونه أن نناقش تلك الأدلة واحداً بعد الآخر حتى يتضح المفهوم الصحيح للإكراه ونوع ما يجوز الإكراه فيه، وما لا يجوز فيه الإكراه فنقول وبالله التوفيق:

أولاً: إن المراد بقول الله تعالى: **﴿إلا أن تتقوا منهم تقاة﴾** أي إلا أن تخافوا منهم خوفاً جازماً، فلا بأس حينئذ بإظهار مودتهم باللسان تَقِيَّةً ومداراةً

---

(١) سورة النساء، آية (٩٧، ٩٩).
(٢) سورة النساء، آية (٧٥).
(٣) رواه ابن ماجه، انظر سنن ابن ماجه جـ ١ ص ٦٣٠ رقم الحديث (٢٠٧٠).
(٤) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣١١.

لهم، ودفعاً لشرهم وأذاهم، مع طمأنينة القلب إلى بغضهم وعداوتهم[1].

وقد اختلف أهل العلم في جواز التَقِيَّة[2] مع الكفار: ـ

١ ـ فقال معاذ بن جبل[3] ومجاهد (رضي الله عنهما): (كانت التَقِيَّة قبل قوة الإسلام، أما اليوم فقد أعز الله الإسلام وأعز المسلمين أن يتقوا من عدوهم[4].

٢ ـ قال الحسن البصري (رحمه الله): التَّقِيَّة جائزة للمسلم إلى يوم القيامة، ولا تَقِيَّة في القتل[5].

فالآية دليل على جواز التقية، ولكن التقية المقصودة في هذه الآية كما فهمها السلف الصالح من هذه الأمة، هي جواز النطق بالإيمان، أما تفسير التَّقِيَّة بأنها جواز الكذب المطلق بالقول والفعل بلا حدود أو قيود فهذا تفسير خاطىء، وهو ما ذهب إليه بعض مفسري الشيعة حيث يوجبون التَّقِيَّة ويرون أنها واجب شرعي حتى يقوم القائم المنتظر[6].

---

(١) التَّقِيَّة: الخشية والخوف. والتَّقِيَّة عند بعض الفرق اخفاء أمر ومصانعة الناس في أمر أو أمور أخهرى. انظر المعجم الوسيط جـ٢ ص ١٠٦٣ ـ ١٠٦٥.

(٢) انظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام، محمد علي الصابوني جـ ١ ص ٣٩٨.

(٣) هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الخزرجي الأنصاري، وهو أحد السبعين الذين شهدوا بيعة العقبة الثانية من الأنصار، وقد شهد بدراً وأحداً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، وقد قال الرسول ﷺ في حقه: «خذوا القرآن من أربعة» ذكر منهم معاذ بن جبل، وقد أرسله رسول الله ﷺ الى اليمن وبقي فيها حتى توفي رسول الله ﷺ ثم انتقل بعد ذلك الى الشام فتوفي هو وبعض أفراد عائلته في طاعون عمواس سنة (١٨ هـ((وكان عمره ثمانياً وثلاثين سنة. أنظر أسد الغابة ـ جـ ٤ ص ٣٧٦ ـ ٣٧٨.

(٤) انظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٥٧.

(٥) انظر تفسير القرطبي جه ٤ ص ٥٧.

(٦) انظر السنة والشيعة إحسان إلهي ظهير، ص ١٥٦ ـ ١٥٨.

والعدو الذي يتقى شره نوعان: ـ

(١) عدو سبب عداوته على الأغراض الدنيوية. فإذا كانت العداوة بسبب المال أو المنصب أو أذى النفس فهو حق راجع للإنسان نفسه، فإن داراهم بترك بعض حقه لهم فهو جائز، لأن ذلك الترك لا يلحق الدين منه نقصان مباشر[١].

(٢) عدو سبب عداوته الاختلاف في الدين، والعداوة من هذا النوع توجب على المسلم الهجرة من ذلك المكان إلى مكان يستطيع فيه إظهار دين الله، أما إذا لم يستطع لكونه ممن رخص الله لهم من العجزة والنساء والصبيان الذين أذن الله لهم بالبقاء مع الكفار نظراً لأنهم من المستضعفين، أو لم يجد مكاناً يستطيع أن يتجه إليه ليظهر فيه دين الله، كما هو واقع المسلمين اليوم في عامة بلاد المسلمين، جاز له المكث بين الكفار والموافقة لهم ظاهراً بقدر الضرورة مع السعي الجاد لتغيير الواقع الجاهلي الذي يعيش فيه إلى صالح الإسلام والمسلمين، فإن عجز سعى في حيلة للخروج والفرار بدينه من هذه القرية الظالمي أهلها، فإن عجز عن الخروج جاز له موافقة الكفار في الظاهر دون الباطن على الأمور القولية، دون الأعمال الفعلية والموافقة لهم بهذه الشروط حينئذ رخصة، وإظهار ما في قلبه من عزيمة، فلو جاهدهم فَقُتِلَ فهو شهيد كما سيأتي بيان ذلك قريباً بإذن الله تعالى في ثنايا هذا المبحث.

ثانياً: إن المراد بالآية في قوله تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾ الإكراه على التلفظ بكلمة الكفر عندما يكون المسلم بيد الكفار يعذبونه على ذلك، فيجوز أن ينطق بكلمة الكفر ترضية لهم، إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان، وذلك مثل ما حصل مع عمار بن ياسر (رضي الله عنه)

---

(١) انظر فتح الباري جـ ٥ ص ١٢٤ .

عندما أجاب الكفار إلى التلفظ بكلمة الكفر بعد تعذيبه واستشهاد والديه، ثم إنه لما قال هذه الكلمة التي طلب الكفار منه أن يقولها أتى بعد قولها وهو يبكي حزناً وغماً على موافقتهم فقال له النبي ﷺ: (إن عادوا فعد)[1]. ؟

ثالثاً: إن المستضعفين بمكة لم يكن منهم مجاراة للكفار في كل ما يريدون بحجة الاستضعاف أو الإكراه، فهم لم يسجدوا لصنم ولم يشربوا خمراً، ولم يرتكبوا فاحشة إرضاءً للكفار. وكل ما فعلوه هو أنهم أقاموا مع الكفار في دارهم، مع أنهم أحاطوا أنفسهم بعزلة قولية وفعلية عن الكفار وما يعبدون من دون الله.

أما ما ورد في بعض روايات أسباب النزول من أن سبب نزول قول الله تعالى: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾**[2]. هو أن بعض المسلمين المستضعفين في مكة أجبرهم الكفار على الخروج معهم إلى معركة بدر فَقُتِلَ عدد منهم فأنزل الله هذه الآية[3].

فالصحيح أن الذين خرجوا مع الكفار ليسوا من المستضعفين للأسباب الآتية: ـ

١ ـ إن الكفار لم يكرهوا من خرج من المسلمين مع المشركين في بدر إكراهاً ملجئاً، بدليل أن الروايات تذكر عن ابن عباس قوله: (أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله (ﷺ)[4]. فأنزل الله قوله تعالى: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة**

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٠ .

(٢) انظر سورة النساء ، آية (٩٧) .

(٣) انظر الصحيح المسند من أسباب النزول ، مقبل بن هادي الوادعي ص ٥١ .

(٤) رواه البخاري . انظر فتح الباري جـ ٨ ص ٢٦٢ كتاب التفسير ح ٤٥٩٦ .

ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً، إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً﴾[1].

ولو أكرهوا على ذلك إكراهاً ملجئاً لورد من البيان ما يوضح تلك الحال.

٢ ـ أن إقامة هؤلاء الذين خرجوا مع الكفار في بدر، إقامة غير شرعية في الأصل، حيث إن الله عز وجل لم يعذر أحداً في الإقامة بدار الكفار سوى المستضعفين، والقادرين على حمل السلاح ليسوا من المستضعفين.

٣ ـ إنه لو قدر فرضاً على أنهم خرجوا مكرهين إكراهاً ملجئاً فإن الواجب عليهم هو الانضمام إلى المسلمين. لأن الإكراه مهما يكن مصدره لا يبيح للمسلم حمل السلاح على أخيه بحجة الإكراه[2]. وحيث إن خروج هؤلاء لم يكن مشروعاً للأسباب المتقدمة لم يعذرهم الله تعالى ولذلك قال في حقهم: **﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾**.

وقد يقول قائل إن المسلمين في مكة من غير المستضعفين لم يكونوا معذورين أصلاً في البقاء في مكة لامكان الهجرة إلى المدينة.

لكن ما هو الحكم؟ وما هو المخرج الشرعي للمسلمين الذين يعيشون اليوم تحت ظل حكومات كافرة تدفع بهم في معظم الأحيان إلى محاربة

---

(١) سورة النساء، آية (٩٧، ٩٩).

(٢) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣١٦ ـ ٣١٧.
وانظر التشريع الجنائي الإسلامي، عبد القادر عودة جـ ١ ص ٥٦٨.
وانظر جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص ٣٥٤.

الإسلام والمسلمين في الداخل والخارج، وهم مكرهون على ذلك، حيث لا يجدون بلداً أو دولة إسلامية تحميهم وتؤويهم، وإن وجدوا فلا يستطيعون الخروج إلا بإذن هؤلاء الكفار، وهم لا يسمحون لهم حتى بالتفكير في الخروج فهم بين نارين إما أن يحملوا السلاح في وجه إخوانهم المؤمنين، وإما أن يعلنوا الرفض والعصيان فيكون مصيرهم الموت على أيدي هؤلاء الكافرين بدعوى الخيانة والعصيان. فما العمل في مثل تلك الحال التي يعاني منها معظم المسلمين اليوم في بلاد الإسلام؟

والجواب كما يظهر لي - والله أعلم - يتمثل في سلوك أحد الطرق التالية: -

(١) إذا كان هناك جماعة مسلمة قائمة منحازة بنفسها في داخل هذه الدولة التي تحارب الإسلام وجب عليه شرعاً الانضمام إلى تلك الجماعة والعمل معها بشكل ظاهر أو خفي، ووجب بذل المال والنفس في مناصرتها وتأييدها والجهاد معها، واعتبر التخلي عنها أو خذلانها من التولي يوم الزحف كما أن محاربتها بالفعل بدعوى الإكراه موجب لعذاب النار كما بين الله ذلك في حق من خرج من المسلمين مع المشركين ضد المسلمين في بدر.

(٢) أن يفارق المشركين مفارقة سكن ومقام إذا استطاع إلى ذلك سبيلاً، فإن لم يستطع فيلجأ إلى المكر بأعداء الإسلام كما فعل نعيم بن مسعود (رضي الله عنه) حين أوقع الفرقة بين الأحزاب، فمن لا يجد جماعة إسلامية منظمة ينضم إليها في بلده ولا يستطيع الخروج إلى بلاد المسلمين، ودُعِيَ لحرب أناس مؤمنين فعليه أن يمكر بأعداء الله ويعاملهم بنقيض قصدهم ويطعنهم من خلفهم ويقوم بعمل كل ما من شأنه أن يثبطهم ويخذلهم ويلحق الهزيمة الساحقة بهم، وحينئذ يكون جندياً مجاهداً بين صفوف الأعداء وهو في تلك الحال أشد على الأعداء من المؤمنين الذين يعلنون حربهم على الكفر وأهله في شكل مستقل فهو إن صدق في النية مع

الله عز وجل أدرك فضل المجاهدين وأصاب المقتل من الكافرين، وحينئذ يظفر بما يظفر به المؤمنون المجاهدون.

(٣) إذا عجز عن الانضمام إلى الجماعة الإسلامية في بلده أو خارج بلده، وعجز عن المكر بأعداء الإسلام والمسلمين، وأكرهه أعداء الإسلام على إيذاء المؤمنين وجب عليه شرعاً الامتناع عن فعل ما أُكره عليه.

حيث قد انعقد الاجماع على أنه لا يجوز للمسلم ولو أكره أن يفدي نفسه بغيره من إخوانه، بل عليه أن يصبر على البلاء ويسأل الله العافية، ولا يحول الظلم عن نفسه إلى غيره من إخوانه المؤمنين[١]. وخاصة في مسألة القتل فإنه إن قتل مسلماً بغير حق شرعي بحجة الإكراه وجب عليه شرعاً القصاص[٢]. وأَثِمَ إثماً عظيماً، أما الإكراه فيما دون القتل في حق الغير ففيه قولان:

القول الأول: من يرى أن الأفضل في حق المكره في حق الغير أن يأخذ بالعزيمة والشدة وأن يمتنع عن ما أكره عليه، وإن ضرب أو قتل أو عذب في ذلك فهو أفضل عند الله من الأخذ بالرخصة، وهذا القول يقول به أصحاب الإمام مالك (رحمهم الله)[٣]. حيث يرون أنه إذا اجتمع مبيح ومُحَرِّم قدم المحرم[٤].

القول الثاني: هو قول من يرى جواز الأخذ برخصة الإكراه فيما عدا القتل فلا يرى أحد جواز قتل المسلم ظلماً بدعوى الإكراه. فالذين يرون جواز الأخذ برخصة الإكراه فيما دون القتل لا يبيحون الأخذ برخصة الإكراه على الإطلاق. وإنما يقولون بدفع أعظم الضررين بأدناهما في حق نفسه

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ . وانظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣١٦ ـ ٣١٧ . وانظر التشريع الجنائي الاسلامي عبد القادر عودة جـ ١ ص ٥٦٨ .

(٢) انظر المصادر المتقدمة نفس المكان. وانظر أصول الفقه، محمد الخضري ص ١٠٩.

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ .

(٤) انظر اصول الفقه ، محمد الخضري بك ص ٣٠٧ .

وحق أخيه الذي أكره على إيذائه بناءً على القاعدة الفقهية في دفع أعظم الضررين بأدناهما[1].

رابعاً: إن الحديث الوارد في موضوع الإكراه وهو «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» لفظ عام قد ورد تخصيصه بأدلة منها ما يلي: -

١ - قول الله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾[2].

فقد أجمع أهل العلم المعتد بهم، أنه لا يجوز للإنسان أن يفتدي نفسه من القتل بقتل غيره من الأبرياء[3].

٢ - إن حديث «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» حديث في جميع طرقه ضعف وإن كان مشهوراً، فقد أنكره الإمام أحمد بن حنبل جداً، وسُئِلَ أبو حاتم فقال هذه أحاديث منكرة كأنها موضوعة[4].

٣ - أن القتل للغير بدعوى الإكراه معارض بالنهي الشديد عن قتل المؤمن لأخيه المؤمن، قال تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً﴾[5]. وفي الحديث «كل ذنب عسى الله أن يغفره، إلا من مات مشركاً، أو مؤمن قتل مؤمناً متعمداً»[6].

والمكره على القتل ظلماً متعمد للقتل، عندما يعلم أنه يقتل إنساناً

---

(١) أنظر تفسير القرطبي جـ١٠ ص ١٨٢-١٨٣ . وانظر فتح الباري جـ٥ ص ٢٤ وانظر كشف الخفاء جـ٢ ص ٢٦٩ .

(٢) سورة الأنعام، آية (١٦٤)، والإسراء آية (١٥)، وفاطر آية (١٨)، والزمر آية (٧).

(٣) انظر جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص ٣٥٤ - ٣٥٥ .

(٤) المصدر السابق ص ٣٥٠ .

(٥) سورة آل عمران، آية (٩٤) .

(٦) أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م ١ ص ٢٤ رقم الحديث (٥١١).

بغير حق، وقد ذكر علماء الأصول أنه إذا اجتمع مصلحة ومفسدة قدم درء المفسدة على جلب المصلحة، وبنوا على ذلك قاعدة أنه لو تعارض مبيح ومُحَرِّم قدم المحرِّم على المبيح[1].

والذي أراه في مثل هذا المقام هو دفع أعظم المفسدين بأدناهما كما هو مقرر عند عامة العلماء[2]. اهـ.

وعلى القول بصحة حديث «إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» فإن الحديث عام قد ورد تخصيصه بما يلي: -

(١) قول الله تعالى: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[3].

فقد ذكر هل التفسير أنها نزلت في عمار بن ياسر، وعمار أكره على القول دون الفعل[4].

(٢) إن الله عز وجل قد ذم الذين خرجوا من المسلمين مع أهل مكة لمحاربة المسلمين في بدر على القول بأنهم خرجوا مكرهين فإن الآية مخصصة للحديث، إذ لو كان الإكراه عذراً شرعياً في مثل هذه المسألة لما قال الله في حقهم: ﴿أولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾[5]. ؟

وخلاصة القول في مسألة الإكراه أن الإكراه ينقسم إلى قسمين وكل قسم ينقسم إلى عدة أقسام، ونظراً إلى أن معظم هذه الأقسام لا يدخل في موضوعنا هذا فسنقتصر على ذكر ثلاثة أنواع لها صلة بموضوعنا وهي: -

(أ) الإكراه المعنوي.

---

(١) انظر إرشاد الفحول في علم الأصول، للشوكاني ص ١٢٨٤ (طـ دار المعرفة - ١٣٩٩ هـ).
وانظر اصول الفقه، محمد الخضري بك ص ٣٠٧.

(٢) أنظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٠. وانظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٧.

(٣) سورة النحل، آية (١٠٦).

(٤) أنظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٠. وانظر مجموعة التوحيد ص ٢٣٧.

(٥) سورة النساء، آية (٩٧).

(ب) الإكراه الفعلي في مجال القول.
(جـ) الإكراه الفعلي في مجال الأفعال في حق الغير.

أولاً: الإكراه المعنوي

هناك طائفة من الناس ممن يعز عليهم أن يعرضوا أنفسهم وأولادهم وأموالهم، للتضحية في سبيل الله، يقولون بأنهم مكرهين إكراهاً معنوياً على التلفظ بالكفر، وإقراره، لأنه يغلب على ظنهم أنهم إذا لم يقولوا الكفر، ويقروا بألفاظه، فسوف يتعرضون للأذى والفتنة في أنفسهم وأموالهم وأولادهم، وقد يستدل هؤلاء بقصة عمار بن ياسر التي تقدم ذكرها قريباً[1]. ولكن أين هؤلاء من عمار بن ياسر (رضي الله عنه) الذي تبرأ من المشركين وسبهم وسب دينهم، ومعبوداتهم واستشهدت والدته تحت التعذيب وعذب هو في نفسه عذاباً شديداً، حتى كان الرسول (ﷺ) يمر بهم وهو يقول: (أصبروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة) ومع هذا كله لم يقع من عمار (رضي الله عنه) إلا موافقة الكفار على قولة واحدة تحت وطأة التعذيب والتهديد، ولم ينشرح صدره بقولها بل ذهب إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي ولم يطمئن إلى تكرار تلك الكلمة أو ما يماثلها عند الكفار، ولم يوافقهم في أي فعل من أفعال الكفر، فكيف يحتج بقصة عمار هؤلاء الذين يسارعون بدون إكراه فعلي إلى التملق والمداهنة للكفار وأشباه الكفار وهم لم يطلب منهم ذلك فضلاً عن أن يكرهوا عليه، ثم إذا ناقشهم أحد بذلك قالوا نحن مكرهون على هذا السلوك.

والصحيح أن الاستجابة القولية والفعلية للكفار من غير إكراه ملجىء غير معتبرة ولا جائزة عند جمهور أهل العلم[2].

---

(١) انظر ص ٣٩٨ من هذه الرسالة.
(٢) أنظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣١٥ ـ ٣١٦.
وانظر مجموعة التوحيد ص ٢٩٧.

حيث يرى الإمام أحمد بن حنبل وشيخ الإسلام ابن تيمية (رحمهما الله) أن الإكراه لا يكون معتبراً إلا بمباشرة التعذيب، من ضرب أو إرادة قتل أو سجن مغلظ أو نحو ذلك.

أما التهديد اللفظي والمعنوي من قبل الكفار وأشباههم، فلا يكون إكراهاً، فالأسير المسلم إن خشي من الكفار أن يعذبوه، أو يسجنوه، أو يحولوا بينه وبين امرأته، وأولاده وماله لم يصح له التكلم بكلمة الكفر حتى يحصل الإكراه بالفعل، أما الخوف من أن يحول الكفار بينه وبين أهله وماله أو أن يعذبوه في نفسه فلا يكون ذلك إكراهاً، لأن الخوف من الشيء قبل وقوعه ليس إكراهاً[1]، ولأنه ما من مسألة من مسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا ويخشى الإنسان أن يصيبه منها أذى، فلو جاز للمسلم أن يترك كل مسألة يخشى الأذى منها لما وجدنا من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويجاهد في سبيل الله.

ثانياً ـ الإكراه الفعلي على النطق بألفاظ الكفر:

خصص بعض العلماء الإكراه بأنه رخصة في جواز النطق بكلمة الكفر في الأقوال فقط دون الأفعال عند وجود الشروط اللازمة لذلك وهي: -

١ ـ طمأنينة القلب بالإيمان في موالاة الله ورسوله والمؤمنين، ومعاداة أعدائه.

٢ ـ وجود الإكراه الملجىء بالفعل الحامل للإنسان على إرادة التخلص من أذى الكفار وعذابهم.

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٩٧ . وانظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ . وانظر زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي جـ ٤ ص ٤٩٦ ـ ٤٩٧ .

قال بذلك الحسن البصري والأوزاعي[1] وسحنون[2] وأحمد بن حنبل وإن كان الإمام أحمد يرى أن الأولى الثبات على الحق ولو قتل على ذلك[3].

وأما ما ورد عن النبي (ﷺ) أنه أوصى طائفة من أصحابه وقال: «لا تشركوا بالله وإن قطعتم وحرقتم»[4]. فالمراد به الشرك بالقلوب لا بالألفاظ كمثل قوله تعالى: ﴿**وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما**﴾[5]. وسائر الأقوال متصور عليها الإكراه، ولهذا إذا أكره بغير حق على قول من الأقوال لم يترتب عليه حكم من الأحكام، ولم يؤاخذ به في أحكام الدنيا والآخرة، إذا كان قلبه مطمئناً بالإيمان وهذا هو الفارق بين المكره والناسي والجاهل[6].

ثالثاً ـ الإكراه الملجيء على الأفعال التي تخالف الإسلام:

سبق أن أوضحنا في أول هذا المبحث أن العلماء قد أجمعوا على أنه لا يجوز لمسلم أن يقتل مسلماً بدعوى الإكراه[7]، أما إيذاء المسلم لأخيه

---

(١) أنظر ترجمته ص ١٣٢ من هذه الرسالة.

(٢) هو عبد السلام بن سعيد التنوخي، الحمصي الأصل القيرواني المالكي ويلقب (بسحنون) (أبو سعيد) ولد سنة (١٦٠ هـ) وأصبح فقيهاً، ثم تولى القضاء بالقيروان، وارتحل في طلب العلم وسمع من سفيان بن عيينة وغيره، وتوفي في اليوم الخامس من شهر رجب من سنة (٢٤٠ هـ) من مصنفاته: المدونة الكبرى في الفقه المالكي في أربعة مجلدات، وعليها يعتمد فقهاء القيروان. أنظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ ص ٣٢٣ وانظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة جـ ٥ ص ٢٢٤.

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٢ ـ ١٨٣ وانظر زاد المسير في علم التفسير جـ ٤ ص ٤٩٦. وانظر الايمان ـ أركانه ـ حقيقته ـ نواقضه ـ د. محمد نعيم ياسين ص ١٩١ ـ ١٩٤.

(٤) انظر تفسير القرطبي جـ ١٩ ص ٢٩٣.

(٥) سورة العنكبوت، آية (٨).

(٦) انظر جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٧) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣١٦ ـ ٣١٧ وانظر التشريع الجنائي الاسلامي عبد القادر عودة، جـ ١ ص ٥٦٨.

المسلم فيما دون النفس تحت وطأة الإكراه فالراجح من الاقوال عدم جواز ذلك، كما هو رأي الذين يرون أن الصبر على الابتلاء أولى من الأخذ بالرخصة وعلى رأس هؤلاء الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله)(١).

وفي رأيي أنه في مثل هذه الحال التي يتعرض فيها المسلم للإكراه، في إيذاء أخيه أن يدفع أعظم المفسدتين بأدناهما في حقه وحق أخيه على حد سواء، وهذا على قول من يرى جواز الأخذ بالرخصة أما من يرى أن الصبر على الأذى أولى من دفع الضرر عن النفس ليقع على نفس أخرى بريئة، فأقول: إنه ليس من حق المسلم أن يدفع الضرر عن نفسه بضرر مثله أو أشد منه في حق أخيه، ولكن لو دفع أعظم الضررين بأدناهما سواء في حق نفسه أو حق أخيه لكان ذلك عدلاً وإنصافاً في حق الاثنين معاً بحسب القدرة والاستطاعة فيما دون مسألة القتل(٢).

أما من قتل مؤمناً بدعوى الإكراه فقد احتمل إثماً وذنباً كبيراً، قال تعالى: **﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعدَّ له عذاباً عظيماً﴾**(٣).

وقد ذهب ابن عباس (رضي الله عنهما) إلى أن المسلم إذا قتل مؤمناً متعمداً لا تقبل له توبة.

وقال الجمهور: (إن القاتل للمؤمن عمداً تقبل توبته إذا كانت توبة صادقة، وتوبة نصوحاً، واستدلوا على ذلك أن الكفر أعظم من القتل، والتوبة عن الكفر مقبولة فعن القتل أولى(٤). وعلى كل حال فإن من المرجح قبول توبة القاتل للمؤمن عمداً وإن كان الوعيد في حقه شديداً فقد

---

(١) أنظر المصدرين السابقين نفس المكان وانظر تفسير زاد المسير جـ ٤ ص ٤٩٦.

(٢) انظر التشريع الجنائي الإسلامي جـ ١ ص ٥٧٥ - ٥٧٦.

(٣) سورة النساء، آية (٩٣).

(٤) انظر تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس ص ١٢٦ - ١٢٧.

أكدت الآية المتقدمة قريباً أن من يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وعليه غضب من الله ولعنة وله عذاب عظيم، ووردت أحاديث بهذا المعنى وإن كان في طرقها ضعف مثل حديث (من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة ـ لقي الله عز وجل مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله)[1]. وحديث (يجيء المقتول ظلماً يوم القيامة معلقاً رأسه بإحدى يديه إما بشماله وإما بيمينه آخذاً صاحبه بيده الأخرى تشخب أوداجه حيال عرش الرحمن يقول: يا رب سل عبدك هذا علام قتلني، ـ يقول ابن عباس ـ (فما جاء بعد نبيكم نبي، ولا نزل كتاب بعد كتابكم)[2]. ولهذا ذهب ابن عباس الى القول بعدم قبول توبة من يقتل مؤمناً متعمداً وقد ذكرنا أن الراجح هو قبول التوبة. ولكن على كل حال فإن الوعيد في هذه المسألة شديد، فيجب على كل مسلم أن ينشد الحيطة والسلامة لنفسه في دنياه وأخراه فلا يقتل مسلماً ولا يعين على قتل مسلم بغير حق سواء بالقول أو الفعل حتى ولو أكره على ذلك فإن الإكراه في مسألة القتل لا يعفي من المسؤولية الجنائية ولذلك اختلف الفقهاء في أمثال هذه الحال: هل يكون القصاص على الآمر أم على المأمور أم عليهما جميعاً؟ وفي هذه المسألة ثلاثة أقوال هي: ـ

١ ـ قول جمهور الفقهاء أن القصاص على الآمر والمأمور على حد سواء لاشتراكهما في جريمة القتل. وهو قول مالك والشافعي والمشهور عن أحمد[3].

٢ ـ قال جماعة يجب القود والقصاص على الآمر دون المأمور، لأن المكره صار كالآلة في يد الآمر. وهذا القول هو قول أبي حنيفة وأحد قولي الشافعي[4].

---

(١) تفسير ايات الاحكام، محمد علي السايس ص ١٢٦ ـ ١٢٧. وانظر سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني جـ٢ ص ١ ـ ٢ رقم الحديث (٥٠٣).

(٢) أنظر تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس جـ٢ ص ١٢٦ ـ ١٢٧.

(٣) أنظر جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

(٤) انظر المصدر السابق المكان نفسه، وانظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٢ ـ ١٨٣.

٣ ـ قول زُفَر[١] إن القصاص على المأمور وحده دون الآمر لأنه قادر على الامتناع وهو إثم بالاتفاق[٢] من الجميع.

والذي نرجحه في هذه المسألة هو أن القصاص على الآمر والمأمور جميعاً، لأن الآمر وهو صاحب السلطة والولاية، أمر ظلماً وهو خلاف ما يجب عليه، وذلك إثم يؤاخذ عليه، والمأمور نفذ هذا الظلم وأجراه بفعله، وهو كذلك يؤاخذ على تنفيذ الظلم وإجرائه، ومن يحتج بأن العقوبة على الآمر دون المأمور بقوله تعالى: ﴿**إلا أن تتقوا منهم تقاة**﴾ فالجواب أن لا تقية في الأعمال ولا إكراه عليها كما تقدم بيان ذلك[٣].؟

فماذا يعمل جلادو الطغاة وزبانيتهم الظالمون حيال هذه النصوص العظيمة من الوعيد لمن آذى مسلماً، وبأي وجه يقدمون على الله، وأيديهم تقطر من دماء الأبرياء والمظلومين، والمقهورين بغير حق، أيظن أولئك أن الله غافل عما يعملون. قال تعالى: ﴿**ولا تحسبن الله غافلاً عما يعمل الظالمون إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار**﴾[٤]. وقال تعالى: ﴿**ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون، حتى إذا ما جاؤها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كلَّ شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون، وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم، ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون، وذلكم ظنكم الذي**

---

(١) هو زُفَر بن الهذيل بن قيس العنبري (أبو الهذيل) فقيه، تفقه على أبي حنيفة له مصنفات مات سنة (١٥٨ هـ). أنظر معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، جـ ٤ ص ١٨١.

(٢) انظر جامع العلوم والحكم، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥. وانظر اصول الفقه، محمد الخضري بك ص ١٠٦ ـ ١٠٨.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) سورة إبراهيم، آية (٤٣).

ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين، فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين﴾[1].

وقد اختلف العلماء عند حصول الإكراه على الشخص أيهما أفضل في حقه الأخذ بالرخصة فيما أكره عليه، أم الصبر على الأذى وعدم تنفيذ ما أكره على فعله ولو أدى ذلك الى استشهاده، وفي هذه المسألة قولان: -

القول الأول: من يقول إن الأخذ برخصة الإكراه أولى من الصبر على الأذى، قال بذلك ابن مسعود (رضي الله عنه) حيث يروى عنه أنه قال: (ما من كلام يدرأ عني سوطين من أذى سلطان إلا كنت متكلماً به)[2] اهـ.

وقال بعض أهل العراق إن الشخص إذا تهدد بقتل أو قطع أو ضرب يخشى منه التلف، فالأولى له أن يفعل ما أكره عليه فيما لا يتعلق بحق الغير، مثل أن يكره على شرب خمر، أو أكل لحم خنزير، فإن لم يفعل حتى قتل خفنا أن يكون آثماً، لأنه في هذه الحال كالمضطر لأكل الميتة وشرب الماء النجس)[3].

ولو ترك المضطر أكل الميتة أو شرب الماء النجس حتى مات لأثم في ذلك.

وقال ابن العربي: (إن التلفظ بالكفر عند الإكراه عليه ناسخ لآيات وأحاديث المصابرة على العذاب) اهـ. فهو يستوي عنده الأمران، التلفظ بكلمة الكفر عند الإكراه عليها، أو الصبر على العذاب حتى القتل ويكون قتله شهادة[4]. ؟

القول الثاني: قول من يقول إن الصبر على الأذى وتحمل القتل أو

---

(١) سورة فصلت من آية (١٩) الى (٢٤).
(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ١٠ ص ١٨٢ - ١٨٣.
(٣) انظر المصدر السابق جـ ١٠ ص ١٨٨.
(٤) انظر احكام القرآن لابن العربي جـ ٣ ص ١١٦٥ - ١١٧٠.

الضرب أو الحبس أولى من الأخذ بالرخصة وإجابة الطالب إلى ما طلب من محرم تحت وطأة الإكراه، وقد استدل أصحاب هذا القول بحديث رسول الله ﷺ الذي رواه خباب بن الأرت (رضي الله عنه) قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة فقلنا: «ألا تستنصر لنا ألا تدعو لنا؟ فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد من دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه. والله ليتمنّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»(١).

ففي هذا الحديث وفي قصة بلال، ووالدي عمار - سمية وياسر - وقصة خباب بن الأرت في بطحاء مكة، وخبيب بن عدي وقصة أصحاب الأخدود وقصة الإمام أحمد ومالك والشافعي وأبو حنيفة وغيرهم ممن صبروا على العذاب في سبيل الله أكبر دليل على أن الصبر على الأذى أولى لمن وثق من نفسه في قوة التحمل وصلابة العقيدة(٢).

إن قمة الإيمان تتمثل بأولئك الذين بلغوا القمة في الصبر والتضحية واليقين، ولم يدفعهم الخوف أو الإكراه إلى تنفيذ أوامر الطغاة والظلمة والمجرمين، فلم يهرولوا أمام أعداء الإسلام ويلهثوا تحت أقدامهم، ويكيلوا لهم المدح الكاذب وينفذوا أوامرهم في معصية الله، فما ظنك بمن ينفذ

---

(١) رواه البخاري. انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٣١٦ (باب الإكراه).

(٢) أنظر المغني والشرح الكبير جـ ١٠ ص ١٠٧ وانظر تفسير القرطبي جـ ١٩ ص ٢٨٦ - ٢٩٤. وانظر في ظلال القرآن، سيد قطب م ٨ جـ ٣٠ ص ٥٢٨ - ٥٣٠. وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة لابن الأثير جـ ٢ ص ٩٨ - ١٠٠. وانظر تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس جـ ٣ ص ٥٤ - ٥٥. وانظر روائع البيان في تفسير آيات القرآن، محمد علي الصابوني، جـ ١ ص ٤٠٢ - ٤٠٣.

أوامر الطغاة وهو لم يضرب سوطاً في سبيل الله؟ كيف لو ضرب أو منع راتب شهر واحد ماذا يفعل بالإسلام والمسلمين؟!!

إن مفهوم الإكراه قد اعتراه شيء من الغبش وسوء التصور عند بعض المسلمين، حتى أصبح هذا الأمر مشجباً يعلق عليه المتخاذلون في نصرة الإسلام والمسلمين كل أسباب التخاذل والقصور في شأن الموالاة والمعاداة في الله، وقد أوضحنا المفهوم الصحيح للإكراه بما فيه الكفاية كما أعتقد، والله الهادي إلى سواء السبيل.

الفصل الخامس

العملاء الذين يوالون الأعداء للمصلحة الشخصية

العَمْلَةُ باطنة الرجل في الشر[1]، والعَمْلَة السرقة والخيانة[2]، والعميل هو من يعامل غيره في شأن من الشؤون. والجمع عملاء[3]، وقد استطاع أعداء الإسلام نظراً لجهودهم المتواصلة ونظراً لبعد كثير من المسلمين عن التمسك بالإسلام قولاً وفعلاً أن يتخذوا من مدعي الإسلام عملاء لهم ودمى يحركونها ضد الإسلام والمسلمين وقد تعاون اليهود والنصارى والملحدون الوثنيون على شراء ذمم بعض المنتسبين إلى الإسلام اسماً لا حقيقة بغية مساعدة هؤلاء الكفار في هدم الإسلام وتجزئة المسلمين، وقد نجح هؤلاء في تكوين العملاء الذين يعملون كأجراء لروسيا الشيوعية أو يعملون لحساب التحالف اليهودي الصليبي فمعظم الدول في البلاد الإسلامية إما عميلة لروسيا الشيوعية، أو للدول الغربية في أوروبا أو أمريكا ولذلك تجدهم

(١) انظر القاموس المحيط، للفيروز آبادي جـ ٤ ص ٢١ .

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٢ .

(٣) انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦٣٤ .

يختلفون في كل لقاء قمة بينهم تبعاً لاختلاف الولاء والانتماء للدول الكبرى فهم يعلنون استقلالهم في الظاهر وهم عبيد أرقاء، وعملاء أجراء، في حقيقة الأمر والواقع، حيث باعوا أنفسهم لأعداء دينهم وأمتهم بثمن بخس زهيد، مقابل دراهم معدودة، ومنافع محدودة، ومناصب موعودة، وشهوات مبذولة ومتع مرذولة، وشهرة ثمنها الخيانة والردة عن الإسم. وهؤلاء العملاء تختلف تخصصاتهم ومراكزهم في الأمة. فمنهم حكام ظالمون يحاربون الفضيلة وينشرون الرذيلة ومنهم سياسيون ينفذون سياسة أعداء الإسم في عزل المسلمين والقضاء عليهم، ومنهم خبراء ماليون ينفذون خطط أعداء الإسلام عن طريق المصالح المالية، إما بتطبيق النظام الرأسمالي الغربي بما فيه من ربا واحتكار واستغلال، أو بالتلويح بـالاشتراكيـة وتأميم الأمـوال الخاصة والعامة.

ومنهم عسكريون ينفذون خطط أعداء الإسلام في تعويد الجنود على الطاعة العمياء وعبادة أشخاص الحكام والانهماك في لذة الكأس والجنس، والحيلولة بين أهل الإيمان وبين الوصول إلى قطاعات القوات المسلحة حتى لا يكون بيد أهل الحق سلاح يدافعون به عن حقهم[1].

ومنهم أعـلاميون ينفـذون خطط أعـداء الإسلام من خـلال الكلمة المكتوبة ومن خلال المقالة المسموعة ومن خلال الصورة المرئية، وعمالة أهل الإعلام لأعداء الإسلام أشد من غيرها نظراً لتأثير الإعلام على كل إنسـان وكل بيت ولـذلك تجـد العملاء لأعـداء الإسلام من الإعـلاميين يحرصون على نشر الفاحشة في الذين آمنوا من خلال الكلمة والصورة فما من مشهد من المشاهد المرئية إلا والتركيز على الجنس ظاهر فيها بشكل ظاهر أو خفي، ويستعملون لهذه الغاية الدنيئة كل الحيل والمبررات التي تجعل عملهم هذا مستساغاً مقبولاً عند عامة الناس حتى يتدرجوا بالناس خطوة خطوة إلى عقر الرذيلة ونهايتها.

---

(١) انظر اجنحة المكر الثلاثة وخوافيها، عبد الرحمن الميداني ص ١٩ ـ ٢٢.

ومنهم جواسيس يتجسسون على أهل الإسلام والإيمان يتظاهرون بالصلاح والتقوى والزهد والورع وهم في حقيقتهم وواقع أمرهم يعملون جواسيس لأعداء الإسلام، والذين يتجسسون على المسلمين، فيهم شبه باليهود المنافقين الذين كانوا يتجسسون على المسلمين بالمدينة المنورة، لينالوا من الإسلام وأهله، فقد تظاهر بعض اليهود بالدخول في الإسلام والالتزام به، ولكنهم في حقيقة الأمر منافقون، ومن هؤلاء: داعس، وسعد ابن حنيف، وزيد بن اللصيت، ورافع بن حريملة، وغيرهم وقد قال رسول الله ﷺ عن رافع يوم مات: «اليوم مات منافق عظيم»[1] اهـ.

وقد كان هؤلاء يتخذون المسجد وحلقات العلم مجلساً لهم ليتسقطوا أخبار المسلمين، ويطلعوا على أسرارهم، وينقلوا ذلك إلى حلفائهم من المشركين، ولكن المسلمين شكوا في تهجدهم وفي أفعالهم فراقبوهم حتى ظهر منهم ما ينقل الشك إلى اليقين، فانقض عليهم المسلمون وأخرجوهم من المساجد وأنفذوا فيهم حكم الله[2].

وكون المسلم يمتهن مهنة التجسس على المؤمنين لصالح الكافرين وإخوان الكافرين جريمة كبيرة وخيانة عظمى، وهو حينئذ يضع نفسه في مصاف اليهود والمنافقين لأنهم هم الذين كانوا يتعاملون مع المسلمين بهذا الأسلوب الماكر الخبيث، وهذا العمل مضر بالإسلام والمسلمين من طريقين: -

الأول: أن استباحة المسلم للتجسس على أهل الإسلام وخاصة المعروفين بالصلاح والتقوى والاستقامة لصالح حكام لو حوكموا بحكم الشرع لوجب قتل الكثير منهم لخروجهم عن الإسلام بالردة والكفر، فلا يليق بمسلم يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن يفعل ذلك لأن تولي الكفار

---

(١) انظر مقارنة الأديان (١) اليهودية د. أحمد شلبي ص ٣٢٢ - ٣٢٣.
(٢) المصدر السابق نفس المكان وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

كفر وموالاة من يتولاهم كذلك كما هو واضح من الأدلة في الكتاب والسنة التي تقدمت في أول هذه الرسالة[1]. وقد ورد في الحديث الصحيح الذي منه «لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف»[2]. والتجسس على المؤمنين لصالح الطواغيت والمجرمين معصية كبيرة وإثم عظيم. كيف لا وقد نهى الله عز وجل عن التجسس على المؤمنين بما هو دون ذلك؟ قال تعالى: ﴿**ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً**﴾[3]، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تحسسوا، ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً»[4].

وفي رواية أخرى تتمة لهذا الحديث (المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره)[5] وأي ظلم وخذلان واحتقار أشد من تجسس المسلم على أهل الإسلام، إن الفاعل لذلك قد جمع بين صفتين من صفات الذم الشنيع والكفر الصريح.

ـ **الأولى**: أنه شابه اليهود الذين يحضرون مجالس الذكر ويدعون الإسلام لمعرفة أسرار المسلمين والوقيعة بهم كما حصل من الأشخاص الذين تقدم ذكرهم وكما حصل من ابن سبأ وأعوانه من دس على الإسلام والمسلمين.

ـ **الثانية**: أن الذين يتجسسون على المسلمين بظهورهم بمظاهر الصلاح والتقوى مع أنهم يبطنون الولاء للكفار وأشباه الكفار هؤلاء منافقون وهم الذين قال الله فيهم: ﴿**ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما**

(١) انظر ص ٥٧ ـ ١٠٦ من هذه الرسالة.
(٢) رواه مسلم في صحيحه أـ٣ ص ١٤٦٩ ورواه البخاري. أنظر فتح الباري جـ١٣ ص ٢٠٣ ورواه أحمد في مسنده جـ٣ ص ٦٧.
(٣) سورة الحجرات، آية (١٢).
(٤) رواه البخاري، انظر فتح الباري جـ ٩ ص ١٩٨.
(٥) رواه البخاري ومسلم. أنظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ٢ ص ١٠٨٠ رقم الحديث (١٥٧٢).

هم بمؤمنين يخادعون الله والـذين آمنوا ومـا يخدعـون إلا أنفسهم وما يشعرون، في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبـون﴾[1]. وقـد قال الله عز وجـل في شأنهم: **﴿إن المنـافقين في الـدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾**[2]. فمثل هذا العمل هو منتهى العـداء للمؤمنين والتولي للكـافرين، وهـو غايـة التعاسة وقمة الضـلال والانحراف أعاذنا الله من مضلات الفتن ومزالق الانحراف.

فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من أكل برجل مسلم أكلة فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن اكتسى برجل مسلم ثوباً، فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مسلم مقام سمعة، فإن الله يقوم به مقام سمعة يوم القيامة»[3].

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه) أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره»[4].

ويقول ابن القيم (رحمه الله):

ويـا مـوقـداً نـاراً لـغـيـرك ضـوؤهـا
وحـر لـظاهـا بـين جـنـبـيـك يُـضـرمُ
أهـذا جنى الـعلم الـذي قـد رضـيتـه
لـنفـسـك في الـداريـن جـاه ودرهـم[5]

---

(١) سورة البقرة، آية (٨ ـ ١٠).

(٢) سورة النساء، آية (١٤٥).

(٣) أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م ٢ رقم الحديث ٩٣٤).

(٤) انظر سنن النسائي جـ ٢ ص ١٣١٢ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ طبع عيسى الحلبي عام ١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥٢ م.

(٥) أنظر مورد الظمآن لدروس الزمان ـ تأليف عبد العزيز بن سلمان أـ ٢ ط ١٠ ص ٧٤٠.

ويقول الشاعر:

لا تقنطنَّ فإنَّ الله ذو كرم
وما عليك إذا تلقاه من باس
إلا اثنتين فلا تقربهما أبداً
الشرك بالله والإضرار بالناس[1]

وقد سأل سليمان بن عبد الملك[2] رجلاً من أهل العلم والعمل يقال له أبو حازم[3] أسئلة كان منها: من أحمقْ الناس يا أبا حازم؟ فقال أبو حازم: من حط نفسه في هوى رجل ظالم فباع آخرته بدنياه[4]. وقد نصح رجل المتوكل عندما قرب أهل الذمة وولاهم بعض الأعمال التي كان يجب أن يتولاها المسلمون فقال له ضمن كلام طويل: (وإن أخسر الناس صفقة يوم القيامة من أصلح دنيا غيره بفساد آخرته)[5]. وهكذا يفعل من يتجسس

---

(١) انظر عين الأدب والسياسة وزين الحسب والرياسة، تأليف ابي الحسن بن علي بن الهذيل ص ٤٠.

(٢) هو سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي ولد عام (٦٠هـ) بويع بالخلافة بعد موت أخيه الوليد بن عبد الملك وكان ذلك سنة (٩٦هـ.) وقد توفي سليمان بدابق من أرض قنسرين يوم الجمعة لعشر ليالي خلت من صفر سنة (٩٩ هـ - ٧١٧ م).
أنظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ١٦٦ - ١٨٣.
وانظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ١٢ ص ١٧٣ - ١٧٤.

(٣) هو هاشم بن بشير بن أبي حازم أبو معاوية السلمي الواسطي كان أبوه طباخاً للحجاج بن يوسف ثم بعد ذلك يبيع الكوافخ - أي ما يؤتدم به - وكان يمنع ابنه من طلب العلم ليساعده على شغله، فأبى الابن إلا أن يسمع الحديث، ومرض هاشم فجاء أبو شيبة قاضي واسط عائداً له، ومعه خلق كثير، فلما رأى والده ما بلغ من أمر ابنه سمح له بطلب الحديث فكان هاشم من سادات العلماء، حدث عنه مالك وشعبة والثوري وأحمد بن حنبل، وخلق كثير وكان من الصلحاء العباد وقيل إنه مكث يصلي الصبح بوضوء العشاء قبل موته بعشر سنين، توفي سنة ١٠٨٦هـ) أنظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٠ ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٤) انظر حقوق الانسان في نظر الشريعة الاسلامية د. عبد السلام الترمانيني ص ٣٤ - ٣٥.

(٥) انظر احكام اهل الذمة، ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٢١.

على المسلمين يصلح دنيا الطواغيت وحكام السوء مقابل دريهمات قليلة فيفسد على نفسه آخرته باستحقاقه للعذاب الأليم.

وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: لما ذكر الظلمة: «من صدقهم بكذبهم وأعان على ظلمهم فليس مني ولست منه، ولا يرد علي الحوض، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد علي الحوض»[1].

الثاني: إن من سيئات التجسس على المؤمنين، أن امتهان هذه المهنة يشيع بين المسلمين فقدان الثقة والشك الدائم بمن حولهم من أهل الخير فتضعف الموالاة ويقل الإخلاص بين المؤمنين بسبب ذلك وربما انقطعت الموالاة والصلة بين الأخوة المؤمنين نتيجة لبعض الشكوك التي يحدثها الظن السيء والحذر المفرط وهذا من أهم مقاصد الأعداء في زرع الشكوك وإحداث البلبلة بين المسلمين وحكم من يتجسس على المسلمين لصالح أعداء الإسلام هو القتل[2]. كما فعل الرسول (ﷺ) في معاوية بن المغيرة ابن أبي العاص حيث أمر الرسول ﷺ زيد بن حارثة وعمار بن ياسر أن يتعقباه ويقتلاه فوجداه على بعد ثمانية أميال من المدينة ـ المنورة ـ فقتلاه (رمياً بالنبل)[3].

وكما فعل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مع (درباس) الذي كان يخاطب المشركين بعورات المسلمين، فصلبه ابن الجارود، فصاح: يا عمراه ثلاث مرات، فأرسل إليه عمر فلما جاؤ وا به أخذ عمر الحربة فعلا بها لحيته وقال: لبيك يا درباس[4]! ثلاث مرات، فقال: لا تعجل، إنه

---

(١) انظر السنة في الاسلام ، او وظيفة الحكومة الاسلامية ـ ابن تيمية ص ٧ . ورواه الترمذي والنسائي . انظر جند الله ، سعيد حوى ص ٣٩١ .

(٢) انظر تفسير القرطبي ج ١٨ ص ٥٢ ـ ٥٣ ـ . وانظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٣٦ .

(٣) انظر غزوة احد ، محمد احمد باشميل ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ .

(٤) انظر احكام القرآن لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧٠ ـ ١٧٧٢ .

كاتب العدو وهم بالخروج إليهم فقال قتلته على الهم! وأينا لا يهم؟ فلم يره عمر موجباً للقتل ولكنه أنفذ اجتهاد ابن الجارود فيه[1].

إن تتبع المؤمنين والتجسس عليهم والتظاهر بالتقوى والصلاح من أجل الوقيعة بهم، جريمة عظيمة وإثم كبير وقد يكون فاعل ذلك كافراً مرتداً إذا استباح تتبع أسرار المؤمنين وإفشاء خطط الإصلاح التي يقصدونها وتعمد الوقيعة بهم لحساب فئة كافرة ظالمة، مع محبته لظهور تلك الفئة الكافرة على أهل الحق، واستعلاء الكفر على الإسلام.

قال رسول الله ﷺ: «ما من امرىء مسلم يخذل امرءاً مسلماً في موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله تعالى في مواطن يحب فيها نصرته، وما من امرىء ينصر امرءاً مسلماً في موضع ينتقص فيه من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله عز وجل في مواطن يحب فيها نصرته»[1]. وقد ورد في حديث آخر: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عوراتهم يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته»[2].

هذه الأحاديث كلها وعيد لمن يتتبع عورات المسلمين ويتجسس عليهم لصالح الكفار الأصلاء أو الكفار العملاء من المرتدين والمنافقين. أما التجسس لصالح المسلمين على الكفار والطغاة الظالمين فمستحب وقد يكون واجباً إذا عين الحاكم المسلم العدل ذلك على فرد من أفراد المسلمين، أو جماعة منهم، كما فعل حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) حيث تسلل بأمر الرسول ﷺ الى صفوف الكفار ونقل صورة صادقة عن أحوالهم وانهيار عزيمتهم، وعزمهم على الرحيل، وذلك في غزوة

---

(١) اخرجه أبو داود في كتاب الأدب جـ ٤ ص ٢٧١ رقم الحديث (٤٨٨٤). وقال الألباني حديث حسن. أنظر صحيح الجامع الصغير جـ ٥ ص ١٦٠ ح ٥٥٦٦.

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٢٧٠ رقم الحديث (٤٨٨٠).

الأحزاب[1]. هذا الصحابي وأمثاله نموذجاً فريداً للعين المسلمة وللباحث الحقيقي الذي يجعل مصلحة الإسلام والمسلمين فوق كل اعتبار ولكن للأسف الشديد إن هذا النوع قد انقطع وانعكس المفهوم فأصبح كثير من رجال المباحث والاستخبارات في بلاد المسلمين همهم كله منصب على حماية شخص الحاكم وأفراد حكومته المقربين وإن كان هذا الحاكم وتلك الحكومة كافرة خارجة على الإسلام والمسلمين.

لقد تحول رجال المباحث والاستخبارات في أغلب الدول المنتسبة الى الإسلام الى وحوش كاسرة وكلاب نتنة تنهش لحوم المؤمنين، الأتقياء الأنقياء الأبرياء بلا خوف ولا خجل ولا حياء من الله[2].

لقد أصبح معظم هؤلاء ينظر إلى السلطة الحاكمة بأنها إله يعبد من دون الله، فيقدمون رضاها على رضى الله، وأمرها على أمر الله ورسوله.

إن تقديس الزعامات الكافرة والمرتدة عن الإسلام موالاة لأعداء الله، كما أن محاربة المؤمنين بالله، معاداة لله ورسوله والمؤمنين، وأغلب الذين يوالون الزعامات الكافرة إنما يفعلون ذلك من أجل مالها ومناصبها وجاهها، وهذا لا ينفعهم في مقياس الإسلام شيئاً، قال تعالى: **﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهيناً، والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً﴾**[3].

وأي أذى أشد من العمالة لأعداء الإسلام والخيانة للمسلمين **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يُصيبهم عذاب أليم﴾**[4].

---

(١) أنظر غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل ص ٢٦٤.

(٢) انظر نافذة على الجحيم، وانظر البوابة السوداء، احمد رائف، وانظر القابضون على الجمر، محمد نور رياض، وانظر مذبحة الاخوان في ليمان طرة - جابر رزق.

(٣) سورة الأحزاب، آية (٥٧، ٥٨).

(٤) سورة النور، آية (٦٣).

تم الجزء الأول
ويليـــه
الجزء الثاني
إن شاء الله

الباب الثالث

الموالاة والمعاداة لأهل الأهواء والفرق

وتحت ذلك فصلان:

الفصل الأول: الموالاة والمعاداة لأهل الأهواء.

الفصل الثاني: الموالاة والمعاداة للفرق التي تدعى الإسلام.

الفصل الأول

الموالاة والمعاداة لأهل الأهواء

وتحت هذا الفصل خمسة مباحث:

المبحث الأول : موالاة العصاة ومعاداتهم.
المبحث الثاني : موالاة المنافقين ومعاداتهم.
المبحث الثالث : موالاة المرتدين ومعاداتهم.
المبحث الرابع : موالاة الخارجين على السلطة ومعاداتهم.
المبحث الخامس: موالاة السلطة ومعاداتها.

المبحث الأول

موالاة أهل العصيان والفسوق ومعاداتهم

الأصل في منهج الإسلام أن لا يعطي الإنسان ولاءه التام إلا لمن يسير على الصراط المستقيم، من أهل الإيمان قال تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾[1] فمن سلك الطريق المستقيم في قوله وفعله واعتقاده وجب شرعاً موالاته قولاً وعملاً بدليل قوله تعالى: ﴿**إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون**﴾[2].

وحرمت معاداته بالقول والفعل والإعتقاد قال تعالى: ﴿**ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم**﴾[3].

---

(١) سورة الانعام آية (١٥٣).

(٢) سورة المائدة آية (٥٥، ٥٦).

(٣) سورة الحشر آية (١٠).

أما من إنحرف عن الإسلام انحرافاً يوجب الكفر والخروج عن الإسلام، فهذا يعادى معاداة الكافرين المحاربين لله ورسوله والمؤمنين، لأنه مرتد، سواء كانت ردته قولية أو فعلية أو اعتقادية.

وإن كان الإنحراف عن الإسلام لا يوجب كفر المنحُرف وإنما يستحق أن يوصف بإنحرافه بالفسق والعصيان، فإن واجب المسلم أن ينظر إلى مقدار ما مع الشخص أو الجماعة من خير وشر، فإن رجح الخير على الشر، رجحت محبته ومودته على بغضه وعداوته، وإن كان العكس رجح جانب البغض والعداوة على جانب المحبة والمودة، وإن تساوى ما فيه من خير وشر تساوى حبه وبغضه، وخلاصة ذلك أن الإنسان يُوالي على قدر ما معه من الحق ويُعادى على قدر ما معه من الباطل، بشرط أن لا يكون ذلك خاضعاً لأغراض شخصية ومنافع خاصة، وإنما يجب أن يتخذ هذا الموقف من منطلق الحب في الله والبغض في الله مجرداً عن أي اعتبارات مادية أخرى، وإن كان هناك عوامل تزيد الموالاة وتقويها مثل القرابة في النسب والجوار والعمل ولكنها تابعة للولاء في الله لا متبوعة، وطريقة التعامل مع من لم يظهر إلا الطاعة، أو لم يظهر إلا الكفر والفجور واضحة لا غبار عليها، وإنما الذي يشكل على بعض الناس إذا خلط الإنسان بين الطاعات والمعاصي وجمع الشخص الواحد أو الجماعة بين المتضادات والمتناقضات كيف يعامل؟ وكيف يجمع له بين الموالاة والمعاداة!

والجواب أنه مهما اجتمع في شخص واحد خصال تحب بعضها وتكره البعض الآخر، فإن هذه الخصال لا بد أن تتفاوت في الخير والشر، حسب أهميتها وكثرتها، فمن ترك الواجبات ما يكون كفراً صريحاً، ومنها ما يكون كبيرة من كبائر الذنوب، ومنها ما هو من صغائر الذنوب، وفعل المحرمات بهذا الترتيب كذلك، فلكل مرتبة حقُها من الموالاة والمعاداة، فالمسلم تحبه لإسلامه، ثم يزاد الحب ويقوى كل ما يزداد تمسكه وعطوه للإسلام والمسلمين، وتبغضه لمعصيته وتزداد العداوة كل ما زاد في عصيانه

وضلاله، فتحبه على قدر ما معه من خير وتبغضه على قدر ما معه من شر وهذا مقتضى العدل، أن يُنَزَّل كلُ شخص منزلة ما معه من خير أو شر - حسب ظاهر حاله، ونحن كبشر، نخطئوا في تقدير هذه المنزلة، تقديراً دقيقاً في تعاملنا مع الناس، ولكننا مأمورون بالاجتهاد في ذلك، حسب القدرة والطاقة، قال تعالى: ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا﴾[1] وعلى هذا يجب أن يجتهد المسلم في تعامله مع الناس، بإعطاء كل صاحب منزلة ما يستحق من حب وبغض، بلا إفراط ولا تفريط، فمن غلبت عليه الطاعة أو غلبت عليه المعصية، أو اجتمع فيه شيء من الطاعة والمعصية، عامل كلاً بحسب حاله، بأن يعطي كل صفة حظها من الحب والبغض في الله وما يترتب على ذلك من اقبال وصحبة، وأعراض وقطيعة، وسائر الأفعال المترتبة على الحب والبغض في الله، ومثال ذلك من كان له زوجة حسناء أو ولد ذكي، ولكنهما فاسقان بسبب ارتكابهما بعض صغائر الذنوب، فإنه يحبهما من وجه ويبغضهما من وجه آخر، ويكون معهما على حالة بين حالتين من الحب والبغض، وكذلك لو كان لرجل ثلاثة أولاد، الأول ذكي صالح بار، والثاني فاسق بليد عاق، والثالث ذكي عاق، فإنه يجعل نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة بحسب تفاوت خصالهم[2].

فالحب والبغض للناس عامة وللمسلمين خاصة، يجب أن يكون بحسب ما فيهم من خصال الخير والشر، فإن العبد يجتمع فيه سبب الولاية، وسبب العداوة، والحب والبغض، فيكون محبوباً من وجه مبغوضاً من وجه آخر، والحكم في ذلك للغالب منهما[3].

---

(١) سورة التغابن آية (١٦).

(٢) انظر فضيلة الألفة والأخوة/ مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (١٦٠٥) الورقة من (٨ - ٩) - المؤلف غير معروف - كتبت حوالي نهاية القرن التاسع الهجري.

(٣) أنظر شرح الطحاوية ص ٣١٨.

فإن قال قائل كيف يمكن إظهار البغض للفساق الذين يجمعون بين صفات حسنة وأخرى سيئة؟.

والجواب كم يظهر لي أن إظهار البغض لهؤلاء ليست لـه قاعـدة مـطردة: بل الأمـر يختلف باختـلاف الأشخاص الـواقعين في المعصية، وباختلاف المعاصي، وباختلاف الأشخاص المظهرين للبغض كذلك.

فهذه المسألة شبيهة بمسألة المريض والمرض والطبيب فالمرض شيء موجود، ولكن لكل مرض علاج وعلاج المرض الواحد يختلف باختلاف المرضى، وباختلاف الأطباء فتكون المسألـة مسألـة اجتهاديـة في حدود السياسة الشرعية، ولكن إذا اقتضى الأمر إظهار البغض فإن إظهاره تارة يكون بالقول، وتارة بالفعل، وتارة بهما جميعاً.

فإما إظهار البغض بالقول فيكون بكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مدة، أو بالإستخفاف به والتغليظ له في القول تارة أخرى، وأمـا إظهار البغض بالفعل، فبقطع السعي في إعانته مرة، وبالسعي في إساءته وإفساد مآربه مرة أخرى، ويكون تارة بإظهار الأعمال الصالحة التي تغيظه، وتنغص عليه حياته المتعفنة، وهذه الأمور بعضها أشد من بعض، ولكن يجب ربط هذه الأمور بشيء واحد، وهو أن الإنسان ينوي بهذه الأعمال والأقوال إظهار البغض في الله، مع محاولة إشعار الطرف الثاني بأن التعامل معه على هذا الأساس إنما هو من منطلق المعاداة في الله، لا لمصالح ذاتية عاجلة ولا لأغراض شخصية، فلعل إظهار البغض بهذه الصفة يحقق الأغراض التأديبية المطلوبة في ذلك وإن كان الطرف الآخر قد يصور العداوة والبغض في الله، بأنهما عداوة شخصية، أما جهلاً، وأما تضليلاً وعناداً، ولكن لا يضير ذلك المسلم الواثق في سلامة قصده وإخلاص ضميره لله، فإن كل إنسان يفسر تعامل الناس معه على حسب غايته وهواه، ولكن العدل هو تنزيل الإنسان حسب منزلته في القرب أو البعد عن الإسلام.

يقول سليمان بن سحمان:

فحق لذي فضل مراعاة فضله
بقدر الذي قد يستحق به الأجل
يوالى على هذا وترعى حقوقه
وكل على مقدار فضله قد حصل
ويبغض من وجه على هفواته
وزلاته والسيئات من العضل
يراعى الذي قد كان أصلح للفتى
وأنفع للدنيا وللدين والعلل
يعادى على هذا بمقدار ذنبه
ويرحمه بالزجر عنها لينفتل
فليس يواليهم لأجل حظوظهم
ولكن لأجل الله قصداً إذا فعل
وليس يعاديهم لذلك أو لم
يكون لمكنون النفوس من الدغل[1]

وإظهار العداوة، فيما تقدم إنما يكون مع الأشخاص الذين أظهروا المعصية ولم يندموا عليها.

أما من أظهر الندامة، وأقلع عن المعصية فالأولى أن نصفح عنه ونستره، ولا نظهر له العداوة، هذا بحال من اجتمعت فيه أفعال الطاعة وأفعال المعصية، فيوالى على قدر طاعته ويبغض على قدر معصيته.

وهذا المنهج ضروري للإنسان في تعامله مع الناس، حيث أن

---

(١) أنظر ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان/ سليمان بن سحمان ص ١٤٧.

الإنسان بفطرته ميال إلى الاجتماع والاختلاط مع بني جنسه ولا يستغني عن التعامل مع تقيهم وفاجرهم وهذا أمر لا حرج فيه ولا إثم[1].

وإنما الإثم في المخالطة العشواء التي لا يبالي فيها الإنسان بمن يخالط أو يصاحب، فلا يحب تقياً ولا يعادي شقياً.

فالواجب على المسلم أن يستصحب أحكام الإسلام في مثل هذه الأحوال، فمن يفهم الإسلام بأنه مجرد شعائر تعبدية لا دخل له في تقييم الناس وتقييم التعامل معهم يكون مخطئاً في فهمه ناقصاً في إدراكه لمفهوم الإسلام الصحيح الذي يحكم حياة الإنسان وحركته من المهد إلى اللحد. إن هناك كثيراً من الناس ليس لديهم منطلق مستمد من عقيدة الإسلام في مخالطة الناس ومعاملتهم، فهم لا يبالون بمن يخالطون أو يتعاملون معهم، سواء كانوا مؤمنين أو عصاة، أو كافرين، وهذا مخالف لأمر الله عز وجل في قوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق﴾**[2] وقوله تعالى: **﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون﴾**[3] وقوله تعالى **﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾**[4].

ففضول المخالطة داء عضال، فكم سلبت المخالطة العشواء من نعمة وكم جلبت من نقمة.

وكم زرعت من عداوة، وكم غرست في القلب من مرارة ولا يسلم من ضرر المخالطة وغوائلها المميتة إلا من جعل الناس في المخالطة أربعة أقسام:

---

(١) انظر مقدمة ابن خلدون ص (٤٢ ـ٤٣) (ط ـ دار إحياء التراث العربي).
(٢) الممتحنة آية (١).
(٣) سورة القلم آية (٣٥، ٣٦).
(٤) سورة السجدة آية (١٨).

الأول: من يجعل مخالطته لهم بمنزلة غذائه، فلا يستغنى عنهم في اليوم والليلة، بل يشعر بالحاجة لهم على الدوام، ويشتاق إلى رؤيتهم وحديثهم، اشتياق العطشان إلى الماء الزلال.

وهؤلاء هم العلماء العاملون، والفتية المؤمنون الملتزمون بالإسلام قولاً وفعلاً فقد رُوي عن عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» أنه قال في الحث على طلب أهل الخير في الصُحبة والصداقة (عليك بإخوان الصدق تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه، حتى يجيئك ما يغلبك منه، واعتزل عدوك، واحذر صديقك إلا الأمين في القوم، ولا أمين إلا من يخشى الله، ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك فيخونك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله)[1] اهـ. وقال بعض العلماء لا تصحب إلا أحد رجلين رجل تتعلم منه شيئاً من أمر دينك فينفعك، أو رجل تعلمه شيئاً من الدين فيقبل منك، والثالث فاهرب منه[2].

الثاني: من تكون مخالطة الإنسان لهم، كالدواء يستعمله وقت الحاجة عند المرض، فإذا شُفِيَ تركه، وهؤلاء هم الذين لا يستغنى عنهم في مصلحة معاشه، وتأمين ما يحتاج إليه من أنواع المعاملات، فهو يلتقي معهم بمفهوم وتصور معين ويتجرع مرارتهم كما يتجرع مرارة الدواء لحاجته إلى ذلك.

الثالث: من تكون مخالطتهم كمخالطة أهل الأمراض المعدية على اختلاف أنواعها قوة وضعفاً، وهؤلاء هم العصاة والفساق الذين لا يستفيد منهم في دين ولا دنيا، فمخالطتهم داء وبلاء يجب على من ينشد الحيطة

---

(١) أنظر فضيلة الألفة والأخوة: مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) الورقة (٣٥) المؤلف غير معروف وأنظر حياة الصحابة جـ٣ ص ٥٠٢.

(٢) المصدر السابق من المخطوطة الورقة (٣٦).

والحذر لنفسه الإبتعاد عنهم إلا لغرض دعوة، ونية إصلاح، فهذا أمر مخصص من ذلك العموم.

الرابع: من مخالطتهم مهلكة وزيغ وإلحاد وكفر وضلال، وهؤلاء هم دعاة السوء ونواب الشيطان في الدعوة إلى الضلال والإنحراف الداعون لكل بدعة الصادون عن كل فضيلة، فهؤلاء لا يكتفي الإنسان بالعزلة عنهم وعدم مخالطتهم بل الواجب السعي بكل وسيلة للقضاء عليهم وتحطيمهم، قبل أن يحطموا قوة الإسلام والمسلمين[1].

والدعوة إلى الله في هذه الأقسام والثلاثة الأخيرة منها خاصة واجب شرعي تقتضيه أدلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومباشرة ذلك تحتاج إلى الحكمة والموعظة الحسنة قال تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[2] فالآمر بالمعروف والناهي عن المنكر لا بد أن يعرف أسلوب الدعوة مع الأشخاص كل حسب علمه وفهمه، ولا بد أيضاً أن يقدم في الدعوة الأصلح على الصالح، فلا يحمل على إنسان لا يؤدي السنن، وهو لا يؤدي الواجبات، ولا بد كذلك من ملاحظة ما يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مفاسد قد تكون أكثر مما يراد تحقيقه من مصالح فلا بد من دفع أعظم الضررين بأيسرهما والداعية يجب أن يتحلى بالسكينة والوقار وإظهار الحرص والعطف على من يأمره أو ينهاه، وأن يتثبت ويتحرى اليقين فيما يأمر به وينهي عنه فإن في ذلك خيراً كثيراً.

والمخالفون للطريق المستقيم يمكن تقسيمهم إلى الأقسام الآتية:

١ ـ المخالفون باعتقادهم وأفعالهم وهؤلاء هم الكفار.

---

(١) انظر في هذا المعنى الدرر السنية جـ ١١ ص ٩٤.

(٢) سورة النحل آية (١٢٥).

٢ ـ المخالفون في اعتقادهم دون أفعالهم، وهؤلاء هم أهل البدع الإعتقادية مثل فرق أهل الكلام ونحوهم، ويدخل في عداد هؤلاء أهل النفاق.

٣ ـ المخالفون في أفعالهم دون اعتقادهم وهؤلاء ينقسمون إلى قسمين: ـ

أ ـ من تكون أفعالهم مكفرة لمن يفعلها فهؤلاء كفار وإن اعتقدوا الإسلام.

ب ـ من تكون أفعالهم لا توجب كفر فاعليها وهؤلاء هم عصاة المسلمين وفساقهم، ولكل من هؤلاء أسلوب في التعامل معه من حيث الموالاة والمعاداة.

وسوف نقتصر في هذا المبحث على تناول أهل البدع الذين لا يكفرون ببدعتهم، وكذلك تناول العصاة والفساق من المسلمين، أما من يخالف مخالفة توجب الكفر فسوف نتناول ذلك بإذن الله تعالى في المباحث التالية بعد هذا الموضوع.

وبناء على ذلك فإن موالاة ومعاداة أهل البدع والمعاصي تكون على النحو التالي:

أولاً ـ المبتدعون.

والمبتدعون في إعتقادهم ينقسمون إلى قسمين.

١ ـ مبتدع يدعو إلى بدعته.

٢ ـ مبتدع مقلد غير قادر على الدعوة إلى بدعته الإعتقادية.

فالمبتدع الذي يدعو إلى بدعته ينظر إلى نوع البدعة، فإن كانت البدعة من النوع الذي يكفر فيها مبتدعها فأمره أشد من الكافر الأصلي الذي يمكن إقراره على الكفر في عقد الذمة أو العهد معه أما هذا المبتدع بدعة مكفرة فإنه لا يقر على كفره فهو مرتد حيث لا يقبل منه جزية ولا عقد ذمة.

أما إن كانت مما لا يفكر فيها فأمره أخف من أمر الكافر لا محالة، ولكن

يجب الإنكار عليه أشد من الإنكار على الكافرين. لأن شر الكافر غير متعد لمعرفة الناس بكفره، وهذا شره متعد إلى غيره من المسلمين، لأنه يدعي لنفسه الإسلام والإستقامة على الحق، فينخدع به بعض المسلمين، ولهذا يجب إظهار وإشهار بغضه وعداوته، والإنقطاع عنه، وتحقيره والتشنيع عليه ببدعته، وتنفير الناس عنه وعن فعله بأعظم ما يكون.

وإن سلَّم في خلوة، فلا بأس برد جوابه، وإن تيقن أو غلب على ظنه، أن الأعراض عنه والسكوت عن جوابه يكسر على نفسه بدعته، ويؤثر في زجره، فترك الجواب أولى لأن الجواب وإن كان واجباً، فيسقط بأدنى غرض مثل كون الإنسان في الحمام، أو في قضاء الحاجة، وغرض الزجر مثل هذه الأغراض[١]. أما إن كان في ملأ من الناس فترك الجواب أولى تنفيراً للناس عنه وتقبيحاً لبدعته في أعينهم وكذلك كف الإحسان والإعانة عنه، لا سيما فيما يظهر للخلق[٢].

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله): «وأرى هجر أهل المعاصي والبدع ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأكل سرائرهم إلى الله»[٣]. ا. هـ

ويقول الشيخ محمد بن عبد اللطيف[٤]، والشيخ عبد الله بن عبد

---

(١) أنظر فضيلة الألفة والأخوة مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (١٦٠٥) على ميكروفيلم (٦/٥٥٦) الورقة (٢٩ ـ ٣٠).

(٢) المصدر السابق المكان نفسه.

(٣) أنظر الدرر السنية جـ ١ ص ٣٠.

(٤) هو الشيخ محمد بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب من علماء نجد ولد بالرياض سنة (١٢٨٢ هـ ـ ١٨٦٦ م) وتفقه بها ورحل إلى عمان وقطر، ثم اليمن، ثم عين بعد ذلك قاضياً بشقراء ثم نقل إلى قضاء الرياض وتوفي بها سنة (١٣٦٧ هـ) من آثاره. كتاب الدعوة إلى حقيقة الدين. أنظر مشاهير علماء نجد ص ١١٧ وانظر معجم المؤلفين عمر رضا كحاله جـ ١٠ ص ١٩٣.

العزيز العنقري[1] (رحمهما الله) في رسالة مشتركة بينهما: «إن المجاهر بالمعاصي يشرع هجره إذا كان في هجره مصلحة راجحة، ولم يترتب على ذلك مفسدة أعظم من تلك المفسدة التي حصل الهجر بسببها، وذلك حسب غلبة الظن في ذلك. لأن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[2].

أما المبتدع المقلد وهو العامي الذي لا يقدر على الدعوة إلى بدعته ويحث الناس عليها، فالأولى أن لا يفاتح بالتغليظ والإهانة بل يتلطف به في النصح فإن قلوب العوام والمقلدين سريعاً ما تنقلب إلى الصواب، إذا وجدت من يعالجها بحكمة وبصيرة، فإن لم ينفع النصح وكان في الأعراض عنه تقبيحاً لبدعته في عينه وعين أمثاله فالأولى فعل ذلك، وكذلك لو علم أن الأعراض عنه لا يؤثر فيه لجمود طبعه وتحجر عقله، وخبث طويته، فإن الأعراض أولى لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق وعم فسادها[3].

ثانياً ـ العصاة أو الفساق:

العاصي أو الفاسق هما لفظان مترادفان لمعنى واحد[4].

والعصاة المخالفون ببعض أفعالهم لما يوجبه دين الإسلام فهؤلاء لا يخلو أمرهم من شيئين.

١ ـ أن تكون معاصيهم مما يتأذى بها الغير مباشرة، مثل الظلم والغصب وشهادة الزور والغيبة والنميمة ونحو ذلك.

٢ ـ أن لا تكون مما يتأذى بها الغير مباشرة، وذلك مثل الفسق بشرب خمر

---

(١) انظر ترجمته ص ١٥ من هذه الرسالة.

(٢) الدرر السنية جـ ٧ ص ٢٩٦.

(٣) أنظر فضيلة الالفة والأخوة مخطوطة بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) على ميكروفيلم (٦/٥٥٦) الورقة (٢٩ ـ ٣٠) المؤلف غير معروف كتبت بالقرن التاسع الهجري تقريباً.

(٤) أنظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٦١٢، ٦٩٥.

أو نحوه من المخدرات، والمفترات، أو مخالفة سنة كحلق لحية أو إسبال ثوب أو تختم بذهب ونحو ذلك، فهذه المعاصي قد لا يتأثر بها الغير مباشرة ولكن يجب عليه أن ينكر على فاعلها بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يرضى بها أو يرضى عن صاحبها وهو متلبس بها، لأن إحن المعاصي تجر المحن على الجميع وقد قال الله تعالى: ﴿**واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة**﴾[1]. والعاصي أو الفاسق، إذا عصي بشيء يخصه أو يتعدى إلى غيره، فهو أما أن يكون داعياً إلى المعصية والفسوق كالذي يبيع الخمر للناس، أو يزين الفاحشة في أعين الناس كي يوقعهم فيها، فهذا أشد إثماً وأعظم جرماً وأكثر خطراً من الفاسق الذي يقتصر فسقه على نفسه بأن يفعل مثل هذه الأمور. ويتستر على ذلك فقد ورد في الحديث المتفق على صحته أن النبي ﷺ يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله عليه، فيقول: يا فلان، عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه، ويصبح يكشف ستر الله عليه»[2].

وهذه المعاصي التي يرتكبها العصاة، أما أن تكون كبيرة من كبائر الذنوب، أو من صغائر الذنوب وأدناها، وفي كل واحدة من تلك الذنوب الكبيرة أو الصغيرة، أما أن يكون مصراً عليها، وأما أن يكون غير مصر عليها فمن هذه التقسيمات يتحصل لدينا ثلاثة أقسام رئيسة ولكل منها مرتبة تختلف عن غيرها[3].

القسم الأول: إن من أشد المعاصي إضراراً ما يستضر به الناس من ظلم وغصب، وشهادة زور، وغش، وتطفيف ونحو ذلك.

---

(١) سورة الأنفال آية (٢٥).

(٢) انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٥٥ (باب ستر عورات المسلمين) رقم الحديث (٢٤٣).

(٣) فضيلة الألفة والأخوة (مخطوطة ـ الورقة) (٣٠) جامعة الرياض برقم (١٦٠٥).

فهؤلاء مع ما يلزم عليهم من عقوبة تعزيرية تقوم بها الدولة المسلمة نحوهم يجب أيضاً على المجتمع، أن يقاطعهم، وينبذ مخالطتهم ويظهر عدم الود والإستئناس لهم، مالم يتوبوا إلى الله توبة صادقة في أقوالهم وأفعالهم، لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق، فالله عز وجل قد يعفو عما بينه وبين العبد ولكن ما بين العبد والناس لا بد فيه من القصاص والجزاء، والمستحب مع من يفعل ذلك أن ينصحه ويعظه بالتي هي أحسن، فإن رأى منه تجاوباً وتقبلاً أحسن مصاحبته وأدام مودته، أما إن رآه باقياً على فسقه وعصيانه أستحب له إهانته والإعراض عنه، وإظهار بغضه وعداوته.

القسم الثاني: من معصيته بينه وبين ربه وهي المعاصي التي لا يكون أثرها مباشراً على الغير، كصاحب الماخور[1] الذي يهيء الفساد ويسهل طريقه على الناس فهذا لا يؤذي الناس في العرف الخاطىء عند البعض لأن الناس يأتون إليه برضاهم، ولكنه في الحقيقة يؤذيهم في دينهم وفي دنياهم على حد سواء وربما كان سبباً في حلول نقمة أو عذاب عليهم، فهو قريب من الأول ولكنه أخف منه من حيث أن المعصية بين العبد وبين الله وهي إلى العفو أقرب والأمر في ذلك مرجعه إلى الله عز وجل إن شاء عفا وإن شاء عاقب، وهذا النوع من المعاصي إن ظهرت وجب أولاً استيفاء الحد الشرعي أو التعزير على فاعل المعصية، ثم نصحه ليقلع عن تلك المعصية، فإن استمر على ذلك وجب الإنكار عليه، ومن الإنكار عليه الإعراض عنه ومقاطعته، وترك السلام عليه، أو إجابته إذا ظن أن في ذلك نوعاً من الزجر له، أو لغيره.

القسم الثالث: الذي فسقه مقصور على نفسه، بشرب خمر، أو

---

(١) بيت الريبة، ومجمع الفساق والعصاة. انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٨٦٣.

ترك واجب أو مقارفة محظور يخصه، فالأمر في ذلك أخف من سابقيه، ولكن إن وافقه شخص قبل الوقوع في المنكر وجب عليه منعه من المنكر، بما يمنع به عادة من هو في مثل حالته، ولو بـالضرب أو السخرية والإستخفاف به، فإن النهي عن المنكر واجب، حسب القدرة والاستطاعة[1]، فإن لم يعلم بالمنكر إلا بعد وقـوعه، والفـراغ منه، نصحه فيما بينه وبين نفسه، وتلطف في نصحـه، وأظهر لـه الشفقة والعطف والرحمة به، فإن رجع عن عصيانه، فهذا ما يقصـده الأخ لأخيه، وإن رأى أنه مستمر في معصيته، نظر إلى حاله، فإن كان الهجر لا يزداد به المهجـور سوءاً، فـإن هجره مستحب، وإن كـان الهجر والمقاطعة يجره إلى معصية فوق معصيته، فإن هجره منهى عنه[2].

وقد اختلف العلماء في مسألة الهجر والمقاطعة، ومسألة المداراة والملاطفة، وما هي القاعدة والمعيار في ذلك، والصحيح والله أعلم أن كل ذلك متعلق بالنية والقصد عملاً بالحديث الصحيح «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى» فالرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق نوع من التواضع، وفي العنف والإعراض نوع من الزجر، والمستفتى في ذلك هو القلب، إذ قد يكون الزجر والتأنيب عن كِبر وعجب، ونوع من التلذذ بإظهار العلو والإذلال بدعوى الإصلاح، وقد يكون الرفق والتلطف ناتجين عن مداهنة ومصانعة، واستمالة قلب للوصول به إلى غرض من أغراض الدنيا، من مال أو جاه أو شهوة، فعلى كل راغب في أعمال الخير من حب في الله وبغض في الله، أن يجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق، ومراقبة هذه الأحـوال في سويـداء القلب وأعماق النفس، حيث أن مسألة التعامل مع العصاة تشبه إلى حد بعيد مسألة

---

(١) فضيلة الألفة والأخوة (مخطوطة) الورقة (٣١) وانظر رسالة في الجهاد للشيخ/عبد الرحمن ابن حماد آل عمر ص ٢٢.

(٢) انظر رسالة في الجهاد/ للشيخ عبد الرحمن بن حماد آل عمر ص ٢٢.

المريض والطبيب والعلاج، فهي مسألة اجتهادية تحدد حسبما تقتضيه السياسة الشرعية لمصلحة الدعوة إلى الله[1].

فطرق السلف الصالح قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وإن كان كلهم قد اتفقوا على أن العاصي إذا نصح فلم يرجع ولم يتب عن معصيته وجب بغضه ووجب إظهار البغض له، مالم يخش ترتب مفسدة أعظم من تلك المفسدة الحاصلة التي يريد أن يبغضه عليها.

فقد كان من العلماء من يتشدد في الإنكار، ويختار المهاجرة ولو كان سبب الهجر شيئاً يسيراً ولكنه إذا صدر ممن يُقْتَدى بهم صار كبيراً، فقد هجر الإمام أحمد (رحمه الله) يحيى بن معين في قوله (كل ولا تسأل أحداً شيئاً، ولو حمل الشيطان إلي شيئاً لأخذته منه)[2]. فاستعظم الإمام أحمد هذه المقالة وهجر صاحبها فدل ذلك على أن بغض أهل المعاصي أمر واجب شرعاً وقد تقدمت أدلة متواترة على ذلك ولا بأس أن نشير إلى بعض تلك الأدلة أو غيرها من الكتاب والسنة، فمن الكتاب قوله تعالى: ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم**﴾[3] وفي الحديث «من أحب لله، وأبغض لله وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان»[4].

فالبغض إنما ينتج عن المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله، وهذا البغض يتخذ مراتب متفاوتة، فقد يقوى في نفس صاحبه حتى يحمله على تغيير المخالفة باليد، فإن قل عن ذلك كان التغيير بالكلام أو بترك

---

(١) انظر فضيلة الالفة والأخوة (مخطوطة ـ الورقة (٣٢) وانظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٤٠، ٤١.
(٢) انظر فضيلة الالفة والأخوة الورقة (٢٧).
(٣) سورة المجادلة آية (٢٢).
(٤) أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ١ ص ١١٢ رقم الحديث (٣٨٠).

الكلام والسلام، وقد يضعف فيكون محبوساً في داخل القلب وذلك أضعف الإيمان ومن الأمثلة العملية على هجران أهل المعاصي ما ورد في قصة كعب بن مالك ومن معه «رضي الله عنهم» فقد روي عن كعب أنه قال: (ونهى رسول الله المسلمين عن كلامنا، وذكر خمسين ليلة)[1].

وقد رُوي في الأثر عن عبد الله بن عمرو بن العاصي بلفظ (لا تسلموا على شراب الخمر)[2] فإن قال قائل كيف الجمع بين ترك السلام والكلام في الحديث المتقدم وبين حديث (لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليالي يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام[3] فالجواب:

١ ـ إن الهجر المنهي عنه قد يحمل على الهجر الذي يكون سببه البغض من أجل مصالح دنيوية لا من أجل معصية شرعية بحتة.

٢ ـ أن أحاديث جواز الهجر قد خصَّصَت عموم الأمر بإفشاء السلام كما هو مذهب الجمهور[4].

٣ ـ إن الحديث الذي قيد الهجر بثلاث ليال فقط حمله بعض العلماء على ما إذا كان بغير موجب لذلك أو كان الموجب لا يتحمل ذلك، وإلا فإن الرسول ﷺ هجر الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك خمسين يوماً وهجر أزواجه شهراً وبعضهن أقل من ذلك وبعضهن أكثر. وعلى هذا فليس تحديد المدة شرطاً ميعناً نظراً لاختلاف العصاة والمعاصي التي يكون الهجر بسببها، وقد يعترض أحد على ذلك فيقول: لماذا العاصي أو

---

(١) انظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٤٩٧.
(٢) أنظر فتح الباري جـ ١١ ص ٤١.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٦ ص ١١٧ (باب تحريم الهجر فوق ثلاث).
(٤) فتح الباري جـ ١١ ص ٤١.

الفاسق أو المبتدع مشروع هجره ولا يشرع هجر الكافر ابتداء، وهو أشد جرماً من أهل المعاصي؟.

والجواب أن الهجران على نوعين: هجران يكون بالقلب. وهجران يكون باللسان، فهجران الكافر بالقلب وهو هجران بغض وعداوة، بترك التودد إليه والتعاون والتناصر معه، ولا سيما إذا كان حربياً، ولم يشرع هجرانه بالكلام لعدم ارتداعه بذلك عن كفره، وإن كان لا يستحب بدؤهم بالسلام، بخلاف العاصي المسلم، فإنه ينزجر ويشعر بالخطيئة والخجل، عند مقاطعته وهجرانه، ويشترك كل من الكافر والعاصي بجواز المكالمة لغرض الدعوة إلى الله وإلتزام طاعته، وإنما المنهي عنه في حقهما المكالمة بالموادة مع المعصية والكفر وتمسكهما في ذلك[١].

ومفهوم كلام السلف أن موالاة أهل البدع ضلالة لا تخرج عن الإسلام، ولكنهم شددوا في ذلك وحذروا منها لأمرين:

الأمر الأول - إن البدعة في الدين عند جمهور العلماء أعظم من ارتكاب الكبيرة من كبائر الذنوب، لذلك يعاملون أهلها أعظم مما يعامل به مرتكب الكبيرة، وذلك لأن البدعة يخشى من انتشارها واستمرار أهلها عليها، بخلاف الذنب الذي يرتكبه صاحبه وهو يعلم خطأه وتعديه ويعلم الناس أنه خلاف الصواب، ولذلك فإن دعاة البدع وسماسرة المعاصي، ولو كانوا ممن يتقمصون ثياب العلم ويتظاهرون بالزهد والصلاح، يجب أن يشد أهل الحق الوطأة عليهم، لأن هؤلاء يغتر بعض العامة بهم، فيقودونهم إلى الهاوية والعذاب السحيق.

الأمر الثاني - أن موالاة أهل البدع والمعاصي قد تجر إلى أكبر من ذلك حيث تؤدي بأصحابها في نهاية الأمر إلى الردة والكفر أعاذنا الله من ذلك، فكثير من الناس بدؤوا، مع أهل المعاصي ببعض أنواع الموالاة ثم

(١) المصدر السابق جـ ١٠ ص ٤٩٧.

انتهى بهم الأمر إلى التوالي الكامل للكفار، فخرجوا بذلك عن دائرة الإسلام والمسلمين، لأن مخالطة الكفار والاستئناس بهم بلا وعي صحيح ولا عقيدة راسخة تؤول إلى المشابهة والمماثلة لهم في الأقوال والأفعال مما ينتج عن ذلك محبة لهم ولأفعالهم وأقوالهم، لأن المحبوب له تأثير على من يحبه، حتى يصل الأمر إلى محاكاتهم في كل شيء بغض النظر عن كون ذلك حراماً أو مباحاً وهذه صفة من صفات الردة الكاملة التي يحل فيها سبي الأموال وقتل الأنفس أما موالاة العصاة والمبتدعة للبدع التي لا تخرج عن الإسلام، فهي فتنة وضلالة وإنحراف، لا يحل معها سبي الأموال وقتل الأنفس، لأن صاحبها لا يزال معصوم الدم والمال ما لم يستبح لنفسه فعل المعصية أو البدعة، فإن من استباح فعل المعاصي والبدع التي اتفق علماء الإسلام على تحريمها بموجب الكتاب والسنة فهو كافر مرتد[1].

وقد روي عن سفيان الثوري (رحمه الله) أنه قال: (من جالس صاحب بدعة لم يسلم من إحدى ثلاث:

١ - إما أن يكون فتنة لغيره بالجلوس معه، وقد ورد في الحديث (من سنّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة، كان عليه وزرها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء[2].

٢ - أن يقع في قلبه شيء من الإستحسان فيزل به فيدخله الله النار بسبب ذلك.

٣ - أن يقول: (والله ما أبالي بما تكلموا وإني واثق من نفسي فمن أمن الله على دينه طرفة عين سلبه الله إياه)[3].

---

(١) أنظر تفسير القرطبي جـ ٦ ص ١٩٠.

(٢) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٥٩ (كتاب العلم).

(٣) انظر العقيدة والآداب الإسلامية للشيخ محمد بن عبد الوهاب جـ ١ ص ٣١٧.

قال أبو قلابة (لا تجالسوا أهل البدع، والأهواء، ولا تجادلوهم فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون)[1]. وقد روي عن أبي هريرة (رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[2]. وللحديث الصحيح (أنت مع من أحببت)[3].

وطريقة إظهار البغض لأهل المعاصي إذا إقتضى الأمر ذلك تكون في الإعراض والتباعد عنهم، وتارة بقلة الاهتمام بهم وعدم الإلتفات إليهم وأخرى بالاستخفاف بهم وتغليظ القول عليهم، وهذا أشد من الإعراض والمقاطعة، وفي جميع الأحوال يكون الأمر بحسب غلظة المعصية وخفتها. ولذلك فالمعاداة لأهل المعاصي بالفعل لها طريقان:

الأول: قطع المعونة والرفق والنصرة لهم، وذلك أقل درجات البغض لأهل المعاصي، إذا رأى أن هذا هو الأسلوب الأجدى معهم.

الثاني: السعي الجاد لإفساد مراميهم ومقاصدهم السيئة بقطع الطريق عليهم وخاصة فيما يفسد عليهم طريق الوصول إلى المعصية وذلك مثل لو كان هناك إنسان يستغل وظيفته لأخذ الرشوة نظراً لارتباط عمله بالجمهور ومصالحهم فيمكن نقله إلى وظيفة تفقده ذلك بعد تعزيره على ما ارتكب كأن ينقل إلى وظيفة حفظ الملفات والصور المنتهية، أما ما لا يؤثر في منعه من المعصية بصورة مباشرة، فإن المبغض للعاصي بالخيار بين الإفساد عليه، أو عدم ذلك ومثال ذلك، لو أن شخصاً يعصي الله بشرب الخمر ثم تقدم لخطبة إمرأة، لو تيسر له نكاحها لكان مغبوطاً فيها، لما فيها من عفة

(١) المصدر السابق ص ٣١٨.

(٢) يقول الشيخ ناصر الدين الألباني: هذا الحديث ضعيف ولكن ليس شديد الضعف، فيصلح للاستشهاد به، فالحديث به حسن. أنظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ٢ ص ٦٣٣ رقم الحديث (٩٢٧).

(٣) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٣٢.

وجمال ومال، وأنت ترى أنك قادر على التأثير في هذا الموضوع بالموافقة أو عدمها، ولكنك تظن متيقناً أيضاً أن ذلك لا يؤثر في منعه من المعصية بشرب الخمر فأيهما أولى أن تعينه لينال مقصوده، أم تفسد عليه غرضه ومقصوده.

إن الإنسان في مثل هذه الحالة أمامه ثلاثة طرق:

الطريق الأول: أن يعينه على مقصوده بنية التلطف بإعانته، وإظهار الشفقة عليه، ليعتقد مودتك، ويتقبل نصحك فهذا حسن ومطلوب من المسلم في بعض الأحوال.

الطريق الثاني: أن لا تعينه ولا تفسد عليه، فتتركه لمعصيته، ولا تفسد عليه لحق إسلامه، فذلك ليس بممنوع.

الطريق الثالث: أن تفسد عليه غرضه وتفوت عليه تلك الفرصة، وذلك لعله يرجع عن معصيته فيدرك أن هذه المعصية حرمته من هذا الأمر الذي يتطلع إليه بشوق واهتمام، وليعلم هو وغيره أن هذا هو الواجب مع من يستهينون بالمحرمات ويرتكبون السيئات، ثم ليعلم الناس أن الموالاة في الله والمعاداة في الله يجب أن تحكم العلاقات بينهم، وأن ذلك من أصول الإيمان وواجباته على كل مسلم(١).

هذا إذا كانت المعصية فيما يتعلق بحق الله، أو حقوق الآخرين أما إن كانت المعصية والجناية تتعلق بحقك الشخصي أيها الإنسان أو بحق من لك الولاية عليه، فإن لك العفو والمسامحة عن ذلك في مثل ما حصل في قوله تعالى **﴿ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر**

---

(١) انظر فضيلة الالفة والأخوة مخطوطة الورقة (٢٦، ٢٧) قسم المخطوطات جامعة الرياض برقم (١٦٠٥) على ميكروفيلم برقم (٦/٥٥٦) المؤلف غير معروف كتبت في القرن التاسع هجري تقريباً.

الله لكم والله غفور رحيم﴾[1] وذلك حين تكلم مسطح بن أثاثة في قصة الأفك، فحلف أبو بكر (رضي الله عنه) أن يقطع عنه النفقة لمشاركته في نشر تلك القصة التي لا أساس لها من الصحة، ولكن الله عز وجل عرض على أبي بكر العفو والصفح مقابل مغفرة الله فأجاب أبو بكر (رضي الله عنه) واستمر على ما كان يدفعه إلى مسطح بن أثاثة ولا شك أن معصية التعرض لحرم رسول الله ﷺ ولمكانة أبي بكر (رضي الله عنه) خاصة من أقرب الناس إليه حيث كان مسطح ابن خالة أبي بكر، ولكن لما كان المجني عليه في نفسه بتلك الواقعة قد ثبت له الحق في ذلك، فهو يملك العفو عمن ظلم، والإحسان إلى من أساء، وهذه من أخلاق الصديقين، لذلك عفى عنه وأحسن إليه أبو بكر (رضي الله عنه) وهذا يدل على أن الإحسان إلى من ظلمك أيها الإنسان جائز، فقد روى أبو هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله ﷺ قال: (ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزا، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله)[2]. وهذا في غير مسألة الحد الشرعي. أما مسألة الحدود فقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال.

أولاً: منع العفو عنها مطلقاً سواء من المجني عليه أو من الرئيس الأعلى للدولة[3].

ثانياً: جواز العفو عنها ما لم تبلغ الحاكم[4].

ثالثاً: جواز العفو مطلقاً[5].

وفي رأيي أن القول يجوز العفو ما لم تبلغ الحاكم هو القول الراجح

---

(١) سورة النور آية (٢٢).

(٢) رواه مسلم في البر والصلة (باب استحباب العفو والصلة جـ ٤ ص ٢٠٠١).

(٣) انظر التشريع الجنائي الإسلامي/ عبد القادر عودة م ١ ص ٨١.

(٤) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٨٧ - ٩٦ وانظر بداية المجتهد/ محمد بن احمد القرطبي م ٢ ص ٤٥٢ - ٤٥٤.

(٥) المصدرين السابقين نفس المكان.

خاصة في الإعتداء على المال أو النفس دون العرض ما لم تثبت البراءة الشرعية.

ومقتضى الأحوال في هذه الأمور المتقدمة، أن يكون حب العصاة وأصحاب البدع الذين لا تصل بدعتهم إلى حد الكفر، مكروهاً، وبغضهم من المندوبات في الشرع، ولا يصل الأمر في كلتا الحالتين إلى التحريم أو الوجوب، حيث أن الداخل تحت التكليف في الوجوب أو التحريم هو أصل المحبة في الله، وأصل البغض في الله، وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره، بنفس القوة والحكم، وإنما المتعدي إفراط الحب واستيلاؤه بصفة غير شرعية، كغلو النصارى في عيسى، ومثل الغلو في الصالحين فهذا من قبيل التعدي والإفراط المذموم في الحب، فالمسلم يجب أن يكون وسطاً في ذلك وملتزماً بالإسلام، فلا يغلو في باب الحب المشروع حتى يقع في الشرك كما حصل من البوصيري في قوله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به
سواك عند حلول الحادث العمم[1]

ولا يكون من الذين قال الله فيهم **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله﴾**[2] فترتيب المحبة هي أن يحب الله عز وجل قبل كل شيء ثم يحب الرسول محمدا ﷺ ثم بقية الرسل ثم الخلفاء الراشدين ثم الصحابة أجمعين ثم التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، فمحبة عموم المؤمنين واجبة كما أوضحنا ذلك في مبحث متقدم[3] أما محبة أفراد المؤمنين فهي مستحبة غير واجبة في أعيانهم، وكذلك بغض العصاة والفاسقين فإنه واجب على جهة العموم، أما الأفراد الفاسقون أو العاصون

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٣١٦.

(٢) سورة البقرة آية (١٦٥).

(٣) انظر ص ١٤١ ـ ١٥١ من هذه الرسالة.

فإن بغضهم وهجرهم مستحب وليس بواجب حيث أن الذين وقعوا في بعض المعاصي في زمن الرسول ﷺ ما كانوا يهجرون بالكلية ويبغضهم جميع الناس، بل كان الناس منقسمين فيهم إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ فقسم يغلظ القول عليهم ويظهر البغض لهم.
٢ـ وقسم يعرض عنهم، ولا يتعرض لهم إلا بالنصح والتذكير أحياناً.
٣ ـ وقسم ينظر إليهم بعين العطف والرحمة، ولا يؤثر المقاطعة والتباعد عنهم، إما طلباً لإصلاحهم ونصحهم، أو خوفاً من زيادة انحرافهم وضلالهم، فهذه من دقائق الأحكام الشرعية التي تختلف فيها طرق السالكين، واجتهادات المجتهدين ويكون فيها عمل كل واحد بحسب ما تقتضيه حاله ووقته ونيته[1].

وعلى هذا لا يجب وجوباً مطلقاً قطع الموالاة بين الفساق والعصاة من المسلمين وبين بقية المسلمين كما هو الشأن مع الكفار الخارجين على الإسلام[2].

والله هو العالم والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) انظر فضيلة الالفة والأخوة مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (١٦٠٥) على ميكروفيلم برقم (٦/٥٥٦) المؤلف غير معروف كتبت في القرن التاسع الهجري تقريباً.
(٢) أنظر الفتاوي/ ابن تيمية جـ ٧ ص ٦٧١.

المبحث الثاني

موالاة المنافقين ومعاداتهم

إنه منذ أن بعث الله نبينا محمداً ﷺ وأعزه بالهجرة والنصر صار الناس معه ثلاثة أقسام:

أ ـ قسم مؤمن مجاهد وهم الذين آمنوا بالإسلام ظاهراً وباطناً.

ب ـ قسم كافر معاند محارب وهم الذين أظهروا الكفر والعداوة للإسلام.

جـ ـ قسم نافق وداهن وتملق، وهم الذين آمنوا بالإسلام ظاهراً لا باطناً ونجد هذا التقسيم في الآيات الأولى من سورة البقرة حيث افتتح الله عز وجل سورة البقرة بخمس آيات في صفات المؤمنين، وآيتين في صفات الكافرين، وثلاث عشرة آية في صفات المنافقين، وكل واحد من هذه الأقسام الثلاثة له دعائم وشعب. كما وضح ذلك الكتاب والسنة.

والنفاق يمكن تقسيمه إلى قسمين: نفاق أكبر، ونفاق أصغر.

القسم الأول: النفاق الأكبر وهو ما يكون صاحبه في الدرك الأسفل

من النار كنفاق عبد الله بن أبي بن سلول وغيره من أتباعه في كل زمان ومكان، وهم الذين يضمرون تكذيب الرسول ﷺ، أو جحود بعض ما جاء به، أو بغضه، أو عدم اعتقاد وجوب إتباعه في كل ما أنزل عليه، أو أنهم يرون أنه يسعهم الخروج عن بعض ما أنزل الله على رسوله، أو الفرح بهزيمة المسلمين، والمسرة بانخفاض دين الإسلام، والكراهية عند انتصار الإسلام والمسلمين، وهذا النوع كان موجوداً في زمن الرسول ﷺ ومازال يزداد يوماً بعد يوم حتى عصرنا الحاضر، فإذا كان النفاق موجوداً في هذه الدعوة في أوج قوتها فما ظنك في وقتنا الحاضر الذي ظهر فيه أثر ضعف الإيمان في النفوس، وابتعادها عن منهج الحق والصواب[1].

القسم الثاني: النفاق الأصغر: فهو نفاق يقتصر على بعض الأعمال مثل أن يكذب إذا حدث ويخلف إذا وعد، ويخون إذا أؤتمن قال رسول الله ﷺ (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان) متفق عليه. وفي رواية: (وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم)[2].

ونحن لا نريد أن ندخل في تفاصيل صفات المنافقين وأوصافهم لأن ذلك مما هو معلوم لدى معظم الناس، ولأنه يخرج بنا عن نطاق الموالاة والمعاداة، ولكن نحاول تحديد طبيعة العلاقة بين المؤمنين والمنافقين. في الموالاة والمعاداة من واقع كتاب الله وسنه رسوله ﷺ وفعل الصحابة (رضوان الله عليهم) فلو تتبعنا ذلك لرأينا أن المنافقين داخلون في عموم المسلمين غير متميزين عنهم سوى ببعض الأقوال والأفعال التي قد يشترك فيها معهم بعض المؤمنين عن طريق الخطأ والإجتهاد، ولكن الأمر يختلف بالنسبة لكل منهما تبعاً لاختلاف النية والقصد، ولما كانت النيات والمقاصد من الأمور

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٠٨.

(٢) رواه البخاري ومسلم انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٢٢ رقم الحديث (٢٠١، ٦٨٩).

الخفية التي لا يطلع عليها إلا الله أو من أطلعه الله على ذلك من رسله فإن الأمر بالنسبة إلينا في تعيين المنافق من سواه أمر ظني لا يرقى إلى درجة اليقين، لانقطاع الوحي بعد وفاة رسول الله ﷺ فنخشى على من تشبث بصفة من صفات المنافقين أن يكون منهم، ولا نجزم لأحْد بذلك لأنه لا يعلم السرائر إلا الله عز وجل ومن أظهر علامات النفاق أو بعضها، كرجوع عن المؤمنين في حربهم مع الكفار وخذلانهم عند اجتماع العدو، وكقول بعض المنافقين لو نعلم أن قتالكم حق لأتبعناكم، ومثل إلتجاء بعض المنافقين إلى الأقوى، سواء كانوا المسلمين أم الكفار، ومدح المشركين في بعض الأحيان وتفضيل أخلاقهم وأعمالهم المنافية للإسلام، وموالاتهم من دون المؤمنين، فهذه العلامات وأمثالها من علامات النفاق وصفات المنافقين يجوز إطلاق النفاق على من اتصف بها من المسلمين، بشرط أن لا يحمله على ذلك هوى في نفسه أو عصبية جاهلية، أو شحناء في أمور دنيوية، أو خلاف على مصالح مادية، أو يبغضه لكونه، يخالفه في بعض الأمور التي لا يزال الناس فيها مختلفين، فليحذر الإنسان أشد الحذر عن إطلاق صفة الكفر أو النفاق، على مدعي الإسلام، إلا بعد البينة فقد ورد عن النبي ﷺ «من دعا رجلاً بالكفر أو قال: عدو الله، وليس كذلك، إلا حار عليه»[1] وحيث أن النفاق وصف من أوصاف الكفر بل قد يكون من أشد أنواع الكفر فلا يجوز للمسلم أن يتساهل في إطلاق هذا الوصف على أناس لا يعلم حقيقتهم إلا الله، وقد تكون القرائن التي استند إليها في ذلك ظنية الدلالة على الوصف المقصود.

أما إذا دل الدليل الثابت على صفة النفاق في شخص ـ ما ـ فإنه يجوز إطلاق وصف النفاق عليه كما فعل عوف بن مالك (رضي الله عنه) للمنافق

(١) رواه البخاري. انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ٢ ص ١١٨٠ رقم الحديث (١٧٣٥).

الذي تكلم بحق الرسول ﷺ وصحابته الكرام: فقال له كذبت ولكنك منافق، وكذلك في قصة عمر (رضي الله عنه) مع حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) عندما قال يا رسول الله. دعني أضرب عنق هذا المنافق وفي رواية دعني أضرب عنقه فإنه منافق، وقال حذيفة (رضي الله عنه) إن الرجل ليتكلم بالكلمة في عهد رسول الله ﷺ فيكون بها منافقاً[1] وينبغي أن يُعْرَف أنه لا تلازم بين إطلاق النفاق عليه ظاهراً وبين كونه منافقاً في الباطن، فإذا فعل علامات النفاق جاز تسميته منافقاً لمن أراد أن يسميه بذلك، وإن لم يكن منافقاً في واقع الأمر، لأن القلوب لا يعلمها إلا الله ولأن بعض صفات المنافقين قد يفعلها الإنسان مخطئاً كما حصل من حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) فقال له عمر ما قال ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ ذلك بل أنكر عليه موضوع القتل دون وصفه بالنفاق مع أنه (رضي الله عنه) لم يكن منافقاً[2]. وقد وقف المنافقون في عهد الرسول ﷺ مواقف كثيرة تبين فيها نفاقهم وانكشف فيها حقدهم وذلك مثل ما حصل من عبد الله بن أبي بن سلول في غزوة بني المصطلق عندما تخاصم غلام من المهاجرين والأنصار وكذلك تسلل المنافقين في غزوة الأحزاب بحجة أن بيوتهم عورة وما هي بعورة أن يريدون إلا فراراً[3]. وفي هذه المواقف وغيرها لم يكن الرسول ﷺ ولا صحابته الكرام يتخذون موقفاً عدائياً من هؤلاء المنافقين بل نجد صفة التسامح والصفح عن هؤلاء المنافقين هي السمة البارزة في التعامل معهم، فعندما طلب عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الإذن من رسول الله ﷺ في قتل عبد الله بن أبي رأس النفاق، رفض النبي ﷺ ذلك وقال له، فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه؟ فقال عمر.. إن كرهت أن يقتله مهاجري فأمر أنصارياً بقتله. فلم

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٤٩.
(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٤٩، ٥٠.
(٣) انظر غزوة الأحزاب/ محمد أحمد باشميل ص ١٠٠ ـ ١٠٢.
(٤) المصدر السابق ص ١٦٠، ص ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

يوافق النبي ﷺ على ذلك. بل رفض هذا الإقتراح أيضاً قائلاً لعمر. . . ترعد له (إذن) أنف كثيرة بيثرب، وكان يعني النبي ﷺ بقوله هذا لعمر. . إن قتل عبد الله بن أبي على هذه الصورة قد يكون سبباً في إثارة حرب أهلية بين المسلمين، لأنه كان يتوقع غضب رجال كثيرين من الخزرج لقتل زعيمهم، لا سيما وأن كثيراً منهم لا يعلمون حقيقة نفاقه[1].

ولا يجوز أن نطلق على من تظهر عليهم علامات النفاق أوصاف التبجيل والتفخيم فقد ورد في الحديث «لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل»[2] وترك استعمال مثل هذه الألفاظ دليل على جواز البغض له لما يظهر عليه من صفات النفاق ولكن هذا البغض لا يصل إلى درجة الإنكار بالوصف إلا إذا ثبت لزوم الصفة للموصوف بها كما حصل من عوف بن مالك للمنافق الذي ذم الرسول ﷺ وأصحابه، ولا يجوز أن يترتب على عمل المنافق جزاء، إلا إذا عمل المنافق أو المنافقون عملاً يراد به زعزعة الدعوة وإفسادها، مثل بناء المنافقين لمسجد الضرار فإنه لما كان هذا العمل لم يرد به وجه الله وثبت ذلك بطريق الوحي قام الرسول ﷺ بهدمه، وإزالته قال تعالى: ﴿**والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل، ولَيَحْلِفُنَّ إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون**﴾[3] فإذا فعل المنافقون فعلاً مناهضاً للإسلام وأهله، وثبت الدليل على ذلك وجب تعزيرهم على ذلك بما يحفظ للإسلام والمسلمين عزتهم وكرامتهم، وذلك مثل ما حصل من رسول الله ﷺ في غزوة تبوك حيث بلغه أن أناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي، يثبطون الناس

---

(١) المصدر السابق ص ١٠٣.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ١ ص ١٠١ رقم الحديث (٣٧١).

(٣) سورة التوبة آية (١٠٧).

عن رسول الله ﷺ فبعث إليهم نفراً من أصحابه فيهم طلحة بن عبيد الله وأمرهم أن يحرقوا هذا البيت على من فيه نظراً لموقفهم المعادي من الإسلام ورسول الإسلام[1].

وقد هم عمر (رضي الله عنه) بقتل حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) وعلل ذلك بأنه منافق، فكان في موقفه ذلك دليل على أن المنافق إذا ثبت نفاقه بمخادعة المؤمنين والتجسس عليهم جاز شرعاً قتله، وقد منع الرسول ﷺ عمر عن قتل حاطب بذكر أسباب تنفي عنه صفة النفاق[2].

وتلك الأحكام تطبق إذا وجدت الدولة الإسلامية التي تضرب على أيدي الكفار والمرتدين والمنافقين بيد من حديد، أما إذا حكم المنافقون وسادوا فمن يحاكمهم سوى الله عز وجل؟ وهذا هو الحاصل فعلاً فقد ورد في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث: إذا حدَّث كذب وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان» متفق عليه وفي رواية: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم»[3] وهذه الثلاث من صفات المنافقين هي مرتكز ومنطلق سياسة معظم الحكام في بلاد الإسلام اليوم فالكذب عبر وسائل الإعلام المتعددة عندهم سياسة والخيانة في قتل الأنفس البريئة، ومحاربة الشريعة المستقيمة، وسرقة الأموال الثمينة عندهم كياسة، والوعود بإصلاح المجتمع من خلال الخطب الرنانة والبيانات المستفيضة فراسة، والحديث يصف من توجد به هذه الصفات أو بعضها بالنفاق مع أنه يصوم ويصلي ويزعم أنه مسلم[4].

فما رأيك أيها الأخ الكريم بمن يتصف بصفات المنافقين المتقدمة كلها مضافاً إليها ترك الصوم والصلاة، ثم بعد ذلك يدعي لنفسه الإسلام

(١) أنظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٣ ـ ٤.
(٢) انظر أحكام القرآن لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧١.
(٣) أنظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٢٢ رقم الحديث (٢٠١).
(٤) انظر مجموعة التوحيد ص ٤٩٨.

ويزعم عبيده وسدنته أنهم وإياه على الحق والصواب، وهم في واقع حالهم أبعد ما يكونون عن الإسلام والمسلمين، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المبحث الثالث

موالاة المرتدين ومعاداتهم

معنى الردة لغة الرجوع. واصطلاحاً رجوع المسلم البالغ العاقل عن الإسلام إلى الكفر، قال تعالى: **﴿ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾**[1] وقال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾**[2].

والأصل في معاملة المرتد في الدولة الإسلامية، أن يستتاب ثلاثة أيام، فإن تاب وإلا قتل بعد ثبوت البينة على ردته. لقول الرسول ﷺ: «لا يحل دم امرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة»[3].

---

(١) سورة البقرة آية (٢١٧).

(٢) سورة المائدة آية (٥٤).

(٣) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٣٠٢.

ولحديث «من بدل دينه فاقتلوه»[1]. قال الشوكاني[2]: « إن الردة موجب من موجبات القتل للمرتد بأي نوع من أنواع الكفر حصلت الردة »[3] ا. هـ

والمراد بمفارقة الجماعة، مفارقة جماعة المسلمين، الذين يلتزمون بالإسلام اعتقاداً وقولاً وفعلاً.

والارتداد الجماعي هو أن تفارق الإسلام جماعة في بلد من البلدان كما حدث على عهد الخليفة الأول أبو بكر (رضي الله عنه) وكما هو حاصل في عصرنا الحاضر في معظم بلاد المسلمين فحكم هؤلاء القتل كما فعل أبو بكر (رضي الله عنه) إلا من رجع منهم إلى الحق قبلت توبته، وقد اختلف الفقهاء، هل تصير دار المرتدين دار حرب بحصول الردة من معظم السكان فيها، أم أن هناك شروطاً لاطلاق دار الحرب على دار المرتدين.

والذي عليه جمهور الشافعية وأحمد ومالك بن أنس وأبو يوسف أن دار المرتدين تصير دار حرْب، متى ارتد أهلها، وغلبوا عليها، وقال مالك تصير دار حرب بظهور أحكام الكفر فيها[4]. ا. هـ

وهذا هو الشرط الرئيسي عند الفقهاء[5].

(١) رواه البخاري. انظر فتح الباري جـ ٦ ص ١٤٩.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان في ٢٨ ذي القعدة سنة (١١٧٣ هـ) ونشأ بصنعاء، وولي القضاء فيها فهو مفسر، محدث، فقيه، أصولي، مؤرخ، أديب، نحوي، منطقي، متكلم، حكيم، توفي بصنعاء في جمادي الآخرة، ودفن بخزيمة في سنة (١٢٥٠ هـ) من تصانيفه الكثيرة: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ارشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، الفوائد المجموعة في فن الأحاديث الموضوعة، والدر النضيد في اخلاص التوحيد وله شعر جيد. انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحاله جـ ١١ ص ٥٣. وانظر مقدمة فتح القدير.

(٣) أنظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤.

(٤) انظر أحكام المرتد في الشريعة الاسلامية/ نعمان السامرائي ص ١٧٠.

(٥) المصدر السابق نفس المكان.

ولم يتطرق الفقهاء إلى معاملة المرتـدين في جوانب كثيـرة، مثل الإستعانة بهم أو مصاحبتهم، أو صلتهم، أو التعامل معهم، لأنه أساساً كان يجب أن لا يعيش بين المسلمين مرتد، فإما الإسلام، وإما الموت، ولذلك لا نستطيع أن نوجد صيغة في التعامل مع أناس كان يجب أن لا يعيشوا بدار المسلمين أصلاً فلا يمكن إيجاد حل صحيح لأوضاع قائمة على خطأ من أساسها ولذلك فالحل الوحيد مع هؤلاء المرتدين الذين انتشروا في أجزاء كثيرة من بلاد الإسلام هو الدعوة الجادة إلى الإسلام فمن تاب منهم قبلناه، ومن عاند واستمر في كفره قتلناه، وطهرنا الأرض منه، حيث أن المرتدين يجب أن يؤخذوا بالقوة والحزم، فعملية الترغيب قد لا تجدي معهم شيئاً، ولأنهم قامت عليهم الحجة بدخولهم ومعرفتهم لشرائع الإسلام، وقد انعقد إجماع الصحابة (رضي الله عنهم) في حربهم، حيث أن إقرارهم لأبي بكر (رضي الله عنه) في حربهم حجة في ذلك. فقد روى الإسماعيلي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال لما قُبِضَ رسول الله ﷺ ارتد من إرتد من العرب، وقالوا نصلي ولا نزكي، فأتيت أبا بكر (رضي الله عنه) فقلت يا خليفة رسول الله! تألف الناس وارفق بهم فإنهم بمنزلة الوحوش. فقال: أخرت نصرتك وجئتني بخذلانك، جبار في الجاهلية خوار في الاسلام ماذا خشيت أن أتألفهم؟ بشعر مفتعل أم بسحر مفتري، هيهات! هيهات! مضى النبي ﷺ وانقطع الوحي، والله لأجاهدنهم ما استمسك السيف في يدي وإن منعوني عقالاً، كانوا يؤدونه لرسول الله ﷺ لحاربتهم عليه. قال عمر (رضي الله عنه) فوجدته في ذلك أمضى مني وأعزم وأدب الناس على أمور هانت عليّ كثير من مؤنتهم حين وليتهم»[١].

والمتتبع لأحوال معظم المسلمين في ديار الإسلام يجد أن هنـاك مرتدين كثيراً في معظم البلاد الإسلامية يتمتعون بالحماية والرعاية والعناية من قبل حكومات كافرة مرتدة، وفي مثل هذه الحال لا يستطيع المسلم أن

(١) انظر كنز العمال جـ ٣ ص ٣٠٠.

يتصرف تصرفاً مباشراً مع هؤلاء كما يجب أن يتصرف معهم من منطلق الإسلام، لأن هؤلاء يقعون ضمن مشكلة كبرى وهي غياب دولة الخلافة الإسلامية التي تحكم بالإسلام وتنفذ أحكامه كلها، ولكن من الأمور التي يجب على المسلم إتباعها في حق هؤلاء بعد نصحهم وإرشادهم، أن يعاديهم ويبغضهم، وينفر الناس عنهم، وعن مذهبهم، وأن لا يزوج المرتد إن كان رجلاً، ولا يتزوج المرأة المرتدة وأن يمنع المرتد من الولاية على مسلم أو مسلمة مهما كانت درجة القرابة بينهما إن استطاع إلى ذلك سبيلا.

يقول السرخسي[1] الحنفي: (وإذا ارتد المسلم بانت منه زوجته مسلمة كانت أو كتابية، دخل بها أو لم يدخل)[2]. ا. هـ

وقال الإمام الشافعي (رحمه الله) (إن كان المسلم الذي ارتد إلى الكفر لم يدخل بالمرأة بطل العقد، وإن كان قد دخل بها فإن انقطاع النكاح متوقف على ثلاث حيضات من تاريخ الردة فإن رجع إلى الإسلام قبل انقضاء الثلاث حيضات فالعقد باقٍ وإن لم يرجع بانت منه المرأة)[3]. ا. هـ

وقال الأحناف بأن توبة المرتد، وإسلامه بعد الردة لا ترفع الفرقة بين الزوجين، وإن كانا في العدة لأن الفرقة وقعت بالردة، فلا ترتفع بإسلامه[4]. وقال الفقهاء إذا ارتد الرجل أو المرأة عن الإسلام ثم تزوج فلا يصح زواجه عند سائر الفقهاء، لأنه لا ملة له، فالزواج باطل، فلا يصح لرجل مرتد أن يتزوج مسلمة، ولا كافرة ولا مرتدة، قال بذلك الأحناف والشافعية والحنابلة، والمالكية، والإمامية[5]. كما أنه ليس للمرتد أن يزوج

(١) هو مخمد بن احمد بن أبي بكر السرخسي (شمس الأئمة) متكلم، فقيه، أصولي، مناظر، من طبقة المجتهدين في المسائل الشرعية - توفي سنة (٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م) من آثاره: المبسوط في الفقه الحنفي. انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة جـ ٨ ص ٢٣٩.

(٢) انظر المبسوط للسرخسي جـ ٥ ص ٤٩.

(٣) أنظر بدائع الصنائع للكاساني جـ ٧ ص ١٣٦.

(٤) انظر أحكام المرتد في الشريعة الاسلامية/ نعمان السامرائي ص ٢٦٧.

(٥) المصدر السابق ص ٢٦٨ - ٢٦٩.

ابنته أو إمرأة هو وليها قبل الردة لقصور ولايته بعد الردة قال بهذا الإمام الشافعي وقال به الحنابلة والحنفية والإمامية[١].

وعلى هذا فمن ينتمي إلى الشيوعية فهو مرتد وإن كان يدعي الإسلام لأن الشيوعية مبدأ الحادي ينكر وجود الله ويكذب بالكتب والرسل وبجميع ما ورد عن الخالق من حيث نشأة الكون والحياة والإنسان ومن حيث البعث والنشور والجنة والنار[٢].

وقد ورد إلى الأزهر سؤال لأحد المواطنين بهذا الخصوص فأحاله إلى لجنة الفتوى بالأزهر. والسؤال هو كما يلي: ما رأي الإسلام في قضية شاب يعتنق الشيوعية ويصر عليها وتقدم لخطبة فتاة مسلمة، والشاب نفسه يحمل إسماً إسلامياً، ومن أسرة مسلمة فهل يجوز من وجهة نظر الإسلام أن يتم هذا الزواج؟ أفيدونا وفقكم الله؟.

فقالت لجنة الفتوى (إن الشيوعية مذهب مادي لا يؤمن بالله ولا برسوله، وينكر الأديان كلها ويعتبرها خرافة). فالشيوعي الذي يؤمن بتلك المبادىء الإلحادية يحكم عليه بالردة إن كان مسلماً، ويحرم عقد الزواج له بمسلمة، حيث قد حرم الإسلام زواج المشرك بالمسلمة، فمن باب أولى أن يكون ذلك ممنوعاً لمن لا دين له[٣].

وتارك الصلاة عمداً حكمه الكفر لقول النبي ﷺ: «بين الرجل وبين الكفر والشرك ترك الصلاة»[٤] وقد سأل رجل من أهل الجنوب فضيلة الشيخ

---

(١) المصدر السابق نفس المكان.

(٢) أنظر نقد الاشتراكية الماركسية/ غانم عبده ص ٦ ـ ٨ وانظر حكم الاسلام في الإشتراكية/ عبد العزيز البدري ص ٤٨ وانظر حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون ص ٦٠ ـ ٦٥ تأليف/ عبد الكريم خفاجي.

(٣) انظر جريدة الأهرام المصرية العدد (٢٨٧٣١) في ٨/٩ ١٩٦٥ م. الصفحة الأولى العمود الأول.

(٤) صحيح مسلم جـ ١ ص ٨٨.

عبد العزيز بن باز فقال في سؤاله إن أحد أقربائي لا يصلي وهو رجل كبير في السن وقد نصحته ونصحه كثير من الناس ولكنه متهاون جداً في الصلاة ولا يصلي إلا نادراً وأحياناً لا يصلي إلا في رمضان أو الجمع فقط.

فكيف تكون معاملتي معه؟ وهل أسلم عليه إذا وجدته في مجلس أم أقاطعه؟

فأجاب الشيخ إن ترك الصلاة عمداً كفر واستدل بالحديث المتقدم وقال للسائل: إذا استمر قريبك على ترك الصلاة وجب عليك هجره وترك السلام عليه وعدم إجابة دعوته ورفع أمره لولي الأمر ليستتاب فإن تاب وإلا قتل لقوله تعالى: ﴿**فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلو سبيلهم**﴾[1] فدل ذلك على أن من لم يقم الصلاة لا يخلى سبيله، والأدلة في هذا كثيرة، نسأل الله للمذكور ولأمثاله الهداية والتوفيق[2]. ا. هـ

ويشمل حكم الردة كل من انتسب إلى حزب البعث في سوريا أو في العراق أو ما تفرع عنهما في بقية البلاد الإسلامية. نظراً إلى أن هذه الأحزاب خارجة عن عمد وإصرار على حكم الله وحكم رسوله، مبيحة لما حرم الله ومحرمة لما أباح الله في كثير من جوانب أنظمتها[3]. ويكفي أن من شعارها قول قائلها عبر الإذاعة الرسمية.

آمنت بالبعث رباً لا شريك له
وبالعروبة ديناً ما له ثاني[4]

فهذا القول كفر محض ومن شك في كفر من قال هذا القول فهو كافر

---

(١) سورة التوبة آية (٥).

(٢) أنظر مجلة الدعوة عدد ٩٦١ في ٢٠ محرم ١٤٠٥ ص ٢٧.

(٣) انظر الاخوان المسلمين والمؤامرة على سوريا/ جابر رزق ص ٣٧ - ص ٨٦ وانظر سقوط الجولان/ خليل مصطفى/ ضابط استخبارات الجولان قبل الحرب ص ٣٢ - ٣٣.

(٤) انظر الاخوان المسلمين والمؤامرة على سوريا تأليف جابر رزق ص ١١١.

ومثل حزب البعث حزب القوميين السوريين في لبنان الذي أنشأه الصليبي الحاقد أنطون سعادة، و- زب القوميين العرب الذي أنشأه الصليبي قسطنطين زريق في الجامعة الأمريكية، وهذه الأحزاب كلها أحزاب كفر وضلال والدليل على ذلك أن مؤسسها من الصليبيين الحاقدين على الإسلام ابتداء من ميشيل عفلق مؤسس الأحزاب البعثية إلى مؤسسي الأحزاب القومية الذين تقدم ذكرهم.

ومع أن هذه الأحزاب خارجة عن الإسلام فكراً وواقعاً، فإن المخدوعين من أبناء المسلمين يتهافتون على الانتساب إلى هذه الأحزاب تهافت الفراش على النار، نظراً لغياب الوعي الإسلامي الصحيح عن مسرح الحياة، مع أن واجب المسلم الحقيقي أن يكون عِدَاؤه لتلك الأحزاب أشدَّ من عداوة اليهود والنصارى وأهل الأوثان.

وقد ورد من بعض الأخوة الباكستانيين سؤال إلى سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز يقول:

«ما حكم الذين يطالبون بتحكيم المباديء الإشتراكية والشيوعية ويحاربون حكم الإسلام؟ وما حكم الذين يساعدونهم في هذا الطلب، ويذمون من يطالب بحكم الإسلام ويلمزونهم، ويفترون عليهم؟».

وقد أجاب على ذلك بعد أن ذكر عدداً من الأدلة التي سبق ذكرها في مبحث متقدم من هذه الرسالة[1] بقوله:

لقد أجمع العلماء على أن من زعم أن حكم غير الله أحسن من حكم الله، أو أن هدي غير رسول الله ﷺ أحسن من هدي الرسول ﷺ فهو كافر ضال. كما أجمعوا على أن من زعم أنه يجوز لأحد من الناس الخروج عن شريعة محمد ﷺ أو تحكيم غيرها فهو كافر ضال. وإن الذين يدعون إلى

---

(١) انظر ص ٥٧ وما بعدها من هذه الرسالة.

الإشتراكية أو الشيوعية أو غيرهما من المذاهب الهدامة المناقضة لحكم الإسلام كفار ضلال أكفر من اليهود والنصارى لأنهم ملاحدة لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر[1]. ا. هـ

إن إتخاذ هذه الأحزاب لمسميات مناهضة للإسلام لهو دليل ضمني على مفاصلة تلك الأحزاب لحزب الله ومحاربته وجميع المنتمين إليه، ولو كانت هذه الأحزاب متمسكة بالإسلام لوجدت في حزب الله وأهله أعظم شعار ومحتوى يغنيها عن جميع أحزاب الشيطان وعن الإنتماء إليها.

فهل يعي المخدوعون، ويستيقظ النائمون، ويرجع المرتدون إلى الإسلام؟ هذا ما نرجوه، والله حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) أنظر جريدة المسلمون الدولية السنة الأولى العدد الأول السبت ١٩/ ٥/ ١٤٠٥هـ. ص ١٠.

المبحث الرابع

موالاة الخارجين على السلطة ومعاداتهم

مما لا شك فيه أن الناس يختلفون في اجتهاداتهم ونظرتهم وتقديرهم للأشياء، فما يراه إنسان مصلحة قد يراه إنسان آخر مفسدة، وما يعتقده إنسان حقاً يعتقده إنسان آخر باطلاً ولذلك أنزل الله الكتاب وأرسل الرسول وأمر كلًا من الحاكم والمحكوم بالرجوع إلى ذلك قال تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾[1]. فإذا وجد حاكم مسلم ذو سلطة شرعية وبيعة حقيقية، فلا بد أن يوجد من يخالفه في الرأي ويختلف معه في الإجتهاد، وهذا أمر طبيعي ما لم يصل الأمر إلى العداوة والبغض، أو حمل السلاح بين هيئة الحكومة وبين بعض أفراد الرعية، وفي هذه الحالة يمكن تسمية أحد الطرفين المتنازعين بأنه باغٍ على خصمه، فإن كان الأفراد الذين ينازعون السلطة ويختلفون معها في الرأي، ينفردون عنها بمذهب ابتدعوه، فينظر إلى هذا المذهب، وإلى تلك المخالفة، فإن كان مذهبهم الذي يدعون إليه، ويختلفون مع السلطة عليه، مذهباً إلحادياً، يتعارض مع

---

(١) سورة النساء آية (٥٩).

أصول الإسلام فهم كفرة خارجون عن طريق الحق والصواب ، مرتدون بدعوتهم إلى تلك المذاهب التي ما أنزل الله بها من سلطان، وذلك مثل دعاة الشيوعية في البلاد الإسلامية أو ما تفرع عنها من إشتراكيات مختلفة ويدخل في ذلك أصحاب الأحزاب الكافرة التي تخالف حزب الله جملة وتفصيلاً، فإن كل من خرج على الجماعة المسلمة وسلطانها الشرعي بغير تأويل صحيح وحجة شرعية فهم بغاة إن ادعوا الإسلام وكفار مرتدون إن أعلنوا شعائر الكفر أو أعلنوا موالاتهم للكفار عليها.

وقد حارب أبو بكر (رضي الله عنه) مانعي الزكاة، واعتبروا لدى الصحابة (رضي الله عنهم) مرتدين، فما ظنك بمن يدعون إلى الشيوعية في ديار الإسلام وهي تنكر وجود الله، ووجود كتبه ورسله، ثم يجد هؤلاء الدعاة عناية ورعاية من بعض السلطات الحاكمة في ديار الإسلام ويتعاون مع هؤلاء كثير من الأفراد على هدم الإسلام وتضليل المسلمين، إنهم ليسوا بغاة فقط بل هم كفار مرتدون محاربون يسعون إلى الوصول إلى السلطة ليفرضوا كفرهم وإنحرافهم على كل الناس من مركز القوة.

وما ينطبق على دعاة الشيوعية ينطبق على كل من دعا إلى أحزاب الكفر ومباديء الضلال مهما اختلفت أسماؤها وتباينت شعاراتها فإن كل من خرج على حزب الله وجماعة المسلمين، فهو كافر مرتد بغض النظر عن دعواه وإنتمائه إلى أي لون من ألوان الكفر، فإن الكفر ملة واحدة والخروج أو النزاع على السلطة لا يخرج عن تسع حالات تختلف كل حالة عن سواها تبعاً لاختلاف طرفي النزاع وهي كما يلي: ـ

(أ)	(ب)
١ ـ خروج كافر على كافر.	٤ ـ خروج فاسق على كافر.
٢ ـ خروج كافر على فاسق.	٥ ـ خروج فاسق على فاسق.
٣ ـ خروج كافر على مؤمن.	٦ ـ خزوج فاسق على مؤمن.

(جـ)

٧ ـ خروج مؤمن على كافر. ٨ ـ خروج مؤمن على فاسق.

٩ ـ خروج مؤمن على مؤمن.

وتفصيل كل حالة من هذه الحالات يطول بنا ولكن يجب أن ينصر المؤمن على الكافر والفاسق سواء كان المؤمن السابق أو اللاحق إلى السلطة وأن ينصر الفاسق على الكافر كذلك، أما إذا كانوا كلهم كفار فيتركون ينتقم الله من بعضهم ببعض، وإذا كانوا كلهم فساقاً فإن تساووا في درجة الفسق إعتزلهم، وإن كان بعضهم أفضل من بعض والى وانصر الأقرب إلى الشرع[١]، وإن كانوا كلهم مؤمنين، فإن علم أن الحق مع أحدهم على الآخر، وجبت نصرة صاحب الحق، عملاً بقوله تعالى: ﴿**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله**﴾[٢].

وللحديث «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، قالوا: يا رسول الله هذا ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ قال: تأخذ فوق يده»[٣].

وإن جهل من هو صاحب الحق منهما اعتزلهما كما فعل الصحابة (رضي الله عنهم) في النزاع بين علي ومعاوية (رضي الله عنهما)[٤].

فالبغاة كما يظهر من دلالة اللفظ لغة واصطلاحاً. هم الظلمة المعتدون على إمامة إمام حق وحاكم عدل، بتأويل مخطىء في الدين أو لطلب الدنيا، وعلى هذا فمن خرج على حاكم غير شرعي وغير عادل في حكمه فليس باغياً، وقد جزم ابن حزم[٥] بأن من دعا إلى أمر بمعروف أو نهى عن

(١) انظر الأحكام السلطانية ـ للقاضي أبي يعلى الحنبلي ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) سورة الحجرات آية (٩).

(٣) رواه البخاري، انظر فتح الباري جـ ٥ ص ٩٨ (كتاب المظالم).

(٤) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل/ ابن حزم جـ ٤ ص ١٧١.

(٥) هو علي بن احمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي القرطبي (أبو محمد) أصله من =

منكر، أو إظهار القرآن والسنن والحكم بالعدل، وهو صادق بدعواه، فلا يعتبر باغياً بل الباغي من خالف ذلك[1].

فإذا كان البغاة يخالفون الحاكم المسلم العدل متهمين له ولحكومته بالتقصير في بعض الواجبات، أو بمنع بعض المباحات بناء على تأويل واجتهاد مخطئين فيه، فإن أمرهم والحالة هذه لا يخلو من أربع حالات:

الحالة الأولى: أن يكون البغاة منبثين بين أفراد الأمة، لم يتظاهروا بعصيان طاعة الإمام، ولم يتحيزوا بدار أو قلعة أو قرية، أو حصن، فهم أفراد، متفرقون، تنالهم قدرة الحاكم، وتمتد إليهم يده، فيجب على الحاكم والأمة في مثل هذه الحالة، تركهم وعدم محاربتهم وإن كانوا يظهرون عدم الرضي بأقوالهم، ويتذمرون من تصرفات الحاكم ومن معه، بناء على فهمهم وتصورهم الذي أخطؤا فيه، فتجري عليهم أحكام أهل العدل في الحقوق والواجبات، ويلزم الحاكم والأمة أن يوضحوا لهؤلاء فساد ما اعتقدوه وبطلان ما انتحلوه، لعلهم يرجعون عن رأيهم الذي ارتأوه واعتقادهم الذي اعتقدوه، وأستدل القائلون بذلك، بما قاله على ابن أبي طالب (رضي الله عنه) لقوم من الخوارج (لكم علينا ثلاث: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها إسمه، ولا نبدؤكم بقتال، ولا نمنعكم الفيء مادامت أيديكم معنا)[2].

= فارس، ولد بقرطبة في آخر رمضان سنة (٣٨٤ هـ) ونشأ بها ثم طلب العلم على علمائها فهو فقيه، محدث، أصولي، حافظ، أديب، متكلم، مشارك في التاريخ والأنساب والنحو واللغة والشعر والطب والمنطق والفلسفة، وكان يستنبط الأحكام من الكتاب والسنة، وانتقد كثيراً من العلماء والفقهاء. فأجمع هؤلاء على تضليله، وحذروا منه أرباب الحل والعقد، ونهوا عوام الناس عن الدنو منه، والأخذ عنه فأقصي وطورد، فرحل إلى بادية لبلة بالأندلس فتوفي بها سنة (٤٥٦ هـ) من تصانيفه الكثيرة: الإيصال إلى فهم الخصال الجامعة، والفصل في الملل والأهواء والنحل والمحلى في الفقه، شرائع الإسلام في الواجب والحلال والحرام، المقرب في تاريخ المغرب، انظر معجم المؤلفين جـ ٧ ص ١٦.

(١) المحلى لابن حزم جـ ١١ ص ٩٨.

(٢) انظر الأحكام/ للقاضي أبي يعلى الحنبلي ص ٣٨ ـ ٣٩.

الحالة الثانية: أن يكون البغاة قد تظاهروا باعتقادهم، وأعلنوا عصيانهم، بلا قوة يستخدمونها، وهم مع ذلك على اختلاطهم بالأمة وامتزاجهم بالرعية، وذلك مثل ما يحصل في بعض البلاد الإسلامية من تجمعات ومظاهرات يراد بها الإستنكار والاحتجاج بأسهل الطرق وأيسرها، للتعبير عن الرأي بغض النظر عن صواب هذا الرأي أو خطئه، ففي مثل هذه الأحوال، يجب على الحاكم والأمة دعوة هؤلاء إلى تحكيم كتاب الله بينهم في محكمة نزيهة ذات استقلالية كاملة تامة في إتخاذ الأحكام وتنفيذها عملاً بقوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ فيوضح لهم إذا كانوا بحق بغاة فساد اعتقادهم، وخطأ فهمهم ليرجعوا إلى الإعتقاد الحق، وموافقة الجماعة، فإن أبوا بعد الدعوة والإقناع والتحكيم، جاز للإمام أن يعزر فقط من تظاهروا بالعناد والعصيان، أدباً وتعزيراً، يتناسب مع الخطأ الذي ارتكبه هؤلاء، وهذا التعزير والتأديب لا يقرره الحاكم بنفسه وهو لا يفقه من أحكام الإسلام شيئاً، وإنما تقرره السلطة القضائية من واقع التشريع الإسلامي بحيث لا تصل العقوبة التعزيرية في مثل هذه الأحوال إلى القتل لقول النبي ﷺ: «لا يحل دم إمرىء مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه، المفارق للجماعة»[1].

الحالة الثالثة: أن يكون البغاة قد اعتزلوا الإمام الحق، وتحيزوا بدار قد تميزوا فيها عن بقية الأمة، ففي هذه الحالة ينظر في أمرهم، فإن لم يمتنعوا من تأدية حق، ولم يرفضوا أمر طاعة، لم يحاربوا، ماداموا مقيمين على الطاعة، وتأدية الحقوق، وقد استدل على ذلك أن طائفة من الخوارج الذين خرجوا على علي (رضي الله عنه) أقاموا بالنهروان، فأرسل إليهم علي عبد الله بن خباب عاملاً عليهم، فأقاموا على طاعته زماناً، وهو لهم موادع[2].

---

(١) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٣٠٢ ـ ١٣٠٣.

(٢) انظر الأحكام السلطانية/ للقاضي أبي يعلى الحنبلي ص ٥٨ ـ ٥٩.

الحالة الرابعة: أن تمتنع الطائفة الباغية الخارجة على الإمام الحق وأن تمنع ما عليها من الحقوق، وترفض أمر الطاعة، وتتفرد بإجتباء الأموال وتنفيذ الأحكام، سواء نصبوا لأنفسهم إماماً أو لم ينصبوا فحينئذ يجب محاربتهم، حتى يفيئوا إلى الطاعة ويدخلوا في الجماعة عملاً بقوله تعالى: **﴿وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾**[1].

وإذا قلد الإمام الحق، أمر قتال الفئة الباغية لقائد من قواده وجب على هذا القائد انذارهم ودعوتهم إلى المسالمة، وتحكيم كتاب الله فيما شجر بينهم، فلا يصح منه الهجوم المباغت لهم لأنهم غير مشركين، ولا مرتدين فهم إخوة مؤمنون وأفراد مسلمون كما تدل الآية المتقدمة على ذلك، ولهذا يدعوهم بالتي هي أحسن، فإن أبوا قاتل المقاتلين المقبلين منهم، ويكف عن قتال المدبرين منهم، والفارين، ولا يقتل أسيرهم ولا جريحهم، ولا يعاملون معاملة أهل الحرب من المشركين والمرتدين، بل يعامل أسراهم معاملة كريمة، تليق بهم كمسلمين[2]، فمن أمنت منه الرجعة إليهم والقتال معهم، اطلق سراحه عند تحقق ذلك. ومن لم تؤمن منه الرجعة حبس حتى تضع الحرب أوزارها ثم يطلق ولا يحبس بعدها لزوال الشوكة التي كانت لهم، وأثناء الحرب، لا تغنم أموالهم، ولا تسبى ذراريهم، ولا يستعان على قتالهم بمشرك، فقد منع الإمام أحمد الإستعانة بالمشركين في قتال أهل الحرب، فعدم الإستعانة بهم في قتال البغاة أولى[3].

ومما تقدم يتضح لنا الفرق الواضح والبون الشاسع بين نظرة الإسلام

---

(١) سورة الحجرات آية (٩).

(٢) يقول ابن تيمية (رحمه الله) إن أهل البغي المجرد لا يكفرون باتفاق أئمة الدين فالقرآن قد نص على إيمانهم وأخوتهم مع وجود الاقتتال والبغي. انظر فتاوي ابن تيمية جـ ٣٥ ص ٥٧.

(٣) انظر الأحكام السلطانية/ للقاضي أبي يعلى الحنبلي ص ٣٩.

إلى البغاة، ومعاملته لهم، وبين ما هو حاصل في معظم ديار الإسلام، فمن يدقق النظر في السلطات الحاكمة في أكثر البلاد الإسلامية يجد أنها بمقياس الإسلام سلطات كافرة فاجرة قد اغتصبت السلطة بتآمر مع أعداء الإسلام في الخارج ومع زمرة من المنافقين في الداخل، ولذلك فموالاة ومناصرة تلك الحكومات أمر باطل من الأساس، باعتبار أنها حكومات كافرة كفراً بواحاً لا لبس فيه ولا غموض، ولذلك فتأييدها والسكوت عليها أمر مخالف للشرع فكيف بالدفاع عنها ومناهضة من يريد هدمها، فالواجب والحالة هذه إن كان الخارج عليها مثلها في الكفر والفسوق، أن يعتزل المسلم الجميع حتى يُهْلِكَ الله بعضهم ببعض قال تعالى: **﴿وكذلك نُوَلِّي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾**(١) وقد يكون بعضهما أقل من بعض في الفسق والظلم ففي هذه الحالة إن لم يجد أفضل منهما يكون نصره وتأييده للأقل منهما في الظلم والفسق بناء على القاعدة الفقهية في درء أعظم المفسدتين بأدناهما(٢). وإن كان الإمام مالك بن أنس (رحمه الله) يرى عدم المشاركة في قتال البغاة للحكام الظلمة حيث يروي أن ابن القاسم سأل مالكاً عن قتال البغاة أيجوز قتالهم؟ فقال: إن خرجوا على مثل عمر بن عبد العزيز، قال: فإن لم يكن مثله؟ فقال: دعهم ينتقم الله من ظالم بظالم ثم ينتقم من كليهما. فكانت الفتوى سبباً من أسباب محنته(٣).

وعلى هذا فليس كل من خرج على سلطة غير شرعية باغياً بل قد يكون هو صاحب الحق والعدل ومن يقف في وجهه أو يحارب ضده هم البغاة ولكن رؤساء النظم الديكتاتورية في العصر الحاضر، كلما أحسوا بيقظة الشعوب وصحوتها واهتدائها إلى الطريق القويم والمنهج المستقيم، صبوا عليها صنوفاً من التنكيل وألواناً من العقاب والعذاب ووصفوها بأنها

---

(١) سورة الأنعام آية (١٢٩).

(٢) انظر الأحكام السلطانية/ للقاضي أبي يعلى الحنبلي ص ٣٩.

(٣) انظر الاسلام بين العلماء والحكام/ عبد العزيز البدري ص ١٥٥.

شراذم متآمرة، أو فئات حاقدة، أو فلول مخدوعة، أو جماعات متحجرة، وهم لا يتريثون، حتى يصل الخطر إلى مرحلة الخروج عليهم، بل إنهم ليحسبون على الناس كلماتهم وأنفاسهم وغدوهم ورواحهم، ويزجون بعشرات الآلاف من الناس بمجرد كلمة لا تنال رضا صاحب السيادة ولو كانت كلمة حق، فهم ليس لديهم معيار للحق أو الباطل سوى رضا الرئيس أو غضبه، فما يرضيه حق وما يغضبه باطل ولو كان الواقع الحقيقي خلاف ذلك، فهم يريدون من جميع الناس أن يمسحوا من عقولهم فكرة حق وعدل أو ظلم وجور، وأن يطيعوا الحاكم طاعة عمياء، ويتبعوهم تبعية عشواء، بلا سؤال أو مناقشة أو إستفسار، وكم شهدت سجون مصر[١] وسوريا والعراق وليبيا والمغرب واليمن وغيرها... الخ) من مآسي تدمي القلب وينشق لهولها الفؤاد حيث عذب فيها عشرات الآلاف من الناس الذين هم من خيرة المؤمنين الطيبين لم يدخلوها بتهمة سرقة أو زنا أو شرب خمر ولم يدخلوها لأنهم يوالون اليهود أو النصارى حيث أن كل هؤلاء يتمتعون بالحماية والرعاية من قبل تلك السلطات وإنما دخلها المؤمنون الذين قالوا ﴿ربنا الله ثم استقاموا﴾ **﴿وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد﴾**[٢] فأين ما فعل هؤلاء؟ بأولئك المؤمنين، مما قرره منهج الإسلام بحق أعداء السلطة الشرعية من تسامح واحترام لمشاعر المخالفين له رغم خطأهم فهو يعاملهم بمنتهى السماحة والملاطفة، والإحترام، ولا ينال من أنفسهم، وأموالهم، وأعراضهم شيئاً.

أما أصحاب الفخامة والسيادة في بلاد المسلمين اليوم فيستصرخون الدول الكبرى في نظرهم، كي تمدهم بأحدث وسائل التعذيب في سلخ

---

(١) انظر مذبحة الاخوان في ليمان طرة/ تأليف جابر رزوق، وانظر الفراعنة الصغار في هيلتون الناصرية/ د/ جابر الحاج، وانظر البوابة السوداء/ احمد رائف، وانظر نافذة على الجحيم/ عدة مقالات، وانظر القابضون على الجمر/ محمد أنور رياض.

(٢) سورة البروج آية (٨).

الأجسام وتمزيقها، ولكي يمدوهم بأرقى ما وصلت إليه الهندسة المعمارية، في تخطيط السجون والمعتقلات وهم لا يفعلون ذلك تحسباً لأسرى اليهود أو النصارى وإنما يفعلون ذلك للشرفاء والأوفياء من أبناء جلدتهم الذين عظم عليهم الخنوع والركوع لغير الله، والذين رفضوا تسلط الكفار والمنافقين والمرتدين على شؤون الأمة الإسلامية، أما الذين رضخوا واستكانوا تحت قهر السياط وبطش العساكر والمخابرات فهم في عرف الحكام المستبدين، مقياس الرضا الشعبي، وارتياح جماهير الأمة لهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

المبحث الخامس

موالاة السلطة الحاكمة ومعاداتها

إن موالاة ولاة الأمر وعدم عداوتهم، والسمع والطاعة لهم، عبادة يؤديها الفرد المسلم لوجه الله عز وجل، يثاب على فعلها ويعاقب على تركها قال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[1] وقد ذكر الله عز وجل طاعته وطاعة رسوله فيما يقارب من أربع وعشرين آية في القرآن الكريم[2]. بينما طاعة ولي الأمر لم تذكر إلا في الآية المتقدمة مقيدة بكونه من المسلمين، والإسلام في مفهومه الصحيح يعني تطبيق الأحكام الشرعية قولاً وفعلاً واعتقاداً، وهذا الحاكم الموصوف بالإسلام هو الذي تطلبه الأمة الإسلامية، وتريد وجوده، وتحرص على بقائه، وترى أن طاعته واجبة لأنها متصلة بطاعة الله ورسوله.

وعلى ذلك تحمل الآيات والأحاديث الواردة في وجوب طاعة ولاة

(١) سورة النساء آية (٥٩).

(٢) أنظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (ط ـ و ـ ع) ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

الأمر وعدم الخروج عليهم ما لم يقترفوا كفراً بواحاً[1]، فقد ورد في صحيح مسلم قال: قال حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه): قلت يا رسول الله! إنا كنا بشر فجاء الله بخير. فنحن فيه. فهل من وراء هذا الخير شر؟ قال «نعم» قلت: هل وراء ذلك الشر خير؟ قال «نعم» قلت: فهل وراء ذلك الخير شر؟ قال «نعم» قلت: كيف؟ قال (يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي، ولا يستنون بسنتي. وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان انس) قال قلت: كيف أصنع؟ يا رسول الله! إن أدركت ذلك؟ قال: (تسمع وتطيع للأمير. وإن ضرب ظهرك. وأخذ مالك. فاسمع وأطع)[2]. وفي مسلم أيضاً: أن سلمة بن يزيد الجعفر سأل رسول الله ﷺ فقال: يا نبي الله! أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم، ويمنعون حقنا، فما تأمرنا؟ فأعرض عنه. ثم سأله فأعرض عنه، ثم سأله في الثانية أو في الثالثة فجذبه الأشعث[3] بن قيس. وقال: (اسمعوا وأطيعوا. فإنما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم)[4]. وفي مسلم أيضاً عن رسوله الله ﷺ قال: (خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، ويصلون عليكم، وتصلون عليهم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم ويعلنونكم) قيل يا رسول الله! أفلا ننابذهم بالسيف؟ فقال: (لا. ما أقاموا فيكم الصلاة) وإذا رأيتم من ولاتكم شيئاً تكرهونه فأكرهوا عمله، ولا تنزعوا يداً من طاعة)[5].

فهذه الأحاديث وغيرها مما هو في معناها، تدل على أنه لا يجوز الخروج على الحكام والولاة أو بغضهم وعداوتهم أو قطع الموالاة والنصرة لهم، بمجرد الظلم والفسق والمعصية التي لا تبلغ حد الكفر، فلا يجوز

---

(١) انظر نيل الأوطار ـ للشوكاني جـ ٥ ص ٣٦٧ وجـ ٧ ص ١٩٨ ـ ١٩٩. (ط ـ مصطفى الحلبي ـ بمصر) الطبعة الأخيرة.

(٢) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٧٦ (باب الامارة).

(٣) أنظر ترجمته في أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ١ ص ٩٧ ـ ٩٩.

(٤) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٧٤، ١٤٧٥.

(٥) المصدر السابق جـ ٣ ص ١٤٨١.

اسقاط بيعتهم، ونبذ عهدهم، ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام، التي يحكم بموجبها بكفرهم وخروجهم عن الإسلام، فعند ذلك لا يصبح الخروج عليهم مباحاً، وإنما هو واجب من واجبات الشرع عملاً بالآيات والأحاديث التي تأمر بعدم الطاعة في المعصية والآيات والأحاديث الواردة في وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل شخص كائناً من كان[1].

فمذهب أهل السنة والجماعة أن الأمراء الظلمة مشاركون فيما يحتاج إليهم فيه من طاعة الله، فيصلى خلفهم، ويجاهد معهم، إذا كان الجهاد في سبيل الله، ويستعان بهم في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن حكم منهم بعدل نفذ حكمه، وإن أمكن تولية، عدل، لم يجز تولية فاجر فيجتهد معهم في الطاعة حسب الإمكان[2]. قال تعالى: ﴿**فاتقوا الله ما استطعتم**﴾[3]. ويجب أن يعلم الناس أن الله بعث محمداً ﷺ لصلاح العباد، فإذا اجتمع صلاح وفساد رجحوا الراجح منها، فإذا ترجح لديهم أن إزاحة الظالم عن ظلمه لا يترتب عليها من المفاسد أكثر مما ينشدونه من إصلاح جاز لهم ذلك. وإلا فلا، فقلما خرج قوم على سلطان إلا كان ما تولد من الشر أكثر مما يحصل بعد ذلك من الخير، فلا أقاموا ديناً ولا أبقوا دنيا، وإن كان فيهم خلق كثير من أهل العلم والدين وهذا المعنى مقصود للشارع، بالأدلة الدالة على وجوب صبر الرعية على جور الأئمة، فإن الصبر والحالة هذه، قد يكون هو الأصلح للرعية، ما لم تر كفراً صريحاً عندها من الله فيه برهان، فالشارع الحكيم أمر كلاً بما هو أصلح له سواءً الراعي أو الرعية، فأمر الولاة بالعدل والنصح لرعيتهم، وأمر الرعية بالصبر على ما ترى من إيثار الولاة أنفسهم ببعض حظوظ الدنيا ووقوعهم في بعض المظالم

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٢) انظر ملحق المصنفات/ محمد بن عبد الوهاب ص ٥٠.

(٣) سورة التغابن آية (٦).

والمعاصي، لأن الفتن إذا وقعت ضرت الجميع، ولأنها تمنع معرفة الحق وقصده والقدرة عليه، حيث يحصل من الشبهات في الفتن، ما يلبس الحق بالباطل حتى لا يتميز كثير من الناس من هو صاحب الحق من صاحب الباطل[1]؟

فالأحاديث المتقدمة يجب أن لا تحمل على جواز موافقة الحكام في ظلمهم وباطلهم، أو على جواز عدم الإنكار عليهم، فيما يرتكبون من منكر، أو على طاعتهم في المعصية، وإنما تدل على أن من كره المنكر فقد برىء من إثمه وعقوبته، وهذا في حق من لا يستطيع إنكار المنكر بلسانه وإن من أنكر بلسانه برىء إذا لم يستطع أن ينكر بيده، فمن عجز عن إزالة المنكر لا يأثم بمجرد السكوت، ولكن الإثم والعقوبة على من رضي وتابع وهذا المنكر الذي يكفي إنكاره بالقلب هو المنكر الذي لا يصل إلى درجة الكفر والخروج من الإسلام فالحاكم لا يخلو من واحدة من ثلاث حالات:

(أ) حاكم مسلم عادل. (ب) حاكم مسلم فاسق. (جـ) حاكم كافر ولكل من هؤلاء منزلة تناسبه ومعاملة تخصه، ودرجة تميزه عن غيره.

أ ـ فالحاكم المسلم العدل تجب طاعته ومتابعته تحقيقاً لأمر الله في وجوب الطاعة ولزوم الجماعة، حيث أن ولاء المسلم لحاكمه ولاء عقيدة وعبادة وليس ولاء لأشخاص أو طبقة أو عرف جاهلي أو ولاء مصلحة أو منفعة، لأن الأشخاص يموتون ويتغيرون وينحرفون، والشريعة باقية خالدة ما بقيت الحياة.

ب ـ أما الحكام العصاة الفسقة فيكرههم على ما معهم من معصية وفسق ويحبهم على قدر ما معهم من الحق ولا يقطع العهد معهم ولا يخرج عن طاعتهم إلا إذا رأى ما يوجب كفرهم وخروجهم عن الإسلام.

جـ ـ أما الحكام الكفرة وهم غالباً المرتدون عن الإسلام فلا تجوز مودتهم

(١) انظر ملحق المصنفات/ محمد بن عبد الوهاب ص ٥٠، ٥١.

ولا تشرع طاعتهم، والواجب محاربتهم وعدم متابعتهم وهؤلاء هم المقصودون في النهي عن الطاعة لهم قال تعالى:

١ - ﴿فاتقوا الله وأطيعون ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾[١].

٢ - وقال تعالى: ﴿فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾[٢].

٣ - وقال تعالى: ﴿وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾[٣].

٤ - وقال تعالى: ﴿وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا﴾[٤].

٥ - وقال تعالى: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾[٥].

٦ - وقال تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً﴾[٦].

٧ - وقال تعالى: ﴿فلا تطع المكذبين، ودوا لو تدهن فيدهنون﴾[٧].

٨ - وقال تعالى: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾[٨].

فأمر بالطاعة في آية واحدة ضمن وصف معين ونهى عن الطاعة المنحرفة في آيات كثيرة، ومن الأحاديث التي تنهي عن الطاعة العمياء والتبعية العشواء ما يلي:

١ - ما روى مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: (على المرء السمع

---

(١) سورة الشعراء آية (١٥٠ - ١٥١).

(٢) سورة الزخرف آية (٥٤).

(٣) سورة الأنعام آية (١٢١).

(٤) سورة الأحزب آية (٦٧).

(٥) سورة الأنعام آية (١١٦).

(٦) سورة الكهف آية (٢٨).

(٧) سورة القلم آية (٨، ٩).

(٨) سورة القلم آية (١٠).

والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية. فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة)(١).

٢ ـ وفي مسلم أيضاً من حديث طويل (لا طاعة في معصية الله إنما الطاعة في المعروف)(٢).

٣ ـ وسئل عبد الله بن عمرو بن العاص عن طاعة معاوية (رضي الله عنه) فقال: (أطعه في طاعة الله، وأعصه في معصية الله)(٣).

٤ ـ وفي حديث آخر (سيلي أموركم من بعدي رجال يُعَرِّفونكم ما تنكرون، وينكرون عليكم ما تعرفون، فلا طاعة لمن عصى الله)(٤).

وقد عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) إن من رؤوس الطواغيت الحاكم الجائر المغير لأحكام الله واستدل بقوله تعالى: **﴿ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾**(٥). ا. هـ

وقد يسأل سائل ما هي صفة ومواصفات الدولة الإسلامية الحقة التي يجب علينا موالاتها ونصرتها، ويحرم علينا بغضها وعصيانها والخروج عليها؟ فنقول إن الجواب على ذلك هو ما وضحه الله تعالى بقوله: **﴿الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وأتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور﴾**(٦) وقد شرح العلماء صفات هذه الدولة التي

---

(١) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٦٩ (باب الامارة).

(٢) نفس المصدر ونفس المكان. وانظر فتح الباري جـ ١٣ ص ٢٠٣.

(٣) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٧٣.

(٤) انظر فتح الباري جـ ١٣ ص ٨ وانظر مسند أحمد جـ ١ ص ٤٠٠.

(٥) سورة، النساء آية (٦٠).

(٦) سورة الحج آية (٤١).

تجب موالاتها وتحرم معاداتها، بأنها هي التي تتوفر فيها هـذه الصفات التالية:

١ ـ أن يكون الحكم الحقيقي فيها من حيث التشريع والتكوين لله وحده.

٢ ـ أن لا يكون فيها قانون خاص أو عام يخالف الكتاب والسنة وأن لا يصدر أي أمر إداري يخالف التشريع الإلـهي.

٣ ـ أن لا ترتكز الدولة في قيامها على أساس إقليمي أو عرقي، وإنما تقوم على أساس شمولية الإسلام وعالميته للناس عامة.

٤ ـ أن تأمر الدولة بالمعروف فتنشـر الصفات الحسنـة وتنهي عن المنكر فتستأصل الصفات السيئة، وتعمل على إحياء شعائر الإسلام وإعلائها بواسطة التعليم الإسلامي الحق وبواسطة وسائل الاتصال بالناس في الوسائل المتعددة، مع محاربة الإلحاد والمباديء الضالة وكشف عورتها.

٥ ـ أن تعمل الدولة على وحدة المسلمين في العالم أجمع قولاً وفعلاً وأن تكون معهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى.

٦ ـ أن تكفل الدولة الحاجات اللازمة لأفراد الأمة فيها من مأكل وملبس ومسكن وعلاج وتعليم، وخاصة من كان غير أهل لاكتساب الرزق، أو لم يعد قادراً عليه، أو عجز عنه عجزاً مؤقتاً لسبب من الأسباب النازلة كالبطالة أو المرض، أو عجزاً كلياً كالعمى أو الشلل أو نحو ذلك، من غير أن يفرق بين الناس من أجل مراكزهم الاجتماعية أو سـلالاتهم العرقية.

٧ ـ أن يتمتع أهل البلاد في حدود الأحكام الإسلامية بجميع الحقوق التي منحتها إياهم الشريعة الإسلامية من حماية النفس والمال والعرض وحرية العبادة والحرية الشخصية وحرية إبـداء الرأي وحـرية التنقـل وحريـة

الإجتماع وحرية اكتساب الرزق بالطرق المباحة، والمساواة في فرص العمل والترقي، والاستفادة من المؤسسات الاجتماعية بلا تمييز

٨ ـ أن لا يسلب أحد من سكان الدولة حقاً من هذه الحقوق إلا إذا كان له مسوغ شرعي في الشريعة الإسلامية، ولا يعاقب أحد على ذنب أو جريمة إلا بعد ما يسمح له بالدفاع عن نفسه، وتحكم عليه محكمة شرعية عادلة بعد استنادها على النص والدليل من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ أو إجماع أو قياس معتبر شرعاً عند علماء الأصول وفقهاء الأمة.

٩ ـ أن يكون رئيس الدولة مسلماً ذكراً عدلاً، يعتمد الجمهور أو ممثلوهم على تدينه وكفاءته وسداد رأيه.

١٠ ـ أن يكون رئيس الدولة هو المسؤول الحقيقي عن تسيير شؤون الدولة غير أنه يجوز له أن يفوض جانباً من صلاحياته إلى فرد أو جماعة يوثق بدينها وأمانتها.

١١ ـ أن لا يستبد رئيس الدولة بالأمر إنما يُسَير أمر الحكومة على منهاج الشورى، في مشاورة أهل العلم الذين هم أهل الحل والعقد في الأمة.

١٢ ـ أن لا يعطل رئيس الدولة أحكام الشرع كلياً أو جزئياً ويستبد بالحكم من دون أهل الشورى.

١٣ ـ أن يكون للجماعة حق انتخاب رئيس الدولة، وحق عزله عن منصبه بأغلبية أهل العلم الشرعي من أهل الحل والعقد في الأمة كما قرر الإسلام ذلك.

---

(١) انظر نظرية الإسلام وهديه تأليف أبي الأعلى المودودي ص ٣٦٩ ـ ٣٧٨.

١٤ ـ أن يكـون رئيس الـدولـة مسـاويـاً لجمهـور المسلمين في الحقـوق والواجبات وأن لا يكون محصناً من أن تجري عليه الأحكام الشرعية.

١٥ ـ أن يكون لأعضاء الحكومة وعمالها وعامة من يسكنها نظام واحد، ولا ينفذه فيهم إلا المحاكم الشرعية في البلاد.

١٦ ـ أن تكون الهيئة القضائية في الدولة منفصلة عن الهيئة التنفيذية ومستقلة عنها في إصدار الأحكام، حتىٰ لا تتأثر في القيام بواجباتها بما للهيئة الإدارية من السلطة.

١٧ ـ أن لا يقبل في الدولة تفسير شيء من الأحكام بما يخالف الكتاب والسنة.

١٨ ـ أن لا يسمح بالنشر أو الدعوة إلى الأفكار والنظريات التي تنـاقض المبادىء الأساسية للدعوة الإسـلامية، والتي تهـدد الأمة الإسـلامية بالفساد والاضطراب.

هذه جملة وأهم الشروط التي اشترطها واحد وثلاثون عالماً من علماء الأمة الإسلامية على صحة «قيام الدولة الإسلامية» وجواز تسميتهـا بهذا الإسم إذا توفرت فيها جميع تلك الشروط. وذلك في أثناء انعقاد مؤتمر بهذا الخصوص في كراتشي في الفترة من ١٢ ـ إلى ١٥ ـ من شهر ربيع الآخر سنة (١٣٧٠ هـ) الموافق (٢١ ـ إلى ٢٤ ـ من يناير سنة «١٩٥١ م»).

ونحن نقول أن دولة بهذه الصفات يجب موالاتها ونصرتها وحبها وعدم بغضها أما الدولة التي تخالف تلك الأسس وتعتدي على هذه المقومات الأساسية للدولة الإسلامية، فهي دولة خارجة عن الإسـلام أو تتخذ من الإسلام ستاراً، لتخدع به السذج والبسطاء لتحقيق مآربها التي تتناقض مع الإسلام، وتتعارض معه، فليعرف كل مسلم شروط الدولة الإسلامية، ليتبين له في ظل أي دولة يعيش وكيف يجب أن يتعامل مع من يعيش معهم.

ودار الإسلام أو الدولة الإسلامية ليس هي التي يعيش فيها أكثرية مسلمة أو وطئتها أقدام المجاهدين المسلمين بل قد تصبح دار الإسلام دار كفر، ودار الكفر دار إسلام، والضابط لتلك الأحوال هو ما عرف به العلماء دار الإسلام ودار الكفر حيث يقولون: إن دار الإسلام هي التي يحكمها المسلمون وتجري فيها الأحكام الإسلامية، ويكون النفوذ فيها للمسلمين ولو كان جمهور أهلها كفاراً.

وأما دار الكفر فهي التي يحكمها الكفار، وتجري فيها أحكام الكفر ويكون النفوذ فيها للكفار، ولو كان جمهور أهلها من المسلمين[1] فالبلاد التي تخضع لنفوذ الكفار بالأصالة مثل فلسطين تحت الحكم اليهودي وأفغانستان التي يسيطر عليها الحزب الشيوعي فهذه وأمثالها بلاد كفر ودار كفر وإن كان أغلبية السكان من المسلمين لأن السلطة الحاكمة سلطة غير إسلامية. وكذلك ينطبق الحكم على كثير من الدول التي تدعى الإسلام وهي أبعد ما تكون عنه، وإن كان معظم سكانها مسلمين نظراً لأنها لا تجري فيها جميع أحكام الإسلام، ولأن النفوذ والسلطة فيها لغير المسلمين فنجد أن كثيراً منها قد وضعت قوانين تحمي الزنا والربا والخمر والميسر ولا تعاقب من يترك الواجبات من صلاة وصيام وزكاة وحج، ومع ذلك تتستر ببعض مظاهر الإسلام، وهي في حقيقة الأمر والواقع دار كفر وردة عن الإسلام.

فمثلاً نجد أن قانون العقوبات في مصر والعراق في عهد الاحتلال يحمي الزنا ويشجعه بعدم تطبيق العقوبات الشرعية عليه.

---

(١) انظر الفتاوي السعدية جـ ١ ص ٩٢/ عبد الرحمن بن سعدي. وانظر الحرب والسلم في شرعة الاسلام د/ مجيد خدوري ص ٢٠٩ وانظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٣٣، ١٥١، ١٦٦ وانظر الجواهر المضيئة ـ للسرخسي جـ ٢ ص ٢٨، ٢٩ وانظر المواريث علماً وعملاً ص ٨٥ وانظر الوصايا في الفقه الإسلامي ص ٥٤ وانظر شرح الأزهار/ جـ ٢ ص ٥٧٢ وانظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٣٥٩.

ففي المواد من (٢٦٧ ـ ٢٧٩) من قانون العقوبات المصري العربي والمواد من (٢٣٢ ـ ٢٤٠) من قانون العقوبات البغدادي أن الزنا إذا وقع برضى الطرفين وهما غير متزوجين وسنهما فوق الثامنة عشرة فلا شيء عليهما. وإن كانا متزوجين فلا عقوبة عليهما ما لم يرفع أحد الزوجين دعوى ضد الزوج الخائن[١].

فهل يجوز تسمية بلاد بمثل هذه الحال قديماً أو حديثاً بدار إسلام والله عز وجل يقول: **﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾**[٢] وهم يقولون بلسان حالهم ومقالهم لا! لن نجلد الزناة برضاهم ولو ثبتت عليهم البينة، أليس هذا استدراك على الله فيما حرم وتجهيل له فيما شرع؟ وهذا من أنواع الكفر حيث يقول تعالى: **﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾**[٣] وحكم الكفر هذا لا يقتصر على شخص الحاكم فقط بل يتعداه إلى كل المؤيدين له على ذلك والمناصرين له والراضين به، فحكمهم كحكمه كما ذكر الله عن جنود فرعون وهامان قال تعالى: **﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾**[٤] فأشرك الله قوم فرعون معه في الخطيئة والإثم، لسكوتهم ورضاهم ونصرهم وتأييدهم له.

وعلى هذا فمن الواجب على الرعية إن كان الحاكم ظالماً أن تنصحه بالتي هي أحسن كما قال رسول الله ﷺ (الدين النصيحة «ثلاثاً» قلنا لمن (يا رسول الله)؟ قال: لله (عز وجل) ولكتابه ولرسوله ﷺ ولأئمة المسلمين

---

(١) انظر قانون العقوبات المصري العربي رقم ٥٨ لسنة ١٩٣٧ م وتعديلاته ـ المواد المشار إليها أعلاه.

(٢) وانظر قانون العقوبات البغدادي «العراقي» الصادر سنة ١٩١٧ م..

(٣) سورة النور آية (٢).

(٤) سورة المائدة آية (٤٤).

وعامتهم)[1] فإن حصل اختلاف بين الراعي والرعية وجب عليهما الرجوع إلى الكتاب والسنة عملاً بقوله تعالى: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول**﴾[2] حيث أن سلطة التشريع الإسلامي لها قوة فوق قوة الحاكم والمحكوم، فلو كان ولاة الأمر، وحكام البلاد تجب طاعتهم طاعة مطلقة، أو كانوا معصومين من الخطأ كما يدعي غلاة الشيعة لما كان لقوله ﴿**فردوه الى الله والرسول**﴾ معنى بل كان يقول فردوه إلى الحاكم أو إلى الإمام، ومن ذلك يتبين ضعف هذا القول وصحة قول الجمهور من أنه لا طاعة في المعصية[3]. لأن ذلك هو الموافق للأدلة، فقد روى مسلم من حديث أم الحصين. «ولو استعمل عليكم عبد يقودكم بكتاب الله. اسمعوا له وأطيعوا»[4] فجعل القيادة بكتاب الله سبباً للسمع والطاعة[5].

وقد وضع النووي في شرحه لصحيح مسلم عنواناً «باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية»[6] فدل بذلك على أن هذا هو ما يراه صواباً. وفي الحديث «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[7].

وقد اختلف العلماء في درجة الإنحراف التي تسقط بها بيعة الحاكم وتنحل ولايته ويجوز عندها الخروج عليه على قولين:

القول الأول: قول من يقول بوجوب الصبر على الإمام أو الحاكم وإن أخذ المال وضرب الظهر وأظهر المعاصي، مادام يقيم الصلاة عملاً بقوله ﷺ في الحديث المتقدم[8] (ما أقاموا فيكم الصلاة) واستدلوا أيضاً بقوله

(١) رواه مسلم. انظر جامع العلوم والحكم/ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص ٧٢ - ٧٣.
(٢) سورة النساء آية (٥٩).
(٣) أنظر تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٢٦٠ - ٢٦١.
(٤) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٤٦٨ (باب الإمارة).
(٥) انظر في ظلال القرآن سيد قطب جـ ٥ ص ٤١٧.
(٦) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص ٢٢٢.
(٧) انظر مشكاة المصابيح جـ ٢ ص ١٠٩٢ ح ٣٦٩٦.
(٨) أنظر ص ٤٦٨ من هذه الرسالة.

تعالى: ﴿إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاؤا الظالمين﴾[1]. وللحديث المروي عن خالد ابن عُرفطة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ «يا خالد إنها ستكون بعدي أحداث وفتن واختلاف فإن استطعت أن تكون عبد الله المقتول لا القاتل فافعل»[2].

القول الثاني: قول الجمهور وهو أن الله عز وجل قد حرم الإعتداء على الأنفس والأموال والأعراض إلا بحق شرعي يبيح ذلك، فقد حرم قتل النفس بقوله تعالى: ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾[3]. وقال تعالى في حق الأموال ﴿يأيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[4].

وقد ورد عن رسول الله ﷺ تحريم الإعتداء على الأنفس والأموال والأعراض فقد روي عنه ﷺ أنه قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى هاهنا ويشير إلى صدره، بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه»[5]. وروى مسلم في صحيحه أن من خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم. كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا»[6].

وقد علمنا أن كلام الله ورسوله لا يخالف بعضه بعضاً ولا يناقضه وقد امتدح الله هذا التنزيل بتلك الصفة فقال تعالى: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[7].

---

(١) سورة المائدة آية (٢٩).
(٢) أنظر مسند الإمام أحمد جـ ٥ ص ٢٩٢.
(٣) سورة الإسراء آية (٣٣).
(٤) سورة النساء آية (٢٩).
(٥) رواه البخاري ومسلم. انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ٢ ص ١٠٨٠.
(٦) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٢ ص ٨٨٩.
(٧) سورة النساء آية (٨٢).

فالذي يسلم ماله للأخذ ظلماً وظهره للضرب بغير حق وعرضه للإنتهاك يكون آثماً بنص الكتاب والسنة حيث أن الآيات والأحاديث متواترة على عدم الطاعة في المعصية والتعاون على الإ ثم والعدوان قال تعالى: **﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾**[1].

وفي الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي؟ قال: «فلا تعطه مالك» قال: أرأيت إن قاتلني؟ قال: «قاتله» قال: أرأيت إن قتلني؟ قال: «فأنت شهيد» قال: أرأيت إن قتلته؟ قال «هو في النار»[2]. وعن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنه) قال: أما علمت أن رسول الله ﷺ قال «من قُتِلَ دون ماله فهو شهيد»[3].

فإذا كان هذا في شأن المال فالدفاع عن الدين والنفس والعرض أولى من ذلك.

والرد على الذين يرون وجوب الطاعة في المعصية، فيما دون ترك الصلاة. أن يقال لهم، ما رأيكم في إسلام من جعل اليهود خاصته وأصحابه، والنصارى جنده وبطانته، وحمل السلاح على كل من وحَّد الله من المسلمين، وحارب المؤمنين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وهو مع ذلك يتظاهر بالإسلام وبالصلاة في بعض المناسبات لتلتقط له الصور التي يضحك بها على السذج والبسطاء، أترون أنه يجوز الخروج عليه أم لا؟

فإن منعوا الخروج على مثل هذا فقد منعوا الخروج على كل كافر، وقد حارب الصحابة (رضي الله عنهم) المرتدين واعتبروهم كفاراً بمخالفتهم

---

(١) سورة المائدة آية (٢).

(٢) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ١٢٤ (كتاب الإيمان).

(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ١٢٥.

بالشهادتين وقد أجمع الفقهاء في مختلف العصور على كفر من يقف من أحكام الإسلام مثل هذا الموقف، فلو كان مجرد الاعتصام باسم الإسلام مع عدم العمل به يكفي في الإنتماء إلى هذه الأمة، لكفى المنافقين والمرتدين من طائلة العذاب[1]. فالواجب إذاً أنه إذا وقع الحاكم في شيء من الجور أو الظلم وإن قل أن ينصح ويكلم في ذلك، فإن اقتنع ورجع إلى الحق، وأذعن لاستيفاء الحق منه، وجبت طاعته، ولا سبيل إلى خلعه، فإن لم يمتنع عن جوره وظلمه، ولم يكن لأصحاب الحق أن يستوفوا حقهم منه، وجب خلعه وإقامة غيره مقامه، ممن يقوم بالحق لأنه لا يجوز تضييع شيء من واجبات الدين مراعاة لأهواء الظلمة من الحكام والولاة[2].

فمن أجاز اتباع شريعة غير شريعة الإسلام وجب خلعه، وانحلت بيعته وحرمت طاعته لأنه في مثل هذه الحال يستحق وصف الكفر[3] بخروجه على شرع الله عن عمد وإصرار، واستباحة واستصغار قال تعالى: ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[4].

فالكافر تحرم طاعته، وتجب معصيته ومقاطعته، وأما الحاكم المسلم العدل تجب طاعته وتحرم منازعته، أما الحاكم الفاسق أو العاصي فهو الذي يدور فيه الخلاف، وللعلماء في عزل الحاكم الفاسق والخروج عليه ثلاثة آراء هي:

أولاً: وجوب العزل إذا ظهر الفسق بالقول أو الفعل.

ثانياً: منع العزل إذا كان العزل يفضي إلى فتنة متوقعة أشد من المصلحة المتوقعة من العزل.

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ٤ ص ١٧١ ـ ١٧٥ وانظر الدرر السنية جـ ٩ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٥ .

(٢) انظر المصدر السابق الفصل جـ ٤ ص ١٧٥ ـ ١٧٦ .

(٣) انظر مختصر الفتاوى المصرية / ابن تيمية ص ٥٠٧ .

(٤) سورة المائدة آية (٤٤) .

ثالثاً: منع العزل مطلقاً.

وبما أن الاستطراد في توضيح هذه الأقسام الثلاثة قد يخرج بنا عن نطاق الموالاة والمعاداة إلى صلب النظرية السياسية في الإسلام، فإننا نكتفي بالإشارة إلى ما نراه راجحاً في هذه المسألة حيث أنه بإمكان القارىء أن يرجع إلى هذه الأقوال في مصادرها التي سنشير إليها في هامش هذه الرسالة تلافياً لإطالة الموضوع بلا سبب قوي يوجب ذلك.

والرأي الذي أرجحه من هذه الآراء الثلاثة أن الحاكم إذا عصى وارتكب أمراً يوجب فسقه القولي أو الفعلي نُظِرَ إليه، فإن كان العزل يمكن أن يتم بطرق سلمية كما هو الأصل في الشريعة الإسلامية، وجب عزله عند حصول المعصية نظراً إلى أن الأصل من شروط الولاية العدل في الخليفة وتحقق العدالة فيه، فإذا نقض هذا الشرط بنفسه وجب خلعه، كما يحصل في بعض الدول الكافرة التي أخذت ببعض المفاهيم السياسية الإسلامية في تعيين الحاكم وعزله، فنجد أن بعض الدول الكافرة تعزل رئيسها عند أدنى خطأ يرتكبه، بينما يتشبث المتسلطون على رقاب المسلمين بكرسي الحكم حتى لو أبادوا الشعب كله في سبيل ذلك، أو أن يلقي الشعب بجسد الحاكم من على كرسيه جثة هامدة. وهذا كله مخالف لأصول النظام السياسي في الإسلام. فإذا كان عزل الحاكم لا يتم بالطرق السلمية كما ذكرنا، فإني أرى الرأي القائل بكراهية الخروج على الحاكم وعزله ونقض بيعته إذا كان الغالب على الظن حصول فتنة بذلك كما هو رأي جمع من العلماء(١).

فالعزل الذي يترتب عليه سفك الدماء ونهب الأموال والاعتداء على الأعراض وتعطيل الحدود الشرعية، لا شك أنه يجلب على الأمة ودينها أكثر

---

(١) انظر رسالة ماجستير في عزل الرئيس الأعلى للدولة في نظام الحكم في الاسلام د / علي ابن فهيد السرباتي ص ١١٦ - ١٣٠ .

مما ينشده المصلحون من دفع المفاسد الحاصلة بسبب فسق الحاكم وحكومته.

فقد تكون مصلحة الأمة في بقائها وصبرها على المعاصي ومحاولة إصلاحها بالتي هي أحسن أعظم من وقوعها في دوامة الصراع والتناحر مع شخص الحاكم وحكومته، إذ لا يعلم نهاية الصراع وآثاره المدمرة وما يقع فيه إلا الله تعالى.

كما أنه لا يجوز القول بوجوب العزل في كل مسألة فسق مهما صغرت، لأن ذلك يؤدي إلى عدم وجود دولة تحكم بالكلية، نظراً إلى أن الإنسان غير معصوم من الخطأ وارتكاب بعض صغائر الذنوب، فلو أخذ أحد برأي المعتزلة الذين يرون وجوب العزل في كل معصية مهما صغرت، لتوالى أمر العزل والتولية بشكل مستمر، مما يفقد هذا المنصب أهميته واستقراره، وهيبة أهله التي يجب أن يكون لها في نفوس الناس وقع واحترام[1]. وعلى هذا تحمل الأحاديث الواردة في المصابرة ووجوب الطاعة للولاة ما لم يظهروا كفراً بواحاً.

أما إذا كان الغالب على الظن عند ظهور فسق الحاكم ومعصيته أن عزله لا يترتب عليه حصول فتنة، وأن التغيير له يمكن أن يمر بسلام فيستحب عزله وذلك للأسباب الآتية:

أولاً - أن احترام وطاعة رئيس الدولة ومحبته واجب شرعي بشرط أن يحترم نفسه، ومنصبه، ويحترم حق الأمة في هذا المنصب وأن يتبوأه بحقه أما إذا انحرف عن ذلك فإن للأمة الحق في تتبع المنحرف عن دستورها السماوي، ومجازاته على إنحرافه لئلا يظن أن له حصانة تحميه من المحاسبة على أقواله وأفعاله فيشجعه هذا الظن السيء على الفسق

---

(١) انظر رسالة ماجستير في عزل الرئيس الأعلى للدولة في نظام الحكم في الاسلام د / علي بن فهيد السرباتي ص ١٣١ - ١٣٢ .

والفجور، وديننا أسمى وأكمل من الأنظمة الوضعية التي تعزل الحاكم وتنزل به أشد العقوبات عند الخروج على نظامها. فكيف من يخرج على نظام شرعه الله من فوق سبع سموات؟!!

ثانياً ـ إن مبدأ التسامح مع الولاة الفساق والظلمة مبدأ خطير على الأمة لا يقف عند حد، حيث يفقد الأمة أهم خصائصها في إقامة العدل وإستيفاء الحقوق، وتنفيذ الواجبات على الناس من القمة إلى القاعدة بلا استثناء أو تمييز، كما هو مقرر في الشريعة الإسلامية، فقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يده أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده»[1].

ولكن للأسف الشديد أن القول بعدم جواز عزل الحاكم قد تجاوز مرحلة فسق الحاكم ومعصيته إلى القول بعدم جواز عزله مهما فجر وطغى، ومهما أباح وحرم، ومهما أظهر من ألوان الكفر الاعتقادي والقولي والعملي، وهذا القول ـ بحمد الله ـ لم يقل به أحد من علماء الإسلام المعتمدين، وإنما قال به جماعة من أدعياء العلم والفقه وسماسرة الكلمة الذين يبيعون ذممهم بحفنة من الدراهم، او ينافقون مع الحكام الكفرة خوفاً من ظلمات السجن وأعواد المشانق، فيهرولون إلى عتبات الحكام الكافرين بالفتاوي المعلبة الجاهزة التي يعلمون مسبقاً أنها تنال رضى الحاكم وتبرق لها أسارير وجهه.

لقد وجد الطغاة جمهوراً من علماء النفاق ووعاظ المسكنة الذين زينوا للطغاة إنحرافهم، وبرروا لهم أخطاءهم وقاموا بمؤنة إقناع الناس نيابة عن سادتهم حتى وصل الأمر إلى ما هو مشاهد من ولاء للحكام الكافرين في معظم البلاد الإسلامية[2] وهؤلاء الذين يتزيون بزي العلماء وهم كمثل

---

(١) رواه الامام أحمد بسند صحيح. انظر المسند بشرح أحمد شاكر جـ ١ ص ١٦٨ (طـ ٤ ـ دار المعارف بمصر).

(٢) انظر الايمان وأثره في نهضة الشعوب / يوسف العظم ص ٢٥ ـ ٥٠.

الحمار يحمل أسفاراً، قد جروا على البلاد الإسلامية مفاسد كثيرة لا تعد ولا تحصى وفيهم يقول ابن المبارك (رحمه الله):

وهل أفسد الدين إلا الملو
ك وأحبار سوء ورهبانها[1]

ويقول الشاعر سليمان بن سحمان في وصف دار الكفر وحكم الكافرين ما يلي:

إذا ما تولى كافر متغلب
على دار إسلام وحل بها الوجل
وأجري بها أحكام كفر علانيا
وأظهرها فيها جهارا بلا مهل
وأوهى بها أحكام شرع محمد
ولم يظهر الإسلام فيها وينتحل
فذي دار كفر عند كل محقق
كما قاله أهل الدراية بالنحل
وما كل من فيها يقال بكفره
فرب امرىء فيهم على صالح العمل
ولم تجر للكفار أحكام دينهم
على أهلها لكن بها الكفر قد حصل
وما كان فيها الجانبان على السوى
فقال تقي الدين في ذلك المحل
يعامل فيها المسلمون بحقهم
وذا الكفر ما قد يستحق من العمل

---

(١) أنظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٩١ .

فــلا تعط حكم الكفـر من كـل جـانب
ولا الحكم بـالإسـلام في قـول من عـدل
ومــن يـتــول الــكــافــريــن فــمـثــلهــم
ولا شــك في تكفيــره عنــد من عـقــل
ومن قــد يــواليـهـم ويـركـن نحـوهـم
فــلا شـك في تفسيقــه وهـو في وجــل
وكــل مــحــب أو مــعــيــن ونــاصــر
ويــظهــر جهــراً للوفــاق عـلى العـمــل
فهم مثلهم في الـكفــر مـن غيــر ريبــة
وذا قــول من يدري الصـواب من الـزلـل
فــوالـي الــذي والـى لــديـن مـحـمــد
وعـادى الـذين عـاداه من كـل من جهـل
وأبــغــضــهــم فــي الله جــل جــلالــه
كمــا قــد أحب المهتــدين ومـا غفــل[1]

وخلاصة القول في هذه المسألة أن الدولة إذا كانت كافرة كحال معظم الدول المنتسبة إلى الإسلام وهي أبعد ما تكون عنه حيث تحرم ما أحل الله وتبيح ما حرم الله، وتجري بها أحكام الكفر علانية، فإن موقف المسلم منها أن يعاديها ويبغضها، ولا يناصرها بقول أو فعل عملاً بقوله تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾**[2].

أما إن كانت الدولة فاسقة عاصية ظالمة، فإن مودتها غير جائزة، ومناصرتها غير مشروعة إلا ضد من هو أشد منها فسقاً وظلماً، بناء على القاعدة الفقهية في درء أعظم المفسدتين بأدناهما[3].

(١) انظر ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان / سليمان بن سحمان ص ١٢٦ ـ ١٣١ .
(٢) سورة المجادلة آية (٢٢) .
(٣) انظر التشريع الجنائي الاسلامي / عبد القادر عودة جـ ١ ص ٥٧٥ .

ولو صُبِرَ على فسقها وظلمها في حالة عدم وجود من هو أصلح منها لكان ذلك أمراً مباحاً، وإذا كان إحلال غيرها محلها يترتب عليه من المفاسد أعظم مما ينشده المصلحون من المصالح فإن الأولى الصبر عليها وعدم الخروج عن طاعتها، أما لو أخذ المسلمون بمبدأ نظام الحكم في الإسلام أخذا صحيحاً لوجب عزل الحاكم بالطرق السلمية عند فسقه وعصيانه[1].

أما إذا وُجِدَ الحاكم المسلم العدل والحكومة الإسلامية الحقة فإن طاعتها واجبة ومناصرتها فريضة والخروج عليها معصية قال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾**[2]. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «إنكم سترون بعدي أثرة وأموراً تنكرونها. قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال أدوا إليهم حقهم، وسلوا الله حقكم»[3].

فحق الولاة على المسلمين طاعتهم في غير معصية الله ورسوله، ومناصرتهم وتأييدهم بما ليس فيه ضرر على المؤمنين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

وإذا فليطمئن الحاكم المسلم على نفسه ما دام يحكم بالإسلام حيث قد ضمن الإسلام وجوب طاعته وحرم الخروج عليه، وإذا انحرف الحاكم عن حكم الله وعطل شرع الله فالخطأ خطؤه والجريمة جريمته، وما يلقاه من عنت ومشقة حينئذ إنما سببه تعديه على حدود الله، كحال أي مجرم يتعدى على الحدود الشرعية، فيكون جزاءه الردع والتأديب، ولذا فإن دار الإسلام هي التي يحكم فيها الإسلام وحينئذ يجب أن يتولى المسلمون فيها بعضهم بعضاً، وما عداها فهي دار حرب، علاقة المسلم بأهلها إما القتال،

---

(١) أنظر رسالة ماجستير في عزل الرئيس الأعلى للدولة في نظام الحكم في الاسلام د / علي فهيد السرباتي ص ١٣١ - ١٣٢ .

(٢) سورة النساء آية (٥٩) .

(٣) رواه البخاري - أنظر فتح الباري جـ ١٣ ص ٥ .

وإما المهادنة على عهد أمان، ولكنها ليست دار إسلام ولا ولاء بين أهلها وبين المسلمين[1].

سواء كان حكامها من الكفار الأصلاء أم العملاء فهما وجهان لعملة واحدة هي الكفر.

يقول الشاعر:

سيـــان من جـاء بـــاسم الشعب يــظلمــه
أو جــاء من «لنــدن» بــالبغي يبغيــه[2].

(1) انظر معالم في الطريق / سيد قطب ص ١٨٤ ـ ١٨٥ .
(2) انظر شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث جـ ١ ص ٤٥ .

الفصل الثاني

الموالاة والمعاداة للفرق التي تنتسب إلى الإسلام

١ ـ تقديم لهذا الفصل حول افتراق هذه الأمة.

٢ ـ المبحث الأول : موالاة ومعاداة الفرقة الزيدية.

٣ ـ المبحث الثاني : موالاة ومعاداة الشيعة الأثنى عشرية.

٤ ـ المبحث الثالث : موالاة ومعاداة الطائفة النصيرية.

٥ ـ المبحث الرابع : موالاة ومعاداة الدروز.

تقديم
حول افتراق هذه الأمة

قال رسول الله ﷺ: (افترقت اليهود على إحدى وسبعين أو إثنتين وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على إحدى أو إثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)، وفي رواية (ألا أن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، اثنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة وهي الجماعة)[1]، والحديث بسنده ومعناه صحيح في الجملة، وقد اختلف العلماء في كون هذه الفرق في النار، فقال قوم هو أن هذه الفرق تدخل النار لبدعتها، وإن كانت، لا تخلد فيها، لأنه لا يخلد فيها منهم إلا من وصل ببدعته إلى حد الكفر، مثل الغلاة من الفرق الباطنية، الذين يؤلهون علياً، أو ينكرون تمام الرسالة أو القرآن أو يؤلون أركان الإسلام تأويلاً فاسداً مثل تأويلات الدروز والنصيرية لأحكام الإسلام.

---

(١) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ١ ص ١٢ - ٢٣ رقم الحديث (٢٠٣، ٢٠٤).

يقول ابن قيم الجوزية (رحمه الله) أن قول الرسول ﷺ: (ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة) فيه دلالة على أن هذه الفرق كلها غير خارجة عن الإسلام، إذ قد جعلهم النبي ﷺ كلهم من أمته، وفيه أن المتأول لا يخرج من الملة وإن أخطأ في تأويله)[1]. ا. هـ

واختلف العلماء في أهل البدع:

القول الأول: من كفرهم جميعاً وهذا القول قال به بعض المتأخرين المنتسبين إلى الأئمة أو إلى المتكلمين[2].

القول الثاني: من كفر الجهمية دون الروافض، والخوارج، والقدرية والمرجئة. وقد قال بهذا القول: يوسف بن أسباط وعبد الله بن المبارك وتبعهم على ذلك طائفة من العلماء من أصحاب أحمد وغيرهم[3].

القول الثالث: من لا يكفر أحداً من أهل البدع، بل يجعلهم من أهل الوعيد بمنزلة الفساق والعصاة، ويجعل قول الرسول ﷺ (في النار) مثل ما جاء في سائر الذنوب من أكل مال اليتيم ونحو ذلك[4].

ويقول: ابن تيمية (رحمه الله) (وفصل الخطاب في هذا الباب يذكر أصلين:

الأصل الأول: أن يعلم أن الكافر في نفس الأمر من أهل الصلاة لا يكون إلا منافقاً، وإذا كان الأمر كذلك، فأهل البدع فيهم الزنديق حيث كان

---

(١) انظر تهذيب سنن أبي داود لأبن قيم الجوزية جـ ٧ ص ١٥٤ . وانظر اجابة اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والافتاء . مجلة الدعوة السعودية عدد (٨٢١) الاثنين ١٤٠٢/١/٢٧ هـ ص ٢٦ .

(٢) انظر فيما تقدم مذكرة في الملل والنحل أملاها الدكتور / محمد رشاد سالم على طلاب قسم العقيدة في كلية أصول الدين للعام الدراسي ٩٦ / ١٣٩٧ هـ . من ص ٦ ـ ٧ .

(٣) المصدر السابق المكان نفسه .

(٤) المصدر السابق المكان نفسه .

رؤساء أهل البدع منافقين زنادقة وهذا كفر ومن أهل البدع من يكون فيه إيمان باطن وظاهر، ولكن فيه جهل وظلم حتى أخطأ ما أخطأ من السنة، فهذا ليس بكافر ولا منافق، ومن أهل البدع من يكون فيه عدوان وظلم يكون به فاسقاً أو عاصياً، لا يرقى به إلى درجة الكفر. ومن أهل البدع من يكون مخطئاً ومتأولاً مغفوراً له خطؤه، وقد يكون مع ذلك معه من الإيمان والتقوى، ما يكون معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه[1].

الأصل الثاني: إن المقالة الواحدة يختلف حكمها بحكم قائليها فمن جحد وجوب الصلاة والزكاة والصيام والحج، أو أباح الزنا والخمر والربا ونكاح ذوات المحارم، فهذه المقالة كفر بواح لا غبار عليها.

وقد يقول بذلك إنسان لم يبلغه الخطاب، ولم تبلغه الشرائع[*] الإسلامية فلا يكفر بذلك، لأنه لا يحكم بكفر من جحد شيئاً مما أنزل على الرسول ﷺ إذا لم يعلم أنه أنزل على رسول الله ﷺ[2]. ا. هـ

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عن رجل يفضل اليهود والنصارى على الغلاة من الفرق الباطنية.

فأجاب: أن كل من كان مؤمناً بما جاء به محمد ﷺ فهو خير من كل من كفر به، وإن كان في إيمانه ذلك نوع من البدعة، سواء كانت بدعة التشيع، أو من المرجئة والقدرية وغيرهم، فإن اليهود والنصارى كفار كفراً معلوماً بالاضطرار من دين الإسلام، والمبتدع إذا كان يحسب أنه موافق

---

(١) المصدر السابق ص ٧ .

(*) روى عبدالله بن بسر أن اعرابيا قال لرسول الله (ﷺ) : إنَّ شرائع الاسلام قد كثرت علي فأنبئني منها بشيء أتشبث به ، قال : لا يزال لسانك رطبا من ذكر الله . انظر سنن ابن ماجه جـ ٤ ص ٤١٨ رقم (٣٨٥٥) وانظر مسند احمد جـ ٤ ص ١٨٨ - ١٩٠ .

(٢) انظر فيما تقدم مذكرة في الملل والنحل أملاها الدكتور / محمد رشاد سالم على طلاب قسم العقيدة في كلية أصول الدين للعام الدراسي ٩٦ / ١٣٩٧ هـ ص ٧ .

للرسول ﷺ لا مخالفاً له، لم يكن كافراً به، ولو قدر أنه يكفر فليس كفره مثل كفر من كذب الرسول ﷺ[1].

ويقول عبد القاهر بن طاهر البغدادي[2] إن وصف (أمة الإسلام) لا يشمل إلا من كان مقراً بحدوث العالم، وتوحيد صانعه، وقدمه وصفاته، وعدله، وحكمته، ونفى التشبيه عنه، وآمن بنبوة محمد ﷺ وبعموم رسالته إلى الكافة، وقام بتأييد شريعته، واعتقد أن كل ما جاء به الرسول ﷺ حق وبأن القرآن الكريم خال من الزيادة أو النقص، وأنه مع السنة متبع أحكام الشريعة، وأن الكعبة هي القبلة التي تجب الصلاة إليها، فكل من أقر بذلك، ولم يشبه ببدعة تؤدي إلى الكفر فهو من أهل السنة الموحدين الداخلين في مسمى أمة الإسلام[3].

ثم يقول: (إن فرقة الزيدية والإمامية معدودتان في فرق الأمة الإسلامية، ما عدا الغلاة منهما فخارجون عن الإسلام).

أما الفرق الباطنية كالدروز والنصيرية والقرامطة ونحوهم فهي ليست من فرق الإسلام بل هي فرق خلطت بين المجوسية والنصرانية والإسلام فأخذت من كل بطرف زيادة في التضليل والنفاق[4]. ا. هـ

---

(١) انظر الفتاوى لابن تيمية جـ ٣٥ ص ٢٠١ .

(٢) هو عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبدالله التميمي البغدادي الشافعي (أبو منصور) فقيه ، أصولي ، متكلم ، أديب ، مشارك في أنواع من العلوم ، ولد ببغداد ونشأ بها وسكن نيسابور ودرّس بها سبعة عشرة عاما وتوفي بأسفرايين سنة (٤٢٩ هـ) من مؤلفاته الكثيرة : الكلام في الوعيد الفاخر في الأوائل والآواخر ، شرح المفتاح لأبن القاص في فروع الفقه الشافعي ، الملل والنحل للبغدادي ، كتاب التفسير ، التكملة في الحساب ، وله أشعار كثيرة . انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحاله جـ ٥ ص ٣٠٩ .

(٣) انظر الفرق بين الفرق / عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ١٢ ـ ١٣ .

(٤) انظر الفرق بين الفرق / عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ٢١ .

وقد عدَّ ابن تيمية (رحمه الله) فرقة النصيرية التي تدعى العلوية من الفرق الخارجة عن الإسلام[1]. ا. هـ

وعلى هذا فإن الحكم على الفرق المنتسبة إلى الإسلام يختلف باختلاف نظرتها واعتقادها في أصول الإسلام. فمن يعتقد في أصل من أصول الإسلام ما يوجب الكفر يحكم بكفره ومن يعتقد تأويلاً باطلاً في أصل من الأصول فإنه لا يحكم بكفره ولكنه يوصف بالفسق والعصيان إذا كان هذا التأويل لا يوجب الكفر وذلك مثل اعتقاد بعض الشيعة بأن الصلاة جماعة غير واجبة حتى يخرج المهدي المنتظر في زعمهم فمن حافظ على الصلاة منفرداً منهم فلا يكفر بترك الجماعة لأن مسألة حضور الجماعة ليست أصولية يحكم بكفر من تركها.

فالخلاف في الأصول الشرعية لا يعذر فيه أحد، ولذلك لما كتب أحمد بن علي القاسمي رسالة إلى عبد العزيز بن محمد بن سعود (رحمه الله) يقول فيها (ولا يعترض أحد منا على أحد في مذهبه، وكل مجتهد مصيب) فرد عليه عبد العزيز - وهو من العلماء العاملين والحكام العادلين - بقوله (هذا في مسائل الفروع، لا في الأصول، حيث أن المشركين من اليهود والنصارى وغيرهم يدَّعون أنهم مصيبون[2]. قال تعالى: **﴿إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون المؤمنين ويحسبون أنهم مهتدون﴾**[3].

وقال تعالى: **﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً﴾**[4]. ا. هـ

فمن المعلوم أن أهل السنة والجماعة وإن اختلفوا في بعض المسائل

---

(١) انظر الفتاوى لأبن تيمية جـ ٣٢ ص ١٤٥ - ١٦١ وانظر الفرق بين الفرق / عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ٢٥٢ - ٢٥٥ .

(٢) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٤٨ - ١٥٠ .

(٣) سورة الأعراف آية (٣٠) .

(٤) سورة الكهف آية (١٠٣ ، ١٠٤) .

الفقهية الفرعية، فإن اختلافهم ناجم عن اجتهاد محض، ودوافع بريئة من كل شائبة في غالب أحوالهم، وهذا الاختلاف إن كان اختلاف تنوع في بعض المسائل الفرعية فهو أمر لا يعيب المختلفون فيه بعضهم بعضاً.

وإن كان اختلاف تضاد في مسائل فرعية فيجوز وصف أحد المخالفين بالخطأ والآخر بالصواب، ولكن المخطىء لا يخرج من ملة الإسلام ما لم يتعمد سلوك الخطأ عن علم ويقين، أما من أخطأ عن اجتهاد منه في مسألة فرعية، فلا ضير عليه[1].

أما الخلاف في أصل من أصول الإسلام فهو أمر لا يجوز قولاً واحداً، ومن خالف في أصل من أصول الإسلام فحكمه الكفر، ومن يخالف في أصل واحد كمن يخالف في سائر الأصول، ومذهب أهل السنة والجماعة فيمن خالف في أصل من أصول الإسلام أنهم يوجبون البراءة منه ومن قوله وفعله واعتقاده[2].

ولذلك فإن دراستنا لأي فرقة من الفرق المنتسبة إلى الإسلام يقودنا إلى دراسة أهم الأصول الاعتقادية والشعائر التعبدية لتلك الفرقة من واقع مصادرها الأصلية، وما قاله عنها جهابذة العلماء عبر التاريخ، ثم بعد الإطلاع على الأسس والمنطلقات العقائدية لتلك الفرق نستطيع تصنيفها وترتيبها، ومعرفة درجة الموالاة والمعاداة التي ينبغي لأهل الإسلام الإلتزام بها من واقع أقوال وأفعال مؤسسي تلك الفرق وأتباعهم إلى عصرنا الحاضر.

وقد يقول معترض أن البحث في الفرق الإسلامية وخلافها من أهل السنة والجماعة عمل سلبي وتحصيل حاصل لا يترتب عليه فائدة لأطراف

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة اصحاب الجحيم / ابن تيمية ص ٣٧ ـ ٣٩ .

(٢) انظر تبديد الظلام وتنبيه النيام / ابراهيم سليمان الجيهان ص ٦٣ .

النزاع سوى إذكاء روح العداوة بينهما كلما هدأت الفتنة بمرور الزمن وحانت فرصة الوحدة والإلتقاء.

ونحن نرد على هذا الاعتراض بأن غرض العلماء من بيان هذا الأمر في كل زمان ومكان، هو بيان بطلان الباطل من تلك العقائد الضالة، لئلا تتخذ مع مرور الزمن، أمور مسلمة عند سلامتها من النقد والمناقشة والاعتراض، فإن رجع أصحابها عنها فقد رجعوا إلى الحق، وإن تمسكوا بها فقد تمسكوا بالباطل، فبيان بطلانها واجب على المسلمين للمسلمين، وللكفار الذين يتخذون من اعتقادات بعض فرق الباطنية وسيلة للطعن في الإسلام وتشويه نظامه المميز الفريد.

ونحن قد نلجأ إلى الغلظة في الكلام بناء على الحقائق المذهلة التي قد يكون إثباتها جارحاً لبعض الفرق، مما قد يجعلهم يصفون هذا الأسلوب بأنه نوع من التطرف والتشنج والإنفعال الخالي من الحوار الهادىء، والجدل الموضوعي.

ونحن نرد: بأن المقام مع من يعبثون بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويتسلون بدماء المسلمين وأعراضهم ليس مجرد الغلظة في الكلام ولكن حسبنا الله ونعم الوكيل.

المبحث الأول

موالاة ومعاداة الفرقة الزيدية

الزيدية أو المذهب الزيدي ينسب الى الإمام زيد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) المتوفي سنة (١٢٢ هـ - ٧٤٠ م) ، ويطلق على هذا المذهب في الأوساط الفقهية المذهب الخامس لأنه يلحق بالمذاهب الفقهية الأربعة نظراً لاعتداله في بعض المسائل الفقهية[١] .

وقد ألحقه كثير من الدارسين لأحوال الفرق الاسلامية بالمذهب الشيعي ، لأن أهم رجال هذه الفرقة ممن يروى عن أئمة الشيعة ، وموقفهم من الخلافة ، أنهم يختلفون عن سائر فرق الشيعة حيث يرى البعض منهم جواز امامة المفضول مع وجود الفاضل ، وموقف المعتدلين منهم عدم جواز سب الصحابة (رضوان الله عليهم) فهم يرون أن علياً بن أبي طالب (رضي الله عنه) أولى بالامامة هو وأبناؤه بلا تمييز بين الأبناء وأبناء

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ١١ ص ١٤ - ٢٠ .

الأبناء ، وإذا قارنا بين آراء الزيدية في مسألة العصمة والامامة والتقديس والرجعة والمعجزة والتقية والمهدية وتخطئة الصحابة ، بآراء الشيعة الامامية وبقية الفرق الأخرى لوجدنا أن هناك فرقاً كبيراً بينهما ، ولا يعني هذا خلو المذهب الزيدي من بعض المسائل والشوائب التي دخلت عليهم عن طريق التشيع لآل البيت فالمذهب الزيدي في جملته ينحو فيما يتعلق بالأسماء والصفات منحى المعتزلة حيث أن زيد بن علي تتلمذ على يد واصل بن عطاء مؤسس مذهب الاعتزال في الأسماء والصفات[١] .

وفيما يتعلق بالمسائل الايمانية مخالف للمرجئة الذين يرون الايمان مجرد التصديق بالقلب[٢] ، كما أن المذهب الزيدي يحمل طابع التشدد في الدين في بعض القضايا ، ويشترك الزيدية مع الشيعة في قولهم في الآذان : (حي على خير العمل) . والتكبير خمس مرات في صلاة الجنازة ، ورفض المسح على الخفين ورفض الصلاة خلف الفاجر ، وعدم أكل ذبائح غير المسلمين[٣] . هذا هو مذهب جمهور الزيدية ، وقد شذ منهم بعض الفرق التي ضلت بسبب غلوها المفرط في التشيع وذلك مثل الجارودية وهم أتباع أبي الجارود بن المنذري العبدي ، فقد خالفوا منهج الزيدية وضللوا الصحابة في اختيارهم غير الامام علي (رضي الله عنه) ويرفضون إمامة أبي بكر (رضي الله عنه) وهم يعتبرون عند جمهور الزيدية ، رافضة غلاة متطرفين . أما البترية ، والسليمانية من فرق الزيدية فهما أكثر اعتدالاً من

(١) انظر كتاب الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٢٠ ، ١٢٤ ، ١٦٦، (طبعة القاهرة (١٣٤٧ هـ) .
(٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ١١ ص ١٥ .
(٣) انظر تاريخ الطبري جـ ٤ ص ٢٦٤ ـ ٢٦٩ وانظر الفصل في الملل والنحل / لابن حزم وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ٢٠٧ ـ ٢١٨ . وانظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ١١ ص ١٥ وانظر تاريخ الفكر الاسلامي في اليمن / احمد حسين شرف الدين ص ١٣٠ ـ ١٣١ وانظر فجر الاسلام / احمد أمين ص ٢٧٢ .

الجارودية في نظر عامة الزيديين لعدم تخطئتهما الصحابة ، إلا أنهما اشترطا شروطا حول الإمامة لم يوافق عليها جمهور الزيدية[1] .

ويقول احمد أمين[2] : (إن مذهب الزيدية من أعدل مذاهب الشيعة وأقربها الى أهل السنة حيث لا يسبون الصحابة (رضوان الله عليهم) وينظرون الى الإمامة نظرة اعتدال ، ولا يقولون بوجوب النص ولا بعصمة الأئمة)[3] . ا ـ هـ .

أما اليزيدية من الخوارج وهم أتباع يزيد بن أبي أنيسة الخارجي فليست هذه الفرقة من فرق أهل الاسلام ، لأنها تقول : (إن شريعة الاسلام تنسخ في آخر الزمان بنبي يبعث من العجم)[4] ا ـ هـ .

وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) عن مذهب الزيدية المنسوب الى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) فقال : (زيد عندنا من علماء هذه الأمة فما وافق من أقواله الكتاب والسنة قبلناه ، وما خالف ذلك رددناه ، كما نفعل مع أقوال غيره من الأئمة والعلماء ، هذا اذا صح النقل عنه بذلك ولكن أكثر ما ينسب اليه ويروى عنه ، كذب وافتراء عليه ، كما يفعل غلاة الشيعة مع علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأهل بيته حيث يروون عنهم ، أقوالا وآحاديث

---

(١) المصادر السابقة المكان نفسه .

(٢) هو احمد أمين / عضو المجمع اللغوي بالقاهرة ، والمجمع العلمي بدمشق والمجمع العلمي ببغداد ، ولد بالقاهرة سنة (١٢٩٥ هـ وتوفي بها سنة ١٣٧٣ هـ) تولى القضاء بمصر ، ودرس بكلية الآداب بجامعة القاهرة ، ثم انتخب عميداً لها ، ورأس لجنة التأليف والترجمة ، وأصدر مجلة الثقافة ، ثم شغل منصب مدير الادارة الثقافية بالجامعة العربية ومن مؤلفاته : فجر الاسلام ، وضحى الاسلام ، وظهر الاسلام ، وفيض الخاطر ، والنقد الأدبي ، انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحاله جـ ١ ص ١٦٩ .

(٣) انظر فجر الاسلام / أحمد أمين ص ٢٧٢ .

(٤) انظر الفرق بين الفرق / عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ٢٧٩ ـ ٢٨٠ . وانظر الفصل في الملل والأهواء والنحل / لإبن حزم / وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ١٨٣ .

مخالفة لأصول الاسلام ولما ثبت عن رسول الله ﷺ بطريق متواتر، وما أثبته العلماء الثقات بالنقل الصحيح).

ثم يقول والمذهب الزيدي الصحيح منه ما وافق الكتاب والسنة واجماع الأمة، وما خالف ذلك فهو باطل سواء كان ذلك مذهباً زيدياً، أو أي مذهب كان)[1] ا ـ هـ.

ويظهر مما تقدم أن فرقة الزيدية هم أقرب الفرق الى أهل السنة والجماعة، فمن كان منهم يختلف مع أهل السنة في مسألة فرعية وقضية اجتهادية فهذا الخلاف لا يقطع مودة، ولا يوجب عداوة لأنه يجري بين جميع المسلمين. أما الخلاف في مسائل اصولية، مثل سلوكهم طريق المعتزلة في موضوع الأسماء والصفات، فهذا الخلاف الصحيح أنه ينقل عن الملة اذا كان القول كفرا كانكار علم الرب جل وعلا بالأمور قبل حدوثها والقول بخلق القرآن وأن الله لا يرى في الآخرة، وأنه ليس في السماء فهذه المسائل توجب معاداة من يعتقدها مثل معاداة الكفار وتقتضي عدم موالاته ما دام متمسكا بتلك الاعتقادات المخالفة للكتاب والسنة واجماع الأمة ومدلول اللغة ومنطق العقل السليم.

وعلى هذا فإن منهج التعامل مع الزيدية هو منهج التعامل مع غيرهم من الناس، فمن خالف بذنب دون الكفر، عاملناه معاملة الفساق والعصاة[2] بعد نصحه وبيان الحق له، ومن خالف بما يوجب الكفر أبغضناه وعاديناه، وقطعنا عنه الموالاة والمودة والمناصرة وسلكنا معه سبيل المرتدين عن الاسلام[3]، وحاولنا حمله هو وأمثاله على الحق بما نستطيع من وسائل لتحقيق ذلك، والله الهادي الى سواء السبيل.

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٣٩.
(٢) انظر مبحث العصاة والفساق من هذه الرسالة ص ٤٢٥ ـ ٤٤٥.
(٣) انظر مبحث المرتدين من هذه الرسالة ص ٤٥٢ ـ ٤٥٧.

المبحث الثاني

(موالاة ومعاداة الشيعة الاثني عشرية)

إن دراستنا لبعض الفرق المنتسبة للإسلام ليست دراسة تفصيلية لهذه الفرق بقدر ما هو معرفة أهم الأسس العقائدية لتلك الفرقة التي هي مجال بحث حتى يتسنى لنا النظر اليها من خلال منظار صحيح فلا نغالي في عداوتها بما يخالف منهج الاسلام ، ولا نتسامح في موالاتها ونصرتها بما يضر الاسلام ويحبط العمل ، بل يجب أن نحكم القرآن الكريم والسنة النبوية مع من نختلف معهم ، عملاً بقوله تعالى : ﴿ **فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول** ﴾[1] . فالعدل مطلوب مع كل احد والتعصب مذموم ، إذا كان مبعثه الهوى والعاطفة المجردة من الحقيقة والدليل ودراستنا لفرقة من الفرق لا يعني أن كل المنتمين اليها يعتقدون ذلك الاعتقاد الفاسد ويتصورون ذلك التصور السخيف ، فهناك من تراجع عن هذه الأفكار والاعتقادات وهناك من يجتهد في تطبيقها وتعلمها وهو على

---

(١) سورة النساء آية (٥٩) .

خطأ في ذلك ولكنه من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ، ونحن ندرك أن الذين بدأوا خط الانحراف لتلك الفرق ، إنما كانوا منافقين زنادقة تظاهروا بالاسلام ، وهم أشد الكفار كفراً ونفاقاً[١] ، يقول الاستاذ أحمد أمين في كتابه ضحى الاسلام إن اول من قال بالرجعة عند الشيعة هو عبدالله بن سبأ وهو يهودي حاقد تظاهر بالإسلام كما تظاهر سلنه بولس بالنصرانية لافسادها ، وقد نقل ابن سبأ فكرة الرجعة هذه عن بولس حيث ورد في الاصحاح الثاني والعشرين والثالث والعشرين حكاية عن بولس (أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكة ولكن ربيت في هذه المدينة (أورشليم) وقال في الثالث والعشرين (أنا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الأموات) فنقل بن سبأ فكرة الرجعة وفكرة التقديس للأئمة ورفعهم الى مرتبة الألوهية[٢] ا ـ هـ .

وكل هذه المسائل التي انفردت بها الشيعة لها نظائر عند اليهود والنصارى ، وهي أمور يأباها الدين الحق، ولقد أجمع المؤرخون المنصفون من الشيعة[٣] والسنة[٤] أن الذي أضرم نار الفتنة وسعى بالفرقة بين المسلمين ، وحرض على أمير المؤمنين ، وخليفة المسلمين عثمان بن عفان ، هو ذلك اللعين ابن سبأ وشرذمته من اليهود الذين أدمى الحقد قلوبهم وأعمى النور أبصارهم ، فعمدوا الى تفتيت قوة الاسلام من داخله وتمزيق وحدته ، وإثارة العداوة بين أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعين لهم باحسان وقد أصاب هذا الدعي بعض النجاح بزرع أسباب الفتنة بين المسلمين التي ما زال المسلمون يعانون من آثارها حتى عصرنا الحاضر[٥] .

---

(١) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل / علي بن حزم جـ ٢ ص ١١٥ .

(٢) انظر ضحى الاسلام أحمد أمين ص ٢٤٧ وانظر مختصر التحفة الأثني عشرية ص ٥٤ وانظر محاضرات في النصرانية / محمد أبو زهرة ص ٧٠ ـ ٧١ .

(٣) انظر رجال الكشي ص ١٠١ (طـ مؤسسة الأعلمي بكربلاء ـ العراق) .

(٤) انظر تاريخ الطبري جـ ٥ ص ٦٦ (طـ ـ مصر) .

(٥) انظر الشيعة والسنة / احسان الهي ظهير ص ١٩ ـ ٣١ .

وسنقتصر على محاكمة هذه الفرقة من خلال النصوص المعتمدة في كتبها القديمة والحديثة ، وعندما نتخذ حكماً حول أصل من أصولهم فإنما يصدق هذا الحكم على من قال ذلك الكلام ، وعلى من صدقه أو اعتقد صحته ، في أي زمان ومكان ، سواء كان ممن ينتسب الى الشيعة أو ينتسب الى غيرهم ولا ينطبق ذلك الحكم على عموم الأفراد من الشيعة الذين لا يؤمنون بتلك الأقوال ، التي ظهر عيبها ، وبان عورها عند كثير من الشيعة أنفسهم في العصر الحاضر ، فضلا عن غيرهم من الناس وسنتناول عقيدة الشيعة الأثني عشرية في القرآن الكريم ، وفي تفسير بعض الآيات من القرآن الكريم ، ونظرتهم الى الإمامة وغلوهم في الأئمة وعقيدتهم في العصمة ، والرجعة والبَدَاء على الله وهذه بعض الفوارق بينهم وبين أهل السنة والجماعة والله من وراء القصد وهو الهادي الى سواء السبيل .

(أ) (عقيدة الشيعة الاثني عشرية في القرآن الكريم) :

إن الشيعة الأثني عشرية فيهم الغلاة الذين صرحوا بنقصان القرآن الكريم وتحريفه ، وفيهم المعتدلون الذين قالوا بتمام القرآن ، ولكنهم لم يتبرأوا ممن قال بنقيض قولهم ، بل سكتوا عن ذلك وتغافلوا عنه ، وإن عدم الإيمان بحفظ القرآن الكريم وصيانته من التحريف يجر الى إنكار القرآن وتعطيل الأحكام التي جاءت من عند الله ، لأنه حينئذ يحتمل في كل آية من آيات القرآن الحكيم أنه وقع فيها تبديل وتحريف ، وحين يقع الاحتمال يبطل الإستدلال ، وعند ذلك تبطل الاعتقادات ، لأن الايمان لا يكون الا باليقينيات وأما الظنيات والمحتملات فلا يبنى عليها اعتقاد جازم .

واذا رجعنا الى قول علماء الشيعة في القرآن الكريم ، نجد أن جمهور علماء الشيعة ، وخاصة المعتمدون لديهم من السابقين ، يقولون بأن القرآن الموجود لدى أئمتهم عدد آياته سبعة عشر ألف آية وأن الموجود لدى المسلمين في العصر الحاضر لا يساوي إلا الثلث وها هي النصوص من

كتبهم المعتمدة لديهم تنطق بذلك حتى لا يتوهم أحد أننا نتقول عليهم غير ما يقولون .

أولاً : يروي المحدث الشيعي الكبير (الكليني)[1] الذي هو حجتهم ومعتمدهم ومرجعهم في عقيدة الأثني عشرية في أقوالهم وأفعالهم ، والذي كتبه لديهم بمنزلة صحيحي البخاري ومسلم عند عامة أهل السنة يقول : الكليني في كتابه (الكافي في الأصول) رواية عن هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال : (إن القرآن الذي جاء به جبرائيل عليه السلام الى محمد ﷺ سبعة عشر ألف آية)[2] .

ومعنى هذا أن الشيعة فُقِدَ في اعتقادهم ثلثا القرآن الكريم وفي رواية أخرى يرويها الكليني : (أن أبا الحسن موسى (عليه السلام) كتب الى علي بن سويد وهو في السجن : (ولا تلتمس دين من ليس من شيعتك ، ولا تحبّن دينهم ، فإنهم الخائنون ، الذين خانوا الله ورسوله ، وخانوا أماناتهم ، وهل تدري ما خانوا أماناتهم ؟ ائتمنوا على كتاب الله فحرفوه وبدلوه)[3] ا . هـ .

هذه نماذج مما كتبه الكليني عن كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ، ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد .

ثانياً : ما يروى عن صدوق الشيعة (كما يزعمون) ابن بابويه القمي

---

(١) هو محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني البغدادي (أبو جعفر) من فقهاء الشيعة سكن في بغداد ، بباب الكوفة ، وتوفي بها سنة ٣٢٩ هـ من تصانيفه ـ الكافي ويشتمل على ثلاثين كتابا ، العقل وفضل العلم ، والتوحيد ، الحجة ، فضائل القرآن .
انظر معجم المؤلفين / عمر رضا كحاله جـ ١٢ ص ١١٦ .

(٢) انظر الكافي في الأصول (كتاب فضل القرآن) باب النوادر ص ٦٣٤ جـ ٢ (طـ ـ طهران ـ ١٣٨١ هـ) .

(٣) انظر الكافي في الأصول (كتاب الروضة) ص ١٢٥ .

قال : رواية عن ابن الزبير عن جابر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يجيىء يوم القيامة ثلاثة يشكون ـ المِصْحَف ، والمسجد ـ والعترة ـ يقول المصحف يا رب حرقوني ومزقوني)[1] .

ثالثا : من أشد كتاب الشيعة تطرفا ومغالاة في ذلك المدعو ـ مرزا حسين ابن محمد التقي النور الطبرسي ، وهو من أجل علماء الشيعة لديهم ألف كتابا سنة (١٢٩٢ هـ) سماه فصل الخطاب في اثبات تحريف كتاب رب الأرباب[2] . وعندما طبع هذا الكتاب قام بعض زعماء الشيعة باحتجاج على مؤلفه لأنهم كانوا يريدون أن يبقى التشكيك في صحة القرآن محصوراً بين خاصتهم ، ومتفرقا في الكتب المعتبرة لديهم ، وإلا لو كانوا صادقين في انكار ذلك لما قاموا بطبع الكتب وترويجها وهي التي في الحقيقة مصدر لذلك الكتاب الذي كتبه المرزا حسين ، فهو لم يأت بشيء جديد سوى جمع ما تفرق من إثم وباطل في حيز واحد ؛ ولكنهم قالوا إن إصدار مثل هذا الكتاب يكون حجة واضحة ماثلة أمام أنظار الجميع. ثم ألف كتاباً آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب) والكتابين فيهما من السخف ما لم يقل به متعصبوا اليهود والنصارى في عداوة الاسلام ، فقد ذكر في كتابه الأول في الصفحة (١٨٠) منه أن القرآن الموجود في أيدي الناس تنقصه سورة الولاية التي مذكور فيها ولاية علي بن أبي طالب ، وعندما مات هذا الشخص بعد كتابه الأخير بسنتين كافأه عامة الشيعة على هذا المجهود في محاولة اثبات

---

(١) أنظر كتاب (الخصال) لإبن بابويه القمي ص ٨٣ (طـ ايران سنة ١٣٠٢ هـ) .

(٢) يوجد منه نسخة في مكتبة محمد حسين نصيف / جامعة الملك عبد العزيز بجده ـ انظر فهرس مكتبة محمد حسين نصيف بجامعة الرياض قسم المخطوطات وعدد صفحات هذا الكتاب تبلغ ٣٩٨ صفحة ويوجد منه نسخة في الخزانة التيمورية التابعة لدار الكتب المصرية ـ وقد طبع سنة ١٢٩٨ هـ طبع فارس على الحجر .

تحريف القرآن بأن دفنوه في ذلك المكان المقدس لديهم في بناء المشهد العلوي في النجف المشرف لديهم[١] .

وهذا لا يعني أن كل الشيعة الأثني عشرية يقولون بذلك فإنا نجد منهم من ينكر تحريف القرآن الكريم وهذا هو الصواب إن لم يكن تقية من بعضهم ، فإن التقية من مبادئهم وهي تعني اظهار شيء واخفاء ضده ، ولكننا لسنا مكلفين ولا قادرين على معرفة ما تحويه القلوب فنحكم على الظاهر والله يتولى السرائر ، فنجد أن الشيخ الشيعي لطف الله الصافي في كتابه مع الخطيب في خطوطه العريضة ينكر تحريف القرآن الكريم[٢] ، وكذلك ابراهيم الموسوي الزنجاني من كتابهم المعاصرين يذكر في كتابه (عقائد الأئمة الأثني عشرية) ما نصه :

« ولقد اتفقت الامامية الاثني عشرية بكلمة واحدة على أنه لا زيادة في القرآن ، وجزموا بكلمة قاطعة أن الذي بين الدفتين هو القرآن المنزل ، دون زيادة أو نقصان ، واليوم أصبح هذا القول ضرورة من ضرورات الدين ثم يقول : وذكر سيدنا واستاذنا في العلوم العقلية ، آية الله السيد أبو القاسم الخوئي النجفي في تفسيره واصوله ، قوله : وأما دعوى تحريفه ، فانا نمنع وقوعه أولا ، ولم يقل به الا بعض العامة ، وتبعهم نفر من الخاصة الذين لا تحصيل لديهم[٣] .

ومناقشة هذا القول على النحو التالي :

أولاً : إن ما قال به أبو القاسم الخوئي ولطف الله الصافي وابراهيم الموسوي الزنجاني وغيرهم من عدم تحريف القرآن حق لا غبار عليه وشجاعة منهم ومن أمثالهم في قول كلمة الحق في وسط ينكر ذلك ، ولكن

(١) انظر الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الأمامية الأثني عشرية / محب الدين الخطيب ص ٩ - ١٠ .

(٢) انظر كتاب مع الخطيب في خطوطه العريضة ص ٤٨ - ٨٢ .

(٣) انظر عقائد الامامية الاثني عشرية / تأليف / ابراهيم الموسوي الزنجاني ص ١٨٦ .

ثمة تقصير منهم في عدم كشف الحقيقة كاملة حيث أن ما ادعاه لطف الله الصافي من أن الشيعة لا تعتقد بتحريف القرآن وتغييره انكار لا يستند الى دليل .

١ ـ فهو لم يستطع إنكار كتاب ـ الحاج ـ ميرزا حسين بن محمد التقي النوري الطبرسي ـ ولم يبين مرتبته وشأنه عند الشيعة ، بل بالعكس ، قد اعترف بتضلعه في الحديث ، وعلو مقامه عندهم(١) .

٢ ـ لم يتبرأ من الذين قالوا بتحريف القرآن الكريم أمثال الكليني ، وابن بابويه القمي ، وميرزا حسين وغيرهم ، ولم يذكرهم بأسمائهم فهو إما لا يعلمهم وتلك مصيبة ، وإما أن يعلمهم ، ولا يريد ذكرهم وهذه مصيبة أخرى(٢) .

اذا كنت لا تـدري فتلك مصيبـة وإن كنت تـدري فالمصيبـة أعظم

ثانياً : إن ما قاله ابراهيم الموسوي الزنجاني في كتابه المشار اليه آنفا سلك فيه نفس المسلك والطريق الذي سلكه صاحبه لطف الله الصافي من قبل :

١ ـ فهو ادعى الاجماع على عدم القول بتحريف القرآن الكريم وهذا كذب واضح وافتراء مكشوف ، حيث نقض دعوى الإجماع بعد ستة أسطر من كلامه المشار اليه فقال وأما دعوى تحريفه . . .

٢ ـ أنه نسب القول بتحريف القرآن الى بعض العامة أو الخاصة الذين ليس لديهم تحصيل علمي وهذه مغالطة واضحة ، حيث أن الحقيقة تدل على أن الذين قالوا بالتحريف ، هم العلماء المعتمدون لدى الشيعة

---

(١) أنظر الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة / محب الدين الخطيب ص ٩ ـ ١٠ .
(٢) انظر السنة والشيعة / تأليف احسان الهي ظهير ص ٧٨ ـ ٧٩ .

فهل الكليني والطبرسي وابن بابويه القمي والسيد نعمة الله الجزائري وعلي أصغر البرجردي ، وعلي الحائر اللاهوري[1] . من العامة أو من الذين لا تحصيل لهم ؟ واذا كان الأمر كذلك ، فلماذا يرجعون الى مؤلفاتهم وأقوالهم في كل كلمة يتكلمون بها وفي كل فعل ، يفعلونه ويفضلون نقل رواياتهم التي تعمدوا فيها الكذب على رسول الله (ﷺ) ويتركون كلام الله وكلام رسوله الذي لا يأتي عن طريق هؤلاء ، إن الواجب مقاطعة كل ما كتبه هؤلاء من حق أو باطل ، لأن الحق الذي شابه الباطل يوجد في مصادر اخرى نزيها من الباطل ، ولكن الواقع غير ذلك فما من مكتبة أو مدرسة أو بيت إلا وتجد فيها كتب هؤلاء الذين يطعنون في صحة القرآن الكريم وتمامه ، وما تجد مؤلفاً حديثاً أو مقالاً في مجلة من مجلات هؤلاء إلا وترجع في معلوماتها الى من أنكروا تمام القرآن وكماله ، فهذا الكاتب ابراهيم الموسوي الزنجاني ـ والذي يدافع بحرارة عن كمال القرآن وتمامه ـ قد رجع واعتمد في معظم ما كتب على كتاب (الكافي في الأصول) للكليني والى كتاب (الخصال) لإبن بابويه القمي مع قولهما بنقصان القرآن الكريم وتحريفه فالكليني يروي عن جابر الجعفي قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل الا كذاب، وما جمعه وحفظه كما أنزل الا علي بن ابي طالب والأئمة بعده[2] .

ونحن نقول أين هذا الكتاب الذي جمعه علي بن أبي طالب والأئمة بعده قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ! أم أن هذا الكتاب مع المهدي الثاني عشر الذي أصبح خرافة من خرافات التاريخ ! إننا لم نجد حتى من كتاب الشيعة المحدثين والذين يدعون العقلانية والاعتدال من تجرأ على

(١) انظر المصدر السابق ص ١٢١ .
(٢) انظر الكافي في الأصول (كتاب الحجة) باب « انه لم يجمع القرآن كله إلا الأئمة) جـ ١ ص ٢٢٨ (طـ ـ طهران) .

البراءة من أولئك الذين تزخر مؤلفاتهم بدعوى تحريف القرآن الكريم فضلاً عن أن يعلنوا كفرهم وخروجهم من الاسلام وأن يمنعوا كتبهم من التداول ، ويقاطعوا طبعها وشراءها ، وأن يضعوا المؤلفين لها في القائمة السوداء ، بدلاً من مدحهم واطرائهم على رؤوس الأشهاد ، والرجوع الى مؤلفاتهم صباح مساء وهم قد دسوا الكفر والضلال بين طياتها ، فإنه لا ولاء الا ببراء كما يزعمون ذلك في شأن الصحابة (رضي الله عنهم) فعدم براءتهم ممن يقول بنقص القرآن وتحريفه ، دليل واضح على الموافقة والرضى بذلك ، والساكت على المنكر شيطان أخرس فإن كل شيعي يقرأ كتاب الكافي في الأصول للكليني أو يقرأ كتاب الخصال لإبن بابويه القمي أو يقرأ كتاب السيد نعمة الله الجزائري أو غيرها من الكتب التي تنكر تمام القرآن وكماله ثم يعتقد بصحة ذلك يكون قد كفر بما أنزل على محمد (ﷺ) وكذب ما دل عليه القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا** ﴾ فمن أنكر تمام القرآن وكماله أو اعتقد وجود الزيادة والنقص فيه فهو كافر كائناً من كان وحكم موالاته ومعاداته حكم موالاة ومعاداة الكفار سواء بسواء .

(ب) (عقيدة الشيعة الأثني عشرية في الامامة) :

يقول ابراهيم الموسوي الزنجاني (الامامة هي الأصل الرابع في معتقدنا وهي أصل الخلاف بين الشيعة وسائر الطوائف الاسلامية)[١] .

والإمامية يعتقدون أن الإيمان بالامامة والانضواء الى الأئمة ركن سادس من أركان الاسلام ، ولذلك يعدون من ينكر الامامة كافراً وهذا قول أشهر محدثيهم وعلمائهم .

فيروي الكليني عن أبي عبدالله (عليه السلام) أنه قال : (نحن الذين فرض الله طاعتنا ، لا يسع الناس الا معرفتنا ، ولا يعذر الناس

(١) انظر عقائد الامامية الأثني عشرية / ابراهيم الموسوي الزنجاني ص ٣٠٥ .

بجهالتنا من عرفنا ، كان مؤمنا ، ومن أنكرنا كان كافرا ، ومن لم يعرفنا ولم ينكرنا كان ضالاً حتى يرجع الى الهدى الذي افترض الله عليه من طاعتنا الواجبة[1] . فعلى هذا كل من عدا الشيعة الاثني عشرية فهم كفار في نظر الكليني لأنهم لم يؤمنوا ولم يعرفوا الأئمة الأثني عشر الذي يدعي وجوب اتباعهم وكفر من خالفهم .

وقد علل الشيعة الاثنا عشرية ذلك بأن نصب الامام واجب على الله لأنه ألطف بالعباد ، ونحن لا نريد أن نخوض في ذلك الجدل الكلامي والتعللات الواهية حيث يجد القارىء الكريم ذلك مبسوطاً في كتب الفرق التي تناولت ذلك بالتفصيل ولكن نشير الى قولهم هذا بأنه لو تنازلنا فرضا على صحة قولكم فهل يكون اللطف بإمام قائم ظاهر قادر ، يرجى نفعه ويخشى عقابه ، أم يكون اللطف بامام مقهور مستور في سرداب سامرا منذ ثلاثة عشر قرنا كما تعتقدون ؟ فأنتم تعتقدون وجوب موجودين ، لا ترون وجوب وجودهم ، وهذا غاية التناقض والضلال ، لأنه لا سبيل الى معرفة الإمام بنفسه ، فما بالك بمعرفة آوامره ونواهيه وأخباره ؟

وقد شكا أحد رؤساء الشيعة الى المقدسي فساد الخلق ثم قال له وما يصلحهم ، قال المقدسي يصلحهم خروج المهدي، فقال السائل هل لخروجه وقت معلوم ؟ فأجاب نعم : قال متى يكون ؟ قال : اذا فسد الخلق ، فقال السائل وهل تحبسونه عن الخلق وقد فسدوا كلهم غيركم فلو فسدتم لخرج ، فأسرعوا به الينا ، وأطلقوه من سجنه بدخولكم معنا[2] .

وقد غلوا في الأئمة كما غلت النصارى في عيسى بن مريم فرفعوا الأئمة على الرسل والأنبياء ووصل الأمر عند بعض الفرق الى تأليه الأئمة

---

(١) انظر كتاب الحجة من الكافي ـ للكليني جـ ١ ص ١٨٧ (طـ ـ طهران) .

(٢) انظر تبديد الظلام وتنبيه النيام / ابراهيم سليمان الجبهان ص ٣٦٥ . نقلا عن كتاب الاسلام الصحيح للنشاشيبي .

فهذا الكليني كبير محدثي الشيعة يروي في الكافي الذي هو عندهم بمنزلة صحيح البخاري تحت باب (ان الأئمة اذا شاءوا أن يعلموا علموا) ويروى عن جعفر أنه قال : إن الامام اذا شاء أن يعلم علم(١) . وفي رواية مكذوبة على علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) عن المفضل بن عمر عن أبي عبدالله قال : كان أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليه ـ كثيرا ما يقول : أنا قسيم الله بين الجنة والنار . . . ولقد أقرت لي جميع الملائكة والروح والرسل ـ بمثل ما أقروا لمحمد (ﷺ) ولقد حملت مثل حمولته ، وهي حمولة الرب ، وإن رسول الله ﷺ يدعى فيكسي ، وادعى فأكسي . . . ولقد أعطيت خصالاً ما سبقني اليها أحد قبلي ، علمت المنايا والبلايا ، والأنساب وفصل الخطاب، فلم يفتني ما سبقني ، ولم يعزب عني ما غاب عني أبشر بإذن الله ، وأودي عنه(٢) وهذه نماذج وغيض من فيض واذا أردت أن تعرف ذلك مفصلاً فارجع الى كتبهم المشار اليها أو الى الكتب التي كتبت عن ذلك(٣) . ولم يسلم من هذا الأمر حتى المتأخرين والمعاصرين منهم ، رغم محاولتهم الشديدة في الاعتدال والبعد عن الغلو .

فهذا آية الله الخميني وهو من أشهر علمائهم المعاصرين ورئيسهم الحالي يقول عن الأئمة (وإن من ضرورات مذهبنا أن لأئمتنا منزلة لا يبلغها ملك مقرب ولا نبي مرسل)(٤) .

وقد جرهم الغلو في الأئمة والتقديس لهم الى القول بعصمتهم من الخطأ وعدم حصول الذنوب منهم .

يقول : أحد كتابهم المعاصرين (اعتقادنا أن الأئمة معصومون

(١) الكافي في الأصول (باب كتاب الحجة ص ٢٥٨ جـ ١ طـ ـ ايران) .
(٢) الكافي في الأصول ـ باب كتابة الحجة ص ١٩٦ ، ١٩٧ جـ ١ طـ ـ ايران .
(٣) انظر الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الامامية الاثني عشرية ص ٢٥ / محب الدين الخطيب . وانظر الشيعة والسنة / لشيخ الاسلام بن تيمية .
(٤) الحكومة الاسلامية / آية الله الموسوي الخميني ص ٥٢ (طـ ـ ٤) .

ومطهرون من كل دنس ، وأنهم لا يذنبون ذنباً لا صغيـراً ولا كبيراً ولا يعصون الله في شيء مما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون ، ومن نفى عنهم العصمة في شيء من احوالهم ، فقد جهلهم ، ومن جهلهم فهو كافر[1] .

ففي نظر هذا الكاتب كما هو نظر غيره من عامة الشيعة أن جمهور المسلمين الذين لا يقولون بذلك كفار لعدم موافقة هؤلاء على غلوهم وجهلهم في الأئمة وفي عصمتهم ، والصحيح أن الاسلام لا يعطي صفة العصمة لأحد غير رسول الله (ﷺ) فإنه لا يقر على خطأ ، أما ما عداه من الناس فهم مجتهدون يخطئون ويصيبون ، ولو قلنا بتسلسل العصمة لجعلنا من الإسلام دينا كهنوتياً يحتكر فهمه وتفسيره أفراد من الناس والقائلون بعصمة الأئمة يريدون ذلك ، بأن الإمام ، لا يسئل عما يفعل ، ولا يجوز مناقشة الأئمة فيما يعملون ، وأنهم يعلمون الغيب ويعرفون ما صار وما يمكن ان يصير ومتى يموتون ، الى غير ذلك من الصفات الكمالية التي لا تليق إلا بالله عز وجل ، وقد صور هذا المعنى الذي يظهر الغلو في الأئمة الشاعر الفاسق ابن هانىء الأندلسي يخاطب المعز الفاطمي فقال له :

ما شئت لا ما شـاءت الأقـدار فـاحكم فـأنـت الـواحـد القهـار

فمثل هذا الغلو كفر يخرج فاعله عن دائرة الاسلام[2] .

ونجـد التناقض البين فيمـا يعتقدونـه في الأئمة من عصمـة وعدم ارتكابهم أي ذنب من الذنوب ، وبين ما يدعون به من دعاء في مزاراتهم ويروونه عن أئمتهم بأنهم مذنبون مخطئون وهذا تجده في الكتاب الواحد فقد ذكر ابراهيم الزنجاني أن الأئمة لا يذنبون كما تقدم[3] .

ثم ذكر بعد ذلك دعاء يروونه عن الرضا عليه السلام (اللهم أني أبرأ

(١) عقيدة الامامية الأثني عشرية ص ١٥٧ / تأليف / ابراهيم الموسوي الزنجاني .

(٢) انظر المجتمع عدد ٤٧٧ السنة الحادية عشرة في ١٤٠٠/٦/٧ هـ ص ١١ .

(٣) انظر ص ٥٠٩ من هذه الرسالة .

اليك من الذين قالوا فينا ما لم نعلمه في أنفسنا ، اللهم لك الخلق ومنك الأمر ، واياك نعبد واياك نستعين . اللهم أنت خالقنا وخالق آبائنا الأولين اللهم لا تليق الربوبيـة الا بك ، ولا تصلح الإلاهيـة إلا لك ، فـالعن النصارى الذين صغروا عظمتك ، والعن المضاهين لقولهم من برئيتك اللهم أنا عبيدك وأبناء عبيدك ، لا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ، ولا موتاً ولا حياة ، ولا نشورا ، اللهم من زعم أن لنا الخلق ، وعلينا الرزق ، فنحن اليك منه براء كبراءة عيسى بن مريم من النصارى ، اللهم لم ندعهم الى ما يزعمون ، فلا تؤاخذنا بما يقولون ، واغفر لنا ما يزعمون[1] .

فانظر الى الفرق الشاسع والتناقض الواضح بين كتب وكتاب الشيعة أنفسهم وفي الكتاب الواحد غلو الى درجة التقديس ودعاء يشعر بارتكاب الخطايا والذنوب ففي دعاء يروونه عن الحسين أنه قال (فاني لم آتك بعمل صالح قدمته ، أرجو عفوك الذي عدت به على الخطائين ، عند عكوفهم على المحارم)[2] .

وفي دعاء يروونه عن جعفر الصادق قوله أنه قال : (اللهم اني أسألك أن تتجاوز عن سيئاتي وما عندي بحسن ما عندك ، وأن تعطيني من عفوك ما استوجب به كرامتك)[3] .

ثم يقول في موضع آخر من كتابه : (سلام على القائم المهـدي المنتظر وابن الأئمة الهداة الهادي المعصوم وابن الأئمة الهداة المعصومين ثم يقول : السلام عليك يا بن الهداة الحجج المعصومين)[4] ا.هـ .

واذا أردت مزيداً من الأدعية التي تدل على أن الأئمة معصومون وفي

---

(١) انظر عقائد الامامية / ابراهيم الموسوي الزنجاني ص ٣٠١ ، ٣٠٢ . ثم قارن ذلك بما ورد في ص ١٥٧ من الكتاب نفسه تجد التضارب والتناقض .

(٢) مفاتيح الجنان / عباس القمي ص ٤٢ .

(٣) مفاتيح الجنان / عباس القمي ص ٤٣ .

(٤) المصدر السابق ص ١١٦ .

الوقت نفسه مذنبون خطآون آثمون فارجع الى كتاب مفاتيح الجنان، لترى ما فيه من الأدعية المتناقضة التي ما انزل الله بها من سلطان(١) .

ومن المسائل التي انفردت بها الشيعة الامامية الاثنا عشرية مسألة البَدَاء على الله ، ومعنى ذلك أن الله يبدو له علم ما لم يكن يعلم من قبل ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ، وقد قال الكليني فيما يكذبه على جعفر أنه قال : يبعث عبد المطلب أمة وحده ، عليه بهاء الملوك وسيماء الأنبياء ، وذلك أنه أول من قال بالبداء(٢) . وهم بذلك يريدون أن ينزعوا من الله تعالى صفة العلم الكامل . قال تعالى : ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالِم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾(٣) . وقال تعالى : ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً** ﴾(٤) . وقد ذكر النوبختي أن جعفر بن محمد الباقر نص على امامة اسماعيل ابنه وأشار اليه في حياته ، ثم ان اسماعيل مات وهو حي فقال : ما بدا لله في شيء كما بدا له في اسماعيل ابني (٥) .

والقول بالبداء على الله إنما يريد به الزنادقة الذين أسسوا هذا المذهب ، تبرير ما يقولون من كذب وافتراء على الله فهم اذا قالوا بقول أو تكلموا بأمر ، ثم كان الواقع خلاف ذلك قالوا بدا لله أن لا يفعل ذلك . فيخرجون من تبعة الكذب وانكشاف الباطل بهذا العذر الموهم الخداع .

(جـ) (عقيدة الامامية الاثنا عشرية في الرجعة) :

يعتقد الامامية الاثنا عشرية بأن هناك بعثة لبعض الأموات قبل قيام الساعة وذلك عند خروج المهدي المنتظر كما يزعمون .

---

(١) المصدر السابق ص ١٠ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ١١٦ ، ١٩٩ ، ٢٩٨ ، ٥٦٢ .

(٢) انظر الكافي في الأصول (كتاب الحجة) ص ٢٨٣ (جـ ١ طـ الهند) .

(٣) سورة الحشر آية (٢٢) .

(٤) سورة الطلاق آية (١٢) .

(٥) فرق الشيعة للنوبختي ص ٨٤ طـ ـ النجف .

قال الصدوق - أي ابن بابويه القمي - والحق انه الكذوب - اعتقادنا في الرجعة أنها حق . وهي تختص بمن محض الايمان ومحض الكفر والباقون سكوت عنهم[1] والرجعة عبارة عن حشرة قوم وبعثهم عند قيام القائم محمد ابن الحسن العسكري ، فيبعث أناس ممن تقدم موتهم من أوليائه وشيعته ، ليفوزوا بثواب نصرته ، ومعونته ، ويبتهجوا بظهور دولته وقوم من أعدائه يبعثون لينتقم منهم ، وينالوا بعض ما يستحقونه من العذاب والقتل على أيدي شيعته وليبتلوا بالذل والخزي بما يشاهدونه من علو كلمته[2] . ويستدلون على ذلك بآيات من القرآن الكريم يؤلونها حسب مزاعمهم الباطلة منها ما يأتي :

١ - قوله تعالى : ﴿ **ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا** ﴾[3] فيقولون ان هذه الآية تدل على أن هذا الحشر خاص ببعض دون بعض فيتعين أن يكون غير الحشر الأكبر .

٢ - قوله تعالى : ﴿ **إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد** ﴾[4] . فيروون عن الصادق في تفسيرها أنه قال : لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتى يجتمع رسول الله ﷺ وعلي فيلتقيان بالثوية - وهو موضع بالكوفة - في مسجد له اثنا عشر ألف باب[5] .

٣ - قوله تعالى : ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون** ﴾ فالعذاب الأدنى عذاب الرجعة عندهم والعذاب الأكبر عذاب القيامة .

وعلى هذا المنوال من التأويلات الباطلة والأقوال المنحرفة التي لا

---

(١) انظر عقائد الامامية الأثني عشرية / ابراهيم الموسوي الزنجاني ص ٢٢٨ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٩ .

(٣) سورة النمل آية (٨٣) .

(٤) سورة القصص آية (٨٥) .

(٥) انظر عقائد الامامية الأثني عشرية ص ٢٢٩ .

تحتمل الآيات معناها ولا تدل عليها بمقتضاها ، والتي لا تدل عليها اللغة العربية الفصحى ، ولا عجب في ذلك فقد وصفوا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بالدابة في قوله تعالى : ﴿ **واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون** ﴾[1] .

قال الطبرسي في تفسيره ، قال رجل لعمار بن ياسر يا أبا اليقظان آية في كتاب الله أفسدت قلبي . قال عمار وأية آية هي ؟ فقال هذه الآية : ﴿واذا وقع القول عليهم ﴾ الآية . . . قال عمار والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتى أريكها ، فجاء عمار مع الرجل الى أمير المؤمنين (رضي الله عنه) وهو يأكل تمراً وزبداً فقال يا أبا اليقظان هلمّ فجلس عمار يأكل معه فتعجب الرجل منه فلما قام عمار قال الرجل سبحان الله حلفت أن لا تأكل ولا تشرب حتى ترينيها قال عمار أريتكها إن كنت تعقل (يقصد علي بن أبي طالب) وروي عن العياش هذه القصة بعينها[2] . ويرون الرجعة أصلا من اصول عقيدتهم وأن الايمان بها كالأيمان بالصراط والميزان[3] .

فيروون عن جابر الجعفي عن أبي عبدالله قال : اذا قام قائم آل محمد ضرب فساطيط يعلم فيها القرآن على ما أنزل ، فيقول محب الدين الخطيب معلقاً على ذلك ، لماذا لم يفعل ذلك جده علي بن أبي طالب مدة ولايته الخلافة ؟ فهل حفيده الثاني عشر أوفى منه للقرآن والاسلام[4] .

ولا شك أن مثل هذه الأقوال ما هي الا تخيلات وهمية ونوع من أحلام اليقظة ، يتلذذ بها هؤلاء لتخفيف ما نزل بهم من بأس وقنوط ، وإلا فإن مثل هذه القضية ليست من السهولة أن تخفى على صحابة رسول الله

---

(١) سورة النمل آية (٨٢) .

(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن / أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي م ٥ ص ٢٥١ .

(٣) عقائد الامامية الاثني عشرية / ابراهيم الموسوي الزنجاني ص ٢٣٨ ـ ٢٤١ .

(٤) انظر الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الأثني عشرية . محب الدين الخطيب ص ٢٥ .

ﷺ أو أن لا يوضحها الرسول ﷺ توضيحا جليا فلم ينقل عن الله ولا عن رسوله ولا عن صحابته ولا عن التابعين أن هناك بعث قبل بعث يوم القيامة ،ومن نسب شيء الى الرسول (ﷺ) وهو لم يثبت عنه فهو من أهل النار إن كان متعمداً ذلك قال رسول الله ﷺ : « من كذب عليّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار »(١) .

(د) (موقف الشيعة الإمامية الاثني عشرية من الصحابة) :

إن الشيعة عامة والأثني عشرية خاصة وقفوا من صحابة رسول الله ﷺ موقف الافراط والتفريط فغلوا في جانب من الصحابة الى درجة رفعهم فوق الملائكة والرسل ، وتدنوا تدنياً مقذعاً في حق عامة الصحابة وخاصة الخلفاء الثلاثة الى درجة لم يبلغها الحاقدون من اليهود والنصارى وحتى يتبين لك ذلك نذكر نماذج من التقديس والاستغاثة التي لا تصح الا لله عز وجل فمن أدعيتهم عند زيارة المهدي المنتظر هذا الدعاء الذي يعتبر شركاً أكبر حيث يقولون في دعائهم (يا محمد يا علي يا علي يا محمد اكفياني فانكما كافيان ، يا محمد يا علي يا علي يا محمد انصراني فانكما ناصراي ، يا محمد يا علي يا علي يا محمد احفظاني فإنكما حافظاي ، يا مولاي يا صاحب الزمان ـ يكرر ذلك ثلاث مرات ـ الغوث الغوث الغوث ، أدركني أدركني ادركني ، الأمان الأمان الأمان)(٢) .

وفي الجانب الآخر نجد أن عامة كتب الشيعة الأثني عشرية تزخر بسب أصحاب الرسول ﷺ وقد تعبدوا بتأليف اللعنات الملتهبة وخصوا بها آكابر الخلفاء وعامة الصحابة ، وهم يعتقدون كفر كبار الصحابة وخاصة الخلفاء الثلاثة وكفر من والاهم في جميع العصور ، والنقل في كتبهم لا يحصره كتاب ، ولا يحويه مجلد وهذه نماذج مما يقولون في حق صحابة

---

(١) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٠ .

(٢) انظر مفاتيح الجنان / عباس القمي ص ٤٦ .

رسول الله ﷺ فمن الأدعية التي يرددونها عند زيارة الحسين في يوم عاشوراء من كل عام ما نصه (اللهم خصّ أنت أول ظالم باللعن مني وابدأ به أولا ثم العن الثاني والثالث والرابع ، اللهم العن زيداً خامساً والعن عبيدالله بن زياد وابن مرجانة وعمر بن سعد وشمرا وآل أبي سفيان وآل زياد ، وآل مروان الى يوم القيامة)[1] .

وقد روى الكليني عمدة الشيعة ومرجعهم أن المراد بقوله تعالى : **﴿ إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا ﴾**[2] .

قال : نزلت في فلان[3] وقد بين شارح الكافي أن المراد من فلان وفلان وفلان ، أبو بكر وعمر وعثمان[4] . ولذلك يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (رحمه الله) لقد فضلت اليهود والنصارى على الرافضة من الشيعة بخصلة - حيث سئلت اليهود من خير أهل ملتكم قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم قالوا: حوارى عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم قالوا أصحاب محمد (ﷺ) أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم[5] . ا . هـ .

وقد ذكر النوبختي وهو من العلماء المؤرخين لفرق الشيعة أن أول من أظهر الطعن في أبي بكر وعمر وعثمان ، هو عبدالله بن سبأ ومنذ ذلك اليوم الى عصرنا الحاضر والشيعة متمسكون بهذه العقيدة المنحرفة ، لأنهم يرون

---

(١) مفاتيح الجنان / تأليف عباس القمي ص ٤٥٨ .
(٢) سورة النساء آية (١٣٧) .
(٣) انظر الكافي في الأصول (كتاب الحجة ص ٤٢٠ جـ ١ طـ ايران .
(٤) انظر الصافي في شرح الكافي - عند شرحه لهذه الآية باللغة الفارسية (طـ - ايران) .
(٥) منهاج السنة النبوية جـ ١ ص ٨ .

أن من لا يبغض خلفاء رسول الله ﷺ ووزراءه الثلاثة ومحبيه . ولا يطعن فيهم فليس بشيعي[1] .

والشيعة ليس كلهم يقدمون على هذا المبدأ عن عناد ، وقصد ، وكره للاسلام والمسلمين ، ولكن ذلك كان من قلة من الزنادقة السابقين ، الذين تبنوا هذه الأفكار ، وروجوها بين الناس ، ثم سار على طريقهم من أتى بعدهم تبعية عمياء قال تعالى : في شأن الذين يقلدون غيرهم بلا وعي أو بصيرة : ﴿ **انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مقتدون** ﴾[2] . فهم يزعمون ذلك وإن كان الواقع أنهم مخطئون ، فكثير منهم مجتهدون صادقون مخلصون في حب الاسلام والعمل به ، ولكنهم مخطئون للطريق الحق في كثير من مسائل الايمان ، ومثلهم في ذلك كمثل ما رُوي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه مر براهب في صومعته ، فنودي بالراهب وقيل له : هذا أمير المؤمنين ، فاطلع فإذا به انسان به من الضر والاجتهاد وترك الدنيا الشيء الكثير ، فلما رآه عمر بكى فقيل له انه نصراني ، فقال عمر : قد علمت. ولكني رحمته ، ذكرت قول الله تعالى : ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية** ﴾[3] فرحمت نصبه واجتهاده وهو في النار[4] . وحال أولئك الذين يقفون من صحابة رسول الله ﷺ مثل هذا الموقف كحال من قال الله فيهم ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين اعمالا ، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** ﴾[5] وإلا فكيف يستسيغ مسلم يدعي الاسلام بحق أن يسب صحابة رسول الله ﷺ الذين قال الله فيهم : ﴿ **لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين**

---

(١) الشيعة والسنة / احسان الهي ظهير ص ٣٢ .
(٢) سورة الزخرف آية (٢٣) .
(٣) سورة الغاشية آية (٢ ، ٣ ، ٤) .
(٤) كنز العمال جـ ١ ص ١٧٥ .
(٥) سورة الكهف آية (١٠٤) .

اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم أنه بهم رؤوف رحيم ﴾[1] وقال تعالى في حقهم : **﴿ لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريبا ﴾**[2] ، وقال تعالى : **﴿ والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا ذلك الفوز العظيم ﴾**[3] وقد سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) عن قوله تعالى : **﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ﴾**[4] . من هم المؤمنون الذين أمر الله باتباع سبيلهم ؟ فإن قلتم هم أصحاب رسول الله ﷺ فأي الفريقين ؟ هل هم علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وأولاده ومن معه ؟ أم هم معاوية بن أبي سفيان ؟ أم هم طلحة والزبير وغيرهم ؟ . فأجاب بقوله : نتولى الجميع ونكف عما شجر بينهم ، وندعو لهم بالمغفرة كما أمرنا الله بذلك[5] . بقوله : **﴿ والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم ﴾**[6] ا. هـ .

وقد ورد في صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال : « لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه »[7] . وقد روى أبو نعيم في الحلية عن زيد بن وهب أن سويد بن

---

(١) سورة التوبة آية (١١٧) .
(٢) سورة الفتح آية (١٨) .
(٣) سورة التوبة آية (١٠٠) .
(٤) سورة النساء آية (١١٥) .
(٥) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٣٨ .
(٦) سورة الحشر آية (١٠) .
(٧) انظر فتح الباري جـ ٧ ص ٢١ .

غفلة دخل على علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في إمارته فقال : يا أمير المؤمنين : اني مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر (رضي الله عنهما) بغير الذي هما له أهل ، فنهض فرقى المنبر فقال : والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لا يحبهما الا مؤمن فاضل ولا يبغضهما الا شقي مارق ، فحبهما قربة وبغضهما مروق ، ما بال أقوام يذكرون أخوي رسول الله ﷺ ووزيريه وصاحبيه وسيدي قريش وأبوي المسلمين ؟ فأنا بريء ممن يذكرهما بسوء وعليه معاقب[1] .

وما أحسن ما قال عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) عندما سئل عما وقع بين الصحابة من قتال فقال (تلك دماء طهر الله يدي منها أفلا أطهر لساني من الكلام فيها)[2] ا . هـ .

وقد سئل الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب (رحمهما الله) هل من سب الصحابة يكفر أو يفسق وما هو الدليل على ذلك ؟ فأجاب فسقه لا خلاف فيه لقوله عليه الصلاة والسلام : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر »[3] ولقوله ﷺ : « لا يرمي رجل رجلاً بالفسق أو الكفر إلا ارتد عليه ، إن لم يكن صاحبه كذلك »[4] . وأما الكفر فقد اختلف العلماء فيه على قولين :

القول الأول : أن من سب الصحابة فحكمه الكفر للحديث المتقدم ولقوله تعالى : ﴿ **ليغيظ بهم الكفار** ﴾[5] . فلا يغتاظ من الصحابة إلا كافر

---

(١) انظر منتخب كنز العمال على هامش مسند الامام احمد جـ ٤ ص ٤٤٣ - ٤٤٤ .
(٢) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ١٢٠ .
(٣) رواه البخاري ومسلم . انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ٢ ص ١٠٧٣ رقم الحديث (١٥٦١) .
(٤) رواه البخاري. انظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٤٦٤ (كتاب الأدب) .
(٥) سورة الفتح آية (٢٩) .

وهذا القول يـروى عن الامام مـالك[1] وشيـخ الاسلام ابن تيميـة ومن وافقهم[2] .

القول الثاني : قول جماعة ترى عدم تكفير من سب الصحابة (رضي الله عنهم) ولكنها ترى أن من فعل ذلك مرتكب لذنب كبير)[3] .

وقد توقف الامام أحمد (رحمه الله) في مسألة تكفير وقتل من سب الصحابة ، أما التعزير والتأديب بما دون القتل فلا خلاف فيه بين أهل السنة والجماعة[4] .

وقد حكم أحد القضاة المالكية بقتل أحد الروافض الذي سب أبا بكر وعمر وعثمان علناً ، فقد روى ابن كثير أنه حصل في يوم الاثنين السادس عشر من جمادي الأولى من عام (٧٥٥ هـ) أن جاء رجل من الروافض بجامع دمشق ، فاعتزل المصلين ثم لعن أبا بكر وعمر وعثمان ، ومعاوية ويزيد فأعاد ذلك مرتين ، فأمر بـه الحاكم الى السجن ، ثم استحضـره المالكي وجلده بالسياط وهو مع ذلك يصرخ بالسب واللعن ، ثم لما كان يوم الخميس التاسع عشر من شهر جمادي الأولى من تلك السنة عُقِدَ له مجلس قضاء وحضره القضاة الأربعة ، فحكم نائب المالكي بقتله ، فأُخذ سريعاً فضربت عنقه تحت القلعة ، وحرقه العامة وطافوا برأسه ونادوا عليه هذا جزاء من يسب أصحاب رسول الله ﷺ[5] ا . هـ .

ومما تقدم يتضح لنا بجلاء أن الخلاف بين أهـل السنة والشيعـة الامامية الاثني عشرية خلاف في مسائل اصولية تمس أصل الاسلام وذلك في مثل قولهم في القرآن الكريم وهجرهم للأحاديث الصحيحة في البخاري

---

(١) انظر الدرر السنية جـ ٨ ص ١٦٤ ، ص ٢٣٤ .
(٢) انظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٢١٤ .
(٣) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل / ابن حزم جـ ٤ ص ١٩ .
(٤) انظر الدرر السنية جـ ٨ ص ١٦٤ ، ٢٣٤ .
(٥) أنظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٤ ص ٢٥٠ .

ومسلم واعتمادهم على أحاديث مكذوبة على علي بن أبي طالب وأولاده واعتقادهم الإمامة والعصمة والرجعة وغلوهم في بعض الصحابة الى مرتبة التقديس وبغضهم لآخرين الى درجة وصفهم بالكفر واطلاق أوصاف عليهم يمجها كل صاحب عقل سليم وفهم مستقيم ، وبعد هذا التيه في أعماق الضلال والانحراف يتقدم بعض علماء الشيعة بطرح فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ، وكأن الخلاف بينهم على قطعة أرض يمكن ان يصطلحا عليها في التقسيم ، مع أن الخلاف بين الشيعة والسنة هو خلاف بين الكفر والاسلام فالعقل والمنطق يدل على أن أحدهما على حق والآخر على باطل والمصالحة الحقيقية هي أن يتنازل صاحب الباطل للأخذ بقول صاحب الحق ، أما أن يترك صاحب الحق بعض الحق الذي معه ويترك صاحب الباطل بعض الباطل الذي معه ، فهذا لا يكون إلا ضلال للطرفين ، ولا يمكن أن يلتقي أهل السنة مع الشيعة إلا اذا تركت الشيعة اعتقادها في القرآن الكريم بالنقص والزيادة وتراجعت عن غلوها في الأئمة والعصمة وقولها بالرجعة ، ولعن أبي بكر وعمر وعثمان وبقية الصحابة أجمعين وتركت البراءة من كل من ليس شيعيا منذ وفاة رسول الله ﷺ الى أن يرث الله الأرض وما عليها ، وحتى يتبرأ عامة الشيعة من غلوهم في أهل البيت والاستغاثة بهم ، وتعليق الرجاء بهم من دون الله ، وتعظيم قبورهم ومزاراتهم أكثر من تعظيم المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى ، فإن لم تترك الشيعة هذا البغي على الاسلام وعقيدته وتاريخه فإنها سوف تبقى منفردة معزولة بأصولها المخالفة لاصول الاسلام منبوذة من جميع المسلمين ، معاداة من كل مسلم غيور على إسلامه ، وفيّ لله ورسوله وأصحابه ، فخلاف الشيعة مع أهل السنة الذين هم أهل الاسلام الصحيح اما أن يكون في مسألة توجب كفر المخالف وفي هذه الحال يعامل المخالف من الشيعة معاملة الكفار سواء بسواء من حيث الموالاة والمعاداة كما سيأتي توضيح ذلك في الباب الرابع بإذنه تعالى . وإما أن يكون الخلاف في مسألة توجب فسق المخالف وعصيانه ، وفي هذه الحال يعامل

المخالف معاملة أهل الفسق والعصيان من حيث الموالاة والمعاداة ، وقد تقدم تفصيل ذلك .

والله من وراء القصد وهو الهادي الى سواء السبيل .

المبحث الثالث

موالاة ومعاداة الطائفة النصيرية

إن هذه الطائفة تعتبر من أضل الفرق الباطنية، وأعظمها انحرافاً وشذوذاً وهي فرقة غير مسلمة كما سيتضح لك ذلك بالدليل والبرهان سواء في مجال اعتقادها أو في مجال أعمالها فهي تتظاهر بإسم الإسلام مع أنها من أشد أعدائه عبر التاريخ، والنصيرية تدعي أنها علوية من شيعة علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ولذلك تسموا أخيراً بهذا الإسم تعمية وتغطية على تاريخهم الأسود ولكنَّ كثيراً من كتاب الشيعة، ينكرون ويتبرأون من الفرقة النصيرية ويصفونها بالكفر وعدم دخولها في الإسلام[1].

وسنتناول هذه الفرقة بالدراسة والنظر على النحو التالي: ـ

١ ـ نشأتها.

٢ ـ عقيدتها.

٣ ـ تعاونها مع أعداء الإسلام.

---

(١) انظر كتاب العلويون أو النصيريون/ تأليف عبد الحسين بن مهدي العسكري ص ٢٤.

٤ ـ حكمها في الإسلام وعند علماء المسلمين.

٥ ـ حكم موالاتها ومناصرتها في الإسلام.

أ ـ نشأة الفرقة النصيرية:

تمتد جذور الفرقة النصيرية إلى (ميمون القداح الديصاني) وهو يهودي فارسي كان ذا ميول شعوبية ترمي إلى هدم الإسلام وإعادة النفوذ إلى الفرس وكان يشتغل بمهنة طب العيون واستخراج الماء منها وتحت هذا الغطاء استقر بالشام للدعوة إلى المذهب الذي عرف فيما بعد بالمذهب الإسماعيلي حيث تفرعت عنه الفرق الباطنية الأثيمة وقد خلفه بعد موته ابنه عبد الله الذي أقام بسلمية من قرى حماة في بلاد الشام، ثم خلفه ابنه أحمد حتى ظهور عبيد الله المهدي مؤسس الدولة الفاطمية ويذهب بعض المؤرخين إلى أن عبيد الله المهدي من نسل رجل يهودي كان يعمل حداداً بسلمية ولما مات أبوه تزوجت أمه أحد الأثرياء العلويين فلما بلغ ادعى لنفسه نسباً علوياً[١]، والنصيرية تنسب إلى (أبي شعيب محمد بن نصير النميري) عاش في القرن الثالث الهجري (ت ـ ٢٧٠ هـ) وعاصر ثلاثة من أئمة الشيعة الأثني عشرية وهم ـ علي الهادي (٢١٤ ـ ٢٥٤ هـ) والحسن العكسري (٢٣٠ ـ ٢٦٠ هـ) ومحمد المهدي (٢٥٥ هـ) وزعم ابن نصير أنه الباب الثاني إلى الإمام الحسن و (الحجة) من بعده، فتبعه طائفة من الشيعة سموا بـ (النصيرية) ولكن ابن نصير لم يكتف بذلك، وإنما ادعى النبوة والرسالة ونسب الأئمة إلى الألوهية[٢]. والنصيرية: هو الإسم الديني والتاريخي لهذه الفرقة، وقد قيل أن النصيرية تنسب إلى نصير غلام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وقد استدل أصحاب هذا القول في الرد على

---

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسي/ د: احمد شلبي، جـ٣ ص١٩٢ ـ ١٩٦.

(٢) المصدر السابق نفس المكان. وانظر العلويين أو النصيرية/ عبد الحسين بن مهدي العسكري ص ٧ ـ ٩.

القول الأول بأن النصيرية معروفة قبل القرن الثالث الهجري حيث أن أول من عرف من مؤلفيها هو المفضّل الجُعفِي المتوفى سنة (١٨٠ هـ) وعلى هذا فتسمية هذه الطائفة بهذا الإسم راجع إلى إسم أحد هذين الشخصين وإن كان اشتهارها بهذا الإسم يُرجح بأنه عائد إلى (محمد بن نصير النميري) وذلك للأسباب التالية: -

١ - إن المصادر التي ذكرت النسبة إلى (ابن نصير) لا تعني (نصيراً) وإلا كانت ابن زائدة.

٢ - إن نصيراً غلام علي بن أبي طالب هذا لم يعثر له ذكر في كتب التراجم أو كتب التاريخ.

٣ - إن كتب الفرق القديمة لا تذكر طائفة بإسم النصيرية، مما يدل على أن هذه الطائفة ليست من الطوائف الموغلة في القدم. ولكن الذي أميل إليه أن هذه الطائفة موجودة قبل أن تشتهر بالنصيرية حيث كانت تسمى قديماً بالخطابية نسبة إلى أبي الخطاب المجوسي الذي يمت بصلة القربى لأحد الكهان اليهود في البصرة وذلك حوالي سنة (١٤٣ هـ) ثم سميت بعد ذلك بالنميرية نسبة إلى محمد بن نصير النميري، وقد ذكر ابن طاهر البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق، فرقة النميرية مع فرقة أخرى هي الشريعية[١]، وذكر الشهرستاني النصيرية في كتابه «الملل والنحل» مع طائفة أخرى هي الإسحاقية[٢]، والذي يظهر لي أن الناس صاروا يطلقون عليها إسمين في وقت واحد فمنهم من يسميها بالنميرية نسبة إلى النميري ومنهم من يسميها بالنصيرية نسبة إلى ابن نصير وكلا الإسمين لمسمى واحد واشتهرت بعد ذلك بالنصيرية، وإن كان هذا

---

(١) انظر الفرق بين الفرق/ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ٢٥٥.

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستاني حاشية الفصل في الملل والنحل/ابن حزم جـ٢ ص ١٥ - ٢٤ وانظر مجلة الاعتصام عدد (٩) سنة (٤٢) رمضان (١٣٩٩) ص ٢٢ - ٢٦.

الإسم هو في مراحل الطمس النهائية في وقتنا الحاضر ليحل محله المسمى الجديد (العلويون)[1].

والطائفة النصيرية طائفة قليلة تسكن الشمال وبعض أجزاء من غرب سوريا وهي لا تمثل سوى ٨٪ من سكان البلاد، وللنصيرية أسماء محلية يعرفون بها في أماكن سكناهم مثل: «التختجية» و«الخطابون» في غرب الأناضول ويمكن أن يكون هؤلاء من بقايا الخطابية، فتكون الخطابية أما أصل فرقة النصيرية أو قسماً منها وهناك تشابه كبير بين أصول عقيدة الخطابية وبين عقيدة النصيرية كما أن هناك تعاطفاً كبيراً حتى يومنا الحاضر بين النصيرية بالشام و(الخطابون) أو (الحطابون) في تركيا[2]. والنصيريون كما هي عادتهم يغيرون أسماء مذهبهم كلما تلطخ إسم من أسمائهم بجرائمهم التي لن ينساه التاريخ ويظنون أنهم بهذا التغيير يسدلون الستار على ما مضى من تاريخهم الأسود، وأنهم يواجهون الناس بالإسم الجديد بتاريخ ناصع جميل والدليل على ذلك أنه بعد الإحتلال الفرنسي لسوريا وضعت هذه الطائفة يدها بيد المستعمر، ووجد فيها الفرنسيون خير معين لهم نظراً لما تنطوي عليه نفوس أهل هذه الطائفة من حقد دفين على الإسلام والمسلمين فأراد الفرنسيون بالتآمر مع هذه الطائفة أن يغيروا إسمها وأن يطلقوا عليها إسم (العلويين) لتأليههم لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وذلك إمعان في الحقد من المستعمر الفرنسي الذي أراد أن يخدع أهل سوريا بأن هناك من المسلمين من يتعاون معه بإخلاص ووفاء وأراد المستعمر بهذه التسمية أن يخفف ويخفي آثار هذه الطائفة القذرة، وأن يخلص الطائفة النصيرية مما علق تاريخياً بإسمها من ذم شنيع وكفر بواح

---

(١) انظر تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين/ تأليف فيليب حتي، جـ٢ ص١٤٣ ـ ١٤٤. وانظر الفتاوي/ لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٦١.

وانظر الفرق بين الفرق/ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ٢٥٥.

(٢) أنظر تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين/ فيليب حتي جـ٢، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

فأطلقوا عليهم إسم (العلويين) كي تفتح هذه التسمية لهم آفاقاً جديدة مع أعداء الإسلام وجهلة المسلمين وقد ارتاحوا لهذه التسمية حيث ستفتح لهم مجالاً أرحب في التقارب مع الشيعة، ولتلقي الدعم والتأييد منهم[١].

والنصيرية يدعون أنهم شيعة إثنا عشرية وأن ابن نصير كان (الباب) إلى الإمام الحادي عشر ووارث علمه والمرجع للشيعة من بعده، وأن صفة المرجعية والبابية بقيت معه بعد غيبة الإمام الثاني عشر[٢].

ولكن أحد كتاب الشيعة المعاصرين المدعو/ عبد الحسين بن مهدي العسكري/ يكفرهم ويتبرأ منهم[٣]. كما تبرأ منهم قدماء الشيعة حيث يقول عنهم سعد بن عبد الله القمي (ت ٣٠١ هـ) في كتابه المقالات والفرق ما نصه:

«وقد شذت فرقة من القائلين بإمامة علي بن محمد» في حياته فقالت بنبوة رجل يقال له (محمد بن نصير النميري) كان يدَّعي أنه نبي رسول وأن علي بن محمد العسكري أرسله وكان يقول بتناسخ الأرواح، ويغلو في أبي الحسن، ويقول فيه بالربوبية، ويدعو إلى إباحة نكاح ذوات المحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم لبعض[٤]. وقد ذم هذا المبدأ عامة علماء الشيعة ومؤرخوهم، ومن ذلك يتضح عدم صحة دعوى النصيرية بأنهم شيعة، أو أنهم داخلون تحت مسمى الفرق الإسلامية ويذكر الأشعري في كتابه مقالات الإسلاميين أن النصيرية مثل واضح للجماعة التي انتقلت من

---

(١) انظر العلويين والنصيرية عبد الحسين العسكري ص ٧ ـ ٩ وانظر تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين/ تأليف فيليب حتي جـ ٢، ص ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) انظر تاريخ العلويين/ تأليف النصيري/ محمد أمين الطويل ص ٢٠٢.

(٣) انظر العلويون أو النصيرية/ عبد الحسين بن مهدي العسكري ص ٢٤.

(٤) أنظر المقالات والفرق سعد بن عبد الله القمي. ص ١٠٠ ـ ١٠١.
وانظر فرق الشيعة/ تأليف الحسن بن موسى النوبختي ص ٤١، ٧٨.
وانظر الفرق بين الفرق/ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ص ٢٥٢.

الوثنية إلى دعوة التشيع بلا علم ولا فهم، حيث يتحدث أهل السنة الذين يجاورون النصيرية أن النصيرية لا تزال تمارس بعض الطقوس النصرانية كالاحتفال بالأعياد النصرانية مثل عيد الميلاد، وعيد الفصح، ويعتبرونها من الأعياد الكبرى، كما أن بعضهم يحمل أسماء نصرانية مثل، متى ويوحنا وهيلانه، بالإضافة إلى المباديء التي اقتبستها النصيرية من النصرانية، فإن عقيدة الطائفة النصيرية تحتفظ بقسط من الأسرار كما هو الشأن عند النصارى، وكما أن النصارى يرمزون إلى عقيدتهم بثلاثة هي (الله - الابن - روح القدس) فكذلك النصيرية يرمزون إلى عقيدتهم بثلاث حروف هي (ع، م، س) حيث يقولون أن الله حل في ثلاثة هم علي، ومحمد، وسلمان الفارسي[1].

وصلتهم بالمجوسي لم تنقطع، فهم يحتفلون بعيد النيروز وهو عيد فارسي يحتفل به في أول الربيع ويزعم بعضهم أنه اليوم الذي خلق فيه النور، وهو أشبه بالعشاء الرباني عند النصارى والنصيرية يحتفلون به باعتباره من أعيادهم المقدسة وأعيادهم تبلغ عشرة أعياد خلال السنة الواحدة[2].

وقد بقيت هذه الفئة الخبيثة محتفظة بحقدها وعدائها للإسلام والمسلمين حتى يومنا الحاضر فهي كالأمراض الخبيثة عندما تجد مقاومة ومضادات حيوية تقبع داخل الجسم وعندما تحين الفرصة لها تخرج إلى السطح، وكان من متأخري دعاتها وقادتها سلمان بن مرشد بن يونس: علوي متأله من النصيرية من قرية (جوبه برغال شرقي اللاذقية بسوريا تلقب بالرب - وقد بدأت حركته سنة ١٩٢٠ م وسجن سنة (١٩٢٣ م) ونفي

---

(١) انظر مقالات الإسلاميين للأشعري جـ ١، ص ١٠٢، ١٠٥. وانظر تاريخ الإسلام السياسي. د/ حسن ابراهيم جـ ٤، ص ٢٦٥ - ٢٦٧.

(٢) انظر صبح الأعشى جـ ٢ ص ٤٠٩ وانظر مجموع الأعياد والدلالات في الأخبار المبهرات لميمون بن القاسم الطبراني المشهور (بأبي سعيد) حدث به في طرابلس سنة (٣٩٨ هـ).

إلى الرقة حتى سنة (١٩٢٥ م) وعاد من منفاه فتزعم طائفة النصيرية في تأليه علي بن أبي طالب والقول بالحلول، وكانت الثورة أيام عودته قائمة على الفرنسيين وانتهت بتأليف حكومة وطنية لها شيء من الاستقلال الداخلي فتآمر معه الفرنسيون واستخدموه كعميل من الدرجة الأولى وجعلوا للبلاد النصيرية نظاماً خاصاً فقويت شوكته وشوكة أتباعه، وتلقب برئيس الشعب العلوي الحيدري الغساني، وقد عَيَّن سنة (١٩٣٨ م) قضاة وفدائيين وفرض الضرائب على المدن والقرى التابعة له، وأصدر قراراً جاء فيه: نظراً للتعديات من الحكومة الوطنية والشعب السني فقد شكلت لدفع هذا الإعتداء جيشاً لحماية الشعب العلوي، وقد جعل لمن أسماهم الفدائيين ألبسة عسكرية خاصة بهم، وكان يزور دمشق نائباً عن العلويين في المجلس النيابي السوري فلما تحررت سوريا إسمياً، وجلا عنها الفرنسيون ترك المستعمر سلاحه وقوته في يد هذا العميل الخائن، مما أغراه بالعصيان والتمرد، فجردت حكومة سوريا في ذلك الوقت قوة كبيرة بمساعي المرحوم عادل العظمة، فتكت بهذا المتأله وببعض أتباعه واعتقلته مع آخرين من جنده ثم قتل شنقاً في دمشق سنة (١٣٦٦ هـ - ١٩٤٦ م)[١].

ولأمين حداد كتاب في سيرته سماه (مدعي الألوهية في القرن العشرين) ومنذ عام (١٩٤٩ م) أي منذ انقلاب حسني الزعيم الذي دبرته المخابرات الأمريكية والخطر النصيري يتزايد ويتعاظم مستتراً خلف أقنعة خفية، فقام النصيري «زكي الأرسوزي» والنصراني الصليبي اليوناني «ميشيل عفلق» وكلا الرجلين من ألد أعداء الإسلام، وقد جعلا من حزب البعث مباءة لتجميع أبناء الأقليات غير الإسلامية، والتي تبطن أحقاداً ضد الإسلام والمسلمين مثل - النصيرين، والنصارى، والدروز، والإسماعيلية[٢]. أما أهم

---

(١) انظر الاعلام للزركلي جـ ٣ ص ١٧٠.
(٢) الإخوان المسلمون والمؤامرة على سوريا/ تأليف جابر رزق ص ٢٥ - ١١١.

السنة، فلم ينتم منهم إلى هذا الحزب إلا قلة ضعيفة غافلة ساذجة ممسوخة أمثال أمين الحافظ وصلاح البيطار وقد تخلص النصيريون منهم فيما بعد.

ب ـ عقيدة الطائفة النصيرية:

يعتقد غلاة الطائفة النصيرية وخاصتهم أن علياً هو الإله، ولذلك أطلق عليهم اسم العلويين منذ الانتداب الفرنسي[1]. وهم يزعمون أن الله حلَّ في علي وأن علياً كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض، وقد قال ابن نصير بربوبية أبي الحسن العسكري، وزعم لنفسه أنه نبي ورسول بعثه أبو الحسن، وقد اعتقد أتباعه من بعده أن الله حل فيه كذلك[2].

والنصيرية من أشد الفرق إيغالاً في التأويلات الباطنية من سائر فرق الغلاة، فقد كان ابن نصير يقول «بإباحة المحارم ويحلل نكاح الرجال بعضهم لبعض، ويزعم أن ذلك من التواضع والتذلل، من المفعول به والفاعل، وأن ذلك إحدى الشهوات والطيبات، وإن الله لم يحرم شيئاً من ذلك[3]. ومن أجل ذلك اتفقت الشيعة الإثنا عشرية مع أهل السنة في عدم اعتبار النصيرية من الفرق الإسلامية، ويعتبرونها خارجة عن الإسلام ويصفونها بالزندقة والكفر، لأن عقيدتها واعتقادها يدل على ذلك، وعليه فإن النصيرية وإن نسبوا إلى الفرق الإسلامية وانتسبوا إليها، لا يعدون من المسلمين، ولا يعاملون معاملة المسلمين[4].

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين للأشعري جـ ١ ص ١٠٢، ١٠٥. وانظر تاريخ الاسلام السياسي. د/ حسن ابراهيم جـ ٤ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧.

(٢) انظر الفصل في الملل والأهواء والنحل/ حاشية الشهرستاني جـ ٢، ص ٢٤ وانظر تاريخ الإسلام السياسي د/ حسن ابراهيم جـ ٤ ص ٢٦٥ ـ ٢٦٧. وانظر مقالات الاسلاميين للأشعري جـ ١ ص ٨٢. وانظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين فخر الدين الرازي ص ٨٢.

(٣) انظر المقالات والفرق تأليف/ سعد بن عبد الله القمي ص ١٠٠.

(٤) انظر العلويين أو النصيرية/ عبد الحسين مهدي العسكري ص ٧ ـ ٩. وانظر الفتاوي/ لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٦١ ـ ١٦٢.

وقد ذكر الدكتور/ منير موسى مشابك - وهو شيوعي من نصارى الشام - في رسالته الجامعية أن النصيرية في الأصل كانوا نصارى، وقد دخلوا في الإسلام إسماً لا حقيقة، وقد أكد ذلك بعض الباحثين، ويقوي هذا الرأي أن النصيرية لا يزالون يحتفظون ببعض التقاليد والطقوس والاعتقادات النصرانية[1].

ويذكر حمزة بن علي (ت ٤٢٢ هـ) وهو من أشهر أئمة الدروز في رسالة له سماها (الدامغة في الرد على الفاسق النصيري)[2]. ما يلي: - أنه ورد إليّ كتاب ألفه أحد النصيرية الكافرين المشركين... سماه كتاب (الحقائق وكشف المحجوب) فمن قبل كتابه عبد ابليس واعتقد التناسخ وحلل الفروج واستحل الكذب والبهتان[3]. فكتبت هذه الرسالة رداً على ما ألفه هذا الفاسق النصيري[4]. الذي يقول: بأن جميع ما حُرِّم من القتل والسرقة والكذب والبهتان والزنا واللياطة فهو مطلق للعارف والعارفة[5]. ومما قاله في كتابه بأنه يجب على المؤمنة أن لا تمنع فرجها أخاها، وأن تبذله له مباحاً حيث يشاء، وإن المجامعة الظاهرة تزيد في الدين، وأن الدين لا يتم إلا بهذا[6]. ومما قاله أن المشركين هم النواصب الذين يشركون بين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي[7]، ثم يروي حمزة بن علي عن هذا النصيري أنه عدَّ إبليس وهامان والشيطان، هم - أبو بكر التيمي، وعمر العدوي، وعثمان الأموي[8]. وهذا يوضح لنا بجلاء عقيدة النصيرية في صحابة رسول

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسي. د/ حسن ابراهيم جـ ٤ ص ٢٦٥ - ٢٦٧.
(٢) انظر هذه الرسالة في مجموعة رسائل الدروز مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٩٨٢) تأليف/ حمد بن علي الدرزي الرسالة الأولى.
(٣) المصدر السابق الورقة الأولى ص ٢.
(٤) المصدر السابق الورقة الثانية ص ٣.
(٥) المصدر السابق الورقة الثالثة ص ٦.
(٦) المصدر السابق الورقة الرابعة والخامسة ص ٨ - ٩.
(٧) المصدر السابق الورقة الحادية عشرة ص ٢٢.
(٨) انظر هذه الرسالة في مجموعة رسائل الدروز مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات =

الله ﷺ. وقد بذلت الإرساليات النصرانية جهوداً مضنية في سبيل الحصول على معرفة أسرار العقيدة النصيرية، والوقوف على تعالميها، وقد أفلح أحد المستشرقين الأمريكيين، في إقناع أحد أبناء شيوخ الطائفة النصيرية ويدعى (سليمان الأطنه وى)(١) بالكشف عن أسرار ديانة الفرقة النصيرية فألف كتاباً سماه «الباكورة السليمانية». فقام الأمريكيون بطبعة في بيروت سنة (١٨٦٣ م) وأهم ما جاء في الكتاب مما يتعلق بعقائدهم ما يلي(٢):

١ ـ أن النصيرية علويون يعتقدون بألوهية الإمام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهم قسمان: ـ
الشمالية منهم يقولون أنه حال في القمر، وهم الذين يسكنون الساحل في لواء اللاذقية، والكلازية وهم الذين يسكنون الجبال إلى أنه حال في الشمس ولذلك فالنصيرية عموماً يقدسون الشمس والقمر وسائر النجوم ومن السّمات المميزة بين الشمالية والكلازية أن الشمالية يعفون اللحى بخلاف الكلازية فإنهم يحلقونها.

٢ ـ يعتقد النصيرية بتناسخ الأرواح، فالأرواح الصالحة عندهم تحل في النجوم ولهذا يسمون علياً (أمير النحل) أي أمير النجوم، والأرواح

= برقم (٩٨٢) تأليف/ حمد بن علي الدرزي الرسالة الأولى ـ الورقة الثالثة عشرة ص ٢٦.
وانظر الفتاوي/ ابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٦١ ـ ١٦٢.

(١) هو سليمان الأطنه وي، وفي بعض المصادر (سليمان الأدنى) الأنطاكي من علماء النصيرية ولد في أنطاكية سنة (١٢٥٠ هـ ـ ١٨٣٤ م) وألف الباكورة السليمانية، وكان يقيم في جنوب تركيا ثم ارسل إليه بعض قراباته في سوريا رسائل استعطاف واستلطاف كي يزورهم، وعندما استجاب لهم وزارهم، قاموا بإحراقه بالنار جزاء ما أفشي من أسرارهم، وأظهر من خيانتهم.
انظر معجم المؤلفين/ عمر رضا كحاله جـ ٤ ص ٢٥٦.
وانظر معجم المطبوعات، سركيس ص ١٠٤١.

(٢) انظر دائرة معارف القرن العشرين جـ ١٠ ص ٢٤٩ ـ ٢٥٠.
وانظر العقيدة والشريعة ص ٢٢٠ ـ ٢٢٣ تأليف/ أجناس جولد تسيهر.
وانظر تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين د/ فيليب حتي جـ ٢ ص ٢٢٠، ٢٢١. ترجمة د/ كمال اليازجي.

الشريرة تحل في أجسام الحيوانات التي هي في نظرهم نجسة كالخنازير، والقرود، وبنات آوى.

٣ ـ إن كلمة السر عندهم ثلاثة أحرف وهي: ع، م، س، أي علي محمد، سلمان.

٤ ـ إن للنصيرية كتاباً مقدساً يعتمدونه ويرجعون إليه وهو غير القرآن الكريم ولا يحتل القرآن عندهم إلا مكاناً ثانوياً.

٥ ـ يتضح من ذلك الكتاب أن العقيدة النصيرية غير متجانسة، فهي وثنية قديمة، ورواسب من تعاليم النصرانية، وآراء مغلفة بغشاء من تعاليم ومذاهب غلاة الشيعة واعتقاداتهم الباطلة.

ومن كتبهم المعتبرة ـ كتاب تعليم الديانة النصيرية، وهذا الكتاب يوجد منه مخطوطة في المكتبة الأهلية بباريس برقم (٦١٨٢) وقد حلله بالألمانية القس الدكتور/ فولف (WOLF) من روتفيل (ROTTWEIL) في ألمانيا بمقال له في (ZDMG) جـ٣ سنة (١٨٤٩م) ص ٣٠٢ ـ ص ٣٠٩ وهو على طريقة السؤال والجواب ويتألف من (١٠١) سؤال وجواب ونحن نورد نماذج من هذه الأسئلة والأجوبة ليتبين لكل ذي عينين كفر هؤلاء وخروجهم عن الإسلام.

س ١ من الذي خلقنا؟

جـ علي بن أبي طالب: أمير المؤمنين.

س ٣ من الذي دعانا إلى معرفة ربنا؟

جـ محمد كما قال هو في خطبته التي ختمها بقوله: (أنه ـ أي علي ـ ربي وربكم.

س ٧٦ما «القداس»؟

جـ تقديس الخمر التي تشرب على صحة النقباء أو النجباء.

س ٧٩ما سر الله الأعظم؟

جـ هو سر الجسد والدم، الذي قال عنه يسوع: (هذا جسدي وهذا دمي فكلوا منهما تظفروا بالحياة الدائمة.

س١٠٠ ما هي أسماء أشخاص الصلاة، وساعتها المفروضة؟

جـ أول وقت للصلاة المفروضة هو الظهر، وصلاة الظهر تتألف من (٨) ركعات والوقت الثاني هو العصر، ويتألف من أربع ركعات والوقت الثالث صلاة المغرب وتتألف من خمس ركعات والرابعة صلاة العشاء وتتألف من أربع ركعات والخامسة صلاة الفجر وتتألف من ركعتين.

فانظر كيف غيروا عدد الركعات في صلاة الظهر والمغرب فالظهر زادوها من أربع إلى ثمان ركعات والمغرب من ثلاث إلى خمس والزيادة في الدين كالنقصان منه، وهذه نماذج من كفر هؤلاء وتبديلهم في شعائر الإسلام[1].

والنصيرية لم تتورع عن القول: (إن علم الباطن مختص بالعلويين وأن الأحكام الإسلامية لم تكن ظاهرة كما يظن البعض[2].

وللنصيرية قسم يقسمونه على كتمان دينهم ومشائخهم، وعلى أن لا ينصح أحد منهم لمسلم ولا غيره إلا من كان على مذهبه وعندهم أن النصيري لا يصير نصيرياً مؤمناً يجالسونه ويشربون معه الخمر ويطلعونه على أسرارهم ويزوجونه من نسائهم حتى يقسم بهذا القسم: (إني وحق العلي الأعلى، وما أعتقده في المظهر الأسنى، وحق النور وما نشأ منه، والسحاب

---

(١) انظر مذاهب الاسلاميين للأشعري جـ ٢ ص ٤٧٤ ـ ٤٨٧ د/ عبد الرحمن بدوي، وانظر- العلويون أو النصيرية ص ٨٢ ـ ٩٦ تأليف عبد الحسين مهدي العسكري.

(٢) انظر تاريخ العلويين/ تأليف/ محمد أمين غالب الطويل وهو علوي نصيري من المحدثين ص ١٩٦ ـ ١٩٩ وانظر ص ٤٨١.

وساكنه، وإلا برئت من مولاي (علي) العلي العظيم، وولائي له، ومظاهر الحق، وكشفت حجاب سلمان بغير إذنه، وبرئت من دعوة الحجة (ابن نصير) وخضت مع الخائضين في لعن ابن ملجم، وكفرت بالخطاب ـ (أي الديانة والدعوة) ـ وأذعت السر المصون وأنكرت دعـوى أهل الحق وإلا قلعت أصل شجرة العنب من الأرض بيدي حتى أجتث أصولها، وأمنع سبيلها، وكنت مع قابيل وهابيل ومع النمروذ على إبراهيم، وهكذا مع كل فرعون قام على صاحبه إلى أن ألقى العلي العظيم، وهو علي ساخط، وأبرأ من قول قنبر وأقول أنه بالنار ما تطهر[١]).

وهذا القسم إذا حللناه وجدناه كما يلي: ـ

١ ـ إن علي ابن أبي طالب (رضي الله عنه) يلقب بلقب العلي العظيم وهما من أسماء الله تعالى.

٢ ـ إن سلمان الفارسي هو صاحب الحجاب أي الباب الذي يفضي إلى العلم والحكمة وأسرار الباطن وباطن الأسرار.

جـ ـ تعاون النصيريين مع أعداء الإسلام:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (إن النصيريين كانوا دائماً مع أعداء الإسلام على المسلمين، فهم مع النصارى على المسلمين، فقد ساعدوا الصليبيين ضد المسلمين، وكانوا مع التتار ضد المسلمين، فقد كان ابن العلقمي وزيراً لهولاكو خان التتري، وكان نصيراً لدين الطوسي أيضاً من خاصته، وهو من غلاة الرافضة الموالين للنصيرية[٢]. ا. هـ

ويقول الشيخ محمـد أبو زهـرة: (إن النصيريـة من الطوائف التي

(١) العلويون أو النصيرية/ تأليف عبد الحسين مهدي العسكري ص ٣.
(٢) انظر الفتاوي لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٥٢ وانظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٣ ص ٢٠١.

انخلعت من الإسلام، وقد كانوا أثناء الهجمة الصليبية على العالم الإسلامي خير معين للصليبيين على المسلمين، وعندما استولى الصليبيون على بعض البلاد الإسلامية قربوهم، وأدنوهم وجعلوا لهم مكاناً مرموقاً عندهم، وكانوا موالين للتتار ضد المسلمين أثناء غزو التتار لبلاد الشام[1]. ا. هـ

وفي سنة سبع عشرة وسبعمائة من الهجرة خرجت الفرقة النصيرية عن الطاعة للولاة المسلمين بزعامة رجل منهم سموه محمد بن الحسن المهدي (القائم بأمر الله)، وتارة يطلقون عليه أنه (علي بن أبي طالب) وأنه فاطر السموات والأرض ـ تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً ـ وتارة يدعى أنه محمد بن عبد الله صاحب البلاد، وخرج يكفر المسلمين، ويستبيح دماءهم وأموالهم وشنَّ هو وعصابته هجمة شرسة على مدينة (حبلة) فدخلوها وقتلوا أهلها ونهبوا ما فيها، وخرجوا منها يقولون: (لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان) وسبوا الشيخين، وأمر أصحابه بهدم المساجد واتخاذها خمارات، وكانوا يقولون لمن أسروه من المسلمين: (قل لا إله إلا علي، واسجد لإلّهك المهدي الذي يحيي ويميت، حتى يحقن دمك ويكتب لك بذلك). وقد ارتكبوا جرائم لا تعد ولا تحصى، وقد أمر المستكفي بالله في حربهم ثم جهز لملاقاتهم عساكر وخلقاً كثيراً، فهزمهم المسلمون وقتلوا منهم خلقاً كثيراً وقتل مدعي الألوهية وقائدهم إلى الضلال[2]. وقد سار منهم الخلف على طريقة سلفهم الضال وقد أشرنا إلى أنه ظهر منهم أيام الاحتلال الفرنسي نصيري يدعى الألوهية واسمه (سلمان المرشد) وقد تعاون مع الفرنسيين إلى أبعد الحدود[3]. وقد قتل بعد تحرير سوريا من الفرنسيين إسمياً.

---

(١) أنظر المذاهب الإسلامية/ تأليف محمد أبو زهرة ص ٩٤ ـ ٩٦.

وانظر النكبات/ أمين الريحاني ص ١٤٢ وانظر مختصر الفتاوي المصرية ابن تيمية/ محمد بن علي الحنبلي ص ٤٧٤.

(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٤ ص ٨٣ ـ ٨٤.

(٣) انظر ص ٥٢٧، ٥٢٨ من هذه الرسالة.

د ـ «حكم الطائفة النصيرية في الإسلام وعند المسلمين»:

حكم الطائفة النصيرية في الإسلام أنها طائفة كافرة خارجة عن الدين الإسلامي كما يتضح من عقيدتها في تأليه علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) واستباحتها للمحرمات، واعتقادها لتناسخ الأرواح وسب صحابة رسول الله ﷺ وتكفيرهم إلى غير ذلك مما سبق بيانه في عقيدتها مما يتعارض مع الإسلام جملة وتفصيلا.

أما ما قاله علماء المسلمين فيهم فهو ما يلي: ـ

١ ـ يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): إن هؤلاء القوم المسمون بالنصيرية هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى بل وأكفر من كثير من المشركين، وضررهم على أمة محمد ﷺ أعظم من ضرر الكفار المحاربين مثل كفار التتار والفرنج وغيرهم، فإن هؤلاء يتظاهرون عند جهال المسلمين بالتشيع، وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله، ولا بكتابه، ولا بأمر ولا نهي، ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار، ولا بأحد من المرسلين قبل محمد ﷺ، ولا يدينون بملة من الملل، سوى عبادة الملذات واستباحة الشهوات[١]. ا. هـ وقال عنهم الإمام الغزالي[٢]:

---

(١) أنظر الفتاوي/ لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٤٩.

(٢) هو محمد بن محمد بن محمد بن احمد الطوسي الشافعي والمعروف بالغزالي (زين الدين حجة الاسلام، أبو حامد) حكيم متكلم، فقيه، أصولي، صوفي، مشارك في أنواع من العلوم، ولد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان سنة (٤٥٠ هـ) ثم ارتحل في طلب العلم إلى أبي نصر الاسماعيلي بجرجان، ثم إلى امام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور، ثم تولى التدريس بنظامية بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياحة، فخرج إلى الحجاز فحج، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر سنين، ثم سار إلى القدس، والاسكندرية ثم عاد إلى وطنه بطوس وتوفي بالطابران سنة (٥٠٥ هـ) من تصانيفه: إحياء علوم الدين الحصن الحصين في التجريد والتوحيد، تهافت الفلاسفة، الوجيز في فروع الفقه الشافعي، المستصفى في أصول الفقه. انظر معجم المؤلفين/ عمر رضا كحاله جـ ١١ ص ٢٦٦.

(إن النصيريين مرتدون في الدم والمال والنكاح والذبيحة والواجب قتالهم، حتى يسلموا، أو يهلكوا)[1]. ا. هـ فهم ليسوا مسلمين، ولا يهود، ولا نصارى، فعلى المسلم الذي يمر بهم أن لا يأكل من ذبائحهم نظراً لأنهم بمثابة عبدة الأوثان[2].

وليست هذه النظرة وهذا الحكم بحق هذه الطائفة مما تفرد به أهل السنة والجماعة، بل إن الفرقة الأخرى كالشيعة الإمامية والدروز والنصارى قد أطلقوا الكفر على هذه الفرقة كما هو موجود في كتبهم: -

١ - يقول عبد الحسين مهدي العسكري، أن النصيرية وإن نسبوا إلى المسلمين لا يعدون من المسلمين، ولا يعاملون معاملة المسلمين[3].

٢ - ويقول حمزة بن علي، وهو أشهر أئمة الدروز، أن النصيرية ممثلة في كاتبها النصيري كفار مشركون، ليس لهم بغية غير الفساد في الدين[4].

٣ - ويقول الدكتور/ منير موسى مشابك، وهو نصراني شيوعي: أن النصيرية دخلوا في الإسلام اسماً لا حقيقة[5].

ولذلك فإنه ليس لإلحادهم حد محدود، فحتى أركان الإسلام يؤلونها تأويلات باطنية، فيقولون أن الصلوات الخمس معرفة أسماء أئمتهم الخمسة وهم: علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، والصيام كتمان أسرارهم والحج زيارة شيوخهم إلى غير ذلك من التخرصات والأوهام[6]. التي ما أنزل الله بها من سلطان، فكيف يعتقد إنسان بعد ذلك أن هذه الفرقة وأصحابها داخلون في مسمى الإسلام.

---

(١) انظر المختار الاسلامي عدد (١٦) السنة الثانية ١٥/ ١١/ ١٤٠٠ هـ ص ٣٩.
(٢) انظر الفتاوي/ لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٦١.
(٣) انظر العلويين أو النصيرية ص ٨.
(٤) انظر مجموعة رسائل الدروز مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات ص ٦.
(٥) انظر تاريخ الإسلام السياسي، د/ حسن ابراهيم جـ ٤ ص ٢٦٦.
(٦) انظر الفتاوي/ لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٥٢.

هـ ـ حكم موالاة الطائفة النصيرية في الإسلام:

سبق أن تقرر بما لا يدع مجالاً للشك أن الطائفة النصيرية طائفة كافرة وإن كل من انتسب إليها وأيدها ظاهراً أو باطناً فحكمه حكمها لأن مناصرة الكافر وتأييده في حرب الإسلام والمسلمين كفر قال تعالى: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[1] وهذه الطائفة كما هو معروف في تاريخها قد تتقنع بأقنعة كثيرة، فيسمون أنفسهم بالعلويين تارة، والنصيرين تارة أخرى ولكن تغيير الأسماء لا يغير حقيقة المسمى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): وقد اتفق علماء المسلمين على أن هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم، لأنهم أشبه حالاً بأهل الأوثان، ولا يصلي على من مات منهم ولا يجوز استخدامهم في أعمال المسلمين، فإنهم من أغشى الناس للمسلمين ثم يقول ولا ريب أن جهادهم، وإقامة الحد عليهم من أعظم الطاعات وأكبر الواجبات، وهو أفضل من جهاد من لا يقاتل المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، فإن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصديق (رضي الله عنه) وسائر الصحابة بدؤوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب، حيث أن جهاد هؤلاء حفظ لما فتح من بلاد المسلمين التي يريد هؤلاء أن تكون مرتدة عن الإسلام ويجب على كل مسلم أن يقوم بذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب[2].

فهم أشدّ على المسلمين من اليهود والنصارى كما هو حاصل في وقتنا الحاضر، بل هم يقدمون أعظم الخدمات لليهود والنصارى في إراقة دماء المسلمين.

---

(١) سورة المائدة آية (٥١).

(٢) أنظر الفتاوي/لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٥٥ ـ ٦١.

وانظر مختصر الفتاوي المصرية/ لابن تيمية/ مجمع محمد بن علي الحنبلي ص ٤٧٦ ـ ٤٧٨.

وقد أحكموا عقد الأخوة بينهم
وبين النصارى واليهود الموارق
وقد أحكم الله العداوة بيننا
وبين ذوي الكفران أهل الشقاشق
ونحن براء من ذوي الكفر جملة
فلسنا وإياهم بحكم التوافق(١)

وعلى هذا فالطائفة النصيرية طائفة كافرة محاربة للإسلام والمسلمين فيجب على المسلمين معاداتها ويحرم عليهم موالاتها، فمن تولاهم أو نصرهم فهو منهم. قال تعالى: **﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**(٢).

إلا من تاب منهم وأناب إلى الحق ودخل في الإسلام الصحيح فهو من المسلمين ويستحق أخوة الإسلام وموالاة المسلمين لأن الإسلام يجب ما قبله، والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) ديوان: عقود الجواهر المنضدة الحسان/ سليمان بن سحمان ص ٩٩.
(٢) سورة المائدة آية (٥١).

المبحث الرابع

موالاة ومعاداة الدروز

الدروز جماعة من الناس يقدر عددهم ما بين (١٥٠ - ٢٠٠) ألف نسمة تقريباً يعيشون في لبنان وسوريا وفلسطين، وأصلهم الجنسي غامض ويعتقد بعض المؤرخين أن الدروز من بقايا الشعوب القديمة، احتموا بالجبال أيام الفتوحات الإسلامية، واحتفظوا على الدوام بقدر من الإستقلال، وهم بصفة عامة لا يتمسكون بعقيدتهم إلا قليلاً: فهم مسلمون مع المسلمين، ونصارى مع النصارى، ويهود مع اليهود، وليس لديهم أماكن للعبادة خاصة بهم[1]. وعقيدة الدروز أول ما ظهرت كطائفة مستقلة على يد: حمزة بن علي بن أحمد، رأس الطريقة الدرزية، ومصنف أهم رسائلهم التي غدت من الكتب المقدسة عندهم، ولا يعرف عن حياة هذا الشخص إلا القليل، ويقول النويري[2]: (إنه من زوزن في بلاد

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٩ ص ٢١٤ - ٢١٧.

(٢) يوجد بهذا الاسم أكثر من أربعة علماء ولم يتبين لي من المقصود منهم: انظر معجم المؤلفين جـ ١٥ ص ٢٩٦.

فارس)[1]. ا.هـ والظاهر أن الدروز من فرق الإسماعيلية القديمة ولكنهم برزوا كطائفة جديدة عندما قال زعيمهم حمزة بن علي بألوهية الحاكم بأمر الله سنة (٤٠٨ هـ) ويقول الدكتور/ محمد كامل حسين: إن المؤرخين يذكرون ثلاثة من الدعاة الكبار الذين أسسوا هذا المذهب وهم: -

١ - الحسن الفرغاني - المعروف بالأخرم، قتل بعد أيام قليلة من ظهور الدعوة في تألية الحاكم بأمر الله قتله رجل من المسلمين السنة سنة (٤٠٨ هـ).

٢ - حمزة بن علي بن أحمد الزوزني ويعرف باللباد وهو فارسي الأصل من زوزن بين نيسابور وهرات.

٣ - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الدرزي - يعرف بأنوشتكين أو نوشتكين وكان من أتباع حمزة بن علي بن أحمد ولكنه خرج عليه وأراد أن يستأثر بالرياسة، فأسرع بالكشف عن المذهب ولم يستمع إلى النصائح التي أسداها حمزة بالتريث وعدم الخروج على طاعته[2]. ا. هـ

وقد أعلن محمد بن إسماعيل الدرزي ألوهية الحاكم بأمر الله في الجامع الأزهر بالقاهرة، فلما ثار عليه الناس وقصدوا قتله، أظهر الحاكم براءته منه، وفي نفس الوقت حماه، حتى توفي سنة (٤١٠ هـ) وقيل إنه قتل بإتفاق بين الحاكم وحمزة بن علي بن أحمد ليخلو المكان لدعوة حمزة دون منازع[3].

والدروز يهاجمون محمد بن إسماعيل الدرزي رغم أنهم ينسبون إليه. ويقف حمزة بن علي من نشتكين الدّرزي والبرذعي وأصحابهما موقف العداء، ويصف حمزة بن علي نشتكين الدرزي بالجهل حيث يقول: إن

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٨ ص ١٠٣.

(٢) انظر عقيدة الدروز عرض ونقض/ محمد احمد الخطيب ص ٥٦.

(٣) المصدر السابق نفس المكان.

الذي تطلبه أنت من الكشف ليس لك عليه قدرة، ولا بفعله طاقة، ثم يقول: (لأن الروح هو العلم الحقيقي وأنت صفر اليدين منه، فإن كنت تدعي الإيمان، فأقر لي بالإمامة كما أقررت لي في الأول، حتى تخاطب أصحاب الزبور من زبورهم، وأصحاب التوراة من توراتهم، وأصحاب القرآن والتنزيل، وأصحاب الباطن من نفس التأويل، وأصحاب المنطق من الآفاق والأفلاك، والدلائل العقلية ومن أنفسهم حتى يتبين لكل واحد منهم عوار ما في يده من دينه)[1].

وعقيدة الدروز شبيهة بعقيدة النصيرية حيث تضم أخلاطاً من التأويلات الباطنية، فهو يدعي - أي حمزة بن علي - أن له صلة بالله على طريقة تعبير النصارى فيقول: (ورسلي واصلة بالرسائل والوثائق إلى الحضرة اللاهوتية، التي لا تخفى عنها خافية لا في السراء ولا في العلانية، ثم يدَّعي أنه أصغى للإمام الذي يؤلهه فيقول: (كتب في شهر شعبان الثاني من سنة عبد مولانا جل ذكره وصفيه حمزة بن علي بن أحمد[2]. ثم يرى تأليه الحاكم بأمر الله حيث ردد كلمة مولانا جل ذكره في كل رسالة من رسائله عشرات المرات، وخلع عليه جميع الصفات المتعلقة بالله، وفي رسالته السادسة المعنونة بعنوان: (نسخة سجل المجتبى) قال فيها ما يلي: (من عبد مولانا ومملوكه حمزة بن علي بن أحمد هادي المستجيبين المنتقم من المشركين والمنافقين والناكثين بسيف مولانا أمير المؤمنين جلّ ذكره وشد سلطانه وحده، لا نستعين بغيره، ولا ترجى رحمة أحد سواه[3]).

وفي الرسالة الثانية والعشرين ادعاء للألوهية، وبصفة التقدير والتدبير وهذيان بالكفر الواضح وإظهار للحقد المرير الذي يكنه هذا الضال المضل

---

(١) انظر الرسالة الثانية من مجموعة رسائل الدروز/ حمزة بن علي ص ٤٥ - ٤٧. مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٩٨٢).

(٢) المصدر السابق الرسالة الخامسة (الصحبة الكاينة الورقة (٤، ٥) من المخطوطة.

(٣) المصدر السابق الرسالة السادسة الورقة (٢).

لكل الأديان والشرائع السماوية، حيث يقول: (الحمد لله الذي أبدعني من نوره، وأيدني بروح قدسه، وخصني بعلمه، وفوض إليّ أمره وأطلعني على مكنون سره، فأنا أصل مبدعاته، وصاحب سره وأماناته، المخصوص بعلمه وبركاته، أنا صراطه المستقيم، وبأمره حكيم عليم أنا الطور، والكتاب المسطور، والبيت المعمور، أنا صاحب البعث والنشور، النافخ بإذن المولى سبحانه في الصور، أنا إمام المتقين، والعلم المبين، ولسان المؤمنين وسند الموحدين، أنا صاحب الرجفة، وعلى يدي تكون النعم المترادفة أنا ناسخ الشرائع ومهلك أهل الشرك والبدائع، أنا مهدم القبلتين، ومبيد الشريعتين، ومدحض الشهادتين أنا مسيح الأمم، ومني أفاضة النعم، وعلى يدي يحل بأهل الشرك النقم، أنا النار الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، أنا قائم الزمان، وصاحب البرهان والهادي إلى طاعة الرحمان[1]. إلى آخر هذا السخف وذلك الهذيان الذي لا يصدر عن شخص سَوِيّ إلى أن يقول: (واشكروني على نعمي واعرفوني حق معرفتي، فأنا القائم فيكم بأمر المؤيد بروح قدسه، وأعرفوا منزلتي من حدودي ودعائي[2]. ا. هـ

ومعنى قوله أنا مهدم القبلتين يقصد قبلة بيت المقدس، وقبلة الكعبة وأما قوله مبيد الشريعتين فيقصد الشريعة الظاهرة التي عليها المسلمون والشريعة الباطنة التي يقول بها الباطنية من الإسماعيلية وغيرهم. وقوله مدحض الشهادتين، أي مبدل شريعة الإسلام ومبتدع شريعة مكانها.

وينقسم الدروز إلى قسمين: -

١ - (العُقَّال) وهم فقهاء الدروز، وعلماؤهم حيث يشتركون دون سواهم في الجلسات الدينية التي تعقد كل ليلة جمعة، ويعرف مكان الاجتماع بالخلوة ويصبح خير العقال (أجاود).

---

(١) انظر الرسالة الثانية من مجموعة رسائل الدروز/ حمزة بن علي ص - الورقة (٢١ - ٤).

(٢) انظر مجموعة الدروز الرسالة الثانية والعشرون الورقة (٤) مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٩٨٢).

ولهما رئيسان دينيان يسميان بشيخي العقال، والعقال يتميزون بملبسهم إذ يتعممون بعمامة بيضاء إسطوانية ويلبسون قباء وعباءة لونها أزرق غامق، ويجب أن يتصف العقال بصفات مختلفة عن صفات الجهال فيلزمهم شيء من الزهد والعفة، والفضيلة، والنسك.

٢ ـ أما الجهال فهم سائر أبناء الطائفة الدرزية وهؤلاء لا يجوز لهم قراءة رسائل الدروز، ولا القرآن الكريم، ولكن يجوز لهم مطالعة بعض الشروح للرسائل الدرزية، والجهال وإن كانوا مطالبين بالفضائل والصدق إلا أنه يتسامح معهم في كثير من الأمور المحرمة على العقال ولهم لباس خاص بهم.

ومن العقائد الشائعة عند الدروز عقيدة تناسخ الأرواح فخيار الناس تتقمص أرواحهم المواليد، أما شرارهم فتتقمص أرواحهم أجسام الكلاب[١].

ويعتقد الدروز بوجود إمام مهدي لهم كما يعتقد الشيعة الإثنا عشرية ولذلك كتب حمزة بن علي رسالة بهذا الموضوع ذكر فيها (وإلى من شك في وليد قائم الزمان عليه)[٢]. وقال في موضع آخر (بلغني ما أصابكم من الضعف في أديانكم والشك في صاحب زمانكم)[٣]. ثم يدعي الإمامة لنفسه حيث يقول (والإمام عبد مولانا جل ذكره ومملوكه حمزة بن علي بن احمد ـ هادي المستجيبين المنتقم من المشركين[٤]).

وعقيدة الدروز في صحابة رسول الله ﷺ والتابعين له بإحسان لا

---

(١) انظر عقيدة الدروز عرض ونقص محمد احمد الخطيب ص ٢٣٨ ـ ٢٤٠.
وانظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٩ ص ٢١٧.

(٢) انظر مجموعة رسائل الدروز الرسالة الثانية/ حمزة بن علي ص ٢٩.
من المخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (٩٨٢).

(٣) المصدر السابق ص ٣٢، ٣٣.

(٤) المصدر نفسه ص ٣٧.

تخرج عن نظرة أهل الفرق الباطنية فيذكر حمزة بن علي أصحاب رسول الله ﷺ بالوصف والإسم فيقول: (إن النواصب يأتون في إذن كل واحد منهم علاقتان من الحديد) ثم يقول إنهم يهود أمة محمد، وتارة يقول: هم المشركون وهم نصارى أمة محمد[1]. ثم يقول حسب زعمه الباطل أنه يؤتى (بأبي بكر وعمر وعثمان) فيقال لهم عُلِمتم فعلمتم ثم غلبتم صاحب الأمر وتشبهتم بأوليائه وادعيتم ما ليس لكم بحق[2]. ثم يتناول التابعين من الفقهاء والمحدثين فيقول: (وقد اعتقد المسلمون في كثير من العلماء الإمامة مثل الشافعي وأبي حنيفة ومالك وسفيان الثوري وغيرهم مما يطول به الشرح، وإنما قالوا أنهم أئمة حيث بقولهم يحرمون الحرام ويحللون الحلال، واقتدوا بهم فوقع عليهم إسم الإمامة، فهؤلاء الذين ذكرتهم كل واحد منهم إمام لمن يطيعه ويتبعه، ويقبل منه..، فقاتلوهم بقلوبكم وتبرأوا مما يعتقدونه في مولانا جل ذكره[3]. ا.هـ

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عن الدروز فأجاب قائلاً:

كفر هؤلاء لا يختلف فيه المسلمون بل من شك في كفرهم فهو كافر مثلهم، بل هم أضل من اليهود والنصارى والمشركين، فلا يباح أكل طعامهم، ولا تنكح نساؤهم، ويجوز أن تسبى أموالهم ونساؤهم، لأنهم زنادقة مرتدون يقتلون أين ما ثقفوا، ولا يجوز استخدامهم عند مسلم ويجب قتل علمائهم لئلا يضلوا غيرهم وتحرم، مجالستهم إلا لمذكر وداع لهم إلى الإسلام، ويحرم على ولاة الأمر من المسلمين الاستعانة بهم، أو إقرارهم على ما هم عليه[4]. ا.هـ

(١) المصدر السابق ص ٤٩ ـ ٥٠.
(٢) المصدر السابق ص ٥٧ـ
(٣) المصدر السابق الرسالة الثالثة ص ٦٧.
(٤) انظر الفتاوي/ لابن تيمية جـ ٣٥ ص ١٦٢. وانظر عقيدة الدروز عرض ونقض/ محمد احمد الخطيب ص ٢٦٥ ـ ٢٧٣.

هذه نبذة قليلة عن طائفة الدروز وعقيدتها وحكمها في نظر الإسلام والمسلمين والدروز المعاصرون لا أدري ما هو موقفهم من تلك العقيدة التي قال بها أسلافهم، وما مدى تمسكهم بها واعتقادهم لها وعلى كل حال فإن من تمسك بمثل تلك العقائد السخيفة فحكمه الكفر والخروج عن دائرة الإسلام، وحينئذ يعادي معاداة الكافرين، ويعامل معاملة المرتدين، والدروز المعاصرون يوالي كثير منهم أعداء الإسلام ضد المسلمين وذلك أن قوام الجيش الإسرائيلي من الدروز[1].

وفي سوريا اعتمد حزب البعث والنصيريون قادته على الدروز وتعاونوا معهم حتى وصل النصيريون إلى السلطة، فانقلبوا على القادة من كبار الدروز وأقصوهم وقتلوا منهم من قتلوا أمثال الرائد سليم حاطوم الذي أعدمه النصيريون في عام (١٩٦٧ م)[2].

فمن تولى الكفار أو اعتقد الكفر، وجب إظهار العداوة له وإعلان البراءة منه سواء كان من هذه الفرق أو من غيرها، وقد اكتفينا بذكر هذه الفرق الأربع لأن بقية الفرق لا تخرج عن دائرة هذه الفرق، وعلى هذا يمكن قياس بقية الفرق وإعطاؤها نفس الحكم عند تطابق المعتقدات وتوافق الصفات.

والله ولي التوفيق والهادي إلى سواء الصراط.

---

(١) انظر عقيدة الدروز ص ٢٦٥.

(٢) انظر حصيلة الانقلابات الثورية في بعض الأقطار العربية/ محمد سعيد ص ١٧٥ - ١٨١.

الباب الرابع

موالاة الكفار ومعاداتهم

وتحت هذا الباب أربعة فصول هي كالتالي: -

١ - الفصل الأول : منهج التعامل مع الكفار.
٢ - الفصل الثاني : مظاهر الولاء للكفار.
٣ - الفصل الثالث : الآثار المترتبة على موالاة الكفار.
٤ - الفصل الرابع : واقع المسلمين اليوم من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين.

الفصل الأول

منهج التعامل مع الكفار

وتحته المباحث التالية:

١ ـ المبحث الأول: الإسلام بين دعوى التعصب والتسامح مع الكفار.
٢ ـ المبحث الثاني: مفهوم الحرب والسلم في الإسلام.
٣ ـ المبحث الثالث: تعامل المسلمين مع أهل الذمة والعهد في دار الإسلام.
٤ ـ المبحث الرابع: تعامل المسلمين مع الكفار المحايدين
٥ ـ المبحث الخامس: تعامل المسلمين مع الكفار المحاربين.

ـ الفرع الأول : المحاربون من أهل الأوثان.
ـ الفرع الثاني : المحاربون من اليهود.
ـ الفرع الثالث : المحاربون من النصارى.

المبحث الأول

الإسلام بين دعوى التعصب والتسامح مع الكفار

قد يتبادر إلى ذهن البعض منا، من خلال ما تقدم عرضه في موضوع الموالاة والمعاداة في الإسلام، أن الإسلام يأمر بالإنطواء والعزلة عن غير المسلمين، وأنه يربي أتباعه على إضمار الحقد والكراهية لغير المسلمين وأن أتباعه يتعصبون لأنفسهم وأهل عقيدتهم، دون أن يراعوا حقوق الطوائف الأخرى، ولا شك أن هذا الفهم الخاطىء مبعثه الجهل أو الحقد الدفين في النيل من الإسلام والمسلمين، وإلا فالحقيقة أنه لم يوجد مبدأ من المبادىء في الكون كله وعبر تاريخه الطويل تسامح مع أعدائه وعاملهم بالعدل مثل الدين الإسلامي، وهذا القول ليس مجرد ادعاء وإنما هو واقع يشهد له التاريخ وتبرهن عليه الأحداث فالرسول ﷺ عندما أقام الدولة الإسلامية في المدينة المنورة كان فيها ثلاث قبائل من اليهود، هم بنو قريضة، وبنو قينقاع، وبنو النضير، فلو كان الرسول ﷺ بغير هذه الصفة لما احتاج أن يوقع معهم معاهدة تعاون وحسن جوار، ولأمكنه أن يفعل بهم مثل ما يفعل الشيوعيون بالمعارضين لهم في روسيا وتشيكوسلفاكيا وغيرها من بلدان

العالم، وأن يضعهم أمام خيارين لا ثالث لهما: إما التبعية المطلقة أو الموت ومن يطالع نصوص المعاهدة بين الرسول ﷺ واليهود يعلم علم اليقين أن الإسلام عادل مع أهل الكتاب فقد ورد في الوثيقة النبوية المبرمة بين المهاجرين والأنصار والتي وادع فيها الرسول ﷺ اليهود ما نصه (لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم... وإن بينهم النصر على من حاربهم، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم،... وإن من خرج آمن ومن قعد آمن إلا من ظلم أو أَثِمَ)[1]. وفي فتح مكة دليل واضح وبرهان ساطع على تسامح الإسلام ورحمته حتى بأعدائه، فهل عرف التاريخ أن جماعة غلبت على أمرها وطردت من بلدها، وأوذيت في نفسها ومالها، فلما استطاعت العودة إلى ديارها، وتمكنت من رؤوس أعدائها، لم تمتد يدها إلى عدوها بسوء، ولم تأخذ منه بثأر؟ وهل عرف في التاريخ أن عدوين يتلقيان بعد طول صراع مرير مخضب بالدماء فلا يكون في لقائهما شحناء ولا بغضاء؟

إنها روح الإسلام الخالدة، التي لا تنتصر للنفس والذات بقدر ما تنتصر للإسلام، إنها القيادة الرحيمة، حتى بمن كانوا بالأمس أعداءها، لقد اجتمعت قريش حول الرسول ﷺ في ذهول واستسلام وفي داخل كل نفس صراع من الخوف والرجاء، حتى هتف فيهم رسول الله ﷺ. ما تظنون أني فاعل بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم. فقال لهم رسول الله ﷺ اذهبوا فأنتم الطلقاء.

هذا كل الحساب بين الجيش الزاحف المنتصر وبين أهل مكة المستسلمين[2].

---

(١) انظر تهذيب سيرة ابن هشام/ عبد السلام هارون ص ١٤٠ ـ ١٤٣.
وانظر تاريخ الإسلام السياسي د/ حسن ابراهيم جـ ١ ص ١٠٢.
وانظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) انظر موسوعة التاريخ الإسلامي/ أحمد شلبي جـ ١ ص ٣٤٢.
وانظر فتح مكة/ محمد احمد باشميل ص ٢٩٦.

إنه رسول الله ﷺ، الداعية الذي لا يجد الحقد على مقاوميه إلى نفسه سبيلا، فقد مَنَّ عليهم بعد كفاح دام بينه، وبينهم إحدى وعشرين سنة، لم يتركوا فيها طريقاً للقضاء عليه وعلى أتباعه وعلى دعوته إلا سلكوه، فلما تم له النصر عليهم وفتح عاصمتهم، لم يزد أن استغفر لهم وأطلق حريتهم، إن هذا لا يصدر إلا عن رسول كريم لم يرد بدعوته ملكاً ولا سيطرة، وإنما أراد الله له أن يكون هادياً وفاتحاً للعقول والقلوب(1).

وفي كتاب كتبه النبي ﷺ لأساقفة نجران قال فيه: (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي للأسقف أبي الحارث، وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وكل ما تحت أيديهم من قليل وكثير! جوار الله ورسوله لا يغير أسقف من أسقفته، ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهانته، ولا يغير حق من حقوقهم، ولا سلطانهم ولا ما كانوا عليه من ذلك. جوار الله ورسوله أبداً ما أصلحوا ونصحوا عليهم غير مبتلين بظلم ولا ظالمين(2).

وهذا الكتاب يبين مدى التسامح مع النصارى واحترام حقوقهم وأنهم لا يَظلمون ولا يُظْلَمون، وقد سار على ذلك خلفاءُ رسول الله ﷺ وصحابته الكرام فهذا عمرو بن العاص (رضي الله عنه) عندما فتح المسلمون مصر كتب بيده أماناً للبطريق بنيامين ورده إلى كرسيه بعد أن تغيب عنه زهاء ثلاث عشرة سنة، وأمر عمرو باستقباله عندما قدم من الإسكندرية أحسن استقبال(3). وعندما تمكن القائد العظيم صلاح الدين الأيوبي من دحر الصليبيين بعد تسعين سنة من مجازر الغدر والخيانة والفساد في الأرض لم يعاملهم بالمثل، إذ أنه لما أسلمت له الحامية النصرانية، أمنهم على حياتهم، وكانوا أكثر من مائة ألف نسمة وسمح لهم بالخروج في أمان

---

(1) أنظر السيرة النبوية دروس وعبر د/ مصطفى السباعي ص ١٣٠ - ١٣١.
(2) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٥٥ وانظر حياة الصحابة جـ ١ ص ١٢٣.
(3) تاريخ الإسلام السياسي/ حسن ابراهيم جـ ١ ص ٢٤٠.

وسلام وأعطاهم مهلة أربعين يوماً للخروج وقام بمداواة جرحاهم وتمريض مرضاهم وسمح لهم بحمل ما يحملون من أموال منقولة[1].

وعندما هجم قائد التتر قطلوه شاه على دمشق وأسر عدداً من المسلمين والذميين من اليهود والنصارى، ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) معه جمع من العلماء وطلبوا فك الأسرى فسمح لهم قائد التتر بأسرى المسلمين دون غيرهم فرفض الشيخ ومن معه وقالوا لا بد من افتكاك جميع الأسرى هم أهل ذمتنا، ولا نرضى ببقاء أسير من أهل الملة ولا من أهل الذمة، فإن لهم ما لنا وعليهم ما علينا، فأطلق القائد التتري جميع الأسرى، وقد تكرر هذا الموقف من شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) عندما كتب رسالته إلى ملك قبرص سراجون لافتكاك أسرى المسلمين وأهل الذمة من رعايا الدولة الإسلامية[2].

ومن هذا العرض الموجز يتضح أن الإسلام يقف مع الكفار موقفاً معتدلاً، في السماحة من غير ذل وهوان، فأصحاب الإسلام لا تنطوي ضمائرهم على الغل والحقد والكراهية والدس والمكر بالآخرين، فبسماحة الإسلام يتعامل المسلم مع الناس جميعاً على أساس العدل والاحترام المتبادل دون أن يكون ذلك على حساب الاستهانة بالعقيدة الإسلامية وشعائر الإسلام، فالمعاملة شيء، ومحبة القلب ومودته للكفار شيء آخر حيث أن الإنسان يتعامل في أغلب الأحوال مع من يحب ومن لا يحب في بيعه وشرائه ونحو ذلك، أما مودة القلب والنصرة والمساعدة، فلا يمنحها إلا لمن يحب، وهذه هي الموالاة المنهى عن بذلها للكفار قال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون، هاأنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله وإذا**

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام د/ كامل سلامة الدقس ص ٣٣٤.

(٢) انظر الشريعة الاسلامية والقانون الدولي العام/ علي علي منصور ص ٣٥٨.

لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور، إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيط﴾(١) فالآيات تأمر المسلم أن لا يتخذ بطانة من الكفار وأن لا يحبهم وهم لا يزالون متلبسين بصبغة الكفر، وأن لا يناصرهم أو يؤيدهم بقول أو فعل ما لم يسلموا، إن تلك الآيات تنوير وتبصير للمسلمين في كل زمان ومكان، بأن لا ينخدعوا في معاملة أعدائهم وبهرج ألسنتهم فيندفعوا بسذاجة وغباء إلى اتخاذهم بطانة وأصحاباً وأصدقاء وأصفياء، فإن عداوة الكفار للمسلمين عداوة متأصلة، لا تغسلها سماحة أو مودة من المسلمين للكفار أو حسن صحبة لهم، والتحذير في هذه الآيات المتقدمة ليس مقصوراً على فترة تاريخية معينة، وإنما هو حقيقة دائمة تواجه واقعاً دائماً، كما نرى مصداق ذلك في ماضينا المعهود وحاضرنا الشمهود، وقد بين الله ذلك في آيات متعددة قال تعالى: **﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾**(٢) وقال تعالى: **﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾**(٣) وقد عبرت الآيات عن قوة الإصرار والاستمرار في العداوة من قبل الكفار وذلك بالتعبير بالفعل المضارع (لا يزالون) و(ولن ترضى) و(وما تخفى صدورهم أكبر) ونسوق بعض النماذج الواقعية عبر فترات تاريخية متباعدة لنبرهن على تسامح الإسلام وتعصب أعدائه ضده، عندما تكون للأعداء الغلبة والنصر على المسلمين، ونستدل على تعصبهم من أقوالهم وشهادة بعض المنصفين منهم يقول: (جيبون) (إن الصليبيين خدام الرب يوم استولوا على بيت المقدس في ١٥/ ٧/ ١٠٩٩م رأوا أن يكرموا الرب

---

(١) سورة آل عمران من آية (١١٨) إلى آية (١٢١).

(٢) سورة البقرة آية (١٠٩).

(٣) سورة البقرة آية (١٢٠).

بذبح سبعين ألف مسلم، ولم يرحموا الشيوخ ولا الأطفال ولا النساء، في مذبحة استمرت ثلاثة أيام بلياليها، ولم تنته إلا لما أعياهم الاجهاد من القتل فقد حطموا رؤوس الصبيان على الجدران وألقوا بالأطفال الرضع من سطوح المنازل، وشووا الرجال والنساء بالنار، وبقروا البطون ليروا هل ابتلع أهلها الذهب، . . . ثم يقول: كيف ساغ لهؤلاء بعد هذا كله أن يضرعوا إلى الله طالبين البركة والغفران)[1].

وقد سبق أن ذكرنا موقف صلاح الدين الأيوبي عندما تغلب على هؤلاء وحاصر مائة ألف صليبي ومع ذلك تركهم يرتحلون بسلام فمن المتعصب يا ترى؟؟

ومثال آخر، ما فعله الصليبيون في الأندلس عندما تغلبوا على المسلمين، فقد قال أحد كتاب الغرب أنفسهم وهو المدعو (جوستاف لوبون) قال: لما أُجْلِيَ العرب[2] سنة (١٦١٠ م) اتخذت جميع الذرائع للفتك بهم فقتل أكثرهم، وكان مجموع من قتل إلى ميعاد الجلاء ثلاثة ملايين من الناس في حين أن العرب لما فتحوا أسبانيا، تركوا السكان يتمتعون بحريتهم الدينية محتفظين بمعاهدهم ورئاساتهم غير مكلفين إلا بدفع الجزية وهي بمقدار ما كانوا يبذلونه لملوك القوط، وقد بلغ من تسامح العرب طول حكمهم في أسبانيا مبلغاً قلما يصادف الناس مثله هذه الآيام[3].

ولو انتقلنا من مواقف الصليبيين إلى مواقف اليهود لرأينا العجب العجاب، فإن نظرة اليهود الدينية إلى غير اليهود تشبه نظرة الإنسان إلى الحيوان، فقد جاء في الوثيقة الرابعة من وثائق اليهود التاريخية فيما نشره

---

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام د/ كامل سلامة الدقسي ص ٣٣٣.

(٢) المراد بالعرب في هذا الكلام هم المسلمون ولكن أعداء الاسلام يحاولون تغيير المفاهيم الاسلامية إلى مفاهيم قومية عرقية ضيقة سخيفة.

(٣) انظر حضارة العرب/ جوستاف لوبون ص ٢٧٩ ترجمة عادل زعيتر.

السيد ـ جواد رفعت في كتابه الوثائقي (الإسلام وبنو إسرائيل) حيث ورد من ضمن ما تضمنته هذه الوثيقة قولهم ما يلي:

«يا أبناء اسرائيل، اسعدوا واستبشروا خيراً، لقد اقتربت الساعة التي سنحشر فيها هذه الكتل الحيوانية في اصطبلاتها، وسنخضعها لإرادتنا ونسخرها لخدمتنا»[١].

ولو نظرنا إلى ما فعله ويفعله اليهود في فلسطين من قتل وتشريد وظلم وبطش وعدوان، وما يفعله صنائع اليهود وعملاؤهم حول فلسطين لوجدنا أن ذلك أعظم برهان على تعصب اليهود وأذنابهم ضد المسلمين.

ولو تجاوزنا اليهود والنصارى إلى الملحدين من أهل الأوثان لرأينا ما تقشعر لهوله الأبدان، وتتفطر له الأكباد، فقد روى ابن كثير فيما رواه من أحداث عام ٦٥٦ هـ عندما تغلب مشركو التتار على المسلمين في بغداد شنوا حملة حقد وتعصب وظلم وطغيان فأبادوا الرجال والنساء صغاراً وكهولاً، وفر من فر من الناس إلى المقابر، وأغلق البعض منهم على نفسه في الحانات ودخل البعض منهم في قنى الأوساخ، ولكن القلوب المسعورة في حب الإجرام وإراقة الدماء، والمملوءة بالحقد والكراهية على أهل الإسلام، طاردت كل هؤلاء، وبواسطة بعض أهل الذمة من اليهود والنصارى، الذين تنكروا للمسلمين ولما قدموه لهم من حسن المعاملة واحترام الحقوق، ولم يمضِ على بغداد أربعين يوماً حتى أصبحت خاوية على عروشها، وتراكمت الجثث كالأطواد في الطرقات، ثم سقط عليها المطر فانتفخت وتغير الهواء وحصل الوباء، وسار الهواء إلى الشام فمات بسبب ذلك خلق كثير، هذه صورة من صور التعصب قام بها أعداء الإسلام والمسلمين في حق أهل الإسلام، وهي حقيقة تاريخية وقصة واقعية ليست من نسج الخيال، وقد اختلف المؤرخون في عدد القتلى في بغداد، إلا أن

---

(١) انظر مكايد يهودية عبر التاريخ/ عبد الرحمن حسن الميداني ص ٤٤٦، ٤٤٧.

تقديراتهم تقول أن عدد القتلى ما بين الثمانمائة ألف إلى المليون نفس[1]، ولو مررنا بروسيا وما فعلته الثورة الشيوعية بالمسلمين في بخاري وسمرقند وغيرها من الولايات الإسلامية لرأينا ما لم يحصل له مثيل في التاريخ حيث أقدم الشيوعيون على قتل كل من يتفوه بكلمة لا إله إلا الله فقد نشروا في عام (١٩٢٣ م) أنه يوجد داخل الإتحاد السوفيتي ثلاثون مليوناً من المسلمين يحافظون على عقائد باطلة وخرافات من العصور الوسطى وإننا قد اتخذنا الخطط والتدابير اللازمة لإزالتها[2].

وفعلاً فقد باشر الشيوعيون تنفيذ مخططاتهم في مصادرة الحريات وكبت المعتقدات، وحاولوا بقوة الحديد والنار إلزام الناس بالأوهام الماركسية، والخرافات اللينينية، فقد أغلقت حكومة روسيا الشيوعية في مقاطعة تركستان (١٤) أربعة عشر ألف مسجد، وفي منطقة الأورال (٧) سبعة آلاف مسجد وفي منطقة القوقاز (٤) أربعة آلاف مسجد، فبلغ مجموع المساجد التي منع المسلمون من الصلاة فيها (٢٥) خمسة وعشرين ألف مسجد، وقد حولت هذه المساجد إلى دور للبغاء ومباءات للخمر، ونوادي للمجون - واسطبلات للخيول وحظائر للبهائم، وقد حول جامع سمرقند الفخم الجميل إلى ناد لكبار الملحدين[3]. وهل تظن الأمر توقف عند ذلك الحد، بل لقد تجاوز ذلك إلى التصفية الجسدية للمسلمين، ولو أردنا استعراض تلك المآسي الدامية لما وسعتها المجلدات والأضابير، ولكن حسبنا أن نقول أن الروس قبلة الأقزام في الشرق المنكوب قد قتلوا في ربع قرن ستة وعشرين مليوناً من المسلمين بمعدل مليون كل سنة، وقد تفننوا في طريقة التعذيب والقتل حتى وصل بهم الأمر إلى أن يأتوا بأحد الزعماء المسلمين فيحفروا له حفرة في الطريق العام ثم يكلفون المسلمين وجميع

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١٣ ص ٢٠٢.
(٢) انظر الإسلام والمبادىء المستوردة ص ٢٢، ٢٣.
(٣) انظر التضليل الاشتراكي د/ صلاح الدين المنجد ص ٨٤.

السكان في تلك المدينة تحت وطأة التعذيب والإرهاب أن يأتوا بفضلاتهم الآدمية التي تتسلمها الدولة من الأهالي كل يوم لتستخدمها في السماد فيلقوها على الزعيم المسلم في حفرته... وقد ظلت هذه العملية ثلاثة أيام والرجل يختنق في الحفرة على هذا النحو حتى مات بصورة لا مثيل لها في التاريخ، وكان قصدهم تنفير الناس عن كل ما له صلة بالإسلام.

وقد سارت يوغسلافيا على طريقة روسيا بعد تحولها إلى الشيوعية فقد أباد (تيتو) ما يقارب المليون من المسلمين[١]. ولكن الغريب ولا غرابة في هذا العصر أن السفاكين في روسيا ويوغسلافيا يستقبلون بكل حفاوة وتكريم في بعض الأقطار الإسلامية، وكأن شيئاً لم يكن، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولو ألقينا نظرة على ما حصل ويحصل للمسلمين من الوثنيين الهنود لوجدناه لا يقل شناعة عما حصل من غيرهم، فعندما أعلن انفصال باكستان عن الهند، فر ثمانية ملايين من المسلمين مهاجرين إلى الباكستان ممن أفزعتهم الهجمات البربرية المتوحشة، من عباد البقر ولكنهم لم يتركوهم يذهبون بسلام، بل طوقت مسيرتهم الحكومة الهندية المجرمة فذبحتهم وأفنت الكثير منهم، ولم يصل إلى الباكستان سوى ثلاثة ملايين أما الخمسة الباقية، فقد قضى عليها، ثم أعلنت الحكومة عن خدعة جديدة حيث زعمت أنها ستنقل الموظفين المسلمين الذي يرغبون التحول إلى باكستان عبر قطارات النقل وقد شحنت أول دفعة منهم وكان عددهم خمسين ألفاً، وعندما اقترب القطار بين الحدود الهندية والباكستانية ودخل في أحد الأنفاق خرج من الناحية الثانية وليس فيه إلا أشلاء ممزقة من عوامل التخريب التي دبرت وخططت لهذا الغرض[٢].

فيا ترى من المتعصب ومن المتسامح؟؟ إن ما ذكرناه عن مواقف

---

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام د/ كامل سلامه الدقس ص ١٦٣، ١٦٥.
(٢) المصدر السابق ص ١٦٣.

أعداء الإسلام والمسلمين، عند تمكنهم من أهل الإسلام، غيض من فيض، وقطرة من بحر، وهذا كله مصداق لقوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً وَدُّوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾**[1].

إن من تسامح المسلمين مع أهل الذمة والمستأمنين أن يقروا في بلاد الإسلام على تعاطي بعض المحرمات في الدين الإسلامي إذا كان ذلك على جهة التخفي والإسرار وقصروه على أنفسهم مثل شرب الخمر وأكل لحم الخنزير، ويطبق عليهم في المحاكم قانون الأحوال الشخصية المنبثق عن عقيدتهم في قضايا الزواج والطلاق والمهر والأولاد والنفقة وما إلى ذلك.

بينما نجد أن المسلمين الذين يقيمون في بلاد الغرب والشرق الكافر لا يطبق بحقهم قانون الأحوال الشخصية للمسلمين وإنما يطبق بحقهم القانون المحلي لتلك الدولة وتلك البلاد فلو تزوج المسلم بأكثر من زوجة واحدة، فزواجه باطل بمقتضى قوانينهم الوضعية، وقد يحاكم كمجرم، أما لو زنيا برضاهما فلا شيء عليهما، ولو طلبت الزوجة من زوجها المسلم تأمين النفقة والسكن، أو الطلاق، فلا يمكن للمحاكم الوضيعة الكافرة أن تحقق لها ذلك[2].

وفي أمريكا لو أرادت المسلمة أن تتزوج بنصراني وهي لا تزال في عصمة زوجها المسلم، فإن القوانين الأمريكية تبيح ذلك ولا تسمح للزوج الأول المسلم حتى في إبداء حق المطالبة بزوجته أو الإعتراض على عقد الزواج الثاني[3].

---

(١) سورة آل عمران آية (١١٨).

(٢) انظر نظرية الإسلام وهديه/ أبو الأعلى المودودي ص ١٨٦ ـ ١٨٨.

(٣) انظر العلاقات الدولية في الاسلام د/ كامل الدقس ص ٣١٦، ٣١٧.

وقد صدر في انجلترا قانـون يمنع الاعتـراف بأي زواج يتم على الطريقة الإسلامية، فلا يعتبر العقد قد وجد بحكم القانـون لديهم، فلو تزوجت المرأة بعد زواجها الشرعي في الإسلام بدون طلاق لاعتبر الزواج الثاني دون الأول في القانون الإنجليزي[1].

وقد طلبت إحدى السيدات المسلمات المطلقة في جنوب أفريقيـا مؤخر مهرها بعد طلاقها فرفضت المحكمة ذلك مدعية بطلان شرعية الزواج المعقود حسب الشريعة الإسلامية[2].

ومع ذلك ولـلأسف الشديـد يصف الببغاوات الإسـلام والمسلمين بالتعصب والتشدد والجمود والتطرف وكبت الحريات بينما يَصِفون أجنحة المكر الثلاثـة، النصارى، واليهـود، وأهل الأوثـان بالتسـامح والإعتـدال والمحافظة على حريات الأفراد وحقوقهم، فيـا ترى من الذي يشهد له الواقع ويصدقه التاريخ نحن المسلمين أم هؤلاء الحاقدون؟؟؟

---

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام د/ كامل سلامة الدقس ص ٣١٦، ٣١٧.

(٢) أنظر مجلة المجتمع الكويتية عدد ٥٣٨ السنة الحادية عشرة في ١١/ ١٠/ ١٤٠١ هـ ص ٣٥.

المبحث الثاني

مفهوم الحرب والسلم في الإسلام

إن من حق الدين الإسلامي أن يتحرك ابتداء في كل إتجاه، وأن ينساح في الأرض متى وجد إلى ذلك سبيلا، فهذا الدين ليس رسالة خاصة بالعرب، بل إنه دين للإنسان أينما وجد في المكان والزمان، فالله عز وجل ليس رباً للعرب وحدهم، ولا حتى لمن يعتنقون العقيدة الإسلامية وحدهم بل هو (رب العالمين) وهذا الدين أراد الله به أن يرد العالمين إلى ربهم وأن ينتزعهم من العبودية لغير الله، إن الإسلام ليس مجرد عقيدة، حتى يقنع الناس بإبلاغ عقيدته للناس بوسيلة البيان، إنما هو منهج يتمثل في تجمع تنظيمي حركي يزحف لتحرير كل الناس وإخراجهم من عبودية العباد إلى عبادة رب العباد، ومن ثم يتحتم على الإسلام أن يزيل جميع الأنظمة الطاغية والتجمعات الكافرة بوصفها من معوقات إبلاغ الدعوة للناس وليحرر بإزالتها الأفراد من التأثيرات الفاسدة، التي تقيد حرية الاختيار لدى الأفراد، وتحجب عنهم رؤية النور الإلهي، وإلا فإن الله عز وجل قد قرر مبدأ (لا إكراه في الدين)... أي لا إكراه على اعتناق العقيدة، ولكن متى

يكون ذلك؟ يكون ذلك إذا خرج العباد من سلطان العبيد، إلى سلطان الله وإذا خرجوا من ظلم المناهج الكافرة إلى عدالة الإسلام، وإذا إستقى الناس من نبع الإسلام الصافي بدلاً من كدر الجاهلية، وبعبارة أدق إذا كان الدين كله لله، أما أن تتأصل مناهج الكفر والضلال في الأرض وتعلو راياتهم في مشارق الأرض ومغاربها، ويصل الخطر إلى أن يُغْزَى المسلمون في عقر دارهم وتستباح مقدساتهم وتسلب منهم أموالهم وديارهم، وينشر الكفر بينهم بوسائل إعلامهم، ومناهج تعليمهم، ومع ذلك نرى ونسمع من يدعو إلى ترك الجهاد ومسالمة أعداء الله فهذا مخالف لمنهج الإسلام. إن الإسلام ليس مجرد مجموعة من النصوص الكلامية، أو جملة من المناسك والشعائر التعبدية. كما يفهم معظم الناس في هذه الأيام عندما يسمعون كلمة (دين) يتبادر إلى ذهنهم أن ذلك محصور في الصلاة والصيام والزكاة والحج فقط.

والحق أن الدين الإسلامي نظام كامل يحكم حياة الفرد والجماعة والدولة والعالم أجمع، ومن ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله، والجهاد في الإسلام يعني القضاء على سائر النظم الباطلة الجائرة في العالم، وأن يقطع دابرها، ويمحوا آثارها من الوجود، ويستبدل الناس عن تلك الأنظمة الجاهلية بنظام صالح مصلح للحياة، يرى أنه خير للإنسانية جمعاء من النظم الأخرى، وقد أثبت التطبيق العملي عبر التاريخ كله أن الإسلام هو النظام الصالح المصلح للحياة الذي يحمي البشرية من أدواء الشر والطغيان، وإن فيه سعادة البشرية في العاجلة والآجلة[١]، في الوقت الذي ظهرت فيه ضحالة الأنظمة الرأسمالية والشيوعية بين الإفراط والتفريط. إن أمة الإسلام أمة دعوة وجهاد، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

وما يفهمه البعض أو يحتج به البعض الآخر من وجود نصوص قرآنية تدعو إلى مسالمة الكفار وعدم قتال من لم يقاتل منهم، والأمر بالعفو والصفح عن الكفار.

(١) انظر في ظلال القرآن/ سيد قطب م ٣ جـ ٩ ص ٧٥٦ - ٧٥٩.

فنقول إن هذه النصوص قد ورد من الآيات ما خصصها أو نسخ حكمها فاقرأ إن شئت من أول سورة التوبة إلى نهاية الآية الثامنة والعشرين منها، تجد تحديداً دقيقاً لطبيعة العلاقة مع الكفار، وهذا المقطع من تلك السورة من آخر ما نزل من القرآن الكريم حيث نزلت تلك الآيات في نهاية السنة التاسعة من الهجرة[1].

أما الكف عن القتال في مكة فهو لم يكن إلا مجرد مرحلة في خطة طويلة الأمد.

وهناك سبب آخر وهو إن حرية الدعوة وحرية إبلاغها للناس كانت مكفولة بحماية بني هاشم، حيث كان أبو طالب يحمي ظهر رسول الله ﷺ من شر أعدائه، فكان الرسول ﷺ يصدع بالدعوة، ويخاطب بها الآذان والعقول والقلوب، ولم يكن هناك سلطة سياسية منظمة وأجهزة بوليسية تمنع من الدعوة، أو تمنع الأفراد من سماعها، ومن ثم فلا يجوز اتخاذ تلك الفترة، حجة في ترك الجهاد ومسالمة الكفار، أو موادعتهم، لأن قياس واقع المسلمين في العصور المتأخرة على تلك الفترة في مثل هذا الوجه أمر لا تتوفر فيه شروط القياس الصحيح.

إن من البديهيات التي يجب أن يدركها كل مسلم أن الكفار لم ولن يسالموا المسلمين أبداً، وإن وجد شيء من ذلك نادراً، فهو لا يصدر عن رغبة حقيقية في مسالمة الإسلام ومهادنة المسلمين، وإنما يكون نتيجة اضطرار واقعي إلى حين، وإلا فإنه متى شعرت قوى الكفر والضلال ان المعسكر الإسلامي في ضائقة تهدد وجوده، أو على الأقل تجعل الإنقضاض عليه مأمون العاقبة في حقهم انقضوا عليه ومزقوه إرباً وهذا ما حصل للمسلمين في الأندلس فقد روى المقري أنه في ربيع الأول سنة (٨٩٧ هـ)

(١) انظر في ظلال القرآن/ سيد قطب م ٤ جـ ١٠ ص ٨٢.

اصطلح النصارى مع المسلمين ووقع معهم المسلمون شروط الصلح وكانت سبعة وستين شرطاً منها ما يلي:

١ ـ تأمين حياة جميع الأفراد المسلمين وتركهم في أماكن سكناهم.
٢ ـ عدم التعدي على الممتلكات المنقولة وغير المنقولة.

٣ـ إبقاء المساجد على ما هي عليه، وأن لا يدخل اليهود والنصارى بيت مسلم

٤ ـ لا يولى على المسلمين نصراني ولا يهودي، وأن يفك جميع أسرى المسلمين.

٥ ـ أن لا يؤخذ أحد بذنب غيره.
٦ ـ أن لا يقهر من أسلم بالعودة إلى الكفر قهراً حسياً أو معنوياً.
٧ ـ أن توفر الحماية للمسلم على نفسه وماله وعرضه.

وغير ذلك من الشروط:

ثم عقب المقري[1] على ذلك بقوله: (ولكن الأسبانيين نكثوا العهد وخانوا الوعد والإتفاق، ونقضوا الشروط كلها)[2]. ا. هـ

فهم قد حملوا على البقية الباقية من المسلمين إلى الفرار إلى شمال أفريقيا، والبعض منهم تنصر، والأغلب منهم قتل في حملات التفتيش التي قامت بها النصارى للقضاء على المسلمين، فلم تأت سنة (٩٠٤ هـ) إلا وقد

---

(١) هو أحمد بن محمد بن احمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أبي اليعيش ابن محمد المالكي، الأشعري، التلمساني، نزيل فاس، ثم القاهرة، المشهور بالمقري (أبو العباس، شهاب الدين) مؤرخ، أديب ولد في تلمسان، سنة ٩٩٢ هـ ـ وتوفي بالقاهرة سنة (١٠٤١ هـ) في جمادي الآخرة. من تصانيفه الكثيرة نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، فتح المتعال في وصف النعال. نعال النبي ﷺ، أزهار الرياض في أخبار عياض، روض الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيتهم من أعلام مراكش وفاس، والبداة والنشاة في النظم والأدب.
انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحاله جـ ٢ ص ٧٨.
(٢) انظر نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب م ٤ ص ٥٢٥ ـ ٥٢٨.

جف أثر المسلمين من الأندلس وعفى عليه الدهر بعد ثمانية قرون من الاستقرار[1] ويقول المؤرخ الأسباني باللستر: (أن النصارى أخذوا يظلمون المغلوبين من المسلمين ويضايقونهم في دينهم بوسائل العنف والقسوة حتى اضطر كثير منهم إلى الهجرة من أسبانية ولم يبق بالأندلس سوى عرب متنصرين ينعتونهم بنصارى الظاهر لا نصارى الباطن ثم اضطر الباقي إلى الجلاء أو التنصر[2]. ا. هـ

وهذه حقيقة يجب أن يفهمها كل من ينتمي إلى الإسلام، أنه لا سلم ولا سلام بين الكفر والإسلام قال تعالى: ﴿**ولا يزالـون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا**﴾[3] ونحن نرى مصداق ذلك أمامنا اليوم فالفتوحات الإسلامية قد توقفت منذ عشرة قرون تقريباً أو أكثر، ومع ذلك فإن أعداء الإسلام طيلة هذه المدة وهم يحاربون الإسلام والمسلمين ابتداء من الحروب الصليبية ثم الاستعمار والاحتلال، ولا تزال بلاد المسلمين تكتوي بنار الكفار في صورة مباشرة كما هو حاصل في فلسطين وأفغانستان والفلبين وايريتريا وبصورة غير مباشرة كما هو الشأن في معظم الأقطار الإسلامية، حيث يقوم سماسرة اليهود والنصارى، وعبيد ماركوس اليهودي وميشيل عفلق الصليبي بخدمة أهل الكفر على اختلاف أنواعهم وذلك بتتبع طلائع حزب الله المؤمن والفتك بهم في كل مكان من العالم، رغم أن وضع المسلمين في العصر الحاضر لا يشكل خطراً مؤثراً على وجود الكفار وحياتهم.

ولكنها العداوة المتأصلة التي لا يرضيها إلا فناء الإسلام والمسلمين قال تعـالى: ﴿**ولن ترضى عنـك اليهـود ولا النصـارى حتى تتبـع ملتهم**﴾[4]

---

(١) انظر العلاقات الدولية في الإسلام. د/ كامل سلامه الدقس ص ٣٢٢ ـ ٣٢٤. وانظر أبيدوا الاسلام دمروا أهله/ جلال العالم ص ٨ ـ ٢٤.

(٢) انظر العلاقات الدولية في الإسلام د/كامل سلامة الدقس ص ٣٢٣.

(٣) سورة البقرة آية (٢١٧).

(٤) سورة البقرة آية (١٢٠).

فصفة العداوة أصيلة فيهم، تبدأ من نقطة كراهيتهم للإسلام ذاته، مروراً بصدهم عنه، وينتهي بهم الأمر إلى الوقوف في وجهه، وتربصهم بالمؤمنين الدوائر، فهم عندما يتمكنـون من المسلمين يفتكون بهم بـلا شفقة ولا رحمة، لأن الرحمة لا تعرف إلى قلوبهم سبيلاً، ولا يمنعهم عهد ولا وعد ولا يتحرجون من مذمة، أو قطع مودة قال تعالى: **﴿لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمة، وأولئك هم المعتدون﴾**[1].

ولذلك أمر الله بقتالهم في قوله تعالى: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾**[2] ولكن أكثر الذين يكتبون عن العلاقات الدولية في الإسلام، يهولهم ويتعاظمهم أن يكون الأمر الإلهي هكذا، وأن تكون هذه هي الأحكام النهائية في الإسلام فأجهدوا أنفسهم بتلمس القيود للنصوص المطلقة والأخيرة، من خلال بعض النصوص المرحلية التي نزلت في أول الدعوة.

إن الذين يحاولون تمييع موقف الإسلام في الجهاد، إنما يفعلون ذلك لأنهم يواجهون هجوماً صليبياً منظماً لئيماً ماكراً خبيثاً يقول لهم: إن العقيدة الإسلامية قد انتشرت بالسيف، وإن الجهاد كان لإكراه الناس قسراً على الدخول في العقيدة الإسلامية وانتهاك حرمة حرية الاعتقاد عند الآخرين.

والمسألة بهذا المفهوم غير مستساغة، لو كان الأمر كذلك، ولكن الحقيقة أن الإسلام يقوم على قاعدة **﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾**[3] ولـذلك انـطلق بالسيف مجـاهداً ليـوفر للنـاس الضمان الحقيقي لحـرية الاعتقاد، وليحطم الأنظمة التي تكره الناس على الباطل وتمنع وصول الحق إليهم، ليبقى الناس أحراراً في اختيار العقيدة التي يريدونها، إن شاؤا

---

(١) سورة التوبة آية (١٠).

(٢) سورة التوبة آية (٢٩).

(٣) سورة البقرة آية (٢٥٦).

دخلوا في الإسلام فكان لهم ما للمسلمين من حقوق، وعليهم ما عليهم من واجبات، وكانوا إخواناً في الدين للمنتمين إلى الإسلام، وإن شاؤا بقوا على عقائدهم وأدوا الجزية، إعلاناً عن استسلامهم في انطلاق الدعوة الإسلامية بينهم بلا مقاومة، ومشاركة منهم في نفقات الدولة المسلمة التي تحميهم من اعتداء المعتدين عليهم، وتكفل لهم الحقوق العامة في ظل منهج الإسلام.

إن الإسلام لم يكره فرداً على تغيير عقيدته، كما فعلت الصليبية على مدار التاريخ في الأندلس قديماً وزنجبار حديثاً، لتكرههم على التنصر وأحياناً لا تقبل منهم حتى التنصر فتبيدهم لأنهم مسلمون[١].

إن دعوة الإسلام إلى السماحة في معاملة أهل الكتاب والبر بهم وصلتهم والعدل معهم والإحسان إليهم شيء مطلوب من المسلم ولكنه يختلف عن الولاء الذي لا يكون إلا لله ورسوله وللجماعة المسلمة. فالمسلم يعطي خالص محبته ومودته ومناصرته لله ثم لرسوله ثم للمؤمنين بهذا الدين، ولا يمكن أن يرقى إلى مستوى هؤلاء أو يزاحمهم أحد من الكفار في صفة من تلك الصفات، أما تعامله مع الكفار، فالكفار يعاملهم المسلم على أنهم أحد نوعين:

الأول: كفار محاربون. وهؤلاء لا يجوز معهم أي نوع من أنواع البر والصلة والإحسان ما دام أنهم يعلنون حالة الحرب لله ولرسوله وللمؤمنين[٢] إلا إذا رأى المسلم فرداً أو جماعة أن البر بهم والصلة لهم والإحسان إليهم سبب قوي في دعوتهم واستمالتهم إلى الإسلام فهذه حالة استثنائية تقدر بقدرها.

---

(١) انظر في ظلال القرآن/ سيد قطب ص ٨١ ـ ١١٢ وص ١١٥، ١٣٥ وص ١٤٩ ـ ١٥٢ وص ١٦٩ ـ ١٨٥ من المجلد الثالث الجزء العاشر.

(٢) انظر فتوى الشيخ عبد العزيز بن باز على هذا الموضوع في مجلة الدعوة السعودية عدد (٨٢٣) في ١١/ ٢/ ٤٠٢ هـ ص ١٩.

الثاني: الكفار المسالمون، وهم الكفار المستأمنون ـ والكفار من أهل الذمة والكفار المحايدون، فهؤلاء يجوز لنا أن نقدم لهم من البر والصلة والإحسان ما لا يجوز مع غيرهم من المحاربين، وسوف نتناول المعاملة التفصيلية مع هؤلاء وأولئك في مبحث لاحق إن شاء الله، وحسبنا أن نشير إلى قوله تعالى: **﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾**[1] فقد سئل الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن عن هذه الآية فأجاب (إن هذا اخبار من الله جل ذكره لعباده المؤمنين بأنه لم ينههم عن البر والعدل والانصاف في معاملة أي كافر كان من أهل الملل إذا كان لم يقاتل المسلمين في الدين ولم يخرجهم من ديارهم، إذ العدل والإحسان والانصاف مطلوب محبوب شرعاً، ولذا علل الحكم بقوله تعالى: **﴿إن الله يحب المقسطين﴾** وأما قوله (أن تبروهم) أي لا ينهاكم عن بر وصلة من لم يقاتل في الدين[2]. ا. هـ

وقد اختلف علماء التفسير هل الآية محكمة أو منسوخة على أقوال: هي:

١ ـ قال ابن زيد[3] وقتادة[4] ونقل عن ابن شهاب[5] الخفاجي أن هذه الآية

---

(١) سورة الممتحنة آية (٨).

(٢) انظر الدرر السنية جـ ١٠ ص ١٨٣ ـ ١٨٤.

(٣) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. فقيه، محدث، مفسر. توفي في أول خلافة هارون الرشيد. له من الكتب الناسخ والمنسوخ، والتفسير انظر معجم المؤلفين جـ ٥ ص ١٣٨.

(٤) هو قتادة بن دعامة بن عرنين بن عمرو بن ربيعة السدوسي، البصري (أبو الخطاب) ولد سنة (٦٠ هـ) وتوفي سنة (١١٧ هـ). مفسر من آثاره: تفسير القرآن. انظر معجم المؤلفين جـ ٨ ص ١٢٧.

(٥) هو أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ـ المعروف بشهاب البصري الحنفي ولد بالقرب من القاهرة حوالي عام (٩٧٩ هـ) وتعلم على يد علماء بلده ثم رحل إلى الحجاز وأدى فريضة الحج والتقي بكثير من علماء مكة والمدينة، ثم رحل إلى الأستانة فالتقي فيها بعدد من العلماء، ثم عين قاضياً في عهد السلطان مراد، ثم انتقل إلى قضاءالقاهرة وتوفي بها سنة =

منسوخة بآية القتال في سورة براءة بقوله تعالى: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾[1] وبغيرها من آيات القتال[2].

٢ ـ قال جماعة من أهل التفسير أن الآية أباحت صلة النساء والصبيان لأنهم ممن لا يقاتل فإذن الله ببرهم، وقالوا هي محكمة، واحتجوا بأن أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنها) سألت النبي ﷺ هل تصل أمها (قتيلة) حين قدمت عليها وهي مشركة؟. قال: نعم. أخرجه البخاري ومسلم[3].

٣ ـ وقال مجاهد المراد بهذه الآية هم الذين آمنوا بمكة ولم يهاجروا فإذن الله ببرهم والإحسان إليهم[4].

٤ ـ قال جماعة من المفسرين: هذه الآية رخصة في صلة الذين لم ينصبوا الحرب للمسلين، ودليل على جواز برهم، وإن كانت الموالاة لهم منقطعة[5].

ويقول محمد بن جرير الطبري: وأولى الأقوال بالصواب قول من قال

= (١٠٦٩ هـ) وله من المصنفات: شرح على تفسير البيضاوي سماه (عناية القاضي) وله كتابان من كتب السيرة وله غير ذلك من المؤلفات.
انظر معجم المؤلفين/ عمر رضا كحاله جـ ٢ ص ١٣٨ وانظر دائرة المعارف الاسلامية جـ ٨ ص ٣٩٦ ـ ٣٩٩.

(١) سورة التوبة آية (٥).

(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن الجوزي جـ ٨ ص ٢٣٧.
وانظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٥٩ ـ ٦٠ وانظر تفسير الطبري جـ ٢٨، ص ٤٣.
وانظر أحكام القرآن لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧٣ وانظر أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٤٣٧ وانظر تفسير آيات الأحكام محمد علي السايس جـ ٤ ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٣) انظر المصادر المتقدمة نفس المكان وانظر زيادة في ذلك مختصر تفسير ابن كثير/ محمد علي الصابوني جـ ٣ ص ٤٨٤.

(٤) انظر جامع البيان في تفسير القرآن للطبري جـ ٢٨ ص ٤٣ وانظر تفسير آيات الأحكام محمد علي السايس جـ ٤ ص ١٣٩، ١٤٠.

(٥) المصادر السابقة مع زيادة تفسير بن سعدي جـ ٧ ص ٣٥٦ وفتح القدير للشوكاني جـ ٥ ص ٢١٣.

أن المراد بالآية جميع الأصناف ممن لم يقاتل المسلمين، إذا لم يكن في برهم والإحسان إليهم دلالة لأهل الحرب على عورات أهل الإسلام، أو تقوية لهم بكراع أو سلاح[1]. ا.هـ

وعلى هذا يترجح القول لدي بعدم النسخ في الآية لوجوه هي:

١ ـ إن الجمع بينها وبين آية القتال ممكن غير متعذر، ودعوى النسخ يصار إليها عند تعذر الجمع، وعدم إمكان الجمع إن دل عليه دليل.

٢ ـ إن السنة متظاهرة بطلب الإحسان والعدل مطلقاً ولا قائل بالنسخ في ذلك.

٣ ـ يحمل كلام ابن زيد وقتادة وابن شهاب الخفاجي بأن النسخ في كليهما بمعنى التخصيص.

٤ ـ إن القتال بالسيف وتوابعه، من العقوبات، والغلظة في محلها مخصوص من هذا العموم.

ووجه مناسبة الآية لما قبلها من الآيات في السورة أنه لما ذكر الله تعالى نهيه لعباده المؤمنين عن اتخاذ عدوه وعدوهم أولياء يلقون إليهم بالمودة، ثم ذكر حال خليله إبراهيم (عليه السلام) ومن آمن معه في قولهم وبراءتهم من قومهم المشركين حتى يؤمنوا، وذكر أن لعباده المؤمنين أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه، خِيْفَ أن يتوهم أحد أو يظن أن البر والعدل داخلان في ضمن ما نهى الله عنه من الموالاة المحرمة، فناسب أن يدفع هذا الوهم بهذه الآية[2]. والله هو الهادي إلى طريق الصواب.

---

(١) انظر تفسير الطبري جـ ٢٨ ص ٤٣، وانظر تفسير آيات الأحكام محمد علي السايس جـ ٤ ص ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) انظر الدرر السنية جـ ١٠، ص ١٨٤.

المبحث الثالث

تعامل المسلمين مع أهل الذمة والعهد في دار الإسلام

١ ـ أهل الذمة:

أهل الذمة هم المعاهدون من النصارى واليهود وغيرهم ممن يقيم بدار الإسلام[١]. أما المرتدون فلا يجوز عقد الذمة لهم إجماعاً[٢].

بل لا بد من الإسلام أو القتل، وقد جاء في الحديث الشريف (وذمة المسلمين واحدة، فمن أخفر مسلماً فعليه مثل ذلك)[٣].

وقال العلماء في تفسير (ذمتهم) بمعنى الأمان الذي يعطونه[٤].

وعقد الذمة هو عقد يصير بمقتضاه غير المسلم في ذمة المسلمين

---

(١) انظر القاموس المحيط جـ ٤ ص ١١٥.

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ١١٠ ـ ١١١.

(٣) فتح الباري جـ ٦ ص ٢٧٣.

(٤) انظر كشاف القناع جـ ١ ص ٧٠٤.

أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد ، وله الإقامة بدار الإسلام على وجه الدوام[1] .

وقال آخرون: إن عقد الذمة هو إقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية، وإلتزام أحكام الملة[2].

والذي يتولى إبرام عقد الذمة مع غير المسلمين هو الإمام الشرعي أو نائبه، ولا يصح من غيرهما على الراجح من الأقوال في هذه المسألة[3]. ومن أهداف عقد الذمة، أن يختلط الذميون مع المسلمين ويطلعوا على محاسن الإسلام، مما قد يدفعهم ذلك إلى اعتناق الإسلام والدخول فيه وأهل الذمة إنما قبلوا هذا العقد، لتكون أموالهم كأموالنا ودماؤهم كدمائنا والقاعدة العامة أن أهل الذمة مثلهم كمثل المسلمين في الحقوق والواجبات. إلا أن هذه القاعدة يرد عليها استثناءات وهي أن الدولة الإسلامية، تشترط لبعض الوظائف والحقوق، توفر العقيدة الإسلامية في الشخص الذي يشغل بعض الوظائف ويمنح بعض الحقوق، ولا تكتفي بتبعية الفرد لها في سجل دائرة النفوس، والواقع أنه لا غرابة في مثل ذلك لأن جميع الدول تفرق بين المواطنين فيها في الحقوق والواجبات بناء على نوع المبدأ الذي يلتزمه الشخص وتلتزمه الدولة وبناء على الكفاءة العلمية والقدرة الإنتاجية، والدولة الإسلامية تلتزم بالإسلام إلتزاماً تاماً ولذلك فمن الطبيعي أن تقدم المسلم المخلص في إسلامه على من سواه، لأنها محكومة بالإسلام والإسلام قد وضع القواعد المتبعة في هذا الشأن، فلا تملك الدولة الإسلامية إلا حسن التطبيق، ولو خرجت عن قواعد الإسلام وأحكامه في هذه القضية أو غيرها لاعتبر ذلك كفراً وردة عن الإسلام[4].

---

(١) انظر أحكام الذميين والمستأمنين د/ عبد الكريم زيدان ص ٢٢ .

(٢) المصدر السابق نفس المكان.

(٣) انظر مغني المحتاج جـ ٤ ص ٢٤٣ .

(٤) أنظر أحكام الذميين والمستأمنين د/عبد الكريم زيدان ص ٧١ .

إن الإسلام لا يقر الظلم لأهل الذمة ولا يعمل على اذكاء العداوة ضدهم، ولا يبني سياسته على تعمد اهانتهم وعزلهم عن المجتمع[١]. ولكنه في نفس الوقت، لا يتميع في التعامل معهم حتى يطغى باطلهم على الحق، ويعلو كفرهم على شرع الله، وإنما يتعامل معهم وفق شروط معتدلة، تحفظ للمسلمين دينهم، وتحفظ لأهل الذمة أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، وهذا الذي يقدمه الإسلام لمخالفيه في العقيدة من أهل الذمة، لا يمكن أن يقدمه أي مبدأ من المباديء الجاهلية، لمن يخالفونه في الرأي فضلاً عمن يخالفونه في الاعتقاد.

وما ورد في الكتاب والسنة مما قد يفهم منه خطأ قصد الإهانة والاحتقار للكفار من أهل الذمة فإن المقصود بذلك هو ألا يظن أولئك أو يظن أحد من المسلمين أن الذميين ومن في حكمهم تجب معاملتهم على غرار معاملة المسلمين سواء بسواء، وهذا أمر غير مقبول حيث لا مساواة بين الكفر والإسلام. فالإسلام يعتبر أهل الذمة في داخل الدولة الإسلامية مواطنين من الدرجة الثانية، ولكنه يحقق لهم قدراً من الحماية والرعاية قلما يتوفر لهم في ظل أنظمتهم الجاهلية نفسها.

وقد اختلف العلماء في معنى الصغار المذكور في قوله تعالى: ﴿**حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون**﴾[٢]. على قولين:

القول الأول: ذهب بعض الفقهاء إلى تفسير الصغار بأنه نوع من الإهانة والإذلال الفعلي، ولكن هذا القول لا دليل عليه، ولا هو مقتضى الآية ولا نقل عن رسول الله ﷺ ولا عن صحابته أنهم فعلو ذلك[٣].

---

(١) انظر التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام/ محمد الغزالي ص ٣٨.

(٢) سورة التوبة آية (٢٩).

(٣) انظر أحكام أهل الذمة/ ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٤.

القول الثاني: إن الصغار المذكور في الآية هـو إلتزامهم لجـريان أحكام الملة عليهم، وإعطاء الجزية فإن إلتزام ذلك هو الصغار[1]. وهو الصواب في نظري والله أعلم.

وقد خص بعض العلماء جواز الإذلال والإمتهان الفعلي عند عدم الدفع للجزية فإنه يجوز تعزير الممتنع عن دفع الواجب بدون عذر شرعي مقبول[2].

وقيل أنه لما كان في المفهوم العام أن يد المعطي العليا ويد الآخذ السفلى، أمر المسلمون بعكس ذلك بأن يأخذوها على وجه تكون فيه يد المعطي السفلى ويد الآخذ العليا، وفي ذلك دلالة على أنه لا يجوز وضع أهل الذمة ومن في حكمهم من المستأمنين في مرافق الدولة التي يظهرون فيها تكبرهم، واستعلاءهم على المسلمين، فإنه في هذه الحالة تنعكس الصـورة، حيث يصبح الكفـار هم الأعلون والمسلمون في مـوقع الـذلة والصغار، وهذا ما حذرنا الله عنه في قوله تعالى: **﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾**[3] ولذلك قال الفقهاء: إذا وجدت مثل هذه الحالة فإن الكفار الذين هم بهذه الصفة لا حرمة لهم في دمائهم وأموالهم لأن الله تعالى مدَّ أمد القتال إلى غاية وهي إعطاء الجزية مع الصغار، فإذا كانت حالة الذميين منافية لذلك في دار الإسـلام، فلا عصمـة لأموالهم وأنفسهم وليست لهم ذمة[4]. حيث قد اشترط عمر (رضي الله عنه) تلك الشروط التي فيها الذل والصغار لهم، فمتى خرجوا على تلك الشروط فلا عهد لهم ولا ذمة[5].

---

(١) المصدر السابق نفس المكان.
(٢) المصدر السابق نفس المكان.
(٣) سورة آل عمران آية (١٣٩).
(٤) انظر أحكام أهل الذمة/ ابن القيم الجوزية جـ ١ ص ٢٤ ـ ٢٥.
(٥) المصدر السابق جـ ٢ ص ٦٥٧.

٢ ـ المستأمنون أو أهل العهد:

المستأمِن. بكسر الميم هو الطالب للأمان، وبالفتح بمعنى اسم المفعول أي صار آمناً ومأموناً[١] والأصل في الأمان قوله تعالى: ﴿**وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون**[٢]﴾ وقوله ﷺ (....،ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل)[٣] وهذا الأمان الذي يعطي للمستأمن أمان مؤقت بخلاف الأمان الذي يعطى لأهل الذمة فهو أمان مؤبد ما إلتزموا بشروط العقد، بخلاف أمان المستأمن فهو أمان يلزم تحديده بمدة زمنية معينة، وينعقد الأمان بحق المستأمن بكل لفظ يفيد ذلك المعنى سواء كان صريحاً أو كتابة، كما ينعقد بالكتابة والرسالة والإشارة ونحو ذلك[٤].

وللحربي المستأمن أن يعمل بمقتضاه فيدخل دار الإسلام آمناً ولا يجوز لأحد التعرض له بسوء، ويجب على كافة المسلمين رعاية هذا الأمان، والعمل بموجبه مادام هذا الأمان قد تم بالشروط المعتبرة شرعاً[٥].

أما إذا كان الأمان صادراً من حاكم خارج على الإسلام، فلا طاعة له ولا أمان لمن أمنهم من الكفرة أمثاله، كما يفعل بعض المتسلطين على رقاب المسلمين. حيث يستخدمون الخبراء. والمستشارين والمقاتلين من روسيا وأمريكا وكوبا وغيرها من دول الكفر والضلال لمقاتلة المسلمين في عقر دارهم، فهؤلاء لا عهد لهم ولا أمان لأن من أعطاهم الأمان لا يملك الحق الشرعي في ذلك[٦].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار/ محمد أمين جـ ٣ ص ٣٤١.

(٢) سورة التوبة آية (٦).

(٣) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٤٢.

(٤) أنظر المغنى جـ ٨ ص ٣٩٧.

(٥) المصدر السابق جـ ٨ ص ٣٩٨.

(٦) انظر الهداية شرح بداية المبتدىء ـ كلاهما تأليف برهان الدين المرغيناني، جـ ٤ ص ٣٠٠=

وينتقض أمان المستأمن إذا كان في الأمان مفسدة وضرر على المسلمين، كما تقدم، كما أن للإمام الشرعي نقض أمان المستأمن عند الخوف من خيانة ونحو ذلك[٢].

ولأهل العهد (أو المستأمنين) إذا دخلوا دار الإسلام الأمان على نفوسهم وأموالهم، ولهم أن يقيموا فيها فيما عدا الحرم والحجاز والجزيرة العربية في بعض الأقوال مدة معلومة يحددها الإمام فإن قلت عن أربعة أشهر كانت بغير جزية، وإن بلغت السنة وجب أخذ الجزية عليهم[٢].

ويجب على المستأمن الإمتناع عن كل قول أو فعل يوحي بانتقاص الدين الإسلامي أو الإزدراء بعقيدة المسلمين، وإذا خالف ذلك وجب عليه من العقوبة مثل ما يجب على غيره من المخالفين سواء كان المخالف مسلماً أو ذمياً أو معاهداً.

والدليل على ذلك أن يهودية كانت موادعة ـ أي مستأمنة غير ذمية قد شتمت الرسول ﷺ فأهدر دمها ولم يعاقب قاتلها[٣].

وكذلك أنس بن زنيم من بني بكر، هجا رسول الله ﷺ فأهدر دمه مع أنه لم يكن ذمياً، وإنما كان موادعاً فهو في حكم المستأمن[٤].

= وانظر كشاف القناع عن متن الاقناع/ منصور بن ادريس جـ ١ ص ٦٩٥ وانظر معنى المحتاج/ محمد بن احمد الشربيني جـ ٤ ص ٢٣٨.

(١) مغنى المحتاج جـ ١ ص ٣٠٠.

(٢) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٤٦. وانظر نيل الأوطار للشوكاني. جـ ٨ ص ٢٢٢ ـ ٢٢٣.

(٣) انظر الصارم المسلول على شاتم الرسول/ ابن تيمية ص ٦٠ ـ ٦١.

(٤) المرجع السابق ص ٨٠٦.

المبحث الرابع

تعامل المسلمين مع الكفار المحايدين

سبق أن تناولنا موقف الدولة الإسلامية من الكفار عامة وقلنا في توجيه مفهوم الحرب والسلم في الإسلام أن الدولة الإسلامية الحقة دولة دعوة وجهاد. في سبيل الله، وهي تدعو أول ما تدعو بالحكمة والموعظة الحسنة وابلاغ الدعوة بالكلمة الطيبة والمجادلة اللطيفة، قال تعالى: ﴿**ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**﴾[1] وهذا العمل ليس تدخلاً في شؤون الآخرين على جهة الإفساد كما يصوره أعداء الإسلام، وإنما هو تدخل لإصلاح حالهم في الدنيا والآخرة، فإن أبوا ذلك وحالوا بين المسلمين وبين إبلاغهم كلمة الحق، وجب عند ذلك استعمال النوع الثاني من أساليب الدعوة وهو الجهاد، فالجهاد يضطر إليه المسلمون اضطراراً، ليس حباً منهم لإراقة الدماء، ولا لقسر الناس كأفراد على الدخول في الإسلام، وإنما يحتاجون إليه كما يحتاج الطبيب إلى استئصال بعض الأعضاء الفاسدة في الجسم محافظة على سلامة الجسم كله من

---

(١) سورة النحل آية (١٢٥).

الموت وسريان المرض فيه، وكذلك المجاهدون يستأصلون القوة الفاسدة التي تقف في وجه الحق رتمنع الدعوة والدعاة من أن يبلغوا الناس دين الله كما أنزله الله، ودعا إليه رسوله ﷺ[1].

ولذلك إذا وجد من الكفار من يرغب التعامل مع المسلمين على أساس السلم، وتبادل المنافع والاحترام المتبادل، واطلاق حرية الدعوة إلى الله بين أفـرادهم وداخل مجتمعـاتهم وأن يقفوا مـوقف الحياد في قتـال المسلمين عدواً ذا شوكة، فإن الأدلة الشرعيـة تقرر وجـوب مسالمتهم، مادامت حرية الدعوة إلى الإسلام مكفولة، فليس هناك حاجة إلى الحرب أو القتال، حيث أن الإسلام لا يريد أن يكره الناس أن يكونوا معه، ولكنه لا يسمح لهم أن يقفوا ضده، أو يحاربـوه بأيـة وسيلة من وسائـل الحرب المتعددة، فهو لا يعتبر كل من ليس معه عدوا له تجب محاربته والقضاء عليه، كما هو منهج المبادىء الوضعية، والقوانين الجاهلية، بـل يحمل هؤلاء الذين يقفون من الإسلام موقف الحياد، بأنهم أناس يجهلون حقيقة الإسلام ومميزاته العظام، فهو يرجو من هؤلاء المحايدين أن ينحازوا إلى الإسلام، حينما تزول الملابسات والتصورات التي تمنعهم من الدخول فيه وقد حصل هذا بالفعل في بلاد النوبة[2] وغيرها من بلاد المسلمين.

قال تعالى: **﴿إلا الذين يصلون إلى قوم بينكم وبينهم ميثاق أو جاؤكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم أو يقاتلوا قومهم، ولو شاء الله لسلطهم عليكم، فلقاتلوكم، فإن اعتزلوكم فلم يقاتلوكم، وألقوا إليكم السّلم، فما جعل الله لكم عليهم سبيلا﴾**[3] وهذه الآية من الآيات المحكمة التي لم يتـطرق إليها النسـخ[4] وهي تعني أن الله أوجب مسالمـة من يقف من

(١) انظر النظم الدولية في القانون والشريعة د/ عبد الحميد الحاج ص ١٤١ - ١٤٧.
(٢) النوبة منطقة ممتدة على شاطىء النيل من أسوان جنوب مصر حتى دنقلة في السودان. انظر ذلك في الموسوعة العربية/ محمد شفيق غربال، م ٢ ص ١٨٥١.
(٣) سورة النساء آية (٩٠).
(٤) انظر الناسخ والمنسوخ لأبي جعفر النحاس ص ١١١.

المسلمين موقف الحياد، فلا يحاربهم، لا يعين عليهم محارباً قال تعالى: ﴿**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين**﴾[1] فهذه الآية والتي قبلها نص صريح واضح في تقرير مبدأ مسالمة المحايدين من الكفار لأن ذلك مما يتفق وروح الدعوة الإسلامية التي انتشرت بطريق السلم في أندونيسيا والسودان والصومال ووسط أفريقيا، وجنوب شرق آسيا عامة، حيث يعتبر الإسلام الحرب ضرورة لدفع العدوان المانع من وصول الدعوة إلى الناس فإن زال المانع وإلتزم غير المسلمين جانب السلم مع المسلمين وسارت العلاقات بينهما سيراً طبيعياً دون أن يكدر صفوها شيء وجب اعتبار هؤلاء محايدين، ووجب الكف عن أذاهم وحسن معاملتهم.

ومن الأمثلة العملية على وجود المحايدين من الإسلام ما يلي:

١ ـ حالة أهل الحبشة فقد اعتبرها المسلمون من البلاد التي لا يجوز بدؤها بالقتال، فقد ورد فيما يروي عن النبي ﷺ أنه قال (اتركوا الحبشة ما تركوكم، فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة)[2] وقد ضعف الألباني هذا الحديث[3] وقد سئل الإمام مالك (رحمه الله) عن صحة هذا الحديث فلم يعترف بصحته، ولكن قال: لم يزل الناس يتحامون غزوهم)[4].

وورد أيضاً فيما يروى عن رسول الله ﷺ أنه قال: (دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم)[5] وقد حسن الألباني الاستشهاد به ومال

---

(١) سورة الممتحنة آية (٨).

(٢) رواه النسائي في سننه جـ ٦ ص ٤٤، والبيهقي في السنن الكبرى جـ ٩، ص ١٧٦ وأبو داود في سننه جـ ٤ ص ١٦٢.

(٣) خرجه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ٢ ص ٤١٥ ـ ٤١٧ برقم (٧٧٢).

(٤) انظر بداية المجتهد/ محمد بن احمد القرطبي جـ ١ ص ٣٦٩.

(٥) رواه أبو داود والنسائي. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة جـ ٢ ص ٤١٦.

إلى توثيقه. ولكن الصواب أن معناه لا يصح الأخذ به، فلو صح عند أصحاب رسول الله ﷺ وعملوا به لما توجهت جيوش الفتح الإسلامي إلى تركيا والقسطنطينية حيث لو توقف المسلمون في حدود الشام، لما توجه الترك لحربهم لو علموا ذلك من المسلمين.

أما بلاد الحبشة فقد أعتبرت في عهد الصحابة (رضي الله عنهم) أكثر من بلاد محايدة، بل هي بلاد مناصرة لأهل الإيمان، لمعاملتها الحسنة للمسلمين في هجرتهم إليها أيام النجاشي.

ولكن بما أن أحكام الإسلام لم تكن نافذة فيها فهي ليست دار إسلام، وباعتبارها مسالمة لأهل الإسلام مناصرة لهم فهي ليست دار حرب وعلى هذا يمكن أن تسمى (دار حياد) بمفهوم العصر الحاضر[1].

٢ ـ يشبه موقف أهل الحبشة موقف أهل النوبة في جنوب مصر وشمال السودان على ضفتي نهر النيل من أسوان في مصر إلى دنقلة في السودان وهي مملكة نصرانية في السابق وقفت في وجه المسلمين الفاتحين واستعصت عليهم وكلفت الجانبين خسائر جسيمة، وأخيراً عقد ملكها عقد صلح مع المسلمين يقوم على مبدأ التسامح بينهم في حرية الدعوة والإعتقاد وحسن الجوار، وتبادل المنافع الاقتصادية، حيث أن مصر تمد بلاد النوبة بالحبوب والثياب والخيل، والنوبة تمد مصر بالماشية وعمال فلاحة الأرض، لينصرف المسلمون الى الجهاد وقد استمرت هذه المعاهدة أكثر من ستمائة سنة حتى الحكم الفاطمي في مصر[1]. وبهذا لم تكن بلاد النوبة في ذلك العهد من دار الاسلام لعدم نفاذ احكام الاسلام فيها، ولا من دار العهد لعدم وجود علاقة الخضوع والتبعية للمسلمين.

---

(١) انظر العلاقات العامة والخاصة في الإسلام تأليف مجموعة من الدكاترة ص ٩٧.

(٢) انظر تاريخ الاسلام السياسي د/ حسن ابراهيم جـ ٢ ص ٢٠٤ وانظر آثار الحرب في الفقه الاسلامي د/ وهبة الزحيلي ص ١٩٤ وانظر العلاقات العامة والخاصة في الاسلام/ مجموعة أساتذة ٩٨.

ولا بدار حرب تعلن عداوتها للإسلام والمسلمين، فهي إذا يمكن تسميتها دار مسالمة وموادعة وحياد.

ويمكن أن تعتبر بعض الدول الأوروبية الصغيرة مثل النمسا وسويسرا التي تقف في الظاهر من قضايا الإسلام موقف المحايد، دولاً محايدة ما لم يثبت خلاف ذلك من محاربة للإسلام والمسلمين، أو تتعاون مع المحاربين للإسلام وأهله. وقد روى ابن سعد أن النبي ﷺ وادع بني صخر من كنانة ألا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثروا عليه، ولا يعينوا عليه عدواً، وكتب بينه وبينهم كتاباً بذلك[1].

ويجوز استخدام الكفار المسالمين المحايدين للدعاية لصالح المسلمين وإيقاع الرعب والهزيمة المعنوية في الكفار المحاربين فقد مر معبد بن أبي معبد الخزاعي برسول الله ﷺ وهو في حمراء الأسد[2] بعد موقعة أحد، ومعبد يومئذ مشرك فقال: يا محمد لقد عز علينا ما أصابك ولوددنا أن الله عافاك فيهم ثم خرج ورسول الله ﷺ بحمراء الأسد، حتى لقي أبا سفيان بن حرب ومن معه بالروحاء[3].

وقد أجمعوا الرجعة إلى رسول الله ﷺ وأصحابه، وقالوا أصبنا جل أصحابه، وأشرافهم وقادتهم، ثم نرجع قبل أن نستأصلهم! لنكرن على بقيتهم فلنفرغن منهم.

فلما رأى أبو سفيان معبداً قال: ما وراءك يا معبد؟ قال: محمد قد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لم أر مثله قط! يتحرقون عليكم تحرقاً! من الحنق[4] عليكم، لم أر مثله قط! قال ويحك، ما تقول؟ قال: والله ما

---

(١) انظر في ظلال القرآن م ٤ جـ ١٠، ص ١٢٣.

(٢) حمراء الأسد مكان على عبد ثمانية أميال من المدينة نحو مكة.

(٣) الروحاء قرية لمزينة على مسافة ليلتين من المدينة.

(٤) الحنق: شدة الغيظ.

أرى أن ترحل حتى نرى نواصي الخيل قال: فوالله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم. قال: فإني أنهاك عن ذلك[1].

وبناء على ذلك فإن الكفار المسالمين المحايدين لا تجب معاداتهم ولا تصح موالاتهم، وإنما يعاملون بالعدل والإحسان والبر، فلا يعادون عداوة المحاربين ولا يوالون موالاة المؤمنين وإنما يجوز معهم التعامل على أساس العدل والصلة بالمعروف وكف الأذى والعدوان عنهم، مادام أنهم يبادلون المسلمين هذا الشعور، ويقفون منهم ذلك الموقف المتسامح الذي ينبىء عن مبدأ قبول الدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، وهذه هي الغاية التي يريدها الإسلام في الدعوة والجهاد، فإذا توفرت في قوم وجب الكف عنهم واحترام حقوقهم إذا كانوا يحترمون المسلمين، ويلتزمون بموقف الحياد من الإسلام وأهله إلتزاماً حقيقياً صادقاً لا مراوغة فيه ولا احتيال.

وإذا حصل نزاع بين الكفار بعضهم مع بعض فإنه يجوز للمسلمين تأييد أحد الطرفين على الآخر تأييداً معنوياً وذلك مثل ما حصل من الحرب بين الفرس والروم، فعندما هزم الفرس الروم في أول الأمر فرح كفار مكة وقالوا للمسلمين لقد هزم إخواننا الفرس اخوانكم من أهل الكتاب حيث كان كفار قريش يوالون الفرس نظراً إلى أنهم جميعاً أميون وكان المسلمون يقفون بمشاعرهم مع الروم لأنهم أهل كتاب فدارت المعركة مرة أخرى وانتصر الروم على الفرس وفرح المسلمون بذلك[2]. ونزل في ذلك قوله تعالى: **﴿ألم. غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾**[3].

---

(١) أنظر تهذيب سيرة ابن هشام/عبد السلام هارون ص ١٩٤.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ومعه تفسير البغوي ـ معالم التنزيل ـ جـ ٦ ص ٤١٢ ـ ٤١٦ ـ (ط ـ ١ ـ مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٤٧ هـ).

(٣) سورة الروم آية (١ ـ ٥).

المبحث الخامس

تعامل المسلمين مع الكفار المحاربين

إن التجربة والتاريخ قد أثبتا أن الكفر ملة واحدة، وإن أعداء الإسلام كل لا يتجزأ، فهم يقفون منا موقفاً عدائياً واحداً على مر العصور وتكرار الدهور.

إنهم قد يختلفون في مناهجهم ومنطلقاتهم في الحياة فيما بينهم ولكنهم يجمعون على عداوة الإسلام وحربه رغم تباينهم ورغم حرص المسلمين على موادعتهم ومسالمتهم ورغم أن معظم مصالحهم عند المسلمين وهؤلاء المحاربون يمكن تقسيمهم إلى ثلاثة أقسام.

١ ـ المحاربون من أهل الأوثان.
٢ ـ المحاربون من اليهود.
٣ ـ المحاربون من النصارى.

وكل من هؤلاء لهم مواقف عدائية لا يقل بعضها عن البعض ولكن موقف المسلم في معاداته لمن ينكر وجود الله إنكاراً كلياً أشد من موقفه من

اليهود والنصارى الذين يؤمنون بوجود الله، وإن كانوا لا يطبقون شرعه، ولا يلتزمون بمنهجه.

وعداوة المسلم للمحاربين اليهود أشد من عداوته للمحاربين النصارى عملاً بقوله تعالى: ﴿**لتجدنَّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا**﴾[1] فيكون النصارى في الدرجة الثالثة بعد اليهود هـذا إذا كان هؤلاء كلهم أهل حرب للإسلام والمسلمين، وهم دائماً في الغالب كذلك وقد نهى الله عز وجل عن موالاة المحاربين للإسلام والمسلمين أياً كان نوعهم قال تعالى:

١ - ﴿**لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخـر يوادون من حـاد الله ورسوله**﴾[2].

٢ - وقال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق**[3]﴾.

٣ - قال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أوليـاء بعض ومن يتولهم منكم فـإنـه منهم إن الله لا يهـدي القـوم الظالمين**﴾[4].

٤ - قال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين**[5]﴾.

ومحاربة هؤلاء للإسلام قد تأتي من طرف واحد من هذه الأطراف

---

(١) سورة المائدة آية (٨٢).

(٢) سورة المجادلة آية (٢٢).

(٣) سورة الممتحنة آية (١).

(٤) سورة المائدة آية (٥١).

(٥) سورة المائدة آية (٥٧).

الثلاثة وقد تأتي من بعضهم مثل تعاون النصاري مع اليهود في فلسطين وأهل الأوثان مع النصاري في الهند وجنوب شرق آسيا والشيوعيين مع اليهود في روسيا، وقد تأتي منهم جميعاً بناء على مكر يمكرونه وتآمر يتآمرونه على الإسلام والمسلمين.

ولنبدأ بعرض موجز يوضح محاربة هذه الأصناف أو معظم المنتمين إليها للإسلام والمسلمين.

المحاربون من أهل الأوثان

إن الشيوعيين عبدة أوثان وإن ادعوا العلم والمعرفة ذلك أنهم يقدسون المادة ويرون أنها الفاعلة لكل شيء فيمنحونها خصائص الألوهية ويتخذونها لهم إلـهاً من دون الله ذلك أن شعارهم (لا إله والحياة مادة)[1] ومهما يكن من أمر فإن الشيوعية صناعة يهودية قام على بعثها وترويجها ماركس اليهودي الألماني، وقد خلفه على ذلك عدد من أعضاء المجلس الشيوعي الذي حكم روسيا سنة (١٩٥١ م) حيث كان سبعة عشر عضواً من اليهود الصرحاء وكان ستالين الرئيس البارز للشيوعية متزوجاً بيهودية[2]، وفي اجتماع سري لليهود في فلسطين حضره الحاخام (جوآشيم برنز) قال فيه أيها السادة كلكم يعرف مدى الصلة القائمة بيننا وبين إخواننا اليهود في روسيا، وما لهم من أيادي كريمة في مساعدتنا، وخاصة بموقفهم منا إبان حرب فلسطين، وهذا الموقف رجح كفتنا، ومكننا من طرد العرب الغزاة عن أرض وطننا المقدس، ولو لم تكن الأسلحة التي أمدونا بها والتي نقلتها إلينا طائراتهم في الوقت المناسب لما قامت إسرائيل البتة، والأسلحة التي ندفع بها اليوم

---

(١) ط الاشتراكية والاسلام/ تعريب صهيب عبد الغفار تأليف مسعود الندوي ص ٢٧ وانظر حكم الاسلام في الاشتراكية/ عبد العزيز البدري ص ١١٩. وانظر نقض الاشتراكية الماركسية/ غانم عبده ص ٨.

(٢) ط كتاب الكيد الأحمر/ عبد الرحمن حبنكة ص ٩٣.

عن حدودنا في إسرائيل هي أيضاً مما أرسله لنا إخواننا اليهود في روسيا وهي التي دفعت بالألوف من يهودها للإلتحاق بالقوات الاسرائيلية ليساعدونا في حرب التحرير[1]، وهي ما تزال تساعدنا حتى اليوم لقاء ما قدمناه لها في ثورتها، وتنظيم شؤونها، وتثبيت دعائم الشيوعية فيها[2].

وقد نشرت جريدة المدينة المنورة بتاريخ ٢٥ رجب سنة ١٣٩٩ هـ العدد (٤٦٢٢) ما يلي: -

هاتفياً - من عبد الباري عطوان:

لندن - وُزعت في لندن أمس الثلاثاء منشورات صادرة عن منظمة انكليزية أمريكية مناهضة للشيوعية والصهيونية فيها حقائق مذهلة مدعومة بالأرقام والأسماء تقول:

«إن مجلس السوفييت الأعلى والمكتب السياسي فيه» يتألف منه ٩٠٪ من اليهود السوفييت، وإن أبرز الزعماء السوفيت ينتمون إلى الصهيونية حتى أن «ليونيد بريجينف» وهو الشخص الوحيد من بين كبار الشخصيات السوفيتية الذي ليس يهودي الأصل متزوج من يهودية، وإن جميع أولاده تربوا على الطريقة اليهودية ويجيدون اللغة العبرية ونالوا قسطاً من الثقافة الصهيونية[3].

وبناء على ذلك فإن الشيوعيين وعملاءهم في كل مكان يسيرون وفق

---

(١) في برنامج بثته اذاعة الكويت عصر يوم الاثنين ٢/ ١/ ١٤٠١ هـ، ١٠/ ١١/ ١٩٨٠ م أن المعدل السنوي لهجرة اليهود المدربين عسكرياً وعلمياً وصناعياً من روسيا إلى دولة اليهود في إسرائيل (٢٥) ألف يهودي وأنه خلال العشر سنوات الماضية هاجر إلى اسرائيل ربع مليون يهودي يشكلون القوة الرئيسية الضاربة في اسرائيل.

انظر مجلة البلاغ عدد ٥٦٧ في ١٥/ ١/ ١٤٠١ هـ.

فماذا يقول باعة الجولان وأنصارهم في ليبيا وعدن؟

(٢) انظر كتاب الكيد الأحمر/ عبد الرحمن جنبكة ص ١٠٠ - ١٠١.

(٣) المصدر السابق ص ٩٣/٩٤.

مخطط بروتوكلات حكماء صهيون[1] والبرهان على ذلك أن الشيوعية ما تحل في بلد إلا وتجعل فاتحة عملها سحق المسلمين حتى النهاية وهذا الحقد الدفين إنما هو جزء من حقد اليهود ضد الإسلام والمسلمين، ففي روسيا قتل الشيوعيون مالا يقل عن ستة وعشرين مليوناً من المسلمين في خلال ربع قرن[2]. وأغلق أكثر من أربعة وعشرين ألف مسجد[3].

وها هي الشيوعية اليوم تكمل ما فعلته بالأمس في غزوها لأفغانستان فقد قتلت ما يقارب المليون[4] وشردت مليونين ونصف لاجىء في باكستان[5].

ولا تزال قواتها تحصد المسلمين وسوف تتجاوزهم إلى غيرهم إن استطاعت ذلك، وروسيا الشيوعية ليست الدولة الشيوعية الوحيدة التي تحارب الإسلام في أفغانستان وغير أفغانستان، بل معها كل الدول الشيوعية فقد أسر المجاهدون الأفغان جنوداً كوبيين ومجريين وبلغاريين وغيرهم وقد سبق أن أشرنا إلى ما فعله الشيوعي تيتو في يوغسلافيا حيث قتل ما يقارب المليون من المسلمين[6].

ومع ذلك يستقبل - قبل هلاكه في بعض البلاد الإسلامية - كأعز صديق للمسلمين.

---

(١) أنظر بروتوكولات حكماء صهيون ص ١٢٧ ترجمة محمد التونسي.
(٢) انر العلاقات الدولية في الإسلام د/ كامل سلامة الدقسي ص ١٦٣.
(٣) انظر التضليل الاشتراكي. د/ صلاح الدين المنجد، ص ٨٤.
(٤) انظر مجلة المجتمع عدد (٥٥٠) في ١٣/ ١/ ١٤٠٢ هـ، ص ٢٠ - ٢٥، فقد ذكر عبد رب الرسول سياف زعيم المجاهدين أن عدد الذين استشهدوا اكثر من ثمانمائة ألف مسلم.
(٥) هذ العدد من كلمة عبد رب الرسول سياف أحد قادة المجاهدين الأفغاني من كلمته التي ألقاها في مؤتمر القمة الاسلامي الذي عقد بالطائف في الفترة من ١٩ إلى (٢٣) من شهر ربيع الثاني ١٤٠١ هـ.
(٦) أنظر العلاقات الدولية في الإسلام د/كامل سلامة الدقسس، ص ١٦٣ - ١٦٥.

لقد تجاوز خطر الشيوعية والشيوعيين ذلك، إلى التغلغل في داخل البلدان الإسلامية حيث نشأت أحزاب شيوعية في معظم البلاد الإسلامية بعضها ظاهر، وبعضها مستتر وهدف هذه الأحزاب حسب المخطط اليهودي الصليبي هو القضاء على الإسلام وجعل المسلمين أمة ممسوخة لا قيمة لهم في الحياة وقد وصل بعض رجال الشيوعية إلى السلطة في بعض البلاد الإسلامية وبدأوا يمارسون دورهم الخياني في الحرب ضد الإسلام والمسلمين والبعض الآخر يعمل من وراء الستار تمهيداً للقفز إلى سدة الحكم، وكل هذه الأحزاب الطاغوتية الكافرة على ولاء تام مع اليهود وارتباط وثيق بهم، يمثل ارتباط الفرع بالأصل ففي سنة ١٩٤٨ م طلعت جريدة الراية العراقية الشيوعية تقول: «إن الشعب العراقي يرفض أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق»[١]. ا. هـ

وأرسل خالد بكداش العميل الشيوعي لروسيا (فرج الله الحلو) أحد الشيوعيين في سوريا إلى تل أبيب للتنسيق مع اليهود واستقدام (تخمان لفنيسكي) اليهودي كي يعمل مستشاراً للحزب الشيوعي في سوريا، وفي أواخر الستينيات نشر لطفي الخولي الشيوعي المصري في جريدة الأهرام: (إن المصريين لا يضمرون إلا الحب والتقدير للعمال والفلاحين اليهود) وكأن هؤلاء لم يسفكوا دماء الفلسطينيين ولم يحتلوا أرضهم[٢].

بل لقد وصل الأمر بالشيوعيين العرب والفلسطينيين منهم خاصة أن يلتقوا تحت العلم الإسرائيلي في مؤتمرات دولية وندوات عالمية جنباً إلى جنب مع أفراد من عصابات اليهود وفي جلسات ود على كأس وشراب، وقد قرر هؤلاء أن يعملوا في صف حزب (راكاح) اليهودي، المموه بالشيوعية وهؤلاء يدورون بين أيدي الأخطبوط اليهودي، وهم لم يدركوا من سذاجتهم أنه لا فرق بين سيد شرقي أو سيد غربي أو طاغية شرقي أو طاغية غربي أو

---

(١) انظر مجلة الاصلاح عدد ٢٦ جمادي الثاني (١٤٠٠ هـ) ص ٧.

(٢) أنظر مجلة الاصلاح عدد (٢٦) جمادي الثاني (١٤٠٠ هـ) ص ٧.

محتل رأسمالي مبطن، أو محتل رأسمالي مفضوح، أو كوهين رأسمالي أو كوهين اشتراكي طالما يعمل الجميع لخدمة دولة الكيان الصهيوني، وطالما يحاربون الإسلام والمسلمين، **فإن الكفر ملة واحدة شرقية وغربية ووسطه ولكن أين من يسمع ويبصر ثم يعي**[1]. **قال تعالى: ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم﴾**[2]. وفي جامعة «بير زيت» سئل رئيس مجلس الطلبة المنتخب وهو شيوعي عربي فلسطيني - عن سر اتحادهم مع الكتل اليهودية والنصرانية ضد الكتلة الإسلامية فأجاب (نحن على استعداد أن نتحد مع الشيطان ضد الإتجاه الإسلامي)[3].

هذه نماذج للشيوعية التي تحارب الإسلام في الخارج والداخل وقد يقول بعض المخدوعين السذج إن الشيوعية كمذهب اقتصادي لا علاقة لها بالأديان، فلماذا تناصبونها العداء وهي بهذا الشكل؟

والرد على ذلك إنما يكون بتتبع الشيوعية نظرية وواقعاً. ففي المجال النظري يقول ماركس اليهودي الألماني (الدين أفيون الشعوب) هذا شعاره وشعار ببغاواته وأذنابه، ويقول ماركس أيضاً: (لا بد لكل شيوعي أن يتخلص من رجال الدين بأي وسيلة وبأي صورة)[4]. ا. هـ

ودعاة الاشتراكية هم دعاة إلى الشيوعية ولكنهم يريدون خداع الشعوب الإسلامية باستعمال مصطلح أخف وقعاً على الإسماع من الشيوعية، وليغرروا بالضعفاء والسذج من العمال والكادحين، إنهم سوف

---

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٥٤٧) الثلاثاء ٢٩/ ١٢/ ١٤٠١ هـ. السنة الحادية عشرة ص ٢٥ عن مقال من هم الخونة بقلم يوسف العظم.

(٢) سورة البقرة آية (٦، ٧).

(٣) انظر مجلة المجتمع الكويتية العدد (٥٥٠) السنة الحادية عشرة الثلاثاء ١٣/ ١/ ١٤٠٢ هـ، ص ٤٧.

(٤) انظر العلاقات الدولية في الإسلام. د/ كامل سلامة الدقس ص ١٦٣.

يجعلون لهم الأرض جنة خضراء، ولكن الواقع في البلدان الشيوعية عكس ذلك تماماً فهذه بولندا تريد أن تطلق الشيوعية إلى غير رجعة بعد أن اكتوت بنارها وجنت مرارة تطبيقها.

وكإثبات على أن الاشتراكية ضد الأديان ولا تلتقي معها نذكر ما نشرته مجلة كومنست السوفيتية في أول يناير سنة (١٩٦٤ م) حيث جاء فيها ما يلي:

إن بين الاشتراكية العلمية وبين الأديان السماوية صراعاً مستمراً، ولقد أوصانا لينين منذ البداية بأنه لن يستقر التحول الاشتراكي الصحيح إلا بالقضاء على الدين[١].

فروسيا بدأت تنافس أمريكا في محاربة المسلمين، فبعد أن كانت أمريكا تدعم إسرائيل وتمنحها التأييد المطلق والدعم القوي أخذت روسيا تشعل الحروب في البلاد الإسلامية في آسيا وأفريقيا لضرب الإسلام والمسلمين، فقد حاولت اذلال شعب ارتيريا المسلم لصالح الأحباش الشيوعيين، وحاولت اذلال الجزيرة العربية عن طريق تدخلها بواسطة عملائها في جنوب الجزيرة وشمالها، وأخيراً احتضن الدب الروسي أفغانستان واجتاحها بكل ما يملك من قوة لسحق الطلائع الاسلامية التي انبعثت في أرض أفغانستان والتي بدأت تهدده في عقر داره.

وسوف تستمر الحرب بين الإسلام والشيوعية حتى يأذن الله بنصره للمؤمنين على الكافرين، عند توفر أسباب النصر وانتفاء الموانع من قبل المسلمين أنفسهم قال تعالى: ﴿**إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم**﴾[٢].

---

(١) استمع إلى محاضرة مسجلة للدكتور/ علي جريشه بعنوان أعداء في طريق الدعوة. تسجيلات اليمامة بالرياض البطحاء عمائر الدغيثر.

(٢) سورة محمد آية (٧).

وقال تعالى: ﴿**وكان حقاً علينا نصر المؤمنين**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**إنَّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الإشهاد**﴾[2].

فيجب أن لا نخاف من أعدائنا بقدر ما نخاف من أنفسنا، فلو صلحت منا النيات والأقوال والأفعال، لتنزل علينا النصر الذي وعدنا الله به في كتابه الكريم كما في الآيات السابقة، ولكن لم يحصل النصر لأن نفوس المسلمين تعيش في معزل عن منهج الله وعن تطبيق شرعه، ولذلك فمن الطبيعي أن يصيب المسلمين ما أصابهم فهذه سنة الله قال تعالى: ﴿**وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين**﴾[3].

وأهل الأوثان في الهند يشنون حملة ضد المسلمين الذين يقدر عددهم بثمانين مليون مسلم تقريباً وقد سبق أن أشرنا إلى أنه أثناء انفصال باكستان عن الهند قَتَل عباد البقر ما لا يقل عن خمسة ملايين مسلم في أثناء هجرتهم من الهند إلى باكستان[4]. ولا زالوا يحاربون المسلمين حتى هذا اليوم ففي عيد الأضحى في ١٠/ ١٢/ ١٤٠٠ هـ قام الهندوس مع الهندوك بإطلاق مجموعات من الخنازير بين المسلمين في مصلى العيد وكان الهدف من ذلك هو التحرش بالمسلمين وكانت فرق من الجيش الذي يمثل الهندوس والهندوك معظمه على مقربة من ذلك وبعد أن بدأ النزاع بين المسلمين وأعدائهم بلحظات فتح هؤلاء الحاقدون نيران أسلحتهم على المسلمين وقتلوا المئات واعتقلوا الآلاف[5]. ومع ذلك لم تتحرك الدول

---

(١) سورة الروم آية (٤٧).

(٢) سورة غافر آية (٥١).

(٣) سورة البقرة آية (١٢٤).

(٤) أنظر العلاقات الدولية في الإسلام/كامل سلامة الدقس ص ١٦٣.

(٥) انظر مجلة الاعتصام العددين الثامن والتاسع السنة الرابعة والأربعون شعبان ورمضان ١٤٠١ هـ ص ١٧.

التي تدعي الإسلام ولا الشعوب الإسلامية بأي نوع من أنواع الإستنكار، بل أن العلاقات تتوطد يوماً بعد يوم مع هؤلاء الوثنيين الذين يحاربون الله ورسوله والمؤمنين. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

المحاربون من اليهود

إن عداوة اليهود وحربهم للاسلام أمر لا يحتاج الى دليل إلا إذا كانت الشمس تحتاج في اثباتها الى دليل، وقد يفرق بعض السذج والأغبياء بين اليهود والصهاينة بأن اليهود مسالمـون طيبون وأن الصهـاينة هم الأعـداء المحاربون ونحن نقول إن ذلك من مكر اليهود وتضليلهم، فاليهود صهاينة والصهاينة يهود، والله عز وجل قد اعطانا تأكيدا في عداوة اليهود للمسلمين في قوله تعالى: ﴿ **لتجدنَّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا** ﴾[1].

والتعبير القرآني يفيد الاستقبال والاستمرار، وهو وإن كان موجهـاً للرسول ﷺ فإن الأمة داخلة في ذلك كما هو منهج القرآن الكريم في هذه الآية ونحوها من آيات القرآن الكريم فاليهود كلهم اليوم يعلنون الحرب على الإسلام والمسلمين سواء اليهود الذين انتزعوا المسجد الأقصى والأرض المباركة أو اليهود الذين يتربعون على مقاعد الكونغرس الأمريكي أو اليهود في مجلس السوفييت الأعلى أو اليهود في بريطانيا وفرنسا وأوروبا كلها كل هؤلاء أعداء لنا، وينظرون الينا بأننا مجرد حيوانات لخدمتهم فقد قال أحد قادتهم في احتفال ماسوني في سنة (١٩٦٤ م) (أنه نتيجة لمجهوداتكم المثمرة سيأتي اليوم الذي تحطمون فيه الدين الإسلامي والمسيحي ويتخلص المسلمون والمسيحيون من معتقداتهم الباطلة المتعفنة)[2]. ا.هـ

---

(١) سورة المائدة آية (٨٢).
(٢) انظر حكومة العالم الخفية / تأليف ـ شبريب سبيريد وفيتش ترجمة مأمون سعيد ص ١٣.

وقد جاء في التلمود (والشعب المختار هم اليهود فقط ، أما باقي الشعوب فهم حيوانات)[1] ، واليهود يغتصبون البلاد الاسلامية ويسرقونها ثم اذا تركوا جزءاً لمصلحتهم الخاصة أو للحصول على ما هو أكبر منه تجدهم يشعرون كأنه ملكهم الخاص قال (اسحاق نافون) أحد البارزين في دولة التسلط والعدوان على دار الإسلام وذلك أثناء تسليم العريش لمصر وبحضور (أنور السادات) قال نافون : إننا في هذه اللحظات لا نعيد العريش الى مصر ولكننا نتنازل عن جزء هام من أرضنا من أجل السلام)[2] .

واليهود في صلحهم مع مصر أو غير مصر لم يجنحوا الى السلم كما يدعي بعض الخونة الذين خانوا الله ورسوله وخانوا آماناتهم ، وإنما هم حتى في صلحهم المزعوم هم محاربون لله ورسوله والذين آمنوا ، وهذا الأمر الذي قد يسميه السذج من الناس صلحاً أسلوب من أساليب الحرب ووسيلة من وسائل المكر الخبيث التي يستخدمونها ضد الإسلام والمسلمين . فهذا الصلح المزعوم حقق لليهود مصالح كثيرة لا يمكن لهم أن يحققوها عن طريق الحرب وهي كما يلي :

١ ـ تمكنوا من عزل مصر عن بقية الدول التي تدعي الإسلام ، ومصر تمثل الثقل الكبير في هذه المجموعة ، فالقضاء عليها قضاء على الشوكة الكبرى ، وتحطيم معنوي للدويلات الصغرى التي كانت تشعر بالقوة في موقف مصر معها .

٢ ـ أنهم بهذا الصلح الوهمي أوقفوا عملية التصنيع الحربي وأجهضوا الخطة المرسومة لذلك ، وذلك حتى تفقد الشعوب الإسلامية الأمل في امكانية التصنيع الحربي ، ولكي يضغطوا على الدول المنتسبة الى

---

(١) انظر مقارنة بين الأديان (١) اليهودية / احمد شلبي ص ٢٧٦ .

(٢) انظر مجلة البلاغ العدد (٥١٤) في ٢٣/ ١١/ ١٣٩٩ هـ ص ٤٠ .

الاسلام لتتسابق الى شراء الأسلحة ـ نتيجة شعورها بالضعف والخوف عند عزل مصر عنها ـ من الدول المتقدمة صناعياً والتي لديها مخزون كبير من الأسلحة وقد استغنت عنه نظراً لوجود ما هو أقوى منه فتكاً وكفاءة ، فهي تريد التخلص منه ولكن بعد أن تأخذ ثمنه اضعافاً مضاعفة ، وهي ترى أنها قادرة على ابطال مفعوله لو استخدم في غير صالحها وصالح عملائها .

٣ ـ إن الصلح مهد لليهود الدخول في مصر ، ومصر مركز التأثير الفكري والعسكري على بقية دول المنطقة وفيها امكانيات كبيرة للتعاون مع اليهود نظراً لوجود نسبة كبيرة من النصارى وقلة من اليهود الذين يتمتعون بنفوذ لا بأس به في مراكز القيادة والتوجيه ولوجود عامة المسلمين في فقر مدقع يجعل من السهل على اليهود اصطيادهم بطرق متعددة وبذلك يتمكن اليهود بالتآمر مع النصارى على ضرب المسلمين في مصر وعزلهم عن مركز السلطة وسحقهم حتى النهاية وبذلك تستسلم بقية الشعوب الاسلامية لمخططات اليهود ومطالبهم .

٤ ـ إن في الصلح فرصةً لبناء دولة اليهود في الداخل واعطائها حالة من الأمن والاستقرار لتشجيع اليهود في الداخل والخارج لبناء المؤسسات الاقتصادية والهجرة اليها من الخارج اكثر من ذي قبل .

٥ ـ إن في الصلح فرصة للوقيعة بين الدول العربية التي هي في الحقيقة تدور في فلك المخططات اليهودية من حيث تشعر أو لا تشعر ، فالدول التي سمت نفسها دول جبهة الصمود والتصدي هي تسير ضمن فلك المجموعة الشيوعية التي هي بالتالي تخضع للسيطرة اليهودية فكرياً وعملياً والدول التي التزمت بالصمت أو أظهرت جانباً من الرضا والتأييد الخفي أو المعلن لمصالحة اليهود هي أيضاً تسير في فلك الدول الغربية التي يوجهها اليهود في لندن أو واشنطن وبالتالي فإن الصراع المفتعل

بين الزعامات العربية يخدم اليهود سواء كان الولاء لليهود الشرقيين أو اليهود الغربيين فإن النتيجة واحدة سواء بسواء .

٦ - إن في صلح اليهود مع مصر قضاء على الإسلام في داخل مصر بواسطة الشروط التي وضعتها إسرائيل في مجال الفكر والاعتقاد والفن وما الى ذلك ، فاليهود عندما يتنازلون عن سيناء لمصر مقابل القضاء على الإسلام في داخل مصر أعظم كسباً من الاحتفاظ بسيناء في الوقت الذي يتزايد فيه عدد المسلمين العاملين للاسلام بإخلاص في داخل مصر مما يشكل خطراً عظيماً على محو إسرائيل من الوجود كله ، وبهذا الصلح تمهد إسرائيل الطريق لتمديد حدودها الى ما وراء نهر النيل عندما تخلو أرض مصر من الإسلام والمسلمين . وحكم الاسلام في الأعداء المحاربين الذين يحتلون أرض المسلمين ويقاتلون المسلمين لأجل دينهم ويخرجونهم من ديارهم أو يظاهرون على اخراجهم أن قتالهم وجهادهم فرض عين على كل مسلم ما لم يوجد العدد الكافي لحربهم ودحرهم عن دار الاسلام[١] .

فهذه البلاد الاسلامية التي احتلها الكفار من اليهود أو أشباه اليهود يجب على كل مسلم صادق في إسلامه محاربتهم وطردهم عن دار الاسلام بالقوة .

حيث أن جهاد المعتدي ومقاومة عدوانه دفاعاً عن الدين ودفاعاً عن النفس هما جانبان لحق واحد لا يمكن قبول تركه أو التنازل عنه بحال من الأحوال[٢] .

وجهاد الكفار أو المرتدين داخل الدولة الإسلامية من غير أهل العهد والذمة أولى وألزم من جهاد الكفار خارج دار الاسلام ، وعلى هذا فإن آيات

---

(١) انظر المغني والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٣٦٦ .

(٢) انظر النظرية المعاصرة للحياد - دكتوره / عائشة راتب ص ٢٣٧ .

الجهاد في دلالتها على جهاد الكفار المحاربين في الداخل قبل الكفار المحاربين في الخارج قال تعالى : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة وأعلموا أن الله مع المتقين** ﴾[2] . فإذا كان قتال الكفار المحاربين خارج الدولة الاسلامية فما بالك بالكفار المحاربين داخل الدولة الاسلامية سواء كانوا كفاراً بالآصالة كاليهود والنصارى . أو بالردة والموالاة لهؤلاء ، كالذين يتولون الشيوعيين أو اليهود أو النصارى ، فهؤلاء كفار ومن يتول الكفار موالاة تامة فحكمه الكفر سواء كان هؤلاء الكفار خارج بلاد المسلمين أو داخلها قال تعالى : ﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾[3] .

يقول ابن سعدى في تفسيره أن ذلك الظلم يكون بحسب التولي فإن كان تولياً تاماً ، كان ذلك كفراً مخرجاً عن الاسلام وإن كان أقل من ذلك فقد يكون كبيرة من كبائر الذنوب أو ما دونها بحسب درجة الموالاة لهؤلاء الكفار[4] .

وبناء على ذلك فإن الذين يتولون اليهود أو النصارى أو الشيوعيين أو الوثنيين أو البعثيين أو نحوهم من الكفار ، ويناصرونهم بالقول والفعل أو بأحدهما ليسوا من أهل الإسلام وإن زعموا ذلك ، خاصة اذا كانت موالاتهم موالاة تامة ، أو تولياً مطلقاً .

وموالاة الكفار المحاربين لله ورسوله داخل البلاد الاسلامية أكبر إثماً

(١) سورة التوبة آية (٥) .
(٢) سورة التوبة آية (٣٦) .
(٣) سورة الممتحنة آية (٩) .
(٤) انظر تفسير ابن سعدى جـ ٧ ص ٣٥٧ .

وأعظم جريمة ، وأشد ضرراً على الإسلام والمسلمين من موالاتهم خارج البلاد الاسلامية ، وإن كان كلا الأمرين موجباً للخروج من الإسلام .

ولم يحدث أن المسلمين صالحوا أعداءهم وهم في موقف المهزوم وأعداؤهم في موقف المنتصر ، ثم احترم الأعداء شروط الصلح ولم ينقضوها(١) . ذلك أن الأعداء ليس لديهم منطلق صحيح يمنعهم من الغدر والخيانة سوى قوة المسلمين والخوف من سطوتهم ولذلك فإن الذين يسعون لمصالحة اليهود هذه الأيام يجهلون حقيقة اليهود ويجهلون وصف القرآن لهم ويجهلون أحداث التاريخ :

قالوا السلام سبيلنا يا ويحهم ... أو يرجع الحق السليب سلام(٢)
ما أيد الحق المضاع كمنطق ... تدلى به شفة السلاح الدام(٣)

ولقد كانت الخنساء أوفى لأخيها من كثير من حكام البلاد الإسلامية لأمتهم حيث قالت :

ولن أسالم قوماً كنت حربهم ... حتى تعود بياضا حلكة العار(٤)

المحاربون من النصارى

إن عداوة النصارى لأهل الاسلام لا تقل خبثا ومكراً عن عداوة اليهود ومكرهم ، ولكن النصارى قد اتفقوا مع اليهود حيث وضع الصليبيون يدهم بيد اليهود في محاربة أهل الاسلام ، وقد سيطر اليهود من اجل ذلك على زمام القيادة في معظم الدول النصرانية التي لا يمثل اليهود فيها إلا قلة قليلة ، وهذه المودة والتعاون لم تكن موافقة عابرة وإنما أدرك هؤلاء الأعداء

---

(١) انظر صفحة ٥٧٦ من هذه الرسالة .
(٢) انظر شعراء الدعوة الاسلامية جـ ٣ ص ١٠٨ .
(٣) المصدر السابق جـ ٢ ص ٥٩ .
(٤) الإبانة عن اصول الديانة لأبي الحسن الأشعري ص ٤٤ (طـ ١ ـ ١٣٩٧) .

الخبثاء أن التنسيق بينهم هو سبب تمكنهم وحصولهم على مقاصدهم من المسلمين، فإن في مجلس الشيوخ الأمريكي سبعين صهيونيا وقد كان من ابرز الوزراء اليهود كيسنجر الذي لعب دورا خطيرا في التمهيد للمصالحة مع اليهود، ومنهم مستشار (الأمن القومي وثمانية عشر يهوديا كانوا في إدارة الرئيس الامريكي كارتر[١] .

والنصارى لا يزالون يحاربون المسلمين ويخططون لحربهم فقد صرح (ريجان) في حديث أدلى به لجريدة صنداي تايمز البريطانية ما نصه : « إن هناك احتمال نشوب حرب دينية في منطقة الشرق الأوسط ، فقد عاد المسلمون الى الفكرة القائلة بأن الطريق الوحيد الى الجنة هو الاستشهاد في محاربة المسيحيين واليهود »[٢] ا. هـ .

وهذا التصريح فيه اعلان الحرب ضد المسلمين لأنه بين أن منطقة الحرب ستكون في الشرق الاوسط كما يسميه أي أنها حرب للمسلمين في بلادهم وعقر دارهم فهو لا يخشى على أوروبا أو امريكا من الاسلام ولكن يريد القضاء على الاسلام فيما يسميه (الشرق الأوسط) ليتمكن اليهود والنصارى من تحقيق مآربهم فيه ، وبذلك يضاف صليبي محارب جديد الى قائمة الصليبيين في العالم الذين دمروا وسحقوا المسلمين في صمت رهيب وهم على سبيل المثال :

١ ـ فرديناند ماركوس ـ في الفليبين .
٢ ـ جاليوس نيريري ـ في افريقيا .
٣ ـ مالكم فريزر ـ في استراليا .
٤ ـ ريجان ـ في أمريكا .
٥ ـ البابا ـ في اوروبا .
٦ ـ الأساقفة في امريكا اللاتينية .

---

(١) انظر المجتمع عدد (٤٨١) في ١٤٠٠/٧/٥ هـ السنة الحادية عشرة ص ٢٩ .
(٢) أنظرمجلة الدعوة المصرية العدد (٥٦) السنة الثلاثون (٤٣٠) شهر صفر ١٤٠١ هـ .

وكل من هؤلاء قام بدور عظيم في محاربة الإسلام والمسلمين ، ولا يزال البعض منهم سائراً هو أو خلفاؤه في الطريق نفسه ، وحتى النصارى في داخل الشعوب الاسلامية تحركوا بناء على تنسيق منظم بين هؤلاء وقيادة الصليبيين في العالم الغربي ، وتعاون اليهود في إسرائيل وخارج اسرائيل فقد تحرك نصارى لبنان وهم يسعون بالتعاون مع دولة اليهود لإقامة دولة نصرانية مجاورة لاسرائيل ، لتتقوى إحداهما بالأخرى ولا تزال الحرب قائمة من أجل تقسيم لبنان وتشتيته .

وفي مصر تحرك الأقباط ليقيموا دولة نصرانية في جنوب مصر وهم الآن يكدسون الأسلحة في الكنائس التي انتشرت بشكل كبير في (دولة العلم والايمان) !!!

وكانت الأسلحة تأتيهم على شكل طرود وتدخل بتغافل من المسؤولين او تغفيلهم عن ذلك ، ولم يكتفوا بذلك بل يجري بناء ميناء غير رسمي مقابل (واد النترون) ليتمكنوا من انزال السلاح عن طريق السفن ، وقد تم أخيراً إعطاء النصارى مساحة (١٠٠٠) فدان وقد تم تسويرها ويجري تدريب القبط فيها استعدادا للانقضاض على المسلمين(١) .

وقد قام البابا (شنودة) ممثل الطائفة النصرانية في مصر بزيارات متعددة لأمريكا وأوروبا والاتحاد السوفييتي وذلك لينسق تخطيطه مع أجنحة المكر الثلاثة ، وحكام المسلمين وشعوبهم نيام عن أعدائهم ، يحسنون الى من يسيء اليهم ويتوددون الى من يعاديهم ، ويناصرون من يخذلهم ويكرمون من يغتصب أرضهم ، ويقتل اخوانهم ، وينهب خيراتهم ، فهل هناك خسة ودناءة وذلة أعظم من هذا الموقف مع أعداء الله ؟!!

لقد وصل حقد الأقباط في مصر الى أن يطلقوا النار على المصلين

---

(١) انظر مجلة الدعوة المصرية العدد (٥٦) السنة الثلاثون (٤٣٠) شهر صفر ١٤٠١ هـ .

(٢) أنظر محاضرة مسجلة للدكتور / علي جريشة بعنوان أعداء في طريق الدعوة ـ تسجيلات اليمامة ـ الرياض ـ البطحاء ـ عمائر الدغيثر .

كما حصل ذلك في احداث الزاوية الحمراء وتجاوز الأمر ذلك الى الأطفال فقد اطلقوا النار على الطفل معتز أمين علي وعمره ثلاث سنوات واطلقوا النار على اخته التي تحمله وهي طفلة في السنة العاشرة فمات الطفل في الحال أما أخته فقد كسرت فخذاها وأصيبت اصابات بالغة .

فأي مبدأ أو دين يبيح قتل الأطفال في مثل هذه السن وبمثل هذه الصورة سوى حقد أولئك الحاقدين الذين يحقدون على كل مسلم سواء كان طفلاً رضيعاً أو شيخاً هرماً أم شاباً جلداً فالأمر كله عندهم سواء[1] .

إن واجب المسلم مع من يحاربون الله ورسوله والمؤمنين أن يرد عليهم الصاع صاعين ، فلا يستصغر لأهل الباطل ، ولا يلين لمتجبر ، ولا يستكين لكافر .

فموقف المؤمن مع أعداء الله يكون أبياً مستعليا عزيزا ، فلا يذل لمطلب من مطالبهم ، ولا يمرغ وجهه في التراب تطلعاً لعرض زائل منهم قال تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾[3] .

فمن تولى الذين يحاربون الله ورسوله والمؤمنين فهو ظالم لنفسه ولأمته ، والظلم قد يصل بالانسان الى درجة الشرك . قال تعالى : ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾[4]. وأي ظلم أشد من موالاة وموادة ومناصرة من حارب الله ورسوله والذين آمنوا ، ألا فهل من متعظ ومتدبر ومطبق لأمر الله ورسوله ؟

(١) انظر الدعوة المصرية عدد ٦٤ السنة الحادية والثلاثون (٤٣٨) شوال ١٤٠١ هـ ص ١٣ .
(٢) سورة الفتح اية (٢٩) .
(٣) سورة الممتحنة آية (٩) .
(٤) سورة لقمان آية (١٣) .

الفصل الثاني
مظاهر الولاء للكفار

(١) تمهيد لدراسة هذا الفصل .
(٢) المبحث الأول : موالاة الكفار في الحقوق العامة .
(٣) المبحث الثاني : موالاة الكفار في العلاقات الاجتماعية.
(٤) المبحث الثالث : موالاة الكفار في الشؤون الاقتصادية .
(٥) المبحث الرابع : موالاة الكفار في الشؤون الحربية .
(٦) المبحث الخامس : موالاة الكفار في الحقوق الجنائية .
(٧) المبحث السادس : موالاة الكفار في الإقامة بينهم والعمل عندهم .

التمهيد لدراسة هذا الفصل

إن الأمثلة الدالة على موالاة الكفار يختلف الحكم عليها بالنسبة لأفرادها تبعاً لإختلاف أنواع الموالاة ونية الموالي وقصده ، فهناك أنواع من الموالاة قد تكون كفراً ، وقد تكون معصية بحسب النية والقصد ، وحسب العوامل المؤثرة في الموالاة قوة وضعفاً ، فالأنواع التي قد ترتفع بصاحبها الى الكفر وقد تتدنى به الى العصيان ما يلي :

أولا : الركون القليل الى الكفار : قال تعالى : ﴿ **ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئاً قليلاً إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا** ﴾[1] . فإذا كان الركون القليل الى الكفار موجب لعذاب الدنيا والآخرة فمن الأولى في الركون الكثير أو الركون المطلق ؟

ثانياً : اعطاء الكافرين أسرار المؤمنين: ومثل هذه الحال ما حصل من حاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) فإخبار الكافرين بأسرار المؤمنين

---

(١) سورة الاسراء آية (٧٤ ، ٧٥) .

لدفع خطط المؤمنين أو لتوقي الكافرين من المؤمنين ولاء يخرج من الايمان[1] . إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فإن الله يتوب على من تاب . قال تعالى : ﴿ **إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله** ﴾[2] .

ثالثا : طاعة الكافرين في معصية الله : وقد نهى الله عن ذلك في قوله تعالى : ﴿ **ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم** ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ **ولا تطيعوا أمر المسرفين ، الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون** ﴾[4] .

رابعاً : تولية الكافرين مصالح المسلمين : إن تولية الكافرين على مصالح المسلمين ، مع وجود من يسد مسدهم من المسلمين أمر لا يقره الإسلام ، وإن تقديم الكفار على المسلمين في الوظائف والمجالس والهيئات لهو دليل على موالاتهم من دون المؤمنين . قال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودواما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** ﴾[5] .

خامسا : محبة الكفار ومودتهم : إن الاكرام العام للكفار والبشاشة في وجوههم ومحبتهم واستئمانهم على أموال المسلمين وخيراتهم الظاهرة والخفية دليل على موالاتهم ومحبتهم وقد قال رسول الله ﷺ « المرء مع من أحب »[6] .

---

(١) انظر جند الله ثقافة واخلاقا / سعيد حوى ص ١٨٣ .
(٢) سورة النساء آية (١٤٦) .
(٣) سورة الأحزاب آية (٤٨) .
(٤) سورة الشعراء آية (١٥٢ ، ١٥٣) .
(٥) سورة آل عمران آية (١١٨) .
(٦) رواه مسلم . انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٣٤ .

سادساً : التشبه بهم في أمور كفرهم : إن التشبه بهم في أمور كفرهم ، معاونة لهم على كفرهم ، واظهار الرضا بكفرهم ، وتحقيق لأهوائهم ورغباتهم ، وقد قال رسول الله ﷺ « من تشبه بقوم فهو منهم »[1] .

سابعاً : ذكر ما فيه تعظيم لهم : إن من موالاة الكفار ما درج عليه الحكام والرؤساء في هذا العصر من ارسال برقيات التهاني والمدح والأطراء في مناسبات التزاور والأعياد التي ما أنزل الله بها من سلطان والدليل على أن هذه الأعمال موالاة للكفار ، ما ورد من النهي عن اطلاق لفظة سيد على المنافق فكيف بالكافر الصريح قال رسول الله ﷺ « لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه إن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل »[2] .

ثامناً : تفضيل السكنى والاقامة بين الكفار اختيارا : إن من أنواع الموالاة للكفار تفضيل السكنى والاقامة بينهم اختيارا في ديارهم وحضور مجالسهم مع امكان الحصول على مقام مأمون بين المسلمين . فإن سماع كلامهم القبيح ، مع الاستمرار في الجلسة دون الرد أو الغضب أو الخروج من ذلك موالاة توجب كفر من يفعل ذلك قال تعالى : ﴿ **وقد نَزَّل عليكم في الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا** ﴾[3] .

هذه بعض الأمثلة على أنواع الموالاة للكفار وهي ليست للحصر

---

(١) رواه احمد وأبو داود والطبراني في الكبير ، قال العراقي سنده صحيح .
انظر كتاب جند الله ثقافة واخلاقا / سعيد حوى ص ١٨٥ .

(٢) اخرجه أبو داود والبخاري في الأدب المفرد وأحمد وقال الألباني حديث صحيح . انظر سلسلة الآحاديث الصحيحة للألباني م ٢ ص ١٠١ رقم الحديث (٣٧١) .

(٣) سورة النساء آية (١٤٠) .

وإنما المراد معرفتها ، وامكان القياس عليها فيما لم يرد ذكره ، أو فيما هو قريب منها ، ولا فرق بين من يعمل هذه الأمور مع أقربائه الكفار أو مع غيرهم فمن فعل شيئاً من هذه الأمور فهو موال للكفار ، وهذه الموالاة قد تكون كفرا وقد تكون معصية بحسب العوامل المحيطة بذلك .

اما التولي للكفار فهو كفر مخرج عن الاسلام(١). لأن التولي أخص من الموالاة كما سبق بيان ذلك(٢). ومن أمثلة التولي التي يصير بها المسلم مرتدا ما يلي :

أولاً : مناصرة الكفار ، إن مناصرة الكفار بالقول أو الفعل من أعظم الدلائل الدالة على توليهم وموالاتهم كما يفعل كثير من الذين يدافعون عن الكفار والملحدين أو يدعون الى مذاهبهم الضالة واعتقاداتهم الفاسدة فكل من انتسب الى حزب ضال يقوم أساسا على غير الاسلام ودعا اليه وأيد أهله فهو غير مسلم لأن من خرج من حزب الله دخل في حزب الشيطان بلا جدال . قال تعالى : **﴿ألم تر الى الذين نافقوا يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن اخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم﴾**(٣) .

ثانياً : اظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم أو بعض دينهم : قال تعالى : **﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم ، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم اسرارهم﴾**(٤) فاذا كانت الطاعة في بعض الأمور موجبة للردة فما الطاعة بأمور كثيرة أقل شأناً من ذلك وقد

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ١٢٠ ـ ١٢٢ .
(٢) انظر ص ٢١ ـ ٣٩ من هذه الرسالة .
(٣) سورة الحشر آية (١١) .
(٤) سورة محمد آية (٢٥ ، ٢٦) .

استدل الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب على ردة من أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير اكراه ملجىء بأكثر من عشرين آية وبعدد من أحاديث الرسول ﷺ وقال إنه يكون باظهار الطاعة والموافقة مرتداً خارجاً من دين الاسلام ، وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله ، ويفعل اركان الاسلام الخمسة فإن ذلك لا ينفعه[1] .

وما يصير به المسلم مرتداً اظهار الطاعة للكفار في الظاهر ولو كان باطنه يعتقد الايمان ، ما لم يكن مكرها اكراهاً ملجئا فإن أظهر لهم الطاعة بدون اكراه فهو مرتد ولو كان باطنه يعتقد الايمان ، حيث أن الكفار لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته ، وإنما أرادوا منه موافقتهم في الظاهر على ما يعملون ، فنهى الله نبيه محمدا ﷺ عن ذلك بقوله تعالى : **﴿ ودوا لو تدهن فيدهنون ﴾**[2] أي ودوا لو تميل اليهم فيميلوا اليكم[3] . وقوله تعالى : **﴿ قل يأيها الكافرون ، لا أعبد ما تعبدون ﴾**[4] . الآيات .

وبهذا يرد على الذين يرون أن الذي يكفر به المسلم هو عقيدة القلب خاصة وهم الكرّامية والجهمية وأبو الحسين الصالحي أحد رؤساء القدرية[5] .

ويسير على طريقهم في ذلك بعض العلماء المعاصرين حيث يرى سالم علي البهنساوي أن المعاصي لا يترتب عليها كفر صاحبها وأنه لا يخرج من الملة إلا الكفر الاعتقادي[6] .

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٢٨٧ وانظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٢٣٠ .
(٢) سورة القلم آية (٩) .
(٣) انظر مختصر الطبري على هامش المصحف الكريم (طـ ـ دار الشروق) .
(٤) سورة الكافرون آية ١ ، ٢ .
(٥) انظر شرح الطحاوية ص ٢٦٦ .
(٦) انظر كتابه ـ الحكم وقضية تكفير المسلم ـ تأليف سالم علي البهنساوي ص ٤٥ ، ٥٤ ، ٥٥

وحول هذا المعنى يقول محمد عبد الحكيم خيال : (إن الخطة الجديدة لتقويض الدعوة الاسلامية ، تقع في اطار الاستثمار العام لفكرة التكفير والجاهلية التي تقوم على احكام بتكفير الحاكم وجاهلية المجتمع وتكفير جزافى للأفراد لأن موالاة الكافرين كفر ، ولأن ظاهر المجتمع الكفر والرضا بالكفر كفر فيثبت الكفر ظاهراً دون أن يثبت يقينا . . . الى نهاية هذا الجدل الكلامي الذي دخل على المسلمين في وقت عزهم وازدهار دولتهم وعلو كلمتهم « هذا نص كلامه »[١] ا . هـ .

ونحن في ردنا على ذلك لا نريد أن ندافع عن الخوارج وأصولهم ولا نريد أن نبيح ما حرم الله من موالاة الكفار ومحبتهم بل نلتزم الوسط فلا نكفر بكل معصية كما هو مذهب الخوارج ولا نقول بعدم تكفير من حكم الله ورسوله بكفرهم ، لأن مثل هذا القول استدراك على الله عز وجل وهو موجب لكفر قائله ، بل نقول اذا ثبتت الأدلة الشرعية على الحكم بالكفر في قول أو فعل أو اعتقاد ، ثم فعل إنسان ـ ما ـ ما ثبت الدليل على كفر فاعله فإنه يحكم بكفره اذا توفرت الشروط وانتفت الموانع والحكم يكون على ظاهر الحال والله يتولى السرائر ، وهو يحاسبه فإن شاء أدخله جنته وإن شاء عذبه بالنار ، وموالاة الكفار وتوليهم من ذلك ما يكون كفراً مخرجاً عن الاسلام تواترت الأدلة على الحكم بذلك ، ومنها ما هو كبيرة من كبائر الذنوب ومنها ما هو دون ذلك فإن كان مرتدا فينبغي الغلظة عليه أشد من غيره من الكفار لأنه معاد لله ورسوله ، على بصيرة ، بعد ما عرف الحق فأنكره ، فإذا كان الدليل قد ورد أن من أعان ظالما فقد شاركه في ظلمه ، فكيف بمن يعين الكفار والمنافقين على كفرهم ونفاقهم[٢] .

والمقصود من ذلك هو التنبيه على ما يكثر وقوعه ممن ينتسبون الى

---

(١) انظر ـ الخوارج ـ الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم ـ تأليف الدكتور مصطفى حلمي تقديم محمد عبد الحكيم خيال ص ـ ك ـ من التقديم .

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ١٢١ ـ ١٢٧ .

الاسلام في اظهارهم الموافقة للكفار خوفا منهم من غير اكراه فعلي على الموافقة ، أو طمعاً في مال أو منصب أو جاه وهم يظنون أنهم لا يكفرون بذلك ، اذا كان القلب كارها لهم ، ويستدلون على ذلك بدعوى الاكراه وبقوله تعالى : ﴿ الا أن تتقو منهم تقاة ﴾[1] ولكن الصحيح أن للتقية عند العلماء شروطا منها :

١ ـ أن يكون الرجل في قوم كفار يخاف منهم على نفسه وأهله فيجوز له ان يظهر المحبة والموالاة بشرط أن يضمر خلاف ما يظهر لهم وبأن يعرض في كلامه ما أمكن وعلى هذا فالتقية تأثيرها في الظاهر لا في أحوال القلب .

٢ ـ أن التقية رخصة فلو تركها وصبر على ما يناله في سبيل الله كان أفضل مثل ما حصل من بعض الصحابة[2] (رضي الله عنهم) فيما فصلنا في موضوع الاكراه سابقا .

والقول بكفر من والى الكفار أو رضي عنهم او أعانهم على كفرهم ليس جدلاً كلامياً دخل على المسلمين في وقت عزهم وازدهار دولتهم كما يعتقد البعض ، ولكن ذلك أصل من أصول الاسلام ومبانيه العظام ، وقد ذكرنا من الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة ما فيه الكفاية لمن وفقه الله وهداه ، وبهذا الأصل تحدث أئمة الدعوة وشيوخ الاسلام فهذا شيخ الاسلام ابن تيمية يرى عدم تكفير المعين للكفار والراضي عنهم والموالي لهم ابتداء بل لا بد من اقامة الحجة عليه ، نظراً لغلبة الجهل وقلة العلم بأوامر الرسالة في كثير من المتأخرين ولذلك لا يجوز تكفيرهم بذلك حتى يبين لهم ما جاء به الرسول ﷺ مما يخالف أقوالهم وأعمالهم ، وهذا ما سار

---

(١) سورة آل عمران آية (٢٨) .

(٢) انظر حاشية تفسير الطبري غرائب القرآن ورغائب الفرقان للحسن بن محمد القمي على جامع البيان في تفسير القرآن للطبري جـ ٣ ص ١٧٨ ـ ١٧٩ .

عليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ابتداء دعوته فإنه اذا سمعهم يدعون زيد بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : (الله خير من زيد) تمريناً لهم على نفي الشرك بلين الكلام نظراً الى المصلحة وعدم التنفير لهم[1] .

وعلى هذا اذا قامت عليهم حجة التبليغ ثم استمروا في اعانتهم لأهل الباطل وموالاتهم المطلقة للكفار ومناصرتهم لهم والرضى عنهم وعن أفعالهم المختصة بكفرهم فإنه يحكم بكفر وردة هؤلاء ، لأنهم صاروا معاندين ، قال تعالى : **﴿ ألم يعلموا أنه من يُحادِدِ الله ورسوله ، فإنّ له نار جهنم خالداً فيها ذلك الخزي العظيم ﴾**[2] .

ومن المعلوم أن قيام الحجة عليهم ليس معناه أن يفهموا كلام الله ورسوله مثل فهم أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) بل اذا بلغه كلام الله ورسوله ، وخلا من شيء يعذر به ثم ترك العمل بما أمره الله به ورسوله مستهترا أو مستبيحاً لفعل ما حرم الله أو تاركاً ما أوجب الله فهو كافر مرتد وشأنه في ذلك شأن الكفار كلهم تقوم عليهم الحجة بالقرآن في قوله تعالى :

﴿ ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذاً أبدا ﴾[3] .

إن ما حدث للمسلمين من إضاعة للإسلام ومقدساته وديار المسلمين واعتداء على الأنفس والأعراض والأموال إنما كان بسبب جهل بعض المسلمين بحقائق الاسلام وواجباته ومن أهم تلك الأمور التي جهلها المسلمون المعاصرون إحتضان أعداء الله ومسايرتهم في خط إنحرافهم ،

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٣٧ - ٣٩ .

(٢) سورة التوبة آية (٦٣) .

(٣) سورة الكهف آية (٥٧) .

وما علموا أن المتابعة الجزئية للكفار المقرونة بالمحبة والمودة لهم كفر مخرج من الملة[1] .

لأن الحكم يتعلق بنوع العمل لا بكثرته ، فقطرة البول ناقضة للوضوء ، ولا حد لأكثره ، وما أسكر كثيره فقليله حرام وكذلك شأن الموالاة مع الكفار اذا ارتبطت الموالاة القولية او الفعلية بالمحبة والمودة .

وقبل أن نبدأ في استعراض الأمثلة التفصيلية على موالاة الكفار نود أن نبين بعض الشروط التي يقتضيها عقد الذمة والعهد في حق أهل الذمة والمستأمنين في دار الاسلام حتى يكون الناظر الى معاملتهم مدركا للأساس الذي ينطلق منه المسلمون الحقيقيون في التعامل مع الكفار في دار الاسلام ، وهذه الشروط مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفعل الصحابة الكرام ، وما اتفق عليه فقهاء الاسلام وملخص تلك الشروط كما يلي :

١ ـ أن لا يحدثوا كنيسة[2] ولا ديرا[3] ولا قلاية[4] ، ولا صومعة[5] ولا يجددون ما خرب منها ، إلا في حالة واحدة ، وهي إذا فتحت البلاد صلحاً واشترط أهلها ذلك لأنفسهم في الصلح ، فإن المؤمنين يجب عليهم الوفاء بهذا الشرط .

٢ ـ أن لا يمنع أهل الذمة وأهل العهد أحدا من أقربائهم من الدخول في الاسلام اذا اختاروا ذلك .

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ١٢٠ ـ ١٢٢ .
(٢) الكنيسة متعبد اليهود والنصارى . انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٨٠٦ .
(٣) الدير خان النصاري . لسان العرب جـ ١ ص ١٠٤٢ .
(٤) هي كالصومعة وهي تعريب كلاذة وهي من البيوت التي يتعبد بها النصارى . انظر لسان العرب جـ ٣ ص ١٥٨ .
(٥) الصومعة بناء دقيق الرأس عال في الفضاء يتخذها الرهبان منارة لهم . لسان العرب جـ ٢ ص ٤٧٥ .

٣ ـ أن لا يذكروا الله أو كتابه أو رسوله بطعن أو انتقاص .

٤ ـ أن لا يتعرضوا لصحابة رسول الله ﷺ بذم أو إزدراء وأن لا يؤذوا مسلما ، ولا يفتنوه عن دينه ، ولا يعتدوا على أحد من المسلمين في نفس أو مال أو عرض .

٥ ـ أن لا يعينوا أعداء الاسلام ، ولا ينصروهم على المسلمين بأي وسيلة من الوسائل الممكنة .

٦ ـ أن لا يجاهروا بأي نوع من أنواع المنكرات كشرب الخمر وأكل الخنزير ، وإظهار الصلبان ، وندب الموتى والنياحة عليهم .

٧ ـ أن لا يظهروا أي نوع من أنواع العبادة الخاصة بهم مثل أصوات النواقيس وتلاوة كتبهم المقدسة لديهم ، والشعائر الخاصة بكفرهم .

٨ ـ أن يتميزوا في هيئتهم بما يميزون به عن غيرهم ، من غير كشف عورة ولا إحداث فتنة(١) .

وبعد هذا التقديم الموجز نبدأ بذكر بعض الأمثلة على موالاة الكفار .

(١) انظر الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ص ١٤٥ .
وانظر مختصر تفسير ابن كثير / محمد علي الصابوني جـ ٢ ص ١٣٦ . وانظر تاريخ الطبري جـ ٤ ص ١٥٨ ـ ١٦٠ .

المبحث الأول

موالاة الكفار في الحقول العامة

وتحت هذا المبحث ستة أمثلة.

(١) المثال الأول: إطلاق حرية الدعوة الى الكفر بين المسلمين.

(٢) المثال الثاني: السماح بتعلم الكفر وتعليمه بين المسلمين.

(٣) المثال الثالث: إباحة ظهور المحرمات بين المسلمين.

(٤) المثال الرابع: إطلاق يد الكفار في بناء المعابد لهم في بلاد الإسلام.

(٥) المثال الخامس: منح الكفار حرية التنقل والإقامة في بلاد المسلمين.

(٦) المثال السادس: تمليك الكفار لما يتخذونه موضعا لمعصية الله.

(٧) المثال السابع: تأجير الأماكن والذوات لمن يتخذها غرضاً لمعصية الله.

المثال الأول
اطلاق حرية الدعوة الى الكفر بين المسلمين

الأصل أن لا يسمع في دار الاسلام إلا صوت الحق ورأي المسلمين في قضايا الاسلام ، والذي يطلع على نصوص المعاهدات والوثائق في عهد النبي ﷺ وعهد الصحابة (رضوان الله عليهم) يرى ذلك جلياً وقد بنى الفقهاء على ذلك قاعدة فيما يتعلق بحقوق غير المسلمين في دار الاسلام[1] .

ولذا فإنه لا يجوز لغير المسلمين أن يدعوا الى الكفر والضلال في وسط المجتمع المسلم حيث أن مقتضى عقد الذمة والعهد يلزم الكفار بإخفاء شعائر الكفر وعدم اظهارها في مجتمع المسلمين أما لو دعا الكفار بعضهم بعضاً على جهة الخفاء فلا نتتبعهم في ذلك وقد ذكر شمس الدين بن قدامة[2]

---

(١) انظر ص ٦٢٢ - ٦٢٣ من هذه الرسالة .

(٢) هو عبد الرحمن بن محمد بن احمد بن قدامة المقدسي ، (شمس الدين ، ابو محمد ، أبو الفرج) فقيه ، محدث ، خطيب ، ولد بسفح قاسيون في دمشق سنة (٥٩٧ هـ) وسمع من أبيه وابن طبرزد وأبي القاسم الحرستاني وجماعة ، وتفقه على عمه موفق الدين ، وروى =

المقدسي وجوب إخفاء كفرهم بقـوله (ويمنعـون من اظهار المنكر وضرب الناقوس والجهر بكتابهم)[1] .

فإذا أظهروا الدعوة الى الكفـر بالخـطب في أماكن تجمـع الناس واستعملوا مكبـرات الصوت أو استخـدمـوا الصحف والمجـلات والكتب والإذاعات والنشرات وغير ذلك من وسائل البلاغ والإعلام فإنه والحالة هذه يجب على الدولة الاسلامية اذا وُجدت وقامت في مثل تلك الأوضاع أن تضرب بيد من حديد على هؤلاء وأذنابهم من ضعاف الايمان ، وأن تلزم أهل الذمة والعهد بالذلة والصغار ، فدار الاسلام هي موضع لاظهار الدين الاسلامي . وشعائر الاسلام من شعائر التعبد ووسائل الدعوة الأخرى التي يجب ان تنطلق الى كل بيت وكل انسان في دار الاسلام ولذلك يجب ان لا يظهر في دار الاسلام الا صوت الحق ودعوة الله أكبر ، ولا إله إلا الله ، وأن تقبع الأفكار الضالة والعقائد الفاسدة في سراديب الظلام والكهـوف المهجورة ، حتى يسموا الناس الى صفاء الايمان وعزة الإسلام بلا كدر يخبث صفوه ويعكر نقاءه .

وقد ذهب الدكتور / عبد الكريم زيدان الى القول بأن لأهل الذمة ابداء محاسن دينهم ، وقد قال إن ذلك من الأمور المباحة للذميين وهو ما تجري عليه البلاد الاسلامية في الوقت الحاضر ، ففي العراق نصت المادة الثانية عشرة من الدستور المؤقت على أن « حرية الأديان مصونة ويجب احترام الشعائر الدينية) وكان دستور مصر لسنة (١٩٥٦ م) ينص في مادته

= عنه محي الدين النووي واحمد بن عبد الدايم وتقي الدين بن تيمية والبرزالي والمزي وغيرهم ، ولي القضاء مدة تزيد على اثنتي عشرة سنة على كره منه ، ولم يتناول على ذلك أجرة ، ثم عزل نفسه في آخر عمره وتوفي بدمشق في ربيع الآخر ودفن بسفح قاسيون . من تصانيفه ، شرح المقنع لعمه موفق الدين في عشر مجلدات ، تسهيل المطلب في تحصيل المذهب ، وكلاهما في فروع الفقه الحنبلي . انظر معجم المؤلفين جـ ٥ ص ١٦٩ ، ص ١٧٠ .

(١) انظر المغني والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٦٢٠ .

الثالثة والأربعين على أن (حرية الاعتقاد مطلقة وتحمي الدولة شعائر الأديان)[1] .

ونحن نقول للذين يرون اطلاق ألسنة الكفار في دار الاسلام للنيل من الاسلام وأهله ، لقد جنيتم بهذه الدعوة على أمتكم من حيث تشعرون أولا لا تشعرون ، وخالفتم أمر الله ورسوله وسيرة خلفائه ، وأقوال الفقهاء من أهل الاسلام ، والرد على هذا الأمر يتلخص بالنقاط التالية :

١ ـ قوله تعالى : ﴿ **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين** ﴾[2] فإن هذه الآية وإن قيل أنها نزلت في قوم أسلموا ثم ارتدوا عن الاسلام ثم أسلم بعضهم بعد ذلك[3] . ولكن الآية أعم من ذلك ، فكل من قصد أو أعان على اظهار الكفر بشعائره المختلفة فقد ابتغى غير الاسلام دينا ، وإن كل من يرى امكانية تعايش الاسلام والمسلمين مع الكفر والكفار جنبا الى جنب على قدم المساواة فقد سلب الاسلام أهم خصائصه في كونه منهج الحياة الفريد الوحيد الذي لا يزاحم في دار الإسلام ، إن الاسلام بمشاركته مناهج الكفر والضلال في مجتمع ـ ما ـ وتحت قيادة واحدة يعتبر معطلا حيث لا يستطيع التأثير في حياة البشر ، ما لم تنصب آثاره في نظام اجتماعي كامل يعيش الناس في اطاره النظيف الوضيء دون مزاحمة من خَبَثِ الجاهلية وكدرها[4] .

٢ ـ قول الله تعالى : ﴿ **وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من**

---

(١) انظر احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ، د / عبد الكريم زيدان ص ١٠١ ـ ١٠٢ .

(٢) سورة آل عمران آية (٨٥) .

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ١٢٨ ـ ١٢٩ .

(٤) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٣ ص ٦٢٦ .

الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ﴾[1] .

(فالمهيمن) اسم من أسماء الله تعالى بمعنى الرقيب المسيطر على كل شيء الحافظ له[2] . وفي الآية المتقدمة (مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه) أي عالياً ومرتفعاً على جنس الكتب السابقة[3] . ومن ثمَّ يجب أن يكون هذا الكتاب هو الفيصل في كل قضية سواء كان الاختلاف في التصور الاعتقادي بين المسلمين وغيرهم ، أو كان الاختلاف بين المسلمين أنفسهم ، فهو المرجع الذي يعودون اليه بآرائهم في شأن الحياة كلها ، ولا قيمة لآراء الرجال ودعوى المدعين ما لم يكن لها أصل تستند اليه من هذا المرجع الأخير[4] .

٣ ـ قول الله تعالى : **﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[5]** . فهذه الآية تدل على أن الله عز وجل جعل شأن الاسلام عالياً غالباً قاهراً لغيره من الشرائع السابقة وكذلك يجب أن يكون المسلمون[6] . واذا وجد من يزاحم الإسلام في دار الإسلام بالدعوة الى غير الاسلام فمعنى ذلك عدم اظهار دين الله على غيره من العقائد الباطلة ومعنى ذلك أن الدار التي تسمح بالدعوة الى غير الله دار كفر لا دار اسلام .

٤ ـ روى البخاري عن ابن عباس (رضي الله عنها) قال : أوصى رسول

---

(١) سورة المائدة آية (٤٨) .
(٢) المعجم الوسيط جـ ٢ ص ١٠١٥ .
(٣) تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٢١٠ .
(٤) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب جـ ٦ ص ٧٤٧ .
(٥) سورة الصف آية (٩) .
(٦) تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٨٦ .

الله ﷺ عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ونسيت الثالثة[١] .

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : « آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال : « لا يترك بجزيرة العرب دينان »[٢] . فهذا الحديث والذي قبله يدلان دلالة صريحة على عدم اباحة بقاء المشرك أو الكافر في جزيرة العرب حتى ولو كانوا يخفون كفرهم واعتقادهم ولذلك رُوي أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز الى تيماء وأريحاء وأطراف الشام[٣] . تنفيذاً لأمر الرسول ﷺ فإذا كان مقام الكافر غير مقبول في داخل الجزيرة فمن باب أولي أن لا يقبل إظهاره الكفر في عموم بلاد المسلمين ، فإن الإسلام وان تسامح مع غير المسلمين في تركهم على عقيدتهم ودياناتهم الضالة يزاولونها بخفية وحذر فإنه لا يمكن أن يتسامح معهم في أن يطلق لهم حرية الدعوة الى الكفر والضلال بالوسائل الظاهرة .

٥ ـ إن الغرض من الجهاد في سبيل الله أن يكون الدين كله لله ، كما قال تعالى : ﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ﴾[٤] .

وتمكين الكفار من اظهار كفرهم والدعوة اليه بحرية تامة يجعل الدين له ولغيره وهذا مناقض لمبدأ الجهاد وغايته[٥] .

٦ ـ ورد من ضمن شروط عمر (رضي الله عنه) قولهم : (ولا نرغب في ديننا ولا ندعو اليه أحدا)[٦] .

---

(١) انظر فتح الباري جـ ٦ ص ١٧١ .
(٢) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٢٢٢ .
(٣) المصدر السابق المكان نفسه .
(٤) سورة الأنفال آية (٣٩) .
(٥) انظر الشروط العمرية ص ٣٣ .
(٦) المصدر السابق ص ٧٣ .

لأن الدعوة الى الباطل مستلزمة ولا بد في الطعن بالحق ، وقد قال تعالى : ﴿ **وان نقضوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون** ﴾[1] .

وقد ذكر الماوردي هذا الشرط ضمن الشروط الواجبة على أهل الذمة نحو جماعة المسلمين[2] .

٧ - إن أئمة المذاهب الفقهية في الاسلام ، أبا حنيفة ومالكا والشافعي وأحمد وأتباعهم قالوا بوجوب إخفاء شعائر الكفار التعبدية الا في الأماكن النائية والقرى الصغيرة الخاصة بهم[3] .

٨ - يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (رحمه الله) : (ليس لأهل الذمة اظهار شيء من شعائر دينهم في ديار الاسلام ، فيمنعون من اظهار التوراة ولا يرفعون أصواتهم بالقراءة ، والصلاة ، وعلى ولي الأمر منعهم من ذلك[4] . ا . هـ

وهذه الأدلة جميعاً تدل على عدم تمكين أهل الذمة من إظهار كفرهم بدار الاسلام ، وهم اليوم قد آذوا المسلمين عن طريق التسلل والاحتيال فكيف لو تملكوا وسائل الدعوة والاعلام وصُرِحَ لهم بذلك في ديار المسلمين ؟ لحصل بذلك ردة وفتنة تجعل الحليم حيرانا ، وهذا هو الحاصل في عصرنا الحاضر حيث أسلم الأوباش زمام القيادة والتوجيه لهم في معظم البلاد الاسلامية فنشروا فيها الالحاد وأكثروا فيها الفساد وأصبح المسلم غريبا .

إن القوانين المطبقة في العراق ومصر في حق أهل الذمة هي قوانين

---

(١) سورة التوبة آية (١٢) .
(٢) انظر الأحكام السلطانية والولايات الدينية للماوردي ص ١٤٦ .
(٣) انظر احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام د / عبد الكريم زيدان ص ٩٩ .
(٤) انظر مختصر الفتاوى المصرية / ابن تيمية ص ٥١٧ .

جاهلية لا تمثل رأي الاسلام في قليل أو كثير بل إن ما ورد في المادة الثانية عشرة من الدستور العراقي المؤقت من قولهم (حرية الأديان مصونة) وما ورد في دستور مصر لسنة (١٩٥٦ م) في مادته الثالثة والأربعين (على أن حرية الاعتقاد مطلقة وتحمي الدولة شعائر الأديان)[١]. كل هذه النصوص دعوة الى إباحة الردة عن الاسلام بطريقة لبقة والخروج على منهج الله لكل من تسول له نفسه ذلك ، وكذلك تدل هذه النصوص بمساواة الاسلام بغيره من العقائد والمعتقدات الباطلة حيث جعلت الاسلام على قدم المساواة مع المعتقدات المحرفة التي لا يعتنقها إلا واحد أو اثنان في المائة في بعض المجتمعات الاسلامية .

لقد مكن أعداء الاسلام لأنفسهم في بلاد المسلمين عن طريق صنائعهم من ضعاف الايمان الى أن يكون لهم منبر يدعون به الى باطلهم بجميع الوسائل المغرية وحسب مبدئهم القذر الغاية تبرر الوسيلة ، فأقاموا مدارس التنصير والتكفير وأسسوا الصحف والمجلات ، وتملكوها ووضعوا الخطط لمناهجها ومنطلقاتها ، ولو رجعنا الى أقدم الصحف والمجلات في مصر والشام لرأينا أن الذي أشرف عليها وقام بتأسيسها هم النصارى وأعوانهم مثل جريدة الأهرام وأخبار اليوم وغيرها من الصحف والمجلات[١] .

وقد تعدى الأمر أهل الذمة الى الشيوعيين الذين ينكرون وجود الله ويكذبون بجميع الرسل والكتب السماوية وينكرون البعث والجزاء ، فقد اصبح لبعضهم في بعض البلاد التي كانت إسلامية صحف تتحدث باسمهم

---

(١) انظر ص ٦٢٦ من هذه الرسالة .

(٢) لقد ذكر ذلك الاستاذ / يوسف العظم مفصلا في بحث ألقاه في مؤتمر الفقه الاسلامي الأول الذي عقد بالرياض في فندق أنتركنتنتال في الفترة من ١٣٩٦/١١/١ هـ حتى نهاية اليوم الثامن منه تناول فيه الذين أسسوا الصحف ووسائل الاعلام في بلاد الاسلام بتفصيل موضوعي وتحقيق دقيق مبرهنا على ذلك بالأسماء والأرقام .

وتحمل شعارهم ، فقد أصدر الحزب الشيوعي التونسي صحيفته الرسمية المرخص لها بعد أن كان يعمل في الظل وتحمل هذه الصحيفة اسم « الطريق الجديد » وتحت العنوان صورة المطرقة والمنجل شعار الشيوعية الرسمي[1] .

وهذا يدلنا على أن تونس تسير على نفس طريق افغانستان حين سمح ظاهر شاه للشيوعيين بالوجود فكان ما كان من أمر افغانستان فهل يراد لتونس أن تتحول الى بلد لا يذكر اسم الله فيه .

ولم يكتف الأعداء بذلك . بل قاموا بنشر المجلات والكتب الهدامة وتسخير الأقلام المأجورة لصالحهم ، وشوهوا كتب التاريخ وخاصة التاريخ الاسلامي عن طريق كتابهم الحاقدين على الاسلام والمسلمين ، وترجموا الكتب التي تهدم العقيدة والأخلاق بحجة أنه يقرأها غير المسلمين ونحن بدعوتنا الى تجفيف منابع الكفر والضلال وردمها ، لا نقصد من ذلك الحجر على عقول الناس من أن ينظروا أو يقرأوا ما هو موجود في العالم من حولهم ، ولكننا نريد أن لا يوضع الشر في طبق من ذهب بين أيدي أناس لا يميزون بين الغث والسمين ، ثم أن عمر الانسان قصير لا يستطيع أن يقرأ كل ما كتب عن الخير والشر ليعقد مقارنة حول ذلك ثم يتخذ موقفا معينا من ذلك ، فنريد أن لا نشغله بالشر ونعلمه إياه ، وهو لم يعرف الخير ولم يتعمق فيه فالطفل الصغير ألزم الاسلام والديه أو من يتكفل بحضانته بأن يرعاه عن الأخطار التي يبلغ الحلم فيميز بين الخير والشر وكذلك الجاهل يجب ان تمنع عنه وسائل الشر حتى يدرك من العلم الشرعي ما يستطيع التمييز به بين الحق والباطل .

ولذلك نقول ان ترك الكفار يدعون الى كفرهم بالوسائل الـ ختلفة

---

(١) انظر مجلة الاصلاح عدد (٤٤) محرم ١٤٠٢ هـ السنة الخامسة ص ٤٧ .

داخل البلاد الاسلامية أمر يمنعه الاسلام حماية لعقيدة الأمة وأخلاقها من التضليل والتحريف .

أما حرية الرأي فليس لأهل الذمة أو غيرهم من الكفار حق اختيار الحاكم الشرعي أو انتخاب رئيس الدولة الاسلامية أو حق المشاركة في عزله وتنحيته ، لأن ذلك يتم وفق مقاييس الاسلام وموازينه ، وهم لا يؤمنون بها ولذلك لا يحتسبون في هذا المجال سلبا أو ايجابا ولذلك جعل الماوردي حق اختيار الحاكم المسلم مشروطا بثلاثة شروط هي :

أولاً : العدالة الجامعة لشروطها ، وهذا الشرط منتف في الكافر .

ثانياً : العلم الذي يتوصل به الى معرفة من يستحق الإمامة على الشروط المعتبرة فيها ، وهذا أيضا منتف بحق الكافر .

ثالثاً : الرأي والحكمة المؤديان الى اختيار من هو للإمامة أصلح وبتدبير المصالح أقوم وأعرف[١] .

وبعبارة مختصرة يشترط في حق من ينتخب الحاكم المسلم مثل ما يشترط في حق الحاكم نفسه ، من كونه مسلماً عاقلاً مكلفاً ، وعلى هذا فلا يجوز للمسلمين أخذ رأي غير المسلمين في مسألة انتخاب الخليفة المسلم ولا في مسألة ادارة الشؤون العامة في الأمة[٢] .

ولكن نظرا لموالاة الكفار والتبعية الذليلة لهم من قبل بعض الحكام ومن قبل بعض المرتدين والمنافقين في بلاد الاسلام فقد تجرأ هؤلاء على الدعوة الى الكفر في داخل البلاد الاسلامية ، وذلك بتوجيه المؤسسات الاعلامية ، والتعليمية ، وغيرها من الوسائل ، لنشر الكفر وتزيينه للناس ومحاربة الحق وتشويه معالمه في أذهان الناس حتى نشأت أجيال من

---

(١) انظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ٦ .

(٢) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام . د / عبد الكريم زيدان ص ٨٣ .

المسلمين لا تعرف معروفاً ولا تنكر منكرا ، بل لقد أصبح العكس هو الحاصل فقد أصبح في أذهان الكثير من المنتمين الى الاسـلام المنكر معروفاً والمعروف منكرا والباطل حقا والحق باطلا فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم .

المثال الثاني
السماح بتعلم الكفر وتعليمه بين المسلمين

الأصل في منهج الاسلام أن لا يتعلم الناس في دار الاسلام الا الحق ، ولذلك نجد الاسلام يلزم أهل الذمة والعهد بعدم اظهار وسائل تعليم الكفر بين المسلمين كما هو واضح في شروط عقد الذمة والعهد عند الفقهاء ، حيث قد اتفق الفقهاء على منع أهل الذمة وأهل العهد من اقامة مدارس لهم في دار الاسلام[1] .

إلا أن الدكتور / عبد الكريم زيدان ، يرى أن لأهل الذمة ومن في حكمهم التمتع باقامة مدارس خاصة بهم ، يعلمون فيها أولادهم وفق

(١) انظر أهل الذمة في الاسلام د / أ.س ـ ترتون . ترجمة د / حسن حبشي ص ١٦١ . وانظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٤٥ .
وانظر مختصر تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٣٦ وانظر تاريخ الطبري م ٢ جـ ٤ ص ١٥٨ - ١٦٠ .
وانظر شرح الشروط العمرية / تأليف ابن قيم الجوزيه / تحقيق دكتور / صبحي الصالح ص ٣٣ . وانظر أهل الذمة جـ ٢ ص ٧٩٧ .

ديانتهم ، ويستدل على ذلك بأن المسلمين بعد فتح خيبر وانتصارهم على اليهود جمعوا الغنائم وكان فيها نسخ من التوراة فأمر النبي ﷺ بردها الى اليهود(١) .

والذي أراه وأرجحه في هذا الموضوع هو عدم جواز إقامة مدارس أو مناهج دينية خاصة بهم سواء كان ذلك بتمويل منهم أو من بيت مال المسلمين وذلك لعدة أسباب هي كما يلي :

أولاً : أن ما استدل به الدكتور عبد الكريم زيدان من ارجاع نسخ التوراة الى اليهود على جواز انشاء المدارس فهو غير صحيح وذلك أنه نقل عن المقريزي هذا الأثر وهو حديث ضعيف(٢) . لأن من الفقهاء من أجاز أخذ كتبهم ، حيث قالوا ان كانت مما ينتفع به ككتب الطب واللغة والشعر فهي غنيمة ، وإن لم يمكن الانتفاع بها كأن تكون من التوراة أو الانجيل فإن أمكن الانتفاع بجلودها وأوراقها بعد غسلها غسلت وهي غنيمة ، وإن لم يمكن فلا تدخل في الغنيمة ولا يجوز بيعها(٣) . ولم يذكروا ردها اليهم ، مما يدل على ضعف القول بردها اليهم .

ثانياً : على فرض صحة رواية الرد عليهم ، فإنها لا تكون دليلا على جواز اقامة المدارس الخاصة بأهل الذمة لتعليم ديانتهم فإنهم انما يقرون على قراءة كتبهم في بيوتهم وكنائسهم على جهة الخفاء مع عدم رفع الصوت بها واقامة المدارس لذلك اظهارا لديانتهم واعلانا لها ، والاسلام والمسلمون أقروهم على حرية العقيدة وحرية التعليم الفردي على جهة الصغار والاستخفاء لا أن يصبحوا دولة داخل الدولة الإسلامية(٤) . يقول العلامة أبو الأعلى المودودي في موضوع تعليم أهل الذمة أنه يجب عليهم أن

(١) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ص ١٠١ .
(٢) امتاع الأسماع للمقريزي ص ٣٢٣ . جـ ١ .
(٣) انظر المغني والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٤٩١ .
(٤) انظر مختصر تفسير ابن كثير م ٢ ص ١٣٦ وانظر الاحكام السلطانية للماوردي ص ١٤٥ .

يقبلوا النظام التعليمي العام الذي تقرره الدولة الاسلامية لجميع أفراد الأمة ولكنهم لا يكرهون على نيل التعليم الاسلامي ، ويكون لهم الحق في تعلم دينهم في أماكنهم الخاصة بهم[1] . فإقامة المدارس لهم والاعتراف بتدريس عقائدهم الباطلة لا يجوز لأن ذلك لو حصل من الدولة المسلمة كان اعترافاً منها بصحة تلك العقائد الباطلة وهذا أمر لا يجوز لأن التعليم الجماعي حق وولاية من ولايات الدولة المسلمة ، ولا يمكن للدولة والأمة الاسلامية أن تنفق أو تقرر الانفاق بشكل ظاهر على باطل معروف بطلانه سلفاً ، لأن التعليم يقام لهدف الاصلاح ، وتعليم الكفر لا يحقق الا الفساد ، ومن أهداف عقد الذمة مع غير المسلمين هو اختلاط هؤلاء مع المسلمين واشعارهم بالأمن والطمأنينة على حياتهم وأموالهم بين المسلمين ، وكل هذا رجاء أن ينفذ شعاع الأيمان إلى نفوسهم فيبدد ظلمات الجهل التي حجبت عنهم نور اليقين وأبعدتهم عن الصراط المستقيم[2] .

ثالثاً : يقول أحد كتاب الغرب أنفسهم (لقد كان الخوارج أشد ميلا الى الذميين من أهل السنة ولذلك خالفوا ما اجتمع عليه اصحاب رسول الله ﷺ فأباحوا للذميين الجهر بدينهم)[3] .

فكان مقتضى مذهب أهل السنة والجماعة عدم تمكين أهل الذمة والمستأمنين من باب أولى من الجهر بدينهم .

وهذا الأمر قد أكد عليه ابن قدامة المقدسي حيث يقول : (ويمنعون من اظهار المنكر وضرب الناقوس والجهر بكتابهم)[4] . وهل إقامة المدارس لتعليم التوراة والأنجيل لا تدخل تحت الجهر بكتابهم ؟ وهذا لا

---

(١) انظر نظرية الاسلام وهدية / أبو الأعلى المودودي ص ٣٦٢ .

(٢) انظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د / بدران أبو العينين بدران ص ١٦٠ .

(٣) انظر أهل الذمة في الاسلام د / أ. س- ترتون ترجمة د / حسن حبشي ص ١٦١ .

(٤) انظر حاشية المغني والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٦٢٠ .

يعني حرمانهم من التعليم في بلاد الاسلام ، فالإسلام قد تكفل بتعليم أبناء أهل الذمة مع أبناء المسلمين جنبا الى جنب وهو يعلمهم الحق وما ينفعهم في الحياة ولا يلزمهم بدراسة العقيدة الاسلامية دراسة الزامية وقد كانت جامعات الأندلس التي أنشأها المسلمون في قرطبة وغرناطة وغيرها من المدن تعلم آلاف الشباب من غير المسلمين سواء كانوا من أهل الذمة أو من المستأمنين القادمين من أوروبا كلها[١] .

يقول الدكتور / أحمد شلبي : (إن مما أخذ على هشام بن عبد الرحمن الداخل في الأندلس هو إذنه لليهود والنصارى بإنشاء المدارس والمعابد لهم واستعمال عدد منهم في وظائف الدولة[٢] .

رابعاً : ينطلق أكثر الكتاب والمحدثين في معاملة أهل الكتاب من النص التالي : « اتركوهم وما يدينون »[٣] . وهذا الأثر على فرض صحته وعدم ضعفه ، فإنه لا يمكن حمله على العموم في كل شيء وإلا لما كان لعقد الذمة أي معنى ، فالمقصود من عقد الذمة والآمان للمستأمنين هو نفع المسلمين بإيصال الدعوة الى هؤلاء بدون قتال وأخذ الجزية والخراج منهم وتبادل السلع معهم مما يتكون منه قوة اقتصادية ومعنوية للاسلام والمسلمين ، كما أن في ذلك اتاحة الفرصة للكفار عندما يعيشون في وسط المسلمين ويشاهدون منهج الاسلام والمسلمين في صورة واقعية مما يغريهم بالدخول في الاسلام ، وإن اعتراف الشريعة الاسلامية بأهل الذمة وأهل العهد لا يعني أبدا اقرارهم على جميع ما انطوت عليه حياتهم من زيغ وانحراف وتصورات فاسدة لأن هذا الاقرار المطلق ينافي طبيعة الاسلام

(١) انظر موسوعة التاريخ الاسلامي جـ ٤ ص ٩٧ تأليف / أحمد شلبي .

(٢) المصدر السابق جـ ٤ ص ٤٥ .

(٣) انظر مقرر الفقه للصف الثاني ثانوي / تأليف الشيخ مناع القطان ص ٨٧ الطبعة الثانية (١٣٩٧ هـ) .

الذي أخذ على عاتقه تصحيح الأوضاع الخاطئة في العالم كله فضلا عن اناس يعيشون بداخله .

إن هدف الاسلام من مرونة التعامل مع الكفار الى حد معقول يقصد به اخراج هؤلاء من الظلام الى النور ، ومن دركات الجهل الى بحبوحة النور المبين .

فعندما يسمح الاسلام أن يعيش الكفار في وسط مجتمعه إنما يعتبر ذلك وسيلة من وسائل الدعوة ، وأن هذا الأسلوب ألطف وأحب من قتلهم عند امتناعهم عن الاسلام[1] .

خامساً : إن من الأدلة التي يمكن الاستناد اليها والاستئناس بها في منع الكفار من تعلم الكفر في دار الاسلام بشكل ظاهر ، ما ورد في كتب بعض المؤرخين من أن عمرو بن العاص كتب الى عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) أن هناك مكتبة عظيمة في الأسكندرية يستشيره في أمرها فرد عليه عمر كتابا يقول فيه : (وأما الكتب التي ذكرتها فإن كان فيها ما يوافق كتاب الله ففي كتاب الله غنى عن ذلك وإن كان فيها ما يخالف كتاب الله ، فلا حاجة اليه .

فتقدم عمرو بن العاص (رضي الله عنه) وأمر بإحراقها .

وقد ذكر هذه الرواية عبد اللطيف البغدادي[1] .

---

(١) انظر أحكام أهل الذمة / ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ١٨ وانظر ما هي علاقة الأمة الإسلامية بالأمم الأخرى ، ١ / احمد محمود الأحمد ص ٤١ ـ ٤٢ .

(٢) هو عبد اللطيف بن يوسف البغدادي الشافعي ، ويعرف بابن اللباد ، طبيب رياضي ، أديب ، نحوي ، لغوي ، متكلم ، محدث ، مؤرخ مشارك في غير ذلك من العلوم ، ولد ببغداد سنة (٥٥٧ هـ) وحدث ببغداد ودمشق والقدس وحلب وحران ، وبلاد الروم ، وملطية ، والحجاز وتوفي ببغداد في ٦٢٩/١/١٢ هـ من تصانيفه الكثيرة : الجامع الكبير في المنطق والطبيعي ، والالهي في عشر مجلدات ، الكتاب الجلى في الحساب الهندي ، =

وأشار الى ذلك أيضاً ابن القفطي[1] ، وأبو الفرج[2] ، والملطي[3] .

وقد حصل نزاع كبير بين المثبتين لهذه الرواية والنافين لها وعلى كل حال فإن المسلمين لديهم رغبة عظيمة في محو كل آثار الشرك ومحو كل كتاب يصرف أو يمنع قارئه عن التمسك بكتاب الله وسنة رسوله الكريم وقد أحرق المسلمون مكاتب الفرس عند فتح بلادهم كما ذكر ذلك حاجي[4]

= المجرد في غريب الحديث ، الدرة المضيئة ، المقالة في الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها .
انظر معجم المؤلفين / جـ ٦ ص ١٥ .

(١) هو علي بن يوسف بن ابراهيم بن اسحاق الشيباني القفطي ، عالم ، أديب ، ناثر ، ناظم مشارك في النحو واللغة والفقه وعلم القرآن والحديث والأصول والمنطق والرياضة والنجوم والهندسة والتاريخ والجرح والتعديل ولد سنة (٥٦٨ هـ) بمدينة قفط من الصعيد الأيمن بمديرية قنا بمصر ونشأ بالقاهرة ورحل الى حلب ، وولي الوزارة فيها وتوفي في رمضان سنة (٦٤٦ هـ) من تصانيفه الكثيرة : الإصلاح لما وقع من الخلل في كتاب الصحاح للجوهري ، الكلام على الجامع الصحيح للبخاري ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، نهزة الخاطر ونزهة الناظرة في أحسن ما نقل من على ظهور الكتب ، والدرر الثمين في أسماء المصنفين . انظر معجم المؤلفين جـ ٧ ص ٢٦٣ .

(٢) هو غريغورس أبو الفرج بن أهرون المعروف بابن العبري ، ولد سنة (١٢٢٦ م) في مدينة ملطية بأرمينية الصغرى . وتعلم في صغره اليونانية والسريانية والعبرية ثم اشتغل بالفلسفة واللاهوت ، وترقى في سلم المناصب النصرانية حتى وصل الى (مغريانا) وهي كلمة فارسية معناها المثمر . وهذا المنصب من أكبر المناصب بعد منصب البطريرقية وهو أشبه بكبير (الأساقفة) على الجهات الواقعة بين النهرين والعراق العجمي ، وألف أكثر من ثلاثين كتاباً بالعربية والسريانية في الفلسفة وعلم الهيئة والتاريخ والنحو والشعر وغيرها من بينها كتابة مختصر الدول .
انظر حاشية تاريخ الاسلام السياسي جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٣) انظر تاريخ الاسلام السياسي د / حسن ابراهيم جـ ١ ص ٢٤٢ .

(٤) هو مصطفى بن عبدالله القسطنطين الحنفي ، الشهير بين علماء البلد بكاتب جلبي ، وبين أهل الديوان بحاجي خليفة .
مؤرخ ، عارف بالكتب ومؤلفيها ، مشارك في بعض العلوم .
ولد بالقسطنطينية في ذي القعدة سنة (١٠١٧ هـ) ، تولى أعمالا كتابية في الجيش العثماني ، وقام برحلات متعددة ، واهتم بجمع الكتب واقتناء المؤلفات الثمينة - توفي =

خليفة في كتابه كشف الظنون[1] .

واحراق الكتب أمر كان معروفاً في القديم والحديث وشائعاً ولكن هناك فرق بين عمل المسلمين وعمل غيرهم ، فغير المسلمين يكون احراقهم للكتب التي هي مصدر الفكر والرأي تشفيا من اعدائهم كما فعل التتار بقيادة هولاكو التتري سنة (٦٥٦ هـ) بإلقاء خزائن الكتب في نهر دجلة حتى تغير ماؤه من كثرة المداد الذي تحلل من الكتب التي ألقيت به[2] .

أما المسلمون فلا يفعلون ذلك تشفياً من أعدائهم أو حقداً عليهم وإنما يفعلون ذلك حرصاً على سلامتهم ، واجتهاداً في وقايتهم من استمرار التلقي من تلك المصادر الملوثة والاجتهادات الخاطئة ، والأفكار الضالة الفاسدة .

إن الحفاظ على التصور السليم والفهم المستقيم والأخلاق الكريمة أهم من المحافظة على الصحة الجسدية .

إن إدارات الطب الوقائي في العالم أجمع تحرص على منع أسباب المرض قبل وقوعه وذلك بالقضاء على الأسباب المكونة له وكذلك أمراض القلب يجب منع أسبابها قبل وقوعها وقد فعل ذلك عبدالله بن طاهر[3] حيث

= بالقسطنطينية سنة ١٠٦٧ هـ . وله مصنفات كثيرة منها : كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون في مجلدين ، تحفة الكبار في اسفار البحار ، ميزان الحق في التصوف ، سلم الوصول الى طبقات الفحول في التراجم ، تحفة الأخيار في الحكم والأمثال والأشعار ، انظر معجم المؤلفين جـ ١٢ ص ٢٦٢ - ٢٦٣ .

(١) انظر كشف الظنون حاجي خليفة م ١ ص ٣٣ من المقدمة .

(٢) انظر تاريخ الإسلام السياسي د / حسن ابراهيم جـ ١ ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .

(٣) هو عبدالله بن طاهر بن الحسين ، تولى نيابة مصر بعد العشرين ومائتين ، ثم تولى أمر خراسان وما حولها من أعمال الري وطبرستان وما يتصل بها وكان خراج هذه البلدان حين =

أتلف في سنة (٢١٣ هـ) كتباً فارسية من مؤلفات المجوس[1] .

فإذا ترجح لدينا منع الكتب والمجلات ووسائل التعليم المختلفة التي لا تعلم الناس الخير وإنما تنقلهم الى الكفر وعلومه فمن باب أولى منع المدارس والمعاهد التي تقام لتدريس الكفر بكل أنواعه ولا يقصر ذلك على أبناء أهل الذمة والمستأمنين بل يجب منع كافة اليهود والنصارى والشيوعيين ، وإرساليات التكفير من أن يدخلوا بكتاب أو كتب تنضح بالكفر والانحراف إلا اذا كان ذلك على جهة الاستعمال الخاص لأهل الذمة والمستأمين خاصة اذا كانت هذه الكتب من كتبهم المقدسة لديهم ، بعد أخذ الطرق الكفيلة والضمانات الواجبة في عدم تسرب تلك الكتب الى أيدي البسطاء من المسلمين .

وإذا تقرر منع تداول الكتب المعتبرة عند أهل الكتاب بشكل علني وواضح ، فمن باب أولى منع إفتتاح المدارس التي تدرس تلك العقائد التافهة الهزيلة .

ولكن كيف حالنا وقد خرج فينا هذه الأيام جماعة من المنافقين الموالين للكفار حذو القذة بالقذة ؟!!

فقد أمرت بعض الحكومات وزراء التعليم فيها بوضع مناهج تعليمية مشتركة بين المسلمين وغير المسلمين، وذلك بتأليف كتب تضم جزءاً من تعاليم الإسلام وجزءاً من تعاليم النصرانية أو غيرها ، وقد سبق الى هذه الخيانة العظمى (مصطفى كمال حلمي) وزير التعليم في مصر يتقدم على رئيسه السادات في موالاة اليهود والنصارى ، وكسب ثقتهم ومودتهم ولا شك أن مثل هذا العمل مخالف للصواب من عدة وجوه :

= مات ثمانية واربعين مليون درهم وتوفي في شهر ربيع الأول سنة (٢٣٠ هـ) بنيسابور .
انظر تاريخ الطبري جـ ١١ ص ١٣ .
وانظر البداية والنهاية لأبن كثير جـ ١٠ ص ٣٠٢ - ٣٠٣ .

(١) انظر تاريخ الاسلام السياسي د / حسن ابراهيم جـ ١ ص ٢٤٢ - ٢٤٦ .

أولاً : إن هذا العمل فيه مساواة بين العقيدة الاسلامية واعتقادات أهل الكفر التي لا يجوز النظر فيها لغير أهل العلم وأهل الدراية عند الحاجة الى نقدها وكشف عورها ، فكيف تُدرّس هذه العقائد الباطلة لأطفال لا يفقهون من العلم شيئا ؟

ثانياً : أنه لو كان تعلم التوراة والأنجيل ونحوهما من معتقدات الكفار جائزاً أو أمراً مرغوباً فيه لما غضب رسول الله ﷺ عندما رأى في يد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) صحيفة من التوراة فقال : « إنه والله لو كان موسى حياً بين أظهركم ما حل له إلا أن يتبعني »[1] فإذا كان الرسول ﷺ قد نهى عمر مع مكانته في الإسلام فكيف تُقرر على من لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه .

ثالثاً : لو كان هذا العمل مباحا في نظر علماء الاسلام وحكامهم السابقين لسبقونا الى ذلك وطبقوه عمليا .

رابعاً : إن المدارس التي فتحت في البلاد الإسلامية بغير وجه شرعي لتعليم النصرانية، قد تعمدت في مناهجها الطعن في الإسلام وفي شخص رسول الله ﷺ .

فقد نشرت جريدة القبس الكويتية أن كتاباً يدرس في المدرسة الفرنسية بالكويت : يحتوي على إساءة بالغة للإسلام ، ويطعن في شخص رسول الله ﷺ[2] .

فهذه واحدة من تلك المؤسسات التنصيرية المنتشرة في معظم البلاد الاسلامية .

وقد عمدت بعض الدول المنتسبة الى الاسلام في موالاتها لأعداء الله

---

(١) رواه الحافظ أبو يعلي عن حماد عن الشعبي عن جابر . انظر معالم في الطريق / سيد قطب ص ١٦ (ط ـ ١) .

(٢) انظر مجلة المجتمع عدد (٥٢٥) السنة الحادية عشرة في ١٤٠١/٦/١٦ هـ ص ٦ .

في مجال التعليم الى استبعاد تدريس العلوم الشرعية استبعاداً كلياً والبعض الآخر من الدول جعلت دراسة العلوم الشرعية دراسة غير أساسية في مناهج تعليمها فلا يترتب على المواد الشرعية نجاح أو رسوب وهذا العمل كفر لأن حال الفاعل لذلك كحال من لم يلتفت الى التوحيد ولا تعلمه ولا دخل فيه ، فهو يريد أن لا يكون مع المسلمين ولا مع الكفار ، فهذا الموقف بحد ذاته كفر لأن واجب المسلم أن يكون مع المسلمين قولاً وفعلاً واعتقاداً[1] ، ومن لم يكن كذلك يكون داخلا تحت مفهوم قول الله تعالى : ﴿ **ستجدون آخرين يريدون أن يأمنوكم ويأمنوا قومهم كلما ردوا إلى الفتنة أركسوا فيها فإن لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السَّلَمَ ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا** ﴾[2] .

فإلغاء تدريس العلوم الشرعية كفر وردة عن الاسلام ، لأن الدافع الى ذلك هو استجلاب مودة اليهود والنصارى وأعداء الاسلام واستصغار شأن الاسلام والعلوم الاسلامية في نظر أولئك الأنذال .

والذين لا يوجد لديهم أقليات من غير المسلمين من اليهود والنصارى نجد أنهم أحلوا دراسة مبادىء الكفر محل دراسة علوم الاسلام ، فأصبحت بعض الأقطار المسلمة يدرس أبناؤها مبادىء الشيوعية الماركسية التي وضع بعض ملامحها اليهودي الألماني ماركس وأتباعه من أهل الاجرام كما يدرس أولئك أبناء المسلمين الاشتراكية التي هي فرع من الشيوعية وكل من الاشتراكيات المتعددة والبرامج الشيوعية المختلفة كلها تقوم على إنكار وجود الله وإنكار التقيد بالنظام الاسلامي عقيدة ونظاما اقتصاديا للحياة .

وبناء على ذلك فإن الذين يسمحون بتدريس مبادىء الكفر وعقائد الضلال في دار الاسلام والمسلمين أو يلزمون المسلمين بدراستها في

(١) انظر الدرر السنية جـ ١ ص ٦٦ .
(٢) سورة النساء آية (٩١) .

الخارج[1] هؤلاء ليسوا من المسلمين وأهل الاسلام لأنهم اختاروا موالاة الكفار على موالاة الله ورسوله والذين آمنوا ولأنهم فضلوا أو نزلوا تعليم الكفر الى منزلة تعليم الاسلام وهذا مخالف لما يجب أن يكون عليه المسلم الحق بل ان من يفعل ذلك الفعل قد شابه اليهود الذين فضلوا دين المشركين على دين المسلمين . قال تعالى : ﴿ **ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا** ﴾[2] . فالذين يفضلون دراسة وتدريس مبادىء الكفر والضلال بأنواعها المختلفة على منهج الاسلام وعلومه القيمة داخلون تحت من تعنيهم هذه الآية .

ولم يقتصر الأمر على السماح بتدريس الكفر للكفار وأشباه الكفار في بلاد المسلمين بل لقد وصل الأمر الى وضع المؤسسات التعليمية التي تحتضن أبناء المسلمين في أيدي الكفار لكي ينشؤهم على وفق أهوائهم ومخططاتهم الاجرامية في الوقت الذي يمكن جعل هذه المؤسسات التعليمية في أيد مسلمة . لقد أقام المكفرون المضللون ـ أي المبشرون حسب زعمهم ـ جامعات ومدارس تضلل المسلمين عن دينهم في بلاد الإسلام مثل الجامعة الأمريكية في بيروت ، وكلية في بغداد ، وجامعة بالسند ، والجامعة الأمريكية بالقاهرة ، وغيرها من الجامعات الامريكية المنثورة هنا وهناك[3] . والتي تستقبل كل عام عشرات الآلاف من أبناء المسلمين ليتخرجوا منها بعد بضع سنوات وقد محيت آثار الاسلام من أذهانهم ، إلا ما شاء الله منهم . ولم يقتصر الأمر على السماح بإقامة

---

(١) مثل ما يحصل في اليمن والصومال والعراق وسوريا وليبيا والمغرب وغيرها من بلاد المسلمين التي ترسل الوفا من الشباب الى روسيا وغيرها من الدول الشيوعية بدعوى العلم وهم في الحقيقة يدرسون الشيوعية والاشتراكية ليعودوا دعاة لها في بلاد المسلمين . انظر ـ الابتعاث ومخاطره ـ تأليف محمد الصباغ . ص ٤ .

(٢) سورة النساء آية (٥١) .

(٣) انظر المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام / محمد محمود الصواف ص ٢١٢ ـ ٢٢٤ .
وانظر التبشير والاستعمار ، د / مصطفى الخالدي ، د / عمر فروخ ص ٦٥ ـ ١١٢ .

مؤسسات تعليمية تعلم أبناء المسلمين الكفر بتمويل من الخارج بل لقد وصل الأمر الى أن تقام مؤسسات تعليمية في بلاد المسلمين ولأبناء المسلمين وتمول من أموال المسلمين وتدار من قبل أناس ليسوا بمسلمين ليحققوا من خلالها عزل أبناء المسلمين عن دينهم ، فقد نشرت جريدة الجزيرة في عددها (٣١٧٤) في ٢٠ جمادى الآخرة (١٤٠١ هـ) اعلاناً من كلية البحرين الجامعية تطلب فيه عدداً من الموظفين بتوقيع عميد كلية البحرين الجامعية د / وليم ـ أ ـ ستيوارت فهل عجزت البحرين أن تجد من بين (١٠٠٠) مليون مسلم شخصاً قديراً على ادارة كليتها تلك غير هذا ؟

إن الجواب على ذلك معروف ، ولكن التبعية العمياء لأعداء الاسلام هي التي أوصلتنا الى مثل هذه الحال ، وإلى فقدان الثقة بأنفسنا وبأخواننا في الاسلام ، الأمر الذي جعلنا نرتمي في أحضان أعدائنا بلا حدود .

إن أي شخص منصف لو نظر الى آثار المؤسسات التعليمية التي يقيمها أعداء الاسلام في بلاد المسلمين وإلى ما قاله أعداء الاسلام أنفسهم عن تلك الآثار[١] ، لقال بوجوب انهاء تلك المدارس وتصفيتها ، فكيف يحصل ممن يُعَوَّل عليهم بإدانة تلك المؤسسات ومحاربتها القول بجواز ذلك أو إقراره .

وخلاصة القول في هذا الموضوع إنه لا يجوز للدولة المسلمة أن تسمح بإقامة المدارس لأصحاب الديانات المخالفة للإسلام لأن ذلك من الجهر بدينهم وهو الأمر الذي منعه جمهور الفقهاء[٢] . ولكن لا يعني ذلك أن تلزمهم الدولة الاسلامية بدراسة العلوم الاسلامية[٣] .

وقد ذهب الأستاذ / سعيد حوى الى القول بجواز انشاء المدارس

(١) انظر المصدرين السابقين المكان نفسه .

(٢) انظر ص ٦٣٦ من هذه الرسالة .

(٣) انظر نظرية الاسلام وهديه لأبي الأعلى المودودي ص ٣٦٢ .

الخاصة بغير المسلمين بعد حصولهم على اذن مسبق من الدولة الاسلامية ـ الملتزمة بالاسلام قولاً وفعلاً ـ وتحت اشرافها الدائم[1] .

وهذا القول موافق فيما يؤدي اليه الى ما ذهب اليه جمهور العلماء حيث أن اشتراط اذن الدولة الاسلامية واشرافها التام والدائم يعني أن لا تتضمن مناهج الدراسة أي إساءة الى الاسلام والمسلمين .

(١) انظر من أجل خطوة الى الامام على طريق الجهاد المبارك / تأليف سعيد حوى ص ٢٣ .

المثال الثالث

اباحة ظهور المحرمات بين المسلمين ارضاء للكفار وأشباههم

إن من واجبات صاحب الولاية الشرعية واختصاصاته الأساسية أن يمنع إنتشار أي محرم بين المسلمين وفي داخل المجتمع المسلم ، ولذلك فإن الاسلام وان ترك لأهل الذمة شرب الخمر وأكل لحم الخنزير والافطار في نهار رمضان في داخل المجتمع المسلم إلا أن ذلك مشروط بأن لا يتعداهم الى سواهم بأي شكل من الأشكال فليس لأهل الذمة أن يبيعوا الخمر للمسلمين ، ولا يهدوها لهم ، ولا يعاونوهم على صنعها ولا يعصروها لمسلم ولا يحملوها اليه . ولا يبيعها ذمي الى ذمي آخر جهارا ، واذا شربها الذمي فسكر ، ثم ظهر بين المسلمين وجب تعزيره على اظهاره للشرب أما ما يختفون به في بيوتهم من غير ضرر بالمسلمين بوجه من الوجوه ، فلا يتعرض لهم ، أما اذا كانوا لا ينتهون عن اظهار الخمر ، أو عن معاونة المسلمين عليها ، فإنهم يعاقبون بما يكفل عدم اظهار هذا المنكر ووصوله الى أيدي المسلمين[١] . ويجوز دخولهم دار الإسلام بالخمر والخنزير وذلك

(١) انظر مختصر الفتاوي لابن تيمية (رحمه الله) ص ٥٠٢ ـ ٥٠٣ .

عندما يتحقق الحاكم المسلم العدل أنهم اشتروها لاستعمالهم الخاص لأنفسهم أو فيما بينهم بعد أن يضع القيود والشروط الكفيلة بعدم تعدي هؤلاء واضرارهم بالمسلمين[1] .

أما اذا خِيْفَ بيعها الى مسلم وافساد دينه بذلك أو ضبط حالات من ذلك وجب منع دخول الخمر والخنزير ، لأن من القواعد الشرعية المقررة أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح ، ولو اتجر غير المسلم بالخمر والخنزير أو ما هو محرم بين المسلمين ، أو في مكان لا يوجد فيه أحد من أهل الذمة فقال بعض الفقهاء بوجوب إراقة الخمر وقتل الخنزير ونفيه ان كان غير ذمي . وتعزيره إن كان ذميا على ذلك[2] . ونظرا لموالاة أكثر الحكام في عصرنا الحاضر لأعداء الاسلام والمسلمين فقد اباحت هذه الحكومات بيع الخمر وترويجها في داخل المجتمع المسلم وبخاصة على الخطوط الجوية والفنادق الخاصة والعامة كما أباحت الفطر في نهار رمضان لعامة الناس بحجة أن هذه الأمكنة يرتادها اناس من غير المسلمين ، وهم في عملهم هذا لم يسألوا أنفسهم عن موقف الاسلام في ذلك ، ولم يضعوا للمجتمع المسلم الذي يحكمونه أي حساب في السؤال عن هذا التصرف الطائش ، لأنهم يعلمون أن المجتمع لم يسألهم عما هو أكبر من ذلك فمن باب اولى أن لا يسألهم عن هذه الجريمة التي تضاف الى غيرها من أنواع الجرائم التي تزاحمت في أذهان الناس وعقولهم حتى بدأ بعضها ينسي البعض الآخر .

ومن موالاة الكفار ترك نسائهم ورجالهم عراة بين المسلمين ، حيث قد ابتليت هذه الأمة فيما ابتليت به هجرة كثير من الكفار اليها لمقاصد متعددة وأغراض متنوعة وقد استقبلهم المسلمون في اول الأمر بحسن نية

---

(١) أحكام أهل الذمة / ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٦٣ ـ ٦٤ .

(٢) أحكام أهل الذمة / ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ١٥٩ ، انظر كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١٣٣ وانظر كتاب الخراج / ليحيى بن آدم القرشي ص ٦٨ ، ص ٦٩ .

وبسذاجة وسطحية متناهية وقد خدعهم حسن المظهر ولطف التعامل وما أدركوا أن ذلك أسلوب من اساليب المكر ووسيلة من وسائل الخداع ، ثم توالى الكفار وبدأوا يظهرون على حقيقتهم رويداً رويداً فبدأت نساؤهم تنتشر في الأسواق والأمكنة العامة بصورة مثيرة للفحشاء والمنكر فتهافت ضعاف النفوس على تلك المناظر تهافت الذباب على الفضلات وقد رأت بعض نساء المسلمين أن تلك المظاهر تدعو الى الشهرة ومتابعة الأنظار لها فحاولت عن جهل وغباء أن تقلد تلك النساء الكافرات فخلعت رداء العفة والطهارة وخرجت تحاكي المرأة الكافرة حذو القذة بالقذة حتى عم معظم البلاد الاسلامية ردة أخلاقية ومظاهر إباحية يندى لها الجبين .

وما كان ذلك يحصل لو وقف المسلمون مع الكفار موقفاً جاداً وتعاملوا معهم وفق ما يقتضيه شرع الله الذي يحمي المجتمع من كل رذيلة ويحفظ له كل فضيلة .

وقد يسأل انسان عن موقف الاسلام من لباس الكفار في دار الاسلام ؟

والجواب أن الاسلام يحرم على الناس كافة اظهار عوراتهم سواء كانوا مسلمين أو كافرين رجالاً أو نساء وهذا هو الأصل في دار الاسلام ، حيث ان النظر الى شعر المرأة ومفاتنها محرم لغير ضرورة شرعية تلجىء الى ذلك سواء كانت المرأة مسلمة ، أو كتابية فحكمها سواء(١) .

ولم يكن للكفار لباس خاص بهم في عهد رسول الله (ﷺ) والسبب والله أعلم أنه حتى الكفار الذين كانوا في ذلك الوقت لم يكن لديهم الدياثة والتهتك والعرى مثل ما هو موجود في الأزمنة المتأخرة التي ظهرت معظم النساء الكافرات وأشباه الكافرات كاشفات عن عوراتهن .

فالمرأة الكافرة في المجتمع المسلم لا تطالب بالحجاب الشرعي

---

(١) انظر فتح الباري جـ ٦ ص ١٩١ .

الذي فرضه الاسلام على المسلمة ، وإنما تطالب بستر عورتها وهي ما عدا الوجه والكفين ، أي بما لا يجوز أن ينظر اليه المسلم من ذوات المحارم عدا الزوجة فإنها مستثناة من ذلك(١) .

وبدأ وجوب الغيار بين المسلمين والكفار في عهد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث أن خالد بن عرفطة(٢) أمير الكوفة جاءت اليه امرأة نصرانية فأسلمت ، وذكرت ان زوجها يضربها على النصرانية وأقامت على ذلك البينة ، فضربه خالد وحلق ناصيته ، وفرق بينه وبينها .

فشكاه النصراني الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فأشخصه وسأله عن ذلك ، فقص عليه القصة فقال : الحكم ما حكمت به .

وكتب الى الأمصار أن يجزوا نواصيهم ، ولا يلبسوا لبسة المسلمين ، حتى يعرفوا من بينهم(٣) .

ومن شروط عمر (رضي الله عنه) على أهل الذمة التزامهم بزي مغاير للمسلمين وخاصة الرجال منهم فقد ورد في الشروط العمرية (وأن نلزم زينا حيثما كنا ، وألا نتشبه بالمسلمين في المركب واللباس ونحوه)(٤) . فهذه سنة سنها من أمر الرسول (ﷺ) باتباع سنته في قوله

---

(١) انظر تفسير سورة النور لأبي الأعلى المودودي ص ١٦١ ، ١٧١ وانظر تفسير القرطبي جـ ١٢ ص ٣٠٩ - ٣١٠ وجـ ١٤ ص ١٧٩ - ١٨١ .

(٢) هو خالد بن عرفطة العذري وعذرة من قضاعة استخلفه سعد بن أبي وقاص (رضي الله عنه) على الكوفة ونزلها وهو معدود في أهلها ، توفي سنة ستين وقيل احدى وستين من الهجرة .
انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٢ ص ٨٧ - ٨٨ .

(٣) انظر احكام اهل الذمة - لابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٣٦ .

(٤) انظرشرح الشروط العمرية / ابن قيم الجوزية / تحقيق صبحي الصالح ص ٧٩ .

(ﷺ) من حديث طويل (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعد عضوا عليها بالنواجذ..) الحديث[١] .

فالمسلم ذكرا كان أو أنثى يتشبه ويتأسى بمن أمرنا الله بالاقتداء بهم وهم رسول الله (ﷺ) وأصحابه وأمهات المؤمنين وأما الكافر الذي يعيش بين المسلمين فيجب عليه أن يلبس لباس أمثاله من الكفار بشرط أن لا يظهر شيئا من عورته ، وأن يغاير لباس المسلمين حتى يعلم أنه كافر فلا يطالب بما يطالب به المسلم ولا يقتدي به من يراه في أفعاله لعلمه أنه كافر .

أما المرأة الكافرة في دار الاسلام، فإنه يجب عليها من الستر مثل ما يجب على المرأة المسلمة ، فلا يصح أن تتبرج ، ولا أن تختلط بالرجال الأجانب اختلاطاً يدعو الى الفحشاء والمنكر[٢] .

ولذلك لم يذكر ابن قيم الجوزية في موضوع الغيار بين المسلمين وأهل الذمة صفة غيار النساء بل ان كل ما ذكره غالباً متعلق بغيار الرجال[٣] . وإن كان أشار بعض الكتاب الى غيار النساء بارتداء الثوب الأصفر وشد المنطقة حول الوسط[٤] . ولكن شروط عمر (رضي الله عنه) على أهل الذمة لم تتناول شيئاً من ذلك[٥] .

---

(١) رواه احمد وابو داود . انظر مسند أحمد جـ ٤ ص ١٢٦ ـ ١٢٧ وانظر سنن أبي داود جـ ٤ ص ٢٠٠ ـ ٢٠١ (باب لزوم السنة) رقم الحديث (٤٦٠٧) . ومن الفتح الرباني عن ابن ماجة والترمذي وابي داود حسن صحيح وعن الحاكم وابن حيان صحيح على شرطهما . انظر الفتح الرباني جـ ١ ص ١٩٠ طـ ١ ، ٢ ـ دار احياء التراث العربي بيروت ـ لبنان .

(٢) انظر مجلة الدعوة المصرية العدد (٥٦) السنة الثلاثون (٤٣٠) شهر صفر ٤٠١ هـ ص ٤٠ اجابة الشيخ محمد عبدالله الخطيب على ذلك .

(٣) انظر أحكام أهل الذمة ـ ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٣٦ ـ ٢٣٨ .

(٤) انظر تاريخ الطبري جـ ١١ ص ٣٦ ـ ٣٧ . وانظر أهل الذمة في الاسلام د / ا.س. ترتون . ترجمة وتعليق د / حسن حبشي ص ١٣٢ .

(٥) انظر شرح الشروط العمرية / تحقيق صبحي الصالح ص ٧٩ وما بعدها ص ١١٠ .

والسبب والله أعلم أن النساء لا يخرجن الا نادراً وذلك لا يقتضي تمييزا ولا غياراً ، وقد رُوي أن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) نهى النسوة النصرانيات عن زيارة الحمامات في الأسواق[(١)] وهذا يدل على أن نساء أهل الذمة ملزمات في المجتمع المسلم بعدم اظهار الزينة وبستر كل ما يدعو الى اثارة الشهوة وايقاظ الفتنة من جسدها ، ولا يجوز الاحتجاج على هذا بقوله تعالى : ﴿ لا اكراه في الدين ﴾ لأن الزامهن بستر سؤاتهن وصدورهن وما الى ذلك ليس اكراها على الدخول في الاسلام بـل هو خضوع لنظامه العام في الحياة ، وإن بقيت على الكفر .

وقد ذكر الطبري أنه في عهد المتوكل قد ألزم نساء أهل الذمة اذا آرادت احداهن الخروج أن تتدثر بالدثار الأصفر حين تغادر بيتها الى الخارج وتضع المنطقة حول وسطها[(٢)] . وفي سنة (٧٣٤ هـ) ألزم الخليفة[(٣)] في بغداد والقاهرة وما حولهما الذميين بلبس الإزار الأصفر والأزرق ، وفي سنة (٧٥٥ هـ) الزم الخليفة[(٤)] النصرانيات بلبس الازار الأزرق ، واليهوديات بلبس الازار الأحمر[(٥)] . واقرارهم على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ،

---

(١) الولاة والقضاة للكندي ص ٦٩ .

(٢) تاريخ الطبري جـ ١١ ص ٣٦ - ٣٧ .

(٣) هو الخليفة المستكفي بالله أمير المؤمنين أبو الربيع ابن الحاكم بأمر الله العباسي اسمه احمد بن علي بن الحسن الهاشمي العباسي ولد سنة (٦٨٣ هـ) وتولى الخلافة يوم الأحد لعشرين من ذي الحجة سنة (٧٠١ هـ) وخطب له على المنابر بالبلاد المصرية والشامية وسارت بذلك الرسائل البريدية الى جميع البلاد الاسلامية وتوفي سنة (٧٤٠ هـ) . انظر البداية والنهاية لأبن كثير جـ ١٤ ص ٢٠ ، ١٨٧ .

(٤) هو الملك الصالح صلاح الدين بن سلطان الملك الناصر محمد بن الملك المنصور قلاوون ، تولى الخلافة في سنة (٧٥٣ هـ) وخلع من منصب الخلافة في شهر شوال من سنة (٧٥٥ هـ) وتولى مكانه أخوه الملك الناصر حسن بعد خلعه .
انظر البداية والنهاية لأبن كثير جـ ١٤ ص ٢٤١ - ٢٥١ .

(٥) انظر حسن المحاضرة للسيوطي جـ ٢ ص ٢١٢ - ٢١٤ وانظر البداية والنهاية لأبن كثير جـ ١٤ ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .

لا يبيح لهم اظهار ذلك في بلاد المسلمين علانية ، أو ادخالها على وجه الشهرة لأن ذلك من اظهار شعائر الكفر في دار الاسلام وهو امر ممنوع في الشرع الاسلامي كما تقدم ايضاح ذلك(١) . فاذا كان هذا ممنوعا فمن باب اولى منع النساء الكافرات الكاسيات العاريات من الخروج في وسط المجتمع المسلم لأن خطرهن أشد من خطر ظهور الخمر والخنزير ، وقد قال رسول الله (ﷺ) (ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء)(٢) .

واذا كان الاسلام قد ألزم المسلمات المؤمنات المحصنات بحصانة الايمان فمن باب أولى أن يلزم الكافرات اللاتي هن أقرب الى كل رذيلة وأبعد عن كل فضيلة وقد ذكر الدكتور عبد الكريم زيدان أنه يُمنع أهل الذمة ومن في حكمهم من أهل العهد من اظهار الفسق فيما يعتقدون حرمته كالفواحش ونحوها كما يمنع المسلم منها سواء بسواء(٣) .

وقد ورد في الحديث (لعن رسول الله (ﷺ) المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال)(٤) .

فهذا الحديث عام في لعن كل من يتشبه من النساء بالرجال أو العكس سواء كان مسلما أو كافراً ، ولما كان هذا الشيء أمراً منكراً واظهاره في المجتمع الاسلامي اظهاراً للمنكر ، فإنه يلزم بمقتضى عقد الذمة والعهد أن لا يُظْهِرَ هؤلاء منكراً أيا كان نوع هذا المنكر اذا ارادوا أن يعيشوا مع المجتمع الاسلامي بصدق وأمان . وخروج النساء الكافرات في وسط المجتمع المسلم بلباس يدعو الى الاثارة والفتنة أما أن يكون داخلا ضمن حدود القانون المدني أو ضمن دائرة الحقوق الشخصية ، وفي كلا الحالين فإنه غير جائز تكشف النساء الكافرات في المجتمع المسلم .

---

(١) انظر ص ٥٦٩ ـ ٥٧٥ من هذه الرسالة .

(٢) انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٩٨ (كتاب الرقاق) .

(٣) انظر احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام د / عبد الكريم زيدان ص ١٩٠ .

(٤) انظر فتح الباري جـ ١٠ ص ٣٣٢ (باب اللباس) .

فالقانون المدني مبني على وجوب احترام مشاعر الناس جميعاً ولا يجوز أن يعترض أحد لمشاعرهم وغرائزهم بالأثارة واحداث الألم فيها وهذه المظاهر التي تظهر بها النساء الكافرات في دار الاسلام اعتداء على مشاعر الناس وايذاء لأرواحهم سواء كان الناظر في ذلك مسلما أو كافرا وذلك لأمرين :

الأمر الأول : اذا كان الناظر الى تلك النساء الكافرات العاريات من لباس العفة والفضيلة ، مسلماً فإنه يجد في تلك المظاهر ما يثير غيرته الدينية على هذا المنكر الظاهر وهذه الصور التي تتنافى مع أحكام الاسلام ، وإن كان من ضعاف الأيمان فقد يجد من الأثارة الجنسية ما يسبب له الألم والحرج والضيق ، فهو مهما يكن انساناً حساساً ذا لحم ودم يحس بما يرى ويسمع فيتأثر بذلك سلباً أو ايجاباً .

الأمر الثاني : لو فرضنا أن المسلمين غضوا أبصارهم عن تلك المناظر العارية والصور الخليعة فإن الذكور من الكفار سيصيبهم من تلك المظاهر ما يشعل نار الفاقة والشعور بالحرمان في أنفسهم مما يدفعهم الى ارتكاب جرائم متعددة الأنواع والأشكال كي يطفئوا تلك النار الملتهبة في أنفسهم والتي لا تجد ما يحد من قوتها أو يوجهها التوجيه السليم نظرا لبعدهم عن الايمان والاسلام .

ففي القانون المدني المبني على الشريعة الاسلامية نص يدل على تساوي المسلمين وأهل الذمة في التكاليف الظاهرة في الجانب الأخلاقي ولم يستثن من ذلك في حق الذميين سوى الخمر والخنزير ، فلهم أن يصنعوا الخمر ويشربوها خفية دون أن يخرج منها أو من أذاها شيء الى المسلمين ولهم ان يربوا الخنازير ويأكلوها ويبيعوها بينهم[١] .

---

(١) انظر المبسوط للسرخس جـ ١٣ ص ١٣٧ ـ ١٣٨ .

هذا اذا قلنا ان عدم خروج النساء الكافرات بمظاهر العري والتكشف من الحقوق المدنية .

أما اذا قال شخص أن خروج المرأة باللباس الذي تريده من حقوقها الشخصية .

فنقول انه رغم ضعف هذا القول للأسباب التي تقدم ذكرها فإن قانون الأحوال الشخصية ، لليهود والنصارى مستمد من التوراة والأنجيل رغم تحريفهما ، وليس فيهما ما يبيح هذا العري الفاضح والتبرج الجاهلي وفي المجتمع المسلم يعامل أهل الذمة في قانون الأحوال الشخصية بما يبيحه لهم دينهم ، أما ما ثبت تحريمه عليهم وعلى المسلمين فيمنع عنه الجميع على حد سواء[١] .

والنصوص الموجودة في الانجيل بهذا الخصوص تأمر المرأة بارتداء البرقع وتذكر قياسات مختلفة له[٢] .

كما أن التوراة قد ذكر فيها أن (ربيكار) قد ارتدت ذات البرقع لأنها كانت محترمة[٣] .

ويمكن الاستدلال على وجوب ستر عورة المرأة الكافرة واخفائها للزينة في المجتمع المسلم هو أن المسلم اذا تزوج الكتابية على رأي من يرى جواز ذلك ، يلزمها بالحجاب لأن ترك الحجاب ليس من دينها ولا من دين الاسلام .

وعلة النهي عند من يرى كراهية نكاح الكتابيات هو أن الكتابية تتناول ما يحرم على المسلم من خمر أو خنزير ، ولم يذكروا أن من علة النهي

---

(١) انظر نظرية الاسلام وهديه / ابو الأعلى المودودي .

(٢) انظر ما قاله (متى) الأنجيل ـ الكتب المقدسة ـ طبعات الملك جمز الثاني عشر جـ ٢ ص ٨٤٦ مكان الطبع نيويورك عام الطبع (١٩٤٦ م) (١٩٥٢ م) .

(٣) انظر ما قاله مترجم الكتب المقدسة . المصدر نفسه والمكان نفسه .

كونها تخرج سافرة متبرجة بزينتها[١] . ويضاف الى تلك الأدلة ما روي أن طلحة بن عبيد الله تزوج بيهودية ، وحذيفة بن اليمان تزوج نصرانية فغضب عمر (رضي الله عنه) غضباً شديداً للزواج من هؤلاء النسوة الكافرات[٢] ومعلوم يقينا أن طلحة وحذيفة لن يتزوجا بنساء متبرجات مبتذلات مائلات مميلات غير ملتزمات بمظهر العفة والفضيلة ، حتى ولو كن غير مسلمات ، لأن من عادة العرب في الجزيرة فيما سبق المحافظة على العرض والعفة والأبتعاد عن أسباب الرذيلة واستعظامهم لهذا الأمر حتى وصلت بهم الغيرة على العرض الى وأد بناتهم قبل بلوغهن سن الرشد .

وبناء على ذلك فليس لأولئك المرتدين أخلاقياً أي عذر في ترك النساء كاسيات عاريات مائلات مميلات في بلاد المسلمين .

انه لو كانت هناك دولة اسلامية حقة لما سمحت بانتشار تلك الردة الأخلاقية في ديار المسلمين . ولو كان هناك جمهور مسلم يوالي الاسلام ويعادي أعداءه لما رضي بتلك الردة الأخلاقية ولما استكان بذلة وهوان تحت أقدام المتسلطين ، من الكفرة الصرحاء والمنافقين العملاء. إن ما تعج به بلاد المسلمين من تفسخ وعرى وتهتك ومجون أمر لا مبرر له سواء كان الفاعل لذلك كافرة أو مسلمة أو كافرا أو مسلماً ، لأن الاسلام يحارب الفحشاء والمنكر في دار الإسلام أيا كان مصدرها مسلماً أو كافراً ، ولكن نظرا لموالاة كثير من السلطات للكفار بما فيها الموالاة الأخلاقية فقد أصبح المسلم في داره كأنه في دار الكفار لما يرى من مظاهر الكفر التي يندي لها جبين كل مسلم غيور .

فأحكام أهل الكفر تجرَي بسفحها   وقانونهم يعلو بها ظاهرا يبدو[٣]

فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) انظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين بدران ص ٤٩ .
(٢) انظر تفسير الفخر الرازي جـ ٦ ص ٦١ .
(٣) انظر ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان / سليمان بن سحمان ص ٢٨٢ .

المثال الرابع
اطلاق يد الكفار في بناء المعابد لهم في بلاد المسلمين

قبل أن نستعرض ما يقوم به سماسرة اليهود والنصارى في إطلاق يد الكفار في بناء الكنائس وتعميرها في أرض الإسلام والمسلمين، ننظر إلى أقوال فقهاء الإسلام في هذا الشأن حتى يكون القارىء على بينة بما يجوز وما لا يجوز في ذلك فلا ينخدع بما يقوله المضللون في هذا الشأن فيعرف أعداءه وأعداء دينه من خلال ما يقومون به من أعمال تدل على موالاتهم وتبعيتهم للكفار.

ومن خلال نظرتي في هذا الموضوع يظهر لي أن حكم بناء الكنائس وتجديدها في ديار المسلمين على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: البلاد التي أحدثها المسلمون وأقاموها مثل الكوفة والبصرة وبغداد والقاهرة والمعادي وحلوان والقيروان ونحوها من المدن والقرى التي نشأت بعد الفتح الإسلامي لا يجوز فيها إحداث كنيسة(*) ولا

(*) انظر في تعريفها ص ٦٢٢ من هذه الرسالة.

بيعة(*) ولا دير(*) ولا صومعة(*)، لأنها أنشأت في العهد الإسلامي وهي تمثل الإسلام وأهله[1].

القسم الثاني: البلاد التي فتحها المسلمون عنوة مثل الإسكندرية بمصر والقسطنطينية في تركيا ونحو ذلك من المدن والقرى، فلا يجوز إحداث شيء من البيع والكنائس فيها، وإن كان يجوز ترك ما هو موجود فيها على الرأي الراجح من أقوال الفقهاء، وقال بعضهم بوجوب الهدم لأنها بلاد مملوكة للمسلمين، ولكن الأولى إبقاؤها وعدم تجديد ما خرب منها[2].

القسم الثالث: ما فتح صلحاً بين المسلمين وبين سكانها. والمختار في ذلك هو ترك ما كان موجوداً بها من كنائس وبيع على ما هي عليه وقت الفتح، ومنع بناء وإعادة ما هدم منها وهو رأي الإمام الشافعي وأحمد (رحمهما الله) إلا إذا اشترط أهل الذمة في عقد الصلح مع الإمام اقامتها فعهدهم يجب الوفاء به[3]. وحين يتعدى أهل الذمة شروط الصلح فحينئذ يجوز هدم ما بقي منها بناء على نقض العهد من قبلهم، ويظهر من الآثار

(*) معبد النصارى والجمع بِيَعٌ. انظر المعجم الوسيط جـ ١ ص ٧٩.

(*) أنظر في بيان معناه ص ٦٢٢ من هذه الرسالة.

(*) انظر في بيان معناها ص ٦٢٢ من هذه الرسالة.

(١) انظر المغنى والشرح الكبير جـ ١٠، ص ٦١٨ - ٦٢٠. وانظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام د/ عبد الكريم زيدان ص ٩٦ - ٩٧. وانظر إجابة الشيخ محمد عبد الله الخطيب في مجلة الدعوة المصرية العدد (٥٦) السنة الثلاثون (٤٣٠) في صفر ١٤٠١ هـ، ص ٤٠، حول سؤال وجه إليه في حكم بناء الكنائس في دار الإسلام.

(٢) انظر المغنى والشرح الكبير جـ ١٠، ص ٦١٨ - ٦٢٠ وانظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د/ عبد الكريم زيدان ص ٩٦ - ٩٧ وانظر اجابة الشيخ محمد عبد الله الخطيب في مجلة الدعوة المصرية العدد (٥٦) السنة الثلاثون (٤٣٠) في صبر ١٤٠١ هـ، ص ٤٠ حول سؤال وجه إليه في حكم بناء الكنائس في دار الإسلام.

(٣) المصادر السابقة نفس المكان.

الواردة في ذلك أن الإسلام لا يجيز إحداث الكنائس في دار الإسلام، وإن السياسة الشرعية ترمي إلى تقليلها تدريجاً كلما واتت الفرصة إلى ذلك لأنها باطل يجب زواله من دار الإسلام ولذلك ورد في الحديث (لا تبنى الكنيسة في الإسلام ولا يجدد ما خرب منها)[١].

ولكن كثيراً من حكام اليوم قد تجاوزوا هذه المسألة كما تجاوزوا غيرها من أحكام الإسلام فبدلاً أن يعمروا المساجد ويعينوا المسلمين على ذلك بدأ هؤلاء الحكام ينظرون إلى المساجد نظرة عداء وكم من المساجد التي هدمت على المصلين في الشام وغيرها من بلاد المسلمين بينما نجد التغافل والتغاضي عن بناء الكنائس وانتشار سدنتها من المكفرين والمفسدين في الأرض، لقد وصل الأمر إلى أن يتزعم بعض الرؤساء المحسوبين من أهل الإسلام بناء الكنائس من بيت مال المسلمين ليقيم شعائر الكفر بعد أربعة عشر قرناً من تحطيمها وكمثال على ذلك نذكر ما صرح به رئيس مصر (السادات) عندما وقع على وثيقة الإستسلام لليهود والنصارى، دعاه (وليام ميتن دورف) رئيس شركة أمريكية مشهورة جداً اسمها (تيفاني) ومنح الرئيس المصري جائزة مقدمة من النصارى لمصالحة السادات لليهود، وعند ذلك فكر السادات كيف يرد الجميل؟

فوجد أن أعز شيء لديهم هو أن يقيم لهم الكنائس في مصر في الوقت الذي يسلم فيه الرئيس المصري القدس لليهود ـ فطلب السادات من (وليام متن) أن يصاحبه إلى مصر حتى يضع معه أساساً لكنيسة عظمى في جبل سيناء وقد قبل هذا العرض وهو في طريقه للتنفيذ[٢]. إلا أن يشاء الله غير ذلك.

---

(١) رواه كثير بن مرة عن علي بن أبي طالب عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) عن رسول الله ﷺ انظر المغني والشرح الكبير جـ ١٠، ص ٦٢٠.

(٢) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٤٧٩) السنة الحادية عشر في ١٤٠٠/٦/٢٨ هـ. ص ١٥.

ولم يكتف السادات بذلك بل أصدر قراراً جمهورياً سمح بموجبه ببناء خمسين كنيسة لكل عام[1] وعلى هذا ستبلغ الكنائس المحدثة خلال عشرة أعوام خمسمائة كنيسة، وعندما اضطرت حكومة السادات لهدم كنيسة تقع في وسط أحد الشوارع الجديدة، قامت ببناء إحدى عشرة كنيسة بدلاً من كنيسة واحدة، ويصرح القانون البلدي في مصر في عهد السادات، أنه لا بد من طلب الترخيص لبناء المساجد وعلى أي مستوى، أما الكنائس فإنها تبنى بدون أي ترخيص[2] وليس هذا الأمر خاصاً بمصر وحدها، بل لقد تجاوز الأمر ذلك إلى دبي والفجيرة وأبو ظبي، فقد نشرت مجلة الإصلاح الصادرة من دبي في دولة الإمارات صورة لكنيسة ضخمة في دبي وقالت في تعليقها هذه إحدى كنائس دبي وقد ضاهت في علوها مآذن المساجد في ذلك البلد المسلم. وفي أبو ظبي وضع مخطط لمدينة الرويس النفطية ومن ضمنه تصميم لكنيسة كبرى سوف تقام هناك، وقد وزعت الإرساليات - التبشيرية - في دبي منشورات لجمع التبرعات لهذه الكنيسة التي تعتبر الثانية من نوعها في أبو ظبي[3].

وفي الفجيرة تجري اتصالات على مستوى كبير للحصول على ترخيص من حكومة الفجيرة لإقامة مجمع يشتمل على بعض الكنائس والمدارس والمراكز التنصيرية[4].

كل هذا يجري في بلاد المسلمين وخاصة في جزيرة العرب التي قال عنها رسول الله ﷺ «لأخرجنَّ اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً»[5].

---

(١) المصدر السابق عدد (٥٤٤) السنة الحادية عشرة في ٢٤/ ١١/ ١٤٠١ هـ، ص ٢٢.

(٢) انظر مجلة الاصلاح عدد (٢٦) جمادي الثانية (١٤٠٠ هـ) ص ٢١.

(٣) انظر مجلة الاصلاح عدد (٤٠) السنة الثالثة رمضان (١٤٠١ هـ) ص ٨ - ٩.

(٤) انظر مجلة الاصلاح عدد (٢٦) جمادي الثانية (١٤٠٠ هـ) ص ١٣.

(٥) رواه مسلم وأحمد والترمذي. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، م ٢ ص ٦٢٩ رقم الحديث (٩٢٤).

أليس هؤلاء الذين يسمحون ببناء الكنائس في بلاد المسلمين عامة والجزيرة العربية خاصة أو يتغافلون عما هو موجود منها قد عظموا أعداء الله أكثر من تعظيمهم لله ولرسوله ولدين الإسلام وأحبوهم أكثر من حبهم لله ورسوله، ولولا ذلك لما عصوا أمر الله ورسوله وأطاعوا أمر المشركين وطلبوا رضاهم بإقامة تلك الكنائس التي هي إظهار للكفر على الإسلام.

كيف لا؟ والله عز وجل قد طلب منهم عكس ذلك وهو إظهار الإسلام على الكفر في قوله تعالى: **﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾**[1]. وأمرنا بالإقتداء بالرسول ﷺ في قوله تعالى: **﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة﴾**[2] وفي الحديث عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: قال رسول الله ﷺ: لا تصلح قبلتان في أرض وليس على مسلم جزية[4].

فبماذا يجيب الذين ينشرون الكنائس والبيع في أرض المسلمين؟ هل أصبح حبهم لليهود والنصارى أعظم من حبهم لله ورسوله والمؤمنين؟

اللهم إننا نبرأ إليك مما يفعله المتسلطون على رقاب المسلمين في موالاتهم لأعدائك وعداوتهم لأوليائك، إنك حسبنا ونعم الوكيل.

---

(١) سورة الصف آية (٩).

(٢) سورة الاحزاب آية (٢١).

(٣) رواه أحمد وأبو داود. انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٢١٩.

المثال الخامس

منح الكفار حرية التنقل والإقامة بين المسلمين

لقد بلغ من تسامح الإسلام مع غير المسلمين المخالفين له في العقيدة، أن يقرهم على السكنى الدائمة كأهل الذمة أو المؤقتة كأهل العهد مع حرية التنقل والإقامة ما لم يخالفوا مقتضى العقد والعهد، إلّا أن هناك استثناء من ذلك حيث قسم الفقهاء دار الإسلام إلى أربعة أقسام هي كما يلي.

أولاً: المسجد الحرام:

أجمع الفقهاء على أن المسجد الحرام لا يجوز أن تطأه قدم مشرك كافر بالأصالة أو بالردة كمعتنقي المذاهب الشيوعية أو البعثية ونحوها، لعموم قوله تعالى: **﴿إنما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا﴾**[1]. وقد بعث رسول الله ﷺ علياً بعد نزول هذه الآية يعلن للناس في

(١) سورة التوبة آية (٢٨).

الحج (أنه لا يدخل الجنة كافر، ولا يحج بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان)[1].

ثانياً: منطقة الحرم وهي مكة وما طاف بها من نصب حرمها:

فليس لغير المسلم أياً كان نوع كفره أن يدخلها لا مقيماً ولا ماراً بها وهذا هو مذهب الشافعية والحنابلة، وخالف أبو حنيفة في ذلك حيث يرى جواز المرور بمنطقة الحرم دون الإقامة فيها ما عدا المسجد الحرام فلا يجوز أن يقربه مشرك وحجته في ذلك أن الآية خصصت المسجد الحرام فلا يتعدى ذلك إلى غيره مما لم يشمله الدليل.

ورد القائلون بمنع دخول منطقة الحرم كلها، أن القرآن الكريم نهى غير المسلمين عن اقتراب المسجد الحرام والمقصود به الحرم كله، لا المسجد الحرام فقط، لأنه عبر عن الكل بذكر الجزء المهم فيه[2].

والراجح في هذه المسألة المنع من دخول منطقة الحرم بكاملها وذلك للأسباب الآتية: ـ

١ ـ إن الله ذكر تحريم دخول المسجد الحرام ونص عليه صراحة والمسجد الحرام جزء يسير من الحرم كله ولذلك ذهب عطاء إلى أنه يحرم تمكين المشرك من دخول الحرم أجمع[3].

٢ ـ وردت أحاديث صحيحة بإخراج اليهود والنصارى من الجزيرة كلها فمن باب أولى أن تشمل منطقة الحرم، حيث ورد في صحيح مسلم ما يؤكد ذلك[4].

---

(١) أنظر صورمن حياة الرسول أمين دويدار ص ٥٨٢.

(٢) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د/ عبد الكريم زيدان ص ٢[illegible].

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ٨، ص ١٠٤.

(٤) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٢٢٢.
وانظر الأحكام السلطانية للماوردي ص ١٦٧.

ثالثاً: سكنى الجزيرة والحجاز لغير المسلمين:

الأصل في ذلك ما روي من الأحاديث الدالة على منع سكنى الجزيرة والحجاز لغير المسلمين، حيث روي عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال (اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس وأوصى عند موته بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم ونسيت الثالثة)(١) وعن ابن عمر (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً)(٢) وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت (آخر ما عهد رسول الله ﷺ أن قال: لا يترك بجزيرة العرب دينان)(٣) وعن أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) قال (آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ أخرجوا يهود أهل الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب)(٤) وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) (أن عمر أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز وذكر يهود خيبر إلى أن قال أجلاهم عمر إلى تيماء وأريحاء)(٥).

وظاهر ما تدل عليه هذه الأحاديث وفعل عمر (رضي الله عنه) أنه يجب إخراج المشركين من كل مكان داخل في مسمى جزيرة العرب وقد حدد الخليل(٦) بن احمد جزيرة العرب بأنها من بحر الحبشة غرباً إلى بحر

---

(١) رواه البخاري. انظر فتح الباري جـ ٦ ص ١٧٠ (باب الجهاد) ح ٣٠٥٣.

(٢) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم في كتاب الوصية جـ٣/ ١٢٥٨ ح ١٦٣٧ ورواه أحمد والترمذي وصححه. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة لـلألباني م ٢، ص ٦٢٩، رقم الحديث (٩٢٤) وانظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٢٢٢ وانظر المغنى والشرح الكبير جـ ١٠، ص ٦١٣.

(٣) نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٢٢٢.

(٤) رواه أحمد. انظر نيل الأوطار جـ ٨ ص ٢٢٢.

(٥) رواه البخاري ومسلم. انظر فتح الباري جـ ٦ ص ٢٥٢ وانظر صحيح مسلم جـ ٣ ص ١١٨٧ - ١١٨٨ (باب المساقات - ٦).

(٦) هوالخليل بن أحمد بن عمرو بن تمين الفراهيدي، الأزدي، اليحمدي، البصري، (أبو عبد =

فارس شرقاً ومن الفرات شمالاً إلى بحر الهند جنوباً، وهذا يوافق مفهومنا الجغرافي المعاصر من البحر الأحمر غرباً إلى الخليج شرقاً، ومن أرض العراق شمالاً إلى حضرموت جنوباً وهذا هو الموافق لنصوص الحديث[(١)].

وحدد الأصمعي جزيرة العرب بأنها ما بين أقصى عدن إلى ريف العراق طولاً ومن جدة وما والاها إلى أطراف الشام، وسميت بجزيرة العرب لإحاطة البحار بها، وهي بحر الهند وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الحبشة وأضيفت إلى العرب لأنها كانت بأيديهم منذ القدم[(٢)].

وقد اختلف العلماء في مسألة النهي عن سكنى الجزيرة والحجاز فمنهم من حمل أحاديث النهي كلها على الحجاز فقط دون بقية الجزيرة العربية ومنهم من حمل أحاديث النهي على مسمى الجزيرة كلها بما فيها الحجاز.

وخلاصة القولين كما يلي:

القول الأول: - هو قول جماعة من الفقهاء حيث قالوا أن الذي يُمْنَع المشركون من سكناه من الأرض، هي أرض الحجاز خاصة وهي مكة والمدينة واليمامة وما والاها من قرى وأحياء وذلك لعدة أسباب هي:

١ - إن أكثر الفقهاء قد اتفقوا على أن اليمن لا يمنع أهل الذمة من سكناها مع أنها من جملة جزيرة العرب، وهذا قول الجمهور من الشافعية والحنفية والحنابلة والشيعة الإمامية[(٣)].

٢ - استدل القائلون بالنهي عن سكنى المشركون للحجاز فقط بحديث أبي

= الرحمن) ولد سنة (١٠٠ هـ) وأصبح نحوياً لغوياً، وهو أول من استخرج علم العروض وحصن به أشعار العرب وتوفي سنة (١٧٠ هـ) انظر معجم المؤلفين/ جـ ٤ ص ١١٢.

(١) انظر فتح الباري جـ ٦ ص ١٧١ وص ٢٧٠ - ٢٧٢ من نفس الجزء ونفس الكتاب.

(٢) انظر الأحكام السلطانية للقاضي أبي يعلى الحنبلي ص ١٧٩ - ١٨١.

(٣) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د/ عبد الكريم زيدان ص ٩٢.

عبيدة وفعل عمر المتقدمين[1]. فقالوا ان عمر (رضى الله عنه) أجلى أهل الذمة من الحجاز فلحق بعضهم بالشام وبعضهم بالكوفة وأجلى أبو بكر (رضي الله عنه) قوماً فلحقوا بخيبر، فاقتضى ذلك أن المراد بالنهي الحجاز لا غير.

القول الثاني: قول من يرى أنه لا يجوز أن يسكن في جزيرة العرب مشرك بعد دخولها في الإسلام وجزيرة العرب هي ما سبق أن أشرنا إلى تحديد الخليل بن أحمد والأصمعي لها، وتحديدهما لها لا يختلف عما هو معروف عند علماء هذا الفن في عصرنا الحاضر سوى الاختلاف في اللفظ من جزيرة العرب إلى شبه الجزيرة العربية وعلى هذا فجزيرة العرب أو شبه الجزيرة العربية لا يجوز أن يسكنها مشرك على هذا القول وحجة أهل هذا القول هي ما يلي:

١ ـ تواتر الأحاديث الدالة على أنه لا يجوز أن يسكن الجزيرة مشرك ولا يجتمع فيها دينان بعد الإسلام وقد تقدمت هذه الأحاديث برواياتها المختلفة.

٢ ـ إن هذه الأحاديث كما تدل طرق الرواية لها من آخر ما عهد به الرسول ﷺ لهذه الأمة فلم يأت بعدها أحاديث يمكن أن تنسخ العمل بها أو تخصص مفهومها.

٣ ـ إن تخصيص الحجاز من الجزيرة العربية إذا كان ذلك لرعاية مصلحة الأمة، فإن المصلحة في إخراجهم من الجزيرة العربية كلها أقوى وأوجب.

٤ ـ إن حمل الجزيرة على الحجاز إن صح مجازاً من إطلاق إسم الكل وإرادة الجزء فهو معارض بالقلب وهو أن يقال أن المراد بالحجاز جزيرة

---

(١) انظر ص ٦٦١ ـ ٦٦٦ من هذه الرسالة.

العرب من إطلاق إسم الجزء وإرادة الكل، فترجيح أحد المجازين مفتقر إلى دليل، ولا دليل يرجح أحد المجازين.

٥ - إن في خبر النهي عن جزيرة العرب زيادة لم تغير حكم الخبر الخاص بالحجاز والزيادة في مثل ذلك مقبولة.

٦ - إن استنباط علة التقرير في غير الحجاز هي المصلحة، فرع لثبوت الحكم. والأحكام المستنبطة إنما تؤخذ من حكم الأصل بعد ثبوته والدليل لم يدل إلا على نفي وجود المشركين في الحجاز والجزيرة العربية معاً كما في حديث مسلم[1] وحديث (لا يترك بجزيرة العرب دينان) فاستثناء غير الحجاز واقع في مقابلة النص المصرح فيه بأن العلة كراهية اجتماع دينين في مكان واحد، فكان مقتضى القياس أنه لو فرضنا أن النص لم يقع إلا على إخراجهم من الحجاز لكان المتعين قياساً إلحاق بقية جزيرة العرب بذلك لهذه العلة، فكيف والنص الصحيح يصرح بوجوب إخراج كل مشرك من جزيرة العرب.

٧ - إن الحديث الذي استدل به من يرى الإخراج من الحجاز فقط حيث ذكر لفظ الحجاز فيه، فيه الأمر بإخراجهم من نجران كما ذكر ذلك في الحديث، وليس نجران من الحجاز، فلو كان لفظ الحجاز مخصصاً للفظ الجزيرة على إنفراده، أو دالاً على أن المراد بجزيرة العرب الحجاز فقط لكان هذا إهمالاً لبعض الحديث وإعمالاً لبعضه الآخر وهذا باطل.

٨ - إن غاية ما في حديث أبي عبيدة الذي صرح فيه بلفظ أهل الحجاز هو أن مفهومه معارض لمنطوق ما في حديث ابن عباس المصرح فيه بلفظ جزيرة العرب والمفهوم لا يقوى على معارضة المنطوق فكيف يرجح عليه[2].

---

(١) انظر ص ٦٦١ من هذه الرسالة.

(٢) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٢٢٢ - ٢٢٥.

والذي أطمئن إليه مما تقدم فيما يتعلق بالحرم والحجاز والجزيرة العربية هو أن يعاملوا على النحو التالي: -

١ - منطقة الحرم كلها لا يجوز أن يدخلها مشرك سواء كان مسافراً أم مقيماً لدلالة النصوص المتقدمة على ذلك، وأرى ضعف ما ذهب إليه الأحناف، من جواز دخول الحرم عدا المسجد الحرام دخولاً مؤقتاً، لأن قولهم هذا عن اجتهاد ولا اجتهاذ مع النص.

٢ - منطقة الحجاز والجزيرة العربية كلها. يجوز للذميين والمستأمنين دخول الحجاز والجزيرة العربية بصفة مؤقتة، حيث كان النصارى يتجرون في زمن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بالمدينة وكان يضرب لمن قدم منهم تاجراً مدة معلومة يلزمه مغادرة المدينة بعد انقضائها وهذا ما صرح به الحنابلة والشافعية والزيدية[١]. ولعل هذا لا يتعارض مع منطوق الأحاديث التي تنهى عن دخول الحجاز وجزيرة العرب بحمل دلالة هذه الأحاديث على أن المراد بذلك السكنى الدائمة، لا المرور العابر أو الإقامة المؤقتة لعمل ما.

ولذلك فإنني مع من يقول بعدم جواز التصريح بالإقامة المستمرة في الحجاز والجزيرة العربية لغير المسلمين عملاً بظاهر الأحاديث الدالة على ذلك وما حصل من تقرير في إقامة أهل الذمة في اليمن وسواد العراق والشام، فإنما كان عن اجتهاد من الصحابة (رضي الله عنهم) ولمصلحة رأوا العمل بها في حينها مؤقتاً، وهو لا يعني أن هذا هو قرارهم النهائي في هذه المسألة، وإن إقرارهم لذلك إقراراً نهائياً. فقد روي الإمام أحمد أن عمر بن عبد العزيز أمر نائبه في صنعاء أن يهدم جميع الكنائس في اليمن فهدمها في صنعاء وغيرها من المدن، وكذلك فعل هارون الرشيد حيث أمر بهدم ما كان موجوداً في سواد بغداد، وكذلك فعل المتوكل حيث استفتى العلماء

(١) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام د/ عبد الكريم زيدان ص ٩٣.

لديه ثم بعث بفتواهم إلى الإمام أحمد بن حنبل لأخذ موافقته على ذلك فأجابه بالموافقة على هدم كنائس سواد العراق(١).

ولذلك فإن من أنواع الخطأ الفاحش الذي تقع فيه الدول المعاصرة هو منح المشركين على اختلاف أنواعهم التصريح بالإقامة المستمرة في دول الجزيرة العربية، وذلك بمنح جنسيات تلك الدول إلى حثالة اليهود والنصارى وأهل الأوثان بينما كثير من الدعاة إلى الله، لا يجدون ملجأ أو مغارة يأون إليها ويحتمون بها من جبروت المتجبرين واضطهاد الظالمين.

أحرام على بلابله البوح   حلالاً للطير من كل جنس!!

رابعاً: سكنى المشركين وإقامتهم الدائمة خارج الجزيرة العربية:

فيرى جمهور العلماء جواز إقامة أهل الذمة إقامة مستمرة خارج حدود الجزيرة العربية من دار الإسلام وذلك وفق شروط أهل الذمة التي بينها رسول الله ﷺ وطبقها أصحابه، بحيث لا يصدر منهم ما يضر بصالح الإسلام والمسلمين، والمستأمنين يلزمهم ذلك بموجب عقد الأمان وإن كان البعض من علماء الإسلام يرى إخراج كل مشرك من كل بلد غلب عليها المسلمون عنوة، ولم يكن بالمسلمين حاجة وضرورة ملحة إلى بقائهم وقالوا إن ذلك لا يختص بجزيرة العرب، وإنما خصها الرسول ﷺ بذلك لأنها هي التي كانت تخضع للمسلمين حين وفاة الرسول ﷺ وهذا هو رأي الإمام الطبري(٢).

والراجح أن ما عدا الجزيرة العربية والحرم يرجع ذلك إلى ما يراه الإمام وأهل الحل والعقد في الأمة، وما تقتضيه السياسة الشرعية ومصلحة الأمة في إبقاء أهل الذمة وأهل العهد أو إخراجهم من دار الإسلام عند ترجيح أصلح الأمرين في حق الإسلام والمسلمين.

---

(١) انظر شرح الشروط العمرية/ تأليف ابن قيم الجوزية/ تحقيق صبحي الصالح ص ٢٩ ـ ٣٠.
(٢) انظر فتح الباري جـ ٦ ص ٢٧٠ ـ ٢٧٢.

ولكن شتان بين ما هو كائن وما يجب أن يكون فقد غزت جمعيات التنصير معظم البلاد الإسلامية بمسميات ظاهرة وخفية، جاعلة نصب عينيها إخراج المسلمين عن الإسلام، وإذا تجاوزنا البلاد الإسلامية التي يوجد بها كثافة سكانية من المسلمين وقلة من غير المسلمين كمصر وأندونيسيا وباكستان، إلى البلاد التي في الأصل سكانها مسلمون مائة في المائة ولا يسكنها إلا قلة من غير المسلمين كالإمارات العربية في الخليج فإننا نجد بها (٥٤) أربعاً وخمسين بعثة تنصيرية بين إنكليزية وأمريكية، وفي الكويت مجلس اتحاد الكنائس لدول المنطقة رغم أن موقع الكويت وغيرها من دول الخليج داخل في مفهوم الجزيرة العربية ويشمله النهي الذي نهى فيه رسول الله ﷺ عن إقامة المشركين في الجزيرة العربية، وقد بلغت نسبة غير المسلمين في دول الخليج ٣٠٪ ثلاثين في المائة بالنسبة إلى المسلمين أي ما يقارب المليون من الكفرة المشركين حيث أن مجموع عدد سكان دول الخليج (٣,١٤٦,٠٧٨) ونسبة غير المسلمين منهم ما يعادل الثلث حسب إحصائية تفصيلية نشرتها مجلة المجتمع الكويتية[١].

فهل هذه النسبة العالية من غير المسلمين في صالح الإسلام والمسلمين؟ وهل يرضى مثل هذا العمل رب العالمين، في الوقت الذي يموت فيه ملايين المسلمين من الفقر والحاجة والحرمان؟

ومما تقدم يدرك المسلم خطورة ما نحن فيه في عصرنا الحاضر من استقدام مئات الآلاف من أهل الكفر والضلال وتوزيعهم في مختلف البلاد الإسلامية وهذا أمر له خطورته من وجهين.

الوجه الأول ـ إن ذلك التعاون المطلق مع الكفار معصية يحاسبنا الله عليها، وإن ملء البلاد الإسلامية بالكفار عمل بعكس ما أمر الله به من إخراج المشركين من جزيرة العرب، وأكثر الذين يسرحون ويمرحون في ديار

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٥٥٣) الثلاثاء صفر ١٤٠٢/٢/٢٦ هـ ص ٢٠ ـ ٢٣.

المسلمين لا مبرر لوجودهم من وجهة النظر الإسلامية، لإمكان استبدالهم بملايين المسلمين العاطلين عن العمل في مشارق الأرض ومغاربها والذين يشكلون بمجموعهم اكتفاء ذاتياً في معظم مجالات العمل ومتطلبات الحياة.

ولكن نظراً لموالاة كثير من ولاة الأمر في البلاد الإسلامية للكفار فقد أصبحوا يتنافسون في استقدام الكفار واتخاذهم بطانة لهم من دون المؤمنين، بل إن ندماءهم وخلانهم وأهل ثقتهم وأمناء أسرارهم، هم الكفار وأشباه الكفار.

وهذا دليل كاف على إدانة أولئك المسؤولين وتوليهم لأعداء الله ومحبتهم لهم وقد ورد في الحديث الصحيح (المرء مع من أحب)[1].

الوجه الثاني - إن بلاد المسلمين وخاصة جزيرة العرب مستهدفة قبل غيرها من قبل أعداء الإسلام لسببين.

١ - إنها منبع الإسلام ومطلع النور الذي بدد غياهب الجهل والظلم في العالم أجمع، ولذلك يخشى الأعداء من أن تشرق شمس الإسلام من جديد فتذهب ليلهم الحالك الذي يجدون في ظلمته كل مسوغات الأستعباد والتسلط على المسلمين.

ولذلك يسعون ليل نهار لمحاصرة التحرك الإسلامي في كل مكان وضربه قبل اشتداد عوده حتى لا تقوم للإسلام قائمة.

٢ - إن دول الجزيرة قد حباها الله من نعمه الظاهرة والباطنة مما لا يعلمه إلا الله ومكنها من أن يكون مفتاح إنارة العالم كله بيدها ولكنها لم تمارس دورها القيادي كما يجب في الربط بين قوة الطاقة وقوة وعظمة الرسالة وجعل أحدهما مكملاً للآخر، بل لقد سلبت الأمرين معاً بأبخس الأثمان.

---

(١) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٣٢ (باب البر والصلة) رقم الحديث (٢٦٤١).

وقد يسأل سائل فيقول: ما هو المخرج من واقعنا المؤلم الذي نعيش فيه؟

والجواب كما أعتقد وأرى أنه يجب علينا سلوك الطرق التالية:

أولاً: التعاون الجاد الصادق مع المسلمين المخلصين الموحدين الذين يمثلون حقيقة الإسلام وجوهره، لا مع المسلمين المزيفين ولا مع الحكومات التي تعمل ضد الإسلام والمسلمين.

إن من الجهل المركب أن يعتقد شخص أو جماعة أو دولة أنه من الممكن شراء ولاء الناس ومودتهم بالمال والمنافع المادية، فهو وإن حصل ذلك في بعض الظواهر المؤقتة فإن نهاية ولاء من أحبك على مصلحة يكون بفقدها عدواً، ولذلك نرى كثيراً ما تنقلب الصداقة عداوة بين كثير من الأفراد والجماعات والدول وقد يحصل العكس نظراً لعدم وجود ضابط من الدين والعقيدة السليمة يحكم تلك العلاقات مسبقاً فالمحبة في الله والمودة في سبيله أقوم وأبقى ولذلك قال تعالى: **﴿لو أنفقت ما في الأرض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم﴾**[1].

وقد أمر الله بالتعاون مع المسلمين وتفريج الكربات عنهم قال ﷺ: (ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة)[2] أليس من الأفضل تهيئة العمل الشريف المبني على الأخوة في الله لإخواننا في مشارق الأرض ومغاربها؟ بدلاً من أن نتركهم يرتمون في أحضان دعاة الكفر وسماسرة الفاتيكان وجمعيات أهل الصليب، بينما بطون الكفار تصاب بالتخمة من خيرات المسلمين في داخل بلاد المسلمين وخارجها.

---

(١) سورة الأنفال آية (٦٣).

(٢) متفق عليه. انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١، ص ٢٥٧ رقم الحديث (٢٤٦) (باب قضاء حوائج المسلمين).

إن مما يجب على ولاة المسلمين الصادقين أن لا يستقدموا كافراً وهم يجدون ما يسد مسده من أهل الإسلام إن استقدام الكفرة إلى ديار الإسلام وخاصة جزيرة العرب معصية لله ورسوله، ومخالفة لنهج الخلفاء الراشدين كما تقدم بيان ذلك[1].

ثانياً: إن في المجتمع الإسلامي الكبير طاقات فنية وقدرات علمية تجعل المسلمين لديهم اكتفاء ذاتياً في معظم المهن والعلوم بحيث تصبح الحاجة إلى الكفار في شبه النادر والقليل ولكن أين من يهتم بذلك ويسعى لتطبيقه في واقع المسلمين، لقد فتحت كثير من الدول الباب على مصراعيه لدخول الكفار بطرق مختلفة وأساليب متباينة، حتى امتلأت بلاد المسلمين بسيل جارف من هؤلاء الكفار رجالاً ونساءً، فأصبح المسلم لا يكاد يرى بينهم إلا نادراً، وصار المسلم في بلده غريباً، حتى أن الواحد منا إذا دخل بعض المحلات التجارية لدينا وجد كل شيء مصبوغاً بصبغة الكفار ووجد الباعة من الكفار والمشترين منهم كذلك وكأن المحل في لندن أو باريس أو نيويورك أو طوكيو أو بكين، كأنه ليس في بلدة من بلدان المسلمين. إن الكفار وخاصة النصارى منهم يركزون هذه الأيام على الهجرة إلى البلاد الإسلامية، لإفسادها ومحاولة تنصير المسلمين فيها.

فقد عقدوا مؤتمراً كنسياً في أمريكا لتنصير المسلمين في ولاية كولورادو، تم فيه مناقشة أربعين بحثاً عن خطط التنصير وبرامج التكفير في البلاد الإسلامية، واتخذوا عدة قرارات وتوصيات، كان من أهمها في هذا الموضوع قولهم: (يجب بذل الاهتمام الكافي والتركيز بقوة على زرع جاليات مسيحية في قلب العالم الإسلامي)[2].

---

(١) انظر ص ٦٦٠ ـ ٦٦٦ من هذه الرسالة.

(٢) انظر المجتمع الكويتية عدد ٥٢٥ في ١٦/ ٦/ ١٤٠١ هـ ص ٣٠.

فهل نترك لهم تحقيق هذه الفرصة التي يطمحون إليها بكل شوق؟

إن الإسلام لا يخشى من تواجد غير المسلمين في دار الإسلام لو كان المسلمون متمسكين بإسلامهم، عاملين بحقيقة الإسلام.

أما تمكين الكفار في بلاد المسلمين، في الوقت الذي يعيش فيه المسلمون بلا هوية أو عقيدة تربطهم بالإسلام الصحيح فإن ذلك خيانة وموالاة لأعداء الله وأعداء رسوله، ومحاربة للإسلام والمسلمين. فهل يعي المجازفون بمصيرهم ومصير أمتهم إلى الهاوية هذا الخطر، بعد أن أثبت التاريخ أن قلب الجزيرة العربية هو أسلم البلاد الإسلامية بسبب ندرة تواجد الكفار فيه في سالف الأزمان.

ثالثاً: العمل على إقصاء المنافقين والمرتدين من شيوعيين وبعثيين[1] ونحوهم عن مراكز التوجيه ومقاليد السلطة في الأمة الإسلامية. فمن ظهرت منه علامات النفاق كبت نفاقه في قلبه ومن ظهرت منه علامات الردة باعتناق المذاهب الكافرة نفذ فيه حكم الله لأن هؤلاء جميعاً مدخل خبيث لأعداء الإسلام، وسلم لدخول الكفار إلى بلاد المسلمين واستباحة حماها.

رابعاً: العمل على إحياء الدعوة الإسلامية، وإطلاق يد الدعاة إلى الله في أن يدعوا بكل حرية ونشاط ليوجدوا البديل الصالح بدلاً من انصاف المسلمين وركام المنافقين الذين هم عالة على أنفسهم وعلى أمتهم جميعاً.

---

(١) يقول ميشيل عفلق (ان حزب البعث مدين للماركسية في جانبه الفلسفي وبرنامجه الاشتراكي) ا. هـ.
انظر التبشير والإستعمار ص ٢٥٧ وهذه شهادة لا يستهان بها على كفر من ينهج منهج الأحزاب البعثية أو ينضم إليها ويواليها، خاصة وأنها شهادة صادرة من مؤسس حزبي البعث في سوريا والعراق، فهل يعي المخدوعون بأنه لا تعارض بين حزب البعث ودين الاسلام؟ بعد صدور الشهادة على كفرهم من كبيرهم الذي علمهم الكفر قال تعالى: ﴿شاهدين على أنفسهم بالكفر﴾ سورة التوبة آية (١٧).

وقد يقول قائل ما هو الخطر الذي يهدد المسلمين من وجود الكفار بينهم وهل حصل شيء من ذلك فيما مضى يوجب الخوف منهم مستقبلاً:

والجواب أن نقول ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) حيث يقول: (لقد رأينا المسلمين الذين عاشروا اليهود والنصارى هم أقل إيماناً من غيرهم، ممن عاشوا مع المسلمين الخالصين من الشرك[1].

فإذا كان هذا ما رآه شيخ الإسلام قبل سبعة قرون فما بالك لو رأى ما وصلت إليه البلاد الإسلامية التي يوجد فيها أقليات غير إسلامية من فساد وردة وانحلال، لقد أثبت الواقع التاريخي أن البلاد التي بقيت فيها أقليات غير إسلامية كمصر والشام والعراق قد سبقت غيرها من بلاد الإسلام إلى الفساد وهو أمر مشاهد معلوم، ولا يعني هذا أن البلاد داخل حدود الجزيرة العربية سليمة نقية ولكنها ستكون في آخر القائمة بعد تلك الديار إن لم يتدارك الله الجميع برحمته، ودليل آخر أثبت أن كثرة الفساد تكثر حيث يكثر الكفار، ذلك أن البلاد التي دخلها الاستعمار العسكري بعد القضاء على الدولة الإسلامية أشد تأثراً بالفساد من البلاد التي بقيت تحتفظ باستقلال محدود عن الكفار في الجزيرة العربية.

فكيف وهذه التجارب ماثلة أمامنا لم نتعظ ولم نعتبر بل لقد وصل الأمر إلى أن نصدر لهم أبناءنا كما يصدرون لنا الماشية من الأنعام ونستقدم الكفار كاستقدامنا لبقية السلع الاستهلاكية سواء بسواء، فضاع معظم أبنائنا في الخارج وقضى الوافدون من الكفار على معظم البقية الباقية منهم في داخل بلاد المسلمين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) انظر الجواب الفائض في الرد على أرباب القول الرائض/ تأليف الشيخ سليمان بن سحمان الدوسري ص ٤٣ الورقة (٢٢). مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (٣٤١٣).

المثال السادس

تمليك الكفار لما يتخذونه موضعاً لمعصية الله

الأصل أنه لا يقر في البقاء في دار المسلمين من المشركين سوى أهلِ الذمة، أما أهل الأوثان والمرتدون فلا يصح بقاؤهم في دار الإسلام فضلاً عن تملكهم ولكن الحكم الشرعي شيء وواقعنا المعاصر شيء آخر.

ففي واقعنا المعاصر لا يوجد أهل الذمة بالمفهوم الشرعي المتعارف عليه عند فقهاء المسلمين، ولذلك فإن ما نكتبه لا يتعدى مخيلة بعض المتعلمين أو بطون الكتب، أما الواقع العملي فبينه وبين الإسلام بون شاسع بحيث لا يفكر معظم المسلمين في مثل تلك القضايا من قضايا الإسلام، ولكننا نبين ما يجب أن يكون عليه المسلمون إذا أرادوا الإسلام أو رجعوا له فنقول:

إن مسألة تملك العقار من قبل أهل الذمة في دار الإسلام مسألة تحدث فيها الفقهاء بين الجواز والمنع على قولين:

القول الأول: ذهب كثير من فقهاء البصرة إلى القول بجواز بيع الأرض من المسلم إلى الذمي. قال بذلك أبو حنيفة وأبو يوسف ويروي ذلك عن الحسن بن صالح وأبي عبيد، وهو مذهب الثوري والشافعي[1].

وحجة هؤلاء هو قياس بيع العقار من مساكن ومزارع ونحو ذلك على جواز بيع السوائم، وهو قياس مع الفارق حيث أن السوائم منفعتها وذواتها محدودة الوجود سريعة الانتقال والزوال بخلاف العقار فإن ذاته ومنفعته تبقى مدة طويلة غير محدودة.

والأمر الثاني: إنهم استدلوا بأن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) دفع الأرض المفتوحة عنوة في سواد الكوفة ومصر والشام وخراسان لأهلها بعد تمليكها من قبل الدولة الإسلامية وجاز بيعهم تلك الأرض للمسلمين، فلو لم يكونوا قد ملكوها بوضع اليد عليها لما جاز بيعهم لها[2].

القول الثاني: وهو قول الإمام مالك وأحمد في إحدى الروايتين عنه وقول عامة أهل الحجاز، ويروى عن ابن القاسم وهو ما ذهب إليه ابن قيم الجوزية، من أنه لا يجوز أن يترك الذمي يشتري أرض المسلم في دار الإسلام من مساكن ومزارع لأن في شرائها ضرراً على المسلمين، حيث أن الأصل أن يقر أهل الذمة على ما كانوا عليه من غير تعد منهم إلى الاستيلاء فيما ثبت للمسلمين الحق فيه من عقار ونحوه، قال تعالى: **﴿وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم وأرضاً لم تطؤها﴾**[3] فكيف بعد أن أورثنا الله أرضهم نرجعها إليهم، ولذلك رجح الشافعي وأبو عبيد وطائفة من

---

(١) انظر المغني والشرح الكبير جـ ٢ ص ٥٩٣ وانظر إحكام أهل الذمة جـ ١ ص ١٤١ - ١٤٩.

(٢) انظر الخراج في الفقه الإسلامي رسالة ماجستير مقدمة من/ حمود بن مرشد السليمان ص ١٦٧.

(٣) سورة الأحزاب - آية (٢٧).

أصحاب أحمد والمشهور عند أصحاب مالك، أن أهل الذمة لا يمكنون من شراء الأرض أو اكترائها من المسلمين[1].

وإنما أقروا في الإقامة بدار الإسلام بالجزية للضرورة العارضة والحكم المقيد بالضرورة، مقدر بقدرها لا يتعدى إلى كل شيء ولذلك أجاب أصحاب القول الثاني وهم القائلون بمنع بيع أرض المسلم إلى الذمي على ما احتج به أصحاب القول الأول بعدة إجابات هي كما يلي: -

أ - ما فعله عمر (رضي الله عنه) في مشاورته لمعاذ بن جبل (رضي الله عنه) في قسمتها بين الفاتحين أو وضع الخراج عليها يدل على عدم ملكية أصحابها لها في ذلك الوقت حيث أشار معاذ بقوله: (إنك إن قسمتها صار الربع العظيم في أيدي القوم ثم يبيدون فيصير ذلك إلى الرجل الواحد والمرأة الواحدة، ثم يأتي بعدهم قوم يسدون في الإسلام سداً وهم لا يجدون شيئاً، فانظر أمراً يسع أولهم وآخرهم[2].

ب - أما بيعهم لها بعد ذلك فيحتمل أنهم أسلموا وهذا هو الحاصل في سواد العراق ومصر والشام وخراسان، والإسلام عصمة للنفس والمال كما في الحديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله[3].

وقد روى البيهقي أن امرأة أسلمت من أهل نهر الملك قال: فقال

---

(١) انظر أحكام أهل الذمة/ ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ١٤١ - ١٤٨.

(٢) انظر السنن الكبرى للبيهقي جـ ٩، ص ١٣٧ - ١٣٩.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ١ ص ٧٥.

عمر أو كتب عمر (رضي الله عنه): إن اختارت أرضها وأدت ما على أرضها فخلوا بينها وبين أرضها، وإلا خلوا بين المسلمين وبين أراضيهم[١]، وروي عن أبي عون الثقفي قال: أن عمر وعلياً (رضي الله عنهما) كانا إذا أسلم الرجل من أهل السواد تركاه يقوم بخراجه في أرضه[٢]، وروي أن عمر بن عبد العزيز (رحمه الله) كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن - فذكره فقال فيه ولا خراج على من أسلم من أهل الأرض[٣]. ولحديث (من أسلم على شيء فهو له)[٤]. وقد يكون البيع الحاصل من أهل الذمة على افتراض حصوله بيعاً لنصيبهم من المنفعة الناتجة من الأرض لا بيعاً للأرض ذاتها وعلى هذا إذا وجد الاحتمال بطل الاستدلال.

والرأي الراجح هو عدم جواز بيع العقار من مساكن ومزارع ونحوها لأهل الذمة أو لغيرهم من أهل الكفر وخاصة داخل حدود الجزيرة العربية فإنه محرم بالنصوص الثابتة كما تقدم[٥] ذلك لأن بيعهم العقار يترتب عليه إقامتهم فيها إقامة دائمة وهذا يتعارض مع النهي عن بقاء المشركين في جزيرة العرب، ولذلك فإن من يسمح أو يرضى بتملك المشركين للعقار في داخل الجزيرة العربية يكون مخالفاً لما أمر به رسول الله ﷺ موالياً لأعداء الإسلام أما ما يقع خارج الجزيرة العربية من بلاد المسلمين فإن النهي عن بيع العقار للكفار نهى تحريم على رأي جمهور العلماء منهم الإمام مالك وأهل المدينة والإمام أحمد وهو ما ذهب إليه الطبري ورجحه شيخ الإسلام ابن تيمية[٦]. ولذلك لم يثبت أحد من السلف حق الشفعة للذمي على

(١) انظر السنن الكبرى للبيهقي جـ ٩ ص ١٤١.
(٢) المصدر السابق نفس المكان.
(٣) المصدر السابق نفس المكان.
(٤) انظر المغنى والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٤٨٢.
(٥) انظر ص ٦٦٠ - ٦٦٦ من هذه الرسالة.
(٦) انظر اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ص ٢٤٢ - ٢٤٤ وانظر فتح الباري جـ ٦ ص ٢٧٠ - ٢٧٢.

المسلم وقال الإمام أحمد في تعليل ذلك، أن الشخص الذي يملكه المسلم إذا أوجبنا فيه شفعة الذمى نكون قد أوجبنا على المسلم أن ينقل الملك في عقاره إلى الذمي بطريق القهر للمسلم وهذا خلاف الأصول.

ولهذا نص أحمد على أن البائع للشخص إذا كان مسلماً وشريكه ذمياً. لم يجب له شفعة، لأن الشفعة في الأصل إنما هي من حقوق أحد الشريكين على الآخر، وهي من الحقوق التي تجب على المسلم للمسلم كإجابة الدعوة، وعيادة المريض ونحو ذلك، وهذا كله عن أحمد مخصوص بالمسلمين دون غيرهم[1].

وقال أبو حنيفة وبعض فقهاء البصرة أن بيع العقار للذميين جائز مع الكراهية[2]. وقد ذكرنا حجتهم وحجة القائلين بالرد عليهم، والذي أطمئن إليه وأرجحه في ذلك هو عدم جواز بيع العقار لغيـر المسلمين في دار الإسلام لأن في ذلك تثبيتاً لأقدامهم وضماناً لاستمرارهم والأولى أن يضيق عليهم فيسلموا أو تضيق بهم دار الإسلام فيرحلوا إلى أجناسهم من الكفار عند عدم وجود ما يربطهم بالأرض من مساكن ومزارع ونحو ذلك.

ومما يؤسف له أن بعض الدول الخليجية قد منحت جنسيتها إلى بعض الكفار مما جعل لهم الحق في شراء العقارات وتعميرها كما أنها أعطت البعض الآخر منهم قروضاً كي يعمروا بها مساكن فخمة رغم أن دخولهم عالية جداً بينما يوجد من ضعاف المسلمين من يسكنون الأعشاش والطين، وهم ينتمون إلى هذا الدين وإلى هذه البلاد أباً عن جد.

وفي مصر والشام يقدم الكفار على المسلمين في تمليك الأراضي والمساكن فضلاً عن أن يتساووا معهم في ذلك، وقد استغل اليهود هذا

---

(١) انظر إقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٢٤٣.

(٢) انظر المغنى والشرح الكبير جـ ٢، ص ٥٩٣ وانظر أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ١٤١ - ١٤٩.

الأسلوب فتملكوا معظم الأراضي الفلسطينية قبل بدء الاحتـلال الفعلي فقبل فترة الانتداب البريطاني استطاع اليهود أن يملكوا بـالشراء النقـدي (٦٥٠) ألف دونم بمساعدة أصحاب الملايين من الغرب وفي عهد الإنتداب استطاع اليهود أن يحصلوا على (٢,٠٧٥,٠٠٠) مليونين وخمسة وسبعين ألف دونم[١] وهذا الأسلوب الذي اتبعه اليهود في فلسطين هو الأسلوب الذي يريدون تكراره في عملية السلام والإنفتاح على مصر وغيرها من الدول المجاورة لانتزاع مواقع قدم لهم فيها يساعدهم على تثبيت الغزو العسكري عندما تحين الفرصة لذلك.

فمن الواجب على كل مسلم فرداً كان أو حاكماً أن لا يبيع شبراً من أرض الإسلام والمسلمين لكافر مهما كـانت صفته ومنـزلته، لأن ملكيـة المسلم للأرض ملكية إسمية، وملكيتها الحقيقية للإسلام وللمسلمين الذين طهروها بدمائهم الزكية من درن الكفر وتسلطه عليها[٢].

(١) انظر خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية/ عبد الله التل ص ٢٥٠ ـ ٢٦٤.
(٢) انظر ص ٦٦٠ ـ ٦٦٦ من هذه الرسالة.

المثال السابع

تأجير الأماكن والذوات لمن يتخذها هدفاً لمعصية الله

الأصل في الإجارة الإباحة لأنها عقد على منفعة مباحة بعوض معلوم[1]. فقد اشترط الفقهاء أن تكون المنفعة التي يريد المستأجر الانتفاع بها من العين المؤجرة مباحة، فلا تصح الإجارة على نفع محرم. كأن يؤجر داره مكاناً للزنا أو الغناء. أو تتخذ كنيسة أو لبيع الخمر ونحوه من المحرمات[2].

ومالك العين المؤجرة قد يكون دولة أو فرداً من الأفراد وفي كلا الحالين يشترط في العين المؤجرة أن ينتفع بها في منفعة مباحة، فلو أجرت دولة أرضها أو جزءاً من أرضها لدولة كافرة لكي تستخدمها قاعدة لضرب الإسلام والمسلمين فإن هذا العقد باطل من أساسه والمنفعة المترتبة على ذلك محرمة وهذا العمل بحد ذاته موالاة للكفار ومحادة لله ولرسوله وللمؤمنين وهذا للأسف ما تتبعه بعض الدول التي تدعي الإسلام، حينما

(١) الروض المربع/ منصور بن يونس البهوتي ص ٢١٤.
(٢) المصدر السابق ص ٢١٥.

تعقد اتفاقاً مع بعض الدول الكافرة، فإن تلك الدول تشترط على الدول التي تدعي الإسلام أن تسمح لها بوضع قواعد عسكرية فيها، والهدف من ذلك هو حماية المصالح الإستعمارية لها في العالم الإسلامي، ومساعدة بعض أدعياء الإسلام حين يضرب بعضهم البعض الآخر لإضعاف الخصمين والإستيلاء عليهم في النهاية كما حصل للمسلمين في الأندلس من قبل النصارى[1].

وما علم أولئك الذين باعوا أنفسهم وأمتهم للكفار.

إن مسؤولية الحاكم المسلم عما يدخل بلاده من الكفار كمسؤولية صاحب البيت عما يدخل بيته من أفراد فلا يجوز للحاكم العدل أن يجعل بلاد المسلمين أو بعضها تحت تصرف الكفار لكي يجعلوها قاعدة ينطلقون منها لضرب بعض المسلمين وإلحاق الضرر بهم كما لا يجوز تخصيص بقعة معينة في دار الإسلام تكون مخصصة للكفار يزاولون فيها جميع أنواع الفسق والفجور التي تجري في بلادهم.

ولكن للأسف أن الواقع خلاف ذلك فقد وافقت مصر على منح الولايات المتحدة الأمريكية حق تطوير قاعدة رأس بنياس مقابل مساعدات عسكرية قيمتها (١٦٥٠) مليون دولاراً لكي يصبح هذا الموقع قاعدة دائمة للولايات المتحدة لحماية مصالحها وتهديد مصالح المسلمين وضرب بعضهم ببعض، كما وافق سلطان عمان على أن تستعمل الولايات المتحدة قاعدة بريطانية قديمة في جزيرة مصيرة، وعلى تحسين قاعدة (سيب) التي تقع في مدخل مضيق هرمز وذلك بحجة مقاومة القواعد السوفيتية في عدن وسوريا وليبيا وغيرها من البلاد العربية[2].

وبالتالي فقد أصبحت بعض البلاد الإسلامية مقسمة إلى قواعد

(١) انظر ظهر الإسلام أحمد أمين جـ ٣ ص ٧.

(٢) انظر مجلة المجتمع عدد ٥٢٢ السنة الحادية عشرة في ٢٥ جمادي الأول ١٤٠١ هـ، ص ٣٤ - ٣٦.

عسكرية بعضها تابع للشرق وبعضها تابع للغرب وهذا الوضع يفقدها شخصيتها واستقلالها الحنيقي وتمكين للكفار أن يضربوا المسلمين بعضهم ببعض فيحطموا الجميع ثم يقتسموا الغنيمة كما فعلوا إبان الحرب العالمية الثانية.

ومن التأجير المحرم ما يفعله بعض المسلمين من تأجيرهم دورهم لمن يتخذونها موضعاً لمعصية، ولقد حرم الإسلام على المسلم أن يقدم أي نوع من التعاون للكفار فيما يترتب عليه معصية الله ومعصية رسوله قال تعالى: ﴿**وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب**﴾[1] وقد سئل ابن سيرين (رحمه الله) عن رجل يبيع داره أو يؤجرها من نصراني يتخذها بيعة أو كُنيسة، فتلي قوله تعالى: ﴿**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**﴾[2] فعدَّ بيع الدار وتأجيرها على الكفار الذين يتخذونها موضعاً لعصيان الله، بجعلها كنيسة، أو مكاناً لبيع الخمر أو مزاولة البغاء فيها ونحو ذلك، موالاة للكفار، يستحق على ذلك من الوعيد ما يلحق من تولى الكفار[3].

وقال القاضي من أصحاب الإمام أحمد (رحمه الله) لا يجوز أن يؤجر المسلم داره أو بيته ممن يتخذه بيتاً للنار كالمجوسي أو كنيسة مثل اليهودي والنصراني، أو مكاناً تباع فيه المحرمات وترتكب فيه الفواحش، سواء اشترط المستأجر ذلك أو لم يشترط لكنه يعلم أنه سيفعل فيه ذلك.

وعلى هذا فقد ألحق أصحاب الإمام أحمد الإجارة في حكم البيع مع اختلافهم في قول الإمام أحمد بالمنع.

---

(١) سورة المائدة ـ آية (٢).

(٢) سورة المائدة ـ آية (٥١).

(٣) انظر الكلام المروي عن ابن سيرين في رسالة مخطوطة من ثلاث ورقات بعنوان: تحذير من ينتمي إلى الإسلام من الاحتماء بأعداء الملك العلام/ جمع علوي بن احمد بن عبد الرحمن السقاف نسخت عام (١٢٩٩) توجد في قسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (١١٥٠).

هل يعني ذلك الكراهية، أم التحريم؟

والراجح والله أعلم إن كان اتخذها للمعصية في أمر ظاهر فذلك محرم على المسلم بيعها أو تأجيرها لمن يتخذها للمعصية عملاً بقوله تعالى: ﴿ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾(1). وإن كان حصول المعصية فيها محتملاً وقوعه في الخفاء فإن النهي عن ذلك للكراهية لا لعدم التأكد أو ظهور شيء من ذلك.

وقال أبو حنيفة يجوز أن يؤجرها لكافر ولو حصل منه معصية لله فيها ودليله في ذلك أن الأجرة مقابل المدة الزمنية بالأجرة لا تستحق بفعل هذه الأشياء أو عدم فعلها كما لو اكترى داراً لينام فيها أو يسكنها، فإن الأجرة تلزم المستأجر، وإن لم يفعل ذلك فيها.

وخالفه عامة الفقهاء، وقالوا إذا غلب على ظنه أن المستأجر ينتفع بها في محرم حرمت عليه الأجرة لأن الأجرة مقابل أن ينتفع بها في مباح لا في محرم والدليل على ذلك أن النبي ﷺ لعن عاصر الخمر ومعتصرها والعاصر إنما يعصر عصيراً مباحاً، ولكن إذا رأى أن المعتصر سوف يتخذ خمراً وعصره لذلك، استحق اللعنة وهذا أصل مقرر في الشريعة الإسلامية(2).

قال رسول الله ﷺ «لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها، ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه»(3).

وبناء على ذلك فإن كل من يشارك في تهيئة محرم وتيسيره للناس داخل تحت هذا الوعيد وذلك مثل بائعي المخدرات ونحوها، أو أصحاب محلات بيع وتأجير الأغاني ويلحق بذلك المغنيات والممثلات العاهرات

(1) سورة المائدة ـ آية (2).

(2) انظر اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ـ ابن تيمية ص ٢٣٢ ـ ٢٣٧.

(3) رواه أبو داود وابن ماجه. انظر سنن أبي داود جـ ٣ ص ٣٢٦، وانظر سنن ابن ماجه، جـ ٢ ص ٣٣٠.

والأشرطة الخليعة ويدخل في ذلك أصحاب المجلات الداعرة والكتب الهدامة، فإن كل هذه الأعمال والمشاركة فيها والإعانة عليها جريمة يؤاخذ عليها المسلم في الدنيا والآخرة[1].

فيجب على المسلم الغيور على دينه وأمته أن لا يتعامل بمثل هذه الأعمال ولا يعامل من يتعاملون بها، ولو دفعوا في ذلك عوضاً كثيراً، فإن طلب رضا الله مقدم على كل شيء ومن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ولكن للأسف فإن واقع المسلمين بعيد عن ذلك كل البعد فقد أصبح المسلمون يتسابقون إلى اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار القادمين إلى البلاد الإسلامية، كل يعرض عليهم تأجير ما يملك بغض النظر عما يرتكبون في تلك المساكن من كفر وفساد ظاهر وخفي، فالموالاة للمال والمعاداة فيه أصبحت عند بعض المسلمين أعظم منزلة من الموالاة في الله والمعاداة فيه فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(١) انظر الفتاوى في مجلة الدعوة السعودية عدد ٩٩٠ في ١٦/ ٨/ ١٤٠٥ هـ، ص ٢٦ - ٢٧، إجابة الشيخ عبد العزيز بن باز.

المبحث الثاني

موالاة الكفار في العلاقات الاجتماعية

وتحت ذلك أربعة فروع هي:

١ ـ الفرع الأول : السلام على الكفار والزيارة لهم.
٢ ـ الفرع الثاني : تهنئة الكفار والثناء عليهم.
٣ ـ الفرع الثالث : تشييع موتى الكفار وتعزيتهم في ذلك.
٤ ـ الفرع الرابع : الزواج بالنساء الكافرات وتزويجهم المسلمات.

الفرع الأول

السلام على الكفار والزيارة لهم

عن أبي هريرة (رضي الله عنه): أن رسول الله ﷺ قال: «لا تبدؤا اليهود والنصارى بالسلام، فإذا لقيتم أحدهم في طريق فاضطروه إلى أضيقه»[1] وفي الصحيحين عن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله ﷺ قال: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم» متفق عليه[2]. وعن أسامة (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ مر على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين ـ عبدة الأوثان واليهود ـ فسلم عليهم النبي ﷺ متفق عليه[3].

وقد اختلف العلماء في رد السلام على الكفار وابتدائهم به فمذهب الشافعية ـ تحريم ابتدائهم بالسلام وهو قول أكثر العلماء ومذهب السلف.

---

(١) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٧٠٧.

(٢) رواه البخاري ومسلم. انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٦٧٠

(٣) متفق عليه. المصدر السابق نفس المكان.

وذهبت طائفة إلى جواز ابتداء الكفار بالسلام روي ذلك عن ابن عباس وأبي أمامة[1] وابن أبي محيريز[2] وهو قول بعض الشافعية ونقل عن الماوردي[3]، وقد احتج هؤلاء بعموم الأحاديث الدالة على إفشاء السلام.

ورد عليهم القائلون بالمنع من الابتداء بالسلام على الكفار بأن أحاديث الأمر بالسلام عامة قد ورد ما يخصصها.

وقد قال بعض الشافعية بأن ابتداء الكفار بالسلام مكروه لا محرم وقد ضعف النووي هذا القول.

ونقل عن القاضي وجماعة من أهل العلم أنه يجوز ابتداؤهم بالسلام للضرورة والحاجة، نقل ذلك أيضاً عن علقمة[4] والنخعي. وذكر أن الأوزاعي يقول إن سلمت فقد سلم الصالحون وإن تركت فقد ترك الصالحون.

---

(١) يوجد خمسة من الصحابة يكنون بهذه الكنية ولم أتميز أيهم. انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة/ ابن الأثير جـ ٥ ص ١٣٨ - ١٣٩.

(٢) هوعبد الله بن محيريز بن جنادة بن عبيد القرشي الجمحي الملكي، نزيل بيت المقدس تابعي جليل روي عن عدد من الصحابة ووثقه غير واحد. وأثنى عليه جماعة من الأئمة وهو ثقة من رجال الشيخين كان يختم القرآن كل جمعة توفي رحمه الله سنة تسع وتسعين من الهجرة:
انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٩ ص ١٨٥ - ١٨٦.

(٣) هو علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي (أبو الحسن) فقيه، أصولي، مفسر، أديب، سياسي، درس بالبصرة وبغداد وولي القضاء ببلدان كثيرة، وبلغ منزلة عند ملوك بني بويه، ولد سنة (٣٦٤ هـ) وتوفي ببغداد سنة (٤٥٠ هـ) من تصانيفه الحاوي الكبير في فروع الفقه الشافعي في مجلدات كثيرة، تفسير القرآن الكريم، أدب الدين والدنيا، الأحكام السلطانية انظر معجم المؤلفين جـ ٧ ص ١٨٩.

(٤) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك النخعي الهمداني، أبو شبل: تابعي، جليل، كان فقيه العراق، يشبه ابن مسعود في هديه وسمعته وفضله، ولد في حياة النبي ﷺ وروى الحديث عن الصحابة، ورواه عنه كثيرون وشهد صفين، وغزا خراسان، وأقام بخوارزم سنتين، وبمرو مدة، وسكن الكوفة وتوفي بها سنة (٦٢ هـ). انظر البداية والنهاية جـ ٨ ص ٢١٧.

وأما مسألة الرد عليهم إذا ابتدؤا بالسلام على المسلم فقال الشافعية يجب الرد عليهم بأن يقول وعليكم أو عليكم فقط كما ذكر في الحديث الصحيح.

وروى ابن وهب(١) وأشهب عن مالك أنه قال لا يرد عليهم السلام. وذكر عن الماوردي أنه يرد عليهم وعليكم السلام ولكن لا يقول و(رحمة الله) وهو ضعيف لمعارضته نص الحديث الصحيح.

والراجح من ذلك أن الرد عليهم بقول الرسول ﷺ: «وعليكم» عند الشك وعدم تحقيق السامع من نطق السلام، أما إذا نطق الكافر بقول السلام عليكم، فإن الذي تقتضيه الأدلة الشرعية أن يقال له: وعليك السلام، فإن هذا من باب العدل، والله يأمر بالعدل والإحسان وقد قال تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها﴾(٢) والأمر بالاقتصار على قول الراد (وعليكم) بناء على السبب الذي كانوا يعتمدونه في تحيتهم من الدعاء قال تعالى: ﴿وإذ جاءُوك حيوك بما لم يحيك به الله﴾(٣).

أما السلام على مجلس فيه أخلاط من المسلمين والمشركين فجائز الابتداء به كما تقدم في الحديث، وذلك من عظيم خلقه وكمال حلمه ﷺ وحثه على الرفق والصبر والحلم وملاطفة الناس، ما لم تدع حاجة ماسة إلى المخاشنة والغلظة معهم وإظهار البغض لهم(٤).

---

(١) هو عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي بالولاء المصري المالكي (أبو محمد) فقيه، مفسر، محدث، مقرىء، ولد بمصر في ذي القعدة سنة (١١٥ هـ) وروي عن عدد من العلماء، وصحب الإمام مالك بن أنس عشرين سنة وتوفي بمصر لخمس بقين من شعبان سنة ١٩٧ هـ) من تصانيفه: الجامع في الحديث، أهوال يوم القيامة، الموطأ الصغير، الموطأ الكبير، تفسير القرآن الكريم. انظر معجم المؤلفين/ جـ ٦ ص ١٦٢.

(٢) سورة النساء ـ آية (٨٦).

(٣) سورة المجادلة آية (٨).

(٤) انظر فيما تقدم: صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٤ ص ١٤٤ ـ ١٤٥.

وموضوع السلام الذي تقدم ذكره هو السلام بين مسلم وكافر يعرف العربية والرد بها.

ولكن ما حكم العمل مع أولئك الذين لا يعرفون لغة العرب في بدئهم بالسلام أو الرد عليهم، أو بدئهم بتحيتهم التي تختلف عن السلام لفظاً ومعنى، أو الرد عليهم إذا حيوا بتلك التحية التي لا تحمل معنى السلام؟

والذي أراه في هذه المسألة هو ترك ابتداء هؤلاء بالسلام وإذا حيوا بتحية جاز رد مثلها عليهم.

ويرى البعض استحباب هجر الكافر ونحوه إذا كان مظهراً لعادات الكفر متلبساً بأفعال الكفار بين المسلمين ودليلهم في ذلك أن النبي ﷺ وفد عليه وفد من نجران هم شرحبيل بن وداعة الهمداني وعبد الله بن شرحبيل الأصبحي، وجبار بن فيض الحارثي، وذلك أنهم عندما وصلوا إلى المدينة وضعوا ثيابهم التي كانت عليهم في السفر، ولبسوا حللاً لهم وخواتيم الذهب ثم انطلقوا إلى رسول الله ﷺ فسلموا عليه فلم يرد عليهم، وتعرضوا لكلامه نهاراً طويلاً فلم يكلمهم وعليهم تلك الحلل وخواتيم الذهب فانطلقوا يتبعون عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنهما) وكانا معرفة لهما، فوجداهما في ناس من المهاجرين والأنصار في مجلس فقالوا: يا عثمان ويا عبد الرحمن! إن نبيكم كتب إلينا كتاباً فأقبلنا مجيبين له فأتيناه فسلمنا عليه فلم يرد سلامنا، وتصدينا لكلامه نهاراً طويلاً فأعيانا أن يكلمنا، فما الرأي منكم؟ أترون أن نرجع؟

فقالا لعلي بن أبي طالب (رضي الله عنه) وهو في القوم - ما ترى يا أبا الحسن: في هؤلاء القوم؟ فقال علي لعثمان وعبد الرحمن: أرى أن

= وانظر أحكام أهل الذمة - ابن قيم الجوزية ص ١٩١ - ١٩٣.
وانظر المغني والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٦٢٥ - ٦٢٦.

يضعوا حللهم هذه وخواتيمهم هذه ويلبسوا ثياب السفر ويعودوا إليه ـ ففعلوا فسلموا عليه فرد عليهم النبي ﷺ السلام. ثم قال: «والذي بعثني بالحق لقد أتوني المرة الأولى وإن إبليس لمعهم»[1].

فما ظنك بمن يرفع أعلام الكفر وشعاراته التي تتعارض مع صريح القرآن كرفع الصليب ونحوه عند قدوم الكفار، أو من يستقبل الكفار وأشباه الكفار الذين تقطر أيديهم من دماء المسلمين الأبرياء الذين لا ذنب لهم سوى أن يقولوا ربنا الله.

لقد أصبحت معانقة الكفار والبشاشة في وجوههم أمراً مألوفاً عند كثير من قادة البلاد الإسلامية وعامتها بل لقد وصل الأمر عند البعض إلى أن يبادل زوجته مع زوجة ضيفه الكافر لتصاحبه وتداعبه كما حصل من زوجة السادات (جيهان) التي قبلت (بيغن) وعانقته، وقبله عانقت كارتر وراقصته ومن بعدهما كيسنجر وآخرهم الأمير تشارلز؟[2]

إن معانقة الكفار عامة ونسائهم خاصة أمر لا يقره الإسلام فقد روت عائشة (رضي الله عنها) حيث قالت: (والله ما مست يده ـ تعني رسول الله ﷺ ـ يد امرأة قط في المبايعة، ما بايعهن إلا بقوله قد بايعتك على ذلك[3].

أما مسألة زيارة الكفار وعيادتهم إذا مرضوا، فإن مما لا شك فيه أن

---

(١) روى ذلك الحافظ بن كثير عن الحافظ أبي بكر البيهقي عن أبي عبد الله الحافظ وأبي سعيد بن محمد بن موسى بن الفضيل قالا حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب حدثنا احمد بن عبد الجبار حدثنا يونس بن بكير عن سلمة بن يسوع عن أبيه عن جده ـ قال يونس. وكان نصرانياً فأسلم أن رسول الله ﷺ... الحديث. انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٥ ص ٥٤ وقد رجعت إلى السنن الكبرى للبيهقي فلم أعثر لهذا النص على ذكر.

(٢) أنظر مجلة المجتمع الكويتية عدد ٥٤٢ السنة الحادية عشرة في ٩/ ١١/١٤٠١ هـ، ص ٣.

(٣) أخرجه البخاري. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ٢، ص ٥٢ ـ ٥٦، رقم الحديث (٥٢٩ ـ ٥٣٠).

الأعمال مرتبطة بالنيات - روي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال: (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى...) الحديث[1].
فزيارة المسلم للكافر تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: زيارة القريب أو الجار أو الصاحب الكافر من قبل المسلم وهذه قد تكون مستحبة، إذا زاره ليعرض عليه الإسلام ويرغبه في الدخول فيه، وخاصة إذا رأى أن في زيارته له فرصة أن يقبل منه الدعوة إلى الدخول في دين الله، كما حصل من رسول الله ﷺ عندما زار الغلام اليهودي وهو مريض وعرض عليه الإسلام فأسلم[2].

وفي الصحيحين عن سعيد بن المسيب (رضي الله عنه) أن أباه أخبره فقال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه (النبي ﷺ) فوجد عنده أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ لأبي طالب (أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله) فقال أبو جهل وعبد الله بن (أبي) أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعودان بتلك المقالة، حتى قال آخر ما كلمهم: هو على ملة عبد المطلب[3].

القسم الثاني: الزيارة المباحة: وهي الزيارة لقوم من المشركين لم يقصد بها الدعوة، ولم يقصد بها الطمع في شيء مما هم مختصون به وإنما صلة للقرابة ونحو ذلك حيث قال المروذي[4]: بلغني أن أبا عبد الله (أحمد

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر جامع العلوم والحكم/ عبد الرحمن بن شهاب الدين الحنبلي ص ٥.
(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ٣ ص ٢١٩. وجـ ١٠ ص ١١٩.
(٣) رواه البخاري ومسلم. انظر أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢٠١، وانظر المغنى والشرح الكبير جـ ١٠، ص ٦١٧.
(٤) لعله أبو بكر المروذي المتوفى سنة (٢٥٧ هـ) وهو غير المروزي. انظر أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢٠٠.

بن حنبل) سُئِلَ عن رجل له قرابة نصراني : هل يعوده؟ قال نعم . قيل له نصراني ! قال أرجو ألا تضيق العيادة[1].

وروي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أنه كان يقول: كان رسول الله ﷺ إذا عاد رجلاً على غير دين الإسلام لم يجلس عنده وقال: كيف أنت يا يهودي، يا نصراني[2]؟.

القسم الثالث: وهي الزيارة المحرمة التي تدل على موالاة الكفار وهي الزيارة التي لا يقصد بها عمل خير في سبيل الله، وإنما يقصد بها الانبساط معهم والسرور لمشاهدة منكراتهم، والتعاون معهم في ذلك، قال جعفر بن محمد سئل الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) عن الرجل يعود شريكاً له يهودياً أو نصرانياً قال: لا ولا كرامة[3].

فالذي يختار صحبة الكفار ويأنس بهم بـدلاً من المؤمنين ويفرح بالجلوس معهم ويفتخر به عند الناس لا شك أن هذا الفعل دليل على المحبة والمودة لهم ولأفعالهم وأقوالهم، وهذه هي الموالاة المنهى عنها فقد ورد في الحديث (الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل)[4] وحديث (المرء مع من أحب)[5]. فليحذر المسلم من الوقوع فيما حرم الله من حيث يشعر أو لا يشعر.

---

(١) انظر أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢٠٠.

(٢) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠٢.

(٣) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠١.

(٤) رواه أبو داود والترمذي بإسناد صحيح، وقال الترمذي حديث حسن، انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٣٤١ وصححه النووي. انظر تحفة الاخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران، حمود التويجري ص ٢٥ وقد ضعف الألباني هذا الحديث. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ٢ ص ٦٣٣ رقم الحديث ٩٢٧.

(٥) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٢٧٠.

الفرع الثاني

تهنئة الكفار والثناء عليهم

إن الكفار يمكن تقسيمهم من حيث موقفهم من أهل الإسلام إلى قسمين:

(أ) كفار محاربون. (ب) كفار مسالمون.

فالكفار المحاربون لله ورسوله والمؤمنين لا تجوز تهنئتهم سواء كانوا أفراداً أو حكومات وسواء كانوا محاربين حرباً عسكرية أم حرباً فكرية وأخلاقية، فلا يصح من المسلم أن يهنىء الفرد منهم بزواج أو ولد أو قدوم من سفر أو نجاح أو نحو ذلك، ما لم يضع في حسبانه أن يكون ذلك وسيلة من وسائل الدعوة له إلى الله، أما إذا لم يوجد منه هذا الشعور وهذه النية فعمله هذا موالاة للكفار يوجب الإثم والمؤاخذة على ذلك عند الله عز وجل الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

وتهنئة الأفراد أو الحكومات بالمناسبات التي يعظمها الكفار أمر محرم مثل أعيادهم التي يحتفلون بها كعيد الميلاد وعيد الفصح أو أعيادهم

الوطنية، أو ذكرى إنجاز من إنجازاتهم التي يراد بها في حقيقة الأمر تدمير الإسلام والمسلمين[1].

والدليل على هذا التحريم هو أمر الله عز وجل لنا بالغلظة والشدة على الكفار قال تعالى: **﴿يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين وأغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾**[2] وقال تعالى: **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾**[3] وقال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين﴾**[4].

أما أهل الذمة والمستأمنون في دار الإسلام أو الكفار المسالمون خارج دار الإسلام، فقد روي عن أحمد بن حنبل (رحمه الله) أنه أباح التهنئة مرة، ومنعها أخرى، وذلك مثل التهنئة بالزواج والولد والعودة من السفر والسلامة من المكروه، وهذا الأمر عند من قال إن التهنئة جائزة إذا أريد بها حسن المعاشرة والملاطفة تمهيداً للدعوة إلى الإسلام.

أما رواية المنع عن أحمد ومن وافقه، فتحمل على من قصد مجرد التقرب إلى هؤلاء الكفار، بغير قصد الدعوة إلى الله ودعوة هؤلاء إلى الإسلام، ومن رأى إباحة التهنئة عند مصاحبة النية الحسنة لها، قيد الألفاظ التي تستعمل بالتهنئة، بأن تكون من الألفاظ المشتركة بيننا وبينهم، أما التهنئة بشعائر الكفر المختصة بهم. فهذا أمر محرم بالإتفاق[5]. مثل تهنئتهم بعيد الميلاد ونحوه من أعياد الجاهلية، أو مثل التهنئة بمناسبة تأسيس الحزب الشيوعي أو البعثي أو الإشتراكي أو القومي أو الوطني أو غير ذلك

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ابن تيمية ص ١٩٦.

(٢) سورة التحريم آية (٩).

(٣) سورة الفتح آية (٢٩).

(٤) سورة التوبة آية (١٢٣).

(٥) انظر أحكام أهل الذمة/ ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٠٥.

من أحزاب الكفر ومناسباتهم المتعددة[1]، كما أن هناك بدعة جديدة درج الناس على التهنئة بها من غير نظرة فاحصة إلى العدو السابق واللاحق وتلك هي ذكر جلاء الإستعمار عن بلد - ما - فتأتي التهاني من الأفراد والحكومات بهذه المناسبة مع أن المتسلط على الدار أخبث من الإستعمار! وشبيه بهذه المسألة ما يحصل من إتحاد مزيف بين نظامين كافرين فتأتي خطابات التهنئة والتأييد بالوحدة والإتحاد، وبعد أسابيع أو شهور تختلف الكلاب على فريستها، فتنفصل الوحدة، ويلغى الإتحاد فتنهال خطابات التأييد والإستحسان من نفس الذين أرسلوا الخطابات السابقة لينقضوا ما أبرموه بأنفسهم.

إن هذا النهج يسقط قيمة الشعوب ويسقط قيمة الأفراد والأمم التي لا تحترم مواقفها ولا تثبت عند رأي تراه أو قول تقوله.

إن الأفراد والشعوب التي تعطي ولاءها وتأييدها لمن يستحق ومن لا يستحق، إنما تبرهن بذلك على أنها تنطلق في ولائها من منطلق عشوائي بعيداً عن العقل وتوجيهات الوحي الإلهي فالفرد أو الشعب الذي ينطلق في ولائه وعداوته من منهج أصيل يكون ثابتاً في مواقفه التي يتخذها فإن قال: نعم. لم يقل: لا. مهما كلفه ذلك من جهد وتضحية، وإن قال: لا. لم يقل: نعم. مهما ترتب على ذلك من تضحيات وتكاليف، لأنه لا يقول: لا. أو نعم. إلا بعد أن يستند إلى قاعدة شرعية تجعل موقفه ثابتاً لا يتغير.

أما أهل النفاق فهم الذين يتذبذبون ويتناقضون في ولائهم، لأن ولاءهم تحكمه المادة والمصلحة الخاصة، ولذلك فإن ولاءهم، ولاء مزيفاً

---

(١) مثال ذلك ما فعله الرئيس العراقي صدام حسين والرئيس الليبي معمر القذافي، حيث أرسل كل منهما رسالة تهنئة بمناسبة الذكرى الثالثة لتولي الشيوعي العميل لروسيا بابراك كارمال على أفغانستان.

انظر مجلة الإرشاد العدد (٩) السنة الثالثة رمضان سنة (١٤٠١ هـ) ص ٤٩ نقلاً عن امباكيت انترناشيونال (١١/ ٦/ ١٩٨١ م).

يجب عدم الأخذ به أو الإعتماد عليه، فهم أول من يتملق الكفار ويطلب رضاهم.

وقد قال العلماء: من هنأ عبداً بمعصية، أو بدعة، أو كفر، فقد تعرض لمقت الله وغضبه[1]، وهذا دليل على أنه لا يجوز مدح أعداء الله فقد روى ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي في شعب الإيمان عن أنس (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا مُدِحَ الفاسق غَضِبَ الرب واهتز لذلك العرش»[2].

وروي عن بريدة (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقولوا للمنافق سيدنا فإنه أن يك سيدكم فقد أسخطتم ربكم عز وجل»[3] فإذا كان مدح المنافق الذي يتظاهر بالإسلام، والذي قد تخفي حقيقة نفاقه على بعض المسلمين موجباً لسخط الله. فما رأيك بمن يمدح الكفار الصرحاء الذين يعلنون الحرب على الله ورسوله والمؤمنين صباح مساء؟.

لقد أمر الله المسلم أن يجتنب مناسبات الكفار وأعيادهم قال تعالى: ﴿ولا يشهدون الزور﴾[4] وهذا أقل ما يفعله المسلم نحو الكفار، لأن الواجب على المسلم أن يدعو الكفار إلى الإسلام باللسان أو السِنان، فإن لم يستطع فلا أقل من مجافات الكفار ومجانبتهم، فقد روي البيهقي بإسناد صحيح عن البخاري صاحب الصحيح عن.... عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال: «اجتنبوا أعداء الله في عيدهم»[5] وعمر (رضي الله عنه) من

---

(١) انظر أحكام أهل الذمة ابن القيم الجوزية جـ ١ ص ٢٠٦.

(٢) انظر تحفة الإخوان بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران تأليف حمود بن عبد الله التويجري ص ٢٦.

(٣) رواه أبو داود والنسائي والبخاري في الأدب المفرد وقال الألباني عنه إنه صحيح. انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني جـ ١ ص ١٠٠، رقم الحديث (٣٧١).

(٤) سورة الفرقان آية (٧٢).

(٥) انظر تحفة الإخوان بما جاء في الاموالاة والمعاداة/ حمود التويجري ص ٢١. وتعليقاً على هذا الحديث نقول: (ان بعض المتمين الى الاسلام بدأوا يتبنون أعياد الكفار ويحتفلون بها=

المؤمنين الذين أمرنا الله بأتباع سبيلهم، فقد روي عن مالك بن أنس أنه قال، قال عمر بن عبد العزيز: سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنة، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله من عمل بها مهتد، ومن استنصر بها منصور، ومن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين وولاه الله ما تولى وصلاه جهنم وساءت مصيراً[1].

وقد كثرت المخالفات في مثل هذا الأمر حتى أصبح كثير من المنتمين إلى الإسلام يطلقون لفظة الأخ والمجاهد والشهيد على كبراء المنافقين والكفار، في الوقت الذي كان فيه المسلمون الصادقون من أهل الورع والتقوى من سلف هذه الأمة يتجنبون تهنئة الظلمة بالولايات وتهنئة الجهال بمنصب القضاء والتدريس والإفتاء، تجنباً لمقت الله، وخوفاً من عذابه وخشية من أن يدخلوا في باب الغش والتدليس على الناس، في مدح وتهنئة وتزكية من لا يستحق ذلك[2].

= مثل احتفالهم بعيد الفطر وعيد الأضحى إن لم يكن ذلك أشد، فقد سمعت اذاعة الكويت في نشرة أخبارها صباحاً في الساعة السادسة من يوم الجمعة ٦/ ٣/ ١٤٠٢ هـ الموافق ١/ ١/ ١٩٨٢ م يناير وهي ترفع أسمى آيات الشكر والتقدير والتهنئة السعيدة إلى مقام أميرها وحكومته وشعب الكويت والأمة العربية والاسلامية بمناسبة عيد رأس السنة الميلادية وتعلن عن منح الدولة اجازة رسمية لكافة العاملين بها من مسلمين ونصارى وبوذيين وغيرهم يوم السبت ٧/ ٣/ ١٤٠٢ هـ ١٢/ ١/ ١٩٨٢ م فهل الكويت دولة نصرانية أو دولة اسلامية؟ ولماذا يعدل النصارى بالمسلمين في الوقت الذي لا تتجاوز فيه نسبة النصارى في الكويت ٤٪ حسب ما نشرته مجلة المجتمع الكويتية من واقع الإحصاءات الرسمية، في حين أن الدول النصرانية لا تأبه للمسلمين ولا لأعيادهم رغم أن نسبة المسلمين في بعض البلاد النصرانية تصل أكثر من ٢٦٪ كما هو الشأن في أثيوبيا حيث أن عدد المسلمين (٦) مليون من أصل (٢٢) مليون. فلماذا نكرمهم وهم يهينوننا. ونقدرهم وهم يسخرون منا؟ إن مثل هذه المعادلة، لا يشعر المسلم معها بالعزة والكرامة بل يشعر بالذلة والمهانة. انظر مجلة المجتمع عدد (٥٥٣) في ٢٦/ ٢/ ١٤٠٢ هـ ص ٢٣ وانظر الموسوعة العربية الميسرة/ محمد شفيق غربال جـ ١ ص ٥٣ وص ١٥٨. بشأن نسبة المسلمين والنصارى.

(١) ايقاظ همم أولى الأبصار/ صالح بن محمد بن نوح الفلاني ص ٦٥.

(٢) أنظر أحكام أهل الذمة/ ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٠٦.

أما إذا هنأ الرجل بعض أصحاب المناصب من المسلمين خاصة الواقعين في بعض المعاصي مداراة لشرهم وخوفاً من سطوتهم، ولم يترتب على هذه التهنئة ضياع حق من حقوق أفراد الرعية، ولم تكن التهنئة دعماً لباطل يريدون إقراره، أو حق يريدون إبطاله، فهي لا بأس بها، أما إن كانت لغير ذلك من الأمور المحرمة. فهي موالاة للباطل وأهله ومعاداة للحق وأصحابه، وقد يترتب عليها كفر فاعلها وقد تنزل إلى درجة التحريم[1]. والله الهادي إلى سواء السبيل.

(١) انظر أحكام أهل الذمة/ ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٠٦.

الفرع الثالث

تشييع موتى الكفار وتعزيتهم في ذلك

الكفار من حيث موقفهم من الإسلام ينقسمون إلى قسمين:

كفار محاربون. وكفار مسالمون.

فالكفار المحاربون لله ورسوله والمؤمنين لا يجوز شهود جنائزهم ولا حضور مراسيم[1] تشييعهم إلى حفرهم الملتهبة بسعير النار وسوء القرار، ولا تجوز تعزيتهم على ذلك، لأن المحارب لله ورسوله والمؤمنين سواء مات على فراشه أو في المعركة ضد الإسلام والمسلمين فلا يختلف الحكم في حقه، مادام يناصب المسلمين العداء لأجل إسلامهم، وفي موقف الرسول ﷺ من قتلى المشركين في بدر منهج ونبراس في ذلك حيث أمر النبي ﷺ الصحابة (رضي الله عنهم) بجرهم إلى القليب كما تجر الميتة من الغنم - برغم صلة القرابة بين هؤلاء وبين معظم المسلمين، فلم يقم الرسول ﷺ نحوهم بأي إجراء يستشعر منه الحزن والندم على هؤلاء الكفار

(١) جمع مرسوم وهو قانون ذو صبغة تشريعية لأمر (ما) المعجم الوسيط جـ ١ ص ٣٤٥.

ولم يأمر بدفنهم حسبما تعود عليه الكفار، أو يشاركهم في ذلك فقد عاش الرسول ﷺ في مكة والمدينة بعد البعثة ثلاثاً وعشرين سنة لم يذكر أهل الحديث والتاريخ أنه شيع جنازة كافر أو عزى أحداً منهم في ذلك. ومن ذلك عمه أبو طالب لم يشيعه ولم يعز فيه علياً (رضي الله عنه)[1].

أما أهل الذمة والعهد والمسالمون من الكفار فالأصل عدم جواز حضور موتاهم أو المشاركة في تشييعها والذهاب معها إلى كنيسة أو بيعة أو نحو ذلك كما لا يجوز حضور جنازة أحد من هؤلاء وقت دفنها والدليل على ذلك أن الرسول ﷺ قد نُهي عن الصلاة على المنافقين في قوله تعالى: ﴿**ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون**﴾[2]. فإذا كان الله عز وجل قد نهى عن الصلاة والقيام على جنائز المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر فإن من يظهر الكفر علانية أولى بهذا الحكم، فكيف من يعلن كفره وحربه للإسلام والمسلمين، وقد ذكر الله عز وجل أن علة النهي عن الصلاة وشهود دفن الجنازة في قبرها هي الكفر وهي متوفرة في الكفار جميعاً محاربين ومسالمين ومنافقين.

وبناء على ذلك لا يجوز حضور جنائز الكفار مطلقاً وخاصة في موضعين:

١ ـ حضور أماكن الصلاة على الكفار في الكنائس والبيع وما في حكمها ويلحق بذلك ما إذا كان الميت كافراً بالردة عن الإسلام أو منافقاً ظاهر النفاق، فإنه لا يصح للمسلم المتمسك بإسلامه الصلاة أو القيام على هؤلاء جميعاً.

٢ ـ لا يجوز القيام على قبر الكافر وقت الدفن أياً كان نوع كفره عملاً بنص

---

(١) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ١٢٥ ـ ١٢٦.

(٢) سورة التوبة آية (٨٤).

الآية المتقدمة حيث تدل على النهي عن الصلاة والقيام على قبر الكافر ودلالة النصوص على ذلك قطعية الثبوت، قال تعالى: ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره﴾[1].

وقد يعترض على ذلك معترض فيقول: إن النبي ﷺ قد أمر علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أن يواري أبا طالب في قبره عند وفاته بمكة والجواب أن مواراة علي لوالده، إن ثبتت يقيناً فهي منسوخة بهذه الآية حيث أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بالمدينة[2]، والمتأخر ينسخ المتقدم كما هي القاعدة فلا إشكال في ذلك.

وقد ورد في بعض الآثار ما يدل على أنه يجوز للمسلم أن يحضر جنازة قريبه الكافر ويشيعها مع المشيعين بشروط ثلاثة:

الأول: أن يكون الكافر الميت قريباً للمسلم قرابة مباشرة كأن يكون من أبائه أو أبنائه أو اخوانه أو نحو ذلك.

ثانياً: أن لا يحضر الصلاة عليه، ولا يقوم على قبره أثناء الدفن.

ثالثاً: أن يسير أمام الجنازة بعيداً عنها قليلاً وأن يقف بعيداً عن القبر وإذا أرادوا الدفن رجع ويستحسن أن يكون راكباً لما في ذلك من إظهار عزة المسلم واستعلائه على الكفار حساً ومعنىً.

والدليل على ذلك ما روي أن قيس بن شماس أتى إلى النبي ﷺ فقال: إن أمي توفيت وهي نصرانية، وهو يحب أن يحضرها فقال له النبي ﷺ: اركب دابتك، وسر أمامها، فإذا ركبت وكنت أمامها فلست معها[3]، وروي أيضاً أن الحارث بن أبي ربيعة شهد جنازة أمه وكان يقوم

(١) نفس الآية المتقدمة.

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٢٢١.

(٣) انظر أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢٠٣.

ناحية عن القبر[1]. وقد سُئِلَ الإمام أحمد (رحمه الله) عن رجل مسلم يموت له قريب يهودي أو نصراني ماذا يفعل معه فقال: يركب دابته ويسير أمام الجنازة فلا يكون خلفها، فإذا أرادوا الدفن رجع[2].

ولا يجوز للمسلم أن يحثو التراب على قريبه الكافر عند مواراته إلا إذا لم يكن هناك من يقوم بهـذا العمل من الكفـار، وتلك الحالـة من الضرورات التي تقدر بقدرها.

ولكن شتان بين ما هو كائن وما يجب أن يكون، لقد بدل معظم المسلمين نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار، ولا نريد أن نستطرد في هذا الموضوع بذكر الأمثلة والنماذج فيكفي نموذج من تلك المهازل التي يندي لها الجبين، فقد آثار مرض (تيتو) اهتمام الإعلام العالمي كله بما فيه الإعلام الهزيل في بلاد المسلمين، وقد أطال الله مرضه عدة شهور وفي كل لحظة نسمع من وسائل الإعلام المختلفة تفصيلات دقيقة عن كل ساعة من ساعات احتضاره الطويلة حتى أهلكه الله، وبعد موته شيعه اليهود والنصارى والوثنيون ولا عجب في ذلك فإن الكفر ملة واحدة.

ولكن العجب أن يسارع أناس يحسبون على الإسلام فيشاركون في تشييع جثمان هذا الكافر المحارب لله ورسوله والمؤمنين، والذي أباد من المسلمين ما يربو على مليون مسلم في يوغسلافيا بعد توليه الأمر فيها وقد قام بإلقاء المسلمين رجالاً ونساء في «مفارم» اللحوم التي تصنع لحـوم (البـولوبيف) ليخـرجوا من النـاحية الأخـرى عجينـة من اللحم والعـظام والدماء[3].

ولم يكتف بمحاربة المسلمين في يوغسلافيا بل عقد صداقات مع كثير

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠٢.

(٢) المصدر السابق نفس المكان.

(٣) انظر العلاقات الدولية في الإسلام/ الدكتور/ كامل سلامة الدقس ص ١٦٤.

من الزعماء الخارجين على الإسلام، ليحارب الإسلام في بلاد المسلمين فقد كان صديقاً حميماً لعبد الناصر[1]. على مدى ربع قرن، ظهرت آثار تلك الصداقة بما منيت به مصر من محاربة للإسلام والمسلمين على يد عبد الناصر وخليفته السادات وجنودهما الخاطئين.

إننا لو قارنا بين موقف الدول التي تدعى الإسلام في اهتمامها بـ (تيتو) في مرضه و (بوتو) في محاكمته وقتله، والبابا في إصابته ومحاولة قتله، وبين موقفها من المسلمين عموماً في سوريا وأفغانستان والفلبين ومصر وتونس وغيرها من البلاد الإسلامية التي يذبح فيها المسلمون بالآلاف وتكتظ بهم السجون ومع ذلك لا أحد يذكرهم أو يتحدث عنهم بوسائل الإعلام العالمية أو الإقليمية لأنهم مسلمون.

لقد قضى كثير من علماء الإسلام وقادة الفكر نحبهم أمثال سيد قطب وحسن الهضيبي وأبي الأعلى المودودي واعتقل نجم الدين أربكان مدة طويلة وشرد عصام العطار فلم يجد من يؤويه سوى دولة كافرة هي ألمانيا الغربية، ومع ذلك لم يشر إليهم الإعلام الخارجي أو الإعلام التابع له في البلاد الإسلامية بما يستحقون من اهتمام وتقدير، في الوقت الذي يهتم فيه الإعلام المحسوب على الإسلام بأناس هم فحم من فحم جهنم.

لقد تجاوز الأمر تشييع الكفار حديثي العهد بالموت إلى زيارة رفات الكفار الذين ماتوا من آلاف ومئات السنين فكثير من الحكام المتسلطين على رقاب المسلمين يسرقون من قوت الضعفاء وكسائهم، ما يشترون به الورود والزهور، ليضعوها على قبر ماركس اليهودي وأخيه لينين، وماوتس تنغ وتيتو، والجندي المجهول في فرنسا وقبور العائلة المالكة في بريطانيا، ووثن

---

(١) انظر نافذة على الجحيم/ لمجموعة كتاب، وانظر البوابة السوداء/ لأحمد رائف، وانظر القابضون على الجمر ـ محمد أنور رياض، وانظر الفراعنة الصغار في هيلتون الناصرية/ جابر رزق.

اليهود أتاتورك في تركيا وغير هؤلاء من الأوثان، فهل هناك ولاء للكفار أشد من الموالاة لهم حتى بعد أن يصبحوا وقوداً لجهنم ورفاتاً بائدة في التراب.

أما مسألة التعزية للكفار:

فإن كان الكافر محارباً لله ورسوله والمؤمنين فلا تجوز تعزيته مطلقاً ويؤخذ ذلك من فعل الرسول ﷺ وفعل أصحابه.

أما إذا كان الكافر ذمياً أو مستأمناً أو مسالماً، فقد توقف فيها كثير من العلماء عندما سئلوا عن ذلك وعلى رأسهم الإمام أحمد بن حنبل (رحمه الله) سُئِلَ أكثر من مرة فقال لا أدري.

وقد روي عن هريم[١] قال: سمعت الأجلح[٢] عزى نصرانياً فقال: عليك بتقوى الله والصبر[٣] وقال حرب: قلت لأبي إسحاق: فكيف يعزي المسلم المشرك؟ قال: يقول أكثر الله مالك وولدك.

وأما تعزية الكافر للمسلم فلم يرد بها ما يدل على منعها ولم يرد صيغة معينة للرد، فقد سُئِلَ الإمام أحمد سأله عباس بن محمد الدوري. قال قلت لأبي عبد الله: اليهودي والنصراني يعزيانني، أي شيء أرده عليهما؟ فأطرق ساعة ثم قال: ما أحفظ فيه شيئاً[٤].

وقال أبو يوسف بلغنا أن رجلاً نصرانياً كان يأتي الحسن البصري ويغشى مجلسه، فمات، فسار الحسن إلى أخيه ليعزيه فقال له (أثابك الله

---

(١) هو هريم بن سفيان التتجلي، وهو ممن روى عنه اسحاق السلولي.
انظر أحكام أهل الذمة ـ جـ ١ ص ٢٠٤.

(٢) في الأصل (الأشح) بالحاء المهملة. واسمه عبد الله بن سعيد توفي (٢٥٧ هـ) انظر المصدر السابق نفس المكان.

(٣) المصدر السابق نفس المكان.

(٤) المصدر السابق جـ ١ ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

على مصيبتك ثواب من أصيب بمثلها من أهل دينك، وبارك الله لنا بالموت وجعله خير غائب ننتظره)[1]. عليك بالصبر فيما نزل به من المصائب.

وخلاصة القول في ذلك أن الكفار المحاربين لا يجوز تشييع موتاهم ولا حضور جنائزهم على أي وجه يشعر بالتقدير والاحترام ولو كان ذلك جائزاً لفعله الرسول ﷺ مع عمه أبي طالب، ولكن يجوز مواراة الكافر المحارب في بئر ونحوه عند عدم من يقوم بذلك من الكفار أنفسهم.

أما أهل الذمة والعهد والمسالمين من الكفار فالأصل عدم حضور جنائزهم ويستثنى من ذلك ما إذا كان الميت أباً أو أخاً أو ابناً للمسلم فإنه يجوز للمسلم أن يشيعه بشرط عدم حضور الصلاة عليه في كنيسة أو نحوها وكذلك عدم حضوره وقت الدفن إلا إذا لم يوجد من يدفنه من الكفار باشر دفنه للضرورة.

أما مسألة التعزية إذا كان الكافر محارباً لله ورسوله والمؤمنين فلا تجوز التعزية مطلقاً بحق الكفار المحاربين.

أما أهل الذمة والعهد والمسالمين من الكفار فقد قال الفقهاء بالجواز والمنع، ومن أجاز اشترط قصد الملاطفة والدعوة إلى الله.

والله الهادي والموفق إلى سواء السبيل.

---

(١) انظر الخراج لأبي يوسف ص ٢١٧.

الفرع الرابع

الزواج بالنساء الكافرات وتزويجهم المسلمات

قد يعترض معترض على أن موالاة الكفار غير محرمة بالصورة التي ذكرناها فيما سلف من مباحث هذه الرسالة محتجاً بأن قوله تعالى: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾**[1] ليس على إطلاقه حيث أن الكتابية سواء كانت ذمية أو محاربة مندرجة تحت ما نهى الله عن مودتهم ومحبتهم، فكيف يحل التزوج بها عملاً بقوله تعالى: **﴿اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[2] مع النهي عن مودة من حاد الله ورسوله، علماً بأن الزواج من الكتابية فيه مودة، ويترتب على هذه المودة محبة ومناصرة قال تعالى: **﴿ومن آياته أن خلق لكم من**

---

(١) سورة المجادلة آية (٢٢).

(٢) سورة المائدة آية (٥).

أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها، وجعل بينكم مودة ورحمة﴾[1] فكيف نوفق بين آيات النهي عن موالاة الكفار وبين أدلة إباحة الزواج من الكتابيات مع الدليل على أن الزواج فيه مودة للمتزوج بها.

والجواب على ذلك أن للعلماء في الزواج من الكتابية حربية كانت أو ذمية قولان:

القول الأول: هو قول ابن عباس (رضي الله عنه) حيث يقول بحرمة نكاح نساء أهل الكتاب ويوافقه على ذلك بعض الشافعية والحنابلة في ظاهر المذهب والمالكية فيما هو المشهور عندهم[2]. ويستدلون على ذلك بأدلة هي كما يلي:

١ - قول الله تعالى: **﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾**[3] ووجه الدلالة أن الآية أفادت بعمومها تحريم نكاح المشركات والكتابيات من المشركات، سواء كانت ذمية أو محاربة.

٢ - قول الله تعالى: **﴿ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾**[4] فقد دلت الآية على أن حل التزوج بالإماء، يشترط له إيمانهن وعدم قدرة المتزوج بهن على طول الحرة، فإذا انتفى الإيمان منهن بأن كن كتابيات مثلاً انتفى الحكم وهو الحل، فيحرم نكاحهن بناء على أن الحكم متى علق بشرط أوجب ذلك نفى الحكم عند عدم توفر الشرط.

---

(١) سورة الروم آية (٢١).

(٢) انظر تبيين الحقائق للزيلعي جـ ٢ ص ١١٦ وانظر المغنى والشرح الكبير جـ ٢ ص ٢٦٧ وانظر كشاف القناع جـ ٢ ص ٢٨ وانظر مغنى المحتاج جـ ٢ ص ٨٤ وانظر الكافي في فقه أهل المدينة المالكي/ يوسف بن عبد الله القرطبي جـ ٢ ص ٥٤٣ وانظر تفسير القرطبي/ محمد بن أحمد القرطبي جـ ٢ ص ٦٧.

(٣) سورة البقرة آية (٢٢١).

(٤) سورة النساء آية (٢٥).

فانتفاء الايمان في الاماء، يستلزم تحريم الزواج بهم[1].

٣ ـ قول الله تعالى: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون﴾**[2].

فقد دلت الآية على أن من لم يؤد الجزية من الكفار للمسلمين، ويكون في حرب معهم مطلوب قتاله، منهي عن محبته ومودته، فلا يحل للمسلم التزوج بنسائهم، لأن الزواج مودة ومحبة ونصرة.

٤ ـ قول الله تعالى: **﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾**[3]. فقد حرم الله على المؤمنين تمسكهم بالزوجات الكافرات، وحرم عليهم أن يجعلوهن في عصمتهم بنهيه الوارد في هذه الآية، فكان دليلاً على تحريم ابتداء نكاحهن، لأنه طريق إلى المنهى عنه المحرِم، وهو الإمساك بعصم الكوافر، وما يؤدي إلى المحرم فهو محرم.

٥ ـ ما روي بسند صحيح عن الليث عن نافع عن ابن عمر كان إذا سئل عن نكاح الرجل للنصرانية أو اليهودية قال: حرم الله المشركات على المؤمنين ولا أعلم شيئاً من الإشراك أعظم من أن تقول المرأة ربها عيسى، وهو عبد من عباد الله[4]، وقد توفرت فيها علة النهي المقتضية للتحريم في قوله تعالى: **﴿أولئك يدعون إلى النار﴾**[5].

---

(١) انظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين بدران ص ٥٤ ـ ٥٥.

(٢) سورة التوبة آية (٢١).

(٣) سورة الممتحنة آية (١٠).

(٤) انظر فتاوي ابن تيمية جـ ٤ ص ٨٤.

(٥) سورة البقرة آية (٢٢١).

٦ ـ ما روي أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) فرق بين من تزوجوا بكتابيات وأزواجهم. فحين تزوج طلحة بن عبيد الله بيهودية وحذيفة بن اليمان بنصرانية، غضب عمر غضباً شديداً، فقالا: نطلق يا أمير المؤمنين فلا تغضب، فقال: (إن حل طلاقهن فقد حل نكاحهن، ولكن انتزعهن منكم انتزاعاً)[١]، فدل هذا على عدم جواز نكاح المسلمين للكتابيات، لأنه لو كان حلالاً جائزاً لما غضب عمر (رضي الله عنه) ولأنكر عليه الصحابة (رضوان الله عليهم) ولصحح إيقاع الطلاق، فكان تفريقه وعدم إجازته الطلاق دليلاً على حرمتهن.

ومن الأدلة العقلية على حرمة الزواج بالكتابيات ما يلي:

١ ـ إن المرأة الكتابية تعارض دليل حلها وهو قوله تعالى: ﴿**والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم**﴾ وتعارض دليل حرمتها وهو قوله تعالى: ﴿**ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن**﴾ وفي مثل تلك الحال يلزم الرجوع إلى الأصل وهو التحريم، لأن الإبضاع مما يلزم الاحتياط فيها فيحرم على المسلمين لهذا الزواج من الكتابيات[٢].

٢ ـ إن الكتابية مستمسكة بكتاب دار القول فيه بين حالين هما: التغيير أو النسخ، والمغير تزول صفة الكتاب عنه، وكذلك المنسوخ، ترتفع أحكامه، وحينئذ يكون لا فرق بينه وبين ما لم يكن، وعليه، تكون الكتابية في حكم من لا كتاب لها، ومن هذا شأنها لا يحل نكاحها لتحقق النقص الفاحش فيها فساوت عابدة الوثن[٣].

---

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي جـ ٦ ص ٦١ وانظر أحكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ٣٢٤ ـ ٣٢٨.

(٢) انظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين بدران ص ٤٥.

(٣) انظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين بدران ص ٤٥ نقلاً عن الحاوي الكبير للماوردي جـ ١٠ مخطوط بدار الكتب المصرية.

هذه جملة أدلة من قالوا بمنع الزواج من الكتابيات وغيرهن من باب أولى وعلى هذا القول فلا تعارض مع آيات النهي عن موالاة الكفار، وأدلة المنع من زواج الكفار بل أن رأي القائلين بمنع الزواج من النساء الكافرات يرجح أدلة وجوب مفاصلة الكفار وعدم مخالطتهم حيث علل الباري عز وجل ترك نكاح المشركين بقوله: **﴿أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلَّهم يتذكرون﴾**[1].

القول الثاني: وهو قول من يقول بجواز نكاح الكتابيات وقد استدل أصحاب هذا القول بالأدلة الآتية:

قال تعالى: **﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم﴾**[2] فقد عطف الله المحصنات في الآية على الطيبات المصرح بحلها في صدر الآية، والمحصنات معناها الحرائر أو العفيفات فتكون الآية دليلاً على حل الحرائر أو العفائف من أهل الكتاب، لأن قضية العطف تقتضي التشريك في الحكم وعلى هذا فالآية محكمة وليس حكمها بمنسوخ على القول بعدم تناول آية البقرة وهي قوله تعالى: **﴿ولا تنكحوا المشركات حتىٰ يؤمن﴾** لأهل الكتاب، فتكون كل من الآيتين متناولة لأفرادها، وعليه فلا نسخ ولا تخصيص، وعلى القول الثاني وهو أن آية تحريم المشركات متناولة للكتابيات، تكون آية المائدة وهي قوله تعالى: **﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾** مخصصة للعموم في قوله تعالى: **﴿ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن﴾** أو ناسخة لها على الخلاف المعروف في علم الأصول[3].

ويرد القائلون بجواز نكاح الكتابيات على أدلة المانعين بما يلي:

١ ـ يجيب القائلون بجواز الزواج من الكتابية عن قوله تعالى: **﴿لا تجد قوماً**

---

(١) سورة البقرة آية (٢٢١).

(٢) سورة المائدة آية (٥).

(٣) انظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين بدران ص ٤٥.

يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾[1] أن هذه الآية لم تتعرض بصريح اللفظ لتحريم الزواج، بل اقتضت النهي عن موادة أهل الحرب عموماً، فلا يثبت التحريم بالقياس مع وجود النص، إذ لا يلزم من كون عقد الزواج طريقاً من طرق المودة والمحبة، أن يحرم التزوج فغاية ما تدل عليه الآية الكراهية لا التحريم حيث وردت آيات في صلة ذوي الرحم من غير المسلمين مثل قوله تعالى: **﴿وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا﴾**[2] فالزوجة بعد عقد الزوجية تصبح من ذوي القرابة ومصاحبتها بالمعروف أمر واجب حتى لو كانت غير مسلمة لأن ذلك من حسن المعاشرة التي تقودها إلى الإسلام.

٢ ـ أجاب من يرى إباحة الزواج من الكتابيات عن قوله تعالى: **﴿ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات فمن ما ملكت إيمانكم من فتياتكم المؤمنات﴾** إن هذه الآية قد ورد ما يدل على إلغاء هذا الشرط حيث أن الآية في قوله تعالى: **﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب﴾** شاملة للحرائر والإماء، فمراد بالاحصان هو العفاف لا غير، وذلك صادق على الحرائر والإماء ثم أن الأمة الكتابية يجوز قياسها على الأمة المسلمة بجامع جواز الوطء في كل منهما بملك اليمين، فحيث جاز نكاح الأمة المسلمة إتفاقاً، يجوز كذلك نكاح الأمة الكتابية[3].

٣ ـ وأجاب القائلون بإباحة الزواج من الكتابيات عن قوله تعالى: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر﴾** الآية. إن الآية دعت إلى قتال

---

(١) سورة المجادلة آية (٢٢).

(٢) سورة لقمان آية (١٥).

(٣) انظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين بدران ص ٥٠.

من يمتنع عن دفع الجزية للمسلمين وعدم قتال من يدفعها مع الصغار والذلة، وحيث لا علاقة بين دفع الجزية وحِل الزواج، ولا علاقة بين عدم دفعها وحرمته، فلا دلالة في الآية على تحريم الزواج بالكتابية الحربية أو حلها[1].

٤ ـ وأجاب من يرى الإباحة في زواج المسلم بالكتابية عن قوله تعالى: ﴿ولا تمسكوا بعصم الكوافر﴾ بأن اللام في الكوافر لتعريف العهد الكوافر المعهودات كن مشركات عبدة أوثان، إذ الآية وردت في مشركات الحديبية وهن كذلك، وعليه فلا تتناول الآية الكتابيات، وعلى أن الخطاب متوجه لمن كانت في عصمته كافرة مشركة تركها بدار الحرب، أما الكتابيات فإن دلالة الآية لا تشملهن من هذا الوجه ولذلك فهم الصحابة (رضوان الله عليهم) ذلك، فطلق عمر امرأتين له كانتا مشركتين بمكة حين نزلت الآية بالحديبية[2].

٥ ـ وأجاب القائلون بالإباحة في زواج الكتابية من المسلم، بأن ما رُوي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) من الأمر لطلحة وحذيفة بترك زوجتيهما من الكفار، غير جيد السند، قال ذلك ابن عطية، بل قيل في هذا الأثر أنه غريب، ثم قالوا والذي نقل عن عمر أنه قال لمن تزوج من الكتابيات: طلق، فطلقوهن ماعدا حذيفة (رضي الله عنه) فقال هي خمرة فطلقها، فهذا الأثر يدل على عدم التحريم في نهاية الكلام حيث لولا أن العقد صحيح لم يطلب عمر الطلاق من المتزوج، ويؤيد ذلك ما نقل ابن وهب وابن المنذر ـ نقلاً صحيحاً عن عمر (رضي الله عنه) قوله بجواز نكاح الكتابيات[3].

---

(١) المصدر السابق نفس المكان.

(٢) المصدر السابق نفس المكان، وانظر فتاوي ابن تيمية جـ ٤ ص ٨٤.

(٣) انظر المغنى لابن قدامة جـ ٧ ص ٥٠٠ وانظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين بدران ص ٥١.

٦ - ورد القائلون بالإباحة على المعقول الأول وهو أن الأصل في الإبضاع التحريم ولذلك فهي مما يلزم الإحتياط فيها فيحرم على المسلمين لهذا الزواج من الكتابيات.

فقال من يرى الإباحة أن هذا القول ليس على إطلاقه، وغير مسلم به حيث أن قوله تعالى: ﴿**وأحل لكم ما وراء ذلكم**﴾[1] يفيد بعد تعداد محرمات النكاح، أن الكتابيات داخلات في عموم آية الحل غير مخرجات منها، حيث أن آية النهي عن نكاح المشركات غير متناولة للكتابيات، وتكون آية المائدة وهي قوله تعالى: ﴿**والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب**﴾ جاءت مؤكدة للحل الوارد في العموم دفعاً لتوهم حرمتهن، كما فهم بعض الصحابة ذلك[2].

٧ - ثم رد القائلون بالإباحة على المعقول الثاني، بأن من لها كتاب مبدل أو منسوخ يصح أن تندرج تحت من لها شبهة كتاب، نظراً لكتابها المغير وصحة دينها في أصله، وبذلك لا مساواة بينها وبين من لا كتاب لها أصلاً، وتفرقة الشارع الحكيم بينهما في الأحكام دليل ناطق على ذلك. فقد حقن دماء أهل الكتاب دون أهل الشرك، وأحل ذبيحة أهل الكتاب دون أهل الشرك فناسب أن تفارق الكتابية المشركة في حكم النكاح بها فلا تساويها في حرمة التزوج بها[3].

خلاصة القول في هذه المسألة.

إن الآية التي نهت عن موادة الكفار آية عامة، ولم يصرح فيها بالنص على عدم موادة الزوجة غير المسلمة، أما مسألة الزواج من الكتابية، وما

---

(١) سورة النساء آية (٢٤).

(٢) انظر تفسير المنار - رشيد رضا جـ ٦ ص ١٦١ وانظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أو العينين بدران ص ٥١.

(٣) أنظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين بدران ص ٥٢.

يترتب على ذلك فهذه مسألة فقهية خلافية، أشرنا إلى رأي الفريقين في ذلك وأدلتهم في هذا الموضوع ولكننا لا نجزم بالإباحة أو التحريم في هذه المسألة ولكن الذي يظهر من هذه المسألة أن الزواج بالكتابية مكروه في أقرب الأقوال إلى الاعتدال، وقد قال بكراهية الزواج بالكتابية كل من الحنفية والمالكية والشافعية وإن اختلفوا في درجة الكراهية من كراهية التنزيه إلى كراهية التحريم تبعاً إلى نوع الكتابية إذا كانت ذمية أو حربية مقيمة في دار الإسلام أو خارج دار الإسلام.

وخالفهم في ذلك الحنابلة فقالوا بجواز نكاح الكتابية مطلقاً بلا كراهية، وهو خلاف رأي الجمهور، ومخالف لما يفهم من قوله تعالى: ﴿ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم﴾[1] حيث فضل الله عز وجل المرأة المسلمة المؤمنة على الكافرة، ولا جدال في أن الزواج بالكتابية ليس على درجة الإباحة والمساواة بالنسبة إلى المرأة المسلمة ولهذا يترجح لدي أن الزواج بالكتابية مكروه في أفضل الإحتمالات، وإن كانت المسألة تدور وراء المصلحة والمفسدة، فإذا غلب على الظن أن الزواج بالكتابية فيه مصلحة شرعية في حق الزوج أو حق الزوجة أو حق المسلمين عامة فهو مباح وقد يكون ممدوحاً، وإذا ترتب على الزواج أو غلب على الظن أن هذا الزواج فيه مضرة على المسلم في دينه ودين أولاده، وعلى المسلمين من حوله فإنه محرم لما يترتب عليه من مفاسد، حيث أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح[2].

ويرى القائلون بجواز نكاح نساء أهل الكتاب، أن نكاحهن من قبل المسلم الملتزم بالاسلام قولا وعملا، لا يترتب عليه موالاة للكفار بالصورة المنهى عنها شرعا وذلك لعدة أسباب هي كما يلي:

---

(١) سورة البقرة آية (٢٢١).

(٢) انظر كتاب الفقه على المذاهب الأربعة/ عبد الرحمن الجزيري جـ ٤ ص ٧٦ - ٧٧، وانظر تفسير الطبري جـ ٢ ص ٢٢١ - ٢٢٤ وانظر تفسير القرطبي جـ٣، ص ٦٩ - ٧٢. وانظر العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين د/ بدران أبو العينين بدران ص ٦٥.

١ ـ إن الزوجة الكتابية هي بمثابة ذوي القرابة من غير المسلمين كالوالدين ونحوهما، فإن الله عز وجل أمر بمصاحبة الوالدين إذا كانا غير مسلمين بالمعروف قال تعالى: ﴿**وصاحبهما في الدنيا معروفاً**﴾[١] والزوجة تنزل منزلة هؤلاء فمهما كانت درجة البر بالزوجة الكتابية فإنها لن تصل إلى مرتبة البر بالوالدين اللذين يشتركان معها في الكفر والقرابة.

٢ ـ إن البر بالكفار سواء كانوا ذوي قرابة كالوالدين أو الزوجة أو غيرهم من الكفار، لا يعني ذلك مودتهم في القلب من كل وجه، ولا يعني أن يتنازل عن شيء من أحكام الإسلام مهما صغرت طلباً لرضاهم واستجلاباً لمودتهم، فالولاء للإسلام أعظم منزلة من منزلة البر وحسن الصحبة للكفار، ولذلك يضحي المسلم بذوي القرابة والنسب من الكفار عندما تصطدم مطالبهم مع مطالب العقيدة الإسلامية أو تتعارض معها وقد سبق أن تذكرنا نماذج من ذلك فيما سلف[٢]. وعلى هذا فلا موالاة للكفار في مصاحبة الزوجة أو الوالدين من غير المسلمين بالبر والمعروف. لأن الموالاة للكفار مطلقاً، إنما تكون بمساواتهم مع المؤمنين أو تنزيلهم منزلة أقرب من منزلة أهل الإسلام أو التنازل عن شيء من أحكام الإسلام استجلاباً لمودتهم وحصول رضاهم. وهذا غير واقع من المسلمين الملتزمين بالإسلام، الذين يجعلون حب الله ورسوله والمؤمنين مقدماً على كل ما عدا ذلك من صلات القرابة والنسب والمنافع الأخرى، فلا يقدمون شيئاً على مراد الله ورسوله، مهما كانت منزلته ومكانته في نفوسهم.

فالمؤمن يصير حبه فيما يرضي مولاه، وإن كان مخالفاً لهواه، ويكون بغضه لما يكرهه مولاه، وإن كان موافقاً لهواه، قال تعالى عن يوسف

---

(١) سورة لقمان آية (١٥).

(٢) انظر ص ٣٢ ـ ٣٣، من هذه الرسالة.

(٣) سورة يوسف آية (٣٣).

(عليه السلام): ﴿رب السجن أحب إليَّ مما يدعونني إليه﴾[1] مع أن الجماع شيء محبب إلى النفس قال تعالى: ﴿زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة﴾[2] ولكن الجماع لما كان بطريق يبغضه الله ويغضب على فاعله بهذا الوصف تركه[3].

٣ ـ إن النساء اللاتي يتزوجن بالمسلمين لا يقعن تحت مفهوم من يحاد الله ورسوله في قوله تعالى: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾[4] نظراً لضعفهن وقصورهن وتبعيتهن للأزواج في ذلك قال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ فقد ذكر جماعة من المفسرين إن المراد بهذه الآية النساء والصبيان، فإن برهم وصلتهم غير محرمة ما داموا بهذا الوصف وإنما المنهي عن موالاتهم هم الذين ذكرهم الله في قوله تعالى: ﴿إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون﴾[5].

ومعلوم قطعاً أن المرأة التي رضيت بالزواج من المسلم ودخلت تحت ولايته وإن كانت كتابية فهي غير داخلة تحت من لا تصح موالاتهم في هذه الآية.

٤ ـ إن المسلم الملتزم بالإسلام لا يمكنه التسامح فيما يخرجه هو وأولاده

---

(١) سورة آل عمران آية (١٤).

(٢) انظر لطائف المعارف/ تأليف عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، ص ١٦١.

(٣) سورة المجادلة آية (٢٢).

(٤) انظر أحكام القرآن لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧٣. وانظر زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن الجوزي جـ ٨ ص ٢٣٧ وانظر تفسير الطبري جـ ٢٨ ص ٤٣ ـ وانظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٥٩ وانظر مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني م ٣ ص ٤٨٤.

(٥) سوة الممتحنة آية (٩).

عن الإسلام، ولذلك فإن زوجته وإن كانت غير مسلمة، فهي غير قادرة في الغالب والعادة على أن تؤثر على عقيدته وعقيدة أولاده، نظراً لما للرجل من قوة الإرادة وحق القيومية على المرأة، ولذلك جعل الإسلام أمر ضمان سلامة الرجل وسلامة أولاده من الإنحراف موكولاً إلى عناية الله وتوفيقه، أولاً، وثانياً إلى قوة الرجل وصلابة إيمانه وشدة غيرته على محارم الله.

ولكن الأمر قد تغير اليوم بالنسبة للذين يتزوجون بالكتابيات حيث أن معظمهم ليسوا ملتزمين بالإسلام، وهذا يدل على عدم أهليتهم من الناحية الإسلامية، أن يكونوا أزواجاً لنساء مسلمات، فضلاً عن نساء كافرات فمعظم الذين يتزوجون بالكافرات في هذا العصر إنما يتخذون قرار الزواج بعد سلسلة من الوقاع المحرم واللقاءات غير الشرعية، مضافاً إلى ذلك ترك الصلاة وشرب المحرمات. فهم من أجل ذلك كله وغيره لا يمثلون الصورة الإسلامية في الزواج من الكتابية، كما أن النساء الكافرات اللاتي يتزوج بهن بعض أدعياء الإسلام لسن كتابيات بالمعنى الصحيح، فهن لا يؤمن بالكنيسة ومعتقداتها وسلطتها، كما أن معظمهن غير محصنات بسبب التسيب في العلاقات الاجتماعية عند الكفار، مما يفقد المرأة الكافرة صحة العقد عليها من قبل المسلم، لأن الإسلام اشترط على قول من يقول بجواز النكاح بالكتابيات، شروطاً الأول أن تكون كتابية، ومن لا تؤمن بكتاب لا ينطبق عليها هذا الوصف كما هو شأن كثير من نساء الغرب، والشرط الثاني الإحصان، وهذا الشرط يكاد يكون معدوماً عند كثير من النساء الكافرات. نظراً إلى أن قضية العرض قضية شخصية خاصة، لا دخل لها في ميزان الجرح والتعديل لديهم، وانعدام هذين الشرطين يجعل الزواج بالكتابية باطلاً بإتفاق المسلمين وبنص القرآن الكريم على ذلك[1].

وقد فشل معظم المتزوجين بالكتابيات فشلاً ذريعاً في هذا العصر

(١) انظر مجلة الدعوة السعودية عدد ٨١٢ الاثنين ٩/١١/ ١٤٠١ هـ ص ٢٤ ـ ٢٥.

حيث انسلخ معظمهم من دين الإسلام، بعد أن قضت زوجته الكافرة على البقية الباقية من التصور الإسلامي لديه، كما أن معظم النساء الكافرات سيطرت على الرجل في مسألة الأبناء في ديانتهم وحتى تسميتهم ووجدت من القوانين الجاهلية والنظم الوضعية ما يحميها ويقف معها ضد حق الرجل وولايته على أولاده.

فالزواج من الكتابيات في هذا العصر قد ثبت ضرره نظراً إلى أن الذين يتزوجون بالكتابيات مسلمون مزيفون، وقد ترتب على ذلك مفاسد كثيرة، نظراً إلى أن معظم الدول الكافرة لا تعترف بأحكام الإسلام، فيما يتعلق بالزواج والطلاق وولاية الأولاد، وقد واجه هذه المشكلة بشكل واسع معظم المبتعثين الذين تزوجوا بأمريكا وأوروبا، وعندما أرادوا العودة إلى بلادهم امتنعت زوجاتهم من المجيء معهم، واحتفظت بأبنائها معها ووقف القضاء بتلك الدول مع النساء الكافرات، ونذكر مثلاً واحداً يصور تلك المأساة التي يقع فيها بعض المتبعثين من الدول الإسلامية.

فقد ابتعثت شركة أرامكو أحد موظفيها السعوديين واسمه (هزاع) إلى الولايات المتحدة الأمريكية وتعرف هزاع على فتاة أمريكية ثم تزوجها وولدت له ابناً أسمته (هنري بن هزاع) وابنة أسمتها (لينا بنت هزاع) وعندما أراد العودة إلى بلده رفضت الزوجة المجيء معه وتمسكت بأبنائها ووقف القضاء معها، وعاد (هزاع) بخفي حنين مخلفاً وراءه هنري ولينا بالولايات المتحدة الأمريكية[1].

فهل مثل هذا الزواج يعتبر موفقاً؟ وهل تبيح الشريعة الإسلامية مثل هذا الزواج الذي تسقط فيه قيومية الرجل حتى في اختيار الأسماء لأبنائه وبناته؟

(١) انظر جريدة الرياض عدد (٤٩٥٤) السنة السابعة عشرة السبت ٢٦/ ١٢/ ١٤٠١ هـ ص ٢٤ العمود الأخير.

وبعد هذا الاستعراض المفصل لموضوع الزواج بالكتابيات فإني لا أستطيع القول بإباحة هذا الأمر أو منعه، ولكنني أرى طرح هذا الموضوع أمام المجتهدين من العلماء ليروا فيه رأياً نهائياً، وفي حالة ترجيح الزواج بالكتابيات عليهم أن يضعوا شروطاً تفصيلية في حق الزوج والزوجة تقضي على التسيب الحاصل من الزواج بالكافرات في عصرنا الحاضر، ولكي لا تستغل أحكام الإسلام من قبل أناس هم أبعد الناس عن الإسلام وعن أهل الكتاب على حد سواء[1].

أما مسألة تزويج المرأة المسلمة بالرجل الكافر فقد حال الإسلام بين المرأة المسلمة وبين زواجها من غير المسلم، نظراً إلى أن المرأة في غالب أحوالها ضعيفة الإرادة أمام زوجها، فيخشى عليها أن تطيعه في معصية الله أو أن توافقه في الردة عن دين الله، أو أن تواليه على ما يغضب الله، فلذلك منع الإسلام زواج المسلمة بغير المسلم، وأباح زواج المسلم بالكتابية على قول من قال بذلك مع بعض التحفظات على هذا الزواج[2].

وبحكم الشرع الإسلامي يستحيل على المسلمة الزواج بغير المسلم[3] ولم يرد قط حدوث حادثة تدل على الخروج على هذه القاعدة طيلة قرون مضت[4].

إلا أن أعداء الإسلام بجهودهم التنصيرية المركزة يحاولون كسر هذا الحاجز عن طريق بعض ضعاف الإيمان، أو من ينتسبون إلى الإسلام إسماً لا حقيقة، وهم في مفهوم الإسلام الصحيح وفي واقع حالهم مرتدون خارجون عن الإسلام.

---

(١) انظر مجلة المسلمون العدد الخامس الجمعة ١ صفر ١٤٠٢ هـ ص ٦٠ ـ ٦١.
(٢) انظر كتاب الفقه على المذاهب الأربعة/ عبد الرحمن الجزيري جـ ٤ ص ٧٦ ـ ٧٧.
(٣) انظر الدرر السنية جـ ٦ ص ٣٣٤.
(٤) انظر أهل الذمة في الاسلام د/ ا. س ترتون ـ ترجمة د/ حسن حبشي ص٢١٨.

فقد ذكر أن هناك ست حالات وقعت من هذا القبيل في جزر القمر تحت وطأة الفقر والجهل والإغراء المادي وفي ظل سلطة لا تطبق أحكام الإسلام[1] وحصل مثل ذلك في أندونيسيا والفلبين، وبعض الدول الأفريقية، وهذا التصرف الفردي لا يضير الإسلام بقدر ما يأثم الفاعل في نفسه لأن الدولة الإسلامية الحقة غائبة عن التصدي لمثل هذه الأمور.

ومن قبيل زواج المسلمة بالكافر ما يقع فيه بعض المسلمين في العصر الحاضر حين يزوجون نساءهم لأشخاص يعتنقون مبادىء وينتمون إلى أحزاب خارجة عن الإسلام، توجب كفر من ينتمي إليها أو يعتقد اعتقاداتها كحال الذين يعتنقون الشيوعية أو ينتمون إلى أحزابها أو يوالونها على كفرها ومثل ذلك من ينتمي إلى حزب البعث أو الأحزاب الاشتراكية، فهؤلاء لا يجوز نكاحهم للنساء المسلمات ابتداء لأنهم غير مسلمين، كما لا يجوز بقاء النساء المسلمات في عصمتهم بعد اعتناقهم لتلك المباديء الكافرة التي توجب كفر من يعتقدها أو يتبعها أو يدعو إليها، لأن كل من خرج من حزب الله دخل في حزب الشيطان بلا جدال، قال تعالى: **﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾**[2].

وقد ذكرنا جواب لجنة الفتوى بالأزهر حول زواج المسلمة بالشيوعي وأنه زواج باطل[3]. ويقاس على تلك الحال جميع الإنتماءات والإعتقادات التي توجب كفر صاحبها وردته عن الإسلام أما إذا أسلمت المرأة وهي في عصمة رجل كافر سواء كان يهودياً أو بعثياً أو نصرانياً أو إشتراكياً أو شيوعياً أو وثنياً، فإن كان ذلك قبل الدخول بها فمذهب جمهور العلماء من الفقهاء أن الفرقة تقع بينهما في الحال، أما إن كان إسلام المرأة بعد الدخول بها فقال بعض العلماء إن أسلم في عدتها فهي على نكاحها، وإن لم يسلم

---

(١) أنظر المجتمع عدد (٤٨٠) السنة الحادية عشرة في ٢٨/ ٦ / ١٤٠٠ هـ. ص ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة آل عمران آية (٨٥).

(٣) انظر ص ٤٥٦، من هذه الرسالة.

حتى أنقضت العدة، فقد بانت منه، وهناك رأى آخر وهو أن المرأة إذا أسلمت تخير بين طلب الفرقة أو انتظار إسلام الزوج وإن طالت المدة وهو الأرجح[1]. ولكن لا يلزمها خلال العدة الإنتظار والبقاء مع الزوج الكافر عملاً بقوله تعالى: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾[2].

أما إن أسلم الزوج ولم تسلم المرأة، فإنه يعرض على المرأة الإسلام فإن أسلمت في العدة بقيا على نكاحهما وإن أبت انفسخ النكاح ساعة إبائها سواء كان ذلك قبل الدخول بها أو بعده، وهذا إذا كانت الزوجة مشركة وثنية، أو كانت كتابية على قول من يقول بعدم صحة الزواج بالكتابيات للمسلمين كما تقدم قريباً[3]، أما من يرى جواز نكاح الكتابيات للمسلمين فإنه لا يوجب مفارقة الكتابية لزوجها المسلم[4]. والله الهادي إلى سواء السبيل.

---

(١) انظر أحكام أهل الذمة/ ابن قيم الجوزية جـ١ ص ٣٢١ ـ ٣٤٥.
وانظر كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي/ يوسف بن عبد الله القرطبي، جـ٢ ص ٥٤٩ ـ ٥٥٠.

(٢) سورة النساء آية (١٤١).

(٣) انظر ص ٧٠٠ ـ٧٠٣، من هذه الرسالة.

(٤) انظر ص ٧٠٣ ـ ٧١٠، من هذه الرسالة.

المبحث الثالث

موالاة الكفار في الشؤون الاقتصادية

وتحت ذلك خمسة أمثلة هي كما يلي: -

١ - المثال الأول : إباحة التعامل بالربا مع الكفار ومن أجلهم.
٢ - المثال الثاني : إعطاء المساعدات المالية للكفار.
٣ - المثال الثالث : تمكين الكفار من استغلال أموال المسلمين.
٤ - المثال الرابع : تمكين الكفار من الوظائف الهامة في البلاد الإسلامية.
٥ - المثال الخامس : توريث الكفار والنفقة عليهم من أهل الإسلام.

المثال الأول
إباحة التعامل بالربا مع الكفار ومن أجلهم

لقد أباح الإسلام التعامل التجاري مع الكفار سواء كان الكفار في داخل الدولة الإسلامية أم خارجها ولكن ذلك التعامل معهم مشروط بشروط ومقيد بقيود، تجعل التعامل معهم ضمن ضوابط معينة تحقق المصلحة للمسلمين دون أن تكون باباً للشر عليهم، ومن التعامل التجاري مع الكفار في داخل الدولة الإسلامية ما كان يجري بين المسلمين في المدينة وبين اليهود وغيرهم من المشركين من تعامل تجاري فقد كان سبب إجلاء بني قينقاع أن امرأة من المسلمين قدمت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع وجلست إلى صائغ يهودي لتشتري منه فربط ذلك اليهودي طرف ثوبها إلى ظهرها فلما قامت انكشفت عورتها، فضحكوا بها فصاحت، فوثب رجل من المسلمين على الصائغ اليهودي فقتله، وقام اليهود على المسلم فقتلوه، ثم اشتد الأمر بينهما، حتى حاصرهم رسول الله ﷺ وأجلاهم عن المدينة[1].

---

(١) أنظر تهذيب سيرة ابن هشام/ عبد السلام هارون ص ١٧٤ ـ ١٧٥.

وقد سأل مهنا بن يحيى الشامي وهو فقيه عالم: الإمام احمد بن حنبل عن البيع والشراء مع الكفار فأجاب بأنه لا بأس في ذلك[1]، وقد كانت هناك أسواق في مكة وكان المسلمون يشهدونها وشهد بعضها النبي ﷺ ومن هذه الأسواق ما كان في موسم الحج من تجارات مختلفة هذا فيما يتعلق بالتعامل التجاري مع الكفار داخل دار الإسلام والمسلمين أما التعامل التجاري مع الكفار في دار الحرب فهو جائز حيث كان ذلك مقرراً من قبل الرسول ﷺ فقد كانت تجارة عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف (رضي الله عنهما) ذاهبة وآيبة بين الشام والمدينة وكانت الشام دار حرب على الإسلام والمسلمين، فالسفر إلى بلاد الكفار لغرض التجارة، مع حفظ العبد لدينه، وقدرته على إظهار دينه أمر لا مانع منه عند توفر الأسباب الداعية إلى ذلك وانتفاء الموانع التي يخشى منها على دين الإنسان ونفسه وماله[2]. ولا شك أن أسواق الكفار تشتمل على المعصية، أو ما يستعان به على المعصية فإن وجد الإنسان من نفسه القدرة على الإمتناع عن مفاسدهم ومجانبة باطلهم جاز له السفر وإلا كان السفر في حقه محرماً، عند ضعف القدرة عن مقاومة الإغراءات ووسائل الفساد في المجتمع الكافر عملاً بالحديث الشريف «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك»[3] ومن دخل دار الحرب من المسلمين وهو مبعوث لرسالة أو تاجر، أو طالب معرفة لديهم، بأمان منهم فخيانتهم محرمة عليه، لأنهم إنما أعطوه الأمان مقابل ترك خيانتهم، وعدم الاعتداء على أنفسهم وأموالهم وأعراضهم[4].

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم/ ابن تيمية ص ٢٣٠ - ٢٣٢. وانظر أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢٧٠.

(٢) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم/ ابن تيمية ص ٢٣٠ - ٢٣٢. وانظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨، ص ٢٢١.

(٣) رواه النسائي والترمذي، وقال حديث حسن صحيح. انظر جامع العلوم والحكم/ عبد الرحمن بن شهاب الحنبلي ص ١٠١.

(٤) انظر الفتاوي السعدية/ ابن سعدي جـ ١ ص ٩٧.

ولا يجوز للمسلم الذي يحمل التجارة إلى دار الحرب، أن يحمل لهم ما يستعينون به على منكر لديهم، فلا يجوز حمل عنب أو تمر أو شعير يتخذونه خمراً، وكذلك لا يجوز أن يبيعهم سلاحاً يقاتلون به مسلماً. أما بيعهم ما هو مأكول وملبوس ومركوب مما هو مباح لنا ولهم فهو جائز[1].

وأهل الذمة وأهل العهد، إذا زاولوا التجارة في دار الإسلام فإن للحاكم المسلم الخيار بين أخذ العشر أو نصف العشر أو أكثر من ذلك أو أقل أو أن يسمح لهم ويعفيهم من أي إلتزام مالي، أو يعفي بعض البضائع دون بعض، وذلك لما يراه في صالح الإسلام والمسلمين، فهذه الأمور مبنية على رعاية المصلحة العامة للمسلمين في دار الإسلام، وتخضع للسياسة الشرعية المتمشية مع مصلحة الأمة وسلامتها[2].

أما حكم التعامل معهم وأخذ نقودهم وهم قد يكسبونها عن طريق الربا أو القمار أو الفواحش أو ما إلى ذلك.

فجمهور العلماء على جواز التعامل معهم، وإن كانت مصادر أموالهم محرمة لاقتحامهم ما حرم الله، فقد دل الدليل على ذلك من الكتاب والسنة قال تعالى: ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم﴾[3]. وهذا نص في حل طعامهم مع أنه قد يدخل عليهم بطرق محرمة، وعامل النبي ﷺ أهل الكتاب وأقر التعامل معهم في مناسبات شتى، وقد رجح القرطبي ذلك[4].

أما التعامل معهم بالربا في خارج دار الإسلام أو السماح لهم بالتعامل بالربا مع المسلمين أو بين بعضهم البعض في دار الإسلام فلا يجوز قولاً واحداً للأدلة القطعية المتواترة من الكتاب والسنة[5]. لأن الله عز وجل إذا

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم - ابن تيمية ص ٢٣٠ - ٢٣٢.

(٢) انظر أحكام أهل الذمة/ ابن قيم الجوزية جـ١ ص ١٤٩ - ١٧٥.

(٣) سورة المائدة آية (٥).

(٤) انظر تفسير القرطبي جـ٦ ص ١٢ - ١٣.

(٥) انظر المغنى والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٥١٥.

حرم على المسلم أمراً، فإنه لا يجوز أن يستحل هذا المحرم في أي زمان أو مكان إلا ما ورد الشرع بتخصيصه كالميتة ونحوها، ذلك أن تحريم هذه المحرمات أمر مطلق، فلا يجوز للإنسان أن يتعلل باستباحته للمحرم أنه موجود في مجتمع كافر لا حرمة له، فقد كان المسلمون يعيشون مع كفار قريش في مكة، واليهود في المدينة ومع ذلك لم يقع منهم تعامل مع هؤلاء الكفار، في الربا أو القمار أو نحو ذلك[١].

والربا والقمار حكمهما كحكم الزنا، وقد وردت الآيات الدالة على تحريم الزنا مطلقة من غير تخصيص على تحريم الزنا بالمسلمات فقط[٢]. ويقول الإمام الشافعي (رحمه الله): (الإسلام ملزم للمسلم حيثما كان بوجوب تطبيق أحكامه وأداء فرائضه من عبادات وواجبات وهي لا تسقط إذا كان في بلاد الكفار أو غيرها من الديار، ما دام حياً عاقلاً مختاراً[٣].

وقد كتب رسول الله ﷺ إلى مجوس هجر «إما أن تذروا الربا أو تأذنوا بحرب من الله ورسوله»[٤] وفي هذا الوعيد ما يدل على أنه لا يجوز لأهل الذمة وأهل العهد التعامل بالربا ونحوه من المحرمات في جميع الشرائع فلا وجه لما يتعلل به بعض المهزومين في عقيدتهم وأخلاقهم من أن السماح في بعض المحرمات إنما هو لوجود فئة من أهل الذمة وأهل العهد من غير المسلمين، كما تفعل ذلك بعض المؤسسات الاقتصادية العاملة في بعض البلاد الإسلامية حيث تتعامل بالربا بصور ظاهرة وخفية، وتعلن الحرب على الله ورسوله والمؤمنين وهي بذلك تخرج على شريعة الله وتخالف أمره، ومن حارب الله فقد هزم قال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من**

---

(١) المصدر السابق، ص ٥١٥.

(٢) انظر الخراج لأبي يوسف ص ١٨٩.

(٣) انظر الحرب والسلم في شريعة الاسلام د/ مجيد خدوري ص ١٩٩.

(٤) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام، د/ عبد الكريم زيدان ص ١١٠.

الله ورسوله وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون﴾[1].
فوجود غير المسلمين في بلاد الإسلام لا يبرر إباحة الربا بأي وجه من الوجوه في البلاد الإسلامية.

أما مشاركة المسلم لغير المسلم في تجارة ونحوها، فإن الشافعية يكرهون مشاركة المسلم لغير المسلم في المعاملات المالية، لما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: (لا تشاركن يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً، لأنهم يربون والربا لا يحل[2]).

وقال الحنابلة تجوز المشاركة بشرط أن لا يخلو غير المسلم بالمال دون المسلم، لأن غير المسلم يعمل بالربا، فإذا تولى المسلم العدل تصرفات الشركة بنفسه زال المحذور فتجوز المشاركة حينئذ بهذا الشرط[3].
وطائفة الكفار المحاربين الممتنعين ينصر بعضهم بعضاً فهم كالشخص الواحد لذا فإنه يجوز للحاكم أن يشترط عليهم عند دخولهم إلى بلاد الإسلام أن لا يأخذوا للمسلمين شيئاً، وما أخذوا بطريقة غير مشروعة يكونون ضامنين له، والمضمون يؤخذ من أموال التجار المحاربين عامة كما فعل النبي ﷺ مع الأسير العقيلي حين قال: (يا محمد، علام أوخذ فقال بجريرة خلفائك من ثقيف) وأسره النبي ﷺ وحبسه لينال بذلك من حلفائه مقصوده.

ولو أسرنا حربياً قادماً إلى دار الإسلام لأي غرض بقصد تخليص من أسروه منا جاز ذلك باتفاق المسلمين[4]. ولنا أن نحبسه حتى يردوا أسيرنا ولو أخذنا مال حربي حتى يردوا علينا ما أخذوه لمسلم جاز ذلك إذا اشترط عليهم الإمام ذلك عقد الأمان عند الدخول[5].

(١) سورة البقرة آية (٢٧٨، ٢٧٩).
(٢) المصدر السابق ص ٥٥٥. رقم (٢).
(٣) انظر المغنى جـ ٥ ص ٣ - ٤.
(٤) انظر مختصر الفتاوي المصرية/ ابن تيمية ص ٥١٦.
(٥) المصدر السابق نفس المكان.

وبناء على ذلك إذا قام الكفار المحاربون بالتضييق على المسلمين لديهم، فيجوز للمسلمين معاملة الكفار المستأمنين بمثل ما يعامل به المسلمون في بلاد الكفار عملاً بقوله تعالى: **﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾**[1] ولكن هذه المعاملة ليست مطلقة من كل وجه، فقد يتعامل الكفار مع المسلمين في دار الكفر بأنواع من الظلم، ولا مجاراة في الظلم وهذا ما يؤكد أن مصدر حقوق الأجنبي في دار الإسلام هي الشريعة الإسلامية وما تمثله من أخلاق كريمة ومثل عليا[2].

أما أهل الذمة فلا يجوز أخذهم بجريرة غيرهم من الكفار ما لم يتواطؤا مع أهل الحرب وتثبت خيانتهم، فعند ذلك يجوز معاقبتهم بجريمة خيانتهم، كما فعل النبي ﷺ مع بني قريضة عندما انحازوا إلى الأحزاب وظاهروهم على المسلمين[3]. قال تعالى: **﴿وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب فريقاً تقتلون وتأسرون فريقاً﴾**[4].

ونستنتج مما تقدم أنه محرم على المسلمين أفراداً وحكومات أن يتعاملوا بالربا سواء فيما بينهم أو مع البنوك الأجنبية في بلادهم حيث أن الأصل هو عدم السماح لأي مصرف في البلاد الإسلامية أن يتعامل بالربا على أي شكل من الأشكال، كما أن تعامل الأفراد أو الدول بالربا مع البنوك الربوية خارج البلاد الإسلامية أمر محرم لا يجوز، لأن الواجبات والمحرمات لا تسقط عن المسلم في أي مكان كان ما دام عاقلاً مختاراً[5].

وعلى هذا فإن الذين يمنحون التصاريح المتعددة للبنوك الربوية التي

---

(١) سورة النحل آية (١٢٦).

(٢) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام - د/ عبد الكريم زيدان ص ٧٤.

(٣) انظر تهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٢٥ - ٢٣٥.

(٤) سورة الأحزاب آية (٢٦).

(٥) أنظر الحرب والسلم في شرعة الإسلام د/ مجيد خدوري ص ١٩٩.

ملأت كل مدينة وقرية وكل منعطف وشارع، موالين لأعداء الله، محاربين لله ورسوله والمؤمنين بأعمالهم، وإن نافقوا بأقوالهم، وادعوا أنهم مسلمين فإن المسلم الحقيقي هو الذي يقف عند حدود الله، فلا يحل ما حرم الله من أنواع الربا، فمن استحل التعامل بالربا فقد خرج من الإسلام. قال تعالى: ﴿**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**﴾[١].

(١) سورة المائدة آية (٤٤).

المثال الثاني
اعطاء المساعدات المالية للكفار

تختلف صلة المسلمين بالكفار تبعاً لاختلاف موقفهم من الاسلام ومكان وجودهم من المسلمين فإن كانوا من أهل الذمة والعهد فلهم حقوق خاصة على المسلمين وإن كانوا من الكفار المحاربين الذين يسكنون خارج دار الاسلام فلهم طريقة خاصة في المعاملة تتناسب وحالهم ، وإن كانوا من الكفار المسلمين القاطنين خارج دار الاسلام فلهم معاملة خاصة بهم ، وبناء على هذا التقسيم يمكن أن تتنوع أنواع المساعدات وتختلف باختلاف أصناف الكفار الذين تتعامل معهم الدولة الاسلامية .

إن الأصل الذي يجب أن تهتم به الدولة الاسلامية في قضية المساعدات المالية هم أهل الاسلام ، فإن الصدقة الواجبة على أفراد المسلمين من زكاة الأموال وزكاة البدن ونحوهما إنما تجب لفقراء المسلمين على أغنيائهم كما في حديث معاذ (رضي الله عنه) الذي ورد فيه (فأعلمهم أن الله تعالى افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على

فقرائهم)[1] ، وقد روى عن جرير بن عبد الحميد عن الليث عن مجاهد قال « لا تتصدق على اليهودي ولا النصراني ، إلا أن تجد مسلما »[2] . وعلى هذا فإنه لا يجوز اعطاء الكفار من أنواع البر والصدقة إلا بعد كفاية المسلمين ، والكفار يمكن تقسيمهم الى ثلاث فئات :

(أ) أهل عهد وذمة .

(ب) كفار مسالمون .

(جـ) كفار محاربون .

واعطاء الكفار من المال هل يكون من الزكاة ، أو من غيرها ؟ فهذه المسائل تحتاج الى توضيح مفصل ، يوضح كل مسألة بمفردها على النحو التالي :

المسألة الأولى : حكم اعطاء المال لأهل الذمة والعهد .

يجوز اعطاء الذمى والمستأمن من بيت مال المسلمين اذا رأى الحاكم الشرعي أن ذلك في مصلحة الاسلام والمسلمين ، وأن ذلك مما يقتضيه الواجب الاسلامي بمقتضى عقد الذمة والعهد ، كما يجوز للأفراد اعطاء قراباتهم من الكفار عند الحاجة الى ذلك .

فقد روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال كان المسلمون لا يرضخون لقراباتهم من المشركين[3] . فنزلت ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلأنفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وأنتم لا تظلمون** ﴾[4] ، وقد سار على

---

(١) رواه البخاري ومسلم ـ انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ٢ ص ٧٩٠ ـ ٧٩١ رقم الحديث (١٠٧٧) .

(٢) انظر كتاب الأموال لأبي عبيد جـ ٤ ص ٢٢٧ .

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ٣ ص ٣٣٧ .

(٤) سورة البقرة آية (٢٧٢) .

ذلك النبي ﷺ فقد ذكر النقاش أن النبي ﷺ أتي بصدقات فجاءه يهودي فقال : أعطني فقال النبي ﷺ « ليس لك من صدقة المسلمين شيء » فذهب اليهودي غير بعيد فنزلت : هذه الآية فدعاه النبي ﷺ فأعطاه[1] .

وقد وجد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) شيخاً من اليهود يسأل الناس ، فقال : ما أنصفناك ، إن كنا اخذنا منك الجزية في شبيبتك ثم ضيعناك في كبرك ! قال : ثم أجرى عليه من بيت المال ما يصلحه[2] . وفعل مثل ذلك عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه)[3] . ولهذا قال أبو عبيد في كتاب الأموال : لو علم عمر أن فيها سنة مؤقتة من رسول الله ﷺ ما تعداها الى غيرها[4] . وفي صلح خالد بن الوليد مع أهل الحيرة في زمن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) قد سجل لهم ما يلي :

(وجعلت لهم ايما شيخ ضعف عن العمل، أو اصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه طرحت عنه جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين ما اقام بدار الهجرة والاسلام)[5].

وقد صرح المالكية بأن دفع الضرر عن المسلمين ومن في حكمهم من أهل الذمة والمستأمنين فرض كفاية حيث نظروا الى وجوب الاحسان والعدل مع كل انسان ترفرف فوق رأسه راية الاسلام ، مسلما كان ، أو مذعناً لأحكام الإسلام في الدولة الاسلامية[6] .

المسألة الثانية : حكم مساعدة الكفار بالمال خارج الدولة الاسلامية .

---

(١) انظر الصحيح المسند من أسباب النزول / مقبل بن هادي الوادعي ص ٢٣ .
(٢) تفسير القرطبي جـ ٣ ص ٣٣٧ .
(٣) انظر الخراج لأبي يوسف ص ١٤٤ . وانظر أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ص ٣٨ جـ ١ .
(٤) انظر كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٤٤ ـ ٤٦ .
(٥) انظر كتاب الخراج لأبي يوسف ص ١٤٤ .
(٦) انظر حاشية الدسوقي جـ ٢ ص ١٥٥ .

الأصل في هذه المسألة أنه لا يجوز اعطاء الكفار من أهل الحرب وما دونهم مساعدات مالية أو عينية ، الا لغرض يراد به صالح الاسلام والمسلمين ، فبذل المال للكفار بلا هدف أو غاية سامية شرعية أمر لا يجوز لأنه حينئذ يدخل في مجال التبذير في أقل الأحوال والله عز وجل قد ذم المبذرين وعدهم اخوان الشياطين وبالرجوع الى الكتاب والسنة نجد ان هناك ادلة تبيح بذل المال للكفار عند تأليف قلوبهم على الاسلام قال الله تعالى : ﴿ **إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم** . . ﴾[1] ، ولم يرد ذكر للمؤلفة قلوبهم فيما عدا هذه الآية وقد اختلف المفسرون في المراد بالمؤلفة قلوبهم على أقوال منها ما يلي :

أولاً : إن المراد بالمؤلفة قلوبهم قوم كانوا في صدر الاسلام ممن يظهر الاسلام يُتألفون بدفع سهم من الصدقة اليهم لضعف يقينهم[2] .

ثانياً : قال الزهري أن المؤلفة قلوبهم من أسلم من يهودي أو نصراني وإن كان غنيا[3] .

ثالثا : قال بعض المتأخرين أنهم صنف من الكفار يعطون ليتألفوا على الاسلام ، وكانوا لا يسلمون بالقهر والسيف ، ولكن يسلمون بالعطاء والاحسان[4] .

رابعاً : قال بعض العلماء هم قوم أسلموا في الظاهر ولم تستيقن قلوبهم ، فيعطون ليتمكن الاسلام في صدورهم[5] .

خامساً : قال جماعة أن المؤلفة قلوبهم هم قوم من عظماء المشركين

---

(١) سورة التوبة آية (٦٠) .

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ١٧٨ .

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ١٧٨ .

(٤) انظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ١٧٩ .

(٥) المصدر السابق المكان نفسه .

لهم أتباع ، يعطون ليستدرجوا مع أتباعهم الى الاسلام[1] . وهذه الأقوال متقاربة ، والقصد منها جميعا ، أن يكون الاعطاء لمن لا يتمكن اسلامه حقيقة الا بالعطاء ، فكأن ذلك ضرب من ضروب الجهاد ، وقد أعطى النبي ﷺ عددا منهم حديثي عهد بالإسلام على مائة من الأبل ، وكانوا أشرافا وهم أبو سفيان وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى ، وصفوان بن أمية ، ومالك بن عوف ، والعلاء ابن جارية ، فسمي هؤلاء أصحاب المئين[2] .

وقد ورد في الحديث الصحيح « إني لأعطي الرجل وغيره أحب اليَّ منه ، خشية أن يكب في النار على وجهه[3] .

وفي كتاب الأموال عن سعيد بن المسيب (رحمه الله) أنه قال : (إن رسول الله ﷺ تصدق بصدقة على أهل بيت من اليهود فهي تجري عليهم[4] . وروى الامام محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة أن رسول الله ﷺ بعث الى أهل مكة خمسمائة دينار لما قحطوا وأمر أن يدفع ذلك الى أبي سفيان بن حرب ، وصفوان بن أمية قبل إسلامهما ليفرقاها على فقراء مكة فقبل ذلك أبو سفيان وأبي صفوان بن أمية ، وكان أهل مكة في ذلك الوقت مشركين حربيين ، فإذا صح ذلك في حقهم ، فمن باب أولى أن يصح التصدق على الكفار المسالمين وأهل الذمة وأهل العهد لأنهم أولى بالرعاية والبر وخاصة من يقعون تحت مسؤولية الدولة الاسلامية[5] .

وقد اختلف العلماء في بقاء العمل في اعطاء الكفار الذين يؤلفون على الاسلام على ثلاثة أقوال :

---

(١) المصدر السابق المكان نفسه . وانظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٤ ص ٢٣٣ ـ ٢٣٤ .
(٢) المصدر السابق المكان نفسه .
(٣) رواه مسلم . انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ١٣٢ (كتاب الايمان) .
(٤) انظر كتاب الأموال لأبي عبيد ص ٦١٣ .
(٥) انظر احكام الذميين والمستأمنين د / عبد الكريم زيدان ص ١٠٣ . وانظر السير الكبير وشرحه جـ ١ ص ٦٩ .

القول الأول : من قال بانقطاع هذا الصنف من الناس بعز الاسلام وظهوره فإن الله قد أعز الاسلام وأهله وقطع دابر الكافرين فلا يعطون ، فأما الاسلام أو الجزية ، أو القتال ، وقد قال بذلك عمر بن الخطاب والحسن البصري والشعبي[1] وهو المشهور من مذهب مالك بن أنس وأصحاب الرأي وبذلك قال بعض علماء الحنفية حيث قالوا : اجتمع الصحابة رضوان الله عليهم في خلافة عمر (رضي الله عنه) على سقوط سهم المؤلفة قلوبهم .

القول الثاني : قول جماعة من العلماء أن اعطاء المؤلفة قلوبهم باق ، لأن الامام ربما احتاج الى ذلك في تأليف قلوب بعض الناس على الاسلام ، وإنما قطعهم عمر (رضي الله عنه) حين رأى عزَّ الاسلام ، قال يونس سألت الزهري - محمدا بن شهاب - عنهم فقال : لا أعلمَ ناسخاً في ذلك . وقال أبو جعفر النحاس : فعل هذا الخكم ثابت عند الحاجة اليه فإذا رأى الحاكم المسلم العدل أن أحدا يحتاج الى تألفه ، أو يخاف منه على المسلمين أن تلحق المسلمين منه آفة ، أو يرجى أن يتحسن إسلامه بعد الدفع اليه دفع اليه .

وقد ذهب الشيخ عبد العزيز بن باز الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والارشاد الى القول بجواز مساعدة الفقراء من الرجال والنساء والأطفال مهما كانت جنسياتهم واعتقاداتهم بشرط أن لا يكونوا منتمين الى دولة معادية للإسلام والمسلمين[2] . ا . هـ

القول الثالث : إن الكفار ، وحديثي العهد بالاسلام يعطون عند الحاجة الى ذلك في بعض الأوقات وهو قول القاضي عبد الوهاب[3] . وقال

---

(١) هو عامر بن شراحيل الشعبي من شعب همدان وكنيته (أبو عمر) ولد سنة (١٩ هـ) ونشأ بالكوفة وكان علامة أهل الكوفة ، محدث ، فقيه ، حافظ ، شاعر ، اتصل بعبد الملك بن مروان واستقضاه عمر بن عبد العزيز ، وتوفي فجأة سنة (١٠٤ هـ) بالكوفة . له كتاب الكفاية في العبادة والطاعة . انظر معجم المؤلفين عمر رضا كحالة / جـ ٥ ص ٥٤ .

(٢) أنظر مجلة الدعوة السعودية عدد (٨٢٣) في ١٤٠٢/٢/١١ ص ١٩ .

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ ٨ ص ١٨١ .

ابن العربي : إن قوي الاسلام زال العطاء لهم وان احتيج اليهم أعطوا سهمهم كما كان رسول الله ﷺ يعطيهم فإن في الحديث (بدأ الاسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء)[1] .

وقد مر عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عند مقدمه بالجابية من أرض دمشق بقوم مجذومين من النصارى ، فأمر أن يعطوا من الصدقات وأن يجرى عليهم القوت[2] .

فهذه الآثار تدل على جواز اعطاء الكفار مساعدات مالية عندما يرى الحاكم المسلم العدل أن ذلك من مصلحة الاسلام والمسلمين ومن مقتضيات السياسة الشرعية للدولة الإسلامية . ولكن اختلف العلماء هل يجوز اعطاؤهم من الزكاة أم من غيرها من بيت المال اذا كان العطاء على مستوى الدولة دون الأفراد .

وخلاصة الخلاف في هذه المسألة كما يلي :

القول الأول : قول من يقول بجواز اعطائهم من الزكاة لأنهم داخلون في مسمى الفقراء والمساكين أو باعتبار أنهم جماعة من المؤلفة قلوبهم قال بذلك ، زُفَر ، والأباضية ، ولكن اشترطوا لذلك شروطا :

١ ـ منها عدم وجود المسلم المستحق لها .

٢ ـ تعذر ارسالها الى الامام الشرعي .

القول الثاني : وهو قول جمهور العلماء أن الزكاة بقسميها زكاة المال وزكاة البدن لا يجوز أن يدفع منها لكافر ، سواء كان ذمياً أو مستأمناً أو

---

(١) انظر أحكام القرآن لأبن العربي / جـ ٢ ص ٩٥٤ وانظر الحديث في صحيح مسلم جـ ١ ص ١٣٠ في كتاب الايمان باب (٦٥) .

(٢) تاريخ البلاذري ص ١٧٧ .

مسالماً أو محارباً ، ودليل هؤلاء ما ورد من حديث معاذ (رضي الله عنه) : فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم[١] . وما روي عن يحي بن سعيد عن أشعث عن الحسن قال : (لا يعطى من الزكاة نصراني ، ولا يهودي ، ولا مجوسي)[٢] وعن عبد الرحمن بن سفيان عن ابراهيم بن مهاجر قال: قلت لابراهيم النخعي : إن لنا أظارا[٣] ، من اليهود والنصارى أما أتصدق عليهم ؟ فقال أما من الزكاة فلا[٤] لأنها خالص مال المسلم فلا تخرج الا لمسلم. وعن يزيد عن هشام عن الحسن قال: ليس لأهل الذمة في شيء من الواجب حق[٥]. ولكن اذا اراد الرجل تصدق عليهم من غير ذلك، يعني يعطون من صدقة التطوع دون صدقة الفريضة .

قال أبو عبيد في كتاب الأموال : إنما كره العلماء اعطاءهم من الزكاة خاصة ، لحديث معاذ المتقدم ذكره ، حيث أنه الأصل في هذه المسألة[٦] وكل هذه الآثار تدل على المنع وهو ما ذهب اليه الجمهور من العلماء، إلا أن قلة منهم قالوا يجوز دفع الزكاة الى الكفار عند تحقق الشرطين المتقدمين ، وهما عدم وجود المسلم المستحق لها ، وتعذر ارسالها الى بيت المال[٧] .

والذي أرجحه في هذه المسألة أنه لا يجوز اعطاء الكفار من الزكاة وخاصة المحاربين فلا يجوز اعطاؤهم حتى ولو لم يجد مسلماً يستحقها ولم

---

(١) رواه البخاري ومسلم انظر ص ٧٢٢ من هذه الرسالة .
(٢) انظر كتاب الأموال لأبي عبيد جـ ٤ ص ٧٢٧ .
(٣) جمع ظئر وهي المرضع ويطلق على الأب من الرضاعة أيضا . انظر لسان العرب من ص ٦٣٩ .
(٤) انظر كتاب الأموال لأبي عبيد جـ ٤ ص ٧٢٧ ـ ٧٢٩ .
(٥) المصدر السابق المكان نفسه .
(٦) المصدر السابق المكان نفسه .
(٧) انظر كتاب الأموال / لأبي عبيد جـ ٤ ص ٧٢٧ ـ ٧٢٩ .

يستطع ايصالها الى بيت مال المسلمين في وقتها فالأولى أن يبقيها أمانة عنده حتى تحين أول فرصة فيدفعها الى مستحقيها لأن دفعها الى الحربي يترتب عليه ضرر في حق الاسلام والمسلمين بخلاف تركها عنده ، فلا يترتب على ذلك من الضرر بمثل ضرر دفعها الى غير مستحقها ، أما غير المحارب ، من المسالمين وأهل الذمة وأهل العهد ، فإن المسلم اذا وجبت عليه الزكاة ولم يجد من المسلمين من يستحقها وتعذر ايصالها الى بيت المال بطريق لا يكلفه ما يشق عليه في العادة والعرف جاز له عند ذلك دفعها الى الفقراء من هؤلاء ولا يلزمه ذلك ، فلو كان المسلم بإحدى الدول الكافرة كمثل الطلبة المبتعثين ثم حل وقت زكاة ماله أو بدنه فدفع الى من يثق به في البلاد الاسلامية مبلغا من المال الذي هو زكاة ماله ليوزعه على فقراء المسلمين لكان أولى وأفضل من توزيعه على فقراء الكفار وكذلك زكاة بدنه لو أرسل نقوداً يُشْتَرى بها طعاماً في بلاد المسلمين وتوزع على فقراء المسلمين فذلك اولى لأن العلة في صدقة الفطر هي اغناء الفقراء عن السؤال في يوم العيد[1] . والفقراء المطلوب فرحتهم ومنفعتهم هم فقراء المسلمين دون فقراء الكفار ، فلو أوصى المسافر الى بلاد الكفار أو أناب عنه من يقوم بتوزيع الزكاة الواجبة عليه في حينها لكان جائزا كما أعتقد حيث أن ذلك ينسجم مع منهج الاسلام في اليسر والسهولة على المسلمين قال تعالى : ﴿ **ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم** ﴾[2] .

أما اعطاء المال للكفار من غير الزكاة ، فالآثار تدل على جواز ذلك . وقد تقدم ذكر بعض الأدلة على هذا الموضوع ومن الأدلة الإضافية ما جاء في السير الكبير وشرحه : أنه لا بأس أن يصل المسلم قريبه المشرك

---

(١) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٤ ص ٢٥٨ .

(٢) سورة المائدة آية (٦) .

لحديث سلمة بن الأكوع (رضي الله عنه) قال صليت الصبح مع النبي ﷺ فقال : هل أنت واهب لي ابنة أم فِرْقَة* ؟ قلت نعم . فوهبتها له فبعث بها الى خاله حزن بن أبي وهب وهو مشرك وهي مشركة[1] . وقد عقد البخاري في صحيحه باب الهدية للمشركين[2] . وذكر قول الله تعالى : ﴿ **لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم أن الله يحب المقسطين** ﴾[3] . وقوله تعالى : ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا** ﴾[4] . وحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) قال رأى عمر حلة على رجل تباع فقال للنبي ﷺ ابتع هذه الحلة ، تلبسها يوم الجمعة واذا جاءك الوفد فقال : إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة ، فأُتي رسول الله ﷺ منها بحلل ، فأرسل الى عمر منها بحلة فقال عمر : كيف ألبسها وقد قلت فيها ما قلت ؟ قال : إني لم أكْسُكَها لتلبسها ، تبيعها أو تكسوها . فأرسل بها عمر الى أخ له من أهل مكة قبل أن يسلم[5] . ومثل هذا الحديث حديث أسماء بنت أبي بكر (رضي الله عنهما) قالت : قدمت على أمي وهي مشركة في عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ قلت : إن أمي قدمت وهي راغبة . أفأصل أمي ؟ قال نعم صلي أمك[6] .

والذي يؤخذ من الآيات والأحاديث المتقدمة أن البر والصلة للأقرباء

أنظر شرح السير الكبير جـ ١ ص ٦٩ للسرخسي (ط ـ ١) .

(٢) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ٥ ص ٢٣٢ .

(٣) سورة الممتحنة آية (٨) .

(٤) سورة لقمان آية (١٥) .

(٥) رواه البخاري : انظر فتح الباري جـ ٥ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

(*) الفرقة بالكسر السقاء الممتلىء لا يستطاع يمخض حتى يفرق . انظر القاموس المحيط للفيروز أبادي جـ ٣ ص ٢٧٥ .

رواه البخاري . انظر فتح الباري جـ ٥ ص ٢٣٢ ـ ٢٣٣ .

من المشركين لا يستلزم المحبة والتوادد والموالاة المنهي عنها بحق الكفار في قوله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله** ﴾[1] . فإن هذه الآية عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل .

وقال الخطابي في ذلك أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه كما توصل الرحم المسلمة لكن تتميز الرحم المسلمة بالمحبة والمودة القلبية والرضا ، لأن المسلم قد تجرد من أقبح صفة يمكن أن يتصف بها انسان على وجه الأرض ألا وهي صفة الكفر[2] . ا.هـ

وقد قال جماعة من أهل العلم أن صلة القرابة من الكفار كانت مباحة في أول الدعوة ، ثم نسخت الصلة والمساعدة للكفار[3] . بقوله تعالى : ﴿ **فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد** ﴾[4] . ا.هـ

والذي أميل اليه في هذا الموضوع هو أن الله سبحانه وتعالى أباح للمسلم البر والصلة والمكافأة بالمعروف والعدل في التعامل مع المشركين خاصة اذا كانوا قرابة في النسب بشرط أن يكونوا غير محاربين لنا في الدين ولا مساعدين على حربنا واخراجنا من ديارنا بأية صورة من صور التعاون المذموم ، أما اذا كانوا محاربين لله ورسوله والمؤمنين فإن صلتهم محرمة ومساعدتهم جريمة وان كانوا من أقرب الناس نسبا قال تعالى : ﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون** ﴾[5] .

---

(١) سورة المجادلة آية (٢٢) .

(٢) انظر فتح الباري جـ ٥ ص ٢٣٤ .

(٣) المصدر السابق المكان نفسه .

(٤) سورة التوبة آية (٥) .

(٥) سورة الممتحنة آية (٩) .

وبناء على ما تقدم من توضيح وبيان فإن الدول المعاصرة التي تبذر أموال المسلمين على شكل اعانات وتبرعات ،وقروض طويلة الأجل وقروض بفوائد ربوية ، ترتكب جريمة كبيرة ، وتقترف اثماً عظيماً في حق نفسها وأمتها ودينها ، حيث تخالف بسلوكها هذا نهج الاسلام ونظامه في التعامل مع غير المسلمين . فكيف تدفع التبرعات السخية لمن يحارب الله ورسوله والذين آمنوا ، بينما أكثر الشعوب الاسلامية تعيش على تبرعات غير المسلمين ، ومن شدة فقرها وحاجتها فهل يكون أعداء الاسلام أرحم بفقراء المسلمين من أغنياء المسلمين أنفسهم ؟ ولماذا يؤثر أغنياء المسلمين بصدقاتهم وتبرعاتهم أغنياء الكفار على فقراء المسلمين ؟

إن الذين يؤثرون الكفار ببرهم واحسانهم على المسلمين يجازفون بسعادتهم وسعادة شعوبهم ، من أجل أن يرضوا أعداء الله وأعداء رسوله وأعداء المؤمنين ، وتلك غاية الموالاة للكفار ان الاحسان والبر وتقديم المساعدات الكبرى - بلا هدف إسلامي صحيح - لمن يحارب الله ورسوله والمؤمنين ، خيانة وذلة ونذالة لا يقدم عليها إلا من لا خلق له ولا دين .

فلقد اجمع المسلمون على تحريم بيع الأسلحة ونحوها لأهل الحرب لما يخشون من استخدامها ضد المسلمين[١] .

فكيف بمن يدعمون الدول والحكومات التي تعلن الحرب على الاسلام والمسلمين بالمال والبترول والولاء ، بينما أهل الحق الشرعي لا يجدون من يساندهم أو يساعدهم بكلمة تذهب عبر موجات الأثير فضلا عن المساعدات العينية .

ولا نريد أن نستطرد في ذكر الأمثلة على ذلك ، وإنما نشير الى ذلك إشارة سريعة للتأكيد على صحة ما نقول :

فقد عقد بنك البحرين الوطني ، والمؤسسة المصرفية المتحدة اتفاقا

(١) أنظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم / ابن تيمية ص ٢٣٠ - ٢٣٢ .

يقضي بتقديم قرض بقيمة (٥٠) مليون دولار لصالح البنك المركزي الفلبيني ، ومدة القرض ثمان سنوات بفائدة ربوية بواقع ١/٢ من ٠,٠١ نصف من واحد في المائة من قيمة القرض[١] .

وهذا القرض لو استعرضناه من وجهة النظر الاسلامية لوجدناه يشتمل على ثلاث جرائم كبرى ورئيسية هي كما يلي :

١ ـ الجريمة الأولى في هذا القرض هي مساعدة حكومة ماركوس الصليبي الحاقد على الاسلام والمسلمين والذي يقتل المسلمين صباح مساء في جنوب الفلبين بلا شفقة ولا رحمة[٢] . وهذا عمل محرم ، وتأييد ومناصرة لأهل الكفر على أهل الاسلام . قال الله تعالى : ﴿ **فلا تكونن ظهيرا للكافرين** ﴾[٣] وأي مظاهرة أشد من تقوية الكفار بالمال الذي سيحاربون به المسلمين .

٢ ـ الجريمة الثانية هي جريمة التعامل بالربا عن رِضى وعلم واختيار والربا محرم بنص الكتاب والسنة واجماع الأمة ، فأين محل هؤلاء من الاسلام ؟ وما هو الاسلام في عرفهم ؟

٣ ـ الجريمة الثالثة أن هذا التصرف خذلان للاسلام والمسلمين ، ففي الوقت الذي تمتد فيه يد هؤلاء بالملايين لأعداء الاسلام والمسلمين نجد أنهم يحجمون عن تقديم أي عون للمسلمين المسحوقين في ذلك البلد ، وهذا خلاف لما أمر الله به وأمر به رسوله ﷺ . قال تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان** ﴾[٤] .

---

(١) انظر مجلة المجتمع عدد (٥٣٦) في ١٤٠١/٩/١٣ هـ السنة الحادية عشرة ص ١٥ .
(٢) انظر ص ٨٤٥ ـ ٨٤٧ من هذه الرسالة .
(٣) سورة القصص آية (٨٦) .
(٤) سورة المائدة آية (٢) .

وقال الرسول ﷺ: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يخذله ولا يحقره»[1].

وأي خذلان للمسلم أعظم من إعانة عدوه عليه.

ومثل هذا التصرف اللامسؤول، ما قامت به حكومة الكويت حيث تبرعت بمبلغ اثني عشر مليوناً من الدولارات لإقامة مجمع رياضي في الهند، سوف يقام على مقابر المسلمين الذين انتهكت حكومة الهند حرمتهم أحياء وأمواتاً![2] فيا ليت الحكومة الكويتية دفعت هذا المبلغ لإقامة مساجد للمسلمين في الهند أو دفعت هذا المبلغ لدعم جامعة عليكرة الإسلامية التي تكاد تتوقف الدراسة فيها نظراً لضعف الموارد المالية لديها، أو دفعت هذا المبلغ لإيواء الأسر الإسلامية التي تشب وتشيب على أرصفة الشوارع في الهند.

إن ما حصل من البحرين والكويت والسعودية وغيرهما ما هو إلا قليل من كثير.. فإلى متى... تبقى دماء المسلمين وأجسادهم رخيصة و... يبقى مال المسلمين نهباً لغيرهم؟!!!

وقد تجاوز الأمر مسألة مساعدة الكفار المحاربين لله ورسوله والمؤمنين بالمال الإسلامي إلى بناء الأصنام من أموال المسلمين في بلاد الكفار.

فقد نشرت جريدة القبس الكويتية الصادرة في ١٩٨٠/٢/٣م خبراً تحت عنوان (مائة ألف دولار من الكويت مساهمة منها لبناء النصب التذكاري للمدعو (مارتن لوثر كنك) في مدينة واشنطن بالولايات المتحدة

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ٢ ص ١٠٨٠ رقم الحديث (١٥٧٢).

(٢) انظر مجلة المجتمع عدد (٥٢١) السنة الحادية عشرة في ١٤٠١/٥/١٨ ص ١٦.

الأمريكية)[1]. ا.هـ. فهل هناك مهزلة أو سخف أو غباء أو فقدان هوية أشد من ذلك؟ حتى تتبرع دولة من الدول المحسوبة على الإسلام فتبني صنماً وتقيم وثناً لأكبر كاهن نصراني صليبي، في أغنى دولة في العالم، بينما أطفال المسلمين يموتـون جوعـاً، ويعيش معظمهم حفـاة عراة يفتـرشون الجليد، ويلتحفون صقيع السماء في أفغانستان وبورما وبنغلاديش و الفلبين وسوريا ولبنان وايرتيريا، وغيرها من البلدان الإسلامية المنكوبة.

فهل (لوثر كنك) أهم من ألفي طفل مسلم باعهم الصليبيون في لبنان إلى جمعيات التنصير والتكفير في أوروبا وأمريكا ليصبحوا قسيسين ورهباناً للنصرانية في المستقبل القريب[2].

إن الأمر ليس أمر الكويت وحدها، وإنما يشاركها دول في مثل ذلك ولكنها قد تكون متميزة عن بقية دول المنطقة بأن لديها قدراً من الحرية الصحفية، بينما بقية الدول يجري فيها مثل ذلك أو أعظم من ذلك تحت جنح الظلام، فلا حول ولا قوة إلا بالله. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) انظر المصدر السابق المكان نفسه.
(٢) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٥٢١) في ١٨/٥/١٤٠١هـ. ص ١٦.

المثال الثالث
تمكين الكفار من استغلال أموال المسلمين

إن الإنسان لو ألقى نظرة على الدول العربية والإسلامية لرأى أن أهم مصادر دخلها هو البترول فهو المصدر الوحيد لمعظم الدول العربية والبترول ثروة ناضبة كما يؤكد ذلك أهل الاختصاص في هذا المجال.

فقد ذكر وزير البترول الكـويتي في تقريـر له في أحـد مؤتمرات الأوابك: «أننا لو أخذنا الاحتياطات النفطية خارج المناطق الشيوعية لوجدنا أن العالم لديه في نهاية سنة ١٩٧٨ م ١٣٩٨ هـ احتياطي نفطي مقداره (٨٥) بليون طن وعلى فرض أن معدل النمو الاقتصادي يمكن ابقاؤه عند حد ٣ ٪ في السنة وهي نسبة مشكوك في بقائها كثيراً، وعلى فرض وجود اكتشافات نفطية تبلغ بليون طن في السنة على مدى العشر سنوات القادمة، فإن كل احتياطي النفط المعروف في الوقت الحاضر زائد كمية النفط التي يمكن اكتشافها لا تكفي لاستهلاك العالم بين عامي ١٩٧٩ م - ٢٠٠٨ م - ١٣٩٩ هـ - ١٣٢٨ هـ - البالغ (١٠٠) بليون طن أي أن مجموع الاحتياط مع ما يمكن اكتشافه = ٨٥ + ١٠ = ٩٥ بليون واستهلاك العالم من البترول حسب الاحصائيات العالمية خلال الفترة المذكورة سوف يكون (١٠٠) بليون

طن أي بنقص خمسة بلايين طن عن الكمية الموجودة والمتوقعة[1].

ومسألة إنتاج النفط بكميات كبيرة رغم عدم الحاجة إلى ثمنه ورغم غلبة الظن في نفاذه، قد تكون مسألة غير اختيارية لبعض الدول، كما يقول المثل (مكره أخاك لا بطل) ولكن الأغرب من ذلك كله أن الدول النفطية لا تستثمر قيمة بترولها استثماراً صحيحاً فإن نظرة واحدة إلى الأرصدة العربية الموجودة في بنوك العالم تظهر الأموال الهائلة التي لا يستثمرها العرب المسلمون حق الاستثمار وهذه الأرصدة هي كما يلي:

١ ـ المملكة العربية السعودية	(٧٧) بليون دولار.
٢ ـ الكويت	(٣٨) بليون دولار.
٣ ـ الامارات وقطر	(٢٦) بليون دولار.

ويكون المجموع لهذه الأرصدة هو: (١٤١) بليون دولار[2].

وهذا التقدير قبل ثلاث سنوات أي قبل أن تقفز الأسعار إلى الضعف، ولكن السؤال لماذا لا تستثمر هذه الأموال لصالح الإسلام والمسلمين؟

إن واقع المسلمين لا يرقى إلى مستوى ما يملكون من ثروة فهم في فقر مدقع وتدهور مشين في جميع مجالات الحياة، فلا يملكون قوة عسكرية ضاربة، ولا مصانع إنتاجية كبيرة، ولا ثروة زراعية كافية. ولا طاقة بشرية علمية قادرة. مع أن المجال رحب وواسع لاستثمار هذه الأموال كلها في صالح هذه الأغراض فهناك مساحات شاسعة من الأراضي الخصبة في السودان والعراق وفي شمال أفريقيا؟ وأعالي النيل في مصر، إضافة الى

---

(١) انظر مجلة البلاغ العدد (٥١٣) في ١٣٩٩/١١/١٦ هـ من صفحة ٦ ـ ١٢.

(٢) انظر مجلة المجتمع عدد ٤٢٢ في ١٣٩٩/١/٥ هـ ص ١٧.

المساحات الهائلة من الأراضي الزراعية في باكستان وأفغانستان وأندونيسيا وماليزيا وبعض الدول المسلمة الأخرى وهذه الدول جميعها تملك امكانات زراعية لو عمل أصحاب الأموال على مساعدتها في تطويرها واستغلالها الاستغلال التام، لاستفاد الجميع وأفادوا معهم الإنسانية جمعاء، حيث يموت ثلاثون مليون طفل سنوياً من قلة الغذاء.

ثم إن ترك هذه الأموال في أيدي أعدائنا تقوية لهم ضدنا ووسيلة يستخدمونها للضغط علينا كما حصل مع إيران فالسعيد من وعظ بغيره.

والدول الغربية تتعامل معنا كما يتعامل المنشار مع الخشب فهي تستغلنا في بيعها علينا وشرائها منا وقد وضح هذه الحقيقة الدكتور/ عودة أبو بدينة نائب رئيس الخزانة في فرست ناشيونال بنك أوف شيكاغو حيث يقول: إن الدول المصدرة للنفط قد دعمت الميزان التجاري الأميركي بما يكفي للتغطية وإحداث فائض، وذلك من خلال الطرق التالية:

أولاً: من خلال الأرباح الفائضة للسلع التي تصدرها أمريكا إلى الدول النفطية.

ثانياً: من خلال أرباح الشركات النفطية الأمريكية في الشرق الأوسط.

ثالثاً: من خلال تدفق قيمة النفط إلى أسواق المال الأمريكية.

وعلى هذا فكل دولار دفعته أميركا ثمناً للنفط من بلدان الشرق الأوسط، يساوي بعد التحليل والمقارنة قيمة الأرباح للسلع والخدمات التي حصلت عليها الولايات المتحدة من الدول النفطية، فخلال الأعوام (١٩٧٧ م - ١٩٧٩ م) بلغت قيمة النفط الذي اشترته أمريكا (٧,٢) مليارات دولار وبلغت الأرباح عن الفترة نفسها (٨,١٥٥) مليارات دولار وقد أوضح هذه الحقيقة بالبيانات والأرقام الدقيقة والتفصيلية ولولا خشية الإطالة والخروج عن الموضوع لأوردنا تلك التفاصيل[١].

---

(١) انظر مجلة الاقتصاد والأعمال السنة الثانية العدد (١٨) - بيروت - لبنان ص ١٩ - ٢٠ .

وبعبارة موجزة فإن النفط يصل إلى قلب الولايات المتحدة بالمجان.
ومع ذلك كله فإن أمريكا والدول الغربية كافة لا تتعامل معنا على نحو يمكن أن يتكافأ مع ما نقدمه لهم من خدمات وما نتنازل عنه لهم من حقوق.

يقول الدكتور/ جاك شاهين أستاذ الاعلام في جامعة (الينوي) بالولايات المتحدة (إن معنى أن تكون عربياً في أمريكا، هو أن تكون مثاراً للسخرية من وسائل الاعلام، فالعرب دائماً محتقرون في القصص والأفلام السينمائية، والكتب المتحركة، والكاريكاتير والمجلات والصحف والكتب المدرسية)[1]. ا.هـ.

والعربي يظهر من خلال كل هذه الوسائل الشديدة الجماهيرية على أنه «المخرب الأحول ذو الأنف المعقوف، القذر، المقطب الحاجبين، المتخلف، المجنون جنسياً، الثري المتلاف، الشهواني الانتهازي، الطماع، البليد، الارهابي، الجاهل المركب.

ويقول الدكتور/ وليد خدوري مدير إدارة الاعلام بمنظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول في ندوة عقدت في لندن قبل عامين «إن من المسلم به أن العرب قد احتفظ لهم الغرب بصورة بائسة حتى خلال التاريخ الحديث»[2] ا.هـ.

وهذه النظرة الظالمة الجائرة تعكس موقفاً عدائياً متحيزاً بصورة متعمدة ومعادية لجميع البلاد الإسلامية.

وقد تخطوا جميع الأنظمة والقوانين الصادرة منهم بمنع الكتابات أو الرسوم ذات الصبغة العنصرية، وقد اعترف بهذه الحقيقة الدكتور/ جونتان

---

(١) انظر مجلة اليمامة العدد (٦٧١) السنة التاسعة والعشرون الجمعة ١٤٠١/١٢/١٨ هـ ص ٣ ـ ٧.
(٢) المصدر السابق المكان نفسه.

ديمبل أحد المشاركين في ندوة الصحافة الدولية عام (١٩٧٩ م)[١].

ونحن أوردنا هذه النقول لندحض حجج الذين يحسنون الظن بأعداء الإسلام والمسلمين، ولنقول لهم هـأنتم تفتحون لهم قلوبكم وبلادكم وتضحون لرضاهم بدينكم ودنياكم، وهم يسخرون منكم بأقوالهم وأفعالهم وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم، وتؤمنون بالكتاب كله وإذا لقوكم قالوا آمنا وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم إن الله عليم بذات الصدور﴾**[٢].

إن الدول الإسلامية مطالبة اليوم بأن تكون على مستوى المسؤولية في تصرفاتها ومعاملاتها، وأن تستخدم قدراتها المالية والبشرية فيما يعود نفعه على الإسلام والمسلمين. قال تعالى: **﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ في الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين﴾**[٣].

إن الله عز وجل قد مكن لهذه الأمة وأعطاها من القدرات المعنوية والحسية ما يجعلها رائدة العالم في كل زمان ومكان ففي هذا العصر الذي تتباهى به الدول الصناعية الكافرة في الشرق والغرب نجد أن الله عز وجل قد حبا الدول الإسلامية، بأن يكون بيدها نصف إنتاج العالم من النفط حيث تنتج في السنة (١٤٦١) مليون طن من النفط وتصدر ثلثي مجموع صادرات الدول المنتجة للنفط في العالم[٤].

وهذا مما يقيم الحجة عليها في تبليغ الرسالة وتأدية الأمانة التي كلفها الله بها فهي وإن ضعفت في مجال الصناعة فقد عوضها الله عن ذلك في مجالات أخرى سهلة ميسرة حيث مكنها من السيطرة على أغلى مادة يحتاج

(١) المصدر السابق المكان نفسه.

(٢) سورة آل عمران آية (١١٩).

(٣) سورة القصص آية (٧٧).

(٤) انظر مجلة المجتمع عدد ٤٤٠ السنة العاشرة في ١٣٩٩/٥/١٣ هـ.

إليها الناس في العالم، فكان الواجب عليها أن ترعى حق الله في ذلك وأن تستخدم ما أوتيت من مال الله فيما يحبه الله ويرضاه ولكن الواقع بعيد عما يجب أن يكون فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

المثال الرابع
تمكين الكفار من الوظائف الهامة في البلاد الاسلامية

إن الأصل في منهج الدولة الاسلامية الحقيقية ، أن لا يتولى الوظائف الخاصة والعامة إلا أهل الاسلام ، لأن غير المسلمين قوم لا تؤمن خيانتهم ، فقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** ﴾[1] .

ولذلك قال جمهور العلماء : بأنه لا يستعان بالكافر عند وجود من يقوم مقامه من المسلمين ، وقد أصبحت هذه المسألة كقاعدة مطردة في حياة المسلمين السابقين[2] .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية (رحمه الله) : (لا يجوز أن يولّى

---

(١) سورة آل عمران آية (١١٨) .

(٢) انظر تفسير آيات الأحكام / محمد علي السايس جـ ٢ ص ٧ . وانظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ١٧٩ . وانظر الآداب الشرعية والمنح المرعية / محمد بن مفلح الحنبلي جـ ٢ ص ٤٦٢ ـ ٤٦٤ . وانظر مختصر الفتاوى المصرية / ابن تيمية ص ٥١٦ ـ ٥١٧ .

الكتابي شيئاً من ولايات المسلمين على جهات سلطانية ، ولا أخبار الأمراء ، ولا غير ذلك من المناصب الهامة ذات المساس بمصالح الأمة وقوتها)[1] . ا.هـ .

وقد روى الامام أحمد (رحمه الله) باسناد صحيح عن أبي موسى الأشعري (رضي الله عنه) قال : قلت لعمر (رضي الله عنه) : (ان لي كاتباً نصرانياً) قال : مالك قاتلك الله ! أما سمعت الله يقول : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض** ﴾[2] . الا اتخذت حنيفاً مسلما قال : قلت :(يا أمير المؤمنين لي كتابته وله دينه) .

قال لا أكرمهم اذ أهانهم الله ، ولا أعزهم اذ أذلهم الله ولا أدنيهم إذ أقصاهم الله[3] .

وورد على عمر (رضي الله عنه) كتاب معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) أما بعد . يا أمير المؤمنين فإن في عملي كاتباً نصرانياً لا يتم أمر الخراج الا به ، فكرهت أن أقلده دون أمرك ، فكتب اليه عافانا الله واياك قرأت كتابك في أمر النصراني . أما بعد : فإن النصراني قد مات . والسلام[4] . يعني مراد عمر (رضي الله عنه) أنه لو قدر موت هذا النصراني فما كان معاوية صانعاً بعد موته فليصنعه الآن ، وهذا أمر من عمر (رضي الله عنه) لمعاوية (رضي الله عنه) بإبعاد النصراني وتولية غيره من المسلمين مكانه من غير مراجعة ، واخبار له بأن المسلمين في غنية عن اعداء الله في مثل هذه المهام ، ومثل ذلك ما رواه هلال الطائي عن وسق

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية / ابن تيمية ص ٥١٢ .

(٢) سورة المائدة آية (٥١) .

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية ص ٥٠ وانظر السنن الكبرى للبيهقي جـ ١٠ ص ١٢٧ كتاب آداب القاضي .

(٤) انظر احكام اهل الذمة لابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢١١ .

الرومي قال كنت مملوكاً لعمر (رضي الله عنه) فكان يقول لي أسلم فإنك إن اسلمت استعنت بك على أمانة المسلمين ، فإنه لا ينبغي أن استعين على أمانتهم ، من ليس منهم ، فأبيت فقال لا اكراه في الـدين . فلما حضرته الوفاة أعتقني فقال اذهب حيث شئت[1] . ويروى أنه كتب بعض عمال عمر (رضي الله عنه) اليه يستشيرونه في استعمال الكفار ، فقالوا : إن المال قد كثر ولا يحصيه إلا هم ، فاكتب الينا بما ترى ، فكتب اليهم : (لا تدخلوهم في دينكم ، ولا تسلموهم ما منعهم الله منه ، ولا تأمنوهم على أموالكم ، وتعلموا الكتابة فإنما هي حلية الرجال)[2] .

ثم قال : من كان قبله كاتب من المشركين ، فلا يعاشره ولا يؤازره ولا يجالسه ، ولا يعتضد برأيه ، فإن رسول الله ﷺ لم يأمر باستعمالهم ولا خليفته من بعده[3] . ا . هـ .

وروي أن عمر بن عبد العزيز (رضي الله عنه) كتب الى بعض عماله : (أما بعد : فإنه بلغني أن في عملك كاتباً نصرانياً ، يتصرف في مصالح المسلمين والله تعالى يقول : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين** ﴾[4] . فإذا أتاك كتابي هذا فادع حسان بن زيد ـ يعني ذلك الكاتب الى الاسلام ـ فإن أسلم فهو منا ونحن منه ، وإن أبى فلا تستعن به ، ولا تتخذ أحدا على غير دين الاسلام في شيء من مصالح المسلمين . ا . هـ فأسلم حسان وحسن اسلامه[5] .

ويروى أن عمر (رضي الله عنه) كتب الى أبي هريرة (رضي الله

---

(١) أحكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ٣٧ .
(٢) انظر أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢١١ .
(٣) انظر أحكام أهل الذمة / ابن قيم الجوزيةجـ ١ ص ٢١١ .
(٤) سورة المائدة آية (٥٧) .
(٥) المصدر السابق جـ ١ ص ٢١٤ .

عنه) كتاباً جاء فيه (وأبعد أهل الشرك وأنكر فعالهم ، ولا تستعن في أمر من أمور المسلمين بمشرك ، وساعد على مصالح المسلمين بنفسك[1] .

وعن عمر (رضي الله عنه) قال : (لا تستعملوا أهل الكتاب فإنهم يستحلون الرُّشا ، واستعينوا على أموركم وعلى رعيتكم بالذين يخشون الله تعالى ، وقيل لعمر (رضي الله عنه) : أن ها هنا رجلاً من نصارى الحيرة لا أحد اكتب منه ولا أخط بقلم أفلا يكتب عنك ؟ فقال : لا اتخذ بطانة من دون المؤمنين[2] . فعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كان يحسن معاملتهم ولا يستعين بهم في اعمال المسلمين[3] .

وقد أمرنا الله عز وجل على لسان رسوله ﷺ باتباع سنة الخلفاء الراشدين حيث قوي عنه ﷺ أنه قال (فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ)[4] .

فمما تقدم نستنتج أن توظيف الكفار في بلاد المسلمين كان في بداية الأمر نادراً وقليلا جدا ، وكان أمراً مستنكراً إلا عند الضرورة القصوى ، رغم أن الكفار كانوا يعملون بصفة أجراء مستخدمين أذلاء مستصغرين أمام المسلمين ، ولكن المسلمين مع ذلك كانوا يستعظمون هذا الأمر ، فقد أنكر علي بن عيسى[5] على ابن الفرات تقليده ديوان الجيش لرجل نصراني

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٢١٢ .

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ١٧٩ .

(٣) انظر ظهر الاسلام / احمد امين جـ ١ ص ٨٣ .

(٤) رواه ابن ماجه عن عبدالله بن مسعود ، وأبو داود والترمذي من رواية العرباض بن سارية وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح . انظر جند الله ثقافة وأخلاقا / تأليف سعيد حوى ص ١٤٠ . وانظر ص ٦٤٩ من هذه الرسالة .

(٥) يوجد علي بن عيسى بن عبيد الله (أبو الحسن) النحوي المعروف بالرماني ، ولد سنة (٢٩٦ هـ) وكانت له يد طولى في النحو واللغة ، والمنطق والكلام وله تفسير كبير ، وتوفي سنة (٣٨٤ هـ) ولا أدري هل هو المقصود أم لا ؟ حيث أنه كان في سن السادسة =

فقال : (ما اتقيت الله في تقليدك ديوان الجيش رجلا نصرانيا ، وجعلت أنصار الدين وحماة العقيدة والبيضة يقبلون يده ويمثلون أمره)[1] وللمهدي عامل نصراني تجاوز حدوده ، فاستدعاه بعض المسلمين الى القاضي سوار بن عبدالله وحضروا لديه ، وبعد الأدلاء بالأقوال طلب البينة فشهدت على النصراني وتعديه منهج الحق ، ثم خرج النصراني وعاد بكُتاب المهدي الذي سبق أن اعطيه ، فدخل المسجد هو وجماعة من النصارى ثم تجاوز الجالسين وحاول الخدم منعه فأبى حتى حضر امام سوار بن عبدالله فدفع اليه الكتاب فرماه سوار ولم يقرأه ، وقال ألست نصرانياً ؟ فقال : بلى . أصلح الله القاضي . ثم رفع سوار رأسه وقال جروه برجله خارج المسجد وأقسم أن لا ينظر له في شيء حتى يوفي المسلمين حقوقهم ، فقال كاتب القاضي : قد فعلت اليوم أمراً يخشى أن يكون له عاقبة . فقال : أعز أمر الله يعزك الله[2] .

وفي عهد المهدي قويت شوكة أهل الذمة قليلا ومكنهم من بعض المناصب التي هي بالقياس الى ما يحصل في زماننا شيء لا يذكر ، ولكن المسلمين في ذلك الوقت لقوة الايمان لديهم وشدة حساسيتهم للمنكر ـ استعظموا ذلك ، فاجتمع بعض الصالحين ثم ذهبوا الى المهدي وأنشد أحدهم عند الخليفة هذه الأبيات :

بأبي وأمي ضاعت الأحلام ... أم ضاعت الاذهان والأفهام
من صد عن دين النبي ﷺ محمد ... أله بأمر المسلمين قيام
الا تكن أسيافهم مشهورة ... فينا ، فتلك سيوفهم أقلام

= عشرة عندما توفي ابن الفرات . انظر البداية والنهاية / لابن كثير جـ ١١ ص ١٥١ . وانظر جـ ١١ ص ٣١٤ .

(١) انظر ظهر الاسلام / احمد أمين جـ ١ ص ٨٣ .
وانظر كتاب الوزراء / للصابي ص ٩٥ .

(٢) أحكام أهل الذمة / ابن قيمة الجوزية جـ ١ ص ٢١٧ .

فكتب الى جميع عماله أن لا يتركوا أحداً من أهل الذمة يكتب عند أحد منهم[1] .

وقد ذكر المؤرخون والعلماء أن من فضائل هارون الرشيد أنه ما قلد أحداً من أهل الذمة منصباً يضار المسلمون من خلاله ، فقد قلد الفضل بن يحيى أعمال خرسان ، وجعفرا أخاه ، ديوان الخراج ، ولذلك عُمِرت المساجد والجوامع وأقيمت الصهاريج وأماكن السقيا ، وجعلت الدواوين لليتامى والعجزة ولو مكن لأهل الذمة لما حصل شيء من ذلك[2] .

وفي عهد المأمون كان يحضر مجلسه يهودي ، فأتى أحد الشعراء المسلمين وأراد أن يوقع بهذا اليهودي ، أو يسلم ، فأنشد أبياتاً منها :

يا ابن الذي طاعته في الورى وحكمه مفترض واجب
إن الذي عظمت من أجله يزعم هذا انه كاذب

فالتفت المأمون الى اليهودي وقال : أصحيح ما يقول ؟ قال نعم ، فأمر بإبعاده ، وقيل بقتله[3] .

وفي عهد المتوكل حج المتوكل في إحدى السنوات فسمع بعض رجاله رجلا يطوف بالبيت ويدعو على المتوكل علناً فأخذه الحرس ، وجاءوا به سريعاً اليه ، فقال ما حملك على ما صنعت ، فقال والله يا أمير المؤمنين ، ما قلت الذي قلته الا وقد أيقنت بالقتل ، ولكن اسمع كلامي وأمر بقتلي بعد ذلك ان أردت ، فقال : قل . فقال : سأطلق لساني بما يرضي الله ورسوله ، ويغضبك يا أمير المؤمنين ، قد اكتنفت دولتك ، كتَّاب

---

(١) المصدر السابق ص ٢١٦ .

(٢) انظر أحكام أهل الذمة / ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢١٧ . وانظر أحداث سنة (١٩١ هـ) في البداية والنهاية / لأبن كثير جـ ١ ص ٢٠٦ وتاريخ الطبري جـ ١٠ ص ١٠٠ (ط الحسينية) .

(٣) أحكام أهل الذمة / ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢١٩ .

من أهل الذمة ، أحسنوا الاختيار لأنفسهم وأساؤا الاختيار للمسلمين وابتاعوا دنياهم بآخرة أمير المؤمنين ، خفتهم ولم تخف الله ، وأنت مسؤول عما اجترحوا وليسوا مسؤولين عما اجترحت ، فلا تصلح دنياهم ، بفساد آخرتك ، فإن أخسر الناس صفقة يوم القيامة ، من أصلح دنيا غيره بفساد آخرته ، واذكر ليلة تتمخض صبيحتها عن يوم القيامة ، وأول ليلة يخلو فيها المرء بقبره ليس معه الا عمله ، فبكى المتوكل الى أن أغشى عليه ، ثم أمر بازالتهم[1] . وأما الخليفة المقتدر بالله فإنه في سنة خمس وتسعين ومئتين عزل كتّاب النصارى وعمالهم، وأمر أن لا يستعان بأحد من أهل الذمة[2] . حتى أنه أمر بقتل أبي ياسر النصراني عامل مؤنس الحاجب لتعديه على حقوق المسلمين .

وكذلك الخليفة الراضي بالله كثرت الشكايات من أهل الذمة في زمانه ومن الذين شكوا الشاعر مسعود بن الحسين الشريف البياضي حيث يقول :

يا ابن الخلائف من قريش والأولى ... طهرت أصولهم من الأدناس
قلدت أمر المسلمين عدوهم ... ما هكذا فعلت بنو العباسي
حاشاك من قول الرعية أنه ... ناس لقاء الله أو متناسي
مالعذر إن قالوا غدا هذا الذي ... ولّى اليهود على رقاب الناس
ما كنت تفعل بعدهم لو أُهلكوا ... فافعل وعدّ القوم في الأرماس[3]

وفي عهد الخليفة المستنصر بالله زاد نفوذهم حتى بدأ يغبطهم بعض المسلمين على مناصبهم كما صور ذلك الشاعر الراضي بن البواب حيث يقول :

---

(١) انظر أحكام أهل الذمة / ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٢٢ .
(٢) انظر البداية والنهاية لابن كثير جـ ١١ ص ١٠٨ . وانظر احكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢٢٤ .
(٣) أحكام أهل الذمة جـ ١ ص ٢٢٥ .

يهـود هـذا الـزمـان قـد بلغـوا غـايـة آمـالـهـم وقـد مـلكـوا
العـز فيهـم ، والمـال عنـدهـم ومـنهـم المـستشـار والـحكـم
يا أهل مصـر إني قد نصحت لكم تهـودوا كـي تنالـوا مـا ملكوا[١]

وقد ولَّى العزيز بالله نصرانيا اسمـه (عيسى بن نسطورس) كتابة الأموال ، واستناب بالشام يهوديا اسمه (منشا) فاعتز بولايتهما النصارى واليهود ، وأوذي المسلمون ، وقد عمد أهل مصر الغيورين على الاسلام والمسلمين ، فوضعوا دمية على شكل مجسم لأنسان ووضعوا بين يديه ورقة كبيرة كتبوا عليها (بالذي أعز اليهود بمنشا والنصارى بعيسى بن نسطورس وأذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتي) وأقعدوا تلك الدمية على طريق العزيز بالله ، فلما رآها أمر بأخذها ، وقرأ ما فيها ، ثم قبض على النصراني واليهودي فأودعهما السجن وأخذ منهما أموالاً كثيرة وأبعدهما وقراباتهما عن الحكم وكذلك فعل الحاكم بأمر الله)[٢] .

وقد الزم الملك الصالح صلاح الدين بن السلطان الملك النـاصر محمد بن الملك المنصور بن قلاوون أهل الذمة بالذلة والصغار ، وأمر أن لا يستخدم منهم أحد في الدواوين السلطانية ولا في شيء من الأشياء التي يمكن ان يكون عملهم بها مضراً على الاسلام والمسلمين ، وذلك خلال حكمه ما بين (٧٥٣ ـ ٧٥٥ هـ)[٣] .

وهذه المواقف كلها تؤكد بما لا يدع مجالا للشك أنه لا يجوز تمكين اليهود والنصارى من الوظائف والمهن التي يحققون من خلالها الاستعلاء على المسلمين ، تمشيا مع قول الله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم** ﴾[٤] .

(١) أنظر تاريخ الاسلام السياسي ـ د / حسن ابراهيم جـ ٤ ص ١٨٣ .
(٢) انظر ظهر الاسلام / احمد أمين جـ ١ ص ٨٢ .
وانظر البداية والنهاية / لأبن كثير جـ ١١ ص ٣٢٠ .
(٣) انظر البداية والنهاية / لأبن كثير جـ ١٤ ص ٢٥٠ .
(٤) سورة آل عمران آية (١١٨) .

وجميع الروايات المروية عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بطرقها المختلفة تؤكد الإلتزام بمعنى هذه الآية ، وتوصل هذا المفهوم بما لا يدع مجالا للشك أو التردد ، من أن الاستعانة بغير المسلمين لا تجوز الا عند الضرورة القصوى وبقدر ضئيل لا يشكل خطراً أو ضرراً على الاسلام والمسلمين وقد عد ابن تيمية الاستعانة بالنصيريين من اكبر الكبائر مع أنهم يدعون الاسلام : فكيف بالكفار الصرحاء الذين يعلنون كفرهم وعداوتهم للاسلام والمسلمين[1] . ا. هـ .

ولكن المسلمين قد تجاوزوا هذا الحكم كما تجاوزوا غيره من الأحكام الشرعية وتذللوا مع أعداء الله أكثر مما يجب لدرجة أن احد كتاب الغرب أنفسهم وهو (آدم متز) أحد مؤرخي الغرب يقول : (من الأمور التي نعجب لها كثيراً كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في أمور الدولة الاسلامية)[2] .

وهذا يدلنا على أن الدولة الاسلامية قد فتحت صدرها بكل رحابة لغير المسلمين وأشركتهم في ادارة شؤونها وهي تعلم أنهم يخالفونها في العقيدة والغاية ، وهذا الموقف هو أقصى درجات التعاون مع المخالفين في العقيدة والتسامح معهم ولكن ذلك كله ما كان يقابل من أهل الذمة بالاستحسان والاعتراف بالجميل بل كان البعض منهم يستغل هذا التسامح لتهييج روح الانتقام والتسلط على رقاب المسلمين وهذا ما حصل في الأيام الأولى من خلافة الآمر بأمر الله ، فقد كان أحد الذميين كاتباً للخليفة ، فآذى المسلمين واحتكر الوظائف والمصالح لأهل ملته ، وعندما أحس بتمركزهم وخوف انتقام المسلمين منهم جمع أبناء ملته وخطب فيهم قائلا : نحن ملاك هذه الديار وقد أخذها المسلمون منا وتغلبوا عليها واغتصبوها من أيدينا فنحن

---

(١) انظر مختصر الفتاوى المصري / لابن تيمية ص ٤٧٦ .

(٢) انظر كتاب الاسلام انطلاق لا جمود ـ د / مصطفى الرافعي ص ١٦ .

مهما فعلنا بالمسلمين من مكر وخديعة فهو قَبالَة* ما فعلوه بنا ، فجميع ما نأخذه من أموالهم وأموال ملوكهم حل لنا وبعض ما نستحقه عليهم[1] . هذه نظرة عامة أهل الكتاب الى المسلمين ، وهذا ما يطبقه أعداء الله في واقع المسلمين اليوم حيث نهبوا خيرات المسلمين المادية والمعنوية وفرقوا شمل الأمة الاسلامية وخططوا ويخططون للوقيعة بها في شتى المجالات وهذا الفعل إنما هو مصداق لقوله تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون** ﴾[2] . فنحن لم نعقل أمر الله في مقاطعة الذين كفروا والابتعاد عنهم ولذلك أصابنا ما حذرنا الله منه قال تعالى : ﴿ **كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون** ﴾[3] . إن واجب الحكومات والشعوب التي تدعي الاسلام إن كانت صادقة في دعواها ، أن تعمل على تقديم المسلمين وتفضيلهم على الكفار عند الاستقدام والتوظيف وذلك أمر واجب عقلا وشرعا ، ففي الشرع يقول الله عز وجل (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الأثم والعدوان ، واتقوا الله إن الله شديد العقاب[4] . وفي الحديث عن ابي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي ﷺ قال : (من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر مسلما ستره الله في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه . . .) الحديث[5] .

(*) أي مثل الدَّيْن عليهم نسترده منهم . انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٧١٩ .

(١) انظر أحكام أهل الذمة / ابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٢٧ .

(٢) سورة آل عمران آية (١١٨) .

(٣) سورة التوبة آية (٨) .

(٤) سورة المائدة آية (٢) .

(٥) رواه مسلم وانظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٥٨ .

وأما من حيث العقل فإن المسلم عندما يوفر فرصة العمل لأخيه فإنما يعينه على الحياة بوسيلة شريفة وهذا نـوع من التكافـل الاجتماعي بين المسلمين وثانياً أن المسلم عندما يستقدم للعمل أحد أخوانـه المسلمين فمعنى ذلك أنه لم يدخل في الأمة الاسلامية والمجتمع الاسلامي جسما غريبا على المسلمين في أقل الأحوال ، بخلاف من يستقدم الكافر فإنه إن لم يكن هذا عدوا لدودا لهذا الدين وهذه الأمة فأقل أحواله أنه غريب على المسلمين في عقيدته وأقواله وأفعاله يخشى فساده ولا يؤمن ضرره على الاسلام والمسلمين وما يتعلل به البعض من أن الكفار أحسن خدمة ، وأكثر أمانة وأقوى التزاماً بالعمل ومواعيده ، فالـرد أن هذه صفـات توجـد في المسلمين والكفار وهي مشتركة بين الناس جميعا ولكن تلك الصفات باعثها في المؤمن غير باعثها في الكافر ، فالكافر قد يتخذ تلك الصفات للدعاية لنفسه ولكفره وليخدع بها بعض الناس في التعامل كي يصل الى هدفه الحقيقي في استغلال الغير الى أبعد الحدود وبطريقة لا يشعر بها المُسْتَغَل أنهم يستغلونه ، أما المؤمن فإن الباعث للصفات الحسنة في نفسه هو مجرد الايمان بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبياً ورسولاً ، ولذلك اذا توفرت في المسلم صفة الايمان الحقيقي تـوفرت فيـه جميع الصفـات الحسنة لأن الأخلاق الكريمة من ثمار الإيمان الصحيح ومن علاماته ، فدور المسلم هو البحث عن اخوانه المسلمين الذين يجمعون بين القول والعمل والذين تظهر عليهم علامات الصدق والايمان فيجب عليه أن يأخذ باعتباره أساسا أن المعاملة مع غير المسلمين لا تجوز الا عند الضرورة القصوى ووفق شروط معينة لا تتوفر في عامة الكفار ممن يعملون في دار الاسلام وقد ورد في الأثر « من قلد رجلاً على عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى منه لله فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين »[1] .

فالواجب عند الاختيار هـو اختيار من هـو أقرب الى الله ورسـوله

---

(١) الحسبة في الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية / ابن تيمية ص ٨ .

والمؤمنين وفي الغالب لا يوجد كامل ، فيفعل خير الخيرين ويدفع شر الشرين ، ولهذا كان عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يقول : (اللهم أشكو اليك جلد الفاجر وعجز الثقة)[١] .

وعندما يتعذر على المسلم إحلال مسلم محل كافر بعد بذل الجهد واستفراغ الوسع فلا مانع من استخدام الكافر عند ذلك فإن الله عز وجل ما جعل علينا في الدين من حرج قال تعالى : ﴿ **لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ماكتسبت** ﴾[٢] . ولكنه بعيد جدا أن يبحث المسلم في المجتمع الاسلامي الكبير عن شخص ذي صفات ومواصفات معينة فلا يجده بين المسلمين حتى يضطر الى التعاقد مع الكفار ، الا اذا كانت تلك الصفات والمواصفات التي ينشدها يحرمها الاسلام ، فهو يلجأ الى غير المسلمين لأنها شبه مباحة في نظرهم ، ولأنهم لا يرون في فعلها غضاضة . ولا يتحرجون عن ارتكاب تلك الدنايا . في الوقت الذي يمتنع المسلم عن فعلها بكل عزة وإباء .

وبناء على ذلك فإن استعمال الكفار لا يجوز الا بشرطين :

١ ـ تعذر من يحل محل الكفار من المسلمين .
٢ ـ أن يؤمن جانبهم على الاسلام والمسلمين .

ولهذا يجوز للمسلمين أن يستخدموا الكفار في الوظائف التعليمية عند عدم وجود من يقوم مقامهم من المسلمين ولكن ذلك مشروط بعدم حصول الأذى للمسلمين في عقيدتهم وأنفسهم ، فلا بد أن تكون مادة العلم الذي يراد تعليمه، مادة مباحة، فلا يجوز تعليم الأشياء المحرمة سواء كان المعلِّم مسلماً أو كافراً مثل الغناء والرقص وضروب السحر والشعوذة وما الى ذلك ، وأن يكون المسلم أمينا مأموناً على أبناء المسلمين ، بحيث لا

(١) الحسبة في الاسلام أو وظيفة الحكومة الاسلامية / ابن تيمية ص ٨ .
(٢) سورة البقرة آية (٢٨٦) .

يستغل وجوده بين أبناء المسلمين لزرع الفسق والكفر في قلوب التلاميذ والدليل على جواز تعليم غير المسلم للمسلمين ما فعله النبي ﷺ مع بعض أسرى بدر حيث طلب من بعض الأسرى الذين لا مال لديهم ، أن يفدوا أنفسهم بأن يعلم الواحد منهم عشرة من غلمان المسلمين ويخلي سبيله[1] .

وقد يحتاج الانسان في طلب العلاج لبعض الأمراض المستعصية الى أن يذهب الى طبيب يهودي أو نصراني ، وذلك جائز وفق شروط معينة وهي أن يكون اليهودي أو النصراني خبيراً بهذه المهنة ثقة عند الناس مأموناً من عدم استغلال مهنته والدعوة الى المنكر ومحاربة الحق ، فإذا كان بهذه الشروط ولم يجد مسلماً يساويه في الدرجة والاختصاص جاز له أن يستطبه ، كما يجوز له أن يودعه المال عند الحاجة وأن يعامله في البيع والشراء[2] ، فقد استأجر النبي ﷺ ابن أريقط وهو رجل مشرك حين هاجر من مكة الى المدينة وائتمنه على نفسه وماله ، ولكنه مع ذلك كان أجيراً مستخدماً لا معيناً مكرما[3] . وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم ، وقد روي أن الحارث بن كلدة ـ وكان كافراً ـ قد أمرهم النبي ﷺ أن يستطبوه ، وهذا كله مشروط بأن لا يوجد طبيب مسلم على درجته من الطب ، فإذا وجد طبيب مسلم، فالمسلم أحق بمنفعة أخيه حيث أن قوة المسلم قوة لأخوانه وقوة الكافر قوة لأعدائه ، ومساعدة المسلمين لأعداء الله بما يقويهم على أهل الاسلام محرم عليهم[4] . ولكن يدفع أخف الضررين عند الحاجة الى ذلك في مثل هذه الصورة والله المستعان والهادي الى سواء السبيل .

---

(١) انظر البداية والنهاية / لابن كثير جـ ٣ ص ٣٢٨ .
(٢) انظر مختصر الفتاوى المصرية / ابن تيمية ص ٥١٦ ـ ٥١٧ .
(٣) انظر فتح الباري كتاب الأجارة جـ ٤ ص ٤٤٢ ح ٢٢٦٣ .
(٤) انظر مختصر الفتاوى المصرية ابن تيمية ص ٥٠٥ ، ص ٥١٦ ـ ٥١٧ .

المثال الخامس
توريث الكفار والنفقة عليهم من أهل الاسلام

لا يجوز شرعاً التوارث بين المسلم والكافر، فقد قال جمهور الصحابة والفقهاء ومنهم الأئمة الأربعة وغيرهم بأنه لا يجوز أن يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم لقول النبي ﷺ (لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم). حيث أن التوارث مبناه على الموالاة والمناصرة وليس بين المسلم والكافر موالاة أو مناصرة لاختلافهما في العقيدة وانما قد يكون بينهما على أحسن الأحوال مصاحبة بالمعروف لا ترقى الى درجة التوارث، التي هي خاصة بين المسلم وأقربائه من المسلمين في النسب وخالف في ذلك جماعة من أهل الفقه فقالوا في توريث المسلم من الكافر دون العكس، محتجين بما روي عن معاذ (رضي الله عنه) أنه ورث مسلما من يهودي محتجاً بأن رسول الله ﷺ قال: (الاسلام يعلو ولا يعلى عليه)[2] وربما روي عن النبي ﷺ أنه قال: (الاسلام يزيد ولا ينقص)[3].

(١) رواه البخاري. انظر صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٩٤ (باب الفرائض).

(٢) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٦ ص ٧٣ ـ ٧٤.

(٣) انظر فتح الباري شرح صحيح البخاري جـ ١٢ ص ٥٠.
وانظر احكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ١٠١.

وكذلك قياس الإرث على النكاح فنحن ننكح نساءهم، ولا ينكحوا نساءنا فكذلك يجب ان نرثهم ولا يرثونا)[1].

وقد ناقش أصحاب القول الأول أهل القول الثاني بأن الحديث المروي عن معاذ (رضي الله عنه) مراد به أن الاسلام يعلو بالحجة والبرهان فلا تعلق له بالأرث[2].

أما الحديث الثاني فالمقصود به من يرتد عن الاسلام لقلة من يرتد وكثرة من يسلم، أما قياس الأرث على النكاح فلا يصح فإن العبد ينكح الحرة ولا يرثها والنكاح مبني على قضاء الوطر والتوالد بخلاف التوارث فمبناه على الموالاة والمناصرة فلا يصح القياس على ذلك[3].

وفي رأينا أن قول الجمهور هو القول الراجح وهو عدم توريث الكافر من المسلم أو العكس وذلك لقوة أدلة الجمهور وسلامتها من المعارض الصريح، ولذلك يجب على القضاة في المحاكم الشرعية وأهل الولايات الاسلامية أن لا يورثوا أهل الردة من الشيوعيين والبعثيين والاشتراكيين والماسونيين ونحوهم من المرتدين. ولم يبق في مسألة التوارث بين المسلم والكافر الا مسألة واحدة هي الأرث بالعتق وهذه مسألة خاصة خلافية يمكن الرجوع اليها في الكتب المتخصصة في ذلك[4]. والله الهادي الى سواء السبيل.

أما مسألة النفقة :

فقد يظن البعض من الناس أن نفقة المسلم على أقربائه من الكفار

---

(١) انظر المغني / لابن قدامة جـ ٦ ص ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق جـ ٦ ص ٢٩٥.

(٣) انظر شرح النيل وشفاء العليل / محمد بن يوسف اطفيش جـ ٨ ص ٢٦١.

(٤) أنظر المغنى / لابن قدامة جـ ٦ ص ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

وصلته لهم ، أنها نوع من أنواع الموالاة ، كما قد يظن البعض الآخر أن منع النفقة عليهم وقطع الصلة بهم ، أنها نوع من أنواع المعاداة للكفار وحيث أن هذا الأمر قد يشكل على بعض المسلمين ، ونظرا لصلته الوثيقة بموضوع الولاء والعداء رأينا أن نبين رأي الشرع في هذه المسألة حتى يكون المسلم على بينة في تعامله مع أقربائه من غير المسلمين أو في نظرته لمن يتعامل مع غير المسلمين من الذين تربطهم رابطة القرابة ، فنقول : إن الفقهاء أختلفوا في موضوع النفقة على قولين :

القول الأول : قول جمهور من الحنفية والشافعية والمالكية والشيعة الأمامية والزيدية ، حيث يقولون ان اتحاد الدين ليس بشرط في وجوب النفقة بين القرابة ، وهم يستدلون بعموم الأدلة الدالة على وجوب النفقة قال تعالى : ﴿ **وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين احسانا** ﴾ الى قوله تعالى : ﴿ **فلا تقل لهما أفٍ ولا تنهرهما** ﴾[1] . فالانفاق عليهما حال فقرهما من أحسن وجوه الاحسان ، وإن التأذي بترك النفقة عليهما عند عجزهما أكثر من تأذيهما بكلمة أفٍ ، فكان النهي عن التأفيف نهياً عن ترك الانفاق من باب أولى .

وقال تعالى : ﴿ **وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا** ﴾[2] . وهذه الآية نزلت في الوالدين الكافرين ، وهل المعروف أن يترك الولد أبويه وهما في حالة عري وجوع شديد[3] . وبناء على هذا يجب على المسلم النفقة لأقربائه من الكفار .

القول الثاني : قول من يقول بعدم وجوب النفقة على المسلم لقرابته

---

(١) سورة الاسراء آية (٢٣) .
(٢) سورة لقمان آية (١٥) .
(٣) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام .

الكفار ، وهو قول الحنابلة[1] . ودليلهم قول الله تعالى : ﴿ **وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف . . وعلى الوارث مثل ذلك** ﴾[2] فوجب ان يكون من تلزمه نفقة غيره وارثاً له ، واختلاف الدين يمنع التوارث فيمنع النفقة .

لأن بين المتوارثين قرابة تقتضي كون الوارث أحق بمال المورث من سائر الناس فيجب أن يختص بوجوب صلته بالنفقة دونهم ، والنفقة بعد هذا وذاك من باب الصلة والمواساة فلا تجب مع إختلاف الدين[3] .

والراجح في ذلك هو قول الجمهور ، لقوة ما احتجوا به من أدلة على وجوب النفقة على المسلم لقراباته من أهل الذمة .

وأما ما احتج به الحنابلة من وجوب اتحاد الدين كشرط لوجوب النفقة ، فإن هذا في غير قرابة التولد ، أما القول بأن النفقة واجبة للمواساة والصلة ، فلا تجب مع اختلاف الدين . فالجواب أنها وجبت في هذه القرابة للجزئية ، وهذا المعنى لا يختلف باختلاف الدين ، وحتى اذا كان وجوب النفقة للمساواة والصلة ، فإن اختلاف الدين لا يمنع من الصلة[4] .

أما نفقة المسلم على قراباته من الكفار المحاربين ، سواء كانوا خارج دار الاسلام أو داخلها ، فإن بذل النفقة لهم لا يجب ولا يجوز ، الا بنية تأليفهم للاسلام ، ويدخل في ذلك الأقرباء الذين يعتنقون المبادىء الهدامة وينضمون الى الأحزاب الكافرة سواء كانت شيوعية أو بعثية أو اشتراكية أو ماسونية او صليبية أو وثنية أو نحو ذلك ، حيث أن المسلم منهي عن بر من يحارب الله ورسوله والذين آمنوا . قال تعالى : ﴿ **إنما ينهاكم الله عن الذين**

---

(١) انظر المغني والشرح الكبير جـ ٩ ص ٢٥٩ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٣٣) .

(٣) انظر المغنى / لابن قدامة جـ ٧ ص ٥٨٥ .

(٤) انظر الوصايا في الفقه الاسلامي / محمد سلام مدكور ص ٣٢٣ .

قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من ديـاركم وظاهـروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم منكم فأولئك هم الظالمون ﴾[1] .

والقريب المستأمن من يلحق بالحربي حكماً حيث أن النفقة هي من باب الصلة والبر ، فلا يستحقها الحربي وإن كان مستأمناً . وعلى هذا فلا تجب النفقة بين المسلم والمستأمن حتى في قرابة التوالد[2] .

فكيف حال من ينفقون على الكفار المحاربين لله ورسوله والمؤمنين وهم لا يرتبطون بهم في نسب ولا سبب مباح ؟ أليس مثل هذا التصرف موالاة للكفار ؟ يوجب غضب الله ومقته وعذابه لمن يصنع ذلك من أدعياء الاسلام ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) سورة الممتحنة آية (٩) .

(٢) انظر أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام - د / عبد الكريم زيدان ص ٤٧٦ .

المبحث الرابع

موالاة الكفار في الشؤون الحربية

وتحت ذلك ثلاثة فروع:

١ - الفرع الأول : الاستعانة بالكفار في القتال.

٢ - الفرع الثاني : الدخول في حماية الكفار.

٣ - الفرع الثالث : الاستعانة بسلاح الكفار.

الفرع الأول
الاستعانة بالكفار في القتال

إن المتتبع لآيات القرآن الكريم والسنة النبوية يجد من الآيات والأحاديث ما تدل دلالة قطعية على غش الكفار للمسلمين وعداوتهم لهم وخيانتهم لقضاياهم، وتمنيهم السوء للمسلمين ومسرتهم بذلك، وعداوتهم لله ورسوله، فمن والاهم وأعزهم وولاهم أمور المسلمين، فقد خالف ما أمر الله عز وجل بحقهم من وجوب الغلظة والشدة عليهم، ومن اعتقد فيهم النصح والاخلاص فقد كذب بما أخبر الله به عنهم من خيانة وغش وإرادة السوء بالمسلمين قال تعالى: **﴿ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾**[1]. وقال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾**[2]. وقال تعالى: **﴿ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً﴾**[3] فلا يجوز

(١) سورة آل عمران آية (٧٥).
(٢) سورة آل عمران آية (١١٨).
(٣) سورة النساء آية (٨٩).

الانخداع بما يظهره الكفار من صداقة وإخلاص حيث أنهم أعداء عقيدة لا ترجى مودتهم، وما يتظاهرون به من صداقة ونصح، فإنما هو لأغراض في أنفسهم، ولمصالحهم الخاصة، وللمكر والوقعية بالمسلمين كالأفعى ينخدع الجاهل برقبتها ونعومتها وفي فمها السم الزعاف، وهؤلاء الكفار كذلك فإن مبدأهم في التعامل مع المسلمين، أن لا إثم ولا خطيئة عليهم في خيانة المسلمين في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، بل يرون ذلك قربة وقصاصاً عما فعله المسلمون بأسلافهم في الشام ومصر والأندلس[1].

وقد حذرنا الله منهم، وبين لنا مواقفهم منا، ونظرتهم إلينا في التعامل والمعاملة، حتى نكون على بينة في معاملتنا لهم، فإن الاستعانة بهم في مصالح المسلمين بصورة غير شرعية، لون من ألوان موالاتهم وتوليهم، وقد بين الله عز وجل أن من تولاهم فإنه منهم، ولا يتم إيمان العبد بربه حتى يتبرأ منهم، فإن البراءة منهم، دليل على عدم موالاتهم، ومن قلدهم الوظائف الهامة والمناصب الكبرى في ديار الإسلام، فقد اتخذهم بطانة من دون المؤمنين، وخالف الأمر بوجوب كسر شوكتهم والشدة عليهم وإشعارهم بالصغار بين المسلمين حتى يسلموا فيعتزوا بالإسلام، أو تضيق بهم نفوسهم في المجتمع الإسلامي الطاهر النظيف، فيلحقوا بالكفار أمثالهم أو يبقون في وضع ضعيف مهين بحيث لا يشكلون خطراً على الإسلام والمسلمين، فإذلال الكفار من غير ظلم أو تعد لما شرعه الله لهم من حقوق، أمر مطلوب من كل مسلم قال تعالى: ﴿**أشداء على الكفار رحماء بينهم**﴾[2] وقال تعالى: ﴿**وليجدوا فيكم غلظة**﴾[3]. وقال تعالى: ﴿**حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون**﴾[4]. وهذا لا يتأتى مع توليتهم

---

(١) انظر ما قاله أحدهم في (أحكام أهل الذمة)/ لابن قيم الجوزية جـ ١ ص ٢٢٧.
(٢) سورة الفتح آية (٢٩).
(٣) سورة التوبة آية (١٢٣).
(٤) سورة التوبة آية (٢٩).

المناصب القيادية في الجيش وجعل الخبراء العسكريين والمستشارين منهم فإن معاملتهم بهذه الصفة تتنافى مع مقتضى الآيات المتقدمة في معاملة الكفار.

وقد اختلف العلماء في مسألة الاستعانة بالكفار في الحرب على قولين:

القول الأول: هو قول من قال بعدم جواز الاستعانة بالكفار في الحرب وهو مذهب المالكية[1]. وبه قال الإمام احمد (رحمه الله)[2] وقد استدل المانعون بعدد من الآيات والأحاديث هي كما يلي: -

١ - قول الله تعالى: ﴿**لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء**﴾[3]. قيل أنها نزلت في عبادة ابن الصامت (رضي الله عنه) فقد كان له حلفاء من اليهود فلما خرج النبي ﷺ يوم الأحزاب قال: له عبادة، يا نبي الله إن معي خمسمائة من اليهود، وقد رأيت أن يخرجوا معي، فاستظهر بهم على العدو فأنزل الله هذه الآية)[4].

٢ - قول الله تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون**﴾[5]. فقد رجع

(١) انظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن/ محمد علي الصابوني جـ ١ ص ٤٠٢ - وانظر تفسير آيات الأحكام/ محمد علي السايس جـ ٢ ص ٧.

(٢) انظر الأحكام السلطانية/ للقاضي أبي يعلى الحنبلي ص ٣٩، ٢٢٥.

(٣) سورة آل عمران آية (٢٨).

(٤) انظر تفسير آيات الأحكام/ محمد علي السايس جـ ٢ ص ٦. وانظر جامع البيان للقرطبي جـ ٤ ص ٥٨. وانظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن/ محمد علي الصابوني جـ ١ ص ٤٠٣. وانظر أحكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ٣٦ - ٣٧.

(٥) سورة ال عمران آية (١١٨).

القرطبي عدم جواز الاستعانة بالكفار حيث يقول: إن الله قد وضح لنا العلة في النهي عن اتخاذهم بطانة بقوله: ﴿لا يألونكم خبالاً﴾ ثم ختم الآية بقوله: ﴿قد بينا لكم الآيات إن كنتم تعقلون﴾ فهل نكذب بيان الله فيهم ونصدقهم فنقربهم ونتقرب إليهم[٤]. وفي زاد المسير قال القاضي أبو يعلى: هذه الآية دليل على أنه لا يجوز الاستعانة بالكفار في أمر من أمور المسلمين[٥].

٣ ـ قول الله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين﴾**[٣]. قال ابن خويز منداد، هذه الآية تضمنت مع مثيلاتها المنع من التأييد والانتصار بالمشركين ونحو ذلك[٤].

ويقول القرطبي أن الصحيح من مذهب الشافعي هو منع الاستعانة بالكفار في القتال[٥]. وهو ما ذهب إليه القرطبي أيضاً[٦].

وقد ذكر ان الشافعي علل ذلك بأنه طريق لأن يكون للكافرين على المؤمنين سبيلا[٧].

وأجاب من يرى الجواز بأن السبيل هو اليد وهي للإمام الذي استعان بالكفار[٨].

٤ ـ ومن الأحاديث ما روى مسلم في صحيحه عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: خرج رسول الله ﷺ قبل بدر، فلما كان بحرّة الوبر أدركه رجل

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ١٨٠.
(٢) انظر زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن الجوزي جـ ١ ص ٤٤٧.
(٣) سورة المائدة آية (٥٧).
(٤) انظر تفسير القرطبي جـ٦ص ٢٢٤.
(٥) انظر تفسير القرطبي جـ٦ ص٢٢٤.
(٦) المصدر السابق المكان نفسه.
(٧) انظر نيل الاوطار للشوكاني جـ٨ ص٤٤.
(٨) المصدر السابق المكان نفسه.

قد كان يذكر منه جرأة ونجدة ففرح أصحاب رسول الله ﷺ حين رأوه. فلما أدركه قال لرسول الله ﷺ: جئت لأتبعك، وأصيب معك قال له رسول الله ﷺ (تؤمن بالله ورسوله؟ قال لا . . قال (فارجع: فلن أستعين بمشرك) قالت: ثم مضى حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل. . فقال له كما قال أول مرة. فقال له النبي ﷺ كما قال أول مرة. قال: (فارجع فلن نستعين بمشرك). قال: ثم رجع فأدركه بالبيداء. فقال كما قال أول مرة (تؤمن بالله ورسوله؟). قال: نعم. فقال له رسول الله ﷺ (فانطلق)[1].

٥ ـ روى الواقدي أن خبيب بن يساف، كان رجلاً شجاعاً وكان يأبى الإسلام فلما خرج رسول الله ﷺ إلى بدر، خرج هو وقيس بن محرث، فعرضا على رسول الله ﷺ أن يخرجا معه، فقال (لا يخرج معنا رجل ليس على ديننا) فقال خبيب: قد علم قومي أني عظيم الغناء في الحرب فأقاتل معك للغنيمة قال: (لا، ولكن أسلم ثم قاتل)[2].

٦ ـ روى الإمام احمد عن خبيب عن عبد الرحمن عن أبيه عن جده قال أتيت رسول الله ﷺ وهو يريد غزواً أنا ورجل من قومي ولم نسلم، فقلنا إنا نستحي أن يشهد قومنا مشهداً لا نشهده معهم (قال أو اسلمتما) قلنا لا! (قال فلا نستعين بالمشركين على المشركين) قال فأسلمنا وشهدنا معه، فقتلت رجلاً وضربني ضربة وتزوجت بابنته بعد ذلك، فكانت تقول: لا عدمت رجلاً وشحك هذا الوشاح فأقول: لا عدمت رجلاً عجل أباك النار)[3].

القول الثاني: قول من جوَّز الاستعانة بالكفار عند الحاجة إلى ذلك

(١) صحيح مسلم جـ٣ ص ١٤٤٩ ـ ١٤٥٠ وسنن أبي داود جـ٣ ص ٧٥.

(٢) انظر صور من حياة الرسول (ص) ص ٣٢٥/ أمين دويدار. وانظر نيل الأوطار للشوكاني جـ٨ ص ٤٣.

(٣) مسند الإمام أحمد جـ٣ ص ٤٥٤. وانظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ٢ ص ١٠٢.

وهو قول جمهور الشافعية والحنابلة والأحناف[1]. وقد استدل أصحاب هذا القول بعدة أحاديث هي كما يلي: -

١ - ما روي أن قزمان خرج مع أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد وهو مشرك فقتل ثلاثة من بني عبد الدار حملة لواء المشركين حتى قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليأزر هذا الدين بالرجل الفاجر»[2].

٢ - وفي صلح الحديبية كان الرسول ﷺ قد بعث أثناء توجهه إلى مكة عندما كان بذي الحليفة عيناً له من قبيلة خزاعة إسمه بشر بن أبي سفيان ليأتيه بخبر أهل مكة، وبشر بن أبي سفيان كان مشركاً من قبيلة خزاعة، وفي هذا تأكيد لجواز الاستعانة بالمشركين، عند الطمأنينة إليهم[3].

٣ - وقد شارك في معركة أحد مع المسلمين مخريق بن ثعلبة اليهودي عقيدة وديانة العربي نسباً وعرقاً، وكان قتاله تنفيذاً للمعاهدة المبرمة بين النبي ﷺ وبين اليهود، فدعا اليهود إلى حمل السلاح مع المسلمين فقالوا اليوم يوم السبت، فأخذ سلاحه ولحق برسول الله ﷺ فقاتل حتى قتل، وقال إن أصبت فما لي لمحمد يصنع فيه ما شاء وكان له سبعة بساتين وقد جعلها رسول الله ﷺ أوقافاً بالمدينة[4].

٤ - إن النبي ﷺ قد استعان بيهود بني قينقاع وقسم لهم، واستعان بصفوان بن أمية في يوم حنين (قبل إسلامه) فدل ذلك على الجواز[5].

---

(١) انظر روائع البيان في تفسير آيات الأحكام من القرآن جـ ١ ص ٤٠٢ وأنظر تفسير آيات الأحكام/ محمد علي السايس جـ ٢ ص ٧. وانظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤٣، وانظر زاد المعاد/ لابن قيم الجوزية جـ ٢ ص ١٩٠، وانظر كتاب الإسلام انطلاق لا جمود/ د/ مصطفى الرافعي ص ١٦ وانظر الدرر السنية جـ ٧ ص ٣٧٦.

(٢) انظر نيل الاوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤٤، وانظر غزوة أحد/ محمد احمد باشميل ص ٢٢٨.

(٣) انظر فقه السيرة محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٥٢ وانظر زاد المعاد لابن القيم الجوزي جـ ٢ ص ١٢٣. وانظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤٥.

(٤) انظر غزوة أحد/ محمد أحمد باشميل ص ٢٢٦ - ٢٣١.

(٥) انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ ص ٢٢.

٥ ـ وعن ذي مخبر قال (سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستصالحون الروم صلحاً وتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم)[١].

(٦) وعن الزهري (أن النبي ﷺ استعان بناس من اليهود في خيبر في حربه فأسهم لهم)[٢].

وقد رد أصحاب هذا القول على أصحاب القول الأول القائلين بعدم جواز الاستعانة بالكفار بردود هي : ـ

أ . ـ إن أدلة النهي عن الاستعانة بالكفار منسوخة بفعل الرسول ﷺ وعمله كما تقدم ذكر ذلك[٣].

ب ـ إن القائلين بالجواز لم يذكروا أنه يجوز الاستعانة بالكفار مطلقاً وإنما قيدوا ذلك بشرطين هما: ـ

١١ ـ الحاجة إلى الكفار في حالة عدم وجود من يحل محلهم من المسلمين.

٢ ـ الوثوق بهم، وغلبة الظن على أمانتهم، وعدم مكرهم. أما بدون هذين الشرطين فلا تجوز الاستعانة بهم بحال من الأحوال وهذا هو الراجح، وعلى ذلك يحمل حديث عائشة (رضي الله عنها) المذكور في صحيح مسلم، ويحصل الجمع بين الأدلة أدلة المنع وأدلة الجواز)[٤].

= وانظر روائع البيان في تفسير القرآن جـ ١ ص ٤٠٢.
وانظر تفسير آيات الأحكام/ محمد علي السايس جـ ٢ ص ٧.
وانظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤٣.

(١) رواه أحمد وأبو داود. انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤٣.

(٢) رواه أبو داود في مراسيله. المصدر السابق نفس المكان.

(٣) انظر روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن. جـ ١ ص ٤٠٢، وانظر تفسير آيات الأحكام/ محمد علي السايس جـ ٢ ص ٧.

(٤) انظر المصدرين السابقين، من نفس المكان.

وقد نقل عن الشافعي (رحمه الله) ما يوافق هذا المعنى حيث روي أنه قال: (إن رأى الإمام أن الكافر حسن النية، حسن الرأي مأمون الجانب على المسلمين، وكانت الحاجة داعية إلى الاستعانة بـه جاز ذلـك وإلا فلا)[1].

ولعل هذا هو المتفق مع أدلة النهي وأدلة الجواز، إذ روي أنه ﷺ قبل معونة صفوان بن أمية يوم حنين، وهو مشرك، فتكون المسألة في ذلك داخلة تحت مفهوم السياسة الشرعية لمصلحة الدعوة الإسلامية[2].

والظاهر لي من الأدلة عدم جواز الاستعانة بالمشركين إلا عند توفر الشرطين المتقدمين وذلك لسببين: -

السبب الأول: إن الأحاديث التي استدل بها على جواز الاستعانة بالكفار لا تسلم من مقال أو توجيه يجعل العمل بها غير ملزم. فمقاتلة قزمان مع المسلمين لم يثبت أنه ﷺ أذن له بذلك في ابتداء الأمر، وغاية ما فيه، أنه يجوز للإمام السكوت عن كافر قاتل مع المسلمين[3].

وإما استعانته ﷺ ببشر بن أبي سفيان عينا له علىٖ قريش وهو مشـرك فإنما استعان به بما دون القتال، وهذه المسألة أقرب في الجواز من مسألة القتال والحرب[4].

وإما ما روي عن الزهري مـرسلاً، فـإن مراسيـل الزهـري ضعيفة والمسند فيه الحسن بن عمارة وهو ضعيف[5].

وإما استعانته ﷺ بابن أُبي من المنافقين فليس من قبيل الاستعانة

---

(١) انظر مغنى المحتاج جـ ٤ ص ٢٢١.

(٢) انظر فقه السيرة/ محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٩٠.

(٣) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤٥.

(٤) فقه السيرة/ محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٥٢.

(٥) انظر نيل الأوطار للشوكاني ص ٤٥.

بالكفار لأنه مظهر للإسلام، والمنافق يحكم عليه بحسب ظاهره والله عز وجل يتولى سره[1].

السبب الثاني: إن توجيه أدلة الجواز وأدلة المنع ممكن بإتباع الأوجه التالية: -

الوجه الأول: ما قاله الشافعي (رضي الله عنه) أن النبي ﷺ تغرس الرغبة في الذين ردهم، فردهم رجاء أن يسلموا فصدّق الله ظنه فيهم، وفيه نظر لأن قوله ﷺ (فارجع فلن نستعين بمشرك) نكرة في سياق النفي وهي تفيد العموم[2].

الوجه الثاني: قول الجماعة إن الاستعانة كانت ممنوعة، ثم رخص فيها قال: ذلك الحافظ في التلخيص، وعليه نص الإمام الشافعي[3].

الوجه الثالث: ما ذكر في البحر عن العترة وأبي حنيفة وأصحابه أنها لا تجوز الاستعانة بالكفار والفساق، إلا عندما يستقيمون على أوامر الوالي المسلم ونواهيه، واستدلوا بأن استعانته ﷺ بمن سبق ذكرهم إنما كانت بهذا الوصف، بمعنى أن يكون الكفار مأمورين منهين، لا آمرين ناهين[4].

أما استعانته ﷺ بالمنافقين فقد انعقد الإجماع على جواز الاستعانة بهم على الكفار، فقد استعان النبي ﷺ بابن أبي وأصحابه، وكذلك الاستعانة بالفساق على الكفار[5].

ومن هذا الباب الاستعانة بالفساق على البغاة حيث يرى الإمام الشوكاني جواز ذلك[6].

(١) انظر المصدر السابق نفس المكان.

(٢) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٤٣ - ٤٤.

(٣) المصدر السابق المكان نفسه..

(٤) المصدر السابق المكان نفسه.

(٥) المصدر السابق المكان نفسه.

(٦) المصدر السابق المكان نفسه.

الوجه الرابع: اشتراط بعض أهل العلم ومنهم الهادوية، أنها لا تجوز الاستعانة بالكفار والفساق، إلا إذا كان مع الإمام جماعة يستقل بهم في إمضاء الأحكام الشرعية، على الذين استعان بهم ليكون المستعان بهم مغلوبين لا غالبين، كما كان وضع المنافقين مع رسول الله ﷺ.

وبناء على ما تقدم فقد اشترط القائلون بجوز الاستعانة بالكفار شروطاً تجعل الاستعانة بالكفار عند الضرورة القصوى، وفي مجالات لا تؤثر في عقيدة الإسلام وحياة المسلمين وهذه الشروط كما يلي: -

١ - أن لا يوجد من المسلمين من يقوم مقام الكافر أو الكفار الذين يراد الاستعانة بهم.

٢ - أن يستعان بهم فيما دون القتال مع المسلمين كما هو رأي الجمهور[1].

٣ - أن يكون المستعان به من الكفار فيه نصح ونفع للمسلمين.

٤ - أن لا يستقل الكافر برأي أو مشورة، عن رأي أهل الحل والعقد من المسلمين، بل يكون تابعاً مأموراً، لا آمراً متبوعاً.

٥ - أن لا يكون للمشركين صولة ودولة يخشى منها التعاون مع من استعان بهم المسلمون من الكفار لضرب الإسلام وأهله.

٦ - أن يكون الكافر أو الكفار المستعان بهم مستخدمين أجراء لا أنصاراً مكرمين.

٧ - إن جاز على بعض الأقوال الاستعانة بالمشرك في حرب غيره من المشركين فلا يجوز بحال من الأحوال الاستعانة بالمشركين في حرب البغاة من أهل الاسلام[2].

---

(١) انظر فقه السيرة/ محمد سعيد رمضان البوطي ص١٩٠.

(٢) انظر الدرر السنية جـ٧ ص٣٧٦.

ولكن الناظر الى أحوال المسلمين اليوم يجد عكس ذلك تماماً حيث أن الكفار يقدمون على المسلمين في ديار الإسلام فهم المستشارون العسكريون والخبراء المنفذون، ولهم من الامتيازات العظيمة والتسهيلات الواسعة ما جعلهم يحصلون على تقدير مادي ومعنوي، لا يحصل عليه المسلم الذي يساويهم أو يتفوق عليهم علماً وعملاً، فبلاد المسلمين تكتظ بملايين النصارى واليهود وأهل الأوثان الذين يحملون جنسيات مختلفة وهم في حقيقة أمرهم جواسيس للأعداء وقد كشفت الحروب الثلاثة مع اليهود جوانب من ذلك[1].

بينما كثير من أهل الخبرة والمعرفة من المسلمين مهاجرون الى دول الغرب والشرق بسبب سوء المعاملة التي يتلقونها في داخل البلاد الإسلامية فواقع المسلمين عكس ما يجب أن يكون تماماً، حيث أنهم أذلاء في معاملة الكافرين أشداء في معاملة المؤمنين فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

---

(١) انظر كتاب كيف تحطمت الطائرات عند الفجر، وكتاب سقوط الجولان، تأليف/ خليل مصطفى/ ضابط استخبارات الجولان قبل حرب ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م.

الفرع الثاني
الدخول في حماية الكفار

يجوز للمسلمين أن يدخلوا في حماية غير المسلمين إذا دعت الحاجة إلى ذلك، سواء كان المجير من أهل الكتاب كالنجاشي إذ كان نصرانياً عند الهجرة إلى الحبشة ثم أسلم بعد ذلك، أو كان مشركاً كما حصل من المهاجرين إلى الحبشة عندما بلغهم، إن أهل مكة أسلموا، فاستخف ذلك الخبر منهم ثلاثة وثلاثين رجلاً فأقبلوا راجعين حتى إذا دنوا من مكة بأن لهم فساد ذلك الخبر، فلم يدخل أحد منهم إلا بجوار أو مستخفياً، وكان منهم عثمان[1] بن مظعون (رضي الله عنه) فقد دخل بجوار الوليد بن المغيرة فأنفذ جواره.

ودخل أبو سلمة بن عبد[2] الأسد في جوار أبي طالب لكونه ابن أخته بنت عبد المطلب، فتعرضت له قبيلة بني مخزوم وأبت أن تنفذ له جواره

---

(١) انظر ترجمته في أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٣ ص ٣٨٥ - ٣٨٧.
(٢) انظر ترجمته في المصدر السابق جـ ٥ ص ٢١٨.

وقالت لأبي طالب قد أمنعت منا ابن أخيك محمداً فما لك ولصاحبنا؟ فقال: إنه استجارني وإن أنا لم أمنع ابن أختي، لم أمنع ابن أخي: فقام أبو لهب فقال يا معشر قريش والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ما تزالون توثبون عليه في جواره من بني قومه والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد فتركوه مراعاة لأبي لهب[1].

وقد دخل الرسول ﷺ في حماية أبي طالب حتى توفي أبو طالب وهو قائم بذلك، ودخل الرسول ﷺ في حماية وجوار المطعم بن عدي بعد رجوعه من الطائف إلى مكة.

وهذا مشروط ـ بحكم البداهة ـ بأن لا يترتب على هذه الحماية أضرار بالدعوة الإسلامية، أو تنازل جزئي أو كلي عنها، أو تغيير لبعض أحكام الدين، أو سكوت على بعض المحرمات، فإن الرضا بمثل هذه الأمور من صميم الموالاة للكفار، فلا يجوز الدخول في مثل هذه الحماية التي يكون ثمنها التضحية ببعض أحكام الإسلام، والدليل على ذلك ما كان من موقف النبي ﷺ حينما طلب منه عمه أبو طالب أن يبقى على نفسه ولا يحمله مالا يطيق، فلا يتحدث عن آلهة المشركين بسوء، فقد وطن نفسه ﷺ إذ ذاك للخروج من حمايته، وأبى أن يسكت عن شيء مما يجب عليه بيانه وإيضاحه[2].

وكفار اليوم أشد خبثاً ومكراً من كفار الأمس، فلو طلب المسلمون الحماية والمساعدة من بعض الكفار ضد البعض الآخر، وأعطوهم على ذلك المنافع المتعددة والتسهيلات الكثيرة فهم لن يقفوا مع المسلمين موقف النجدة والمساعدة والحماية والرعاية أبداً، وقد جربت البلاد الإسلامية

---

(١) انظر: تحذير من ينتمي إلى الإسلام من الاحتماء بأعداء الملك العلام مخطوطة من ثلاث ورقات جمع علي بن أحمد السقاف سنة (١٢٩٩ هـ) بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (١١٥٠).

(٢) انظر فقه السيرة د/ محمد سعيد رمضان البوطي ص ١٠٢.

الدخول في معاهدات الحماية مع أوروبا وأمريكا، فكانت النتيجة لهذه الحماية الإستعمار وخراب الديار ونهب الثمار، وتجزئة البلاد الإسلامية ودخلت مصر في حماية مع روسيا فكانت النتيجة تجسس اليهود الروس على مصر وتثبيطهم حتى تمكن اليهود من إحداث الهزيمة النكراء على مصر عام ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م وصدق الله العظيم حيث يقول ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾.

والغرض من الدخول في حماية الدول الكبرى في عصرنا الحاضر، لا يراد به نصرة الإسلام والمسلمين، وإنما يراد به حماية المرتدين والمنافقين في داخل البلاد الإسلامية، من ضربات المسلمين المخلصين، والإبقاء على العملاء الذين يمنحون كامل ودهم وولائهم لأعداء الإسلام.

فالدول التي تخضع لحماية الغرب أو الشرق في العالم الإسلامي اليوم، إنما تفعل ذلك لحماية ما تمثله من ظلم وطغيان واستبداد فهي تدرك أنه ليس لها في المجتمعات التي تحكمها أي ولاء صادق سوى من فئة قليلة من النفعيين والمنافقين، ولذلك تلجأ هذه الدول إلى حماية الدول الكبرى كي تضمن بقاءها ولتحمي مواضع أقدامها من السقوط والإنهيار.

وأخوف ما تخافه الدول الكبرى وعملاؤها في الدول الصغرى هو الإسلام، ولذلك نرى أن أي تحرك إسلامي يتم رصده ومتابعته من أول وهلة، ويسعى العملاء مع أسيادهم لإجهاضه والقضاء عليه قبل أن يشتد عوده ويقوى على مقاومة الطغيان.

فما أن يحدث أي حدث في بلد - ما - إلا وَيُجْعَل المسلمون هم الضحية لذلك الحدث، ويسارع الكفار جميعاً من الداخل والخارج لتمزيق المسلمين والقضاء عليهم بكل ما أوتوا من قوة.

فهل ندرك حقيقة أعدائنا، ونتيقن أن الكفر ملة واحدة وأن الكفار بعضهم أولياء بعض، وأن المستجير بالكفار الكبار على الكفار الصغار

كالمستجير من الرمضاء بالنار؟

أم لا نزال نعلق الآمال الكاذبة في حماية الدول الشرقية أو الغربية للبلاد الإسلامية، وهي التي قد رأينا منها ما رأينا من تآمر وعدوان على الإسلام والمسلمين؟

ووالله لو صدق المسلمون مع الله وأخلصوا دينهم لله، وصدقوا مع أنفسهم ومع إخوانهم لما احتاجوا إلى الدخول في حماية رجل كافر فضلاً عن دول كافرة، ولما شعروا بالخوف والهلع الذي يزلزل الأرض من تحت أقدامهم قال تعالى: **﴿فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[1] وقال تعالى: **﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾**[2].

(١) سورة الأنعام آية (٤٨).
(٢) سورة الأحقاف آية (١٣).

الفرع الثالث

الاستعانة بسلاح الكفار

إن السلاح سلعة من السلع التجارية التي يجوز للمسلم أن يشتريها من المسلم أو الكافر، ولكن شراء السلاح من الكافر خاصة يجب أن لا يترتب عليه موالاة لأعداء الله أو مودة أو مناصرة لهم، فقد ذُكِرَ لرسول الله ﷺ أن عند صفوان بن أمية أدراعاً وأسلحة، فأرسل إليه - وصفوان يومئذ مشرك - وطلب منه تلك الدروع والأسلحة. فقال صفوان: أغصباً يا محمد؟!.. قال: "بل عارية: وهي مضمونة حتى نؤديها إليك" فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح[1].

ومما تقدم يتضح لي أن الإستعانة ببعض ممتلكات الكفار كالسلاح وأنواع المعدات والصناعات المختلفة، أمر جائز ولا خلاف بين العلماء في ذلك[2].

---

(١) انظر فقه السيرة د/ محمد سعيد رمضان البوطي ص ٢٩٨.

(٢) انظر زاد المعاد لابن قيم الجوزية جـ ٢ ص ١٩٠ - ١٩٢.

بشرط أن لا يجر ذلك إلى موالاة الكفار أو مودتهم، فنأخذ منهم السلاح بلا مودة أو محبة لهم، مثل ما أنهم يأخذون منا البترول وبقية السلع بأسعار رمزية ومع ذلك يعادوننا ويوالون أعداءنا فضلاً عن أن يقفوا منا موقف المسالم.

فلماذا نركع تحت أقدامهم؟ ونفتح لهم قلوبنا وبلادنا ليفسدوا فيها مقابل قطع من السلاح البالي الذي لا يسمن ولا يغني من جوع إلا ضد الضعفاء من المسلمين، في الوقت الذي هم يأخذون منا أكثر مما يعطونا ومع ذلك يضمرون لنا الحقد والكراهية والمكر والاستغلال، فإذا كنا لا نستطيع أن نستغني عن أسلحتهم وصناعاتهم في الوقت الحاضر، فلا أقل من أن نستغني عن محبتهم ومودتهم في حال كفرهم بالله، فإن الرسول ﷺ وهو أسوتنا وقدوتنا في الحياة أخذ من صفوان بن أمية السلاح وهو في مركز القوة والاستعلاء ولم يتعامل معه بصورة المستجدي الضعيف، وهكذا يجب أن نتعامل مع الأعداء.

ولكن الحاصل في وقتنا الحاضر أن كثيراً من الدول المنتسبة إلى الإسلام، إذا عقدت صفقة من الأسلحة مع إحدى الدول الكافرة، بادرت إلى ارسال مئات الشباب بحجة التدريب على هذه الأسلحة، فيعود أولئك المتدربون آلات تدير آلات، قد حطمت عقيدتهم ومسخت أخلاقهم وزرع في قلوبهم حب الكفر وبغض الإسلام، فيعودون أعداء لأمتهم وقوتهم ودينهم، فماذا استفادت الأمة من ذلك، اشترت السلاح من الأعداء ودفعت بالأيدي التي سوف تدير السلاح إلى العدو كي يصنعهم على عينه وهواه، فأصبحت الجيوش في معظم البلاد الإسلامية بمثابة قواعد عسكرية للأعداء، ولذا فإنه من الملاحظ على عامة الجيوش في البلاد الإسلامية أنها تقف دوماً في حماية الطغاة والمستبدين، وتزداد جرأة وشجاعة عندما يكون خصومها من المسلمين العزل، فصارت حالة المسلمين مع جيوشهم كحال القائل:

أعلمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني

وقد يسأل سائل ما هو البديل عن ذلك؟

والجواب كما يأتي في قضية الابتعاث[1] هو الاهتمام بنوعية الأفراد ونوعية التكوين الثقافي للأفراد بحيث يتم تحصين الأفراد علميا وخلقياً وفكرياً ضد مخططات الأعداء ومقاصدهم الخبيثة.

كما أنه يمكن استقدام الخبراء اللازمين للتدريب على الأسلحة لفترة محدودة وتحت إشراف دقيق يتم فيه توجيه الخبراء والمتدربين لتحقيق الهدف المنشود من شراء الأسلحة والتدريب عليها، وبذلك نضمن في أقل الأحوال سلامة الأفراد من أن ينفرد بهم الكفار، فيسيطروا على عقلياتهم وأخلاقهم سيطرة تامة كما هو حاصل في وقتنا الحاضر من معظم البلاد الإسلامية.

وإذا كانت بعض دول الكفر تحتكر أنواعاً من الأسلحة فلا تبيعها إلا بثمنين:

الثمن الأول: هو الموالاة لها على كفرها بالقول والفعل.

الثمن الثاني: هو نهب خيرات البلاد والعباد مقابل عدد من قطع السلاح التي لا تسمن ولا تغني من جوع، فإن واجب المسلمين أن يرفضوا التعامل بمثل تلك الصورة التي تنطوي على إستذلال الكفار للمسلمين، وأن يتعامل المسلمون مع الكفار من مركز القوة والعزة والأنفة والأباء قال تعالى. **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾**[2] فلا يجوز موالاة الكفار مقابل السلاح أو غيره. فلا يوالي الكفار من أجل سلاحهم أو الدخول في حمايتهم، أو قتالهم معه، إلا منافق ظاهر النفاق قال تعالى: **﴿فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا**

---

(١) انظر ص٧٨٧ - ٨١٣ من هذه الرسالة.

(٢) سورة المنافقين آية (٨).

دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾[1].

---

(١) سورة المائدة آية (٥٢).

المبحث الخامس

موالاة الكفار في الحقوق الجنائية

١ ـ الفرع الأول : قتل المسلم بالكافر.

٢ ـ الفرع الثاني : إهانة المسلم بما دون القتل تكريماً للكافر.

٣ ـ الفرع الثالث : الستر على جواسيس الكفار وحماية مجرميهم.

الفرع الأول

قتل المسلم بالكافر

إن موالاة ومناصرة المسلم لأخيه المسلم واجب شرعي، بشرط أن لا يترتب على ذلك معصية أو تعطيل حكم شرعي من أحكام الله، ولما كان قتل المسلم بالكافر يوحي بموالاة الكافر ومناصرته ضد المسلم، فقد وضحت السنة النبوية هذا الجانب، وتحدث الفقهاء عنه بما لا يتطلب زيادة لمستزيد.

فقد أجمع الفقهاء على أن المسلم لا يقتل بالكافر الحربي[1]. أما إذا كان ذمياً أو مستأمناً فقال جمهور الفقهاء بعدم القتل أيضاً[2]. وقد استدلوا بحديث (وأن لا يقتل مسلم بكافر)[3] وحديث «المؤمنون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم ألا لا يقتل مؤمن بكافر ولا ذو عهد في عهده، ومن أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة

---

(١) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٦١ (كتاب الديات).

(٢) بداية المجتهد / محمد بن أحمد القرطبي جـ ٢ ص ٣٩٩.

(٣) رواه البخاري. انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٦١.

والناس أجمعين»[1]. وروي أيضاً عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبي ﷺ قال: «لا يقتل مؤمن بكافر»[2].

ولهذا ذهب جمهور الفقهاء إلى أنه لا يقتل مسلم بكافر سواء كان الكافر ذمياً أو معاهداً، أما المحارب فلا خلاف فيه حيث أنه ليس له أي شبهة تجعل قتله ممنوعاً أو مؤاخذاً عليه، واستدل الجمهور على قولهم بأنه لا يجوز قتل المسلم بالكافر بالأدلة التالية:

١ - إن من شروط القصاص المساواة، ولا مساواة بين المسلم والكافر فالإسلام ينبوع الكرامة، والكفر ينبوع الهوان، قال تعالى: ﴿**لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون**﴾[3].

٢ - إن في إباحة دم الذمي والمستأمن شبهة قائمة لوجود الكفر المبيح للدم وعقد الذمة والعهد شيء عارض منع القتل مع بقاء العلة فمن الوفاء بالعهد أن لا يقتل المسلم ذمياً أو معاهداً، فإن حصل القتل لم يتجه القول إلى القود، لأن الشبهة المبيحة لتقتله موجودة ومع قيام الشبهة لا يلزم القول بالقود.

ولأن عصمة الدم وإيجاب القود على القاتل مشروط بالإسلام قال رسول الله ﷺ (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)[4] فذكر أن عصمة الدم هو الإسلام، وعليه فالكافر غير معصوم الدم فلا يقتص بالمسلم منه.

وخالف في ذلك الأحناف فقالوا يقتل المسلم قصاصاً بالذمي دون

---

(١) أخرجه أبو داود. انظر بداية المجتهد جـ ٢ ص ٣٩٩.
(٢) أخرجه أبو داود. المصدر السابق نفس المكان.
(٣) سورة الحشر آية (٢٠).
(٤) رواه مسلم انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٥٢، ٥٣.

المستأمن[1] وقد استدلوا بأدلة منها عموم آيات القصاص مثل قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾[2] وقوله تعالى: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ومن قُتِلَ مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا﴾[4] من غير فصل بين قتيل وقتيل ونفس ونفس ومظلوم ومظلوم.

ومن أدلتهم ما روى ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن عبد الرحمن البيلماني أن النبي ﷺ أقاد مسلماً بذمي وقال: (أنا أحق من وفى بذمته)[5] وقد ضعف البيهقي هذه الرواية[6].

وقال الجمهور أن هذا الحديث لو ثبت لكان منسوخاً، نظراً إلى أنه كان في قصة المستأمن الذي قتله عمرو بن أمية، وحديث (لا يقتل مؤمن بكافر) كان يوم الفتح[7].

وقال الأحناف أيضاً: إن حديث (وإن لا يقتل مسلم بكافر) يراد به غير المعاهد حيث أنه لفظ عام قد ورد ما يخصص المعاهد منه، وقد رجح هذا القول عبد القادر عودة[8]، واستدل الأحناف أيضاً أن المسلم تقطع يده إذا سرق مال الذمي، فوجب قتله إذا قتل، لأن حرمة دمه أعظم من حرمة ماله[9].

وقد أجاب الجمهور بأن ذلك قياس حسن لولا النص على عدم قتل

---

(١) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٦١.
(٢) سورة البقرة آية (١٧٨).
(٣) سورة المائدة آية (٤٥).
(٤) سورة الاسراء آية (٣٣).
(٥) انظر أحكام القرآن للجصاص جـ ١ ص ١٤١.
(٦) انظر السنن الكبرى للبيهقي جـ ٨ ص ٣٠ - ٣٤.
(٧) انظر التشريع الجنائي الاسلامي/ عبد القادر عودة جـ ١ ص ٣٣٩.
(٨) انظر أحكام القرآن للجصاص جـ ١ ص ١٤٤.
(٩) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٦٢.

المسلم بالكافر، وقالوا إن السرقة حق لله، ومن ثم لو أعيدت السرقة بعينها لم يسقط الحد ولو عفا المسروق منه، بخلاف القتل، والقصاص في القتل يشعر بالمساواة، ولا مساواة بين المسلم والكافر بخلاف القطع في السرقة فلا يشترط له المساواة.

ولا نريد أن نسترسل في مناقشة أدلة الطرفين مما قد يخرج بنا عن مقصود الرسالة في تحديد العلاقة والمعاملة بين المسلم الجاني والكافر المجني عليه في دار الإسلام، وما يجب أن يعرفه ويتخذه كل مسلم كي يحدد موقفه من ذلك بما يتفق مع نظرة الإسلام في هذه القضية، وخلاصة القول في ذلك هو أن المسلم إذا قتل ذمياً أو معاهداً، فينظر الحاكم المسلم والقاضي المسلم إلى الدوافع والأسباب التي دفعت إلى القتل هل هي في صالح الإسلام والمسلمين أم لمصالح شخصية ومنافع مادية، ثم ينظر كذلك إلى الذمي والمستأمن هل كانا قائمين بما يجب عليهما محافظين على العقد والعهد أم لا؟

فالذي يجب على المسلم القاتل للذمي أو المستأمن ليس حد قصاص وإنما هي عقوبة تعزيرية، تخضع للسياسة الشرعية[1].

فللحاكم المسلم العدل أن يعزر القاتل تعزيراً بما دون القتل، وأن يعامله بما هو أخف من ذلك مثل معاملة الكفار للكافر إذا قتل مسلماً، فغالب أحوالهم لا يوجبون القصاص على الكافر إذا قتل المسلم، فمن باب المعاملة بالمثل يترجح عدم جواز قتل المسلم بالكافر، عملاً بقوله تعالى: ﴿**وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به**﴾[2].

وإن كان الإسلام لا يبيح مجاراة الكفار في ظلمهم وغطرستهم بصفة عامة.

---

(١) انظر السياسة الشرعية لابن تيمية ص ١٤٦.

(٢) سورة النحل آية (١٢٦).

ومما تقدم يتضح أن قتل المسلم بالكافر ليس حداً لا تصح الزيادة فيه أو النقص منه، ولذلك عارض جمهور العلماء مسألة القصـاص في قتل المسلم بالكافر، للحديث الصحيح في ذلك (وألا يقتل مسلم بكافر)[1] والمرتد عن الإسلام كافر من جنس الكفار، فالذي ينتمي إلى الأحزاب الشيوعية، أو الأحزاب البعثية، أو الأحـزاب الإشتراكيـة، أو المنظمـات الماسونية، فإنه كافر ومرتـد لخروجـه من حزب الله إلى أحـزاب الكفر والضلال، ولذلك لو قتل المسلم واحدا ممن ينتمون الى تلك الأحزاب الكافرة، فإنه لا يعاقب باعتباره قاتلاً عمداً سواء قتل المرتد قبل الاستتابة أو بعدها، لأن كل جناية على المرتد هدراً ما دام باقياً على ردته[2].

ولكن للأسف الشديد ونظراً لغياب الحكومة الإسلامية الحقة فـإن المسلم اليوم لو قتل جاسوساً من جواسيس اليهود والنصارى أو راهباً من رهبانهم الذين ينشرون الفساد والإلحاد في بلاد الإسلام لأخذته السلطات الدخيلة على الإسلام والمسلمين، بالنواص والأقدام، ولقتلته بهذا الكافر المحارب لله ورسوله والمؤمنين، وكذلك الشأن لو قتل المسلم شيوعياً ينكر وجود الله ثم اقتيد إلى أحد المحاكم التي يتربع على مقاعدها بعض القضاة الذين لا هم لهم إلا التكسب والأجر الزهيد، لحاولوا بشتى الوسائل وبالشاذ من الأقوال أن يحققوا رغبة الحاكم في قتل المسلم بالكافر المرتد عن الإسلام، وهذا ليس من قبيل الإدعاء والتجني، بل هو الواقع، فعندما قُتِلَ أحد دعاة الشيوعية بالمغرب بأيدي مجهولة، عمدت السلطة إلى إلصاق التهمة بالمخلصين من المسلمين، وأجرت لهم، أو للبعض منهم محاكمات صورية كان من نتائج ذلك الحكم بالسجن المؤبد على بعضهم والبعض

---

(١) رواه البخاري، انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٦١ وصححه كذلك بعد تنقيح جميع طرقه، وتخريج الأحاديث المعارضة له في اللفظ والمعنى الشيخ ناصر الدين الألباني، حيث يرى وجوب العمل به وضعف ما ذهب اليه الحنفية من جواز قتل المسلم بالكافر بعد تضعيفه لجميع الروايات التي يحتجون بها. انظر سلسلة الأحاديث الضعيفة جـ ١ ص ٤٧٣ -٤٧٦.

(٢) أنظر التشريع الجنائي الاسلامي/ عبد القادر عودة جـ ١ ص ٥٣٤ ـ ٥٣٥.

الآخر شبه مؤبد، والبعض أودع السجن من خمس سنوات وهو لم يحاكم حتى محاكمة مزيفة[1].

كل ذلك إكراماً للشيوعية والشيوعيين أعداء الإسلام والمسلمين. إلا أنها ردة لا أبا بكر لها!!!

وحتى لا يتوهم أحد أن الإسلام يشجع على سفك دماء الغير بدون سبب مباح نقول: إن الإسلام عندما خفف العقوبة من القتل إلى ما هو دون ذلك، إنما نظر إلى شبهة الكفر المانعة من تكافؤ دم المسلم مع دم الكافر ولكن يجب على المسلم القاتل للذمي والمستامن عقوبة تعزيرية في الدنيا إذا كان الذمي والمستأمن ملتزمين بما يجب عليهما نحو الإسلام والمسلمين فقد وعد الله عز وجل من اعتدى على قتل معاهد سواء كان ذمياً أو مستأمناً بحرمانه من الجنة، إذا لم يتب عن ذنبه قال رسول الله ﷺ: (من قتل نفساً معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً)[2].

وهذا من حماية الإسلام للمعاهد الملتزم بالعهد سواء كان يهودياً أو نصرانياً، إذا كان في دار الإسلام، وقد روي أيضاً عن رسول الله ﷺ (ألا من قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله ورسوله، فقد خفر ذمة الله، ولا يرح رائحة الجنة، وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفاً)[3].

وهذان الحديثان يستدل بهما من يرى عدم جواز القصاص من المسلم

---

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٣٤) السنة التاسعة في ٣٠/٣/٩٩هـ. ص ١٧ وعدد (٤٨٥) السنة الحادية عشرة في ٣/ ٨/ ١٤٠٠ هـ. ص ٦٠٤، وعدد (٤٨١) السنة الحادية عشرة في ٥/ ٧/ ٤٠٠ هـ ص ١٣، ص ١٦ ـ ١٨.

(٢) رواه البخاري. انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٥٩.

(٣) رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح. انظر سنن الترمذي جـ ٢، ص ٤٢٩، (باب الديات) رقم الحديث (١٤٢٤).

بالكافر، للاقتصار في أمره على الوعيد الأخروي دون الدنيوي[1]. وقد رجح ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) في مختصر الفتاوى المصرية[2].

والذي يظهر لي أن الأولى عدم جواز قتل المسلم بالكافر أياً كان نوع الكافر للحديث الصحيح الوارد في ذلك ولعدم تكافؤ المسْلم مع الكافر بسبب الكفر، وإن كان هذا الموضوع بجملته من العقوبات التعزيرية التي هي متروكة للحاكم والقاضي إذا كانا عدلين مسلمين فلهما النظر في ذلك من منظار السياسة الشرعية، وما يحقق المصلحة العامة للإسلام والمسلمين ولكن أين من ينظر إلى مثل هذه الموضوعات من الحكام والقضاة بمنظار الإسلام؟

فلا حول ولا قوة إلا بالله.

---

(١) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٦٠.

(٢) انظر مختصر الفتاوي المصرية/ ابن تيمية ص ٤٦٥.

الفرع الثاني

إهانة المسلم بما دون القتل دفاعاً عن الكافر

ذكرنا فيما سبق حكم القصاص من المسلم إذا قتل كافراً وبينا الحكم والراجح في ذلك، وفي هذا الفرع نتناول مسألة اعتداء المسلم على الكافر بما دون القتل، من لطم أو شجاج أو تجريح بالكلام أو نحو ذلك، وهل يجب على المسلم القصاص أو التعزير كما لو اعتدى على مسلم مساوي له سواء بسواء؟ أم أن التعدي على الكافر ينظر إليه باعتبار آخر لما فيه من صفة الكفر؟

والجواب على ذلك أن اعتداء المسلم على الكافر الذمي أو المستأمن من أجل مصلحة دنيوية أو حقوق مادية موجب للقصاص والتعزير على العقوبات التي تدخل في هذا الباب. وهذا ما ذهب إليه الإمام أبو حنيفة حيث يرى أن المسلم والكافر يكافىء بعضهم البعض الآخر مادام الكافر معصوم الدم بعهد أو أمان.

إلا أنه يرى القصاص مطلقاً، أما الشافعي وأحمد فيرون القصاص فيما دون النفس فقط. وخالف في ذلك الإمام مالك حيث يرى أنه لا

قصاص بين المسلم والكافر حتى فيما دون القتل فلو قطع مسلم يد كافر فلا يقتص من المسلم لإنعدام التكافؤ، لأن القصاص فيما دون النفس يقتضي المساواة بين الطرفين ولا مساواة بين المسلم والكافر[1].

أما إذا اعتدى المسلم على الكافر الذمي أو المستأمن بسبب تطاولهما على الله ورسوله ودين الإسلام، فقام المسلم بتغيير ما صدر منهم من المنكر بالقول أو الفعل أو بهما معاً، وأدبهم على ذلك بضرب ونحوه وهو غير متجاوز في العقوبة ما يجب عليهم أصلاً من عقوبة تجاه هذا المنكر فإن المسلم في هذه الحالة لا يعاقب على ما صدر منه بحق الذمي أو المستأمن، مادام أن ما صدر منه إنما كان بدافع تغيير المنكر الذي رآه بيده، فإن من حق كل مسلم أن يغير المنكر الذي يراه بيده أو قوله أو بقلبه عند أضعف درجات الإيمان، كما ورد في صحيح مسلم «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده. فإن لم يستطع فبلسانه. فإن لم يستطع فبقلبه. وذلك أضعف الإيمان»[2]. سواء كان هذا المنكر صادراً من مسلم أو معاهد أو ذمي، مادام هذا المنكر غير مباح أصلاً في حق المعاهد أو الذمي كشرب الخمر أو أكل لحم الخنزير، فإنه ليس من حق المسلم أن ينكر على هؤلاء مثل ذلك الشيء الذي يرونه مباحاً في دينهم، ما لم يجاهروا بهذه المحرمات ويتحدوا بها مشاعر المسلمين.

أما ما عدا ذلك من المحرمات عند أهل الكتاب، فإن المسلم ينكر على المعاهد والذمي كما ينكر على المسلمين سواء بسواء، ولو اقتضى الأمر تأديبهم بالفعل أو القول ـ دون تعدي ـ فلا قصاص عليه ولا تعزير والدليل على ذلك ما روي عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لُطِمَ وجهه فقال: يا محمد. إن رجلاً من أصحابك من الأنصار قد لطم وجهي. فقال: ادعوه، فدعوه، فقال:

(١) انظر التشريع الجنائي الإسلامي/ عبد القادر عودة جـ ٢ ص ٢١٥.
(٢) رواه مسلم. انظر صحيح مسلم جـ ١ ص ٦٩ (كتاب الإيمان) باب النهي عن المنكر.

ألطمت وجهه؟ قال: يا رسول الله، إني مررت باليهود فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، قال فقلت: أعلى محمد ﷺ قال فأخذتني غضبة فلطمته. قال: لا تخيروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أم جزى بصعقة الطور[1]. فلم يقتص الرسول ﷺ للذمي من المسلم وهذا دليل على أن المسلم لما كان الدافع إلى فعله هو الغيرة لله ولرسوله وكان الذمي متعد بموجب عقد الذمة الذي يلزم أهل الذمة بعدم قول أو فعل أي شيء فيه انتقاص لله ولرسوله ودين الإسلام، كان ذلك مسقطاً للجزاء على المسلم، وفي هذا الحديث دليل على أن الذمي أو المعاهد إذا أقدم على ما فيه انتقاص الإسلام والمسلمين جاز للمسلم المعروف بالعلم والعدالة تعزيره على ذلك، إذا كان الموقف لا يحتمل تأجيل ذلك ورفعه إلى الإمام، ولا عقوبة عليه في ذلك[2] ولكن ذلك لا يعني جواز ظلم المعاهد أو التعدي عليه بغير حق فقد ورد في الحديث «ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة»[3]. وهذا يدلنا على حسن رعاية الإسلام لحقوق غير المسلمين إلا عند إساءتهم للإسلام والمسلمين فحينئذ تسقط الحصانة عنهم، ويعاملون معاملة المحاربين للإسلام والمسلمين.

---

(١) رواه البخاري. انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٦٣.

(٢) انظر فتح الباري جـ ١٢ ص ٢٦٣ وانظر التشريع الجنائي الإسلامي عبد القادر عودة جـ ١ ص ٥٠٥ - ٥١١.

(٣) أخرجه أبو داود والبيهقي - انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني م ١ ص ١٨٥ رقم الحديث (٤٤٦).

الفرع الثالث

الستر على جواسيس الكفار وحمايتهم

إن من موالاة الكفار ومناصرتهم، ما تقوم به بعض الدول والأفراد من مساعدة جواسيس الكفار وحمايتهم، واستقدامهم بصورة مختلفة وطرق متباينة ليعبثوا بأرض المسلمين فساداً، وليتخذوا بها أوكاراً ومرابض يفرخون من خلالها للأحزاب الكافرة والدعوات الهدامة، وينقلوا ما في المجتمع المنتسب إلى الإسلام من سلبيات وتناقضات لاستغلالها في حرب الإسلام وأهله بالطرق المختلفة.

وهؤلاء الذين يؤون جواسيس الكفار ويتسترون عليهم حكمهم حكم هؤلاء الكفار لأن المعين على الشيء له حكم المباشر له[1]. ولقوله تعالى: **﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾**[2] وقد أتفق العلماء على وجوب قتل الجاسوس المشرك[3]، وقد نقل ابن العربي القول بقتل الجاسوس المسلم

(١) انظر الفتاوي لابن تيمية جـ ٣٥ ص ٩١.

(٢) سورة المائدة آية (٥١).

(٣) أنظر فتح الباري جـ ٦ ص ١٦٩.

الذي يتجسس على المسلمين لصالح الكفار، ورجح ذلك حيث قال: (وهو الصحيح لاضراره بالمسلمين وسعيه بالفساد في الأرض)[1].

ومن هؤلاء الذين يتسترون على جواسيس الكفار الرئيس السوري - حافظ النصيري - فقد عفا واطلق سراح ثلاثة وعشرين جاسوساً لليهود في سوريا. بينما قتل في ساعة واحدة ألف نفس أو تزيد في سجن تدمر الصحراوي من خيرة المسلمين في سوريا.

إن حافظ النصيرية ليس محسوباً أصلاً على الإسلام عند المسلمين الحقيقيين، ولكن هناك من يواليه وينصره بالقول والفعل ويتستر على جرائمه وهو يفعل باليهود هذا الفعل، ويفعل بالمسلمين ذاك الفعل، ومع ذلك يعتقد من يواليه وينصره أنه قائم على الصراط السوي، وسائر على الطريق المستقيم، رغم تلك الجرائم البشعة التي يندى لها الجبين.

وفي معظم البلاد الإسلامية تجد عملاء وجواسيس اليهود والنصارى والشيوعيين يسرحون ويمرحون بكل حرية وطلاقة في عرض البلاد الإسلامية وطولها، بعلم من السلطات الحاكمة أو بغير علم، وحتى لو اكتشف بعض الأنظمة الحاكمة في البلاد الإسلامية، شبكة تجسس من هذا القبيل لاكتفت بالنفي لهؤلاء خارج بلادها، بينما لو وقع في يدها فرد أو جماعة تدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لاعتبر ذلك خيانة عظمى يستحق أصحابها أن يعلقوا على أعواد المشانق ويودعوا في غياهب السجون عشرات السنين.

فيا ترى هل مثل هؤلاء يقيمون للموالاة في الله والمعاداة فيه أي وزن أو تقدير؟

رحمتك اللهم يا رب، ولا حول ولا قوة إلا بك.

---

(١) انظر أحكام القرآن لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧٠ - ١٧٧٢.

المبحث السادس

موالاة المسلم للكفار في بلادهم

سنتناول هذا المبحث في فرعين هما: -

١ - الفرع الأول: موالاة الكفار في السفر إليهم والإقامة بينهم.

٢ - الفرع الثاني: موالاة الكفار في العمل لديهم وتحت ولايتهم.

الفرع الأول

موالاة الكفار في السفر إليهم والإقامة بينهم

يختلف حكم السفر والإقامة بدار الكفار تبعاً لاختلاف النية والمقصد الباعث على السفر والإقامة عند الكفار، فقد ورد في الحديث الصحيح (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل إمرىء ما نوى)[1]. والنية إنما تدل عليها الأعمال الظاهرة، فإن كانت الأعمال الظاهرة حسنة والنية حسنة فالعمل حسن، وإن كانت النية سيئة فالعمل سيء ولو حسن العمل في الظاهر لأنه يدخل حينئذ في باب النفاق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله): (الإقامة في كل بلد تكون لأسباب فإذا كانت في موضع يكون فيه أطوع لله ورسوله، وأفعل للحسنات والخير، بحيث يكون (المسلم) أعلم بذلك وأقدر عليه، وأنشط له، فهي أفضل من الإقامة في موضع يكون حاله فيه في طاعة الله ورسوله دون ذلك)[2]. ا.هـ ومن ذلك نستدل على أن الإقامة في بلد ـ ما ـ أمر نسبي

(١) رواه البخاري ومسلم: انظر جامع العلوم والحكم/ عبد الرحمن بن رجب الحنبلي ص ٥.
(٢) انظر مجموع الفتاوي/ ابن تيمية جـ ٢٧ ص ٣٩.

يتعلق بنية الشخص نفسه، والظروف المحيطة به، فقد تكون إقامة المسلم في أرض يسود بها الضلال ويستعلي بها الكفر، أفضل إذا كان مجاهداً في سبيل الله، داعياً إلى منهج الله بقوله وفعله من إقامته في أرض كل أهلها من الناس الصالحين الطيبين(١).

ولذلك يمكن تقسيم السفر والإقامة بين الكفار إلى أربعة أقسام:

القسم الأول: مَنْ سفره مأمور به شرعاً وصاحبه مجاهد في سبيل الله حتى يرجع وذلك إذا كان الذهاب إلى الكفار بقصد الدعوة إلى الله، أو تعلم ما هو وسيلة إلى مرضاة الله وخذلان أعدائه. ودليل هذا النوع سفر الرسول ﷺ إلى أهل الطائف يعرض الإسلام عليهم، وكانت كلها دار كفر في ذلك الوقت، فلم يمنعه ذلك من السفر إليها والإقامة بينهم بعض الوقت. وكذلك بعث الرسول ﷺ بالرسل إلى ملوك أهل الأرض ومن حولهم وهم كفار، فقد بعث عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ـ وهو هرقل ـ ملك الروم، وحاطب بن أبي بلتعه إلى المقوقس صاحب مصر، وشجاع بن وهب بن أسد بن خزيمة إلى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك عرب النصارى، وسليط بن عمرو العامري إلى هوذة بن علي الحنفي، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك النصارى بالحبشة وهو أصحمة بن الحر(٢).

فهؤلاء الأشخاص الذين يستحب لهم الذهاب إلى الكفار يشترط فيهم أن يكونوا عارفين لديهم بأدلته الشرعية. متمسكين بعقيدتهم، مأموناً عليهم في ظاهر حالهم من الوقوع في الفتنة، قاصدين من سفرهم وسكناهم مع الكفار إظهار دين الله والدعوة إليه، ومعرفة ما يعينهم على ذلك.

القسم الثاني: من أقسام السفر والإقامة مع الكفار ما يكون مباحاً.

---

(١) انظر الابتعاث ومخاطره/ محمد بن لطفي الصباغ ص١٢.

(٢) انظر البداية والنهاية/ لابن كثير جـ ٤ ص ١٨٠.

وهو من كان سفره لحاجة دنيوية كتجارة أو علاج وهو عارف لدينه بأدلته آمن من الفتنة، مظهر لدينه بعداوة الكفار والبراءة منهم، قادر على التأثير في الكفار دون التأثر بهم، وهذا ما حصل من رسول الله ﷺ فقد سافر النبي ﷺ إلى الشام في تجارة، وهذا السفر دليل قاطع على جواز السفر إلى الكفار والتجارة معهم. فإن قيل، كان ذلك قبل النبوة، فالرد أنه ﷺ لم يتدنس قبل النبوة بحرام، ولا اعتذر عن ذلك حين بُعِثَ، ولا منع أحداً من الصحابة في حياته ولا منع ذلك أحد من خلفائه بعد وفاته.

فقد كانوا يسافرون في فك الأسرى، وفي حمل الرسائل إلى ملوك أهل الأرض، فقد أرسل الرسول ﷺ عثمان بن عفان (رضي الله عنه) إلى أهل مكة وهم أهل حرب للإسلام والمسلمين فدل ذلك على أن السفر لغرض مباح يكون مباحاً ولغرض مستحب يكون مستحباً(١).

وقد كان للتجار المسلمين تأثير عظيم على كثير من البلدان التي ارتحلوا إليها، فحملوا معهم بضاعة الدعوة إلى الله بجانب البضائع الدنيوية فكانوا بذلك فاتحين لبلاد لم تطأها أقدام الجيوش الإسلامية وإنما انتشر الإسلام فيها بفضل الله ثم بفضل أولئك الذين حملوا الإسلام بأقوالهم وأفعالهم فكانوا قدوة حسنة ومثلاً أعلى يقتدى بهم، ومن هذه البلاد أندونيسيا وماليزيا ومعظم الدول الواقعة في شرق وجنوب آسيا ووسط أفريقيا وشرقها مثل تشاد ونيجيريا ويوغندا والسودان والصومال وما حولها.

القسم الثالث: ما يكون سفره وإقامته في بلاد الكفار حرام وكبيرة من كبائر الذنوب، وذلك من كان سفره لحاجة دنيوية وهو عارف لدينه بأدلته آمن من الفتنة، ولكنه غير قادر على إظهار دينه وتأدية شعائر الإسلام علانية وبحرية تامة، من فعل للواجبات وترك للمحرمات، وإظهار البغض والعداوة للكفار والبراءة منهم، فهذا لا يكون سفره وإقامته بين الكفار كفر ولكن

---

(١) انظر سير القرطبي جـ ٦ ص ١٣.

السفر والإقامة بين الكفار في هذه الحالة معصية تختلف درجتها باختلاف القدر المسموح به من إظهار الدين أو عدمه، ولذلك يجب على المسلم أن يحتاط لنفسه في هذه الناحية فلا يجوز السفر أو الإقامة في بلد لا يسمح أهله بإظهار شعائر الإسلام، وذلك مثل البلاد الشيوعية وما شاكلها، ولكن للأسف الشديد أن بعض الدول المعاصرة مثل اليمن والصومال وسوريا وليبيا وغيرها من الدول ترسل أعداداً من أبناء المسلمين إلى الدول الشيوعية مثل روسيا وكوبا وتشيكوسلفاكيا والمجر وبلغاريا وغيرها من الدول الشيوعية، مع العلم أن هـذه الدول لا تسمـح للمسلم بمزاولـة أي شعيرة من شعـائر الإسلام، فلا يرضى بذلك من المسؤولين والطلاب إلا أناس ليسوا من الإسلام في شيء[1].

القسم الرابع: من أقسام السفر والإقامة مع الكفار، ما يكون ردة وخروج عن الإسلام، وهذا الحكم ينطبق على كل من سافر إلى الكفار وأقام معهم مدة طويلة أو قصيرة، فرضي عن الكفار، وأظهر الموافقة على كفرهم، ومدح ما هم فيه من كفر، أو استحسن ذلك وأظهر لهم المودة والاحترام مع ما هم متلبسين به من كفر، فولاهم موالاة المحب لمحبوبه وركن إليهم، وأنس بقربه منهم، ولم يتميز عنهم بتحريم الحرام وتحليل الحلال فهو منهم[2]، قال تعالى: **﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**[3].

وعلى ضوء ذلك يمكن القول: بأنه إذا استطاع المسلم إظهار الإسلام في بلد لم تحرم الإقامة فيه على من صان دينه وباين الكفرَ وأهله وأظهر العداوة لأعداء الله[4]. وعلى ذلك يمكن حمل مفهوم الآيات والأحاديث

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ٤٧، ٣٠٣.

(٢) انظر رسالة في الجهاد/للشيخ عبد الرحمن بن حماد آل عمر ص ٣١ ـ ٣٢.

(٣) سورة المائدة آية (٥١).

(٤) انظر الدرر السنية جـ ٩ ص ٢١٣.

الواردة في ذم مساكنة الكفار والإقامة معهم على من لم يقدر على إظهار دينه، أو رضي عنهم وتابعهم على دينهم وإن كان يدعي الإسلام، فمن الأدلة الواردة في ذم مخالطة المشركين على ذلك الوصف المتقدم ما يلي: -

أولاً - قول الله تعالى: **﴿وقد نَزَّل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً﴾**[1]. لأن الرضا بالكفر كفر، وعلى هذا استدل العلماء بأن الراضي بالذنب كفاعله، لأن الذي يدعي الإسلام، ويكون مع المشركين في الاجتماع بهم، والنصرة لهم، والسكن معهم بحيث يعده المشركون أو المرتدون عن الإسلام أنه واحد منهم، فهو كافر مثلهم، وإن ادعى الإسلام[2].

ولا فرق في ذلك بين المدة القريبة أو المدة البعيدة، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيه، لا يجوز له المقام فيه ولو يوماً واحداً إذا كان يقدر على الخروج منه[3]. فحكم الإقامة كحكم السفر في ذلك، نظراً لما يترتب عليهما من منافع أو مفاسد متشابه في حق الفرد والأمة على حد سواء[4].

وقد قال القرطبي في الآية المتقدمة في قوله تعالى: **﴿إنكم إذا مثلهم﴾**[5].

إن هذه الآية نزلت في المنافقين الذين يجالسون أحبار اليهود

---

(١) سورة النساء آية (١٤٠).

(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٤٨.

(٣) المصدر السابق المكان نفسه.

(٤) المصدر السابق المكان نفسه.

(٥) سورة النساء آية (١٤٠).

فيسخرون من القرآن وهم معهم، فدل بهذا على وجوب اجتناب أصحاب المعاصي إذا ظهر منهم منكر ولم يستطع تغييره.

وقال الكلبي[1] إن هذه الآية منسوخة[2]. بقوله تعالى: **﴿وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾**[3].

قال القشيري[4]، إن الآية الأخيرة ليست منسوخة بالأولى بل المعنى ما عليكم من حسابهم إذا قمتم بتذكيرهم وزجرهم أما إذا رضيتم فلا يجوز الجلوس معهم ويصبح حينئذ أمراً محرماً[5]، وقال قتادة إن الآية التي تفيد عدم مسؤولية المسلمين بعد النصح والبيان منسوخة[6]. بقوله تعالى: **﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾**[7]. ولكن الراجح أن هذه الآية الأخيرة متناولة لعموم المسلمين في حق عموم الكفار، أما الفرد المسلم في بلاد الكفار فمن غير المتصور أنه بعد نصحه للكفار أن يقاتلهم إذا لم

---

(١) هو محمد السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي (أبو النضر) مفسر، اخباري، نسابة، راوية، ولد بالكوفة وشهد وقعة دير الجماجم مع ابن الأشعث وتوفي بالكوفة سنة (١٤٦ هـ) من آثاره: تفسير القرآن الكريم.
انظر معجم المؤلفين/ عمر رضا كحاله جـ ١٠ ص ١٥.

(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٤١٨.

(٣) سورة الأنعام آية (٦٩).

(٤) يوجد بهذا الاسم:
١ ـ القشيري (أبو الفضل) بكر بن محمد. انظر معجم المؤلفين جـ ٣ ص ٧٤.
٢ ـ القشيري (أبو نصر) عبد الرحيم بن عبد الكريم. انظر معجم المؤلفين جـ ٥ ص ٢٠٧.
٣ ـ القشيري (أبو القاسم) عبد الكريم بن هوازن. انظر معجم المؤلفين جـ ٦ ص ٦. وانظر الاعلام للزركلي جـ ٥ ص ١٩٨.
ولم يتضح لي صاحب هذا القول منهم.

(٥) انظر تفسير القرطبي جـ ٧ ص ١٥.

(٦) المصدر السابق نفس المكان.

(٧) سورة التوبة آية (٥).

يستجيبوا له لأن القتال مسؤولية جماعية في حق الأمة وليس واجباً فردياً على أفراد المسلمين المتواجدين داخل دار الكفار[1].

ثانياً ـ قال تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾[2].

يقول سيد قطب (رحمه الله) يمضي هذا الحكم إلى آخر الزمان متجاوزاً تلك الحالة الخاصة في مكة إلى ما يماثلها في كل زمان ومكان يلحق هذا الحكم كل مسلم تناله الفتنة في دينه في أية أرض، ثم تمسكه أمواله ومصالحه وقراباته وصداقاته وخوفه من متاعب التنقل والارتحال إلى دار الإسلام (متى وجدت) التي يحيا فيها حياة إسلامية في ظل شريعة الله[3].

ثالثاً ـ قول الله تعالى: ﴿وإذ رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾[4]. يقول القرطبي أن الآية دليل على عدم الدخول إلى أرض العدو ودخول الكنائس والبيع، ومجالسة الكفار وأهل البدع وهم في تلك الحالة التي نُهِيَ عن مجالستهم فيها وقلما تجد الكفار في حالة من حالات الأعراض عن الخوض في آيات الله، وهذا الأمر يستدعي الإنتباه عند مجالسة الكفار ورد باطلهم عليهم عند تعرضهم لأحكام الله وآياته أو مفارقتهم عند عدم القدرة على الإنكار عليهم[5].

---

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٤١٧ ـ ٤١٨ وجـ ٧ ص ١٤ ـ ١٥.
(٢) سورة النساء آية (٩٧).
(٣) انظر في ظلال القرآن/ سيد قطب م ٢ ص ٤٩٨ ـ ٥٠٠.
(٤) سورة الأنعام آية (٦٨).
(٥) انظر تفسير القرطبي جـ ٧ ص ١٢.

رابعاً ـ عن جرير بن عبد الله البَجَلي، قال: قال رسول الله ﷺ: (من أقام مع المشركين فقد برئت منه الذمة أو قال لا ذمة له)[1].

وروي عن سمرة بن جندب (رضي الله عنه) قال: أما بعد قال رسول الله ﷺ): (من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)[2] وفي هذين الحديثين وعيد شديد لمن جامع المشركين وساكنهم اختياراً. وخاصة من لم يستطع إظهار دين الله عندهم وإعلان البراءة منهم ومن كفرهم فليحذر المسلمون المقيمون بين الوثنيين والمرتدين والنصارى والمجوس من أن يلحقهم هذا الوعيد الشديد الذي قد يؤدي بهم إلى الخروج عن دائرة الإسلام، فهذا الوعيد الشديد يقتضي تحريم الإقامة بين ظهراني المشركين لمن عجز عن إظهار دينه وهو قادر على الهجرة إلى بلد يظهر فيه الإسلام، كما أن السفر إلى البلاد التي لا يُظهر فيها دينه لا يجوز له ذلك، لما يترتب على ذلك من ترك شعائر الإسلام وإظهار الدين ليس كما يتصوره البعض من مجرد إقامة الصلاة والصيام والزكاة والحج وعداوة القلب وبغضه للكفار سراً، فإن ذلك لا يكفي في النجاة من عذاب الله، بل لا بد مع ذلك من إظهار المعتقد الصحيح ومخالفة كل طائفة من طوائف الكفر فيما اشتهر عنها والتصريح لهم بالعداوة والبغضاء والبراءة منهم ومما يعبدون[3]. وهـذه ملة إبراهيم الخليل (عليه السلام) وهي الدين القويم والصراط المستقيم، ومبناها الحب في الله والبغض في الله والموالاة فيه والمعاداة فيه، إذ هي أوثق عرى الإيمان ولن يجد عبد طعم الإيمان وإن كَثُرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك[4].

---

(١) انظر أحكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ٥٤٢. وقد ذكر الرازي في كتاب الجرح والتعديل جـ ٢ ص ٥٠٢. إن له صحبة وأنه روى عن مالك وقيس ابن حازم والشعبي.

(٢) رواه أو داود في سننه جـ ٣ ص ٩٣. وقال عنه الألباني حديث حسن. انظر صحيح الجامع الصغير جـ ٦ ص ٢٧٩.

(٣) انظر مجموعة التوحيد ص ٣٠٠.

(٤) انظر كتاب الجواب الفائض في الرد على أرباب القول الرائض تأليف/ سليمان بن سحمان ص ٦ مخطوطة في جامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٣٤١٣).

يقول الشيخ سليمان بن سحمان معقباً على ذلك بما يلي: (إن قولنا لا تجوز الإقامة والسفر إلى بلاد المشركين لمن لا يستطيع إظهار دينه، ولم يكن من الضعفاء المعذورين وهذا لا يعني كفر من فعل ذلك، وإنما هو آثم عاص، ولكن الكفر يلحق من أباح واستباح السفر والإقامة بدون قيد أو شرط فهذا كافر لإباحته ما حرم الله، لا لمجرد السفر أو الإقامة عند الكفار[1]. ا.هـ

أما من يرى إباحة ذلك لجهله وعدم علمه بأن في ذلك نصاً شرعياً يمنع السفر والإقامة بدون إظهار الدين، أو يرى الإباحة بناء على تأويل أو شبهة عرضت له، ولم يتبين له وجه الحق، فهذا إن كان رده لأجل هذه الشبهة التي عرضت له، فإن عمله هذا قادح في إيمانه، لأنه لم يبذل الوسع في طلب الحق والتحقيق في الأمر، بل حسَّن الظن بمن يقلد وهو دون الأول الذي لا شبهة في كفره وتكفيره، ولكنه على كل حال آثم في عدم البحث عن الحق وسؤال أهل الذكر كما أمر الله عز وجل.

وقد يحتج بعض الناس على جواز مخالطة الكفار والسفر معهم وإليهم والإقامة بينهم بما يجري داخل الدولة الإسلامية من جواز وجود الذميين والمستأمنين بين المسلمين. فما هو الفرق بين إقامة الكفار في دار الإسلام أو إقامة بعض المسلمين بدار الكفار؟

والجواب على ذلك أن أهل الذمة والمستأمنين في دار الإسلام يعلم الخاص والعام أنهم يعيشون في ظل الدولة الإسلامية ويعاملون معاملة خاصة بحيث لا يكون لهم تأثير سلبي، على الأمة الإسلامية، فأهل الإسلام متميزون عنهم بدينهم ولهم الغلبة والظهور والقهر على الأعداء فلا يقاس

---

(١) المصدر السابق، ص ٨.

هذا على مخالطة الكفار في ديارهم حال ظهورهم وغلبتهم على أهل الإسلام أو كونهم هم أهل الغلبة والسلطان في بلادهم[1].

ولا شك أن مخالطة الكفار ومعاشرتهم بغير نية دعوة، وصلابة عقيدة وسيلة من الوسائل المحرمة، والوسائل تتخذ حكم غاياتها، فأكثر المسافرين والمخالطين والمعاشرين لأهل الكفر هم من الغوغاء والعوام من المسلمين وغالباً أن هؤلاء لا يعرفون ما أوجب الله عليهم من معاداة المشركين، ولا ما حرم الله ورسوله من موالاتهم، وأن منها ما يخرج من الملة ومنها ما هو دون ذلك[2]. وقد يستدل البعض الآخر على جواز مساكنة الكفار والإقامة معهم بهجرة المسلمين إلى الحبشة والإقامة بين الكفار، ونحن نقول إن الذهاب من حيث المبدأ إلى الكفار جائز بشرط إظهار الدين علانية ومعاداة المشركين لأن المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة كانوا كذلك، فإن النجاشي أظهر الإيمان بالنبي ﷺ والقرآن حين قرأ عليه جعفر بن أبي طالب (رضي الله عنه) صدر سورة مريم أذعن وصدق، وأظهر المخالفة لقومه.

وأيضاً فإن قريشاً لما بعثوا عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قبل إسلامه إلى النجاشي ليرد من هاجر إليه من المسلمين غضب النجاشي غضباً شديداً حتى خاف عمرو أن يوقع به ورد هدايا قريش إليها وقال مخاطباً لجعفر وأصحابه (اذهبوا فأنتم سيوم[3] بأرضي من سبكم غرم)[4]. فأظهروا دينهم ووحدوا ربهم ولم يمنعهم منه أي مانع، ولم يعارضهم معارض، ولم يحصل منهم موالاة أو ركون لمن كان هناك من النصارى

---

(١) انظر الجواب الفائض في الرد على أرباب القول الرائض/ سليمان بن سحمان الدوسري ص ٣٣ مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٣٤١٣).

(٢) المصدر السابق ص ٤٢.

(٣) سيم من سوّم الماشية اذا أرسلها، وسوّم فلان فلاناً، خلاه وما يريد. المعجم الوسيط جـ ١ ص ٤٦٨.

(٤) انظر الدرر السنية جـ ٩ ص ١٩٧ ـ١٩٨.

ولا وقع منهم شيء مما يُكره فعله في حق المسلم، وإنما صاروا دعاة إلى الله بأقوالهم وأفعالهم وسبباً في إسلام من أسلم من أهل الحبشة فأين أولئك الصفوة الكرام من الذين يسافرون ويقيمون بدار الكفار في وقتنا الحاضر إننا نجد أن كثيراً من المنتسبين إلى الإسلام اليوم إذا ذهبوا إلى بلاد الكفار ركنوا إليهم واتخذوهم بطانة من دون المؤمنين، وأظهر الموافقة والإعجاب والتقدير لأهل الكفر ومناهج الكفار، وعادوا إلى المسلمين دعاة إلى الكفر إلا من عصم الله منهم، فنجدهم ينادون بموادة أهل الشرك وسحبتهم بأقوالهم وأفعالهم، ويستغلون وظائفهم في الإعلام والتعليم، وغير ذلك من المجالات لخدمة أعداء الإسلام، ولم يكتفوا بذلك بل إن البعض منهم نصب نفسه لمعاداة الإسلام وأهله، وهذا خروج عن الإسلام أعاذنا الله من ذلك.

أما من يستدل على جواز مساكنة الكفار بقصة مؤمن آل فرعون على اعتبار شرع من قبلنا شرع لنا ما لم يرد في شرعنا ما ينسخه، فإنه قد أظهر دينه وقام على فرعون وملائه مقاماً عظيماً، فنصحهم ودعاهم، فقد قال الله عنه: **﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد﴾**[١]. فأظهر لهم إيمانه ودعاهم إليه، وقال الله في حقه **﴿فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب﴾**[٢]. فقد قام على آل فرعون مقام أنبيائهم فما داهن في دينه، ولا كتمه بل أظهر المخالفة لفرعون وقومه فما حصل منه إلا ما يحبه الله ويرضاه[٣].

وقد تساءل الشيخ سليمان بن سحمان عن المقام بدار الكفر ثم رد على هذا التساؤل بأبيات هي كما يلي: -

---

(١) سورة غافر آية (٣٨).

(٢) سورة غافر آية (٤٥).

(٣) انظر الدرر السنية جـ ٩ ص ١٩٧ -١٩٨. وانظر الجواب الفائض في الرد على الرائض - سليمان بن سحمان ص ٧٥ - ٧٦.

تـرى المـرء يكفيـه الصـلاة وصـومـه
وإظـهـاره فـي الـصـحـب إنـي لـمـسـلـم
وأبـغض أهـل الـكـفـر لـكـن أخـافـهـم
فـلـسـت أريـهـم مـا يـسـيء ويـؤلـم
ولـيس بـشـرط أن أصـرح عـنـدهـم
بـتـكـفـيـرهـم جـهـراً ولا أتـكـلـم
وكـيـف وأمـوالـي لـديـهـم وعـنـدهـم
مـعـاشـي وأوطـانـي فـكـيـف الـتـقـدم
إذا لـم أوافـقـهـم وربّـي عـالـم
بـمـا يـنـطوي قـلبـي عـليـه ويـكـتـم
من الحب لـلإسـلام والـدين والـهـدى
وبـغـضـي لأهـل الـكـفـر والله يـعـلـم
فـإن كـان هـذا الحب والبغض كـافيـاً
ولـو لـم أصـرح بـالـعـداوة فـيـهـمـوا
فـمـا وجـه هـذا مـن كـتـاب وسـنـة
أجيبـوا على هـذا السؤال وأفهـمـوا(١)

وأجاب على ذلك بأبيات هي كما يلي: -

والله حـرم مـكـث مـن هـو مـسـلـم
فـي كـل أرض حـلـهـا الـكـفـارُ
ولـهـم بـهـا حـكـم الـولايـة قـاهـراً
فـاربـأ بـنفـسـك فـي الـمـقـام شـنـارُ
وانـظر حـديـثـاً في الـبـراءة قـد أتـى
نـقـل الـثـقـات رواتـه الأخـيـارُ

(١) ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان/ سليمان بن سحمان ص ٢٢١ .

فيه البراءة بالصراحة قد أتت
من كل من يسكن مع الأشرارُ
قد صرحت فيمن أقام ببلدة
مستوطناً وولاتها الكفار
والمرء ليس بمظهر للدين بل
للمكث في أوطانه يختارُ
إلا الذي هو عاجز مستضعف
فالنص جاء بعذره لا العار(١)

ويقول في قصيدة أخرى:

وحبكم الدنيا وإيثار جمعها
على الدين أضحى أمره قد تحكما
لذلك داهنتم وواليتموا الذي
بأوصاف أهل الكفر قد صار مظلماً
وجوَّزتمو من جهلكم المسافر
إقامته بين الغواة تحكما
بغير دليل قاطع بل بجهلكم
وتلبيس أفاك أراد التهكما
ويا مؤثر الدنيا على الدين إنما
على قلبك الران الذي قد تحكما
وعاديت بل واليت فيها ولم تخف
عواقب ما تجني وما كان أعظما
أغرتك دنياك الدنية راضياً
بزهرتها حتى أبحت المحرما(٢)

(١) ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان/ سليمان بن سحمان ص ٧٦ ـ ٧٧.
(٢) المصدر السابق ص ١٩٨ ـ ٢٠٠.

فمن المعلوم أن عداوة المشركين واجبة على كل مسلم في كل زمان ومكان وعداوة القلب وبغضه لا تكفي في إبراء الذمة عند مساكنة الكفار ومخالطتهم، بل لا بد من إظهار العداوة لهم، ولكفرهم بالقول والفعل كما قال تعالى: في شأن إبراهيم عليه السلام **﴿قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم أنا برآؤا منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده﴾**(١) فلا بد من إظهار العداوة والبغضاء للكفار، والتصريح لهم بالبراءة منهم ومما يعبدون، سواء كان المسلم بدار الإسلام أم بدار الكفر، إلا عند وجود الإكراه المجلىء الذي يحمل الإنسان على موافقة الكفار في الظاهر دون الباطن، أو كان من المستضعفين المعذورين عند الله، وفيما عدا هذه الحال لا يجوز للمسلم المقام بين الكفار وهو غير مظهر للدين مع أنه حر طليق قادر على الإنتقال عنهم ومفارقتهم، فالعذر في موافقة الكفار في الظاهر دون الباطن خاص بالأسير المسلم ونحوه الذي أمره ليس بيده، وإنما أمره بيد الكفار، وهذا لا ينطبق على الذين يسافرون إلى بلاد الكفار ويقيمون بينهم برغبتهم، وهم قادرون على تركها في أي وقت شاؤا فهؤلاء لا عذر لهم في مداهنة الكفار وموافقتهم في الظاهر وإن خالفوهم في الباطن.

وقد يقول قائل أنا لا أتبرأ من المشركين ولا أعاديهم لأن هذه الآية وغيرها من الآيات ليست نصاً في الحكم على من لم يعاد المشركين.

والجواب أن يقال أن قولك هذا رد على الله وخروج من الدين، لأن الله عز وجل يقول: **﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله﴾**(٢).

---

(١) سورة الممتحنة آية (٤).

(٢) سورة المجادلة آية (٢٢).

فهذه الآية دلت على إنتفاء الإيمان الواجب لمن قام بموادة من حاد الله عز وجل، كما دلت بمفهوم المخالفة على محبة المؤمنين المطيعين لله.

ومن يرى أن إظهار العداوة والتصريح بها للكفار خاص بالرسل إذ هي البلاغ الذي عليهم، ولا تجب على آحاد الناس فهذا القول من أبطل الباطل وأعظم المغالطات[1]، حيث أن الله تعالى قد بين أن الموالاة والمعاداة من سنة أبينا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم، فلا يرغب عن سنة ابراهيم إلا من سفه نفسه قال تعالى: ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**﴾[2]. فعداوة القلب وبغضه وموالاته لا تكفي في النجاة من عذاب الله مع القدرة على إظهار العداوة والتصريح بها بين الكفار لمن يسافر باختياره ويقيم بينهم بمحض إرادته فأين التصريح بالعداوة والبغضاء ممن يسافر إلى بلاد الكفار في وقتنا الحاضر؟

إن الذي يحصل غالباً من أحوال المسافرين والمقيمين عند الكفار هو الموافقة وإظهار الرضا وربما الإعجاب بكفرهم، حتى لقد رجع الكثير منهم دعاة إلى الماسونية والصليبية والشيوعية والإباحية البهيمية، والشخص المتمسك بالإسلام والذي يعتبر من العاضين عليه بالنواجذ في بلاد الكفار هو الذي يسكت عن هؤلاء الكفار ويعتزلهم، ويجد ويجتهد في حماية نفسه من أن يذوب فيما لديهم من مستنقعات الفساد وأوحال الرذيلة، والإغراءات العفوية والمتعمدة التي يرسمها الأعداء للإيقاع بأبناء المسلمين.

وبناء على ذلك فإن إظهار الدين ـ الذي هو ترك المحرمات وتأدية الواجبات وإظهار العداوة للكفر والكفار ـ أمر يتعذر تحقيقه وحصوله في

---

(١) انظر جواب الفائض في الرد على الرائض/ سليمان بن سحمان ص ٤٩. (مخطوطة) بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٣٤١٣).

(٢) سورة البقرة آية (١٣٠).

معظم بلاد الكفار، فإن السفر والإقامة في تلك البلاد التي لا يظهر المسلم فيها دينه بالشروط المعتبرة عند العلماء عمل محرم، وغير جائز في الإسلام، كيف لا يكون ذلك! والهجرة مستحبة من بلاد الكفار إلى دار الإسلام وإن كان المسلم قادراً على إظهار دينه، فكيف إن لم يقدر على إظهار الدين؟ ألا يكون سفره وإقامته على تلك الحال عمل محرم ودليل من أدلة موالاته للكفار إن لم يكن مكرهاً على ذلك إكراهاً ملجئاً[1].

يقول الشيخ سليمان بن سحمان: (إن مذهبنا أن لا نكفر من سافر إلى بلاد الكفار أو جلس عندهم وهو مظهر للإسلام موالي لأهله مبغض للكفر معاد لأهله.

وإنما نكفر من أقام بدار الكفار، ووافقهم على كفرهم ورضي به. وأذل الدين لأجل غرض دنيوي.

أما من أقام في دار الكفار وهو قادر على الهجرة ولم يتمكن من إظهار دينه فمقامه بينهم محرم لا يرقى إلى درجة الكفر ما لم يحصل موافقة للكفار في الظاهر والباطن[2]. ا.هـ

ومن الأسباب التي دعت العلماء إلى أن يهتموا بموضوع السفر والإقامة بين الكفار هو ما رأوه من آثار سيئة وانتكاسات كبرى لحال كثير من الذين وطنوا أنفسهم على المقام بين الكفار فخسروا الدنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

يقول الشيخ سليمان بن سحمان: (إن السفر إلى بلاد المشركين من الوسائل التي تجر إلى مخالطتهم، وتمنع من إظهار الدين عندهم ويقع بسببها إظهار الموافقة لهم، والبشاشة واللين عند مقابلتهم، والرضا أو عدم

---

(١) انظر الجواب الفائض في الرد على الرائض/سليمان بن سحمان ص ٨٢. (مخطوطة) بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٣٤١٣).

(٢) المصدر السابق ص ٨٧ ـ ٩٠.

المبالاة بأعمالهم، وهذا الأمر من أكبر الوسائل المفضية إلى مشاهدة المنكر والسكوت عنه، فالإثم لا يحصل بمجرد المخالطة وإكثار السفر والإقامة بينهم وإنما بالرضا والموافقة على كفرهم ويدخل فيه ما هو دون ذلك من الفجور وقول الزور والظلم والفسوق، وأنواع المعاصي فإن الرضا بأعمال الكفر كفر، والرضا بما دون الكفر كل بحسبه كذلك)[1]. ا.هـ

وقد قال ابن دقيق العيد: (إن الوسيلة إلى الطاعة طاعة كما أن الوسيلة إلى المعصية معصية)[2]. ا.هـ

وقد نهى الله عز وجل عن الوسائل المفضية إلى الكفر قال تعالى: **﴿ولا تَنْكِحُوا المشركات حتى يؤمنَّ ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تُنْكِحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النار والله يدعو إلى الجنة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون﴾**[3] فذكر تعالى أن علة النهي عن الزواج بالمشركين والمشركات أنهم يدعون إلى النار في أقوالهم وأفعالهم وأحوالهم وأن مخالطتهم مصدر من مصادر الخطر على المسلمين، وهذا الخطر ليس خطراً دنيوياً فقط بل قد يكون شقاءً أبدياً، فيستفاد من تعليل النهي في الآية السابقة النهي عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يصح التزوج من الكفار على قول من قال بالتحريم أو على قول من قال بكراهية ذلك[4]، مع أن الزواج فيه مصالح كثيرة، فالخلطة المجردة من أهداف الدعوة إلى الله أولى خصوصاً الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك على المسلم حساً ومعنى[5].

---

(١) انظر الجواب الفائض في الرد على أرباب القول الرائض/ سليمان بن سحمان ص ٥٦، الورقة (٢٨) مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (٣٤١٣).

(٢) المصدر السابق المكان نفسه.

(٣) سورة البقرة آية (٢٢١).

(٤) انظر صفحة ٧٠٠ ـ ٧١٢ من هذه الرسالة.

(٥) انظر تفسير ابن سعدي جـ ١ ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

وينقل الشيخ سليمان بن سحمان عن ابن تيمية قوله: (أنه قال ـ أي شيخ الإسلام ـ في قوله تعالى: **﴿إن نَعفُ عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين﴾**[1]. إن الطائفة المعفو عنها كانت عاصية، لا كافرة أما بسماع الكفر دون إنكاره أو بالجلوس مع الذين يخوضون في آياتٓ الله، أو بكلام هو ذنب وليس كفر)[2]. ا.هـ

وقد قال تعالى: **﴿والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾**[3]. فقد ذكر بعض المفسرين أن الزور عيد المشركين، فيكون الحكم هو النهي عن حضور أعياد المشركين وما في حكمها من أفعال كفرهم[4]. قال تعالى: **﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾**[5].

وبناء على ما تقدم فإن الإقامة الاختيارية المصحوبة بالرضا في المقام ببلد يعلو فيه الشرك والكفر، وتظهر منه مظاهر الردة والنكول عن الإسلام وترفع فيه شعارات الإلحاد والفساد لهو مقام لا يرتضيه الله من المسلم، ولا يرضاه المسلم الحقيقي لنفسه، حيث أن المسلم لا يمكن أن تطمئن نفسه في بلد تهدم فيه أركان التوحيد وترفع فيه شعائر الكفر ويسوده الطغاة والفجرة، ويستذل فيه أهل الإيمان والإسلام.

إن الرضا بالمقام في مثل هذا الوضع لا يصدر إلا عن قلب رانت عليه الذنوب والمعاصي، وانطفأت فيه جذوة الإيمان، واستمرأ الملذات واستعبدته الشهوات حتى فقد الإحساس بالمسؤولية نحو نفسه ونحو الإسلام

---

(١) سورة التوبة آية (٦٦).

(٢) انظر الجواب الفائض في الرد على أرباب القول الرائض/ سليمان بن سحمان، مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٣٤١٣) ص ٥٧.

(٣) سورة الفرقان آية (٧٢).

(٤) انظر تفسير القرطبي جـ ١٣ ص ٧٩ ـ ٨٠.

(٥) سورة الأنعام آية (٦٨).

والمسلمين وماتت في نفسه الغيرة على محارم الله وأحكام الإسلام. ويستثنى من ذلك المستضعفون الذين يقيمون مع الكفار بغير رغبة أو رضاً أو اختيار منهم، قال تعالى: **﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت﴾**[1] فهؤلاء لا إثم ولا حرج عليهم، ولكن معظم المسلمين الذين يقيمون في بلدان الكفر اليوم لا ينطبق عليهم وصف الاستضعاف، حيث أن معظمهم يذهب إليها برغبة منه واختيار، ولمقاصد مادية وأهداف دنيوية بحته، لا صلة لها بالعمل للإسلام والمسلمين، وهذا هو المحذور الشرعي في خلطة الكفار والمقام بينهم **﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾**[2].

أما المسلم المستضعف الذي يقيم بين الكفار فعليه أن يعلم أن مقامه حالة استثنائية ويجب عليه أن لا يرضى بالمقام بينهم، وأن يعلم أن المقام معهم على هذه الحال ضرورة يجب أن تزول باتخاذ أسبابها العاجلة والآجلة.

قال تعالى: **﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً﴾**[3]. فبين تعالى مقالتهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين للمقام، وذلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم، فدل ذلك على حرصهم على الخروج، وأنه متعذر عليهم، ويدل على ذلك وصفهم أهل القرية بالظلم، وسؤالهم ربهم أن يجعل لهم ولياً يتولاهم ويتولونه، وأن يجعل لهم ناصراً ينصرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم.

قال تعالى: **﴿إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا**

(١) سورة البقرة آية (٢٨٦).

(٢) سورة النور آية (٦٣).

(٣) سورة النساء آية (٧٥).

يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا﴾[1]. فذكر تعالى في هذه الآية حالتهم التي هم عليها وهي أنهم لا يستطيعون حيلة للخروج ولا يجدون طريقاً إلى ذلك[2].

والحاصل من ذلك أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين وهم مع ذلك يطلبون من الله أن يهيىء لهم الخروج ممن يقيمون معهم على الظلم.

فدل ذلك على أن المسلم إذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين ولم يمنعه من ذلك إلا الرغبة في وطن المشركين وعشرتهم أو نحو ذلك، فإن الله تعالى لم يعذر من تعذر بذلك وسماه ظالماً لنفسه فقال تعالى: **﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾**[3]. قال ابن كثير وغيره أن هذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو مرتكب حراماً بالإجماع وبنص هذه الآية المتقدمة)[4]. ا. هـ

قال السدي[5] لما أُسر العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله ﷺ للعباس أفد نفسك وبر أخويك، قال يا رسول الله ألم نصل قبلتك ونشهد

---

(١) سورة النساء آية (٩٨).

(٢) انظر مختصر تفسير ابن كثير/ محمد علي الصابوني م ١ ص ٤٢٧.

(٣) سورة النساء آية (٩٧).

(٤) انظر تفسير مختصر ابن كثير/ محمد علي الصابوني م ١ ص ٤٢٧.
وانظر زاد المسير في علم التفسير/ عبد الرحمن بن الجوزي جـ ٢ ص ١٧٨.

(٥) هو اسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير القرشي (أبو محمد) مفسر، سكن الكوفة وتوفي سنة (١٢٧ هـ) من آثاره تفسير القرآن الكريم. انظر معجم المؤلفين/ عمر رضا كحاله. جـ ٢ ص ٢٧٦.

شهادتك، قال يا عباس إنكم خاصمتم فَخُصِمْتُم ثم تلى قوله تعالى: ﴿**ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها**﴾[1]. رواه ابن أبي حاتم)[2]. ا.هـ

ومن خلال تلك الآيات يتضح لنا أن المستضعف الحقيقي هو الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا للخروج من دار الكفار أما الذي يقيم مع الكفار برغبته واختياره إيثاراً لحب الأهل والمال والولد والمسكن غير ضائق بالمقام بين الكفار، وهو غير مظهر للدين، فهو كاذب في دعواه وعذره غير مقبول عند الله تعالى ولا عند رسوله، ولا عند أهل العلم بشريعة الله، ولذلك فإن الناس في موضوع الهجرة من دار الكفر الى دار الإسلام على ثلاثة أضرب:

الضرب الأول: من تجب عليه الهجرة، وهو من يقدر عليها. ولا يمكنه إظهار دينه والقيام بواجبات الإسلام مع المقام بين الكفار.

فهذا تجب عليه الهجرة لقوله تعالى: ﴿**إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا**﴾[3]. **وهذا وعيد شديد يدل على وجوب الهجرة لمن قدر عليها وهو في مجتمع لا يسمح بظهور شعائر الإسلام، لأن إظهار شعائر الإسلام واجب وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب)**[4].

الضرب الثاني: من لا هجرة عليه بسبب العجز عنها لمرض أو إكراه أو ضعف كالنساء أو الولدان ونحوهم، فمثل هؤلاء لا هجرة عليهم لقوله تعالى: ﴿**الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة**

(١) سورة النساء آية (٩٧).
(٢) انظر مجموعة التوحيد ص ٣٠٢.
(٣) سورة النساء آية (٩٧، ٩٨).
(٤) انظر المغنى والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٥١٤ ـ ٥١٥.

ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله عفواً غفوراً﴾[1]. ولا توصف باستحباب لكونها غير مقدور عليها.

الضرب الثالث: من تستحب له ولا تجب عليه وهو من يقدر عليها ولكنه يتمكن من إظهار دينه في دار الكفار، فتستحب له ليتمكن من جهاد الكفار وتكثير سواد المسلمين، ولا تجب عليه لإمكان إقامة واجب دينه بدون الهجرة، فقد روي أن نعيم[2] النحام حين أراد أن يهاجر جاءه قومه بنو عدي فقالوا له أقم عندنا وأنت على دينك ونحن نمنعك ممن يريد أذاك، وأكفنا ما كنت تكفينا، وكان يقوم بأيتام بني عدي، وأراملهم فتخلف عن الهجرة مدة، ثم هاجر بعد ذلك فقال له النبي ﷺ: (قومك كانوا خيراً لك من قومي لي، قومي أخرجوني وأرادوا قتلي، وقومك حفظوك ومنعوك) فقال: يا رسول الله: (بل قومك أخرجوك إلى طاعة الله وجهاد عدوه، وقومي ثبطوني عن الهجرة وطاعة الله) أو نحو هذا القول[3].

ومما تقدم يتبين لنا أن الناس في سفرهم وإقامتهم مع المشركين ينقسمون إلى قسمين: ـ

القسم الأول: من يجوز لهم السفر والإقامة بدار الكفار وهم: ـ

أولاً: من يقصد بسفره الدعوة إلى الله بقوله وفعله وهو متمكن من إظهار

(١) سورة النساء آية (٩٨، ٩٩).

(٢) هو نعيم بن عبد الله النحام بن عدي بن كعب القرشي العدوي، أسلم قديماً وكان من الأوائل في الإسلام. قيل أسلم بعد عشرة أنفس وقيل بعد ثمانية وثلاثين إنساناً وكان يكتم إسلامه أول الأمر، ثم أظهره وأراد الهجرة فمنعه قومه لأنه كان ينفق على الأرامل من بني عدي، فقالوا له أقم عندنا على أي دين شئت، فوالله لا يتعرض إليك أحد إلا ذهبت أنفسنا جميعاً دونك، ثم قدم مهاجراً بعد ست سنين من الهجرة واستشهد في اليرموك سنة خمس عشرة من الهجرة في خلافة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وقيل استشهد بأجنادين سنة ثلاث عشرة في خلافة الصديق (رضي الله عنه).
انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة جـ ٥ ص ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) انظر: المغنى والشرح الكبير جـ ١٠ ص ٥١٤.

دينـه مأمـون عليه من الفتنـة في ظاهـر حالـه مظهـراً الموالاة للمسلمين والمعاداة للكافرين.

الثاني : من يكون سفره مباحاً شرعاً وهو من سافر لبيع وشراء أو علاج أو نحو ذلك وهو عارف بدينه مأمون عليه في ظاهر حاله من الفتنة مظهراً الموالاة للمسلمين والمعاداة للكافرين.

الثالث : المستضعفين من النساء والولدان ونحوهم الذين لا يستطيعـون حيلة للخروج ولا يجدون طريقاً إلى ذلك.

القسم الثاني : الذين لا يجوز لهم السفر والإقامة بدار الكفار وهم : -

أولاً : من يكون سفره وإقامته ببلاد الكفار حـرام أو كبيرة من كبـائر الذنوب، وذلك من يسافر لحاجة دنيوية وهو عارف لدينه، مأمون عليه من الفتنة، ولكنه لا يستطيع إظهار دينـه، وتأديـة شعائـر الإسلام علانية وبحرية تامة.

ثانياً : من يكون سفره وإقامته ببلاد الكفار ردة وكفر وذلك في حق من أظهر الموافقة للكفار على كفرهم، واستحسن ما هم فيه من كفر ومدحه، ولم يتميز عنهم بتحليل الحلال وتحريم الحرام[1]، فهو صورة طبق الأصل لهم وقد قال الله فيمن هـذه صفته **﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**[2].

وبناء على ذلك فإن الأصل في منهج الإسلام هو إبقاء المسلم في دار الإسلام، والإنتقال إليها من دار الكفر، وأما عكس ذلك وهو الانتقال من دار الإسلام إلى دار الكفر، فهذا مشروط بشروط ومقيد بقيود يجب على المسلم الملتزم بالإسلام حقاً وصدقاً الوقوف عندها، وعدم تجاوزها، وقد

---

(١) انظر الجهاد: تأليف/ عبد الرحمن بن حماد آل عمر ص ٣١ - ٣٢.

(٢) سورة المائدة آية (٥١).

أشرنا فيما تقدم إلى ثلاثة أنواع من المسلمين يجوز لهم السفر والإقامة بين الكفار وفي دار الكفر، وذلك أن سفرهم ومقامهم بين الكفار أما لمصلحة الدعوة الإسلامية كالذين يدعون إلى الإسلام، أو الذين يزاولون أعمالاً مشروعة مع محافظتهم على الواجبات وترك المحرمات وإظهار الحق ومودته، وانتقاد الباطل وكراهيته، وأما لمصلحة النفس وهؤلاء هم المستضعفون من المسلمين، وتلك الحالات الثلاث لا تنطبق على معظم المبتعثين إلى الدول الكافرة ولا على المسافرين إليها.

وعلاج هذه الظاهرة في رأيي لا يكون بإغلاق الحدود بيننا وبين الكفار ولكن بتعميق مفهوم الإيمان في النفوس وغرس القناعة الذاتية في الأفراد فالرسول ﷺ لم يقم حواجز حول المدينة ليبحث مقاصد المسافرين ويمنع الناس من السفر إلى بلاد الشام ومكة قبل الفتح وإنما كان يعلم أن لدى كل مسلم حصانة ذاتية من داخل النفس بسبب صدق الإيمان وقوة الإسلام.

أما اليوم وقد فُقِدَت هذه الحصانة الذاتية والمناعة الداخلية فإنه يجب على الدول التي تدعي الإسلام أن لا تسمح للمسلم بالخروج إلى دار الكفار إلا إذا أبرز المسلم شهادة تزكية معتبرة تدل على صلاحه واستقامته في ظاهر حاله وأنه مظنة التأثير دون التأثر، وأنه يتمتع بقسط كبير من التقوى والورع الذي يمنح النفس القدرة على مقاومة إغراءات الكفار ومفاسدهم كما يقاوم الجسم القوي السليم عدوى الأمراض الجسدية والوبائية.

واشتراط شهادة التزكية والعدالة أمر لا اعتراض عليه حسب معرفتي وتقديري، لأنه إذا كانت الدول تشترط على المسافرين منها وإليها إحضار شهادة تطعيم دولية ضد الأمراض المعدية الحسية، فإن خطر الأمراض الاعتقادية والفكرية والسلوكية على الإنسان المسلم أشد من خطر الأمراض الجسدية لأن إصابة الإنسان في عقيدته وسلوكه قد تجعله من المخلدين في نار جهنم.

ولذلك يجب دراسة أحوال المبتعثين والمسافرين إلى الدول الكافرة ومعرفة موقِف تلك الدول من أبناء المسلمين الموجودين فيها ومدى تمكينها لهم من مزاولة واجبات الإسلام، وهل تسعى إلى إفسادهم بالطرق المختلفة أم لا؟

فإذا توفرت الأسباب الصالحة والمبيحة للمقام بين الكفار جاز ابتعاث الطلاب والسفر إلى الدول الكافرة، عند الحاجة إلى ذلك.

ولكن الحاصل في عصرنا الحاضر خلافاً لما يجب أن يكون، فأعداء الأمة الإسلامية هم الآمرون الناهون في معظم الأقطار الإسلامية، ولذلك تراهم قد جعلوا الابتعاث والسفر إلى بلاد الكفار باباً من أبـواب تكفير المسلمين وارتدادهم عن الإسلام وذلك أن الابتعاث يشتمل على سلبيات هي كما يلي: -

أولاً: ارسال شباب صغار السن من المرحلة الثانوية وما في مستواها وهم أجهل ما يكونون في عقيدتهم ودينهم، ولا يعرفون عيوب وسيئات الأنظمة والديانات في بلاد الكفار.

ثانياً: إن معـظم الشباب يبتعثـون ويشترط عليهم أن يكـونوا غيـر متزوجين، أو لا يشجعون على استصحاب أزواجهم معهم مما يترتب على ذلك فساد أخلاق كثير من المبتعثين وسقوطهم في حمأة الرذيلة، إلا من عصم الله.

ثالثاً: إغراق المبتعثين بالناحية المالية إما من أهله إن كان من أبناء التجـار أو من ذوي السلطان، أو من الدولـة حيث تدفـع بعض الـدول الإسلامية وخاصة النفطية مبالغ طائلة مما يكون لذلك مردود عكسي على معظم الطلاب في المجتمعات الكافرة أو شبه الكافرة.

رابعاً: إن الابتعاث يتم في كثير من الأحيان لأغراض تافهة ومقاصد هزيلة مثل أن يبتعث أناس لدراسة الموسيقى أو الرياضة أو ما إلى ذلك من

قضايا سطحية ساذجة لا تفيد الأمة في دينها ودنياها ولا تخدمها في قضاياها الأساسية والمصيرية.

خامساً: إن الدول التي تبعث بأبنائها إلى بلاد الكفار، لا توفر لهم الحماية اللازمة، في إظهار دينهم، وحرية عبادتهم في بلاد الكفار ولا تدعمهم بمالها وجاهها في ذلك، رغم أنها لوجدت في هذا الموضوع لاستطاعت تحقيق شيء مرضى في ذلك، ولكن فاقد الشيء لا يعطيه.

سادساً: إن التجربة أثبتت فشل معظم المبتعثين في عقيدتهم وسلوكهم وفي العلوم التي ابتعثوا لتحصيلها، نظراً إلى أنهم يُرْمَون في بلاد الكفار بلا حسيب أو رقيب، سوى العيون التي تطارد كل من ينال من مقام الحاكم وقدسيته، أما مسألة العقيدة والأخلاق فإن الطالب في حل من ذلك، فليعتقد كل إنسان ما شاء، وليتخلق كل إنسان بما شاء من أخلاق الكفار وصفاتهم مادام يعطي الولاء لصاحب السيادة والسلطان.

وقد عاد آلاف من الطلاب من الشرق والغرب، ومع ذلك فإن حال المسلمين تسير من سيء إلى أسوأ، فماذا حقق الطلاب الذاهبون الآيبون على مدى نصف قرن للبلاد الإسلامية؟ هل حققوا تقدماً علمياً وصناعياً يجعلهم في مصاف الدول الصناعية؟ هل حققوا تقدماً عسكرياً يستردون به الأوطان السليبة ويعيدون به الكرامة المهدورة تحت أقدام الصهاينة اليهود.

الأعداء ليسوا أغبياء كي يعلموا أبناء المسلمين علماً هو سبب قوة الأعداء ضد الإسلام والمسلمين، فاللص مهما يكن غبياً لا يسلم سلاحه لعدوه، لأنه يعرف أن سر تفوقه على عدوه هو هذا السلاح الذي بيده، وقد عاد إلينا كثير من الأبناء بقشور الغرب والشرق دون أن يحملوا معهم اللباب، فهم إما ببغاوات لمهازل الغرب، أو إمعات لسخافات الشرق، قد فقدوا أصالتهم الاعتقادية وشعائرهم التعبدية وأصبحوا ذيولاً لصهاينة الشرق والغرب.

والذي نستنتجه من هذا العرض المتقدم أن البلاد الإسلامية لو أخلصت دينها لله، وصدق قادتها في ولائهم للإسلام والمسلمين لحرصوا على ابتعاث الشباب المؤمن الصادق في إيمانه المخلص في عقيدته ولتحققت لهم ثلاثة أهداف رئيسية: -

أولاً: أن يكون ابتعاث الشباب المؤمن وسيلة من وسائل الدعوة في بلاد قد خيم على أهلها ظلام الجاهلية، وظلم أنظمتها، حيث أن المسلم الملتزم بالإسلام يكون داعية بقوله وفعله وسلوكه في المجتمع الذي هو فيه كما حصل من معظم المسلمين، كانوا دعاة إلى الإسلام في أسفارهم إلى أفريقيا وجنوب شرقي آسيا.

الثاني: أن الشباب المؤمن سوف يكون جاداً في تعلم العلم النافع والتحصيل المفيد، مما يترتب على ذلك وجود الخبرة اللازمة للعلوم والصناعات الأساسية اللازمة لنمو الأمة وتطورها تطوراً صحيحاً، فإن الذي يطلب العلم بغير عقيدة أو مبدأ كريم لا يجني إلا القشور.

ثالثاً: إنه في أقل الأحوال تسلم عقيدة هؤلاء الشباب من الانحراف والتبديل، ويسلم المجتمع من شر المبادىء الهدامة والعقائد الضالة التي عاد بها كثير من المبتعثين إلى بلاد الإسلام.

فالسلامة في أقل الأحوال غنيمة بالقياس إلى من خسر الدنيا والآخرة نتيجة مخالطة الكفار والمقام بينهم كما هو شأن كثير من المبتعثين والمسافرين إلى بلاد الكفار بصورة غير شرعية، فهل نتعظ بما سلف؟ أم لا تزال الأمة الإسلامية تلدغ عشرات المرات وهي في سباتها لا تفيق.

وخلاصة القول في موضوع السفر والإقامة بين الكفار أن هذا الأمر يدور على أربعة أحكام هي: -

١ - الاستحباب.

٢ - الإباحة.

٣ - التحريم الذي لا يخرج من الملة.

٤ - التحريم الذي يقتضي الردة والكفر.

وقد فصلنا المقتضى لهذه الأحكام في أول هذا المبحث تفصيلاً نعتقد أن فيه الكفاية والله حسبنا ونعم الوكيل.

الفرع الثاني

موالاة الكفار في العمل لديهم وتحت ولايتهم

إن المسلم الحقيقي هو الذي ينطلق من قاعدة التشريع الإسلامي في أعماله ومعاملاته وفي شؤون حياته كلها، وبما أن وضع المسلم نفسه في خدمة مصالح الكفار والعمل لديهم قد يدخل في باب التعاون على الإثم والعدوان، ومظاهرة الكافرين على المؤمنين فقد تناول الفقهاء هذا الموضوع بالدراسة والتخليل على ضوء ما ورد في هذا الخصوص من الكتاب والسنة.

فقال الحنابلة أنه لا يجوز للمسلم أن يمكن من نفسه للكافر أن يستأجره ليخدمه، سواء كان هذا الكافر ذمياً أو مستأمناً أو محارباً[1]. لأن استخدام الكافر للمسلم استذلال له، فكأن في إجارة المسلم نفسه من الكافر اذلال لنفسه وليس من حق المسلم أن يذل نفسه للكافر، لأن الله تعالى يقول: ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا﴾[2]. ولأن

---

(١) انظر المغنى/ لابن قدامة جـ ٥ ص ٥٠٥.

(٢) سورةا النساء آية (١٤١).

الإسلام يعلو ولا يعلى عليه، وقد ذهب الشيخ عبد الرحمن بن حسن إلى عدم جواز عمل المسلم عند الكافر استناداً إلى هذه الآية[1].

وعند الحنفية يجوز للمسلم أن يؤجر نفسه للكافر مع الكراهية لذلك وهو قول الشافعي (رحمه الله) وحجتهم في ذلك هو أن تأجير النفس عقد معاوضة على منفعة فيجوز كالبيع[2].

ويستدلون على ذلك بروايات وأحداث مختلفة هي كما يلي: -

١ - ما روي أن علياً بن أبي طالب (رضي الله عنه) أجر نفسه من يهودي يسقي له، وأخبر النبي ﷺ وبذلك فلم ينكر عليه لأنه عقد معاوضة، لا يتضمن إذلالاً للمسلم فأشبه بمبايعته[3].

٢ - ما روى الطبراني عن كعب بن عجرة (رضي الله عنه) أنه اشتغل عند يهودي، فسقى له إبله كل دلو بتمرة، وأخبر النبي ﷺ بذلك فما أنكر عليه شيئاً)[4].

٣ - ما حصل من يوسف عليه السلام مع فرعون مصر حيث عرض يوسف نفسه على فرعون مصر كما ذكر الله عز وجل ذلك حكاية عن يوسف (عليه السلام) بقوله تعالى: **﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾**[5].

قال ابن زيد: كان لفرعون ملك مصر خزائن كثيرة فسلم سلطانه كله إلى يوسف[6]. ا.هـ

(١) الدرر السنية جـ ٩ ص ١٨٧.

(٢) المغني/ لابن قدامة جـ ٥ ص ٥٠٥.

(٣) المغني: لابن قدامة جـ ٥ ص ٥٠٥.

(٤) رواه الطبراني عن كعب بن عجرة، وروى أبو يعلى مثل ذلك عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهما). انظر التعصب والتسامح بين النصرانية والاسلام/ محمد الغزالي ص ٥٥.

(٥) سورة يوسف آية (٥٥).

(٦) انظر تفسير القرطبي جـ ٩ ص ٢١٥.

وقد استدل أهل العلم في هذه الآية أنه يباح للرجل الفاضل أن يعمل عند الرجل الفاجر والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعل لا يعارضه فيه، فيصلح منه ما شاء، وأما إذا كان عمله بحسب اختيار الرجل الفاجر وشهوته وفجوره، فلا يجوز ذلك[1]، وقال قوم أن هذا كان ليوسف خاصة، وهو اليوم غير جائز[2]، بناء على الخلاف الأصولي حول موضوع هل شرع من قبلنا شرع لنا إذا لم يأت ما يخصصه من شرعنا.

وقد رجح القرطبي القول بالجواز في العمل عند الكفار بالشروط المتقدمة[3]. وقال الماوردي: إن كان المولى ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من قبله على قولين: -

الأول: جواز تولي الوظيفة من قبل الكافر إذا عمل المتولي للوظيفة بالحق فيما تقلده من مهمة دون تدخل من الكافر، لأن يوسف وُلّي من قبل فرعون، باعتبار يوسف ذا سلطة مطلقة، فهو يتصرف بفعله لا بفعل غيره.

الثاني: أنه لا يجوز تولي العمل إذا كان المولّى للعمل ظالماً، لما فيه من تولى الظالمين بالمعونة لهم على ظلمهم، وتزكيتهم بتقلّد أعمالهم[4]. وأجاب من ذهب إلى هذا المذهب عن ولاية يوسف من قبل فرعون بجوابين: -

١ - إن فرعون يوسف كان صالحاً، وإنما الطاغي فرعون موسى.

٢ - إن يوسف نظر في أملاكه دون أعماله فزالت عنه التبعة فيه.

وقال جماعة من أهل العلم، أن العالم العامل والرجل الصالح إذا

---

(١) نفس المصدر السابق جـ ٩ ص ٢١٥.
(٢) نفس المصدر السابق نفس المكان.
(٣) نفس المصدر السابق نفس المكان.
(٤) انظر تفسير القرطبي جـ ٩ ص ٢١٥.

علم كل منهما أنه لا سبيل إلى دفع الظلم والضرِّ عن الناس إلا بتولية من قبل الكافر أو الفاسق فله أن يعمل عنده[1].

وقال الماوردي: إن الأصح من إطلاق هذين القولين أن يفصّل ما يتولاه المسلم من جهة الكافر أو الظالم على ثلاثة أقسام: -

الأول: ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهاد في تنفيذه مثل الصدقات وأنواع الزكاة فيجوز للمسلم أن يتولى هذه الأمور من جهة الظالم لأن النص على مستحقها قد أغنى عن الاجتهاد فيها، وجواز تفرد أربابها بها قد أغنى عن التقليد.

الثاني: ما لا يجوز أن يتفرد به أربابه ويلزم الاجتهاد في مصرفه كأموال الفيء، فلا يجوز توليها من جهة الظالم، لأنه يتصرف بغير حق ويجتهد فيما لا يستحق.

الثالث: ما يجوز أن يتولاه لأهله، وللاجتهاد فيه مدخل - كالقضاء واصدار الأحكام فإن كان النظر تنفيذاً للحكم بين متراضيين، وتوسطاً بين متخاصمين جاز، وإن كان إلزاماً وإجباراً لم يجز[2].

ويقول الشوكاني في الفتح: (إنه يجوز لمن وثق من نفسه إذا دخل في أمر من أمور السلطان الظالم أن يرفع منار الحق، ويهدم ما أمكنه من الباطل) أن يطلب ذلك لنفسه، وجاز له أن يصف نفسه بالأوصاف التي لها ترغيب فيما يرومه)[3]. ا. هـ

ويقول ابن العربي في تفسيره: أن يوسف عليه السلام لم يسأل العزيز

---

(١) انظر جامع البيان في تفسير القرآن/ للطبري جـ ١٣ ص ١٩ مع حاشيته - غرائب القرآن ورغائب الفرقان/ تأليف: الحسن بن محمد النيسابوري.
وانظر تفسير القرطبي جـ ٩ ص ١٠٨.

(٢) انـظر الأحكام السلطانية - للماوردي ص ٧٢ - ٧٥.

(٣) انظر فتح القدير للشوكاني جـ ٣ ص ٣٥.

أنْ يجعله على خزائن الأرض سؤال ولاية، وإنما كان سؤال تخل وترك لينتقل الأمر إليه كله، بتمكين الله ومشيئته[1]، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وكذلك مكنّا ليوسف في الأرض يتبوّأ منها حيث يشاء﴾[2]. ا.هـ.

وذكر الشوكاني في الفتح عند تفسير قوله تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[3]. فقال إن هذه الآية خاصة بالمشركين، وان النهي المذكور في الآية مراد به المشركين وقد وصفوا بالظلم لأن الشرك ظلم[4]، قال تعالى: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾[5].ا.هـ. والصحيح أن الآية عامة للمشركين وغيرهم من أهل البدع والمعاصي، فإن الصحبة لهم قد تكون كفراً أو معصية في بعض الأحوال[6].

فإن كانت الصحبة عن ضرورة وتقية، وهي الإكراه الملجىء في النطق بالكفر دون فعله، ودون الاعتداء على الناس ظلماً في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، فقد سبق بيان ذلك بشروطه المعلومة[7].

أما العمل مع الكفار ومن في حكمهم من المرتدين والمنافقين، فينظر في ذلك إلى المصلحة الغالبة، فكل من أمروه ابتداءً أن يدخل في شيء من أعمالهم التي أمرها إليهم، وجب عليه ذلك فضلاً عن أن يقال له جائز[8]، إذا كان في ذلك طاعة لله كالمناصب الدينية والأعمال المباحة، وكان واثقاً

---

(١) انظر أحكام القرآن/ لابن العربي جـ٣ ص ١٠٨٠.
(٢) سورة يوسف آية (٥٦).
(٣) سورة هود آية (١١٣).
(٤) أنظر فتح القدير/ للشوكاني جـ ٢ ص ٥٣١.
(٥) سورة لقمان آية (١٣).
(٦) انظر تفسير القرطبي جـ ٩ ص ١٠٨.
(٧) انظر صفحة ٣٩٥-٤١٤ من هذه الرسالة. وانظر تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٥٧ و ـ ٥ ص ٤١٧، جـ ٦ ص ٢، جـ ٩ ص ١٠٨.
(٨) انظر فتح القدير/ للشوكاني جـ ٢ ص ٥٣١.

من نفسه القيام بما وكل إليه من أعمال الخير بشرط أن لا يمدح هؤلاء الظالمين أو يدافع عن ذمهم، أو يبرر أخطاءهم.

وأما ما ورد من النهي عن الدخول في الإمارة وأعمال الولاة فذلك مقيد بعدم القدرة على عصيان الأمر إذا صدر فيما لا تصح الطاعة فيه، أو مع ضعف المأمور عن القيام بما أمر به من واجبات مباحة[1]، أما مخالطة الظلمة والدخول عليهم لجلب مصلحة عامة أو خاصة أو دفع مفسدة عامة أو خاصة، مع كراهة ما هم عليه من الظلم، وعدم ميل النفس إليهم ومحبتها لهم وكراهة المواصلة لهم، لولا جلب تلك المصلحة، أو دفع تلك المفسدة، فعلى فرض صدق مسمى الركون على مثل هذا الفعل، فهو مخصص بالأدلة الشرعية الدالة على مشروعية جلب المصالح ودفع المفاسد، والأعمال بالنيات، ولكل امرىء ما نوى، ولا تخفى على الله خافية[2].

وفي الجملة يجب على من ابتلى بمخالطة من فيه ظلم، أن يزن أقواله وأفعاله، وما يأتي وما يذر بميزان الشرع وأن يرجح مصلحة الدعوة على مصلحته الخاصة، في كل ما يأخذ أو يدع من قول أو فعل[3].

فقد كان يوسف الصديق عليه السلام نائباً لفرعون مصر وكان فرعون وقومه مشركين، ومع ذلك فعل يوسف من العدل والخير ما أقدره الله عليه ودعاهم إلى الإيمان حسب الطاقة والإمكان[4].

وقد قال علماء الأصول في مسألة شرع من قبلنا هل يكون شرعاً لنا

---

(١) المصدر السابق نفس المكان.

(٢) انظر فتح القدير للشوكاني جـ ٢ ص ٥٣١. وانظر مورد الظمآن عبد العزيز بن سلمان جـ ٣ ص ١٢٣.

(٣) نفس المصدر السابق.

(٤) انظر أسباب اختلاف الفقهاء. د/ عبد الله عبد المحسن التركي ص ١٢٥.

فقال بعضهم إذا ورد النص في شرعنا، حكاية عن شرع من قبلنا على جهة الاستدلال والإقرار من غير انكار، تقرر ضمناً الاستدلال به والعمل بموجبه[1]. وهذا هو المفهوم من قصة يوسف مع عزيز مصر كما اعتقد والله أعلم بالصواب. والذي أرجحه في هذه المسألة، هو أن ينظر المسلم الذي يريد أن يعمل عند الكافر أو من في حكمه من المرتدين - إلى نوع العمل هل هو من الأعمال التي ينظر إليها حسب العرف الشرعي بأنها أعمال فيها امتهان للكرامة وقضاء على العزة أم لا؟ فإن كان العمل مثل الكتابة والتعليم والنيابة في البيع والشراء ونحو ذلك فلا بأس بها مادام يعمل بعزة وكرامة وهو قادر على ترك العمل عند رؤ ية أية إهانة أو جفاء. أما الأعمال التي تُشْعِرُ بالذلة والامتهان والاحتقار، فلا يجوز للمسلم مزاولتها عند الكفار وما دونهم من الظلمة وأهل الفسوق نظراً لقضائها على عزة المسلم التي أمر الله بالمحافظة عليها، قال تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾[2] فاعزاز المسلم لنفسه اعزازاً لدينه وإهانته لنفسه إهانة لما يحمله من مبدأ وعقيدة في الحياة.

ومن أمثلة الأعمال التي يكون فيها إهانة للمسلم عند أعداء الله أن يعمل لديهم طباخاً أو حمالاً أو غسالاً، أو عامل نظافة أو نحو ذلك، أو أن يعمل لهم ما هو من شعائر كفرهم وخصائص ملتهم، كأن يكنس كنائسهم أو يذبح لهم خنزيرهم، أو يصنع لهم الخمر أو يقدمها بين أيديهم. فقد سأل الإمام احمد بن حنبل رجل بناء فقال: (أأبني للمجوس ناووسا[*]؟ قال لا تبني لهم، ولا تعنهم على ما هم فيه من كفر)[3]. ا.هـ

---

(١) انظر الحسبة أو وظيفة الحكومة الاسلامية/ ابن تيمية ص ٨.

(٢) سورة المنافقون آية (٨).

(٣) انظر اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم/ ابن تيمية ص ٢٣٢.

* الناووس صندوق من خشب أو نحوه يضع النصارى فيه جثة الميت. انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ٩٧١.

وقد نُقِلَ عن محمد بن الحكم وسأله عن الرجل المسلم يحفر لأهل الذمة قبراً بكراء؟ قال: لا بأس به[1].

والفرق بينهما أن الناووس من خصائص دينهم الباطل كالكنيسة بخلاف القبر المطلق، فإنه ليس في نفسه معصية ولا من خصائص دينهم.

وقد ورد سؤال من محمد بن عبد الله بن فاضل من مدينة فاس بالمغرب إلى الشيخ أحمد حسن مسلم عضو لجنة الفتوى بالأزهر قال فيه: (ان ابني يعمل في إحدى المؤسسات الإنشائية بفرنسا وهذه المؤسسة تتولى أحياناً بناء فنادق تضم صالات للقمار والرقص والخمر وما إلى ذلك، فماذا تقولون في عمله هذا؟ فرد الشيخ بأنه يجب عليه أن يبتعد عن المشاركة في أعمال يكون مآلها إلى معصية الله[2].

وبناء على ما تقدم فإن العمل عند الكفار يكون موالاة لهم إذا توفرت الشروط التالية أو بعض منها في العامل لديهم من المسلمين وهذه الشروط كما يلي: -

١ - إذا كان يتابع الكفار متابعة مطلقة، وينفذ أوامرهم في معصية الله.

٢ - إذا كان عاجزاً عن القيام بأوامر الله، وإظهار شرعه تحت ولاية الكفار في حدود ما تشمله ولايته.

٣ - إذا كان مادحاً للكفار راضٍ عن كفرهم، موالياً لأوليائهم عدواً لأعدائهم.

٤ - إذا كان يعمل لديهم بأعمال تتنافى مع مبدأ العزة والشرف والكرامة والاستعلاء.

فكل من يعمل مع الكفار وتتوفر فيه واحدة من هذه الصفات أو أكثرها

(١) المصدر السابق نفس المكان.

(٢) انظر مجلة المسلمون العدد (٣) الجمعة ١٧ محرم ١٤٠٢ هـ ص ٢١.

فعمله معهم محرم، وهو موال لأعداء الله مجانب لما أمر الله به بقـوله تعالى: ﴿**ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين**﴾[1].

---

(١) سورة آل عمران آية (١٣٩).

الفصل الثالث

العقوبات المترتبة على موالاة الكفار

١ ـ المبحث الأول : العقوبة التعزيرية لمن يوالي الكفار.
٢ ـ المبحث الثاني : العقوبة الإلهية التي تجري وفق السنة الربانية بحق من يوالون الكفار.
٣ ـ المبحث الثالث : العقوبة الأخروية لمن يوالون الكفار.

المبحث الأول

العقوبة التعزيرية لمن يوالي الكفار

سبق أن أوضحنا في تعريف الموالاة أنها تعني محبة الكفار ومناصرتهم وتأييدهم، ومساعدتهم بما يظهر به كفرهم، ويقوى به باطلهم على المسلمين. ولذلك فإن من يشارك بمثل هذه الأمور بأية صورة، وعلى أي وجه من الوجوه يكون موالياً للكفار أو متولياً لهم ويعاقب على ذلك عقوبة مغلظة شرعاً بموجب ما دلت عليه الشريعة الإسلامية، وتنفذ هذه العقوبة الدولة الإسلامية إذا وُجِدَتْ. وهذه العقوبة تختلف تبعاً لدرجة الموالاة للكفار. فمن الموالاة ما يوجب القتل، ومنها ما يوجب العقوبة بما دون القتل بمراتب متفاوتة، حيث أن عقوبة الموالاة عقوبة تعزيرية كما هو الرأي الراجح من أقوال العلماء[1].

فالقتل يكون في حق من تولى الكفار تولياً تاماً، أو والاهم موالاة

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٥٢ ـ ٥٣. وانظر أحكام القرآن/ لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧٠ ـ ١٧٧٣، وانظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٧ ص ٢٠٥.

مطلقة (أي بمعنى أنه يجب القتل على من كانت موالاته موجبة للردة عن الإسلام، وذلك مثل إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم من غير إكراه ملجىء). وكذلك يقتل من كانت موالاته للكفار كبيرة من كبائر الذنوب، وذلك مثل الذين يتجسسون على المسلمين لغرض دنيوي مع سلامة العقيدة وكراهية الكفر، فهذا النوع من الموالاة للكفار لا يحكم بردة الفاعل لذلك، وإنما يقتل بخطيئته بعد قيام البينة الشرعية على ذلك.

قال بذلك ابن القاسم وسحنون والقرطبي، ويروى عن ابن سحنون أنه قال: (إن ماله لورثته)[1]. ا. هـ وهذا يرجح القول بأنه يقتل تعزيراً لا حداً لأنه لو كان قتله حداً لكان مرتداً والمرتد لا يرث ولا يورث[2].

وذهب إلى القول بقتل من يوالي الكفار بتجسس أو نحوه الإمام مالك، وصحح ذلك القرطبي معللاً هذا الأمر بقوله: (إن ذلك يضر بالمسلمين ويفسد حالهم)[3]. ا. هـ

وقال ابن القاسم[4] وأشهب[5] يجتهد في ذلك الإمام حسبما يراه من التعزير المناسب، وقال عبد الملك بن جريج: إذا تكرر منه ذلك وكانت عادته قُتِلَ لأنه جاسوس، وبذلك قال ابن الماجشون[6]، واشترط التكرار في

---

(١) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٧ ص ٢٠٥.

(٢) المصدر السابق نفس المكان.

(٣) انظر تفسير القرطبي جـ١٨ ص٥٢ ـ ٥٣. وانظر أحكام القرآن/ لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧٠ ـ ١٧٧٣.

(٤) هو عبد الرحمن بن القاسم العتقي (١٩١). انظر الاعلام للزركلي م ٥ ص ١٧١.

(٥) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود القيسي العامري الجعدي، أبو عمرو ولد سنة (١٤٥ هـ). وهو فقيه الديار المصرية في عصره كان صاحب الامام مالك. قال عنه الشافعي: ما أخرجت مصر أفقه من أشهب، وأشهب لقب له، مات سنة (٢٠٤ هـ) بمصر في نفس البلد والعام الذي توفي فيه الامام الشافعي. انظر الاعلام: للزركلي جـ ١ ص ٣٣٣.

(٦) هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة التيمي، المدني (أبو عبد الله) (ابن الماجشون) =

هذا معللاً هذا الاشتراط بأن حاطباً لم يتكرر منه ذلك، ولذلك أخذ في أول فعلة باللوم على ذلك(١).

وفي رأيي أن اشتراط التكرار لا يلزم الأخذ به، فإن العلة الظاهرة في ترك قتل حاطب (رضي الله عنه) أنه شهد بدراً وهذه العلة التي قامت به منتفية في حق غيره والله أعلم(٢).

وبناء على ذلك فإن الذي يتجسس على المسلمين من أدعياء الإسلام لحساب الكفار بالأصالة أو العمالة يجب قتله وهو إما أن يقتل مرتداً، إذا كان يحب ظهور الكفر وخذلان الإسلام، أو يقتل تعزيراً بكبيرته إذا تعاون مع أعداء الإسلام لمصلحة دنيوية مع سلامة الإعتقاد، وحبه للإسلام وكراهيته للكفر.

ولذلك يجب على كل مسلم حين إطلاعه على شخص أو جماعة توالي الكفار أن يرفع أمرهم إلى الحاكم المسلم مع الدولة المسلمة إذا وجدا، ليرى فيهم صاحب الولاية الشرعية رأيه في ذلك بموجب القضاء الشرعي المستقل عن هيمنة الحاكم وتدخلاته غير الشرعية(٣).

فإذا لم يكن الحاكم قائماً بشرع الله ومنفذاً له أنكر المسلم أو جماعة المسلمين حسب القدرة والاستطاعة في ذلك.

وقد قال ابن عقيل من أصحاب الإمام أحمد وابن العربي وغيرهما

= فقيه محدث، حافظ، أصله من أصبهان، نزل المدينة، ثم قصد بغداد فتوفي بها سنة ١٦٤ هـ) ودفن في مقابر قريش.
انظر معجم المؤلفين جـ ٥ ص ٢٥١.

(١) انظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٥٢ ـ ٥٣ وانظر أحكام القرآن/ لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧٠ ـ ١٧٧٣.

(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم الجوزية جـ ٢ ص ٦٨.

(٣) انظر فتح الباري جـ ٦ ص ١٤٤ ـ ١٦٩.

بوجوب القتل لمن يناصر الكفار على المسلمين بتجسس ونحوه وقال الشافعي وأبو حنيفة وأحمد (رحمهم الله): (إن من تعاون مع الكفار من المنتسبين إلى الإسلام بتجسس ونحوه لا يقتل ويفهم من كلامهم أنه يعزر بما دون القتل)[1]. ا.هـ

والرأي الراجح فيما يظهر لي من القولين السابقين هو القول بالقتل إذا كانت الموالاة موجبة للردة أو كانت كبيرة من كبائر الذنوب لأن الأصل في هذه المسألة معاملة الرسول ﷺ لحاطب بن أبي بلتعة (رضي الله عنه) فإن النبي ﷺ منع عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عندما قال: عمر: يا رسول الله دعني أضرب عنقه فقد نافق. فقال رسول الله ﷺ: (إنه شهد بدراً، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم)[2].

فإن ظاهر العلة في ترك قتل حاطب (رضي الله عنه) أنه شهد بدراً ولو لم يكن كذلك لكان مستحقاً للقتل، لأنه علله بعلة مانعة من القتل منتفية في حق غيره ولو كان الإسلام مانعاً من قتله لم يعلل بأخص منه، لأن الحكم إذا علل بالأعم كان الأخص عديم التأثير وهذا أقوى حجة والله أعلم[3].

ويؤيد هذا القول موقف عمر (رضي الله عنه) فقد رُوِيَ أن ابن الجارود سيد ربيعة أخذ درباساً وقد بلغه أنه يخاطب المشركين بعورات المسلمين، وهم بالخروج إليهم، فصلبه ابن الجارود فصاح يا عمراه - ثلاث مرات - فأرسل إليه عمر، فلما قدم على عمر أخذ عمر الحربة فعلا بها

(١) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ١٥٥.
(٢) انظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٥٠.
(٣) انظر زاد المعاد لابن القيم الجوزية جـ ٢ ص ٦٨. وانظر تفسير القرطبي جـ ١٨ ص ٥٢ - ٥٣. وانظر الدرر السنية جـ ١ ص ٢٣٥.
وانظر أحكام القرآن لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧٠ - ١٧٧٢.

لحيته، وقال: لبيك يا درباس - ثلاث مرات - فقال لا تعجل، إنه كاتب العدو، وهم بالخروج إليهم، فقال عمر قتلتَه على الهم[1] وأينا لا يهم. فأمضى عمر اجتهاد ابن الجارود فيه.

وقد اختلف العلماء. هل المتولي للكفار بالتجسس أو نحو ذلك إذا قتل بذلك الذنب يكون القتل مكفراً لذنبه أم لا؟

فقال النووي: (إذا قتل المرتد وهو متمسك بردته، فإن قتله على هذه الصفة لا يكون كفارة له عن ذلك)[2]. أ. هـ

ورجح الشوكاني هذا الرأي، حيث يرى أن المرتد يقتل وهو على الكفر كما يقتل غيره من الكفار أثناء الحرب[3].

وعلى هذا يمكن القول بأن من تولى الكفار تولياً تاماً أو موالاة مطلقة ثم قتل على ذلك ولم يتب قبل موته أنه داخل تحت هذا الوعيد الشديد ومتعرض لعذاب الله في الدنيا بالقتل وفي الآخرة لعذاب النار وسوء القرار أعاذنا الله من ذلك.

أما ما يقع من موالاة للكفار لا تصل إلى درجة الردة والكفر، ولم تكن كبيرة من كبائر الذنوب، فإن هذه الأنواع من الموالاة يعزر من ارتكب شيئاً منها بما هو دون القتل كما هو رأي الإمام الشافعي وأحمد وأبو حنيفة (رحمهم الله)[4].

وفي ذلك يقول الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب: (إن موالاة الكفار لأجل دنياهم مع بغض القلب لهم موجبة

---

(١) انظر احكام القرآن لابن العربي جـ ٤ ص ١٧٧٢.
(٢) انظر صحيح مسلم بشرح النووي جـ ٢ ص ٩٧.
(٣) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٧ ص ٢٠٥ - ٢١٢.
(٤) انظر نيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ١٥٥. وانظر زاد المعاد/ لابن القيم جـ ٢ ص ٦٨. وانظر مختصر الفتاوي المصرية/ لابن تيمية ص ٥٠٢.

للتعزير، والهجر والتأديب، ونحو ذلك مما يزجر الفاعل وأمثاله عن موالاة الكفار ومداهنتهم[1]. ا.هـ

ومن العقوبات المترتبة على موالاة الكفار أنه إذا كان الموالي للكفار حاكماً، فإن موالاته للكفار هذه إما أن تكون موالاة كفر وردة عن الإسلام وفي هذه الحال تسقط البيعة للحاكم والحكومة بنص القرآن الكريم وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**﴾[2] فلا يجوز أن يكون للكافرين تسلطاً واستيلاء على المؤمنين، وإن وجد شيء من ذلك، فهو على خلاف الشرع ولا شك، فلا يجوز إقراره[3]. لأن ولاية الكافرين على المسلمين أعظم سبيل للتسلط والاستيلاء عليهم..

وقد أمر الله عز وجل بعدم الإذعان والطاعة لولي الأمر إذا كان كافراً بالردة أو بالأصالة قال تعالى: ﴿**يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم**﴾[4]. فطاعة المؤمنين واجبة بنص الآية لولي الأمر إذا كان مؤمناً من المؤمنين، والمرتد بالولاء للكفار قد خرج بردته من أن يكون مسلماً فضلاً عن أن يكون مؤمناً من المؤمنين، وبذلك يفقد حق السمع والطاعة من الأمة، فلا حرج ولا إثم عليها لو سحبت البساط من تحته، بعد أن فقد أهليته لهذا المنصب بسبب موالاته للكفار ومناصرته لهم.

وقد تكون موالاة الحاكم والحكومة للكفار كبيرة من كبائر الذنوب لا ترقى إلى درجة الكفر ولكنها توجب فسق وجور الحكومة أو الحاكم وقد اختلف العلماء في جواز الخروج على الحاكم الفاسق أو الجائر كما تقدمت الإشارة إلى ذلك[5].

---

(١) انظر مجموعة التوحيد ص ١٢٦.

(٢) سورة النساء آية (١٤١).

(٣) تفسير ابن سعدي جـ ٢ ص ٢٠٠.

(٤) سورة النساء آية (٥٩).

(٥) انظر صفحة ٤٦٧ - ٤٨٦ من هذه الرسالة.

ولكن مبدأ التسامح مع الحكام أو الحكومات التي تتصف بصفة الفسق أو الجور أو الظلم في موالاتها لأعداء الله وتقريبهم، مبدأ خطير على كيان الأمة ووجودها، في الوقت الذي يعتبر فيه المساس بدستور وضعي في دولة غير إسلامية خيانة عظمى يعاقب المتعدي في ذلك بأقصى العقوبات فضلاً عن التنحية والاستبدال[1].

أما إذا كانت الموالاة للكفار من صغائر الذنوب التي لا ترقى إلى درجة الكبائر فالواجب في ذلك هو نصح الحاكم أو الحكومة بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن حتى يرجعوا عما ارتكبوه من إثم وخطيئة.

وأما إذا كانت الموالاة للكفار صادرة من فرد أو جماعة من الناس لا يمثلون رأي الحاكم أو الحكومة فإن الواجب رفع أمرهم إلى الحاكم أو الحكومة لإيقاع العقوبة اللازمة عليهم فيما إذا كانت الموالاة للكفار موجبة لردة الموالي لهم، أو كانت تمثل كبيرة من كبائر الذنوب، وقد ذكرنا أن العقوبة الراجحة في مثل ذلك هي القتل[2].

أما إذا كانت الموالاة للكفار مما يوجب فسق الموالي لهم وعصيانه فقد أشرنا إلى كيفية التعامل مع الفسقة والعصاة في قضية الموالاة والمعاداة فيما تقدم[3].

أما كيفية التعامل مع من يتولى الكفار أو يواليهم من الأفراد في القضايا الخاصة مثل أكل الذبائح التي يذبحها من يتولى الكفار، أو التزوج بالنساء اللاتي يوالين الكفار، أو تزويج الرجال الذين يتولون الكفار، فقد

---

(١) انظر رسالة في عزل الرئيس الأعلى للدولة في نظام الحكم في الإسلام د/ علي بن فهيد السرباتي ص ١٣١ - ١٣٢.

(٢) انظر صفحة ٨٢٥ - ٨٢٦ من هذه الرسالة.

(٣) انظر صفحة ٤٢٥ - ٤٤٥ من هذه الرسالة.

اختلف العلماء في ذلك. هل يحكم بردة من يتولى الكفار فيعامل معاملة المرتدين في أكل الذبائح وفي حكم الزواج، أم يلحق بمن تولاهم من الكفار.

فإن تولى اليهود فحكم التعامل معه حكم التعامل مع اليهود، وإن تولى النصارى فحكم التعامل معه حكم التعامل مع النصارى، وإن تولى الشيوعيين أو الوثنيين فحكمه حكمهم.

ومرجع الاختلاف في ذلك هو الاختلاف في تفسير قوله تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾**[1].

فقد اختلف العلماء في ذلك على أقوال هي: -

القول الأول: إن المراد بذلك أهل الأوثان من العرب غير المسلمين لأنه لو أراد المسلمين لكانوا إذا تولوا الكفار صاروا مرتدين والمرتد إلى النصرانية أو اليهودية لا يكون منهم في شيء من أحكامهم، فلا تؤكل ذبيحته، وإذا كانت المرتد إلى الكفار إمرأة فلا تنكح ولا يثبت بينهما شيء من حقوق الولاية لحديث (من بدل دينه فاقتلوه)[2]. فيقتل لردته. ولهذا رجح جماعة من المفسرين القول بأن المراد بذلك هم العرب الوثنيون لا المسلمون المرتدون عن الإسلام بالولاء للكفار[3].

القول الثاني: إن الآية خطاب للمسلمين واخبار بأن من تولاهم أي اليهود والنصارى فهو كافر مثلهم بموالاته إياهم، والحكم عليه بالكفر لا يمنع مع أكل ذبيحته ومناكحة المرأة منهم، إذا كانوا لا يزالون ينتسبون إلى

---

(١) سورة المائدة آية (٥١).

(٢) رواه البخاري: انظر فتح الباري جـ ٦ ص ١٤٩.

(٣) انظر احكام القرآن - للجصاص جـ ٢ ص ٤٤٤ -٤٤٥ وانظر تفسير الطبري جـ ٦ ص ١٧٩. وانظر تفسير القرطبي جـ ٣ ص ٢١٧. وانظر أحكام القرآن/ لابن العربي جـ ٢ ص ٦٣٠.

أهل الإسلام، وإن كفروا باعتقادهم لما يعتقدونه من كفر وما يفعلون من مفاسد، وكان أبو الحسن الكرخي[1] ممن يذهب إلى ذلك[2].

القول الثالث: ما روي عن الإمام الشافعي (رحمه الله) أنه قال: إنما أباح الله عز وجل ذبائح ونساء أهل الكتاب من بني إسرائيل خاصة أمّا من كان دخيلاً فيهم من سائر الأمم ممن دان بدينهم فلم يعن بهذه الآية وليس هو ممن يحل أكل ذبيحته أو تزوج نسائه لأنه ليس ممن أوتي الكتاب في نظر المسلمين.

وهذا القول مروي أيضاً عن عمر وعلي بن أبي طالب (رضي الله عنهما) فقد روي عن علي أنه قال: (لا تأكلوا ذبائح نصارى بني تغلب فإنهم إنما يتمسكون من النصرانية بشرب الخمر)[3].

والذي أرجحه من هذه الأقوال هو القول بأن من تول اليهود أو النصارى أو غيرهم من الكفار فإنه يحكم بردته وكفره فإن كان الذي تولاهم يهوداً أو نصارى أو ما زال يدعي الإسلام ويتظاهر به بعض الأحيان، لم يَحْرم أكل ذبائحه أو التزوج بالنساء اللائي هنَّ بهذا الوصف.

وإن كان الذين تولاهم مدعي الإسلام شيوعيين أو وثنيين فحكمه كحكمهم في الكفر والعمالة وهذا ما يتفق مع ظاهر الآية في قوله تعالى:

---

(١) وهو عبيد الله بن الحسين بن دلال الكرخي الحنفي (أبو الحسن) ولد سنة (٢٦٠ هـ). وتوفي ببغداد في (١٥) شعبان سنة ٣٤٠هـ (فقيه، أديب، من تصانيفه بشرح الجامع الكبير، وشرح الجامع الصغير، وكلها في فروع الفقه الحنفي، وله مسألة الأشربة وتحليل نبيذ التمر.

انظر معجم المؤلفين/ جـ ٦ ص ٢٣٩.

(٢) أنظر أحكام القرآن للجصاص جـ ٢ ص ٤٤٤ ـ٤٤٥.

(٣) انظر أحكام القرآن ـ للإمام الشافعي جـ ٢ ص ٥٨.

وانظر تفسير الطبري جـ ٦ ص ٦٣ ـ ٦٥.

﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[1]. وفي الحديث (من كثر سواد قوم فهو منهم)[2]. وعلى هذا نقول: إن الموالي يتخذ حكم من والاه سواء بسواء ويعامل معاملة من تولاه من الكفار.

---

(١) سورة المائدة آية (٥١).

(٢) رواه أبو يعلى وعلي بن معبد عن عبد الله بن مسعود في كتاب الطاعة وله تتمة، وكذا الديلمي وابن المبارك عن أبي ذر موقوفاً.
انظر جند الله ثقافة وأخلاقاً/ سعيد حوى ص ١٨٣.

المبحث الثاني

العقوبة الإلهية التي تجري وفق السنة الربانية بحق من يوالون الكفار ويؤذون المؤمنين

من خلال قراءة التاريخ يتبين أن نهاية الظالمين بالموالاة للكفار والمعاداة للمؤمنين واحدة ويبدو أن هناك سنة ربانية يجهلها كثير من الفراعنة وجنودهم بسبب بعدهم عن الله، وتلك السنة الربانية قد دل عليها الحديث القدسي (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب)[1]. قال ابن هبيرة (ويستفاد من هذا الحديث تقديم الأعذار على الإنذار)[2]. ووجه ذلك أنه لما قدم معاداة من هو بهذه الصفة من الولاية لله فكأنه أعذر إلى كل سامع بل إلى كل عارف له، إن من هذا شأنه لا ينبغي أن يعادى، بل يجب أن يحب ويوالي، فإذا لم يفعل فقد أعذر الله إليه، ونبهه على أن من عادى ولّي الله فقد استحق العقوبة البالغة على عداوته له، فقال تعالى منذراً له في الحديث القدسي: (فقد آذنته بالحرب) أي جزاء على ما صنع مع وليّ[3].

(١) رواه البخاري، انظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٠ ـ ٣٤١.

(٢) المصدر السابق جـ ١١ ص ٣٤٢.

(٣) انظر ولاية الله والطريق إليها/ ابراهيم هلال ص ٣٤٧.

فإن الحرب تنشأ عن العداوة، والعداوة تنشأ عن المخالفة، وغاية الحرب الهلاك، والله عز وجل لا يغلبه غالب. فكان المعنى أن من عادى ولي الله بالقول أو الفعل أو بهما معاً، فقد تعرض لإهلاك الله له، فأطلق الحرب وأريد لازمه، أي أعمل به ما يعمل العدو والمحارب[1].

ولذا يمكن أن نقول: إن الموالي للكافرين والمحارب للمؤمنين جعل نفسه في مكان المعاند لله عز وجل بعداوته لأولياء الله ومحبته لأعداء الله فكأنه أمام نفسه مقام المحارب لله أصالة، وهو أحقر وأذل من أن يحارب ربه، لكنه خيلت له نفسه الأمارة بالسوء هذا الخيال الباطل، فعادى من أمره الله بموالاته ومحبته مع علمه بأن ذلك مما يسخط الرب ويوجب حلول العقوبة عليه. وإيقاعه في المهالك التي لا ينجو منها[2].

قال الفاكهاني: (في هذا الحديث وعيد وتهديد شديد، لأن من حارب الله تعالى أهلكه الله)[3]. وهو من المجاز البليغ، لأن من كره ما أحبه الله تعالى، خالف الله سبحانه وتعالى، ومن خالف الله عز وجل عانده، ومن عانده أهلكه، وإذا ثبت هذا في جانب المعاداة، ثبت ضده في جانب الموالاة.

فمن والى أولياء الله عز وجل أكرمه الله وحماه[4].

فإذا كان مجرد العداوة لولي من أولياء الله مؤذناً بحرب الله عز وجل لمن عاداه.

فكيف إذا تعدى الأذى لأكثر من مجرد العداوة، فآذوا بالقول والفعل ولأكثر من ولي بل عادوا أولياء الله جميعاً في كل صقع مع أصقاع الأرض؟

---

(١) انظر : فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٢.
(٢) انظر ولاية الله والطريق اليها/ ابراهيم هلال ص ٣٤٧.
(٣) انظر فتح الباري جـ ١١ ص ٣٤٢.
(٤) الصصدر لسابق جـ ١١ ص ٣٤٣.

ألا يكون ذلك مؤذناً بحرب الله لهم، إن الله يمهل ولا يهمل، قال رسول الله ﷺ: (إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته)[1].

وقد وعد الله عز وجل بالمدافعة عن المؤمنين من أوليائه جميعاً فضلاً عن الدفاع عن الولي الواحد. قال تعالى: **﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا إن الله لا يحب كل خوان كفور﴾**[2].

ومن سنة الله عز وجل أن يعامل من يتولون الكفار بنقيض قصدهم حيث أن أهم الأسباب التي تدفع إلى موالاة الكفار، طلب العزة من قبل الكفار كما يتصور ذوي النفوس المريضة، ولكن سنة الله الربانية تحول دون تحقق أحلامهم تلك.

إن آيات القرآن الكريم توضح لنا بجلاء أنه لا يتولى الكفار ويتقرب إليهم بالمودة والنصرة إلا منافق ظاهر النفاق، قال تعالى: **﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾**[3].

فنفى سبحانه وتعالى عن أهل الإيمان موالاة الكفار وأثبت ذلك للمنافقين في قوله تعالى: **﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً﴾**[4]. وقال تعالى: **﴿يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى، أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا**

---

(١) رواه بخاري. انظر فتح الباري جـ ٨ ص ٣٥٤.

(٢) سورة الحج آية (٣٨).

(٣) سورة آل عمران آية (٢٨).

(٤) سورة النساء آية (١٣٨، ١٣٩).

على ما أسروا في أنفسهم نادمين﴾[1]. فتبين من ذلك أن المنافقين هم الذين يتخذون الكافرين أولياء، يوالونهم بالمودة والنصرة متجاوزين ولاية المؤمنين معرضين عنها، معلقين طلب العزة والتمكين على الأعداء متناسين قول الله تعالى: **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون﴾**[2].

وقد جرب حكام هذه الأمة وشعوبها عبر التاريخ ألواناً من موالاة الأعداء فما جنوا من ذلك سوى الخيبة والذل والعار والمهانة في الدنيا والآخرة.

ففي الأندلس كان الولاء للأعداء لعبة قذرة سلكها أمراءُ الطوائف حتى نفض الصليبيون البساط من تحت أقدامهم وألقوا بهم في مزبلة التاريخ وأصبحت هذه البلاد حسرة في نفس كل مسلم حين يذكر ما فيها من حضارة وآثار للمسلمين ثم يذكر أولئك الأوباش الذين أضاعوا ذلك الفردوس المفقود بسبب ولائهم لأعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين[3].

لقد وصلت الحماقة والخيانة والنذالة والذلة إلى أن يوالي أحدهم الكافر ضد أبيه المسلم.

فقد تعاون مخزاة (أبو عبد الله محمد الخائن) مع الصليبيين فرديناندو ايزبلا ضد والده محمد بن سعد (المعروف بالزغل) وضد عمه حتى تم النصر للنصارى ضد المسلمين، وبعد ذلك انقلب فرديناند على أبي عبد الله فسلب منه ممتلكاته وسلم هذا الخائن مفاتيح آخر مدينة إسلامية بالأندلس لفرديناند، وهو يبكي كما تبكي النساء على بلد إسلامي أضاعه وخيانة لن ينساها له التاريخ تمثلت بموالاة الأعداء ضد أقرب الناس إليه فخرج هذا الخائن (٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م) ذليلاً محتقراً إلى أفريقية

---

(١) سورة المائدة آية (٥١ - ٥٢).

(٢) سورة المنافقون آية (٨).

(٣) انظر موسوعة التاريخ الاسلامي/ احمد شلبي جـ ٤ ص ٣٦ - ٤٠.

ليقضي بقية عمره يعيش على السؤال والاستجداء[1]. فهل من متعظ ومعتبر؟

وقبل صحوة الأمة الإسلامية على يد محمود نور الدين زنكي وصلاح الدين الأيوبي تنافس على وزارة مصر كل من شاور وضرغام واستعان كل منهما بالصليبيين على منافسه ولولا أن قيض الله لمصر صلاح الدين الأيوبي لأصبحت مصر مثل الأندلس أو أشد[2]. وفي عهد المماليك كان الأمراء وحكام الولايات الصغيرة يعيدون لعبة ملوك الطوائف، فيستعينون بالصليبيين والتتار على إخوانهم، ويدفعون قيمة تلك الاستعانات من كرامتهم وكرامة أمتهم ولولا أن من الله على المسلمين بالمظفر قطز، والظاهر بيبرس لصارت حال المسلمين على غير ما كانت عليه بوجودهما.

وبعد ذلك بمدة من الزمن ظهر بين المسلمين صنيعة اليهود (كمال أتاتورك) الذي كان أعظم نموذجاً للخيانة والولاء للأعداء، فقد ملك عليه حبه وولاؤه للأعداء كل شيء، وأعلن ذلك دون خجل أو وجل[3] أو حياء أو مواربة[4]، وأعلن الحرب على الإسلام والمسلمين في تركيا وخارجها فقضى على الخلافة الإسلامية وبدل الحروف العربية بالحروف اللاتينية وألغى الأذان بلغة القرآن، وفرض الأزياء الغربية، وأمر بنزع الحجاب عن المرأة المسلمة، وأشاع المنكرات، وأعلن أنه يدين بالولاء الكامل للغرب النصراني اليهودي، وأنه لا علاقة لتركيا بالإسلام[5].

ولقد كان لهذا الولاء المطلق للأعداء آثاره السيئة والمدمرة على أتاتورك نفسه حيث باع آخرته ودنياه لأعداء الله الذين لا يملكون له نفعاً ولا

---

(١) انظر المصدر السابق جـ ٤ ص ٧٨.

(٢) انظر البداية والنهاية/ لابن كثير جـ ١٢ ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٣) وجل: أي خوف وفزع ـ انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ١٠٢٥.

(٤) مواربة: أي مخاتلة أو مخادعة ـ انظر المعجم الوسيط جـ ٢ ص ١٠٣٥.

(٥) انظر كتاب الرجل الصنم/ تأليف ضابط تركي سابق ـ ترجمة/ عبد الله عبد الرحمن ص ٤٤٠.

ضراً في الدنيا والآخرة، وعلى تركيا كلها حيث أنها بولائها لأعداء الإسلام قد خسرت كل شيء، فلا هي حفظت دينها وكرامتها، ولا هي نعمت بالرخاء المزعوم من دول الغرب الصليبية، فغدت ضائعة تتخبط في متاهات الحياة إلى وقتنا الحاضر(١).

ولقد سلك طريق الولاء للأعداء الشريف عبد الله بن حسين بن علي فشارك في الحرب العالمية الأولى مساعداً بريطانياً ضد دولة الخلافة وأنصارها وكذلك فعل أثناء الحرب العالمية الثانية، فكافأته بريطانيا على ذلك بأن نصبته ملكاً على المملكة الأردنية الهاشمية (١٩٤٦ م) بعد أن كان يحلم بأمبراطورية عربية واسعة ثم كانت نهايته الاغتيال عام (١٩٥١ م)(٢).

ونتيجة لهذه الموالاة سقطت دولة الخلافة، واقتسم الحلفاء البلاد الإسلامية، وكان من آثار ذلك استيلاء اليهود على فلسطين واستيلاء المستعمرين على بقية البلاد الإسلامية التي مازالت تكتوي بنار الاستعمار وعملاء الاستعمار وفي شاه ايران عبرة وعظة للذين يوالون أعداء الله، فقد أعطى ولاءه الكامل للصليبيين واليهود ولكنهم خذلوه وأسلموه في نهاية الأمر حتى لقد قال في مذكراته التي بدأ ينشرها في أول نفيه: (إن الرئيس الأمريكي كارتر قد ألقى به خارج إيران كالفأر الميت)(٣).

وقد صدر كتاب بعنوان (رهينة الخميني) ألفه (روبرت كارمن دريغيوس) نشر فيه معلومات تفصيلية عن علاقة المخابرات المركزية الأمريكية بإسقاط الشاه والقضاء عليه(٤).

---

(١) انظر مجلة الأمان عدد (٧٩) السنة الثانية في ٢٧/ ٩ك ١٤٠٠ هـ ص ١٩ ـ ٢٠.

(٢) انظر الموسوعة العربية الميسرة / شفيق غربال جـ ٢ ص ١١٧٨.

(٣) انظر مجلة الدعوة المصرية العدد (٤٧) السنة التاسعة والعشرون جمادي الأولى (١٤٠٠ هـ) ص ٢٤.

(٤) نشرت هذا الموضوع صحيفة السياسة الكويتية على شكل حلقات متواصلة وانظر هذه الصحيفة عدد (٤٧٧٤) السنة السادسة عشرة الثلاثاء ١٥/ ١٢/ ١٤٠١ هـ ص ١٥.

وكذلك فعل الروس بمن والاهم في أفغانستان فقد قضوا على (داود خان) و (نور تراقي) و (حفيظ الله أمين) و (بابراك كارمل في الطريق وقد كان هؤلاء كلهم من الذين تولوا أعداء الله السوفيت فسلط الله الظلمة على أتباعهم، وصدق الله العظيم حيث يقول: **﴿وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾**[1].

وكذلك شأن السادات فقد أعلن الولاء التام للنصارى في أمريكا واليهود في إسرائيل وتنكر لمبادىء الإسلام والمسلمين، وضحى بهما من أجل ترضية أعداء الإسلام، وكان يظن أنه سوف يجد بولاء اليهود والنصارى العزة والتمكين فخاب ظنه وصدق عليه قول الله تعالى: **﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً، الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً﴾**[2].

فقد هلك غير مأسوف عليه من قبل الأعداء والأصدقاء جميعاً وصدق فيه قول الشاعر:

قد كان ينظر للحياة مديدة
لا البؤس يطرقها ولا هي تقطع
في كل يوم خطبة مشؤومة
فيها الوعيد لكل سمع يقرع
في لحظة هوت الزعامة جثة
والروح في أحشائه تتقطع
وكفى موالاة اليهود جناية
لا شيء يمحو عارها أو يشفع[3]

(١) سورة الأنعام آية (١٢٩).

(٢) سورة النساء آية (١٣٨، ١٣٩).

(٣) انظر المجتمع الكويتية عدد (٥٥٠) في ١٣/ ١/ ١٤٠٢ هـ ص ٤٣.

وهذه السنة الإلهية الماضية على من يوالي أعداء الله ليست خاصة بالحكام بل تشمل كل من تعاون مع أعداء الله من العلماء والعساكر والجنود.

فقد يقف بعض أدعياء العلم مع الحكام الظلمة يبررون لهم ظلمهم للمؤمنين ومطاردتهم للموحدين وخذلانهم للمجاهدين، ومن هذا النوع موقف ابن أبي دؤاد في تأليبه السلطان على الإمام أحمد بن حنبل، فقد وقف يطالب بدمه جهاراً نهاراً، ولكن الله كتمه غيظه في صدره فقد أصيب بالفالج فبقي عظاماً بدون لحم، فقال ابن شراعة البصري فيه قصيدة منها هذين البيتين:

لم تخش من رب السماء عقوبة
فسننت كل ضلالة وفساد
كم من كريمة معشر أرملتها
ومحدث أوثقت بالأقياد[1]

وقد دارت الدائرة على عساكر عبد الناصر وزبانيته فهم ما بين مجنون ومقتول ومطرود وكذلك شأن البعثيين في سوريا فقد انقلبوا على كل من أيدهم من أهل الإنتماء إلى المسلمين السنة أمثال نور الدين الأتاسي وصلاح البيطار وأمين الحافظ وغيرهم من المخدوعين بموالاة الكفرة من النصيريين والصليبيين[2].

وهذه نماذج سقناها للذكرى والاعتبار وبيان سنة الله فيمن يوالي أعداءه ويعادي أولياءه مهما اختلف الزمان وبعد المكان.. فهل من متعظ ومعتبر؟؟.

---

(١) انظر كتاب احمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا/ احمد عبد الجواد ص ٤٢ ـ ٤٣.
(٢) انظر: الاخوان المسلمون والمؤامرة على سوريا ص ٤٣. جابر رزق.

المبحث الثالث

العقوبة الأخروية لمن يوالون الكفار

لقد بين الله عز وجل في أكثر من آية عقوبة الذين يتولون الكفار في الآخرة، وأن جزاءهم جهنم وبئس القرار. قال تعالى: ﴿**ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا، يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً، لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولا**﴾[1]. وقال تعالى: ﴿**يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا، وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا، ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيرا**﴾[2]. وقال تعالى: ﴿**إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب، وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرؤا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وما هم بخارجين من النار**﴾[3].

---

(١) سورة الفرقان آية (٢٧ ـ ٢٩).

(٢) سورة الأحزاب آية (٦٨).

(٣) سورة البقرة آية (١٦٧).

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) قال: ثلاث أحلف عليهن لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، وأسهم الإسلام ثلاثة، الصلاة والصوم والزكاة ولا يتولى الله عبداً في الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة، ولا يحب رجل قوماً إلا جُعِل معهم(١).

فمودة المنافقين والمرتدين لأسيادهم من أهل الكفر والضلال لا تنفعهم يوم القيامة في شيء فهي شبيهة بمودة أهل الأوثان لأوثانهم، فمن تولى الكفار ووالاهم، فقد اتخذهم أوثاناً من دون الله، وذلك بحبه لهم وتقديم محبتهم على محبة الله، وتعظيمهم على تعظيم الله، وتقديم مقامهم على مقام الله عز وجل، وجزاء هذا الأمر ما ذكره الله تعالى في قوله: **﴿وقال إنما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم في الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضاً ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾**(١).

فليفقه وليتيقظ وليستيقظ من يوالي الكفار على خطورة هذا الأمر قبل **﴿أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله وإن كنت لمن الساخرين، أو تقول لو أن الله هداني لكنت من المتقين، أو تقول حين ترى العذاب لو أن لي كرة فأكون من المحسنين﴾**(٢).

فهل يتعظ الحكام والأشخاص والشعوب من تلك النهاية التي يؤول إليها من يوالي الكفار، فيقطعوا موالاتهم ونصرتهم ومحبتهم عن الكفار بالأصالة أو بالردة، ويعطوا ولاءهم لله ورسوله والمؤمنين كما قال تعالى: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة**

---

(١) رواه أحمد بإسناد جيد والطبراني في الكبير من حديث ابن مسعود. انظر مورد الظمآن لدروس الزمان ـ تأليف عبد العزيز بن محمد السلمان جـ١ (ط ـ ١٠) ص ١٢١.

(١) سورة العنكبوت آية (٢٥).

(٢) سورة الزمر آية (٥٦ ـ ٥٨).

وهم راكعون، ومن يتول الله ورسوله والـذين آمنوا فـإن حزب الله هم الغالبون﴾[1].

فمن بدل موالاة الله ورسوله والمؤمنين بموالاة الكافرين فقد استحق الوعيد الشديد، كما دل على ذلك الآيات المتقدمة. وقد أنشد في هذا المعنى الشيخ صالح السالم آل بنيان في قصيدة له فيمن يوالي أعـداء الله منها ما يلي: ـ

فـيـا مـن تـعـادون الإلـه وحـزبـه
وتنتقصـون أهـلَ الـدين والـدينَ فـاسمعـوا
لـتـصـلون نـاراً قـد أعـدت وهـيئـت
بـهـا كـان للكـفـار مـأوى ومـضـجـع
وصبـراً ذوي الإسـلام من قـول مبغض
عـدو لـكم أمسى مـن الغـيظ مـتـرع[2]

---

(۱) سورة المائدة آية (٥٥ ـ ٥٦).

(۲) انظر المجموع رقم (١٦٣٨) من المجاميع المخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض ص ٣٠٦.

الفصل الرابع

واقع المسلمين اليوم من موالاة المؤمنين ومعاداة الكافرين

إن المسلم اليوم عندما يحاول دراسة واقع المسلمين المعاصرين خاصة في موضوع الموالاة في الله والمعاداة فيه ، لا يدري من أين يبدأ ولا أين ينتهي ، حيث سيواجه واقعاً مؤلماً محزناً مبكياً يدع الحليم حيرانا .

لأنه ما من بقعة من بقاع الأرض إلا وفيها صوت من أصوات المسلمين المعذبين تحت وطأة الكفار أو عملاء الكفار .

فلا أدري كما يقول الشاعر :

من أين أبتدىء الحكاية كلُها   غصص تثير كوامن الأشجان(١)

وكما يقول الآخر :

في كل أفق على الاسلام دائرة   ينهد من هولها رضوى وثهلان

---

(١) انظر مجلة الأمة العدد الحادي عشر السنة الأولى ذي القعدة ١٤٠١ هـ ص ٣٢ شعر مأمون فريز جرار .

ذبح وصلب وتقتيل بأخوتنا كما أعدت لتشفي الحقد نيران
يستصرخون ذوي الإيمان عاطفة فلم يغثهم بيوم الروع اعوان
فاليوم لا شاعر يبكي ولا صحف تحكي ولا مرسلات عند شان
هل هذه غيرة أم هذه ضعة للكفر ذكر وللإسلام نسيان[1]

فمآسي المسلمين أكثر من أن تحصر ومعظمها أشهر من أن يذكر ولكن حسبنا أن نذكر نماذج وأمثلة موجزة لأولئك المعذبين الذين لا ذنب لهم إلا أن يقولوا ربنا الله ، ومع ذلك تخلى عنهم أدعياء الاسلام وتركوهم وحدهم بين أنياب الوحوش القذرة في الشرق او الغرب ، أو اسلموهم الى أيدي القصابين الأجراء العملاء لهذين المعسكرين ، وكأن الأمر لا يعني هؤلاء المنتسبين الى الاسلام في قليل أو كثير .

إنه ليس سهلا على المسلم أن يقف متفرجاً واخوانه في الاسلام يذبحون أمامه كما تذبح الشياه ، وليس سهلاً على المؤمن أن يشاهد دولة كبرى ـ تعادي الاسلام ـ كروسيا الشيوعية تجتاح دولة اسلامية صغيرة ضعيفة كافغانستان لتقتل أبناءها وتفتنهم عن دينهم وتشردهم من أوطانهم في مخيمات واهية يفترشون الثلج ويلتحفون صقيع النجوم ويأكلون القليل من الطعام .

إن المنافق يسكت عن هذا العمل ولا يبالي .

وإن الكافر يؤيد هذا العمل ولا يبالي .

وإن المؤمن هو الذي لا يرضى بذلك ولا يقر الضيم على الناس كافة فكيف بإخوانه في الاسلام ، فهل نفذ المؤمنون في بلاد الاسلام ولم يبق فيها الا الكفار والمنافقون ؟

هذا ما يظهر من لسان حال القاطنين في ديار الاسلام لأنه لو كان

---

(1) انظر كتاب اغاني الكفاح ـ بقلم شعراء الدعوة الاسلامية ص ٦٥ .

العكس لظهر ذلك واقعاً عملياً ولكن المنافقين والكفار المرتدين الذين يرتبطون بعجلة الغرب أو الشرق هم الذين يرضون بالخنوع والخضوع والذلة والضعة لأن كلا منهم عبد للمادة والمصلحة يقول الشاعر العربي :

ولا ينام على ضيم يراد به   إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته   وذا يشدُّ فلا يرثى له احد[1]

إن الدخول في تفاصيل المصائب والمآسي التي تقع على المسلمين شيء لا يمكن حصره ونخشى لو اطلع على ذلك أحد من ضعاف الإيمان لأصيب باليأس والقنوط لشدة ما يرى وهول ما يسمع كما يقول الشاعر :

أمسك بقلبك أن يطير مفزعا   وتول عن دنياك حتى حين
فالهول عات والحقائق مرة   تسمو على التصوير والتبيين[2]

وسنحاول بإيجاز ذكر بعض البلاد التي ابتليت بتسلط الكفار على المسلمين ، وماذا قدم لها المسلمون بمقتضى واجب الموالاة في الله والمعاداه فيه وسنبدأ بذلك حسب الأهمية والموقع ومقدار البلوى ومكانتها وما تقتضيه الحكمة وتسمح به الظروف .

أولاً : فلسطين :

منذ ثلث قرن واليهود يستوطنون فلسطين وتزداد رقعة دولتهم يوما بعد يوم ، ولقد استبيحت أموال الشعوب الاسلامية ودماؤها باسم فلسطين وتحرير فلسطين ومع ذلك لم يتحقق شيء لأن الذين تولوا القيادات في الدول التي تدعي مناهضة اليهود ، هم صنائع لليهود ولذلك ضربوا الاسلام

---

(١) انظر مجلة الفكر الاسلامي العدد الثالث ـ السنة التاسعة ـ ربيع الثاني (١٤٠٠ هـ) ص ٢٥ .

(٢) انظر نافذة على الجحيم ص ١٣٥ ملحمة شعرية عدد أبياتها (٢٩٦) بيتا من الشعر تحكي قصة التعذيب داخل السجن الحربي في مصر أيام عبد الناصر ، وهي من شعر الدكتور / يوسف القرضاوي .

في بلادهم ومهدوا الطريق للتوسع اليهودي ، وعندما شرد اليهود بعض اللاجئين من فلسطين كيف استقبلهم أهل البلاد المجاورة لقد أنزل بهم أهل البلاد التي فروا اليها مذبحة عظيمة ، لم يتلقوها داخل اسرائيل نفسها فصارت حالهم كحال القائل :

والمستجير بعمر عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار

لقد أخرجهم الملك حسين من الأردن بعد أن قتل منهم حوالى ثلاثة آلاف نفس ، ثم ذهبوا الى لبنان فلحق بهم الطاغية النصيري فأحرقهم تحت مخيم تل الزعتر في الموقعة المشهورة والمعلومة لدى الجميع[١] . ثم تحالف عليهم اليهود مع الصليبيين في لبنان بطريقة حرب الاستنزاف وتلك الحرب قائمة حتى كتابة هذه الرسالة .

ولكن الحقيقة التي يجب أن لا ننساها أن معظم الفلسطينيين وخاصة من يتزعمون مناهضة اليهود أهل لما أصابهم لأنهم أناس ابتعدوا عن منهج الله ووالوا أعداء الله في أول أمرهم وآخره ولذلك لم ينصرهم الله على أعدائهم ، فهم رغم ضعفهم وهوانهم والتصاقهم بالتراب لم يتعظوا بما أصابهم ولم يرجعوا الى ربهم ، بل لقد وقف بعضهم موقف المؤيد للغزاة المجرمين الذين غزو أفغانستان ليضموا بذلك سقوط بلد آخر يضاف الى فلسطين فقد صرح بمثل هذه التصريحات (ياسر عبد ربه) و(فاروق قدومي) من كبار الناطقين باسم منظمة التحرير الفلسطينية[٢] .

ولكن لا يعني هذا تبرير تخاذل المسلمين في قضية شعب مسلم هو الشعب الفلسطيني الذي فيه الصالحون والطالحون ، فيجب أن يكون الولاء والمودة لأهل الخير والصلاح من أهل فلسطين وان نضع ايدينا في أيديهم لتحرير القدس وبقية أرض الاسلام من اليهود وأذناب اليهود في فلسطين وما حولها .

(١) انظر ص ٥٤٢ من هذه الرسالة .

(٢) انظر البلاغ العدد (٥٢٦) في ١٤٠٠/٣/٩ هـ ص ١٩ .

ثانياً : أفغانستان

إن شعب أفغانستان كما هو معلوم شعب مسلم عريق في الاسلام شديد التمسك به ، وبعد أن بدأت الشيوعية تترنح للسقوط في الاتحاد السوفييتي وفي بولندا ، بسبب نقص المواد الغذائية وفشل المزارع والمعامل الجماعية التي تسيطر عليها الدولة ، وعادت كل من تركيا وايران الى محاولة التشبث بالاسلام ، أحس أعداء الله بالخطر الذي يكاد يزلزل الأرض من تحت اقدامهم ، فعمد السوفييت الى الهجوم على أفغانستان ، كما عمد الصليبيون الى قلب نظام الحكم في تركيا واشعال فتيل الحرب بين العراق وايران ، وما إن دخلت جيوش الروس الى أفغانستان بواسطة بعض العملاء والخونة حتى هب الشعب الأفغاني المسلم وأعلن الجهاد ضد الغزاة ، وقد وصل هذا الشعب بتضحياته حداً يؤكد عظمة الإسلام واستعلاء أهل الايمان في كل زمان ومكان .

فهم رغم أنهم لم يتلقوا أي دعم جدي ممن كان يجب عليهم ذلك إلا أنهم لم يستذلوا ويستكينوا للأعداء فقد باعوا مواشيهم ومحاصيلهم الزراعية ليشتروا بها الطلقات النارية ، والقنابل الصغيرة والبنادق من تجار السلاح الذين يبيعونها عليهم بأغلى الأثمان ، ولقد وصل الأمر الى أن باعت نساؤهم حليها لشراء السلاح ، واقتصروا في قوتهم على الخبز الجاف(١) كل ذلك حفاظا على دينهم واسلامهم وجرحاهم لا يتلقون أي شكل من أشكال العناية الصحية والطبية الا على نطاق محدود في باكستان ، ومع ذلك كله فما وهنوا وما ضعفوا لما أصابهم في سبيل الله .

أما عن موقف بقية المسلمين من أفغانستان فقد ذكرنا موقف بعض أعضاء منظمة التحرير الفلسطينية من غزو أفغانستان وتأييدهم ذلك وكذلك

---

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٤٧٦) السنة الحادية عشرة في ١٤٠٠/٥/٢٩ هـ ص ٢٠ .

وقفت كل من حكومة سوريا النصيرية وحكومة عدن وليبيا والجزائر موقف المؤيد للعميل بابراك كارمل العميل الشيوعي للسوفيت ضد المسلمين وهذا الموقف غير غريب على تلك الدول لأنها لا تمثل الاسلام ولا تمثل شعوبها المسلمة تمثيلا صحيحاً .

وبعض الدول المنتسبة الى الاسلام التزمت جانب الصمت حيال هذا الموضوع وتناست هذا الشعب وتجاهلت تلك المأساة وكأن شيئاً من ذلك لم يحدث .

وقد قال عبد الرب سياف المتحدث الرسمي باسم المجاهدين الأفغان « أن المجاهدين لم يستلموا فلساً واحداً أو درهماً واحداً من الحكومات ولم يستلموا رصاصة واحدة منهم .. وحتى على المستوى الإعلامي فهناك اهمال وعدم مبالاة بالقضية الأفغانية الا فيما يخدم المعسكر الغربي المعادي للشيوعية . وقد زار عبد رب الرسول سياف كلاً من الكويت ودولة الامارات العربية بعد عقد مؤتمر الطائف بهدف جمع بعض المساعدات للمجاهدين فلم يؤبه له ولم يحظ بأي استقبال أو ترحيب رسمي أو إعلامي ، مما جعله يكتب كتابا بيده الى حاكم الامارات قال فيه (لو أنني كنت على رأس وفد رياضي أو غنائي لكانت حفاوتكم بي تبلغ مداها)[1] .

وقد علقت المجتمع بقولها : كيف تستقبل الكويت قائداً يمثل جهاداً هزم أقوى دولةٍ في العالم وزعيماً يمثل شعباً مجاهداً وعالماً من أوعى علماء الاسلام في أفغانستان بمثل هذا التهاون واللامبالاة بينما ترتعد فرائص هذه الدولة نفسها إكراما وحفاوة لشاعر الاباحية الجنسية نزار قباني الذي زار الكويت بعد زيارة ذلك المجاهد العملاق[2] .

---

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٥٥٠) السنة الحادية عشرة في ١٤٠٢/١/١٣هـ ص ٧ .

(٢) المصدر السابق المكان نفسه .

ما عذرنا أمام الله عز وجل ، ثم امام اخواننا الذين يجاهدون عدوا شرسا يستهدف الاسلام والمسلمين ليس في أفغانستان وحدها وإنما في كل الرقعة الاسلامية ، ومع ذلك نبخل عليهم بقليل من المال والتقدير في حين أن أموال المسلمين يستثمرها أعداء الاسلام من يهود وصليبيين ووثنيين أفلا نكون بعملنا هذا نخذل أنفسنا واخواننا الذين هم خط الدفاع الأول عنا وعن اسلامنا ، فهل يكون أهل الشيوعية أشد موالاة ونصرة منا نحن المسلمين .

ثالثا : الفلبين :

تقع الفلبين على بعد حوالى (٨٠٥) كيلاً من ساحل جنوب شرق آسيا وتتكون من سبعة آلاف ومائة جزيرة أكبرها جزيرة (لوزون) في المنطقة الجنوبية وعدد سكانها ستة وأربعون مليوناً وأربعمائة ألف منهم عشرون في المائة من المسلمين وقد دخل الاسلام اليها في أوائل القرن الحادي عشر الهجري السادس عشر للميلاد ، وبعد أن استقلت الفلبين اسمياً عام ١٩٤٦ م وضمت اليها الامارات الاسلامية أراد أعداء الاسلام القضاء على الاسلام فيها على ثلاث مراحل :

١ ـ المرحلة الأولى : هي محاولة تحويل المسلمين الى نصارى عن طريق التكفير والتضليل بادخالهم في الديانة النصرانية .

٢ ـ المرحلة الثانية : هي محاولة إفساد المجتمع الاسلامي ونشر جميع عوامل الفساد والإفساد في هذا المجتمع .

٣ ـ المرحلة الثالثة : هي حملات الابادة التي تشنها الحكومة ضد المسلمين .

إن المسلمين في جنوب الفلبين يتعرضون لأبشع أنواع الظلم والطغيان بل إنهم يتعرضون لحرب الابادة المستمرة ، فالحكومة الفلبينية العميلة للاستعمار والاداة المنفذة لخططه في جنوب شرق آسيا تقوم باستمرار

بعمليات التقتيل الجماعي والمذابح المروعة ضد المسلمين الأبرياء حتى وصل بها الأمر الى تدمير قرى المسلمين واحراقها بمن فيها وضرب تجمعات المسلمين في المساجد والمدارس واتلاف محاصيلهم الزراعية والحيوانية .

ولذلك فإن من الواجب على المسلمين في كل مكان ، الوقوف مع اخوانهم المسلمين في الفلبين ، وأن يقدموا لهم كل ما يمكن من الدعم المادي والمعنوي لانقاذ الاسلام والمسلمين في تلك البقعة .

ولكن للأسف فإن المسلمين في الفلبين لا يتلقون الدعم المادي والمعنوي سواء على مستوى الشعوب أو على مستوى الحكومات إلا من نزر يسير جدا الأمر الذي يجعلهم غير قادرين على تحقيق الدفاع المطلوب عن أنفسهم ، ضد قوات ماركوس الصليبي الذي يدعمه اليهود والصليبيون دعماً قويا ، وبعض الدول الاسلامية تمتلك وسيلة ضغط مناسبة على ماركوس وهي عدم بيعه البترول الذي يتدفق من أراضي المسلمين ليكون وقوداً للطائرات والدبابات التي تطارد المسلمين وتقتلهم فإن الشرع يحرم التعاون معه في المجالات المختلفة ما دام يحارب أهل الاسلام . قال تعالى : **﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾**[1] .

رابعاً : سوريا

إن سوريا المسلمة تعيش مأساة عظيمة على يد السفاحين النصيريين لم يلاقيها أي بلد اسلامي في أعتى عصور الاستعمار وقد أشرنا فيما سبق[2] الى نماذج من حربهم للاسلام والمسلمين ومع ذلك وللأسف

---

(١) سورة الممتحنة آية (٩) .

(٢) انظر ص ٥٤٢ ـ ٥٤٩ من هذه الرسالة .

الشديد تجد الدول التي تنتمي الى الاسلام تتعامل معهم بشكل عادي كأنهم لم يرتكبوا اثماً ولم يقترفوا ذنباً وكأن المسلمين والمسلمات الذين يذبحون صباح مساء قطيعاً من الماشية لا يهتم بهم ولا يؤبه لهم .

مال هذا العالم العجيب ؟ قد تبلد احساسه وانقطعت الشفقة والرحمة من فؤاده كيف تحصل فيه أعتى المآسي وأدمى المجازر ولا يستطيع أحد أن يرفع صوته منكراً للظلم على الظالمين ، كيف نقول للتاريخ وللأجيال القادمة ؟ حينما يعلمون أن فظائع دامية وجرائم عاتية كانت ترتكب بحق شعب مسلم مؤمن وله مئات الملايين من اخوانه يتفرجون عليه وهو يداس تحت الأقدام .

ماذا نقول لربنا ؟ الذي أمرنا بالتعاون مع اخواننا في قوله تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى** ﴾[1] . أنقول : أننا كنا لاهين بأموالنا وشهوتنا ، ننفق آلاف الملايين على الأمور التافهة ، والقضايا الهزيلة واخواننا في كل مكان بحاجة الى كل درهم لطعام يسدون به رمق الجوع أو لثوب يسترون به العورات المكشوفة ، أو لبيت وسكن بدل الخيام والعراء ، أو لطلقة في نحر عدو كافر يستهدف الاسلام وكل المسلمين .

أم نقول أننا خشينا إغتصاب أولئك القوم لئلا يكشفوا عُوَرَانا . . . (ومن كان بيته من زجاج لا يرمي الناس بالحجر) . إن جرائم أولئك العصابة القذرة يعجز الوصف والبيان عن تصويرها وبيانها ، ويقف المرء في خجل وانكسار حين ينتسب الى أمة بمثل هذا العدد ومع ذلك يفعل بأبنائها مثل ذلك الفعل المشين .

صديق ليس ينفع يوم بؤس   قريب من عدو في القياس
تنكرت البلاد ومن عليها   كأن أناسها ليسوا بناس[2]

---

(١) سورة المائدة آية (٢) .

(٢) ديوان الامام الشافعي ص ٥٠ .

خامساً : المسلمون في كمبوديا

يروي الاستاذ الدكتور / علي جريشه عن أحد التلاميذ الفارين من الشيوعية في كمبوديا ، أنه كان في كمبوديا مليونان من المسلمين وسط سبعة ملايين من الوثنيين وحدث الانقلاب الشيوعي عام (١٩٧٣ م) فماذا فعل الشيوعيون بالمسلمين ؟

يقول لقد قتلت الشيوعية ثلثي عدد المسلمين ولم يبق من المسلمين الا بضعة آلاف لاجئين في خيام وفي صحراء تايلندا يعانون الفقر والجوع والعري والحرمان ، ويعانون ما هو أشد من ذلك حيث تعرض عليهم تايلند أن يقبلوا (التنصير) ويصبحوا نصارى حتى يعطوا من المساعدات التي تأتي من الجهات الصليبية ، وإما أن يعودوا الى كمبوديا الشيوعية ليلحقوا بمن سبقهم من اخوانهم الذين دفنوا تحت الأرض بعمق عشرة أمتار .

وعن طريقة ابادة المسلمين في تايلند أفاد بأنهم يكلفون عدداً من الرجال بحفر حفرة عمقها عشرة أمتار وعرضها خمسون متراً ، ثم يلقون بالناس فيها وهم أحياء وتأتي الجرافات وتهيل عليهم التراب وأما الأطفال فلهم طريقة اخرى وهي أنهم يضعونهم في اكياس من النايلون المقوى ، ثم يوثقون رباطها ويربطونهم في جذوع الشجر ويتركونهم يتقلبون داخلها حتى يختنقوا داخل الأكياس وهكذا قضوا على حوالى مليون وسبعمائة الف[1]ا. هـ وللمسلم أن يتساءل أين الذين يتحدثون عن حقوق الانسان ؟

أم أنهم لا يهتمون إلا بالانسان الصليبي أو اليهودي أو الشيوعي أو الوثني أما المسلم فلا قيمة له في نظر أولئك ، ولا بواكي له من أدعياء الاسلام .

أين المسلمون ؟ أين أمة تعد اليوم ألف مليون مسلم ؟

---

(١) انظر المجتمع عدد ٤٧٧ السنة الحادية عشرة في ١٤٠٠/٦/٧ هـ ص ٣١ .

أين أمة تمتلك أهم الموارد الاقتصادية في العالم ؟ ومع ذلك تنتهك حرمتها وتستباح كرامتها ، ويستهين بها أعداؤها .

سادساً : بورما :

إن المسلمين في اراكان من (بورما) قد لقوا الكثير من الظلم والأرهاب وحرب الاستئصال فقد قتل البوذيون مائة ألف مسلم واختطفوا خمسة آلاف من النساء وفعلوا الفاحشة بما لا يقل عن خمسمائة مسلمة أمام ازواجهن وأبنائهن واخوانهن وقد فرَّ حوالى (٢٠٠) مئتي الف مسلم الى الصحراء ، وغدت قرى المسلمين خرابا بلقعا ، واجتاز حوالى (١٥) ألف من هؤلاء نهر (نان) بحثا عن مأوى في بنجلادش)[١] .

وهكذا نرى هؤلاء المسلمين البؤساء كغيرهم دون مأوى أو عناية أو رعاية من اخوانهم المسلمين في كل مكان .

سابعاً : المسلمون في الهند :

يُضْطَهد المسلمون في الهند تحت الحكم الوثني اضهاذا مريرا . فمنذ عام (١٩٤٦ م) - الى عام (١٩٧٩ م) وقعت تسعة آلاف وخمسمائة واثنان وأربعون مجزرة ضد المسلمين[٢] .

ذهب ضحيتها عشرات الملايين من المسلمين ما بين قتيل وجريح ومشرد ، وفي عام (١٤٠٠ هـ) أطلق عباد البقر مجموعة من الخنازير على المسلمين وهم في مصلى العيد ، للسخرية واستهزاء بالمسلمين ثم أعقبوا

---

(١) المصدر السابق عدد (٥١٦) السنة الحادية عشرة في ١٤٠١/٤/١٢ هـ ص ٣٣ - ٣٥ .

(٢) انظر احصائية في مجلة (سوريا انديا) الهندية الشهرية عدد يونيو عام (١٩٧٩ م) وانظر ترجمة ذلك في المجتمع عدد (٥٢٥) في ١٤٠١/٦/١٦ هـ ص ١٠ .

ذلك بهجوم على المسلمين ذهب ضحيته خمسمائة من المسلمين عدا الجرحى والمفقودين[1] .

وفي أثناء انفصال باكستان عن الهند قضى الهنود الوثنيون على قرابة خمسة ملايين مسلم أثناء هجرتهم من الهند الى باكستان[2] .

وعندما أراد مجيب ـ الشيطان ـ زعيم البنغاليين فصل باكستان الشرقية عن باكستان الغربية وقف الهنود الوثنيون مع هذا العميل وخاضوا المعركة ضد باكستان وألحقوا بها هزيمة منكرة حتى تم لهم ما أرادوا من فصل باكستان الشرقية ببنغلاديش حاليا ـ عن باكستان الغربية .

ومع كل هذه الجرائم والمآسي ترتبط معظم الدول المحسوبة على الاسلام بعلاقات ودية وتعاونية مع تلك الدولة الوثنية ، وتقدم لها عامة الدول في العالم الاسلامي المساعدات الاقتصادية والتأييد السياسي بلا حدود في الوقت الذي تحارب فيه حكومة الهند المسلمين في داخل الهند وخارجها .

ففي داخل الهند تقوم هذه الحكومة الوطنية باضطهاد المسلمين وتحرمهم حتى من أبسط حقوقهم السياسية والاجتماعية ، رغم تشدقها بالديمقراطية ، ولكنها على كل حال مثل الديمقراطية العربية ، لأنها شعار بلا محتوى ، واسم بلا مسمى ، كما هو شأن الديمقراطية العربية في مفهوم القادة العرب .

وفي خارج الهند تقف الحكومة الهندية موقف الصديق المخلص مع دولة اليهود في فلسطين ، وقد نشرت جريدة السياسة الكويتية بعددها الصادر في ١٩٨٠/٨/٢٨ م عن صفقة سرية بين الهند واسرائيل تقوم الهند بتزويد

---

(١) انظر مجلة الاعتصام العددان الثامن والتاسع السنة الرابعة والأربعون شعبان ورمضان ١٤٠١ هـ ص ١٧ .

(٢) انظر العلاقات الدولية في الاسلام . د / كامل سلامة الدقس صفحة ١٦٢ ـ ١٦٣ .

اسرائيل بقطع غيار الدبابات الاسرائيلية . فاذا كان هذا ما تفعله حكومة الهند الوثنية بالمسلمين في الهند وبالمسلمين خارج الهند ، فماذا قدمت الدول المحسوبة على الاسلام لمسلمي الهند ؟ وبماذا عاقبت الدول المحسوبة على الاسلام حكومة الهند في تعاملها مع اليهود ؟ أليس الجواب لا شيء في كلا الحالين ؟ وهذا يعني أن لا موالاة ولا معاداة في الله ، من قبل حكام البلاد الاسلامية ، فهل هان علينا ديننا واخواننا في الهند ؟ أم هانت علينا فلسطين والمسجد الأقصى ؟ حتى ننسى أعداءنا ومن يقف مع أعدائنا من أهل الأوثان . فلا حول ولا قوة إلا بالله .

ثامناً : جزر القمر :

هي مجموعة من الجزر يقدر عدد سكانها بحوالى ثمانمائة الف نسمة وقد استقلت إسمياً عام (١٩٧٥ م) وبعد ذلك تسمت بجمهورية جزر القمر الاسلامية ، وهو اسم بلا مسمى وإنما قصد بذلك خديعة المسلمين في الخارج واستغلال سذاجتهم في أخذ القروض والمنافع الاقتصادية منهم أما في الداخل فكل شيء يسير مناقضاً للاسلام ورغبات المسلمين ، فقد إستقدم رئيس النظام في هذه الجزر سبعة آلاف من المرتزقة الفرنسيين لحماية نظامه وتأييده في ضرب الشعب المسلم في الداخل حتى لقد كافأ الرئيس حراسه الفرنسيين بالزواج الاسمى من بنات المسلمين[١] ، الأمر الذي لم يجرء عليه أحد من قبل في أن يجعل ولاية للكافر على المسلمة وهو أمر مجمع على تحريمه بين كل المسلمين كما تقدم[٢] .

وهذه الجمهورية التي تتسمى بالاسلام تلزم الناس بالعمل وقت صلاة الجمعة وتعطل يوم الأحد ، ومع ذلك يستقبل ممثلوها في البلاد الاسلامية

---

(١) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٤٨٠) السنة الحادية عشرة في ١٤٠٠/٦/٢٨ هـ ص ٢١ ـ ٢٢ .

(٢) انظر ص ٧١٢ ـ ٧١٤ من هذه الرسالة .

كأعز الأصدقاء وخير الأوفياء فهل هان علينا أمر ديننا الى هذا الحد حتى نستقبل المحاربين له أعز من استقبال المؤمنين ، اللهم رحمتك يا رب .

تاسعاً : المسلمون اليونانيون :

إن حكومة اليونان الصليبية تفتك بمسلمي تراقيا الذين يبلغ عددهم (١٧٠) ألف مسلم يوناني وقد تنازلت تركيا عن هذا الجزء حين توقيع معاهدة (لوزان) وقد بدأت السلطات اليونانية بتطبيق سياسة التجنيس القائمة على أذابة المسلمين في بوتقة الصليبية وعلى طرح حجج مفادها بأن المسلمين الموجودين في اليونان هم من أصل نصراني وعليهم أن يرجعوا الى أصلهم ونسبهم المتصل باسكندر المقدوني ، وقد عملوا على غسل أدمغة الأطفال والمراهقين بدعايات مسموعة تفرض عليهم تَلَقِّي التعاليم النصرانية المتعارضة مع الاسلام ، ولم تكتف السلطات اليونانية بذلك بل منعت اطلاق الأسماء الاسلامية على المواليد مثل احمد ، ومحمد وحسين وعلي وعمر ونحو ذلك[١] .

وقد بدأت السلطات باعتقال الأئمة والعلماء ومنع تدريس القرآن في المساجد ، وقد منعت الحكومة مسلمي تراقيا من تملك العقارات رغم قدمهم في التاريخ وحاولت الضغط والاكراه والضرب بغية اجبار المسلمين على بيع مساكنهم ومزارعهم لقصد اضعافهم وطردهم من بلادهم ، وحتى موتى المسلمين لم يسلموا من الأذى فقد اجتاحوا مقابر المسلمين واعتدوا على حرمتها وتناسوا أبسط القواعد الأخلاقية في ذلك ، علماً بأن مقابر النصارى في اسطنبول في تركيا تحفظ وتصان وتحاط بأسوار وحدائق غناء كل ذلك دليل على أخلاقية المسلمين العالية في حين أن الأعداء لا يحترمون للمسلمين أي شعور[٢] .

---

(١) انظر مجلة المجتمع عدد ٤٧٨ السنة الحادية عشرة في ١٤/٦/١٤٠٠ هـ ص ٣٠ ـ ٣٢ .

(٢) انظر مجلة المجتمع عدد ٤٧٨ السنة الحادية عشرة في ١٤/٦/١٤٠٠ هـ ص ٣٠ ـ ٣٢ .

إن الصمت والسكوت الرهيب لما يتعرض له المسلمون في تراقيا وعدم الاصغاء لأغاثتهم ، أو التفكير في نجدتهم لهو مما يمزق القلوب ويلصق العار بالمسلمين والعالم أجمع .

عاشراً : المسلمون في تونس :

تفيد الأنباء الواردة من تونس أن خلافاً جرى بين (محمد الصياح) أمين الحزب الحاكم ، وبين رئيس مجلس الوزراء (الهادي نويرة) حيث يطلب الأول أن تكون الحملة ضد الاسلام على الطريقة السوفياتية بينما يطلب الثاني أن تكون الحملة على الطريقة الامريكية وهي عملية القتل البطيء[1] .

وسواء كانت الطريقة الأولى أو الثانية هي المتبعة في حرب الاسلام في تونس فإن المستفيد من ذلك هم الأعداء ، وحتى الحكومة التونسية وان حققت بعض المصالح العاجلة فإنها في النهاية لن تحصد سوى الدمار لها ولشعبها .

فلقد سفك عبد الناصر دم الآلاف من الشباب المؤمن وسجن الكثير واستخدم أكثر من أسلوب ، فما الذي جناه عبد الناصر لنفسه ولشعبه .

وشاه ايران الذي أستذل شعبه ، ومثل به أشد انواع التمثيل ، وسرق خيراته وتركه يئن ألماً وفقراً ، فماذا حل بعد ذلك بالشاه ؟ لقد ذهب كل من عبد الناصر وشاه ايران والسادات ليلقى كل منهم جزاءه العادل عند من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور الذي قال ﴿انا من المجرمين منتقمون﴾ .

إن واجب الشعوب الاسلامية والحكومات الحقة أن لا تمنح ودها ونصرتها وتعاطفها لأولئك الأنذال الذين يريـدون ربط المسلمين بأذناب الشرق أو الغرب ، وأن تعرف حقيقة من تتعامل معهم وأن لا تعطي ولاءها

(١) انظر المجتمع عدد (٤٦٨) السنة العاشرة في ١٨/٣/١٤٠٠ هـ ص ١٦ ـ ١٧ .
(*) سورة السجدة آية (٢٢) .

الا لمن يستحق ذلك الولاء ، ولكن أين من يفهم ذلك ويطبقه ؟ لقد حصل في تونس ما لم يحصل في تاريخ الدول الاسلامية قط . فقد دخل الحزب الشيوعي الانتخابات كحزب معترف به من قبل الدولة ومن قبل المرتدين عن الاسلام من الشعب وكذلك دخل الاشتراكيون الذين هم فصيلة من فصائل الشيوعية وحصلوا على نسبة ١٦,٤٪[١] .

بينما وصف (مزالي) حركة الاتجاه الاسلامي بأنهم أقلية ، وقبيل الانتخابات تم اعتقال أربعين عضوا من أنصار الحركة الاسلامية واودعوا في غياهب السجون بدون ذنب الا أن يقولوا ربنا الله[٢] . ولم تسجل لهم دوائر الانتخابات أي نسبة ولو ٩٩,١ ٪[٣] .

فقل لي بربك هل هذه دولة اسلامية ؟ أم هل هذا شعب مسلم ؟ يصوت فيه لصالح الماسونيين والشيوعيين والاشتراكيين ، ويسدل الستار فيه على حزب الله وأهله ، كأن لم يكن للإسلام والمسلمين وجود في هذه البقعة من العالم فإلى الله المشتكى ، وهو وحده المرتجى ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

والمغرب مثل تونس ومثل بقية البلاد الاسلامية ، ففي المغرب يُعْتَقَلُ مجموعة من الشباب المسلم منذ خمس سنوات بدون محاكمة بتهمة قتل أحد الدعاة الى الشيوعية الماركسية[٤] .

فيا ترى لو كان المقتول مسلماً بأيدي الشيوعيين هل يعتقل الشيوعيون مثل هذه المدة وهل يعاملون بمثل ما يعامل به المسلمون داخل السجون من قتل واهانة وتعذيب ، أم أن الوضع يختلف بالنسبة لغير المسلمين .

---

(١) انظر مجلة اليمامة عدد (٦٧٦) في ١٤٠٢/١/٢٤ ه ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) انظر المجتمع عدد (٥٣٨) في ١٤٠١/١٠/١١ هـ ص ١٨ ـ ٢٥ .

(٣) انظر مجلة اليمامة عدد (٦٧٦) في ١٤٠٢/١/٢٤ هـ ص ٣٦ ـ ٣٧ .

(٤) انظر المجتمع عدد (٤٨١) السنة الحادية عشرة في ١٤٠٠/٧/٥هـ ص ٣ وص ١٦ ـ ١٨ .

وفي رسالة بعثتها مجموعة من الطالبات المسلمات المغربيات من مدينة طنجة من إحدى الثانويات ذكرن فيها أن مدير هذه المدرسة جمع الفتيات المحجبات وقال لهن أرمين هذا الحجـاب والا رميت بكن في الشارع وتلفظ بألفاظ بذيئة فاسقة ، وتقول إحداهن لماذا ينصح المدير- المفضل- ويطالب برمي الحجاب ؟ في الوقت الذي يشجع فيه الطالبات اللآتي يتعـاطين الحشيش والأفيـون والخمـر ، ويقضين الليـل كله مـع الأجانب ، وهذا يحصل بعلم المدير ومساعدته أحياناً[1] . ا. هـ

فانظر كيف يحافظ الحكام على الخارجين على الاسلام وعلى حقوق الشيوعيين والنصارى بينما حقوق المسلمين مهدرة في كل مكان .

إن حكم الشرع يقتضي من كل دولة مسلمة أن تقتل كل مرتد عن الاسلام سواء كان شيوعياً أو بعثياً أو اشتراكياً أو ماسونياً أو غير هؤلاء من دعاة الالحاد والفساد في الأرض .

وواجب الشعوب الاسلامية أن لا ترض عن وجود هؤلاء بينها ، وعلى قمة السلطة في بلادها ، فكيف وهؤلاء يقومون بإذلال المسلمين من اجل عيون الكفار ونيل رضاهم ، فهل هؤلاء الذين يحاربون المسلمين ويحمون المرتدين من شيوعيين وبعثيين ، هل هم من الاسلام في شيء والله عز وجل يقول : ﴿ **ومن يتولهم منكم فإنه منهم** ﴾[2] .

الحادي عشر : موزمبيق :

إن بلاد موزمبيق ما تزال تحمل اسم القائد المسلم (موسى بن بيق) يسكن فيها ما يزيدعن اربعة ملايين من المسلمين يشكلون أكثر من ٤٠٪ من مجموع السكان ، وقد اعلن رئيسها (سامورا) عداءه للدين حتى قال (أنا

---

(١) انظر مجلة المسلمون عدد (٧) في ١٤٠٢/٢/١٥ هـ ص ٧ .

(٢) سورة المائدة آية (٥١) .

أتوقع الزمان الذي يصبح فيه الدين ليس إلا أحداثاً من الماضي ليست لها قيمة في تاريخ الحركة الشيوعية)[1] .

وليس هناك من جديد في توقع كهذا من حاكم شيوعي ولكن الجديد في ذلك هو قوة الحملة العنيفة التي شنها ضد المسلمين والتي لم يتجرأ عليها النظامان الشيوعيان في أنغولا وأثيوبيا حيث لم يتجرأ على ابطال الأعياد الدينية في حين أن (سامورا) أعلن الغائها دون حرج ، إن (ستالين موزمبيق) قد فرض الإلحاد على المسلمين في جميع المدارس وقد أصدر أمراً بحظر استيراد نسخ القرآن الكريم أو تداولها في المكتبات ، وقد أمر بوقف تدريس القرآن الكريم في المدارس والمساجد ، وكذلك فإن طباعة الكتب الاسلامية او استيرادها أمر محظور فقد وضع القيود الصارمة والغرامات الباهظة جدا ، ومنع القاء الخطب والمواعظ في المساجد والأماكن العامة إلا بعد الموافقة المسبقة من الدولة ، وقد أصدر أمراً بالتجنيد الاجباري للرجال والنساء على حد سواء وهذا غيض من فيض ولكن لو ألقينا نظرة على موقف الدول والشعوب التي تنتمي الى الاسلام لوجدنا أنها تدعم نظام (ساموراً ماتشل) بالمساعدات الاقتصادية والمواقف المعنوية وبعضها قد يرتبط معه بولاء نظرا الى إنتمائهم الى الشيوعية الماركسية ، والبعض الآخر قد يجهل أو يتجاهل موقف ذلك المأجور العميل لأعداء الاسلام ، إن المسلمين لا يتعاملون مع غيرهم من منطلق الاسلام ولذلك هانوا أمام أعدائهم ، وأمام المسلمين الغيورين على الاسلام .

الثاني عشر : أوغندا :

لعل الناس في خضم الأحداث الخطيرة التي تجتاح العالم الاسلامي قد نسوا البلد الافريقي الذي افترسه الصليبيون وذلك البلد هو (أوغندا) لقد زحفت القوات الصليبية على أوغندا تحت سمع العالم الاسلامي وبصره

---

(١) انظر الأمان عدد ٧٩ في السنة الثانية ـ رمضان (١٤٠٠ هـ) ص ٣٢ .

وهو واقف يتفرج حتى تحقق للصليبيين ما ارادوا ، وعند سيطرتهم على الأمور في أوغندا شنوا حرب إبادة على المسلمين ، تمثلت في القتل والتعذيب ومصادرة الأموال وهدم المساجد[1] . وأصبح كل من يعلن اسلامه مجرما وقد عمل الحكام الجدد على تحويل المسجد الجامع الكبير بالعاصمة الى فندق اطلقوا عليه اسم (نيريري) الصليبي رئيس حكومة تنزانيا ، وألغت الحكومة الجديدة بعد عيدي أمين العطلة في يوم الجمعة واستبدلت بذلك بيوم الأحد واذا استمرت الحال على ما هي عليه فإن الاسلام سيمحى كلياً من أوغندا إلا أن يشاء الله[2] .

وليست هذه المشكلات التي ذكرناها هي كل مشكلات المسلمين اليوم في العالم الاسلامي وليس يحارب الاسلام في هذه البلدان وحدها بل إن هناك بلداناً أكثر التصاقاً أهلها بالاسلام ومع ذلك يحارب الاسلام فيها بصور متعددة ، فنحن كما يقول الشاعر :

أنّى اتجهت إلى إسلام في بلد ... تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
كم صرفتنا يد كنا نصرفها ... وبات يحكمنا شعب ملكناه[3]

ومن أقوى ما يصور واقع المسلمين قول الشاعر فيما يلي :

في كل أرض بلد موثق ... يعيش في القيد وفي كربه
قد عقه الخارج من صلبه ... وخانه النابت من تربه
قسوا عليه وهم أهله ... في محنة الدهر وفي خطبه
قد شاركوا الطاعم من لحمه ... وساعدوا الغاصب في غصبه
يرتزق الخائن من بيعه ... ويسعى مع الساعي إلى صلبه
ألسنة تهذي لتضليله ... وأنمل تمتد إلى سلبه[4]

---

(١) انظر المصدر السابق المكان نفسه .

(٢) انظر المجتمع عدد ٤٧٩ السنة الحادية عشرة في ١٤٠٠/٦/٢١ هـ ص ١٣ . وانظر البلاغ عدد (٦١٦) في يوم الأحد الموافق ١٤٠٢/١/١٨ هـ ص ١١ .

(٣) شعراء الدعوة الاسلامية في العصر الحديث جـ ٢ ص ٦٥ .

(٤) المصدر السابق جـ ١ ص ٣٤ .

وواقع المسلمين اليوم من الموالاة في الله والمعاداة فيه هو ما يصوره شاعر الدعوة في قوله ما يلي :

أيها القوم أعيروا سمعكم ... إنني أقذف ناراً لا كلاما
ما أنا الشاكي ولكن أمة ... أصبحت تشكو كما يشكو اليتامى
تبصر الشر ولا تنكره ... وعن المعروف جنباً تتحامى
وتداري كل دجال ولو ... بث في أبنائها الرأي الحراما
وترجّى من أعاديها الهدى ... وتواليهم قضاء واحتكاما
كم صفيق الوجه صفقنا له ... وسفيهاً قد جعلناه إماما
بحت الأصوات في تمجيده ... وهو للأعداء سهماً وحساما
وشريف القصد شهرنا به ... وظلمناه اعتداء واتهاما[1]

وقد يسأل الانسان نفسه سؤالا لماذا يُحَارَبُ الاسلام بهذه القوة والوحشية حتى من بعض أدعياء الاسلام .

والجواب على ذلك هو ان أعداء الاسلام على اختلاف نزعاتهم وتعدد مذاهبهم قد اتفقوا على شيء واحد هو حرب الاسلام ومقاومته ، وذلك أن الدين الاسلامي يفسد عليهم خططهم ومآربهم الدنيئة التي لا تعيش الا في ظل مجتمع ونظام جاهلي يتخذ من الأفراد آلهة من دون الله .

(أ) **فالاستعمار** :

يعلم علم اليقين أنه لا حياة له مع وجود الإسلام . . لأنه - أي الاسلام - يحتم على اتباعه أن يكونوا أعزة في ديارهم كراما في أوطانهم وهذا أمر لا يقره الاستعمار ولا يرضاه .

(ب) **الطغاة والمتجبرون والمستبعدون** :

واثقون كل الثقة بأن لا وجود لهم عند وجود الاسلام الحقيقي لأن

---

(١) المصدر السابق جـ ٥ ص ٢٤ - ٢٦ .

الاسلام أول ما يحارب الظلم والطغيان والاستبداد والبطش والجبروت والتعدي على الناس بغير حق .

(جـ) الاباحيون ودعاة الانحلال والفساد والتهتك والرذيلة :

يعلمون كل العلم أن في قيام الاسلام موتاً لهم وتجفيفا لمستنقعاتهم الآسنة حيث يدعو الإسلام الى حياة شريفة كريمة نظيفة من كل دنس ورجس .

(د) دعاة الشيوعية والاشتراكية التي تحارب الظلم ـ كما يقول ببغاواتها :

يعلمون أن لا وجود لهم في بلد يسعى لتطبيق الاسلام الحق لأن اول ما يهدف اليه الاسلام تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد الأمة المسلمة واقامة العدل في الأرض والمساواة في توزيع الثروة الجماعية ونشر المحبة والأخوة والسلام ، والتكافل الاجتماعي هو بيت العنكبوت الذي يتمسك به دعاة الشيوعية والاشتراكية ، فإذا لم يوجد المبرر لهم فكيف يحافظ هؤلاء على مغتصباتهم ومغتصبات أسيادهم في بلاد المسلمين فهم جميعا كما يقول الشاعر :

خفافيش أعشاها النهار بضوئه ... ووافقها قطع من الليل مظلم[1]

ومن هذا الاستعراض المتقدم لمآسي المسلمين ومصائبهم ودور المسلمين عامة والحكومات خاصة في موالاة المؤمنين المنكوبين على أيدي أعداء الاسلام من الشرق والغرب أو أيدي عملائهم المخلصين نجد الحقيقة المرة التي تقول (ان المسلمين قد عطلوا هذا الأصل العظيم من أصول الاسلام ، وقطعوا أوثق عرى الايمان فلم يوالوا في الله من تجب موالاته ولم يعادوا في الله من تجب معاداته ولم يكتفوا بهذا الموقف المتبع من أهل الحق والباطل على حد سواء بل قد عكسوا الصورة رأسا على عقب

---

(١) الدرر السنية جـ ٩ ص ٣٦٤ .

فحاربوا أولياء الله حربا ، لا هوادة فيها مستغلين كل الوسائل الممكنة في ذلك ، وتولوا الكفار موالاة تامة بالقول والفعل والاعتقاد ، وقد دأبوا على تحقيق هذا المفهوم الزائف والكفر البواح بكل قوة ووسيلة يمتلكونها لتحقيق هذا الغرض الذي هو مطلب من مطالب الكفار في القضاء على الاسلام والمسلمين .

ولكن أملنا بالله عز وجل كبير في أن يرد المسلمين الى منهج الاسلام فيولوا أولياء الله ويعادوا أعداءه وما ذلك على الله بعزيز .

الخاتمـــة

لقد اتضح لي مما أجملناه في نتائج ما سبق من مباحث هذه الرسالة أن (الموالاة والمعاداة في الشريعة الاسلامية) ترتكز على أساس ما دلَّ عليه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وكلاهما وحي من الله تعالى : الأول باللفظ والمعنى والثاني بالمعنى دون اللفظ .

وقد طُبقَ هذا الأصل العظيم من أصول الإسلام في صدر هذه الأمـة عندما كانت هذه الأمة جادة في إسلامها مخلصة في إنتمائهـا للإسـلام والمسلمين .

لقد كان المسلمون في الصدر الأول كالجسد الـواحد في آلامهم وآمالهم ، عندهم كانت شجرة الإيمان باسقة الأغصان ندية الأوراق مزهرة مثمرة ، تستقي من النبع الصافي كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) ، ولكن ذلك لم يدم طويلا ، حيث قد تخبثت النفوس بانصرافها الى التزود من المصادر الكدرة ، والمستنقعات العكرة الآسنة ، فجفت الأوراق وذبلت الأغصـان وتداعى كيان الأمة الاسلامية ، وكان أول شرخ أصاب الأمة في مقتلها هو

إضعاف روح الموالاة والمعاداة بين المسلمين أو الانحراف بالولاء والعداء عما يجب أن يكونا فيه ، الى ما لا يصح أن يكونا فيه ، وقد ابتدأ الصدع مع بداية مكائد ابن سبأ اليهودي وبدأ يتسع حتى عصرنا الحاضر حيث لا يزال المسلمون يكتوون بنار التفرقة وتعدد الولاءات ، وقلة المبالاة بقضايا الاسلام والمسلمين .

لقد كان الدافع لي وراء هذا البحث هو معرفة منزلة الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية ، فتبين لي من خلال دراستي لهذا الموضوع في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وفعل الصحابة (رضي الله عنهم) وسلف هذه الأمة وعلمائها الأعلام في مختلف العصور وأغلب الأماكن . أن الحب في الله والبغض في الله ، وما يتصل بهما من أعمال القلب والجوارح . أصل عظيم من اصول الإسلام ، لا يصح إسلام المرء إلا بهما كما قال تعالى : **﴿ ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ﴾**[1] .

وقد أكد البحث حقيقة الوحدة الإسلامية وأن المسلمين كانوا ويجب أن يكونوا كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى ، وذلك من خلال صور الموالاة والمعاداة التي طبقها المسلمون تطبيقاً واقعياً في عصور مختلفة وأماكن متباينة .

وقد كان يؤرقني ما يصيب المسلمين من مصائب ودواهي عظام تستقبل من حكام المسلمين وشعوبهم بعدم الاكتراث واللامبالاة وكنت أعتقد أن هؤلاء الذين يقفون من الاسلام وقضاياه موقف المتفرج ، أو يلوذون بالصمت الرهيب في صراع الحق مع الباطل ، أنهم على خطأ جسيم واثم عظيم ، وقد صح ما توقعته ، فقد أدى بي البحث الى نتائج مهمة في هذا الشأن كما يلي :

---

(١) سورة النحل آية (٣٦) .

أولاً : أن من لم يحب الاسلام وأهله ولم يبغضهم ، فهو ناقص الايمان والتوحيد ان كان مسلماً ، وهذا النقص قد يؤدي به الى الشرك ، ان لم يكن هناك ملابسات أو قرائن تصرفه عن ذلك[1] .

ثانياً : أن من لم ينكر الشرك ويعادي أهله فليس بمؤمن ولو عبدالله ووحده ، لأن من صحة التوحيد الكفر بالطاغوت وأهله ، والكفر بالطاغوت يعني العداوة للشرك وأهله[2] .

ثالثاً : أن من يكره الاسلام ويكره من ينضم الى جماعة المسلمين فهو كافر وان ادعى الإسلام وعمل به[3] .

رابعاً : أن من يدعو الى مبادى الكفر ، أو يسعى في مناصرة الكفار وتأييدهم ، ويحب من دخل في هذا الأمر ، ويكره من خالف ذلك فهو كافر وان زعم أنه مسلم وأن عمله هذا لا يتعارض مع الاسلام[4] .

وللأسف الشديد فإن كل هذه الأصناف الأربعة لها وجود كبير بين المسلمين اليوم ، وهو وجود مخالف لأصل الاسلام ولما يجب ان يكون عليه المسلمون .

إن الكفار اليوم لا يمكن مقارنتهم مع المسلمين المعاصرين في مجال الموالاة والمعاداة ، حيث أن الكفار يتمسكون بهذا الامر بكل قوة وحزم بينما المسلمون لا يبالون بهذا الأمر ولا يفكرون فيه مجرد التفكير ، والدليل على ذلك نسوق حادثتين إحداهما عند الكفار والأخرى عند المسلمين ثم ننظر الى حجم الحادثتين وردود الفعل من قبل الكفار ، ومن قبل المسلمين

---

(١) انظر صفحة ١٥٨ ـ ١٥٩ من هذه الرسالة .
(٢) انظر صفحة ١٥٩ ـ ١٦١ من هذه الرسالة .
(٣) انظر صفحة ١٦١ ـ ١٦٢ من هذه الرسالة .
(٤) انظر صفحة ١٦٢ من هذه الرسالة .

ليتبين لنا كيف يهتم الكفار بعضهم ببعض؟ وكيف لا يبـالي المسلمون بعضهم ببعض؟ مهما ادلهم الخطب وعظمت المصيبة .

نسوق الحادثة الأولى في حق الكفار ، فقد اعتدى رجال الشرطة في بولندا بالضرب على ثلاثة من العمال أعضاء في منظمة التضامن العماليـة فكان رد الفعل على هذا الاعتداء أن أضرب عن العمل من الغد عشرة ملايين عامل احتجاجا على ضرب ثلاثة منهم[1] .

فانظر كيف تكون الموالاة والمناصرة بينهم !

أما الحادثة الثانية : فنسوقها في حق المسلمين المعاصرين فقد بلغ عدد الذين استشهدوا في أفغانستان منذ التدخل السوفييتي حتى ٢٧ كانون الأول ـ ديسمبر (١٩٨١ م) ـ نهاية السنة الثانية للاحتلال (٨٠٠) ثمانمائة ألف شهيد عدا اللاجئين والمشردين من الأيتام والنساء الأرامـل والعجزة الذين يبلغ عددهم مليونين وأربعمائة الف نسمة[2] .

ومع هذا كله يرسل بعض رؤساء الدول العربية الى بريجينيف وبابراك كارمل رسائل تعبر عن خالص المودة والرضا والتقدير لهؤلاء السفاحين[3] . وكأنهم لم يغتصبوا شبراً ولم يقتلوا بريئا .

أليس من الأليق بهؤلاء الذين لم يحالفهم الحظ في نصرة الاسلام والمسلمين في أفغـانستان أن يلتـزموا الصمت عنـد عجزهم عن القيـام بالواجب .

تلك حالنا وحال اعدائنا في الموالاة والمعاداة .

---

(١) اذاعة المملكة العربية السعودية ، النشرة الاخبارية صباح يوم الجمعة الساعة السابعة تاريخ ١٤٠١/١٢/٢٥ هـ .

(٢) انظر مجلة المجتمع الكويتية عدد (٥٥٠) السنة الحادية عشرة في ١٤٠٢/١/١٣ هـ ص ٢٣ . وانظر مجلة البلاغ عدد (٦١٦) في ١٤٠٢/١/١٨ هـ ص ١٨ .

(٣) انظر مجلة الارشاد العدد (٩) السنة الثالثة رمضان سنة (١٤٠١ هـ) ص ٤٩ . وانظر مجلة اليمامة عدد (٦٧٥) السنة الثلاثون ١٤٠٢/١/١٧ هـ ص ١٤ .

فقل لي بربك هل يوجد في العالم كله أرخص من دماء المسلمين ونفوسهم وحقوقهم ؟

أليس جثث المسلمين تتناثر في أفغانستان وفي الفلبين وفي تايلند وفي الهند وفي سوريا وفي فلسطين ولبنان و . . . و . . . . و . . . . ومع ذلك فلا عين تدمع ولا قلب يحزن ، ولا يد تنفق ، ولا لسان ينطق ، فهل الاسلام والمسلمين على ما يرام ؟

يـأمـة طـالـما ذلـت لقـاتـلهـا   حتـى متى تخفضيـن الرأس للذنب
ألا تريـن دماء الطهر قـد سفكت   في كـل نـاحيـة صـوت المنتحب
حتى متى تقبلين الضيم خـاشعـة   لكـل بـاغ ومـأفـون ومغتصـب(١)

إن هناك مؤامرة كبرى ضد الاسلام والمسلمين تنسج خيوطها في الخفاء في بعض الأقطار الاسلامية وتطبق بنودها في وضح النهار في البعض الآخر ولكن الحال كما يقول الشاعر :

مـاذا أقـول ومن سيفقـه قـولتي   واذا صرخت فمن سيسمع صرختي
أسفي على صف تمـزق شملـه   وغـدا مثـالا قـاتـلا . . . للفـرقـة
ثـالوث شـرك في العداء تعـانقت   أقـطابـه لـتبـيـد ديـن الـعـزة
كـل العدى قـد جنـدوا طـاقـاتهم   ضد الهدى والنـور ، ضد الـرفعة
والعرب سكرى في الصراع كأنمـا   لـم يعلمـوا أبـداً خيوط الفتنـة(٢)

وحتى الذين يتظارهون بالاسلام في أغلب الأحيان لا يكـون حظ الاسلام منهم سوى الخطب الرنانة والوعود الكاذبة .

---

(١) انظر مجلة الامة العدد الحادي عشر السنة الأولى ذي القعدة ١٤٠١ هـ ص ٥٩ صرخة الأمة شعر عبد الغني احمد التميمي .
(٢) ديوان شعراء الدعوة الاسلامية جـ ٣ ص ٨٠ ـ ٨١ .

يقول الشاعر :

والمدَّعون هـوى الإسلام سيفهـم   مع الأعـادي على أبنائـه النجب
يخـادعـون بـه أو يتقـون بـه   وما له منهم رفد سوى الخطب[1]

إن نقطة البدء في أية حركة اسلاميـة صحيحة هي تعـرية الـواقع الجاهلي الذي تعيشه معظم البلاد الاسلامية وتجريد هذا الواقع من ردائه الزائف ، واظهاره على حقيقته وما يمثله من كفـر وشرك وردة ونفـاق ووصفه بالوصف الذي يمثل واقعه ، حتى ينتبه الناس الى حقيقة واقعهم وما انتهى اليه امرهم في شأن الاسلام والمسلمين[2] .

فيوالوا الدول والأفراد على حسب قـربهم من الله ويعادونهم على حسب بعدهم عنه .

إن واجبنا ليس مجرد اقـامة الحجـة على الناس بـالردة او الكفـر والعصيان ، بل الواجب يقضي أن ندعو الأفراد والحكومات الى التمسك بالصراط المستقيم بعد ان بينا الخطر المحدق بهم في الدنيا والآخرة ، عند موالاتهم لأعداء الله ومعاداتهم لأولياء الله .

إن الموالاة في الاسلام هي التطبيق العملي لمفهوم الأخوة في الايمان قال تعالى : ﴿ إنما المؤمنون إخـوة ﴾[3] . وأخوة الإيمـان ليست شعاراً مجرداً عن القول والفعل ، بل إن الأخوة الحقة تقتضي التناصر والتعاون بين المسلمين لاحقاق الحق وابطال الباطل ورد المعتدي واجارة المهضوم ، فلا يجوز شرعا وعقلا أن يترك المسلم أخاه يكافح وحده قوى الشر والعدوان والظلم والطغيان ، وهو ينظر اليه نظر المتفرج الذي لا يعنيه الأمر ، إنه لا بد من الوقوف مع المسلم على أي حال كان ، فيجب على الأخ المسلم ان

---

(١) المصدر السابق جـ ١ ص ٨٤ .
(٢) انظر في ظلال القرآن / سيد قطب م ٤ جـ ١٠ ص ٢١٥ .
(٣) سورة الحجرات آية (١٠) .

يرشد أخاه اذا ضل ويمنعه ان تطاول ، ويدافع عنه اذ هوجم ، ويقاتل معه اذا اعتدي عليه واستبيح حماه ، وذلك هو معنى التناصر الذي فرضه الله ومعنى الموالاة التي أرادها الله . قال رسول الله ﷺ « مثل المؤمنين في توادهم ، وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1] .

إن خذلان المسلم لأخيه شيىء عظيم ، وهو أن حدث ذريعة لخذلان المسلمين جميعاً حيث تنتشر عدوىٰ الأنانية وحب الذات ، وإيثار الراحة والمصلحة الخاصة على مشاركة الغير آلامهم وآمالهم ، فيكثر التنصل من المسؤولية بين المسلمين ، حتى يقضي عليهم أعداؤهم واحداً تلو الآخر فتموت فيهم خلال الأباء والشهامة ونجدة الملهوف ، واغاثة المنكوب وسوف يجنح المظلوم والضعيف الى الأعداء طوعاً أو كرهاً ، لما يقع به من ضيم وما يصيبه من خذلان من إخوانه ثم ينزوي بعيدا عنهم ، وتنقطع عرى الأخوة بينه وبين من خذلوه وأسلموه للأعداء .

إن كلاً منا يسمع ويرى ما اصاب المسلمين مما تنفطر له الأكباد ويقشعر لهوله الفؤاد ، ومع ذلك لم نقدم شيئا ، كل منا يمضي في شأنه ويطلب ملذاته ، وكأن الأمر لا يعنيه في قليل أو كثير .

إن هذا التخاذل قد جرَّ على المسلمين الذلة والعار والخزي والصغار ، وقد حارب الاسلام هذا الاتجاه الخطير حربا شعواء ولعن من يقبعون في ظلال العزلة والأنانية والمصلحة الخاصة العاجلة قال رسول الله (ﷺ) : « لا يقفنّ أحدكم موقفاً يضرب فيه رجلاً ظلماً ، فإن اللعنة تنزل على من حضره حين لم يدفعوا عنه »[2] .

---

(١) رواه البخاري ومسلم ـ انظر نزهة المتقين شرح رياض الصالحين جـ ١ ص ٢٤٦ رقم الحديث (٢٢٦) .

(٢) رواه الطبراني ـ انظر حقوق الانسان / محمد الغزالي ص ٦٢ .

إنه يجب على المسلم اذا رأى اساءة نزلت بأخيه أو مهانة لحقت به أو وقعت عليه ، أن يريه من نفسه الاستعداد لمناصرته ومظاهرته على ما اصابه ، حتى ينال الحق الذي له ويرد وقوع الظلم عليه . وقد روي عن النبي (ﷺ) « من مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزول الأقدام »[1] . وعن عبدالله بن عمر أن رسول الله (ﷺ) قال : « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله[2] ولا يحقره . . . » الحديث[3] .

فمن ترك أخاه يجوع ويعرى ويقتل ويسجن ويمزق بين أيدي الظالمين ، وهو قادر على اطعامه وكسوته ودفع أذى الظالمين عنه بطرق متعددة ، فماذا يقول عند قدومه على ربه ؟ أيقول : إني كنت عن هذا من الغافلين .

يأيها الناس إنّ الله يأمركم ... ألا تكونوا لأهل الظلم اعوانا
يا قوم لا تنصروا من ليس ينصره ... ولا تكونوا لمن عاداه اخوانا
يلقى العدا طاعة منكم ومسكنة ... مهما أرادوا ويلقى الله عصيانا
اني أخاف عليكم حادثا جللا ... لا تملكون له ردا اذا حانا[4]

ولكن يجب ان يعلم كل مسلم أنه مهما بلغ مكر أعدائنا بنا ومهما أصابنا ومهما انقطعت أسباب الموالاة بيننا ومهما والى بعض المنتسبين منا اعداءنا ، فإن ذلك كله لا يعفينا من مسؤوليتنا أمام الله عز وجل ، وأمام اخواننا الصامدين على طريق الاسلام إن الظروف الصعبة المحيطة بنا من

---

(١) رواه الأصبهاني ـ المصدر السابق المكان نفسه .
(٢) قال العلماء الخذل ترك الاعانة والنصرة ، ومعناه اذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه اعانته اذا أمكنه ، ولم يكن له عذر شرعي في تركه ، انظر صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٩٨٦ رقم الحديث (٢٥٦٤) .
(٣) المصدر السابق المكان نفسه .
شعراء الدعوة الاسلامية جـ ٤ ص ٦٨ ـ ٦٩ .

أعدائنا في الداخل والخارج لا يصح أن تكون المشجب الذي نعلق عليه قصورنا وتخاذلنا عن اخواننا .

إن مواجهة الظروف القاسية هي محك الايمان ومقياس التوحيد قال تعالى : **﴿ آلم أحسب الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴾**[1] .

وأريد أن اطمئن الذين يساورهم الشك واليأس في قدرة هذه الأمة على القيام بواجبها ، بسبب الصور القاتمة والمحزنة التي ذكرناها فيما سلف ، أن هذا الوضع رغم بعده عن واقع الاسلام والمسلمين حيث الهوية ضائعة ، والذاكرة مفقودة ، والأرواح مسلوبة ، والثروات منهوبة ، والعقول معتقلة ، حيث يتسلى الأعداء والعملاء بمناظر المؤمنين والدماء تنزف من أجسامهم الطاهرة ، ويتصبر الذين لم يلحقوا بهم بالأمل والرجاء . نجد أن شجرة الايمان قد سقتها دماء الشهداء ، وشعلة الجهاد قد اذكى جذوتها أنين الجرحى ، فخرجت من وسط هذا الليل البهيم فئة مؤمنة وطليعة مجاهدة قلبت موازين الأعداء ومخططاتهم رأسا على عقب ، فبعد ان كاد الأعداء ان يعلنوا ويستبشروا بموت هذه الأمة ، واستسلامها لهم اذ بهم يفاجئون[*] بانبعاث الايمان من مواضع الركام التي غمروها بتصورات الجاهلية وقوانينها منذ قرن من الزمان ، فهذه تركيا تعود الى الاسلام بعد ان حرمت منه ثلثي قرن من الزمن ، وفي المغرب والجزائر وتونس وليبيا قوافل مؤمنة رغم أنف المستعمر وأذنابه ، وفي مصر والسودان وسوريا وايران والأردن والعراق واندونيسيا وباكستان وغيرها من بلدان الاسلام قوافل مؤمنة رغم جهود الكفار والعملاء . وهذا الأمر ليس مستغرباً في حس المؤمن وشعوره لأن ذلك تصديق لقول رسول الله (ﷺ) فيما روي عنه من حديث طويل قوله :

---

(١) سورة العنكبوت آية (٢ ، ٣) .

(*) لأن الهمزة متوسطة مضمومة وبعدها حرف مد ويمكن وصل ما بعدها بما قبلها . انظر دليل الاملاء تأليف عامر سعيد ص ٦٨ مثل يلجئون .

« ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله »[1] .

وروي عنه (ﷺ) أنه قال : « إن الله أجاركم من ثلاث خلال : أن لا يدعوا عليكم نبيكم فتهلكوا جميعا ، وأن لا يظهر أهل الباطل على أهل الحق ، وأن لا تجتمعوا على ضلالة »[2] .

فلم يسع اعداء الاسلام الا ان يقفوا منكسي الرؤوس على ما بذلوه وما أفنوه من مال وجهد وهم يشهدون اصالة هذا الدين وعدم قابليته للفناء وأصالة هذه القلة المؤمنة ، في مواجهة الزيف والقهر والظلم والاستبداد ولقد ادرك هؤلاء الأعداء وأذنابهم أن الاسلام هو روح هذه الأمة ، وأن أبناء القرآن وأتباع المصطفى ﷺ لا يمكن ان ينسلخوا من دينهم لأنهم يؤمنون بقول الله عز وجل : ﴿ **إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين** ﴾[3] .

وقبل أن أودع القارىء الكريم أريد أن اقول أنه لا صلاح لهذه الأمة إلا بما صلح به أولها ، من حب في الله وبغض في الله وموالاة في الله ومعاداة في الله .

يا اخوة الدرب نعم الدين آصرة ... للمؤمنين ونعم الحبل أقواه
تلك السبيل فلا تنسوا معالمها ... ولتحذروا أن تضلوا اثر من تاهوا
منها جنا (الدين) والتوحيد صبغته ... والعدل شرعته الكبرى ومبناه

---

(١) رواه ابو داود في سننه جـ ٤ ص ٩٨ (باب الفتن) .
ورواه ابن ماجه والترمذي . انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد / سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب ص ٣٢٢ .
(٢) رواه ابو داود في سننه جـ ٤ ص ٩٨ (باب الفتن) .
(٣) سورة الاعراف آية (١٢٨) .

كم حاول الكيد مسعورا ليطمسه عبر الضلوع فلم يظفر بمسعاه
غدا تطلٌ على الدنيا طلائعه غلابة ... يا لبشرانا بلقياه[1]

هذا ما رأيت تدوينه ، وما توصل اليه بحثي وعلمي المحدود ولا اعتقد أني بلغت الغاية في ذلك والكمال ولكن حسبي أن أتمثل قولَ الشاعر :

لعمري لقد أنفقت في البحث قوتي ولم آل جهدا في اقتناص العواليا
وطفت وفتشت الطروس وليتني خلصت كفافا لا عليا ولا ليا[2]

وأريد أن اوضح للقارىء الكريم أنني في هذه الرسالة المتواضعة ما قصدت رضا غالب الناس أو ذمهم ، بل كل ما اردت هو أن أخطو خطوات في سبيل الله ومرضاته بغض النظر عن موقف الناس من ذلك ، فمثلي في ذلك هو قول القائل :

قدمت لله ما قدمت من عمل وما عليك بهم ذموك أو شكروا[3]

اللهم اجعلنا من الذين وصفتهم بقولك : **﴿ يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ﴾**[4] .

اللهم اجعلنا سلما لأوليائك ، حرباً لأعدائك ، نحب بحبك من أحبك ، ونعادي بعداوتك من خالفك ، اللهم هذا الدعاء منا ، وعليك الإجابة ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

---

(١) انظر شعراء الدعوة الاسلامية جـ ٣ ص ٩٣ - ٩٤ .
(٢) مشاهير علماء نجد / للشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ ص ٣ .
(٣) الدرر السنية جـ ٩ ص ٣٢٦ .
(٤) سورة الحشر آية (١٠) .

دليل الفهارس

دليل الآيات القرآنية

ـ سورة البقرة ـ

- سورة آل عمران -

- دليل الأحاديث -

- أ -

- ح -

- خ -

ـ د ـ

ـ ذ ـ

- ر -

- ي -

دليل الآثار

- أ -

- ب -

دليل المصادر والمراجع مرتبة على حروف الهجاء(*)

١ ـ القرآن الكريم:

حرف الألف

٢ ـ **الابتعاث ومخاطره**: تأليف محمد الصباغ ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م طبع المكتب الاسلامي.

٣ ـ **الإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري** (٣٢٤ ـ ٩٣٥ م) تحقيق وتقدم دكتورة فوقية حسين محمود جامعة عين شمس (ط ـ ١ ـ ١٣٩٧ هـ) توزيع دار الأنصار.

٤ ـ **آثار الحرب في الفقه الإسلامي**: دراسة مقارنة للدكتور/ وهبة الزحيلي ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م طبع المطبعة العلمية بدمشق.

(*) ومما يجدر التنبيه إليه أنني لم أسجل الدوريات التي رجعت إليها مع هذه المراجع، وإنما اكتفيت بالاشارة إليها في هامش الرسالة.

٥ - **أحكام القرآن**: تأليف أبو بكر احمد علي الرازي الجصاص. (ت - ٣٧٠ هـ) - نشر - دار الفكر للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

٦ - **أحكام القرآن**: تأليف أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي. تحقيق - علي محمد البجاوي - الطبعة الثانية - ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م. طبع - عيسى البابي الحلبي وشركاه - مصر.

٧ - **أحكام القانون الدولي في الشريعة الاسلامية**: د/ حامد سلطان - تاريخ الطبع - ١٩٧٤ م - طبع دار الهنا للطباعة والنشر - الناشر - دار النهضة العربية.

٨ - **أحكام أهل الذمة**: تأليف الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية (٦٩٧ هـ - ٧٥١ هـ) حققه وعلق على حواشيه الدكتور صبحي الصالح - رئيس قسم اللغة العربية وآدابها في الجامعة اللبنانية، واستاذ الإسلاميات وفقه اللغة فيها.

٩ - **أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام**: تأليف الدكتور/ عبد الكريم زيدان - الطبعة الثانية - مؤسسة الرسالة.

١٠ - **الأحكام السلطانية** : تأليف القاضي أبي يعلى محمد بن الحسين الفراء الحنبلي المتوفي (٤٥٨ هـ) تصحيح وتعليق محمد حامد الفقي من علماء الأزهر الشريف - الطبعة الأولى - الناشر - شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة - ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٨ م.

١١ - **أحكام المرتد في الشريعة الاسلامية**: تأليف نعمان السامرائي. طبع مطابع دار الهاشم بيروت - ١٣٨٧ هـ - نشر الدار العربية للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان.

١٢ - **احمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا**: تأليف احمد عبد الجواد الدومي - منشورات المكتبة العصرية بيروت.

١٣ ـ **الأخبار النجدية**: تأليف محمد بن عمر الفاخري ـ دراسة وتحقيق د/ عبد الله يوسف الشبل ـ طبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

١٤ ـ **أسد الغابة في معرفة الصحابة**: تأليف عز الدين أبي الحسن علي ابن أبي الكرم محمد بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير. الناشر ـ المكتبة الاسلامية ـ لصاحبها ـ الحاج رياض الشيخ.

١٥ ـ **الإسلام انطلاق لا جمود** ـ للدكتور/ مصطفى الرافعي. منشورات، دار مكتبة الحياة سنة ١٩٥٩ م.

١٦ ـ **الإسلام بين العلماء والحكام**: تأليف ـ عبد العزيز البدري ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٦ م ـ نشر ـ المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.

١٧ ـ **الإسلام والمبادىء المستوردة**: تأليف ـ عبد المنعم النمر ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م ـ الناشر ـ دار القاهرة.

١٨ ـ **أصول الفقه**: تأليف محمد الخضري بك ـ الطبعة السادسة ـ ١٣٨٩ هـ ـ ١٩٦٩ م ـ يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بمصر ص. ب: ٥٧٨.

١٩ ـ **اعتقادات فرق المسلمين والمشركين**: فخر الدين الرازي ـ محمد بن عمر ابن الحسن بن الحسين ـ نشر ـ شركة الطباعة الفنية المتحدة ـ القاهرة ـ سنة ١٩٧٨ م.

٢٠ ـ **الإعلام**: تأليف ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الخامسة. الناشر ـ دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان.

٢١ ـ **اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم**: تأليف شيخ الإسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ـ ٧٢٨ هـ) طبع مطابع المجد التجارية، الناشر والموزع ـ دار الإفتاء السعودية.

٢٢ ـ **امتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع**.

تأليف ـ تقي الدين احمد بن علي المقريزي. طبع على نفقة ـ هانم الدمرداشية ـ صححه وشرحه محمود شاكر ـ القاهرة ـ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ ١٩٤١ م.

٢٣ ـ **الإيمان**: أركانه، حقيقته، نواقضه: تأليف: الدكتور ـ محمد نعيم ياسين ـ طبعة ثانية ـ فريدة ومنقحة ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩ م ـ طبع جمعية عمال المطابع التعاونية ـ عمان الأردن.

٢٤ ـ **إيقاظ همم أولى الأبصار** للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم عن التقليد في القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار ـ تأليف ـ صالح بن محمد بن نوح الفلاني (ط ـ ٢) مكتبة المعارف.

٢٥ ـ **أهل الذمة في الإسلام**: تأليف الدكتور ـ ا. س. ترتون الأستاذ بجامعة لندن ـ ترجمة وتعليق د/ حسن حبشي. استاذ تاريخ العصور الوسطى المساعد ـ كلية الآداب ـ جامعة عين شمس ـ الطبعة الثانية ـ ١٩٦٧ م ـ طبع دار المعارف.

٢٦ ـ **أسباب اختلاف الفقهاء**: تأليف الدكتور/ عبد الله عبد المحسن التركي ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة السعادة (١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م.

٢٧ ـ **أصول مذهب الإمام أحمد بن حنبل**: دراسة أصولية مقارنة ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م طبع مكتبة الرياض الحديثة بالرياض. تأليف الدكتور/ عبد الله عبد المحسن التركي.

٢٨ ـ **ارشاد الفحول إلى تحقيق علم الأصول**: تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني طبع دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت لبنان ـ عام ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م. وتوزيع دار الباز للنشر والتوزيع ـ عباس احمد الباز ـ مكة المكرمة.

٢٩ ـ **الانصاف في بيان أسباب الاختلاف**: تأليف ولي الله الدهلوي راجعه

وعلق عليه عبد الفتاح أبو غدة - طبع ونشر دار النفائس - بيروت - الطبعة الثانية.

٣٠ - **الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به**: لإمام المتكلين سيف الإسلام القاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني البصري المتوفي سنة (٤٠٣ هـ) تحقيق وتقديم وتعليق المحقق الحجة الإمام محمد زاهد بن الحسن الكوثري - وكيل المشيخة الإسلامية في الخلافة العثمانية سابقاً. الطبعة الثانية - مؤسسة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع - ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٣ م.

٣١ - **الاشتراكية في التجارب العربية**: لطائفة من المفكرين - الطبعة الأولى - ١٩٦٥ م - طبع دار الكتاب الجديد.

٣٢ - **أحكام القرآن** - للإمام المعظم والمجتهد المقدم أبي عبد الله محمد ابن ادريس الشافعي المتوفي سنة (٢٠٤ هـ) جمعه الإمام احمد بن الحسين بن علي البيهقي صاحب السنن المتوفي سنة (٤٥٨ هـ) - عني بنشره، وتصحيحه، ووقف على طبعه - دار الكتاب العلمية بيروت. سنة (١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م).

٣٣ - **أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها**: التبشير - الاستشراق - الاستعمار دراسة وتحليل وتوجيه - تأليف عبد الرحمن حبنكة الميداني الطبعة الثانية - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م - طبع دار القلم - دمشق - بيروت.

٣٤ - **أصول البحث العلمي ومناهجه**: الدكتور احمد بدر - الطبعة الرابعة ١٩٧٨ م الناشر وكالة المطبوعات - الكويت.

٣٥ - **الإخوان المسلمون والمؤامرة على سوريا**: تأليف جابر رزق - دار الاعتصام.

٣٦ - **أغاني الكفاح قصائد وأناشيد**: جمع من شعراء الدعوة. الناشر - دار الدعوة - بيروت.

٣٧ ـ **الإيمان وأثره في نهضة الشعوب** : يوسف العظم ـ الدار السعودية للنشر والتوزيع ـ الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ جدة.

٣٨ ـ **إعلام الموقعين عن رب العالمين**: تأليف شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفي سنة (٧٥١ هـ) ـ راجعه وقدم له وعلق عليه طه عبد الرؤوف سعد ـ طبع سنة (١٩٧٣ م) دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع ـ بيروت ـ لبنان.

٣٩ ـ **الآداب الشرعية والمنحة المرعية** : تأليف الإمام العالم العلامة شمس الدين أبي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي الحنبلي من توزيع دار الإفتاء السعودية ـ الرياض.

٤٠ ـ **الاستخراج في أحكام الخراج** : للإمام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي المتوفي سنة (٧٩٥ هـ). صححه وعلق عليه السيد عبد الله الصديق أحد علماء الأزهر. دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٤١ ـ **أضواء على البحث والمصادر** : تأليف الدكتور/ عبد الرحمن عميرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م ـ دار المعارف السعودية بالرياض.

حرف الباء

٤٢ ـ **البداية والنهاية** ـ تأليف أبي الفداء الحافظ بن كثير (ت ـ ٧٧٤ هـ) طبعة جديدة منقحة ـ طبع دار الفكر ـ بيروت ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

٤٣ ـ **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع** : للإمام علاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي الملقب ـ بملك العلماء ـ المتوفي سنة (٥٨٧ هـ) طبع المطبعة الجمالية بمصر ـ الطبعة الأولى (١٣٢٧ هـ ـ ١٣٢٨ هـ).

٤٤ - **أبو بصير قمة في العزة الإسلامية**: تأليف - محمد حسن بـريغش - الطبعة الثالثة - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - الناشر مكتبة الحرمين بالرياض.

٤٥ - **بداية المجتهد ونهاية المقتصد**: تأليف الإمام أبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي (٥٢٠ هـ - ٥٩٥ هـ) الطبعة الرابعة (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) طبع دار المعرفة توزيع دار الباز للنشر والتوزيع عباس احمد الباز - مكة المكرمة.

٤٦ - **البحث العلمي مناهجه وتقنياته**: تأليف الدكتور/ محمد زيـان عمر عميد كلية الآداب والعلوم الانسانية/ جامعة الملك عبد العزيز بجدة - طبع دار الشروق بجدة.

حرف التاء

٤٧ - **تاج اللغة وصحاح العربية**: تأليف الشيخ أبي نصر اسماعيل ابن حماد الجوهري - جامعة الرياض (٤١٣/ ت أ ك).

٤٨ - **تاريخ الفكر الإسلامي في اليمن**: تأليف/ احمد حسين شرف الدين الطبعة الثانية - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - مطابع الرياض.

٤٩ - **تاريخ الأمم والملوك**: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - نشر دار القلم - بيروت - لبنان.

٥٠ - **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**: تأليف فيليب حتي - ترجمة الدكتور/ كمال اليازجي - طبع دار الثقافة - بيروت سنة ١٩٥٩ م.

٥١ - **تاريخ العلويين**: تأليف محمد أمين غالب الطويل - طبعة ثانية - طبع دار الأندلس - بيروت سنة ١٩٦٦ م.

٥٢ - **تاريخ البلاذري**: وهو فتوح البلدان للبلاذري، لأبي بكـر علي بن احمد بن يحيى بن جابر البغدادي المتوفي سنة (٢٧٩ هـ) طبع دار النشر للجامعيين، بيروت سنة ١٩٥٨ م.

٥٣ ـ **تبديد الظلام وتنبيه النيام**: تأليف ـ ابراهيم بن سليمان الجبهان الطبعة الثانية (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٧٩ م) الناشر مكتبة الحرمين بالرياض.

٥٤ ـ **التبشير والاستعمار في البلاد العربية**: عرض جهود المبشرين ـ أي المكفرين ـ التي ترمي إلى اخضاع الشرق للاستعمار الغربي، تأليف ـ الدكتور/ مصطفى الخالدي والدكتور/ عمر فروخ ـ الطبعة الثالثة ـ ١٩٦٤ م ـ من منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر ـ صيدا ـ بيروت ـ لبنان.

٥٥ ـ **تحفة الاخوان**: بما جاء في الموالاة والمعاداة والحب والبغض والهجران تأليف ـ حمود بن عبد الله التويجري ـ طباعة مؤسسة النور للطباعة والنشر والتجليد.

٥٦ ـ **التحفة العراقية في الأعمال القلبية**: تأليف ـ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت ـ ٧٢٨ هـ) نشر إدارة الطباعة المنيرية بمصر ـ الطبعة الأولى.

٥٧ ـ **تاج العروس**: تأليف محمد مرتضى الزبيدي ـ دار البيان للنشر والتوزيع ـ طبع على مطابع دار صادر بيروت سنة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م.

٥٨ ـ **تحذير من ينتمي إلى الإسلام من الاحتماء بأعداء الملك العلام**: مخطوطة من ثلاث ورقات ـ بخط علوي بن عبد الرحمن السقاف (ت ـ ٣٣٥ هـ) أما النسخ ففي سنة (١٢٩٩ هـ) نسخة حسنة بخط مقروء عليها آثار رطوبة بها خروم مرممة (مواعظ) ٣ ق ٢٤ × ١٥ سم موجودة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض تحت رقم (١١٥٠ م/٢).

٥٩ ـ **تذكرة الدعاة**: لبهي الخولي ـ الطبعة الخامسة ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م. نشر مكتبة الفلاح ـ الكويت ـ دار القلم (دمشق ـ بيروت).

٦٠ ـ **التشريع الجنائي الإسلامي**: مقارناً بالقانون الوضعي ـ تأليف عبد القادر عودة ـ طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٦١ **التشريع والفقه في الإسلام**: تأليف الشيخ مناع خليل القطان ـ الطبعة لأولى عام ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م ـ نشر مكتبة وهبة بالقاهرة.

٦٢ ـ **التضليل الاشتراكي**: الدكتور/ صلاح الدين المنجد ـ الطبعة الأولى ـ ١٩٦٥ م طبع دار الكتاب الجديد.

٦٣ ـ **التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام**: دحض شبهات ورد مفتريات: تأليف/ محمد الغزالي ـ الناشر ـ دار الكتب الحديثة لصاحبها توفيق عفيفي عامر ـ طبع مطبعة حسان، القاهرة.

٦٤ ـ **تفسير سورة النور**: تأليف أبو الأعلى المودودي ـ تعريب محمد عاصم حداد طبعة دار الفكر بدمشق.

٦٥ ـ **تفسير آيات الأحكام**: تأليف محمد علي السايس ـ مطبعة محمد علي صبيح.

٦٦ ـ **تفسير ابن كثير**: ويليه معالم التنزيل في الهامش للإمام البغوي المتوفي (٥١٦ هـ) طبع بأمر جلالة الملك عبد العزيز بن سعود الطبعة الأولى ـ في مطبعة المنار بمصر في سنة (١٣٤٧ هـ).

٦٧ ـ **تلبيس إبليس**: للحافظ الإمام جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي البغدادي المتوفي سنة (٥٩٧ هـ) نشر ادارة الطباعة المنيرية بمصر.

٦٨ ـ **تفسير غريب القرآن**: تحقيق السيد احمد صقر ـ طبع في سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م يطلب من دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان.

٦٩ ـ **تهذيب سيرة ابن هشام**: تأليف عبد السلام هارون ـ نشر ـ دار الفكر ـ دمشق.

٧٠ - **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**: تأليف الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي - نشر المؤسسة السعيدية بالرياض.

٧١ - **تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد**: تأليف سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب - (ت - ١٢٣٣ هـ) نشر وتوزيع دار الإفتاء السعودية.

٧٢ - **تبصير المنتبه بتحرير المشتبه**: تأليف ابن حجر العسقلاني احمد ابن علي (٧٧٣ - ٨٨٢ هـ) تحقيق علي محمد البجاوي، ومراجعة محمد علي النجار المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر. الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٧٣ - **تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي** : تأليف الدكتور/ حسن ابراهيم حسن - الطبعة السابعة - ملتزم النشر والطبع مكتبة النهضة المصرية.

حرف الجيم

٧٤ - **جامع العلوم الملقب بدستور العلماء** : تأليف/ عبد رب النبي عبد رب الرسول - الأحمد نكري - الطبعة الأولى.

٧٥ - **جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم** : تأليف زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين بن احمد بن رجب الحنبلي البغدادي - من علماء القرن الثامن الهجري - طبع - دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - لبنان - توزيع دار الباز للنشر والتوزيع - عباس احمد الباز - مكة المكرمة.

٧٦ - **الجامع لأحكام القرآن** : تأليف - أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - طبع دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان.

٧٧ - **جامع البيان في تفسير القرآن** - تأليف أبو جعفر محمد بن جرير

الطبري - الطبعة الثالثة (١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) نشر دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت لبنان.

٧٨ - **الجامع الفريد**: يحتوي على كتب ورسائل أئمة الدعوة - طبع مطبعة المدينة بالرياض - نشر وتوزيع دار الإفتاء السعودية.

٧٩ - **جاهلية القرن العشرين**: تأليف محمد قطب - الطبعة الأولى - نشر مكتبة وهبة - بمصر.

٨٠ - **جند الله ثقافة وأخلاقاً**: تأليف سعيد حوى - نشر - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الثانية.

٨١ - **الجهاد**: تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حماد آل عمر - الطبعة الأولى طبع مطابع القصيم - الرياض عام ١٣٩٠ هـ.

٨٢ - **الجواب الفائض في الرد على أرباب القول الرائض**: تأليف الشيخ سليمان بن سحمان الدوسري - مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض برقم (٣٤١٣).

٨٣ - **الجامع الصحيح**: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري - دار الفكر - بيروت - لبنان.

حرب الحاء

٨٤ - **الحرب والسلم في شريعة الإسلام**: تأليف الدكتور/ مجيد خدوري أستاذ ورئيس قسم معهد دراسات الشرق الأوسط في جامعة جونز هوبكنز واشنطن - الطبعة الأولى - طبع الدار المتحدة للنشر - ١٩٧٣ م - بيروت - لبنان.

٨٥ - **الحسبة في الإسلام أو وظيفة الحكومة الإسلامية**: لشيخ الإسلام تقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية - طبع دار الكتاب العربي.

٨٦ ـ **حصيلة الانقلابات الثورية في بعض الأقطار العربية: تأليف/ محمد** سعيد النجدي ـ صادر عن دار أمية للطباعة والنشر.

٨٧ ـ **حقائق الإسلام وأباطيل خصومه** : تأليف عباس محمود العقاد ـ الطبعة الثالثة ـ بيروت (١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م) الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٨٨ ـ **حقوق الإنسان بين تعاليم الإسلام وإعلان الأمم المتحدة** : محمد الغزالي ـ الطبعة الأولى ـ الناشر ـ المكتبة التجارية بمصر.

٨٩ ـ **حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية** : الدكتور ـ عبد السلام الترمانيني ـ الطبعة الثانية ـ طبع دار الكتاب الجديد بيروت ـ ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م.

٩٠ ـ **الحكومة الإسلامية/ أبو الأعلى المودودي** : تعريب ـ أحمد ادريس ـ المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع ـ القاهرة ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧م.

٩١ ـ **الحكومة الإسلامية**: تأليف آية الله الخميني ـ الطبعة الرابعة ـ نشر الحركة الإسلامية في إيران.

٩٢ ـ **حكم الإسلام في الاشتراكية** : تأليف عبد العزيز البدري ـ الطبعة الثالثة/ من منشورات المكتبة العلمية ـ بالمدينة المنورة.

٩٣ ـ **حكومة العالم الخفية**: شيريب سبير يدوفيتش ـ ترجمة مأمون سعيد تحرير وتقديم أحمد راتب عرموش ـ طبع دار النفائس ـ بيروت ـ طبعة ثانية ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م.

٩٤ ـ **الحكم وقضية تكفير المسلم** : تأليف ـ سالم علي البهنساوي ـ الطبعة الأولى ـ الناشر ـ دار الأنصار ـ جمهورية مصر.

٩٥ ـ **حكم اللحوم المستوردة وذبائح أهل الكتاب وغيرهم**: تأليف الشيخ

عبد الله بن محمد بن حميد ـ طبع المطابع النموذجية ـ المربع الرياض ـ. ١٣٩٩ هـ.

٩٦ ـ **حوار مع الشيوعيين في أقبية السجون**: تأليف عبد الحليم الخفاجي الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م) الناشر مكتبة الفلاح بالكويت.

٩٧ ـ **حياة الصحابة**: محمد بن يوسف الكاندهلوي ـ نشر دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٩٨ ـ **حسن البنا**: الداعية الإمام والمجدد الشهيد: تأليف أنور الجندي الطبعة الأولى (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م ـ دار القلم بيروت ـ لبنان.

٩٩ ـ **حزب الله في مواجهة حزب الشيطان**: تأليف وائل عثمان ـ تقديم الشيخ محمد متولي الشعراوي ـ الطبعة الخامسة ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م. الناشر مكتبة وهبة ـ مصر ـ القاهرة.

١٠٠ ـ **حقيقة الماسونية**: تأليف محمد الزعبي ـ دكتور بالفلسفة ـ طبعة في مارس (١٩٧٤ م) دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ـ لبنان.

١٠١ ـ **حقوق الإنسان في نظر الشريعة الإسلامية**: تأليف الدكتور/ عبد السلام الترمانيني ـ الطبعة الثانية ـ طبع دار الكتاب الجديد ـ بيروت ـ لبنان.

١٠٢ ـ **حقائق عن الحكم في الجمهورية العربية المتحدة**: لجمع من الكتاب.

حرف الخاء

١٠٣ ـ **الخطر اليهودي**: بروتوكولات حكماء صهيون ـ ترجمة وتعليق محمد خليفة التونسي ـ الطبعة الرابعة ـ الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٠٤ - **الخطوط العريضة للأسس التي قام عليها دين الشيعة الأمامية الأثنى عشرية** : الطبعة - السادسة - توزع مجاناً.

١٠٥ - **الخصال** : تأليف ابن بابويه القمي - محمد بن علي بن الحسين بن موسى. طبع ايران سنة ١٣٠٢ هـ.

١٠٦ - **الخوارج** : الأصول التاريخية لمسألة تكفير المسلم - الطبعة الأولى ربيع أول - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - دار الأنصار بالقاهرة.

١٠٧ - **خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية** : تأليف عبد الله التل دار القلم (١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م).

١٠٨ - **الخراج في الفقه الإسلامي** : رسالة مقدمة من الطالب حمود ابن مرشد السليمان. لنيل درجة الماجستير من المعهد العالي للقضاء بإشراف الدكتور/ محمد الحسيني حنفي - الأستاذ بالمعهد العالي للقضاء.

حرف الدال

١٠٩ - **الدرر السنية في الأجوبة النجدية** : جمع عبد الرحمن بن قاسم العاصمي القحطاني النجدي - من مطبوعات دار الإفتاء السعودية - الطبعة الثانية (١٣٨٥ هـ) - عدا الجزء العاشر فإنه طبع مؤسسة النور للطباعة والتجليد بالرياض، والجزء الحادي عشر طبعة أولى سنة (١٣٨٨ هـ) والجزء التاسع طبعة ثانية سنة (١٣٨٨ هـ).

١١٠ - **دائرة المعارف الإسلامية** :ترجمة جمع من العلماء - جمادي الثانية - ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣.

١١١ - **دائرة معارف القرن العشرين** : طبع دار المعرفة - الطبعة الثالثة - بيروت.

١١٢ - **الدبلوماسية والميكيافيلية في العلاقات العربية الأمريكية**: خلال عشرين عاما - ١٩٤٧ م - ١٩٦٧ م - تأليف الدكتور/ محمد صادق -

الطبعة الأولى ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م. من منشورات دار العصر الحديث.

١١٣ ـ **ديوان أبي تمام**: شرح وتعليق الدكتور/ شاهين عطية ـ مراجعة بولس الموصلي ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٧ هـ ـ ١٩٦٨ م، الناشر مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني ـ بيروت ـ لبنان.

١١٤ ـ **ديوان الإمام الشافعي**: لأبي عبد الله محمد بن ادريس الشافعي (١٥٠ ـ ٢٠٤ هـ) جمعه وعلق عليه ـ محمد عفيف الزعبي. الناشر مؤسسة الزعبي للطباعة والنشر ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٤ م.

١١٥ ـ **ديوان عقود الجواهر المنضدة الحسان**: سليمان ابن سحمان النجدي المطبعة المصطفوية بمصر.

حرف الراء

١١٦ ـ **رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار**: للإمام محمد أمين الشهير بابن عابدين المتوفي سنة (١٢٥٢ هـ) المطبعة العثمانية سنة ١٣٢٤ هـ.

١١٧ ـ **الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب**: تصنيف جمع من العلماء الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية. طبع مطابع الرياض.

١١٨ ـ **رسالة الشرك ومظاهره**: تأليف ـ مبارك بن محمد الميلي ـ أمين مالي ـ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٥٦ هـ ـ ١٩٣٧ م) طبع المطبعة الجزائرية الإسلامية.

١١٩ ـ **رسالة الأخوة في الله**: مستقاة من كتاب إحياء علوم الدين للغزالي ـ الناشر مكتبة الرسالة الحديثة ـ عمان ـ الأردن.

١٢٠ ـ **رسالة العبودية**: تأليف شيخ الإسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ـ الطبعة الرابعة (١٣٩٧ هـ) نشر المكتب الإسلامي ببيروت.

١٢١ ـ **روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن**: تأليف محمد علي الصابوني ـ منشورات مكتبة الغزالي. دمشق ـ سورية، الطبعة الثانية ـ ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

١٢٢ ـ **روائع اقبال**: تأليف أبو الحسن علي الحسيني الندوي ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٧٩هـ ـ ١٩٦٠م طبع دار الفكر بدمشق.

١٢٣ ـ **الرجل الصنم أول كتاب عن حياة كمال أتاتورك بالتفصيل**: تأليف ـ ضابط تركي سابق ـ ترجمة عبد الله عبد الرحمن ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م مؤسسة الرسالة.

١٢٤ ـ **رجال حول الرسول**: تأليف خالد محمد خالد ـ دار الفكر بيروت ـ لبنان.

حرف الزاء

١٢٥ ـ **زاد المعاد في هدى خير العباد**: للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن بكر ابن أيوب الشهير بابن قيم الجوزية ـ توزيع دار الإفتاء السعودية بالرياض.

١٢٦ ـ **زاد المسير في علم التفسير**: تأليف ـ الإمام أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي القرشي البغدادي ـ ولد ـ ٥٠٨ هـ (ت ـ ٥٩٦ هـ) نشر المكتب الإسلامي للطباعة والنشر الطبعة الأولى.

حرف السين

١٢٧ ـ **سنن أبي داود**: تأليف الإمام الحافظ المصنف المتقن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي المولود سنة (٢٠٢ هـ ـ ت ـ

٢٧٥ هـ) مراجعة وضبط وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ـ نشر دار الفكر.

١٢٨ ـ **سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك**: للشيخ حمد بن علي بن عتيق ـ تصحيح ومراجعة اسماعيل بن سعد بن عتيق الطبعة الخامسة ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م. طبع دار القرآن الكريم ـ بيروت ـ لبنان.

١٢٩ ـ **السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية**: لتقي الدين احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية ـ الطبعة الرابعة ـ طبع ونشر دار الكتاب العربي بمصر.

١٣٠ ـ **السيرة النبوية دروس وعبر**: تأليف الدكتور ـ مصطفى السباعي الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م ـ نشر المكتب الإسلامي.

١٣١ ـ **السنن الكبرى**: لإمام المحدثين الحافظ الجليل أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي المتوفي سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وفي ذيله الجوهر النقي للعلامة علاء الدين بن علي بن عثمان المارديني الشهير بابن التركماني المتوفي سنة خمس وأربعين وسبع مائة من الهجرة، دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

١٣٢ ـ **سلسلة الأحاديث الصحيحة**: تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م ـ المكتب الإسلامي ـ دمشق ـ سوريا.

١٣٣ ـ **سلسلة الأحاديث الضعيفة**: تأليف الشيخ محمد ناصر الدين الألباني ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٩ هـ المكتب الإسلامي.

١٣٤ ـ **سنن الدارمي**: للإمام عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل الدارمي المتوفي سنة (٢٥٥ هـ) دار الفكر ـ القاهرة.

١٣٥ - **سنن النسائي**: بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي حاشية الإمام السندي - الطبعة الأولى سنة (١٣٤٨ هـ - ١٩٣٠ م) دار الفكر بيروت - لبنان.

١٣٦ - **سنن ابن ماجه**: للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه (٢٠٧ هـ - ت - ٢٧٥ هـ) الطبعة الثانية - دار الفكر بيروت.

١٣٧ - **سنن الترمذي**: وهو الجامع الصحيح للإمام أبي عيسى محمد بن عيسى ابن سورة الترمذي (٢٠٩ هـ - ت - ٢٧٩ هـ) الطبعة الثالثة - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م. دار الفكر - القاهرة.

١٣٨ - **سعد بن أبي وقاص**: تأليف/ عبد الحميد جودة السحار - ملتزم الطبع والنشر مكتبة مصر - دار مصر للطباعة.

١٣٩ - **سيد قطب**: خلاصة حياته، منهجه في الحركة، النقد الموجه إليه. تأليف محمد توفيق بركات - دار الدعوة بيروت.

١٤٠ - **سقوط الجولان**: خليل مصطفى - ضابط استخبارات الجولان قبل حرب ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م - الطبعة الثانية - ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م - دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع - القاهرة.

١٤١ - **السلام العالمي والإسلام**: تأليف سيد قطب - الطبعة الثامنة (١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م) طبع دار الشروق - بيروت - لبنان.

حرف الشين

١٤٢ - **شرح الطحاوية في العقيدة السلفية**: تأليف علي بن محمد بن علي ابن أبي العز الحنفي (٧٣١ - ت - ٧٩٢ هـ) تحقيق احمد شاكر طبع دار المعارف بمصر.

شرح الشروط العمرية: مجرداً من كتاب أحكام أهل الذمة تأليف

الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن القيم الجوزية (٦٩١ ـ ٧٥١ هـ) حققه وعلق حواشيه وجرده من الأصل الدكتور صبحي الصالح أستاذ الإسلاميات وفقه اللغة في الجامعة اللبنانية الطبعة الثانية ـ ١٤٠١ هـ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان.

١٤٤ ـ **شرح النيل وشفاء العليل**: تأليف الشيخ محمد بن يوسف أطفيش المطبعة السلفية سنة (١٣٤٣هـ) والمتن للإمام ضياء الدين الشيخ عبد العزيز ابن إبراهيم الثميني الحفصي المتوفي (١٢٢٣هـ).

١٤٥ ـ **شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث**: تأليف أحمد عبد اللطيف الجدع وحسني أدهم جرار سلسلة من خمسة أجزاء صغيرة الطبعة الأولى ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت لبنان.

١٤٦ ـ **الشيعة والسنة**: تأليف الأستاذ/ إحسان الهي ظهير، الناشر إدارة ترجمان السنة ـ باكستان ـ الطبعة الخامسة (١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م) طبع في مطابع معارف لاهور.

١٤٧ ـ **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**: للإمام العارف، خاتمة المحققين العلامة سيدي محمد الزرقاني، طبع سنة (١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م) دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان. توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ـ عباس احمد الباز ـ مكة المكرمة.

١٤٨ ـ **الشيوعية والإنسانية في شريعة الإسلام**: تأليف عباس محمود العقاد الناشر ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٤٩ ـ **الشيوعية والاستعمار**: تأليف عباس محمود العقاد ـ الطبعة الثانية (١٩٧١ م)، الناشر ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت لبنان.

حرف الصاد

١٥٠ ـ صحيح البخاري: نشر وطبع دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان.

١٥١ ـ الصحاح: تأليف أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، طبع دار الكتاب العربي بمصر.

١٥٢ ـ الصحيح المسند من أسباب النزول: بحث أعده ـ مقبل بن هادي الوادعي ـ الناشر مكتبة المعارف بالرياض في تاريخ ١٤٠٠ هـ/ ١٩٧٩ م.

١٥٣ ـ صلح الحديبية: تأليف محمد أحمد باشميل ـ الطبعة الثالثة ـ ١٣٩٣ هـ ـ ١٩٧٣ م ـ نشر دار الفكر ـ بيروت ـ لبنان.

١٥٤ ـ صور من حياة الرسول ﷺ: تأليف أمين دويدار. الناشر ـ دار المعارف بمصر.

١٥٥ ـ صور من حياة الصحابة: د/ عبد الرحمن رأفت الباشا الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٣ م ـ نشر دار الفكر ـ بيروت.

١٥٦ ـ صحيح مسلم: للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، المتوفي سنة (٢٦١ هـ) تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي سنة (١٣٧٤ هـ) ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

١٥٧ ـ صحيح مسلم بشرح النووي: للإمام الحافظ محي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الحزامي الشافعي النووي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ مكتبة المثنى ـ ببيروت.

١٥٨ ـ صراع مع الملاحدة حتى العظم: عبد الرحمن حسن حنبكة الميداني. الطبعة الثانية سنة (١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م) دار القلم ـ دمشق.

ط ـ طبقات الشافعية للسبكي.

ط ـ ظهر الإسلام أحمد أمين.

حرف الضاد

١٥٩ ـ **ضحى الإسلام**: احمد أمين ـ الطبعة الثامنة ـ نشر مكتبة النهضة المصرية.

حرف العين

١٦٠ ـ **عقائد الأمامية الأثنى عشرية**: ابراهيم الموسوي الزنجاني ـ نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ـ بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م.

١٦١ ـ **العقيدة والآداب الإسلامية**: القسم الأول ـ تأليف الشيخ محمد ابن عبد الوهاب ـ صنفها وأعدها للتصحيح وقام بالتصحيح جمع من أهل العلم ـ الناشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ طبع مطابع الرياض.

١٦٢ ـ **عقيدة الدروز عرض ونقض**: تأليف ـ محمد أحمد الخطيب الطبعة الأولى (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) نشر وتوزيع مكتبة الأقصى. عمان الأردن.

١٦٣ ـ **العلاقات الاجتماعية بين المسلمين وغير المسلمين في الشريعة الاسلامية، واليهودية، والمسيحية، والقانون**: للدكتور/ بدران أبو العينين بدران. أستاذ بكلية الحقوق بجامعتي الاسكندرية وبيروت ـ طبع في سنة (١٩٦٨م في دار النهضة العربية ـ بيروت ـ لبنان.

١٦٤ ـ **العقيدة والشريعة في الإسلام** ـ تأليف أجناس جولد تسيهر، ترجمة الدكتور/ محمد يوسف موسى وآخرين، الطبعة الأولى سنة (١٩٤٦ م) طبع دار الكتاب المصري.

١٦٥ ـ **العلويون أو النصيرية**: تأليف عبد الحسين مهدي العسكري طبع سنة (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م).

١٦٦ ـ **علم أصول الفقه**: تأليف محمد جواد مغنية ـ الطبعة الأولى أيار (١٩٧٥ م) دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان.

١٦٧ ـ **عظمائنا في التاريخ**: الدكتور/ مصطفى السباعي ـ مطابع المكتب الإسلامي.

١٦٨ ـ **عزل الرئيس الأعلى للدولة في نظام الحكم في الإسلام**: رسالة مقدمة من الطالب/ علي بن فهيد الدغيمان السرباتي ـ لنيل درجة الماجستير من المعهد العالي للقضاء بإشراف الدكتور عبد العال احمد عطوة ـ الاستاذ بالمعهد العالي للقضاء العام الدراسي ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٨ م.

١٦٩ ـ **العلاقات الدولية في الإسلام**: على ضوء الأعجاز البياني في سورة التوبة ـ تأليف الدكتور/ كامل سلامة الدقس ـ أستاذ الدراسات الإسلامية والأدبية المساعد بجامعة الملك عبد العزيز بجدة الطبعة الأولى سنة (١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٦ م) دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع بجدة.

١٧٠ ـ **العلاقات العامة والخاصة في الإسلام**: تأليف الدكاترة كل من: يوسف محمود عبد المقصود ونصر فريد محمد واصل ومحمد محمد عبد اللطيف جمال الدين ـ الناشر سيد محمود ـ توكيل دار المعارف ـ دار الكتاب الجامعي.

حرف الغين

١٧١ ـ **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**: لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري المتوفي سنة (٧٢٨ هـ) الطبعة الأولى ـ المطبعة الأميرية بمصر ـ ١٣٢٣ هـ ـ مطبوع على هامش تفسير جامع البيان للطبري.

١٧٢ ـ **غزوة بدر الكبرى** : تأليف محمد أحمد باشميل ـ الطبعة الثالثة ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م ـ الطبع في مطبعة شركة الطبع والنشر اللبنانية.

١٧٣ ـ **غزوة الأحزاب** : محمد احمد باشميل ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م ـ مطبعة دار الكتاب ـ بيروت.

١٧٤ ـ **غزوة أحد**/ تأليف محمد أحمد باشميل ـ الطبعة الثانية مطبعة دار الكتب ـ بيروت.

حرف الفاء

١٧٥ ـ **فتح القدير** : تأليف محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ـ ١٢٥٠ هـ ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٤ م مصطفى الحلبي وشركاه بمصر.

١٧٦ ـ **فتح الباري شرح صحيح البخاري** ـ تأليف أحمد بن حجر العسقلاني (ت ـ ٨٥٢ هـ) تحقيق الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز نشر وتوزيع دار الافتاء السعودية.

١٧٧ ـ **الفتاوي السعدية** : تأليف ـ العالم المحقق الشيخ عبد الرحمن الناصر السعدي ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٨٨ هـ ـ ١٩٦٨ م طبع مطبعة الحياة ـ دمشق.

١٧٨ ـ **الفتاوي الحديثة** : تأليف ـ أحمد شهاب الدين بن حجر الهيثمي طبع المطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٠٧ هـ.

١٧٩ ـ **فجر الإسلام** : احمد أمين ـ الطبعة الثانية عشرة ـ ١٩٧٨ م طبع ونشر ـ مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.

١٨٠ ـ **الفرق بين الفرق** : تتأليف ـ عبد القاهر بن طاهر البغدادي المتوفي (٤٢٩ هـ) ـ (١٠٣٧ م) تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ـ نشر =

= دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان. توزيع دار الباز للنشر والتوزيع ـ عباس احمد الباز ـ مكة المكرمة.

١٨١ ـ **الفصل في الملل والأهواء والنحل**: للإمام أبي محمد علي بن احمد ابن حزم الظاهري، وبهامشه الملل والنحل للشهرستاني ـ الطبعة الثانية ـ ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م. طبع دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان.

١٨٢ ـ **في ظلال القرآن**: تأليف العالم الجليل سيد قطب ـ الطبعة الخامسة ـ ١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٧ م ـ نشر دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان. عدا المجلد الخامس من الجزء الثالث عشر وحتى الجزء السابع عشر فإنه من الطبعة السادسة.

١٨٣ ـ **فضيلة الألفة والأخوة**: المؤلف غير معروف ـ مخطوطة بقسم المخطوطات بجامعة الرياض ـ وهي نسخة حسنة بخط حسن العناوين بخط احمر، لم يذكر تاريخ نسخها ولا ناسخها، وهي مضبوطة بالشكل، يعتقد أنها من القرن التاسع تقريباً وهي تحت مجموعة (آداب إسلامية) عدد الأوراق (١٢٢) ق وحجم الورقة ١٨ × ١٤ سم مسجلة بقسم المخطوطات برقم (١٦٠٥ / ١) وعلى ميكروفيلم (٦/٥٥٦).

١٨٤ ـ **فقه السيرة**: دراسة منهجية علمية لسيرة الرسول ﷺ وما تنطوي عليه من عبر وعظات ومبادىء وأحكام ـ تأليف الدكتور/ محمد سعيد رمضان البوطي ـ الطبعة السابعة ـ ١٣٩٨ هـ طبع دار الفكر ـ بيروت.

١٨٥ ـ **الفوائد**: للشيخ العلامة محي السنة وقامع البدعة شمس الدين محمد ابن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية المتوفي سنة (٧٥١ هـ) طبع مكتبة الرياض الحديثة.

١٨٦ ـ **في أصول النظام الجنائي الإسلامي دراسة مقارنة**: تأليف ـ الدكتور/ =

= محمد سليم العوّا - أستاذ فقه العقوبات المشارك بجامعة الرياض.
دار المعارف.

١٨٧ - **فتح المجيد شرح كتاب التوحيد**: تأليف الشيخ عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ المتوفي سنة (١٢٥٨ هـ) بتحقيق محمد حامد الفقي رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية - الطبعة السابعة - ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م. مطبعة السنة المحمدية بالقاهرة.

١٨٨ - **الفراعنة الصغار في هيلتون الناصرية**: تأليف الدكتور جابر الحاج الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م ملتزم الطبع والنشر دار الاعتصام.

١٨٩ - **فتح مكة من معارك الإسلام الفاصلة** - تأليف محمد أحمد باشميل الطبعة الأولى (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) دار الفكر - بيروت.

حرف القاف

١٩٠ - **القاموس المحيط**: تأليف - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي - نشر دار الفكر ببيروت - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.

١٩١ - **قادة الغرب يقولون: دمروا الإسلام أبيدوا أهله**: تأليف جلال العالم: نشر المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة الطبعة الثالثة - ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.

١٩٢ - **قوارب النجاة في حياة الدعاة**: فتحي يكن - نشر مؤسسة الرسالة طبع دار الإيمان للطباعة والنشر - طرابلس - لبنان.

١٩٣ - **القومية والغزو الفكري**: تأليف محمد جلال كشك - الطبعة الثانية طبع دار الإرشاد - بيروت - لبنان.

١٩٤ - **القابضون على الجمر**: تأليف محمد أنور رياض - الطبعة الأولى عام (١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م) - دار البحوث العلمية - كويت.

حرف الكاف

١٩٥ ـ **كتاب الكبائر**: تأليف أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المولود سنة (٦٧٣ هـ) والمتوفي سنة (٧٤٨ هـ). الطبعة الأولى الناشر مكتبة محمد بن سعيد ندا وإخوانه بمكة المكرمة.

كتاب السلوك ـ للمقريزي.

١٩٦ ـ **كلمات القرآن تفسير وبيان**: تأليف حسنين محمد مخلوف ـ الطبعة الثامنة ـ ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م.

١٩٧ ـ **كيف تعمل الأمم المتحدة**: توم غولت ـ ترجمة حسين كمال الأنصاري ـ مراجعة لطفي الخوري . تقديم الدكتور حسن الجلبي طبع دار التضامن ـ بغداد ـ الناشر شركة النبراس للنشر والتوزيع بغداد.

١٩٨ ـ **كشاف القناع عن متن الإقناع**: للشيخ منصور بن ادريس الحنبلي المتوفي سنة (١٠٥١ هـ) المطبعة الشرقية بمصر ـ الطبعة الأولى سنة (١٣١٩ هـ) ومتن الاقناع تأليف شرف الدين أبي النجا المقدسي الحجاوي الصالحي الدمشقي.

١٩٩ ـ **كتاب الخراج**: للقاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب الإمام أبي حنيفة ـ المتوفي سنة (١٨٣ هـ) اقترح عليه إنشاءه وتصنيفه هارون الرشيد. دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٢٠٠ ـ **كتاب الخراج**: تأليف الإمام يحى بن آدم القرشي المتوفي سنة (٢٠٣ هـ) صححه وشرحه ووضع فهارسه أبو الأشبال أحمد محمد شاكر ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان.

٢٠١ ـ **الكافي في الأصول**: تأليف محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني البغدادي (أبو جعفر) من فقهاء الشيعة. ط. ايران سنة (١٣٨١ هـ).

٢٠٢ ـ **كتاب الجرح والتعديل**: للإمام الحافظ شيخ الإسلام أبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ـ الطبعة الأولى بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ـ بحيدر آباد الدكن الهند سنة (١٣٧١ هـ ـ ١٩٥٢ م) دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.
كنز العمال ـ عبد الرحمن جلال السيوطي.

٢٠٣ ـ **كتاب الفقه على المذاهب الأربعة**: تأليف ـ عبد الرحمن الجزيري ـ ١٩٧٠ م ـ يطلب من المكتبة التجارية الكبرى ـ بمصر.

٢٠٤ ـ **كتاب الكافي في فقه أهل المدينة المالكي**: تأليف ـ أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد القرطبي ـ تحقيق الدكتور محمد محمد الموريتاني الطبعة الأولى ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م الناشر مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.

٢٠٥ ـ **كيف تكتب بحثاً أو رسالة**: دراسة منهجية لكتابة البحوث وإعداد رسائل الماجستير والدكتوراه ـ الطبعة التاسعة ١٩٧٦ م ـ الناشر مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة.

٢٠٦ ـ **الكيد الأحمر**: دراسة واعية للشيوعية وجذورها وأفكارها وخرافة حتمياتها وأحلام وعودها الكاذبة وواقع تدميرها الثوري الحقود الحسود وجحيم تطبيقاتها ـ تأليف عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني الطبعة الأولى ـ ١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م دار القلم، دمشق ـ بيروت.

٢٠٧ ـ **كتاب الأموال**: تأليف الإمام الحافظ الحجة أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفي سنة (٢٢٤ هـ) تحقيق وتعليق محمد خليل هراس من علماء الأزهر الشريف ـ ١٣٩٥ هـ الطبعة الثانية. منشورات مكتبة الكليات الأزهرية بمصر.

حرف اللام

٢٠٨ ـ **اللؤلؤ والمرجان**: فيما اتفق عليه الشيخان إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري في صحيحيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة وضعه محمد فؤاد عبد الباقي الناشر المكتبة الإسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ.

٢٠٩ ـ **لسان العرب**: تأليف العلامة ابن منظور ـ طبع دار لسان العرب ببيروت.

٢١٠ ـ **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف**: تأليف الشيخ العلامة الحافظ زين الدين بن رجب الحنبلي (ت ـ ٧٩٥ هـ). طبع دار الجيل ببيروت ـ لبنان ـ سنة (١٩٧٥م).

٢١١ ـ **لعبة الأمم**: تأليف ـ مايلز كوبلند ـ ترجمة إبراهيم جزيني ـ بيروت ١٩٧٠ م.

حرف الميم

٢١٢ ـ **ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين**: تأليف فضيلة الشيخ عبد الجليل عيسى أبو النصر ـ الناشر ـ مكتبة الشعب الطبعة الرابعة (١٩٧٤ م) مطبعة الأمانة جزيرة بدران القاهرة.

٢١٣ ـ **المبسوط**: لشمس الأئمة أبي بكر محمد السرخسي (ت ـ ٤٨٣ هـ) ـ طبع مطبعة السعادة بمصر سنة (١٣٢٤ هـ).

٢١٤ ـ **مجموعة التوحيد**: تأليف جمع من أئمة أهل العلم ـ نشر دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية.

٢١٥ ـ **مجموع فتاوي شيخ الإسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية**: جمع عبد الرحمن بن قاسم ـ الطبعة الأولى مصورة في (١٣٩٨ هـ) توزيع دار الإفتاء السعودية.

٢١٦ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**: للحافظ نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة (٨٠٧ هـ) طبع سنة (١٣٥٣ هـ).

٢١٧ ـ **مجموعة رسائل الإمام الشهيد حسن البنا**: نشر المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر ـ بيروت.

٢١٨ ـ **مجتمع الكراهية**: تأليف ـ سعد جمعه ـ طبع دار الكتاب العربي.

٢١٩ ـ **مجمع البيان في تفسير القرآن**: تأليف أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، من رؤساء الأمامية في القرن السادس الهجري ـ طبع دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦١ م ـ موجود في جامعة أم القرى ـ المكتبة المركزية لكليتي الشريعة واللغة حي العزيزة بمكة المكرمة.

٢٢٠ ـ **مجموعة رسائل الدروز**: مخطوطة بجامعة الرياض قسم المخطوطات برقم (٩٨٢) عدد أوراقها (١٤٠) ورقة القياس ٢١ × ١٥,٥ سم الموضوع عقائد (٢١٥,٨/م) خط واضح مقروء العناوين بالمداد الأحمر.

٢٢١ ـ **مجموعة رسائل**: الشيخ سعد بن حمد بن علي بن عتيق (ت ـ ١٣٤٩ هـ) دار الاعتصام ـ القاهرة.

* **محاضرات في تاريخ فلسطين**: تأليف الدكتور/ أحمد طربين. القاهرة: معهد الدراسات العربية (١٩٥٨ م).

٢٢٢ ـ **محيط المحيط**: تأليف المعلم بطرس البستاني ـ نشر مكتبة لبنان ـ ساحة رياض الصلح ـ بيروت.

٢٢٣ ـ **المحكم والمحيط الأعظم**: تأليف العلامة ـ علي بن إسماعيل الأندلسي، المرسي، الضرير، المعروف بابن سيده (أبو الحسن) طبعة مصطفى الحلبي بمصر.

٢٢٤ـ **محاضرات في النصرانية** : **تأليف/ محمد أبو زهرة ـ الطبعة الثانية ١٣٦٨ هـ ـ ١٩٤٩ م ـ ناشر هذه الطبعة حسن حسني المنياوي.**

٢٢٥ ـ **المحلى**: تصنيف الإمام الجليل، المحدث كالفقيه، الأصولي أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم المتوفى سنة (٤٥٦ هـ) تحقيق أحمد شاكر ـ منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت.

٢٢٦ ـ **مختصر تفسير الامام الطبري على مصحف الشروق المفسر الميسر.** طبع دار الشروق بالقاهرة (١٣٩٧ هـ ـ ١٩٧٧ م).

٢٢٧ ـ **مختصر اغاثة اللهفان من مكائد الشيطان** : اختصار عبد الله بن عبد الرحمن أبابطين (١١٩٤ هـ ـ ت ـ ١٢٨٢ هـ) نشر دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر بالرياض.

٢٢٨ ـ **مختصر الفتاوي المصرية** : تأليف شيخ الإسلام احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية ـ جمع الشيخ بدر الدين أبي عبد الله محمد ابن علي الحنبلي (ت ـ ٧٧٧ هـ) صححه وعلق عليه محمد حامد الفقي ـ طبع هذا المختصر أول مرة سنة (١٣٦٨ هـ) بأمر جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود ـ دار نشر الكتاب الإسلامي كوجرا نوا له باكستان.

٢٢٩ ـ **مختصر التحفة الأثنى عشرية** : ألف أصله باللغة الفارسية علامة الهند ـ شاه عبد العزيز غلام حكيم الدهلوي ابن الإمام المجدد شاه ولي الله احمد بن عبد الرحيم الدهلوي. نقله من الفارسية إلى العربية الشيخ الحافظ غلام محمد بن محي الدين بن عمر الأسلمي سنة (١٢٢٧ هـ) ثم اختصره وهذبه سنة (١٣٠١ هـ) علامة العراق السيد محمود شكري الألوسي. حققه وعلق على حواشيه محب الدين الخطيب ـ الطبعة الثانية (١٣٨٧ هـ) المطبعة السلفية ومكتبتها بالقاهرة.

٢٣٠ ـ **مختصر تهذيب سنن أبي داود** : للحافظ المنذري، ومعالم السنن: لأبي سليمان الخطابي، وتهذيب الإمام ابن قيم الجوزية ـ تحقيق محمد حامد ـ مطبعة السنة المحمدية (١٣٦٩ هـ).

٢٣١ ـ **المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام** : تأليف محمد محمود الصواف ـ طبع دار الاعتصام بالقاهرة.

٢٣٢ ـ **مدارج السالكين بين اياك نعبد وإياك نستعين** : تأليف محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية تحقيق محمد حامد الفقي. الناشر دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ـ طبع سنة (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م).

٢٣٣ ـ **المدونة الكبرى** : للإمام مالك بن أنس الأصبحي. رواية الإمام سحنون ابن سعيد التنوخي عن الإمام عبد الرحمن بن قاسم، ومعها مقدمات ابن رشد ـ للإمام الحافظ أبي الوليد محمد بن احمد بن رشد المتوفي سنة (٥٢٠ هـ) توزيع دار الافتاء السعودية ـ دار الفكر بيروت (١٣٩٨ هـ).

٢٣٤ ـ **مذاهب الإسلاميين** : تأليف الدكتور ـ عبد الرحمن بدوي الطبعة الأولى ـ طبع دار العلم للملايين ـ بيروت سنة ١٩٧٣ م.

٢٣٥ ـ **المذاهب الاسلامية** تأليف الشيخ محمد أبو زهرة ـ سلسلة الألف كتاب رقم ١٧٧ ـ اشراف ادارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم بمصر ـ المطبعة النموذجية بمصر.

٢٣٦ ـ **مذبحة الأخوان في ليمان طرة** : تأليف جابر رزق ـ الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ـ دار الاعتصام.

٢٣٧ ـ **المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها** : تأليف الدكتور عبد الرحمن عميرة الطبعة الثانية ـ ١٣٩٩ هـ ـ ١٩٧٩ م ـ منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع ـ الرياض.

٢٣٨ ـ **مسند الإمام احمد بن حنبل** : الطبعة الثانية (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م) المكتب الإسلامي للطباعة والنشر ـ بيروت.

٢٣٩ ـ **المستقبل لهذا الدين** : تأليف سيد قطب ـ طبع دار الشروق (١٣٩٤ هـ ـ ١٩٧٤ م).

٢٤٠ ـ **مشاكل المبتعثين في الخارج** : جامعة الرياض ـ كلية العلوم الادارية اعداد الدكتور/ عبد الله طاهر ـ مطابع جامعة الرياض.

٢٤١ ـ **المشروعية الإسلامية العليا** : تأليف الدكتور/ علي محمد جريشه الناشر مكتبة وهبة ـ مصر.

٢٤٢ ـ **مشاهير علماء نجد وغيرهم** : تأليف الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف ابن عبد الله آل الشيخ ـ الطبعة الأولى (١٣٩٢ هـ) ـ الناشر دار اليمامة للبحث والترجمة.

٢٤٣ ـ **معجم متن اللغة** : تأليف أحمد رضا ـ نشر مكتبة الحياة ببيروت.

٢٤٤ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** : تأليف محمد فؤاد عبد الباقي طبعة (١٣٦٤ هـ) دار الكتب المصرية ـ نشر دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ لبنان.

٢٤٥ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي** : وضع : أ. ي ونسنك ـ وي. ب. منسنج ـ مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة (١٩٦٩ م).

٢٤٦ ـ **معجم المؤلفين** : تأليف ـ عمر رضا كحالة ـ الناشر مكتبة المثنى بيروت ـ ودار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٢٤٧ ـ **معالم في الطريق** ـ سيد قطب ـ الطبعة الأولى (١٣٨٤ هـ) ـ طبع في مطبعة مخيمر ـ الناشر مكتبة وهبة ـ مصر.

٢٤٨ ـ **مع سيد قطب في فكره السياسي والديني** ـ تأليف الدكتور/ مهدي=

فضل الله - الطبعة الأولى - ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م) الناشر مؤسسة الرسالة.

٢٤٩ - **مغنى المحتاج إلى ألفاظ المنهاج**: شرح الشيخ محمد بن أحمد الشربيني الخطيب المتوفى (٩٧٧ هـ) على متن المنهاج للنووي وهو مطبوع على متن المنهاج السالف الذكر.

٢٥٠ - **المغنى** - تأليف الإمام أبي محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي المتوفي سنة (٦٢٠ هـ) طبع إدارة المنار لأصحابها ورثة السيد محمد رشيد رضا - الطبعة الثالثة سنة (١٣٦٧ هـ) وهو شرح لمختصر أبي القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله الخرقي.

٢٥١ - **المغنى** - تأليف الإمام عبد الله بن احمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠ هـ) ويليه الشرح الكبير على متن المقنع للشيخ الإمام العالم شمس الدين محمد بن احمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) طباعة سنة (١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م) على نفقة دار الكتاب العربي بيروت - لبنان.

٢٥٢ - **مفاتيح الجنان المعرب** - تأليف الحاج عباس القمي - تعريب السيد محمد رضا النوري النجفي - منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت - لبنان.

٢٥٣ - **مقارنة الأديان** (١) اليهودية تأليف د/ احمد شلبي الطبعة الخامسة (١٩٧٨ م) طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

٢٥٤ - **مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين**: تأليف أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري - طبعة أولى مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٥٠ م تحقيق محي الدين عبد الحميد.

٢٥٥ - **المغالات والفرقة**: تأليف سعد بن عبد الله القمي - طبع مطبعة حيدري - طهران سنة ١٩٦٣ م تحقيق د/ محمد جواد مشكور.

٢٥٦ - **ملحق المصنفات**: للشيخ محمد بن عبد الوهاب - تصنيف وإعداد جمع من العلماء - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية طبع مطابع الرياض.

٢٥٧ - **منتخب كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال**: للشيخ علاء الدين علي ابن حسام الدين الشهير بالمتقي الهندي، وهو من رجال القرن العاشر الهجري - مطبوع على هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل - طبع المكتب الإسلامي للطباعة والنشر - بيروت - لبنان.

٢٥٨ - **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية** - تأليف شيخ الإسلام أبي العباس احمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية المتوفي سنة (٧٢٨ هـ) الطبعة الأولى - بالمطبعة الكبرى - الأميرية ببولاق بمصر سنة (١٣٢١ هـ).

٢٥٩ - **منهاج المسلم** - تأليف أبو بكر جابر الجزائري - نشر وتوزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية بالرياض - الطبعة الثامنة. دار الفكر.

٢٦٠ - **منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين**/ تأليف ثريا عبد الفتاح ملحس - منشورات دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر - الطبعة الثانية (١٩٧٣ م).

٢٦١ - **الموافقات في أصول الشريعة**: لأبي إسحاق الشاطبي وهو إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المالكي المتوفى سنة (٧٩٠ هـ) وعليه شرح جليل بقلم الشيخ عبدالله دراز يطلب من المكتبة التجارية بمصر - توزيع دار الباز عباس أحمد الباز - مكة المكرمة.

٢٦٢ - **الموسوعة العربية الميسرة** - أ - س - ترجمة محمد شفيق غربال دار النهضة للطباعة والنشر - لبنان - ١٩٨٠ م.

٢٦٣ ـ **الموطأ للإمام مالك بن أنس** (رضي الله عنه) صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي.

٢٦٤ ـ **موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية** تأليف الدكتور/ أحمد شلبي الطبعة الثامنة ـ الناشر مكتبة النهضة المصرية.

٢٦٥ ـ **الموسوعة الحركية**: إعداد وجمع وتحقيق مؤسسة البحوث والمشاريع الإسلامية بإشراف فتحي يكن ـ تراجم إسلامية من القرن الرابع عشر الهجري ـ الطبعة الأولى (١٤٠٠ هـ ـ ١٩٨٠ م) مؤسسة الرسالة.

حرف النون

٢٦٦ ـ **النكبات** ـ خلاصة تاريخ سوريا منذ العهد الأول بعد الطوفان الى عهد الجمهورية بلبنان ـ تأليف ـ أمين الريحاني ـ الطبعة الثانية مطابع دار صادر ريحاني ـ بيروت سنة (١٩٤٨ م).

٢٦٧ ـ **النظم الدولية في القانون والشريعة** ـ تأليف الدكتور عبد الحميد الحاج ـ معهد الدراسات الاسلامية (١٣٩٤ هـ).

٢٦٨ ـ **نزهة المتقين شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**: تأليف جمع من العلماء ـ طبع مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ الطبعة الأولى ـ ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م.

٢٦٩ ـ **النظرية المعاصرة للحياد**: الدكتور/ عائشة راتب استاذة القانون الدولي بجامعة القاهرة. الناشر ـ دار النهضة العربية بمصر.

٢٧٠ ـ **نظرية الإسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور** ـ تأليف أبو الأعلى المودودي ـ الطبعة الأولى (١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٤ م) ـ الناشر ـ دار الفكر بدمشق.

٢٧١ ـ نقض الاشتراكية الماركسية: تأليف/ غانم عبده طبع سنة ١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م.

٢٧٢ - **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**: تأليف الشيخ احمد بن محمد المقري التلمساني - حققه الدكتور/ احسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.

٢٧٣ - **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار**، شرح منتقى الأخبار للشيخ الإمام المجتهد العلامة الرباني قاضي القضاة في القطر اليماني محمد بن محمد الشوكاني المتوفي سنة (١٢٥٥ هـ) طبع دار الفكر - بيروت سنة (١٩٧٣ م).

٢٧٤ - **نافذة على الجحيم لعدد من الكتاب بدون تاريخ طباعة ودار طبع**.

حرف الهاء

٢٧٥ - **الهداية شرح بداية المبتدىء** - كلاهما تأليف شيخ الإسلام برهان الدين علي بن أبي بكر المرغيناني المتوفي سنة (٥٩٣ هـ) المطبعة الأميرية الكبرى ببولاق بمصر سنة (١٣١٥ هـ - ١٣١٨ هـ).

٢٧٦ - **هذا الدين**/ سيد قطب - الطبعة الرابعة - الناشر مكتبة وهبة بمصر.

وا إسلاماه - أحمد باكثير.

فهرس مواضيع

الجزء الأول

الباب الأول

مشروعية الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية

الباب الثاني
عوامل ضعف الموالاة في الله والمعاداة فيه

فهرس مواضيع الجزء الثاني

الباب الثالث

الموالاة والمعادات لأهل الأهواء والفرقة

الباب الرابع
موالاة الكفار ومعاداتهم